حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الثاني

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

دار الجيل

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(ســـــورة الأنعام)

مكية إلا « وما قدروا الله » الآيات الثلاث ، وإلا « قل تعالوا » الآيات الثلاث
وهى مائة وخمس أوست وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) وهو الوصف بالجميـــل ثابت (لِلَّهِ) وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أوهما احتمالات أفيدها الثالث قاله الشيخ فى سورة الكهف (الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين (وَجَعَلَ) خلق (الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) أى كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) مع قيام هذا الدليل (بربهم

بسم الله الرحمن الرحيم [سورة الأنعام مكية] سميت بذلك لذكر الأنعام فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وهذه السورة نزلت جملة واحدة ماعدا الست آيات ونزل معها سبعون ألف ملك ولهم زجل بالتسبيح ونزلت ليلا فأمر صلى الله عليه وسلم بكتابتها حينئذ وحين نزولها صار صلى الله عليه وسلم يسبح ويسجد حينئذ وكل ذلك تعظيما لشأنها لأن ما اشتملت عليه من التوحيد وعدة جملة من الرسل وتبين الحلال من الحرام فى الأنعام لم يوجد فى غيرها ، وورد أنها فاتحة التوراة وخاتمتها قيل آخر هود ، وقيل آخر الإسراء وفيها آية نزلت ومعها أربعون ألف ملك وهى وعنده مفاتح الغيب الآية . وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام الى ـ و يعلم ماتكسبون ـ وكل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة و ينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحى فى قلبه شيئا ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيامة قال الله امش فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل فأنت عبدى وأنا ربك » (قوله الآيات الثلاث) أى إلى قوله تستكبرون (قوله وإلا قل تعالوا) أى إلى قوله لعلكم تتقون هكذا مشى المفسر (قوله وهو) أي الحمد بالمعنى اللغوى ، وأما بالمعنى الاصطلاحى فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أوغيره (قوله الوصف بالجميل) زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لاخراج التهكم كقوله تعالى ـ ذق إنك أنت العزيز الكريم ـ (قوله ثابت) قدره إشارة إلى أن لله جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الذى هو الحمد (قوله وهل المراد به الاعلام بذلك) أى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، وقوله أوالثناء به : أى فهى خبرية لفظا إنشائية معنى (قوله أوهما) أى فهى مستعملة فى حقيقتها ومجازها فالقصد إعلام العبيد للإيمان به وإنشاء الثناء به وهذا هو حمد القديم للقديم ، وأل فى الحمد يصح أن تكون للاستغراق أوالجنس أوالعهد واللام فى لله للاستحقاق (قوله قاله الشيخ) أى الجلال المحلى (قوله الذى خلق) صفة لله وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كأنه قيل الوصف بالجميل ثابت له لأنه الخالق للسموات والأرض والمراد بالسموات ماعلا فيشمل العرش ، والمراد بالأرض ماسفل فيشمل ماتحتها وقدم السموات لأنها أشرف من الأرض لكونها مسكن المطهرين لاغير والأرض وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتوت على الأشرار والمفسدين ولأنها سابقة على الأرض كما فى سورة النازعات . قال تعالى ـ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ـ إلى أن قال ـ والأرض بعد ذلك دحاها ـ ولامنافاة بين آية فصلت وبين آية النازعات فان الأرض خلقت أولا كرة ثم خلقت السموات من دخان كما دلت عليه آية فصلت ثم بنى السماء ورفعها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها ، وإنما جمع السموات لاختلاف أجناسها ، فان الأولى من موج مكفوف ، والثانية من مرمرة بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء . وأما الأرض وإن كانت سبعا أيضا إلا أنها من جنس واحد ، واختلف هل الأرض مداد وهو الصحيح فالتعدد باعتبار أقطارها ، وقيل طباق كالسماء ، وأما السماء فهى طباق باتفاق (قوله خلق) أشار بذلك إلى أن جعل بمعنى خلق فتنصب مفعولا واحدا (قوله أى كل ظلمة) أى حسية كظلمة الليل والأجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعاصى (قوله ونور) أى حسى كالشمس والقمر والنجوم أو معنوى كالاسلام (قوله لكثرة أسبابها) أى الظلمة وأما النور فسببه واحد لايتعدد لأنه إما معنوى وسببه الاسلام أو حسى وسببه النار (قوله ثم الذين كفروا) ثم للترتيب الرتبى : أى فبعد أن عرفوا الحق سووا به

غيره فهو استبعاد لما وقع منهم (قوله بربهم) يحتمل أنه متعلق بكفروا ، وقوله يعدلون مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر ، ويحتمل أن بربهم متعلق بيعدلون والباء بمعنى عن ، والتقدير يميلون عن ربهم لغيره من العدول وهو الميل عن طريق الهدى (قوله هو الذي خلقكم) هذا من جملة الأدلة على كونه مستحقا للحمد كأنه قيل الوصف بالجميل لله لالغيره لأنه خالق السموات والأرض والظلمات والنور ولأنه خلقكم الخ (قوله من طين) من لابتدا الغاية : أي مبتدئا نشأتكم من طين (قوله بخلق أبيكم آدم منه) دفع بذلك مايقال إنهم مخلوقون من النطفة لامن الطين ، فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف وذلك الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون وعجن بكل ماء فخلق الله أولاده مختلفة الألوان والأخلاق فاختلاف الألوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم واختلاف الأخلاق من اختلاف المياه التي عجنت بها تلك الطينة فما من أحد إلا وله جزء سرى له من أبيه ، فالطبائع والأخلاق أصلها من آدم فنسبة الطين لأولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم ، وقيل لاحذف في الآية بل كل إنسان مخلوق من الطين لأنه ورد «ما من مولود إلا ويذر على نطفته شيء من تراب تربته» فالنطفة عجنت بذلك التراب فصدق على كل إنسان أنه مخلوق من الطين ، وقيل إنه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء وهو ناشئ عن الطين (قوله ثم قضى) يصح أن يكون بمعنى أظهر فثم للترتيب الزماني : أي فبعد تمام خلقه يظهر أجله للملك الموكل بالرحم أو بمعنى قدر فثم للترتيب الذكري لأن التقدير هو الارادة المتعلقة بالأجل أزلا فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الذكر فقط. واعلم أن كل إنسان له أجلان: أجل ينقضي بموته ، وأجل ينقضي ببعثه فابتداء أجل الموت من حين وجوده وابتداء أجل البعث من حين موته ومجموع الأجلين محتم لايزيد ولا ينقص ، وما ورد من زيادة العمر للبار لواصل للرحم ونقصه

(بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يسوّون غيره في العبادة (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً) لكم تموتون عند انتهائه (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) مضروب (عِنْدَهُ) لبعثكم (ثُمَّ أَنْتُمْ) أيها الكفار (تَمْتَرُونَ) تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر (وَهُوَ اللَّهُ) مستحق للعبادة (فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) ما تسرون وما تجهرون به بينكم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) تعملون من خير وشر ،

للعاصي القاطع للرحم قيل محمول على البركة وعدمها وقيل بتداخل أحدهما في الآخر فالطائع يزاد له في أجل الدنيا وينقص من أجل البرزخ وبالعكس للعاصي وبه فسر قوله تعالى – ومايعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب – ويؤيد ذلك ماحكي أن داود عليه السلام كان له صديق قد دنا أجله فأخبره جبريل بأنه لم يبق من أجله إلا خمسون يوما فأخبر داود صديقه بذلك فتأهب حتى إذا جاء اليوم المتمم للخمسين أخذ غداءه وذهب لداود ليودعه فمر بفقير فأعطاه غداءه فنزل جبريل على داود وأخبره أن الله زاد في عمره خمسين سنة بسبب صدقته في ذلك اليوم فلما ذهب إليه وجده مسرورا فأخبره بذلك (قوله وأجل مسمى عنده) أجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره وأضيف له سبحانه لأنه لايعلم انتهاءه أحد غيره ، وأما أجل الدنيا فهو في علم الملك وبانقضائه يظهر للمخلوقات أيضا (قوله لبعثكم) أي ينتهي إليه وماوراء ذلك لانهاية له (قوله ثم أنتم تمترون) أي ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة تشكون في البعث وتنكرونه ، وأفاد المفسر أن هذه الآية رد لما أنكروه من البعث وماقبلها رد للشرك الواقع من الكفار (قوله فهو على الاعادة أقدر) هذا بحسب العادة الجارية بأن القادر على الابتداء قادر على الاعادة بالأولى وإلا فالكل في قبضة قدرته سواء لامزية للاعادة على الابتداء لأنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون (قوله وهو الله) مبتدأ وخبر والضمير عائد على المتصف بالأوصاف المتقدمة وفي السموات وفي الأرض متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم لأن الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد فيكون المعنى وهو الله المستحق للعبادة في السموات الخ ، وهذا مادرج عليه المفسر وبذلك يجاب عن آية – وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله – وقيل متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود في السموات الخ على حد قول ابن مالك * وما من المنعوت والنعت عقل * يجوز حذفه ، وقيل متعلق بيعلم والتقدير يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض ، وقيل متعلق بسركم وجهركم ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه إلا أن يقال يغتفر في الظروف والمجرورات مالايغتفر في غيرها (قوله ويعلم ماتكسبون) إن قلت إن الكسب لايخرج عن السر والجهر والعطف يقتضي المغايرة . أجيب بأن المراد بالكسب مايترتب عليه من الثواب والعقاب ، والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرية والجهرية ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب .

(قوله وما تأتيهم من آية) كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات (قوله من آيات ربهم) من تبعيضية والآيات يحتمل أن يكون المراد بها القرآن فاتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر، أوالكونية كالمعجزات فالمراد باتيانها ظهورها والأحسن أن يراد ماهو أعمّ (قوله إلا كانوا عنها معرضين) الجملة حالية من الضمير فى تأتيهم ، وقوله معرضين ضمنه معنى غافلين فعداه بعن وإلا فالاعراض بمعنى الترك لايتعدّى بعن (قوله فقد كذبوا) تفريع على ماقبله وتفصيل لبعضه (قوله بالقرآن) أى وغيره من بقية المعجزات (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله كذبوا (قوله فسوف يأتيهم) وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لايتخلف لأن وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين فهو وعد باعتبار ووعيد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعدا ، قال تعالى ـ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ـ (قوله أنباء) جمع نبأ وهو الخبر العظيم المزعج وجمعه إشارة إلى تكرّر الجزاء لهم فى الدنيا و يوم القيامة (قوله ما كانوا به يستهزئون) ما اسم موصول وكانوا صلته ، والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذى كانوا يستهزئون به فى العاجل بالقتل والأسر والآجل بالعذاب الدائم فى النار (قوله ألم يروا) هذا إخبار من الله ببذل النصح لهم ومع ذلك فلم يهتدوا والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا ورأى إما بصرية وعليه درج المفسر حيث قال فى أسفارهم إلى الشام وغيرها وعليه فقوله كم أهلكنا سدّت مسد مفعولها أو علمية فتكون الجملة سدّت مسدّ مفعوليها والأحسن الأوّل (قوله وغيرها) أى كاليمن فانه كان لهم رحلتان رحلة فى الصيف للشام ورحلة فى الشتاء لليمن كما يأتى فى سورة قريش (٤)

(وَمَا تَأْتِيهِمْ) أى أهل مكة (مِنْ) زائدة (آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) من القرآن (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ) عواقب (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . أَلَمْ يَرَوْا) فى أسفارهم إلى الشام وغيرها (كَمْ) خبرية بمعنى كثيراً (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) أمة من الأمم الماضية (مَكَّنَّاهُمْ) أعطيناهم مكانا (فِي الْأَرْضِ) بالقوة والسعة (مَا لَمْ نُمَكِّنْ) نعط (لَكُمْ) فيه التفات عن الغيبة (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ) المطر (عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا) متتابعا (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ) تحت مساكنهم (فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) بتكذيبهم الأنبياء (وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ . وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا) مكتوبا (فِي قِرْطَاسٍ) رق كما اقترحوه (فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك (لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) تعنتا وعنادا ، (وقالوا

(قوله خبرية) أى وهى مفعول مقدّم لأهلكنا (قوله من قبلهم) أى قبل وجودهم أو قبل زمانهم فالكلام على حذف مضاف (قوله من قرن) بيان لكم والقرن يطلق على الأمة وعليه درج المفسر ويطلق على الزمان واختلف فى حده فقيل مائة سنة وهو الأشهر ، وقيل مائة وعشرون ، وقيل ثمانون ، وقيل ستون ، وقيل أربعون ، وقيل غير ذلك (قوله مكناهم) وصف للقرن وجمعه باعتبار معناه لأن القرن اسم جمع كرهط وقوم لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله بالقوّة والسعة) أى فى الدنيا حتى صاروا ذوى شهامة وغنى عظيم ومع ذلك فلم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيئا (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى ونكتته الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة (قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) وصف ثان للقرن ، وقوله وجعلنا الأنهار وصف ثالث له ، والمعنى أن من مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوة الشديدة فى الجسم والسعة فى الأموال والأولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شئ فلا تأمنوا سطوتى الأولى منهم . قال الشاعر:

لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل

(قوله وأنشأنا من بعدهم قرنا) كلام مستأنف دفع به مايقال حيث هلك من هلك فقد خرب الكون . فأجاب بأنه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم فانه قادر على ذلك والقادر لايعجزه شئ (قوله قرنا) هنا بالافراد وفى بعض الآيات بالجمع والمعنى واحد فان المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن (قوله ولو نزلنا) شروع فى بيان زيادة كفرهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم إيمانهم به وهو ورد لقول النضر بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق (قوله مكتوبا) إشارة إلى أنه أطلق المصدر وأراد اسم المفعول (قوله قرطاس) القراءة بكسر القاف لاغير ويجوز فى غير القرآن فتح القاف وضمها ويقال قرطس كجعفر ودرهم ما يكتب فيه مطلقا ورقا أو غيره فتفسيره له بالرق بفتح الراء على الأفصح تفسير بالأخص (قوله كما اقترحوه) أى اخترعوه من الآيات (قوله إن هذا إلا سحر مبين) إن نافية بمعنى ماوهذا مبتدأ وسحر خبره ومبين

(وَقَالُوا لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) على محمد صلى الله عليه وسلم (مَلَكٌ) يصدقه (وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا) كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لَقُضِيَ الْأَمْرُ) بهلاكهم (ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ) أي المنزل إليهم (مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ) أي الملك (رَجُلًا) أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لاقوة للبشر على رؤية الملك (وَ) لو أنزلناه وجعلناه رجلا (لَلَبَسْنَا) شبهنا (عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) على أنفسهم بأن يقولوا: ماهذا إلا بشر مثلكم (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فَحَاقَ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قُلْ) لهم (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ) إن لم يقولوه لاجواب غيره (كَتَبَ) قضى (عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) فضلا منه وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان (لَيَجْمَعَنَّكُمْ

صفته والجملة مفعول القول (قوله وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هذا من جملة عنادهم وكفرهم (قوله فلم يؤمنوا) مرتب على قوله ولو أنزلنا فهو من تتمة الشرط. والمعنى أن الله لو أجابهم بإنزال ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم كمن قبلهم مع أنه قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فعدم إجابتهم رحمة بهم (قوله ولو جعلناه ملكا) رد لقولهم هلا كان رسولنا من الملائكة لامن البشر (قوله أي على صورته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي صورة رجل فالشبه في الصورة فقط (قوله إذ لاقوة للبشر على رؤية الملك) أي ولذلك كان يأتي الأنبياء على صورة رجل ولم ير الملك على صورته الأصلية أحد من البشر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الأرض عند غار حراء ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء (قوله وللبسنا) جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله ولو جعلناه رجلا والمناسب للمفسر الاقتصار على ذلك ويحذف قوله ولو أنزلناه. ولبس فتح الباء يلبس بكسرها خلط يخلط والتبس اختلط واشتبه، وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق (قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي فلا تحزن واصبر على أذاهم فإن الله كافيك شرهم (قوله فكذا يحيق بمن استهزأ بك) أي لكن لا على الوجه الذي حاق بهم من عموم العذاب بل يأخذ المتمرد بخصوصه وقد فعل الله له ذلك، قال تعالى: إنا كفيناك المستهزئين (قوله قل سيروا في الأرض) هذا استشهاد على ما تقدم كأنه قيل إن لم تصدقوا خبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعاينوا آثارهم (قوله ثم انظروا) أتى بثم لأنه لا يحسن التفكر والاستدلال ولايتم إلا بعد تمام السير ومعاينة الآثار (قوله كيف) اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها وإنما قدم الخبر عليها وعلى اسمها لأن اسم الاستفهام له الصدارة (قوله ليعتبروا) أي يتعظوا فبالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام. ومن هنا أخذت الصوفية السياحة لأن من جملة مايعين على الوصول إلى الله والترقي إلى المعارف النظر والتفكر في مصنوعاته قال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (قوله قل لمن ما في السموات والأرض) الجار والمجرور خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات والأرض صلة الموصول والأصل قل ما في السموات والأرض لمن؟ وإنما قدم الخبر لأن اسم الاستفهام له الصدارة وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبدا (قوله قل لله) أي تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله لاجواب غيره) في معنى التفريع أو التعليل فالمناسب أن يقول فلا أو لأنه لاجواب غيره (قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي ألزم نفسه الرحمة لأنه وعدها ووعده لايتخلف فهي واجبة شرعا لاعقلا. والرحمة هي النعمة وهي عامة لكل مخلوق في الدنيا قال تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء، فمن رحمته إمهال العصاة والكفار وترادف الرزق عليهم، وأما بعد استقرار الخلق في الدارين فتختص الرحمة بأهل الجنة ويختص غضب الله بأهل النار (قوله فضلا منه) رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلا على الله يستحيل تخلفها إذ هو نقص والنقص عليه محال (قوله وفيه تلطف في دعائهم إلى الايمان) أي في ذكر الرحمة بهذا العنوان فلا تقنطوا بل إذا تبتم قبلكم (قوله ليجمعنكم) اللام موطئة لقسم محذوف وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون إشارة إلى أن ذلك الأمر لابد منه.

(قوله إلى يوم القيامة) يحتمل أن إلى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم فى القبور ويحشرنكم إلى يوم القيامة ويحتمل أنها بمعنى اللام أو فى أو زائدة (قوله لاريب فيه) أى فى الجمع يوم القيامة أو فى يوم القيامة الذى يحصل فيه الجمع (قوله الذين خسروا أنفسهم) الذين مبتدأ وخسروا صلته وأنفسهم مفعول لخسروا وقوله فهم لايؤمنون مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدأ . إن قلت إن ظاهر الآية أن عدم الايمان مسبب عن الخسران مع أن الخسران مسبب عن عدم الايمان . أجيب بأن المعنى الذين خسروا أنفسهم فى علم الله أى قضى عليهم بالخسران أزلا فهم لايؤمنون فيما لايزال فالآية باعتبار ما فى علم الله وأما تسبب الخسران عن عدم الايمان فبحسب مايظهر للعباد (قوله وله ماسكن) هذا أيضا من جملة أدلة التوحيد زيادة فى التشنيع على من كفر (قوله حل) أشار بذلك إلى أنه لاحذف فى الآية وعليه جمهور المفسرين فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك وقيل إن سكن من السكون ضد الحركة وعليه ففى الآية حذف تقديره وما تحرك (قوله قل أغير الله) رد لقولهم له كيف تترك دين آبائك وغير مفعول أول لأتخذ وقدمه اعتناء بنفى الغيرية ووليا مفعول ثان (قوله أعبده) تفسير لأتخذ فالمراد بالولى هنا المعبود ويطلق بالاشتراك على معان منها المعبود ولا يكون إلا الله وهو معنى قوله تعالى : فالله هو الولى ، الله ولى الذين آمنوا ويطلق على القريب والصاحب وعلى المنهمك فى طاعة الله (قوله فاطر) بدل من لفظ الجلالة أو نعت . إن قلت إن فاطر اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف ولفظ الجلالة أعرف المعارف وشرط النعت موافقته لمنعوته فى التعريف . أجيب بأن محل كون إضافته لفظية إن كان معناه التجدد والحدوث وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة فيكون

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ليجازيكم بأعمالكم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَهُ) تعالى (مَا سَكَنَ) حل (فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أى كل شىء فهو ربه وخالقه ومالكه (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْعَلِيمُ) بما يفعل (قُلْ) لهم (أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) أعبده (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (وَهُوَ يُطْعِمُ) يرزق (وَلَا يُطْعَمُ) يرزق ، لا (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) لله من هذه الأمة (وَ) قيل لى (لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) به (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي) بعبادة غيره (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (مَنْ يُصْرَفْ)بالبناء للمفعول أى العذاب وللفاعل أى الله والعائد محذوف (عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) تعالى ، أى أراد له الخير (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) النجاة الظاهرة

وصفا ثابتا له وهذه الجملة كالدليل لما قبلها (قوله مبدعهما) أى موجدهما على غير مثال سبق ففاطر من الفطرة وهى الخلقة وفطر خلق وأنشأ قال ابن عباس ماكنت أدرى مامعنى فطر وفاطر حتى اختصم إلى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى أنشأتها وابتدأتها (قوله أى يرزق) تفسير بالأعم لأن المعنى يرزق مطعوما أو غيره فليس المراد من الآية قصره على المطعوم (قوله ولا يطعم) أى لأن المرزوق محتاج لمن يرزقه وتنزه الله عن الاحتياج (قوله أول من أسلم) يحتمل أن من نكرة موصوفة فجملة أسلم صفة ، والمعنى أن أكون أول فريق أسلم أو اسم موصول وما بعدها صلة والتقدير أول الفريق الذى أسلم وقوله أمرت أن أكون الخ أى أمرنى ربى أن أكون أول المسلمين لأنه يجب عليه الايمان بأنه رسول وبما جاء به من الشرع والأحكام فهو أول المسلمين على الاطلاق (قوله وقيل لى الخ) أشار بذلك إلى أن قوله ولا تكونن معمول لقول محذوف والجملة معطوفة على جملة أمرت والمعنى أمرنى ربى بأن أكون أول من أسلم ونهانى بقوله ولا تكونن من المشركين وهذه الجملة لازمة لما قبلها (قوله عذاب يوم عظيم) معمول لأخاف وجملة إن عصيت ربى شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله أخاف وهى معترضة بين الفعل وهو أخاف ومعموله وهو عذاب (قوله من يصرف عنه) من اسم شرط ويصرف فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الأولى والفاعل الله على القراءة الثانية وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف وقوله فقد رحمه جواب الشرط وهو معنى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (قوله وللفاعل) أى والمفعول محذوف تقديره العذاب والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه وفى ذلك تعريض بأن الكفار لايرحمون لأنه لايصرف عنهم العذاب (قوله والعائد محذوف) الأوضح أن يقول والمفعول محذوف وهو ضمير يعود على العذاب لأن الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه وأيضا لايحتاج للعائد إلا الموصول ومن هنا شرطية لاموصولة (قوله وذلك) أى النجاة يوم القيامة

(وإن

(قوله وإن يمسسك الله بضر) هذا تأييد من الله لرسوله فالمعنى لاتخش لومهم بل بلغ ما أنزل إليك من ربك فان الله متولى أمرك بيده الضر والنفع والمنع والاعطاء فهم عاجزون لايقدرون على إيصال ضر ولاجلب نفع (قوله كمرض وفقر) أى وغلبة واحتياج (قوله فلا كاشف له) جواب الشرط وفعله قوله يمسسك ولا نافية للجنس وكاشف اسمها مبنى معها على الفتح فى محل نصب وخبرها محذوف تقديره أحد ، وقوله إلا هو إلا أداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر فى الخبر (قوله وإن يمسسك بخير) جواب الشرط محذوف تقديره فلا رادّ لفضله كما فى آية يونس : وإن يردك بخير فلا راد لفضله (قوله فهو على كل شىء قدير) دليل لكل من الجملتين (قوله ومنه مامسك به) أى من النبوّة وغيرها (قوله مستعليا) أشار بذلك إلى أن قوله فوق عباده ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر (قوله فوق عباده) أى فوقية مكانة لامكان ، والمعنى أنّ صفاته فوق صفات غيره لأنّ أوصافه كمالية وأوصاف غيره ناقصة فوصفه العز والعلم والاقتدار ووصف غيره الذل والجهل والعجز فكل وصف شريف كامل فهو لله وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره (قوله وهو الحكيم فى خلقه) أى يضع الشىء فى محله (قوله الخبير) أى فيعامل كل شخص بما يليق به (قوله ونزل لما قالوا) أى أهل مكة فقالوا يامحمد أرنا من يشهد لك بالرسالة فاننا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر (قوله إيتنا) بقلب الهمزة الثانية ياء . قال ابن مالك :

ومدا بدل ثانى الهمزين من كلمة ان يسكن كآثر وائتمن (قوله تمييز محوّل (٧) عن المبتدأ) أى والأصل شهادة أى شىء أكبر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وجعل مبتدا وجعل المضاف تمييزا (قوله قل الله) مبتدأ خبره محذوف أى أكبر شهادة ، وقوله شهيد خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد فالكلام جملة واحدة (قوله شهيد بينى وبينكم) المراد بشهادة الله إظهار المعجزات على يده فان

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ) بلاء كمرض وفقر (فَلَا كَاشِفَ) رافع (لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ) كصحة وغنى (فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه مامسّك به ولا يقدر على رده عنك غيره (وَهُوَ الْقَاهِرُ) القادر الذى لا يعجزه شىء مستعلياً (فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى خلقه (الْخَبِيرُ) ببواطنهم كظواهرهم. ونزل لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إيتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك (قُلْ) لهم (أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) تمييز محول عن المبتدإ (قُلِ اللهُ) إن لم يقولوه لاجواب غيره ، هو (شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على صدق (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ) أخوفكم يا أهل مكة (بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) عطف على ضمير أنذركم أى بلغه القرآن من الإنس والجن (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى) استفهام إنكارى (قُلْ) لهم (لَا أَشْهَدُ) بذلك (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) معه من الأصنام (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ) أى محمداً بنعته فى كتابهم (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) منهم

المعجزات منزلة منزلة قول الله : صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى (قوله وأوحى إلىّ هذا القرآن) هذا دليل لشهادة الله ، والمعنى أن الله شهيد لأن هذا القرآن ناطق بالحجج القاطعة وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله : الله شهيد مع أن ذلك لايكفى من غيره والاقتصار على الانذار لأن الكلام مع الكفار وبنى أوحى للمجهول للعلم بفاعله (قوله عطف على ضمير أنذركم) أى ومن موصولة وبلغ صلتها والعائد محذوف والتقدير وأنذر الذى بلغه القرآن (قوله من الانس والجن) أى إلى يوم القيامة وفيه دلالة على عموم رسالته واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة (قوله أئنكم لتشهدون) اللام لام الابتداء زحلقت للخبر (قوله استفهام إنكارى) أى والمعنى لايصح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد (قوله قل إنما هو إله واحد) إنما أداة حصر وما كافة وهو مبتدأ وإله خبره وواحد صفته وهو زيادة فى الرد عليهم وهو من حصر المبتدأ فى الخبر (قوله الذين آتيناهم الكتاب) أى اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل (قوله أى محمدا) تفسير للضمير فى يعرفونه ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أو لجميع ماجاء به رسول الله من التوحيد وغيره (قوله كما يعرفون أبناءهم) أى معرفة كمعرفتهم لأبنائهم وهذا من التنزلات الربانية وإلا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم لما روى أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة فقال ياعمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ولأنا أشد معرفة بمحمد منى بابنى فقال عمر كيف ذلك ؟ فقال أشهد أنه رسول الله حقا ولا أدرى ماتصنع النساء (قوله الذين خسروا أنفسهم) مبتدأ والجملة نعت

الذين آتيناهم الكتاب ويؤيده قوله المفسر منهم (قوله فهم لايؤمنون) خبر المبتدأ وقرن الخبر بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهو العموم . والمعنى أن من سبق في علم الله خسرانه فلايتأتى له الايمان في الدنيا وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار وقد علمت بما تقدم أن المؤمن واحد من ألف فتكون منازل الكفار التي ترثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزله ومنازل المؤمنين التي تركت لأهل النار منزل من ألف يزاد لهم فيؤخذ منه أن الجنة واسعة جدا وأن النار ضيقة جدا لاسيما مع عظم جسم الكافر فيها حيث يكون ضرسه كأحد قال تعالى ـ وجنة عرضها السموات والأرض ـ وقال تعالى ـ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين ـ (قوله به) أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي ، والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحدا من الأمرين الافتراء والتكذيب فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين وأهل الكتاب فان كلا منهما وقع منه الأمران (قوله إنه لايفلح الظالمون) أي لايفوزون بمطلوبهم ، وقوله بذلك أي بسبب ماذكر وهو الافتراء أو التكذيب (قوله ويوم نحشرهم) ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر والضمير في نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم ويصح عوده على المشركين فقوله بعد ذلك ثم نقول للذين أشركوا إظهار في محل الاضمار زيادة في التشنيع عليهم (قوله جميعا) حال من ضمير نحشرهم (قوله ثم نقول) أتى بثم إشارة إلى أن السؤال بعد الحشر والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فتأمنون من ذلك اليوم وهوله والقول إن كان على ألسنة الملائكة فظاهر وإن كان من الله مباشرة ورد علينا

قوله تعالى ـ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ـ وقد يجاب بأن المعنى لايكلمهم كلام رضا ورحمة (قوله أين شركاؤكم) إن قلت مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم ومقتضى قوله تعالى : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله أنهم حاضرون معهم فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن هذا السؤال هنا واقع بعد التبري الكائن من الجانبين وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم لأن (أ كنة) شركتها بتسميتهم وتقولهم قال تعالى ـ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ـ الآية (قوله أنهم شركاء لله) قدره إشارة إلى أن مفعولي تزعمون محذوفان وهذه الجملة سدت مسدها (قوله بالتاء والياء) فعلى قراءة التاء يصح رفع فتنتهم اسم تكن وإلا أن قالوا خبرها ونصبها خبر تكن مقدم وإلا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين جر ربنا وعلى قراءة الياء فليس إلا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم وإلا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين نصب ربنا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية خلافا لما يوهمه المفسر (قوله أي معذرتهم) أي جوابهم وسماه فتنة لأنه كذب محض لا نفع به بل به الفضائح (قوله ما كنا مشركين) إن قلت كيف الجمع بين ماهنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثا . قلت أولا ينكرون الاشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا فهم أولا يظنون أن إنكارهم نافع فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا ترابا ولم يكتموا شيئا (قوله على أنفسهم) إنما نسبه لهم وإن كان في الحقيقة كذبا على الله لأن ضرره عاد اليهم (قوله من الشركاء) بيان لما (قوله ومنهم من يستمع اليك) سبب نزولها أنه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية ابن خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة مايقول محمد ؟ قال ما أدري مايقول غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان اني أرى بعض مايقول حقا فقال أبو جهل كلا لانقر بشيء من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا وأفرد يستمع مراعاة للفظ من وسيأتي في يونس مراعاة معناها والحكمة في مراعاة لفظها هنا أن ماهنا في قوم قليلين وفيما يأتي في الكفار جميعا .

(فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (وَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) القرآن (إِنَّهُ) أي الشأن (لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) بذلك (وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا) توبيخا (أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أنهم شركاء لله (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ) بالتاء والياء (فِتْنَتُهُمْ) بالنصب والرفع أي معذرتهم (إِلَّا أَنْ قَالُوا) أي قولهم (وَاللَّهِ رَبِّنَا) بالجر نعت والنصب نداء (مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) قال تعالى (انْظُرْ) يامحمد (كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) بنفي الشرك عنهم (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)ه على الله من الشركاء (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) إذا قرأت (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

(قوله أكنة) جمع كنان وهو الوعاء الجامع الذى يحفظ فيه الشىء ويجمع على أكنان والمراد بها هنا الغطاء الساتر (قوله فلا يسمعونه) أى القرآن (قوله حتى إذا جاءوك) حتى ابتدائية وقوله يجادلونك حال من الواو فى جاءوك وقوله يقول الذين كفروا جواب إذا (قوله كالأضاحيك) جمع أضحوكة بالضم وكذا الأعاجيب أى فالمشهور أن أساطير فى جمعه ومفرده كالأضاحيك والأعاجيب (قوله وهم ينهون) أى إن الكفار ينهون عن اتباع النبي أو عن سماع القرآن (قوله أى عن اتباع النبي) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وقيل نزلت فى أبى طالب) أى وعليه فجمع الضمير باعتبار أتباعه (قوله كان ينهى عن أذاه) أى وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله :

ولقد علمت [1] بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارى سبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة حتى أوسد فى التراب رهينا

وهذا القول لابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير ، والقول بأنها نزلت فى المشركين لجماعة منهم الكلبي والحسن والأقرب لسياق ماقبلها وما بعدها للمعنى الأول فتأمل (قوله بذلك) أى باهلاكهم أنفسهم (قوله ولو ترى)المقصود من ذلك حكاية ماسيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي وأصحابه والمعنى لو تبصر بعينك يامحمد مايقع لهؤلاء فى الآخرة لرأيت أمرا عظيما تسلى به عن الدنيا فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر . إن قلت هذا يقتضى أن رسول الله

لم يطلع على ذلك مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة . وأجيب بأن هذا قبل إعلام الله له بالآخرة . وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره ، ورأى إما بصرية وهو الأقرب أوقلبية والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح فى تدبر حالهم لازددت يقينا ، ولو يحتمل أنها حرف امتناع فيكون قوله ترى بمعنى رأيت وإذ على بابها من المعنى فيكون عبر بالماضى لتحقق الحصول ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية وإذ بمعنى إذا فيكون مستقبلا والأقرب الأول (قوله للتنبيه) أى لدخولها على الحرف (قوله ليتنا نرد) ليت حرف تمن ونا اسمها وجملة نرد خبرها (قوله برفع الفعلين استئناف) أى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم فقوله ولا نكذب خبر لمحذوف تقديره ونحن لانكذب وكذا قوله ونكون (قوله و بنصبهما فى جواب التمنى) أى بأن مضمرة بعد واو المعية وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيب منا وحصول إيمان (قوله ورفع الأول) أى على الاستئناف وقوله ونصب الثانى أى بأن مضمرة وجوبا بعد واو المعية فى جواب التمنى وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق تقديره نتمنى على الله ردنا مع كوننا من المؤمنين وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه فهذه قراآت ثلاث وكلها سبعية وقرئ شذوذا بنصب الأول ورفع الثانى وتوجيهه كما علمت (قوله للاضراب) أى الابطالى والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنهم لوردوا لآمنوا بل إنما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة أعضائهم .

أَكِنَّةً) أغطية لـ(أنْ) لا (يَفْقَهُوهُ) يفهموا القرآن (وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا) صمما فلا يسمعونه سماع قبول (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَايُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (هٰذَا) القرآن (إِلاَّ أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (وَهُمْ يَنْهَوْنَ) الناس (عَنْهُ) عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم (وَيَنْأَوْنَ) يتباعدون (عَنْهُ) فلا يؤمنون به ، وقيل نزلت فى أبى طالب كان ينهى عن أذاه ، ولا يؤمن به (وَإِنْ) ما (يُهْلِكُونَ) بالنأى عنه (إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ) لأن ضرره عليهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ وُقِفُوا) عرضوا (عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا) للتنبيه (لَيْتَنَا نُرَدُّ) إلى الدنيا (وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) برفع الفعلين استئنافا ونصبهما فى جواب التمنى ، ورفع الأول ونصب الثانى ، وجواب لو لرأيت أمرا عظيما ، قال تعالى (بَلْ) للاضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنى (بَدَا) ظهر (لَهُمْ ،

(١) (قوله ولقد علمت الخ) كذا بالنسخ التى بأيدينا و بالوقوف على المقصد الأول من المواهب يعلم مافيه اه مصححه .

(قوله ما كانوا يخفون) أى وهو الشرك (قوله بقولهم) الباء سببية (قوله بشهادة جوارحهم) متعلق بيدا (قوله فتمنوا ذلك) أى فرارا من العذاب لامحبة فى الايمان (قوله لعادوا) جواب لو (قوله فى وعدهم بالايمان) أى الذى وقع منهم بالتمنى (قوله وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا) يحتمل أنه معطوف على لعادوا فهو من جملة جواب لو ويحتمل أنه كلام مستأنف فى خصوص منكرى البعث وهذا هو المتبادر من المفسر وإن نافية بمعنى ما وهى مبتدأ وحياتنا خبره والمعنى أنهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين بعد الموت (قوله على ربهم) أى على حسابه وسؤاله فالكلام على حذف مضاف (قوله قال لهم) أى لمنكرى البعث الذين قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا (قوله على لسان الملائكة) دفع بذلك مايقال إن الله لاينظر إليهم ولا يكلمهم (قوله قالوا بلى وربنا) جواب مؤكد باليمين (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب الذى كنتم تكفرون به أو بسبب كفركم (قوله غاية للتكذيب) أى لا للخسران فانه لاغاية له (قوله الساعة) المراد بها مقدمات الموت فالمراد أن حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم (قوله بغتة) حال من فاعل جاءتهم والتقدير جاءتهم مباغتة أو من مفعوله والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين (قوله ياحسرتنا) ياحرف نداء وحسرتنا

(مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) يكتمون بقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك (وَلَوْ رُدُّوا) إلى الدنيا فرضا (لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) من الشرك (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى وعدهم بالإيمان (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (إِنْ) ما (هِيَ) أى الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا) عرضوا (عَلَى رَبِّهِمْ) لرأيت أمرا عظيما (قَالَ) لهم على لسان الملائكة توبيخا (أَلَيْسَ هَذَا) البعث والحساب (بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا) إنه لحق (قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) به فى الدنيا (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) بالبعث (حَتَّى) غاية للتكذيب (إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ) القيامة (بَغْتَةً) فجأة (قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا) هى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (عَلَى مَا فَرَّطْنَا) قصرنا (فِيهَا) أى الدنيا (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ) بأن تأتيهم عند البعث فى أقبح شىء صورة وأنتنه ريحا فتركبهم (أَلَا سَاءَ) بئس (مَا يَزِرُونَ) يحملونه حملهم ذلك (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أى الاشتغال بها (إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)، وأما الطاعات ومايعين عليها فمن أمور الآخرة (وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ) وفى قراءة ولدار الآخرة أى الجنة (خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الشرك (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بالياء والتاء ذلك فيؤمنون (قَدْ) للتحقيق (نَعْلَمُ)،

منادى منصوب بفتحة ظاهرة لأنه مضاف لنا (قوله هى شدة التألم) أى التلهف والتحسر على مافات (قوله ونداؤها مجاز) أى تنزيلا لها منزلة العاقل لأنه لاينادى حقيقة إلا العاقل والمقصود التنبيه على أن هذا الكافر من شدة هوله لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره ومثله ياويلنا فتأمل (قوله على مافرطنا) أى من الأعمال الصالحة فى الدنيا (قوله وهم يحملون أوزارهم) الجملة حالية من الواو فى قالوا (قوله بأن تأتيهم الخ) ورد أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله إنه أحسن شىء صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فاركبنى فقد طالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا - يعنى ركبانا، وأما الكافر فيستقبله أقبح شىء صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا أركبك فذلك قوله تعالى - وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم - (قوله أى الاشتغال فيها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمعنى أن الاشتغال فى الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو وليس المراد أن مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو بل ماقرب منها إلى الله فهو مزرعة للآخرة، وما أبعد منها عنه فهو حسرة وندامة (قوله خير للذين يتقون) أى لأن منافعها خالصة من الكدرات وعزها دائم (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألا يتفكرون فلا يعقلون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قد نعلم) المقصود من هذه الآية ومابعدها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ماوقع من الكفار من التكذيب وغيره وتهديد لهم لعلهم يرجعون وقد للتحقيق نظير قوله تعالى - قد يعلم الله المعوقين -.

(قوله إنه ليحزنك) بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل فى حيزها ، قال ابن مالك :

وكسروا من بعد فعل علقا بالـلام كاعـلم إنه لذو تقى

و إن حرف توكيد والهاء اسمها واللام لام الابتداء زحلقت للخبر لئلا يتوالى حرفا تأكيد و يحزنك خبرها والذى فاعل يسرن و يقولون صلتها والعائد محذوف تقديره يقولونه والجملة من إن واسمها وخبرها فى محل نصب سدت مسد مفعولى نعلم فان التعليق إبطال العمل لفظا لا محلا كما هو مقرر (قوله فانهم لايكذبونك) الفاء للتعليل والمعنى لاتحزن من تكذيبهم لك واصبر ولاتكن فى ضيق مما يمكرون فانهم لا يكذبونك فى الباطن بل يعتقدون صدقك و إنما تكذيبهم عناد وجحود (قوله فى السر) دفع بذلك مايقال إن بين ماهنا و بين قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون تنافيا.وحاصل الجواب أن المنفى التكذيب فى السر والمثبت التكذيب فى العلانية (قوله وفى قراءة بالتخفيف) أى مع ضم الياء وسكون الكاف وهى سبعية أيضا (قوله أى لاينسبونك إلى الكذب) هذا يناسب كلا من القراءتين والمعنى لايعتقدون تكذيبك باطنا ، ولذا قال أبوجهل للنبى صلى الله عليه وسلم إنا لانكذبك ولكن نكذب الذى جئت به (قوله وضعه موضع المضمر) أى زيادة فى التقبيح والتشنيع عليهم (قوله يجحدون) الجحد الانكار مع العلم والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بأن ماجاء به صدق (قوله يكذبون) أى فى العلانية (قوله فيه تسلية) أى زيادة تسلية وذلك لأن البلوى إذا عمت هانت (قوله فصبروا) الفاء سببية وصبروا معطوف على كذبت وقوله على ما كذبوا متعلق بصبروا والمعنى صبروا على تكذيبهم (قوله وأوذوا) يصح عطفه على كذبت والمعنى كذبت وأوذوا فصبروا ويصح عطفه على صبروا والمعنى كذبت رسل فصبروا وأوذوا مع حصول الصبر منهم ويصح عطفه على قوله ما كذبوا والمعنى صبروا على تكذيبهم و إيذائهم (قوله حتى أتاهم نصرنا) غاية فى الصبر والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم (قوله مواعيده)

إِنَّهُ) أى الشأن (لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ) لك من التكذيب (فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ) فى السر لعلمهم أنك صادق . وفى قراءة بالتخفيف أى لا ينسبونك إلى الكذب (وَلَـٰكِنَّ الظَّالِمِينَ) وضعه موضع المضمر (بِآيَاتِ اللهِ) القرآن (يَجْحَدُونَ) يكذبون (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا) بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك (وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ)مواعيده (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ) ما يسكن به قلبك (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ) عظم (عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ) عن الإسلام لحرصك عليهم (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً) سربا (فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً) مصعدا (فِي السَّمَاءِ ،

أى مواعيد الله بالنصر،قال تعالى ـ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ـ وقال تعالى ـ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى (قوله ولقد جاءك) اللام موطئة لقسم محذوف وجاء فعل ماض والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله مايسكن به قلبك وقوله من نبأ المرسلين بيان للمحذوف و يحتمل أن من زائدة على مذهب الأخفش ونبأ المرسلين فاعل و يحتمل أن من اسم بمعنى بعض هى الفاعل والمعنى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا وأوذوا فصبروا فتسل ولاتحزن فان الله ناصرك كما نصرهم (قوله و إن كان كبر عليك إعراضهم) سبب نزولها أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يامحمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فانا نصدقك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوا فأعرضوا عنه فشق ذلك عليه لما أنه شديد الحرص على إيمان قومه فكان إذا سألوه آية يود أن ينزلها الله طمعا فى إيمانهم فنزلت و إن حرف شرط و كان فعل ماض فعل الشرط واسمها ضمير الشأن وكبر فعل ماض و إعراضهم فاعله والجملة خبر كان والأقرب أن إعراضهم اسم كان مؤخر وجملة كبر خبرها مقدم وفاعل كبر ضمير يعود على إعراضهم وهو و إن كان مؤخرا لفظا إلا أنه مقدم رتبة (قوله فان استطعت) هذه الجملة شرطية وجوابها محذوف تقديره فافعل والشرط وجوابه جواب الشرط الأول والمعنى إن عظم عليك إعراضهم ولم تكتف بالمعجزات التى ظهرت على يديك فان استطعت أن تأتيهم بآية فافعل (قوله سربا) بفتحات: شق فى الأرض والنفق السرب النافذ فى الأرض ومنه النافقاء أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك أن اليربوع يحفر فى الأرض سربا ويجعل له بابين أو ثلاثة : النافقاء والقاصعاء والراميا ثم يدقق بالحفر مايقارب وجه الأرض فاذا نابه أمر دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج والمعنى إن شئت أن تتحيل على إتيان آية لقومك على طبق

ما اقترحوا فافعل وهذا عتاب لرسول الله على التعلق بإيمانهم وترق له إلى المقام الأكمل الذى هو التسليم (قوله فتأتيهم بآية) أى من تحت الأرض أو من فوق السماء (قوله هدايتهم) أى جمعهم على الهدى (قوله ولكن لم يشأ ذلك) هذا استثناء نقيض المقدم فينتج نقيض التالى إن كان بينهما تساو كما هنا نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا و إلا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى (قوله فلاتكونن من الجاهلين) أى الذين لاتسليم لهم فلاتتعب نفسك فى تطلب مااقترحوه فإنهم لايؤمنون (قوله إنما يستجيب الذين يسمعون) هذا من جملة التسلية لرسول الله والمعنى لاتحزن على عدم إيمانهم فإنما يستجيب لك ويمتثل أمرك ويقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول والذين لايسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ماصدر منهم فللنار أهل وللجنة أهل ، فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن ، ومن خلق فيه الضلال فلاتزيده المواعظ والآيات إلا ضلالا ، وهذه الآية فى الحقيقة استدراك على قوله : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فالمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى بل قسم الخلق قسمين : قسم للجنة وقسم للنار (قوله دعاءك إلى الإيمان) هذا هو مفعول يستجيب والسين والتاء لتأكيد الاجابة والمراد بالذين يسمعون من سبقت لهم السعادة فى الأزل فما يظهر منهم من الإيمان هو على طبق ماسبق (قوله أى الكفار) أشار بذلك إلى أن قوله والموتى مقابل لقوله الذين يسمعون (قوله يبعثهم الله) أى يحييهم وقوله فى الآخرة إشارة للحشر وأن المراد بالبعث الاحياء بعد الموت وهذا هو الأقرب ، وقيل معنى يبعثهم يحيى قلوبهم بالإيمان فهو بشارة لرسول الله بأن أعداءه يؤمنون ولكن يرده الحصر المتقدم وأيضا من آمن فهو داخل فى قوله الذين يسمعون (قوله بأعمالهم) الباء إما سببية أو بمعنى على والمراد بالأعمال الكفر والمعاصى وقوله ثم إليه يرجعون أى يوقفون للحساب والجزاء وأما البعث فهو الاحياء بعد الموت فتغايرا (قوله وقالوا) هذا إنكار منهم لما جاء به من المعجزات فى

(فتأتيهم بآية) مما اقترحوا فافعل ، المعنى أنك لاتستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (وَلَوْ شَاءَ اللهُ) هدايتهم (لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بذلك (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ) دعاءك إلى الإيمان (الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) سماع تفهم واعتبار (وَالْمَوْتَى) أى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يَبْعَثُهُمُ اللهُ) فى الآخرة (ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) يردون فيجازيهم بأعمالهم (وَقَالُوا) أى كفار مكة (لَوْلَا) هلا (نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كالناقة والعصا والمائدة (قُلْ) لهم (إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ) بالتشديد والتخفيف (آيَةً) مما اقترحوا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها (وَمَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ) تمشى (فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ) فى الهواء (بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ)

الباهرة حيث جعلوا ماجاء به سحرا وكهانة وطلبوا غيره (قوله كالناقة والعصا) أى والنار لابراهيم وإلانة الحديد لداود وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة فنزلوا معجزاته صلى الله عليه وسلم منزلة العدم حتى طلبوا معجزة على صدقه ولكنهم من عمى قلوبهم لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره فإن معجزاته أعلى وأجل ، قال العارف البرعى :

وإن قابلت لفظة لن ترانى بما كذب الفؤاد فهمت معنى وقال أيضا : وإن يك خاطب الأموات عيسى *
فإن الجذع حن له وأنا إلى آخر ماقال (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أن نزولها الخ) هذه الجملة فى محل نصب مفعول يعلمون (قوله بلاء عليهم) أى لعدم إيمانهم وانتفاعهم بها (قوله لوجوب هلاكهم) أى بحسب جرى عادة الله بأن من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله فعدم إجابتهم لما اقترحوا رحمة بالأمة المحمدية جميعا لأن الله من على نبيه ببقائها إلى يوم القيامة ولو أجاب المتعنتين بعين ماطلبوا لانقرضت الأمة كما انقرض من تعنت قبلهم (قوله ومامن دابة) كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره (قوله تمشى) قيد به خاصا لدلالة مقابله وهو قوله يطير عليه ، قال العلماء جميع ماخلقه الله عز وجل لايخرج عن المشى والطيران وألحقوا حيوان البحر بالطير لأنه يسبح فى الماء كما أن الطير يسبح فى الهواء (قوله فى الأرض) خصها بالذكر لأن المشاهد أقطع لحجة الخصم وإلا فسكان السماء كذلك (قوله بجناحيه) صفة كاشفة نظير قوله : نظرت بعينى وسمعت بأذنى (قوله إلا أمم) أى طوائف وجماعات أمثالكم أى كل

نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك فمن الدواب العزيز والذليل والمرزوق بسهولة و بتعب والقوى والضعيف والكبير والصغير والمتحيل فى الرزق وغير المتحيل كبنى آدم (قوله فى تدبير خلقها) أى وتصريفه فيها فى كل لحظة بجلب المنافع لها ودفع المضار عنها ولطفه بها فلا يشغله شأن عن شأن ، قال تعالى ـ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ (قوله وأحوالها) أى من إحيائها و إماتتها و إعزازها و إذلالها ونحو ذلك وكذلك تعرف ربها وتوحده كما أنتم تعرفون ربكم وتوحدونه ولم يوجد كافر إلا من الجن والآدميين و إلا فجميع المخلوقات عقلاء وغيرهم مجبولون على التوحيد قال تعالى ـ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ـ و إنما كفر من كفر من الجن والإنس عنادا (قوله اللوح المحفوظ) أى من الشيطان ومن التغيير والتبديل، وهو من درة بيضاء فوق السماء السابعة طوله مابين السماء والأرض وعرضه مابين المشرق والمغرب فحيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ فالعموم ظاهر فان فيه تبيان كل شىء ما كان وما يكون وماهو كائن ، وقيل المراد بالكتاب القرآن وعليه فالمراد بقوله مافرطنا فى الكتاب من شىء أى يحتاج إليه الخلق فى أمورهم (قوله ثم إلى ربهم يحشرون) أى يجمعون وهذا بيان لأحوالهم فى الآخرة إثر بيان أحوالهم فى الدنيا (قوله فيقضى بينهم) أى الأمم عقلاء أو غيرهم (قوله للجماء) أى وهى معدومة القرون وهذا كله لاظهار العدل فحيث لم يترك غيرالعقلاء فكيف بالعقلاء فلابد من الحشر والحساب والجزاء إما بالعدل و إما بالفضل (قوله والذين كذبوا بآياتنا) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (قوله فى الظلمات) هو معنى قوله فى الآية الأخرى عمى ، فهم صم القلوب عميها بكمها فلايتأتى منهم انتفاع

ولااعتبار ولايصل إليهم نور أبدا (قوله الكفر) أى فهو ظلمات معنوية فمثل الكافر كمثل رجل أعمى أصم أبكم فى ظلمات فلايهتدى إلى مقصوده كما أن الكافر كذلك (قوله من يشأ الله يضلله) هذا دليل لما قبله ومفعول يشأ فى كل محذوف قدره المفسر بقوله إضلاله و بقوله هدايته والمعنى أن الاضلال

فى تدبير خلقها ورزقها وأحوالها (مَا فَرَّطْنَا) تركنا (فِى الْكِتَابِ) اللوح المحفوظ (مِنْ) زائدة (شَىْءٍ) فلم نكتبه (ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) فيقضى بينهم و يقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (صُمٌّ) عن سماعها سماع قبول (وَبُكْمٌ) عن النطق بالحق (فِى الظُّلُمَاتِ) الكفر (مَنْ يَشَإِ اللَّهُ) إضلاله (يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ) هدايته (يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) دين الاسلام (قُلْ) يامحمد لأهل مكة (أَرَأَيْتَكُمْ) أخبرونى (إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ) فى الدنيا (أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ) القيامة المشتملة عليه بغتة (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ) لا (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن الأصنام تنفعكم فادعوها

والاهتداء بتقدير الله فمن أراد الله هدايته سهل له أسبابها وجعله منهمكا فى طاعته و إن وقعت منه معصية وفق للتوبة منها ومن أراد الله إضلاله حجبه عن نوره وتعسرت عليه أسباب الطاعة حتى لو وقعت منه طاعة تكون معلولة غير مقبولة وما فى هذه الآية هو معنى قوله تعالى فى الآية الأخرى ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ الآية (قوله قل يامحمد) أى على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله (قوله أخبرونى) هكذا فسرت الرؤية فى هذه الآية ونظائرها بالاخبار والأصل فى الرؤية العلم أوالابصار فأطلق العلم أو الابصار وأريد لازمه وهوالاخبار لأن الانسان لايخبر إلابما علمه أوأبصره واستعملت الهمزة التى هى فى الأصل لطلب العلم أو الابصار فى طلب الاخبار ففيه مجازان ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مفعول أول على حذف مضاف والجملة الاستفهامية فى محل المفعول الثانى والتقدير أرأيتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم ، والمعنى أخبرونى يا أهل مكة إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بسرعة أتدعون إلها غير الله يكشف عنكم مانزل بكم وجواب الاستفهام لايدعون غير الله فاذا كان كذلك فهو أحق بأن يفرد بالعبادة (قوله إن أتاكم) جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون (قوله فى الدنيا) أى كالصاعقة والصيحة (قوله المشتملة عليه) أى على العذاب لأن الكافر لايشاهد من حين موته إلا العذاب الدائم وأسهله خروج الروح (قوله بغتة) أى سرعة (قوله أغير الله تدعون) الهمزة للاستفهام الانكارى وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون إلها غير الله (قوله فادعوها) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف .

(قوله بل إياه) إضراب انتقالى عن النفى الذى علم من الاستفهام (قوله فى الشدائد) أى كالمرض والفقر وغير ذلك (قوله إن شاء) جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ماقبله عليه أى إن شاء أن يكشفه كشفه و إن لم يشأ كشفه فلا يكشفه فليست إجابة الدعاء وعدا لايخلف وهذا مخصوص بدعاء الكفار ، وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذى لايخلف لكن على مايريد الله إما بعين المطلوب أو بغيره فلامنافاة بين ماهنا و بين قوله تعالى : ادعونى أستجب لكم (قوله وتنسون ماتشركون) أى حين نزول الشدائد بهم لايلتفتون إلى أصنامهم بل لايدعون إلا الله (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فكذبوهم) قدّره إشارة إلى أن قوله فأخذناهم مرتب على محذوف (قوله يتضرّعون) من التضرّع وهو التذلل والخضوع (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض (قوله أى لم يفعلوا ذلك) أى التضرّع وأشار بذلك إلى أن التحضيض بمعنى النفى (قوله مع قيام المقتضى له) أى وهو البأساء والضرّاء (قوله ولكن قست قلوبهم) أى لم يقع منهم تضرّع ولاخضوع بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم (قوله فلم تلن للايمان) أشار بذلك إلى أن القسوة نشأ عنها الكفر كما أن التضرّع ينشأ عنه الايمان (قوله وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أى

(بَلْ إِيَّاهُ) لا غيره (تَدْعُونَ) فى الشدائد (فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ إِلَيْهِ) أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه (إِنْ شَاءَ) كشفه (وَتَنْسَوْنَ) تتركون (مَاتُشْرِكُونَ) معه من الأصنام فلا تدعونه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ) زائدة (قَبْلِكَ) رسلا فكذبوهم (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءِ) المرض (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) يتذللون فيؤمنون (فَلَوْلَا) فهلا (إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا) عذابنا (تَضَرَّعُوا) أى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) فلم تلن للايمان (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من المعاصى فأصروا عليها (فَلَمَّا نَسُوا) تركوا (مَا ذُكِّرُوا) وعظوا وخوفوا (بِهِ) من البأساء والضراء فلم يتعظوا (فَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) من النعم استدراجا لهم (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) فرح بطر (أَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (بَغْتَةً) فجأة (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى آخرهم بأن استؤصلوا (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصر الرسل و إهلاك الكافرين (قُلْ) لأهل مكة (أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ) أصمكم (وَأَبْصَارَكُمْ) أعماكم (وَخَتَمَ) طبع (عَلَى قُلُوبِكُمْ) فلا تعرفون شيئا (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) بما أخذه منكم ، بزعمكم

الذى كانوا يعملونه أوعملهم (قوله فأصرّوا عليها) أى على المعاصى ولم يتعظوا بما نزل بهم من البأساء والضرّاء (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فرحوا) غاية للفتح ، والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم و يمدّه بالعطايا الدنيوية فإذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز مقتدر (قوله فاذا هم مبلسون) إذا لجائية أى فاجأهم الابلاس بمعنى اليأس من كل خير

(قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا) الدابر التابع من خلف ، يقال دبر الولد والده ودبر فلان القوم : تبعهم ، فمعنى دابرهم آخرهم وهو كناية عن الاستئصال فلذلك قال بأن استؤصلوا أى فلم يبق منهم أحد (قوله والحمد لله رب العالمين) هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك إذ هو نعمة عظيمة (قوله قل أرأيتم) هذا نزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لاقامة الحجة عليهم قبل أخذهم (قوله أخبرونى) تقدم أن استعمال رأى فى الاخبار مجاز وأصل استعمالها فى العلم أوفى الابصار وتقدم أنها تطلب مفعولين : الأول محذوف لدلالة مفعول أخذ وهو سمعكم وأبصاركم عليه فهو من باب التنازع أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف لأنه فضلة والمفعول الثانى هو قوله من إله غير الله الخ (قوله سمعكم) أفرده وجمع مابعده لأن السمع مصدر لايثنى ولايجمع كما تقدم فى البقرة (قوله وختم على قلوبكم) المراد بالقلوب العقول ، أى أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلاتعقلون شيئا (قوله بما أخذه) أشار بذلك إلى أنه أفرد باعتبار ماذكر ، والمعنى من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بأى واحد مما أخذ منكم ؟

(قوله بزعمكم) متعلق بقوله من إله غير الله فالمناسب تقديمه (قوله انظر كيف نصرّف الآيات) هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال . والمعنى انظر يامحمد تصريفنا الآيات على أى كيفية (قوله أرأيتكم) أى أخبرونى والمفعول الأول الكاف على حذف مضاف أى أنفسكم والمفعول الثانى جملة الاستفهام (قوله عذاب الله) أى كالصيحة والصواعق (قوله ليلا أونهارا) لف ونشر مرتب وهذا التفسير لابن عباس ، وقيل البغتة الذى يأتى من غير سبق علامة والجهر الذى يأتى مع سبق علامة كان كل بالليل أو بالنهار (قوله الكافرون) أشار بذلك إلى أن المراد هلاك سخط وغضب فاندفع مايقال إن المصيبة إذا أتت فلاتخص الكافر بل تعم الطائع . فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب وهلاك المؤمن إثابة ورفع درجات والاستثناء مفرغ والاستفهام إنكارى بمعنى النفى كما أشار له المفسر (قوله ومانرسل المرسلين) هذا بيان لوظائف المرسلين ، والمعنى أن المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن والنذارة لمن كفر وليسوا قادرين على إيجاد نفع أوضرّ وإنما جعلهم الله سببا لذلك (قوله فى الآخرة) احتراس لبيان أن عدم الخوف والحزن هو فى الآخرة فقط وأما الدنيا فهى محل الخوف والحزن لأنها سجن المؤمن (قوله والذين كذبوا) مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ وهذا يؤيد أن من موصولة (قوله بما كانوا يفسقون) الباء سببية ومامصدرية أى بسبب فسقهم . والفسق الخروج عن

بزعمكم (انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ) نبين (الْآيَاتِ) الدلالات على وحدانيتنا (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) يعرضون عنها فلا يؤمنون (قُلْ) لهم (أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً) ليلا أو نهاراً (هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) الكافرون ، أى ما يهلك إلا هم (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) مَن آمن بالجنة (وَمُنْذِرِينَ) مَن كفر بالنار (فَمَنْ آمَنَ) بهم (وَأَصْلَحَ) عمله (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يخرجون عن الطاعة (قُلْ) لهم (لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ) التى منها يرزق (وَلَا) إنى (أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ماغاب عنى ولم يوح إلىّ (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) من الملائكة (إِنْ) ما (أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى) الكافر (وَالْبَصِيرُ) المؤمن ؟ لا (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك فتؤمنون (وَأَنْذِرْ) خوّف (بِهِ) أى بالقرآن (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (وَلِيٌّ) ينصرهم (وَلَا شَفِيعٌ) يشفع لهم وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الله باقلاعهم عماهم فيه وعمل الطاعات (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ،

الطاعة كلا أو بعضا فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية (قوله قل لاأقول لكم) هذا مرتب على قوله : ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والنذارة وليس من وظيفته إجابتهم عما سألوه عنه ولافعل ماطلبوه منه لأنه ليس عنده خزائن الله الخ (قوله خزائن الله) أى لاأدّعى أن مقدورات الله من أرزاق وغيرها مفوّضة إلىّ حتى تطلبوا منى قلب الجبال ذهبا وغير ذلك (قوله ولاأعلم الغيب) أى ماغاب عنى من أفعال الله حتى تسألونى عن وقت الساعة أووقت نزول العذاب (قوله ولاأقول لكم إنى ملك) أى حتى تكلفونى بصفات الملائكة كالصعود للسماء وعدم المشى فى الأسواق وعدم الأكل والشرب ، وهذه الآية نزلت حين قالوا له : إن كنت رسولا فاطلب منه أن يوسع علينا ويغنى فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لابيده بقوله: قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ، وقالوا له أيضا : أخبرنا بمصالحنا ومضارّنا فى المستقبل حتى نتهيأ لذلك فتحصل المصالح وتدفع المضارّ فقال لهم ولاأعلم الغيب فأخبركم بما تريدون وقالوا له : مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوّج النساء ؟ فقال لهم ولا أقول لكم إنى ملك (قوله أفلا تتفكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألاتسمعون الحق فلاتتفكرون (قوله فتؤمنون) معطوف على تتفكرون وليس جوابا للنفى وإلا لنصب (قوله وأنذر به الذين يخافون) محط الأمر قوله لعلهم يتقون ، والمعنى أن إنذارك لاينفع إلا المؤمن العاصى الخائف ، وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه الإنذار فلا ينافى أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أولا وإنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الانذار (قوله والمراد بهم) أى بالذين يخافون (قوله ولا تطرد الذين يدعون) أى لاتبعدهم عن مجلسك ولاعن القرب منك (قوله يدعون) أى يعبدون .

(قوله بالغداة والعشىّ) خصّ هذين الوقتين لأن فى الأول صلاة الصبح وفى الثانى صلاة العصر وقد قيل إن كلا هى الصلاة الوسطى (قوله لاشيئا) مفعول لمحذوف تقديره لايريدون شيئا (قوله من أعراض الدنيا) يصح ضبطه بالعين المهملة و بالغين المعجمة والثانى أولى لشموله للأموال وغيرها (قوله وهم الفقراء) أى كعمار بن ياسر و بلال وصهيب (قوله وكان المشركون طعنوا فيهم) هذا إشارة لسبب نزولها . وحاصله كما قال الخازن أنه جاء الأقرع بن حابس التيمى وعتبة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبىّ صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب و بلال فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يارسول الله لوجلست فى صدر المسجد وأبعدت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم وكانت عليهم جبب من صوف لها رائحة كريهة لمداومة لبسها لعدم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبىّ ماأنا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فانّ وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم ، قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزل جبريل بقوله : ولاتطرد الذين يدعون ربهم الخ فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة ثم دعانا وهو يقول : سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ، فكنا نقعد معه و إذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله : واصبر نفسك الآية فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اهـ (قوله ماعليك من حسابهم من شىء) هذا كالتعليل لما قبله ، والمعنى لاتؤاخذ بذنوبهم ولا يعاقب قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون و إلا فقد شهد الله أولا لهم بالاخلاص وماناافية مهملة وعليك جار ومجرور خبر مقدم وشىء مبتدأ مؤخر ومن صلة ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال وهذا نظير قوله فى الآية الأخرى : ولاتزر وازرة وزر أخرى .

بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجْهَهُ) تعالى لاشيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء ، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك طمعاً فى إسلامهم (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) إن كان باطنهم غير مرضى (وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ) جواب النفى (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) إن فعلت ذلك (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا) ابتلينا (بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) أى الشريف بالوضيع والغنى بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان (لِيَقُولُوا) أى الشرفاء والأغنياء منكرين (أَهَؤُلَاءِ) الفقراء (مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) بالهداية أى لو كان ماهم عليه هدى ما سبقونا إليه ، قال تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) له فيهديهم بلى (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ) لهم (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

كتب

(قوله وما من حسابك عليهم من شىء) يقال فى إعرابها ماقيل فيما قبلها إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شىء وليس حالا وفى هاتين الجملتين من أنواع البديع ردّ الصدر على العجز كقولهم ، عادات السادات سادات العادات ، والتتميم و الافاضل التعليل قد حصل بالجملة الأولى (قوله جواب النفى) أى المرتب على النهى وقوله فتكون معطوفا على قوله فتطردهم (قوله إن فعلت ذلك) أى طردهم (قوله وكذلك) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف ، والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض (قوله والغنىّ بالفقير) أى ففتنة الغنى بالفقير لسبق الفقير إلى الايمان وفتنة الفقير بالغنى زينة الدنيا التى يتمتع فيها مع كفره (قوله بأن قدمناه بالسبق إلى الايمان) بيان لفتنة الأغنياء بالفقراء (قوله ليقولوا) اللام يصح أن تكون لام كى أولام الصيرورة والعاقبة (قوله منكرين) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى على سبيل التهكم (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله بلى) جواب الاستفهام التقريرى (قوله و إذا جاءك هذا من تتمة مانزل فى الفقراء(قوله الذين يؤمنون)وصفهم أوّلا بالعبادة وثانيا بالايمان إظهارا لمزاياهم (قوله فقل سلام عليكم الخ) أى اذكر لهم هذه الآية إلى قوله : غفور رحيم فى وقت مجيئهم إليك ، وهذا السلام يحتمل أنه سلام التحية أمر أن يبدأهم به إذا قدموا عليه خصوصية لهم و إلا فسنة السلام أن تكون أولا من القادم وعليه فتكون الجملة إنشائية ، ويحتمل أنه سلام الله عليهم إكراما لهم أمر بتبليغه لهم وعليه فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى وسلام مبتدأ وعليكم خبره وسوّغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء والدعاء من المسوغات .

(قوله كتب ربكم) أى ألزم نفسه تفضلا منه وإحسانا (قوله وفى قراءة بالفتح) أى وهى سبعية أيضا . والحاصل أن القراآت ثلاث فتحهما وكسرهما وفتح الأولى وكسر الثانية وكلها سبعية ، فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من الرحمة والثانية فى محل رفع مبتدأ والخبر محذوف : أى فغفرانه ورحمته حاصلان له ، وأما الكسر فيهما فالأولى مستأنفة جيء بها كالتفسير لماقبلها والثانية مستأنفة أيضا بمعنى أنها فى صدر جملة وقعت خبرا لمن الموصولة ، وأما على فتح الأولى وكسر الثانية فالأولى بدل والثانية استئناف فتأمل فانه زبدة احتمالات كثيرة (قوله بدل من الرحمة) أى بدل شيء من شيء (قوله بجهالة) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل عمل ، والتقدير عمل سوءا حال كونه جاهلا بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلا عن جلال الله ، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لايقع منه الذنب إلا فى حال جهله وغفلته ، وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم بل هى عامة لكل من تاب إلى يوم القيامة ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلى حزبه (قوله ولتستبين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق فطريق الهدى واضحة وطريق الضلال واضحة لما فى الحديث « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لايضل عنها إلاهالك » (قوله وفى قراءة بالتحتانية) أى ورفع سبيل فالقراآت ثلاث وكلها سبعية ففى الفوقانية الرفع والنصب وفى التحتانية الرفع لاغير (قوله خطاب للنبى) أى والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم

(كَتَبَ) قضى (رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ) أى الشأن ، وفى قراءة بالفتح بدل من الرحمة (مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ) منه حيث ارتكبه (ثُمَّ تَابَ) رجع (مِنْ بَعْدِهِ) بعد عمله عنه (وَأَصْلَحَ) عمله (فَإِنَّهُ) أى الله (غَفُورٌ) له (رَحِيمٌ) به ، وفى قراءة بالفتح أى فالمغفرة له (وَكَذَلِكَ) كما بيّنا ما ذكر (نُفَصِّلُ) نبين (الْآيَاتِ) القرآن ليظهر الحق فيعمل به (وَلِتَسْتَبِينَ) تظهر (سَبِيلُ) طريق (الْمُجْرِمِينَ) فتجتنب ، وفى قراءة بالتحتانية وفى أخرى بالفوقانية ، ونصب سبيل خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ) فى عبادتها (قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا) إن اتبعتها (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي ، وَ) قد (كَذَّبْتُمْ بِهِ) بربى حيث أشركتم (مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) من العذاب (إِنِ) ما (الْحُكْمُ) فى ذلك وغيره (إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي) القضاء (الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) الحاكمين وفى قراءة يقص أى يقول (قُلْ) لهم (لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ)

(قوله قل إنى نهيت) هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا فى دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم ويرد عليهم بذلك (قوله نهيت) أى نهانى ربى بواسطة الدليل العقلى والسمعى لدلالة كل منهما على أن الله واحد لاشريك له متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص (قوله تعبدون) هذا أحد إطلاقات الدعاء وبه فسر فى غالب القرآن لأنه يشمل الطلب وغيره (قوله قل لاأتبع أهواءكم) جمع هوى سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه إلى المهالك وهذه الجملة تأكيد لماقبلها (قوله إذا) حرف جواب وجزاء ولاعمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه (قوله إن اتبعتها) أى الأهواء وهو بيان لمعنى إذا (قوله وما أنا من المهتدين) تأكيد لماقبلها (قوله قل إنى على بينة) هذا زيادة فى قطع طمعهم الفاسد والمعنى لا تطمعوا فى دخولى دينكم لأنى على بينة من ربى ومن كان كذلك كيف يخدع ويتبع الضلال ، وهذا نظير قوله تعالى ـ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ـ (قوله بيان) أى دليل واضح (قوله وكذبتم به) أى بوحدانيته والجملة حالية ويشير لذلك تقدير المفسر قد (قوله ماعندى ماتستعجلون به) ما الأولى نافية والثانية موصولة وقوله من العذاب بيان لما الثانية ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء كما فى آية الأنفال ـ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ـ الآية (قوله يقضى الحق) قدّر المفسر القضاء إشارة إلى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف ، ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فعداه إلى المفعول به ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض : أى بالحق (قوله وفى قراءة يقص الحق) من قص الأثر : تتبعه ، وقص الحديث : قاله (قوله لو أن عندى) أى لو كان الأمر مفوضا إلىّ (قوله ماتستعجلون به) أى من العذاب (قوله بأن أعجله) بيان لقوله لقضى الأمر والضمير عائد على ماتستعجلون

(قوله متى يعاقبهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين ، والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين فلا يستعجلوا ذلك فانه لاحق بهم إن لم يتوبوا و إنما تأخيره من حلم الله عليهم فلولا حلمه مابقى أحد ، قال تعالى ـ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ـ فمن القبيح قول بعض العامة: حلم الله يفتت الكبود . إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوّضا له فى تعذيبهم لعجله واستراح ، ومقتضى ماورد من إتيان ملك الجبال يستشيره فى أنه يطبق عليهم الأخشبين أنه لم يرض وقال « أرجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله » فحصل التنافى . أجيب بأن ما فى الآية بالنظر لأصل البشرية لأن البشر يتأثر بالضر والنفع ، وما فى الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم بها ، قال تعالى ـ فبما رحمة من الله لنت لهم ـ فرجع الأمر لله فتدبر (قوله وعنده مفاتح الغيب) لما بين سبحانه وتعالى أوّلا أنه منفرد بايجاد كل شىء خيرا كان أو شرا بقوله ـ إن الحكم إلا لله ـ الآية بين ثانيا أنه منفرد بعلم الغيب بقوله ـ وعنده مفاتح الغيب ـ فهو كالدليل لما قبله كأنه قال العذاب والرحمة بقدرة الله ولا يعلم وقت مجىء ذلك إلا الله لأن عنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو وعنده خبر مقدم ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع فلا ينافى أن بعض الأنبياء والأولياء يطلعه الله على بعض المغيبات الحادثة . قال تعالى ـ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ـ وأما من قال إن نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علما كما أحاط علم الله بها فقد كفر (قوله خزائنه) أشار بذلك إلى أن مفاتح جمع مفتح بفتح فسكون فكسر كمخزن وزنا ومعنى: العلوم المخزونة ، وقوله أو الطرق : أى فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التى توصل إلى تلك العلوم المخزونة الغيبية (قوله لايعلمها) أى الخزائن أو الطرق تفصيلا إلا هو ، وأما علمنا فيها فهو على سبيل الاجمال وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف (قوله علم الساعة) أى وقت مجيئها وتفصيل مايحصل فيها (قوله الآية) أى وهى و ينزل الغيث : أى المطر : أى لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به إلا الله ـ و يعلم مافى الأرحام ـ أى من كونه ذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا يعيش أو يموت ـ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ـ أى

متى يعاقبهم (وَعِنْدَهُ) تعالى (مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه (لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) وهى الخمسة التى فى قوله: إن الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخارى (وَيَعْلَمُ مَا) يحدث (فِى الْبَرِّ) القفار (وَالْبَحْرِ) القرى التى على الأنهار (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ) زائدة (وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ) عطف على ورقة (إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله (وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ) يقبض

لاتعلم نفس مايعرض لها فى المستقبل من خير أو شر وغير ذلك من الأحوال التى تطرأ على الأنفس . قال الشاعر :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم مافى غد عمى

ـ وما تدرى نفس بأى أرض تموت ـ أى بأى محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه ـ إن الله عليم خبير ـ ببواطن الأشياء كظواهرها وهذا التفسير لابن عباس . وقال الضحاك ومقاتل : مفاتح الغيب خزائنه الخفية فى الأرض، والأقرب والأتم أن المراد بمفاتح الغيب الأمور المغيبة الخفية جميعها كانت الخمسة أو غيرها (قوله مايحدث فى البر) أى من خير وشر (قوله القرى التى على الأنهار) أى فيعلم رزق أهلها وعددهم وغير ذلك ، وقال جمهور المفسرين : المراد البر والبحر المعروفان لأن جميع الأرض إما بر أو بحر وفى كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته (قوله وما تسقط من ورقة) أى من الشجر إلا يعلمها : أى يعلم وقت سقوطها والأرض التى تسقط عليها (قوله ولا حبة فى ظلمات الأرض) أى وهى التى يضعها الزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت أولا ، وقيل المراد بالحبة التى فى الصخرة التى فى الأرض التى قال فيها الله ـ يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ـ وكل صحيح (قوله ولا رطب ولا يابس) عطف عام لأن جميع الأشياء إما رطبة أو يابسة . فان قلت إن جميع هذه الأشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفردها بالذكر ؟ أجيب بأنه من التفصيل بعد الاجمال وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لأنه يراها كل أحد لكن لايعلم عددها إلا الله ، ثم ماهو أضعف من الورقة وهو الحبة ثم ذكر مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس (قوله عطف على ورقة) أى الثلاثة معطوفة على ورقة لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت (قوله بدل اشتمال من الاستثناء قبله) أى وهو قوله إلا يعلمها وذلك لأن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح فذات الله وصفاته أحاط بها

العلم لا اللوح والكائنات ومايتعلق بها أحاط بها اللوح والعلم ، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر وإن أريد بالكتاب علم الله يكون بدل كل من كل لزيادة التأكيد والايضاح (قوله يقبض أرواحكم) ماذكره المفسر بناء على أن الانسان له روحان روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فاذا أراد الله موته قبضهما جميعا وعليه جملة من المفسرين و يشهد له آية الزمر قال تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها ـ الآية ويقرب هذا أحوال الأولياء لأن لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم والمشهور أنها روح واحدة ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لأنهم عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك (قوله ويعلم ماجرحتم بالنهار) أى لأنه الخالق للأفعال والحركات والسكنات فهو المغير للأشياء ولا يتغير ، قال العارف :

ولى فى خيال الظل أكبر عبرة لمن كان فى بحر الحقيقة راقى
شخوص وأشكال تمر وتنقضى فتفنى جميعا والمحرك باقى

(قوله ثم يبعثكم) ثم فى كل للترتيب الرتبى لأن بعد النوم البعث بالايقاظ إلى انقضاء الأجل ثم بعده البعث بالاحياء من القبور ثم الاخبار بما وقع من العباد (قوله ليقضى أجل) الجمهور على بناء يقضى للمجهول وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف إما عائد على الله أو على الشخص ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه إياه وقرئ بالبناء للفاعل وأجلا مفعوله والفاعل مستتر عائد على الله (قوله فيجازيكم به) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله وهو القاهر) أى المستعلى الغالب على أمره الحاكم فلامعقب لحكمه يعطى ويمنع ويصل ويقطع ويضر وينفع فلاراد لما قضى ولاملجأ منه إلا إليه فهو المتصرف فى خلقه بجميع أنواع التصرفات من إيجاد وإعدام وإعزاز وإذلال وغير ذلك (قوله فوق عباده) أى فوقية مكانة أى شرف، ورفعة وعلو قدر تليق به لافوقية مكان لاستحالة اتصافه به (قوله ويرسل) معطوف على صلة أل كأنه قال وهو الذى يقهر ويرسل وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى (قوله ملائكة تحصى أعمالكم)

يقبض أرواحكم عند النوم (وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ) كسبتم (بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) أى النهار برد أرواحكم (لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى) هو أجل الحياة (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) بالبعث (ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَهُوَ الْقَاهِرُ) مستعليا (فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) ملائكة تحصى أعمالكم (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ) وفى قراءة توفاه (رُسُلُنَا) الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ،

أى من خير وشر لما ورد « إن كل إنسان له ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها صاحب الشمال » . قال العلماء : يؤخر ست ساعات فلكية فان تاب فيها لم تكتب هكذا قال المفسر ، وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار ، وقيل المراد ماهو أعم وهو الأتم . إن قلت إن الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص ؟. أجيب بأن ذلك تكرمة لبنى آدم وإظهار لفضلهم ، والحكمة فى كون الملائكة تكتب على الشخص ماصدر منه أنه إذا علم ذلك ربما كان ذلك داعيا للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصى (قوله حتى إذا جاء) حتى ابتدائية والمعنى ينتهى حفظ الملائكة للأشخاص عند فراغ الأجل ، فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم مادام حيا فاذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له (قوله الموت) أى أسبابه (قوله وفى قراءة توفاه) أى بالإمالة المحضة وهى ما كانت للكسر أقرب وهو إما ماض وحذفت التاء لأنه مجازى التأنيث أو مضارع ويكون فيه حذف إحدى التاءين (قوله رسلنا) أى أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح إن قلت قال تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها ـ وقال فى الآية الأخرى ـ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ـ فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه الآية ؟. أجيب بأن الله هو المتوفى حقيقة فاذا حضر أجل العبد اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده فهو القابض لجميع الأرواح . إن قلت ورد فى بعض الأحاديث «وتول قبض أرواحنا عند الأجل بيدك». أجيب بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح وإن كان هو القابض لها وذلك فى أهل محبة الله ومن يموت شهيد حرب أوغريقا أوحريقا ونحوهم .

(قوله وهم لايفرطون) هذه الجملة حالية من رسلنا أى والحال أنهم لايقصرون فى ذلك . فقد ورد «مامن أهل بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطوف بهم مرتين» . وورد أن الدنيا كلها بين ركبتى ملك الموت وجميع الخلائق بين عينيه ويداه يبلغان المشرق والمغرب ، وكل من نفد أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة و يتصرفون بحسب ذلك . وورد أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد و يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا ، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافرا ، و يقال معه سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب ، فإذا قبض نفسا مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب و يصعدون بها إلى السماء ، و إذا قبض نفسا كافرة دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب و يفزعونها ثم يصعدون بها إلى السماء ثم تردّ إلى سجين ، وروح المؤمن إلى عليين (قوله ثم ردّوا) معطوف على توفته وأفرد أوّلا لأن التوفى يكون لكل شخص على حدة وجمع ثانيا لأن الردّ يكون للجميع (قوله مالكهم) دفع بذلك مايقال إن بين هذه الآية وآية ـ وأن الكافرين لامولى لهم ـ تنافيا . فأجاب بأن المراد بالمولى هنا المالك و به هناك الناصر (قوله ألا له الحكم) أى لاغيره (قوله لحديث بذلك) وفى رواية أنه تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة (قوله

(وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) يقصرون فيما يؤمرون به (ثُمَّ رُدُّوا) أى الخلق (إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ) مالكهم (الْحَقِّ) الثابت العدل ليجازيهم (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ فيهم (وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (قُلْ) يامحمد لأهل مكة (مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أهوالهما فى أسفاركم حين (تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا) علانية (وَخُفْيَةً) سرا تقولون (لَئِنْ) لام قسم (أَنْجَيْتَنَا) وفى قراءة أنجانا أى الله (مِنْ هَذِهِ) الظلمات والشدائد (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) المؤمنين (قُلِ) لهم (اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ) بالتخفيف والتشديد (مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ) غم سواها (ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) به (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) من السماء كالحجارة والصيحة (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) كالخسف أو (يَلْبِسَكُمْ) يخلطكم (شِيَعًا) فرقا مختلفة الأهواء (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت «هذا أهون وأيسر» ولما نزل ما قبله «أعوذ بوجهك» رواه البخارى وروى مسلم حديث «سألت ربى أن لا يجعل بأس أمتى بينهم فمنعنيها» وفى حديث لما نزلت ،

قل يامحمد) أى توبيخا لهم وردعا (قوله أهوالهما) أى فالظلمات كناية عن الأهوال والشدائد التى تحصل فى البر والبحر وماشى عليه المفسر أتمّ لشمولها للحقيقة وغيرها وقيل المراد بالظلمات حقيقتها فظلمات البرّ هى ما اجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب ، وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة (قوله وخفية) الجمهور على ضم الخاء وقرأ أبو بكر بكسرها وقرأ الأعمش خيفة كالأعراف (قوله لئن أنجيتنا من هذه) قال

الجملة فى محل نصب مقول القول كما قدره المفسر (قوله والشدائد) عطف تفسير (قوله بالتخفيف والتشديد) أى وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالتاء وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لاغير فالقراءات ثلاث وكلها سبعية (قوله قل هو القادر) هذا بيان لكونه قادرا على الاهلاك إثر بيان أنه المنجى من المهالك (قوله كالحجارة) أى التى نزلت على أصحاب الفيل وقوله والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على ثمود قوم صالح (قوله كالخسف) أى الذى وقع لقارون (قوله شيعا) منصوب على الحال جمع شيعة وهى من يتقوّى بهم الانسان ويجمع على أشياع (قوله فرقا) جمع فرقة وهى الجماعة (قوله لما نزلت) أى آية أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض (قوله أهون وأيسر) أى مما قبله وهو رضا بقضاء الله و إلا فقد استعاذ منه أوّلا فلم يفد قوله ولما نزل ماقبله) أى قوله على أن يبعث عليكم الخ (قوله أعوذ بوجهك) أى فقال مرتين مرة عند نزول قوله عذابا من فوقكم ومرة عند نزول قوله أو من تحت أرجلكم (قوله فمنعنيها) أى منعنى هذه المسئلة بمعنى أنه لم يجبنى فى هذه الدعوة لما سبق فى علمه من حصولها فكان أوّل ابتداء إذاقة البعض بأس البعض بعد موته صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فى واقعة علىّ ومعاوية ومازالت الفتن تتزايد إلى يوم القيامة (قوله لما نزلت) أى هذه الآية

قال: أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد (أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ) نبين لهم (الْآيَاتِ) الدلالات على قدرتنا (لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) يعلمون أن ماهم عليه باطل (وَكَذَّبَ بِهِ) بالقرآن (قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ) الصدق (قُلْ) لهم (لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال (لِكُلِّ نَبَإٍ) خبر (مُسْتَقَرٌّ) وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) تهديد لهم (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالاستهزاء (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تجالسهم (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (يُنْسِيَنَّكَ) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشَّيْطَانُ) فقعدت معهم (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى) أى تذكره (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر، وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس فى المسجد وأن نطوف فنزل (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ) الله (مِنْ حِسَابِهِمْ) أى الخائضين (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) إذا جالسوهم (وَلَكِنْ) عليهم (ذِكْرَى) تذكرة لهم وموعظة،

(قوله قال أما إنها) أما أداة استفتاح و إنها بكسر الهمزة والضمير عائد على الأمور الأربعة: عذابا من فوقكم وعذابا من تحت أرجلكم وتفريقكم شيعا ونصب القتال بينكم فهذه الأربعة كائنة قبل يوم القيامة لـكن الأخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة والأولان تفضل الله بتأخير وقوعهما إلى قرب قيام الساعة هكذا ورد ولـكن قال العلماء وإن كان الأخيران يقعان قرب قيام الساعة لـكن العذاب بهما ليس عاما كما وقع فى الأمم الماضية (قوله ولم يأت تأويلها) الضمير يعود على الآية أوالأمور الأربعة أى صرفها عن ظاهرها بل هى باقية على ظاهرها لـكن بالوجه الذى علمته (قوله وكذب به قومك) أى أنكروه حيث قالوا إنه سحر أو شعر أو كهانة أوغير ذلك وماذكره المفسر من أن الضمير عائد على القرآن هوأحد أقوال وهو أقربها وقيل الضمير عائد على العذاب وقيل على الحق وقيل على النبى وهو بعيد (قوله الصدق) أى لأنه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لامحالة (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أنه منسوخ بآيات القتال ولـكن المناسب للمفسر أن يقول فأقاتلكم بدل قوله: فأجازيكم. والحاصل أن فى الآية تفسيرين: الأول أن الآية محكمة والمعنى لست مجازيا على أعمالكم فى الآخرة، والثانى أنها منسوخة والمعنى لست مقاتلا لـكم إن حصلت منكم المخالفة إذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين التفسيرين (قوله لـكل نبأ مستقر) نزلت ردًا لاستعجالهم العذاب الذى كان يعدهم به والمعنى لـكل خبر من الأخبار رحمة أو عذابا زمن يقع فيه إما فى الدنيا أوالآخرة أوفيهما لايعلمه إلا الله (قوله وقت يقع فيه) أشار بذلك إلى أن مستقر اسم زمان ويصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان (قوله وإذا رأيت) رأى بصرية والذين مفعولها ويبعد كونها علمية لأنه يقتضى أن المفعول الثانى محذوف وحذفه إماشاذ أو ممنوع (قوله يخوضون) الخوض فى الأصل الدخول فى الماء فيستعار للشروع والدخول فى الكلام شبه آيات الله بالبحر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الخوض فاثباته تخييل والجامع بينهما التعرض للهلاك فى كل فان الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك فكذلك المتعرض للأباطيل فى كلام الله (قوله فأعرض عنهم) الخطاب له ولأصحابه فالنهى عام وهو منسوخ بآية القتال (قوله فى حديث غيره) الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثا (قوله وإمايُنسينك) الخطاب له والمراد غيره لأن إنساء الشيطان له مستحيل عليه (قوله بسكون النون والتخفيف) أى للسين من أنساه أوقعه فى النسيان وقوله وفتحها أى النون وقوله والتشديد أى للسين من نساه فيتعدى بالهمز والتضعيف وهما قراءتان سبعيتان ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهى أوماأمرك الله به (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التشنيع عليهم وأتى فى جانب الرؤية بإذا المفيدة للتحقيق وفى جانب الانساء بان المفيدة للشك إشارة إلى أن خوضهم فى الآيات محقق وإنساء الشيطان غير محقق بل قد يقع وقد لايقع (قوله وقال المسلمون الخ) بيان لسبب نزول الآية (قوله وما على الذين يتقون) الجار والمجرور خبر مقدم ومن شىء مبتدأ مؤخر (قوله إذا جالسوهم) أى فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لـكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه و بشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر فهو تخصيص للنهى المتقدم (قوله ولـكن عليهم ذكرى) أشار بذلك إلى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره ولـكن يذكرونهم ذكرى .

(قوله الذى كلفوه) أى وهو دين الاسلام ودفع بذلك مايقال المشركون لادين لهم من الأديان المشروعة فكيف أضيف إليهم دين وأخبر عنه أنهم اتخذوه لعبا ولهوا (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ بآياته. ويدخل فى عموم هذه الآية من اتخذ دين الاسلام لهوا ولعبا وأحدث فيه ماليس منه كالخوارج و بعض من يدّعى الانتساب إلى الصالحين حيث جعلوا الطريقة الموصلة إلى الله طبلا وزمرا وأحدثوا أمورا لاتحل فى دين الله (قوله أن تبسل) علة لقوله وذكر به على حذف لام العلة قدرها المفسر ولا مقدّرة والابسال هو تسليم النفس فى الحرب للقتال، والباسل الشجاع الذى يلقى بنفسه للهلاك (قوله ليس لها) إما استئناف أو حال من نفس أو صفة لها (قوله ولىّ) اسم ليس ولها خبر مقدم ومن دون الله حال من ولى (قوله تفد كل فداء) أى تفتد بكل فداء (قوله ماتفدى به) أشار بذلك إلى أن الضمير فى لايؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدى به فهو مصدر أريد به اسم المفعول (قوله أولئك الذين) اسم الاشارة مبتدأ خبره الاسم الموصول ولهم شراب مبتدأ وخبر والجملة إما خبر ثان أو حال من الضمير فى أبسلوا أو مستأنف بيان للابسال (قوله ماء بالغ نهاية الحرارة) أى يقطع الأمعاء كما قال فى الآية الأخرى ـ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ـ (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن مامصدرية والفعل فى تأويل مصدر مجرور بالباء (قوله قل أندعوا) قيل سبب نزولها أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام فنزلت الآية أمرا للنبى صلى الله عليه وسلم أن يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله وفيه اعتناء بشأن الصدّيق وإظهار لفضله حيث وجه الأمر إلى الرسول وفى الواقع الأمر لأبى بكر والمعنى لايليق منا عبادة مالا ينفعنا إذا عبدناه ولا يضرنا إذا تركناه (قوله ونرد على أعقابنا) معطوف على ندعوا (وأمرنا

(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الخوض (وَذَرِ) اترك (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى كلفوه (لَعِباً وَلَهْواً) باستهزائهم به (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا) فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَذَكِّرْ) عظ (بِهِ) بالقرآن الناس لـ(أَنْ) لا (تُبْسَلَ نَفْسٌ) تسلم إلى الهلاك (بِمَا كَسَبَتْ) عملت (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (وَلِيٌّ) ناصر (وَلاَ شَفِيعٌ) يمنع عنها العذاب (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ) تفد كل فداء (لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا) ما تفدى به (أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) ماء بالغ نهاية الحرارة (وَعَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بكفرهم (قُلْ أَنَدْعُوا) أنعبد (مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ يَنْفَعُنَا) بعبادته (وَلاَ يَضُرُّنَا) بتركها وهو الأصنام (وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا) نرجع مشركين (بَعْدَ إِذْ هَدٰينَا اللهُ) إلى الإسلام (كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ) أضلته (الشَّيَاطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ) متحيراً لايدرى أين يذهب حال من الهاء (لَهُ أَصْحَابٌ) رفقة (يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى) أى ليهدوه إلى الطريق يقولون له (ائْتِنَا) فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ) الذى هو الإسلام (هُوَ الْهُدَى) وما عداه ضلال،

فهو داخل فى حيز الاستفهام (قوله بعد إذ هدانا الله) أى بعد وقت هداية الله لنا (قوله كالذى) صفة لموصوف محذوف أى نرد ردا مثل رد الذى استهوته. والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى سفل سمى الاضلال بذلك لأن من سقط من علو إلى سفل ولم يجد محلا يستند عليه هلك فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتبعه هلك ولا يجد ناصرا، وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه فى قوله تعالى ـ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ـ. والحاصل أن المشرك بالله مع وجود من يدله على التوحيد مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به فى المفاوز والمهالك مع سماعه مناداة من يأخذ بيده. يخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك والمراد بالشياطين مايشمل شياطين الإنس (قوله فى الأرض) متعلق باستهوته (قوله حال من الهاء) أى فى استهوته (قوله له أصحاب) جملة فى محل نصب صفة لحيران (قوله والاستفهام الخ) أى وهو قوله أندعوا والمعنى لاينبغى أن نعبد غير الله بعد هدايته لنا لأن من عبد غير الله بعد إيمانه بالله كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لايدرى أين يتوجه مع كون أصحابه يدعونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبهم (قوله هو الهدى) أى التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين

تأكيد الحصر فهو بمعنى إن الدين عند الله الاسلام (قوله وأمرنا) أى أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين (قوله وأن أقيموا الصلاة) قدر المفسر الباء إشارة إلى أنه معطوف على أن نسلم فهو داخل تحت الأمر أيضا وفيه التفات من التكلم للخطاب وعطف التقوى عليه من عطف العام وخص الصلاة بعد الاسلام لأنها أعظم أركانه (قوله وهو الذى إليه تحشرون) هذا دليل للأمر المتقدم وموجب لامتثاله والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه لأنكم تجمعون إليه و يحاسبكم (قوله أى محقا) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال أى حال كونه محقا أى موصوفا بالحقية وهو وجوب الوجود الذى لايقبل الزوال ، و يحتمل أن يكون المعنى محقا لاهازلا ولاعابثا بل خلقهما لحكم ومصالح لعباده و يؤيد هذا المعنى قوله تعالى ـ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين (قوله و يوم) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذ كر والواو للاستئناف (قوله يقول كن) هذا كناية عن سرعة الايجاد وهو تقريب للعقول و إلا فلا كاف ولا نون قال تعالى ـ وماأمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ـ (قوله فيكون) كل من كن و يكون تام يكتفى بالمرفوع وهو ضمير يعود على جميع مايخلقه الله (قوله يقول للخلق) أى جميعهم من مبدأ الدنيا إلى منتهاها من العالم العلوى والسفلى (قوله قوله الحق) يصح أن يكون مبتدأ وخبرا أو مبتدأ والحق نعته وخبره قوله يوم يقول (قوله لامحالة) أى لابد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمى وأما بضم الميم فمعناه الباطل وليس مرادا هنا (قوله يوم ينفخ) إما ظرف لقوله وله الملك وخص بذلك و إن كان الملك لله مطلقا لأنه فى ذلك الوقت لايملك أحد شيئا مما كان يملكه فى الدنيا قال تعالى ـ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ـ أو خبر عن

الملك والتقدير والملك يوم ينفخ فى الصور له أو بدل من يوم يقول (قوله فى الصور) هو نائب الفاعل (قوله القرن) أى المستطيل قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها فاذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحله الحياة فالاحياء يحصل بايجاد الله عند

(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ) أى بأن نسلم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ) أى بأن (أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ) تعالى (وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تجمعون يوم القيامة للحساب (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى محقا (وَ) اذكر (يَوْمَ يَقُولُ) للشىء (كُنْ فَيَكُونُ) هو يوم القيامة يقول للخلق : قوموا فيقوموا (قَوْلُهُ الْحَقُّ) الصدق الواقع لامحالة (وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الثانية من إسرافيل لاملك فيه لغيره ، لمن الملك اليوم لله (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى خلقه (الْخَبِيرُ) بباطن الأشياء كظاهرها . (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) هو لقبه واسمه تارخ (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً) تعبدها استفهام توبيخ (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ) باتخاذها (فِي ضَلَالٍ) عن الحق (مُبِينٍ) :

النفخ لابالنفخ فهو سبب عادى (قوله النفخة الثانية) أى وأما الأولى فعندها يموت كل ذى روح . قال تعالى ـ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (قوله ما غاب وما شوهد) أى أى بالنسبة للخلق و إلا فالكل عند الله شهادة ولايغيب عليه شىء بل مافى تخوم الأرضين والسموات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء (قوله وهو الحكيم الخبير) كالدليل لما قبله (قوله و إذ قال إبراهيم) الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والجملة معطوفة على جملة قل أندعوا من دون الله والمعنى قل يامحمد لكفار مكة أندعوا من دون الله مالاينفعنا ولايضرنا واحتج عليهم بماوقع لابراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الأصنام (قوله واسمه تارخ) يقرأ بالخاء المعجمة والحاء المهملة وقيل إن آزر اسمه وتارخ لقبه وهو جمع بين قولين وتارخ بدل أوعطف بيان وآزر من الأزر وهو العيب لأنه قام به العيب حيث عبد الأصنام أو العوج ولاشك أنه قام به الأمران العيب والعوج (قوله أصناما) المراد بها ماصور على هيئة الانسان وعبد من دون الله كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك وأصناما مفعول أول لتتخذ وآلهة مفعول ثان (قوله تعبدها) أى أنت وقومك الذين هم الكنعانيون (قوله استفهام توبيخ) أى على سبيل الانكار (قوله إنى أراك) أى أعلمك فالكاف مفعول أول وفى ضلال مبين مفعول ثان ومقتضى هذه الآية وآية مريم أن آزر أبا إبراهيم كان كافرا وهو يشكل على ماقاله المحققون إن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظ من الشرك فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله إلى آدم لصنم قط و بذلك قال المفسرون فى قوله تعالى ـ وتقلبك فى الساجدين ـ . وقال البوصيرى فى الهمزية : وبدا للوجود منك كريم من كريم آباؤه كرماء

وأجيب عن ذلك بأن حفظهم من الاشراك مادام النور المحمدى فى ظهرهم فاذا انتقل جاز أن يكفروا بعد ذلك كذا قال المفسرون هنا وهذا على تسليم أن آزر أبوه . وأجاب بعضهم أيضا بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافرا وتارخ أبوه مات فى الفترة ولم يثبت سجوده لصنم و إنما سماه أبا على عادة العرب من تسمية العم أبا وفى التوراة اسم أبى إبراهيم تارخ (قوله بين) أى ظاهر لاشك فيه (قوله كما أريناه إضلال قومه) أى بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولا عليه لما ورد أنه حين نزل من بطن أمه قام واقفا على قدميه وقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت الحمد لله الذى هدانا لهذا (قوله ملك) أشار بذلك إلى أن المراد بالملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت من الرغبة والرهبة والرحمة وعلى هذا فالملكوت والملك واحد وللصوفية فرق بين الملك والملكوت فالملك ما ظهر لنا والملكوت ما خفى عنا كالسموات ومافيها إذا علمت ذلك فالأولى إبقاؤه على ظاهره لما ورد أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى ومافى السموات من العجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة فذلك قوله تعالى ـ وآتيناه أجره فى الدنيا ـ وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى مافيها من العجائب وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لاعلمية (قوله ليستدل به على وحدانيتنا) أى ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه فان توحيده بالمشاهدة لا بالدليل (قوله وليكون من الموقنين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ (قوله اعتراض) أى بين قوله وإذ قال إبراهيم وبين الاستدلال عليهم (قوله فلما جنّ) من الجنة وهى الستر . وحاصل ذلك أن نمروذ ابن كنعان كان يدعو الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد فى بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد فى تلك السنة وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلوا بينها و بين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون فى الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما فخرج نمروذ بالرجال فى البرية وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من

بيّن (وَكَذَٰلِكَ) كما أريناه إضلال أبيه وقومه (نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ) ملك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ليستدل به على وحدانيتنا (وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض ، وعطف على قال (فَلَمَّا جَنَّ) أظلم (عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا) قيل هو الزهرة (قَالَ) لقومه وكانوا نجامين (هَٰذَا رَبِّى) فى زعمكم (فَلَمَّا أَفَلَ) غاب (قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) أن أتخذهم أربابا لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث ،

قومه إلا آزر فبعث إليه فأحضره عنده وقال له إن لى إليك حاجة أحب أن أوصيك بها فلم أبعثك فيها إلا لثقتى بك فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك فقال آزر أنا أشحّ على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم دخل على أهله فلم يتمالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بإبراهيم فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فلما وضعته جعلته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة وتركته . قيل أخبرت أباه به وقيل لا وكانت تختلف إليه لتنظر مافعل فتجده حيا وهو يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وكان إبراهيم يشب فى اليوم كالشهر وفى الشهر كالسنة فمكث خمسة عشر شهرا قالوا فلما شب إبراهيم وهو فى السرب قال لأمه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت اسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا الآية . واختلف فى وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدهما والصحيح أنه بعد البلوغ و إيتاء الرسالة وما وقع من إبراهيم إنما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم فى عبادة غير الله وليس إثباته الربوبية لهذه الأجرام على حقيقته حاشاه من ذلك لأن الأنبياء معصومون من الجهل قبل النبوّة وبعدها لأن توحيدهم بالشهود على طبق ما جبلت عليه أرواحهم من يوم ألست بربكم (قوله قيل هو الزهرة) خصها لأنها أضوأ الكواكب وهى فى السماء الثالثة (قوله وكانوا نجامين) أى عالمين بالنجوم أو عابدين لها (قوله فى زعمكم) أى فالجملة خبرية على حسب زعمهم لا على حسب الواقع واعتقاد إبراهيم (قوله غاب) يقال أفل الشئ أفولا : غاب (قوله التغير والانتقال) أى لأن الأفول حركة والحركة تقتضى حدوث المتحرك و إمكانه فيمتنع أن يكون إلها .

(قوله فلم ينجع) أى لم يؤثر ويفد وهو من باب خضع يقال نجع نجوعا : ظهر أثره (قوله بازغا) : حال من القمر والبزغ : الطلوع (قوله قال هذا ربى) أى بزعمكم كما تقدم (قوله يثبتنى على الهدى) إنما قال ذلك لأن أصل الهدى حاصل للأنبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصوّر تنبيه (قوله تعريض لقومه) إنما عرض بضلالهم فى أمر القمر لأنه أيس منهم فى أمر الكواكب ولو قاله فى الأول لما أنصفوه ولهذا صرح فى الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك أى فالتعريض هنا لاستدراج الخصم إلى الاذعان والتسليم (قوله فلم ينجع فيهم ذلك) أى الدليل المذكور (قوله لتذكير خبره) أى وهو ربى وهذا كالمتعين لأن المبتدأ والخبر عبارة عن شئ واحد والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا فى صفته علام ولم يقولوا علامة وإن كان علامة أبلغ تباعدا عن علامة التأنيث (قوله هذا أكبر) أى جرما وضوءا وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالى وفى رواية أنها قدر الأرض مائة وستين مرة والقمر قدرها مائة وعشرين مرة (قوله مما تشركون) ما مصدرية أى برىء من إشراككم أو موصولة أى من الذى تشركونه مع الله فحذف العائد (قوله والأجرام) عطف عام لأنها تشمل الأصنام والنجوم (قوله قصدت بعبادتى) أى فليس المراد بالوجه الجسم المعروف بل المراد به القلب وإنما عبر المفسر بالقصد لأن القصد والنية محلهما القلب وإنما انتفى الوجه الحسى لاستحالة الجهة على الله (قوله خالق

السموات والأرض) أى وما فيهما ومن جملته معبوداتكم العلوية والسفلية فقد أبطل السفلية بقوله : إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ، والعلوية بقوله فلما جنّ عليه الليل الخ (قوله حنيفا) حال من التاء فى وجهت (قوله وحاجه قومه) روى أنه لما شبّ إبراهيم وكبر جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها فيذهب بها وينادى يامن يشترى مايضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها

فلم ينجع فيهم ذلك (فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا) طالعاً (قَالَ) لهم (هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى) يثبتنى على الهدى (لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك (فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا) ذكّره لتذكير خبره (رَبِّى هَٰذَا أَكْبَرُ) من الكوكب والقمر (فَلَمَّا أَفَلَتْ) وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد قال (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ) قصدت بعبادتى (لِلَّذِى فَطَرَ) خلق (السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) أى الله (حَنِيفًا) مائلا إلى الدين القيم (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) به (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ) جادلوه فى دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها (قَالَ أَتُحَاجُّونِّى) بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء : أتجادلوننى (فِى) وحدانية (اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ) تعالى إليها (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ) هُ (بِهِ) من الأصنام أن تصيبنى بسوء لعدم قدرتها على شىء (إِلَّا) لكن (أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا) من المكروه ،

إلى نهر وضرب فيه رءوسها وقال لها اشربى استهزاء بقومه حتى إذا فشا فيهم استهزاؤه جادلوه فذلك قوله تعالى - وحاجه قومه - الخ (قوله وهدّدوه) عطف تفسير على جادلوه أى فمحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم ومحاجة إبراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين (قوله أن تصيبه بسوء) أى تخبل وجنون (قوله قال أتحاجونى الخ) استئناف وقع جوابا لسؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه (قوله بتشديد النون) أى لادغام نون الرفع فى نون الوقاية ، وقوله وتخفيفها أى تخلصا من اجتماع مشدّدين فى كلة واحدة وهما الجيم والنون (قوله عند النحاة) أى كسيبويه وغيره من البصريين مستدلين بأنها نائبة عن الضمة وهى قد تحذف تخفيفا كما فى قراءة أبى عمرو وينصركم ويأمركم بالاسكان فكذا ماناب عنها (قوله عند القراء) أى مستدلين بأن الثقل إنما حصل بها (قوله وقد هدان) يرسم بلا ياء لأنها من ياآت الزوائد وفى النطق يجب حذفها فى الوقف ويجوز إثباتها وحذفها فى الوصل وجملة وقد هدان فى محل نصب على الحال من الياء فى أتحاجونى والمعنى أتجادلوننى فى الله حال كونى مهديا من عنده وحجتكم لاتجدى شيئا لأنها داحضة (قوله ماتشركون به) أشار إلى أن ما موصولة فالهاء فى به تعود على ما ، والمعنى ولا أخاف الذى تشركون الله به أو تعود على الله والمحذوف هو العائد على ما (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن المشيئة ليست مما يشركون به

(قوله يصيبنى) صفة لشيئا وهو إشارة إلى تقدير مضاف أى إلا أن يشاء ربى إصابة شئ لى ، وقوله فيكون بالنصب عطف على مدخول أن أو بالرفع استئناف أى فهو يكون (قوله علما) تمييز محوّل عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو اشتعل الرأس شيبا والجملة كالتعليل للاستثناء (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أتعرضون عن التأمل فى أن آلهتكم جمادات لاتضر ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها (قوله وكيف أخاف ما أشركتم) استئناف مسوق لنفى الخوف عنه بالطريق الالزامى بعد نفيه عنه بحسب الواقع فى قوله سابقا : ولا أخاف ما تشركون به والاستفهام للتعجب (قوله مالم ينزل به) مفعول لأشركتم (قوله فأىّ الفريقين) أى من الوحد والمشرك (قوله إن كنتم تعلمون) إن شرطية وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فاتبعوه (قوله الذين آمنوا الخ) يحتمل أن يكون من كلام إبراهيم أو من كلام قومه أو من كلام الله تعالى أقوال للعلماء فان قلنا إنها من كلام إبراهيم كان جوابا عن السؤال فى قوله فأىّ الفريقين الخ وكذا إن قلنا إنها من كلام قومه ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف وإن كان من كلام الله تعالى لمجرد الاخبار كان الموصول مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان والأمن مبتدأ ثالث ولهم خبره والجملة خبر أولئك وأولئك وخبره خبر الأول (قوله فى حديث الصحيحين) أى ففيهما عن ابن مسعود قال : لما نزلت الذين آمنوا الخ شقّ ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : يابنىّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . وهذا

يصيبنى فيكون (وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) أى وسع علمه كل شيء (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ) بالله وهى لا تضر ولا تنفع (وَلَا تَخَافُونَ) أنتم من الله (أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ) فى العبادة (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) بعبادته (عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا) حجة وبرهاناً وهو القادر على كل شيء (فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ) أنحن أم أنتم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مَن الأحق به أى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا) يخلطوا (إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) أى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) من العذاب (وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَتِلْكَ) مبتدأ ويبدل منه (حُجَّتُنَا) التى احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكواكب وما بعده ، والخبر (آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ) أرشدناه لها حجة (عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) ابنه ،

ماذهب إليه أهل السنة وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم فى الآية المعصية لا الشرك بناء على أن خلط أحد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا يتصوّر خلط الايمان بالشرك لأنهما ضدّان لا يجتمعان . وأجاب أهل السنة بأن الايمان قد يجامع الشرك ويراد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان أو بغيره وكذا إن أريد به تصديق القلب لجواز أن يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى - ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون - أفاده زاده على البيضاوى (قوله وتلك حجتنا) أعرب المفسر اسم الاشارة مبتدأ وحجتنا بدل منه وجملة آتيناها خبر المبتدأ ، وقوله على قومه متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها وهو أحسن الأعاريب ، وقيل إن تلك حجتنا مبتدأ وخبر وآتيناها خبر ثان وعلى قومه متعلق بحجتنا واسم الاشارة عائد على قوله فلما جنّ عليه الليل إلى هنا أو من قوله وكذلك نرى إبراهيم إلى هنا (قوله من أفول الكواكب) أى التى هى الزهرة والقمر والشمس (قوله ومابعده) أى وهو قوله وحاجه قومه الخ (قوله آتيناها إبراهيم) أى بوحى أو إلهام (قوله حجة على قومه) قدره المفسر إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها (قوله نرفع درجات من نشاء) مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها (قوله بالاضافة والتنوين) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الاضافة المفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء ودرجات ظرف لنرفع والتقدير نرفع من نشاء فى درجات (قوله فى العلم والحكمة) قيل هى النبوّة فالعطف مغاير وقيل العلم النافع فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم وإظهارا لفضله (قوله إن ربك حكيم) أى يضع الشيء فى محله وهو كالدليل لما قبله ، والمعنى أن الله يحكم لامعقب لحكمه فيرفع من يشاء ويضع من يشاء لا اعتراض عليه فانه حكيم يضع الشيء فى محله عليم لايخفى عليه شيء (قوله ووهبنا له اسحق الخ) لما أنعم الله على ابراهيم عليه السلام بالنبوّة والعلم ورفع درجاته حيث جاهد فى الله حق جهاده أتمّ الله عليه النعمة بأن وهب له

اسحق و يعقوب وإسمعيل وجعل فى ذريته النبوّة إلى يوم القيامة واسحق هو من سارة وجملة وهبنا معطوفة على قوله وتلك حجتنا عطف فعلية على اسمية ، والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشريفه لأن شرف الوالد يسرى للولد (قوله كلا هدينا) أى للشرع الذى أوتيه (قوله ونوحا هدينا من قبل) نوح هو ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم و بالكاف وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام و بالنون بعد الكاف ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين المعجمة وكسر اللام و بالخاء المعجمة ابن إدريس (قوله ومن ذريته) يحتمل أن الضمير عائد على نوح لأنه أقرب مذكور واختاره المفسر و يحتمل أنه عائد على إبراهيم لأنه المحدث عنه ويبعده ذكر لوط فى الذرية مع أنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن هاران وهو أخو إبراهيم (قوله وأيوب) هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن اسحاق (قوله وموسى) هو ابن عمران بن يصهر بن لاوى ابن يعقوب وقوله وهرون أى وهو أخو موسى وكان أسنّ منه بسنة (قوله نجزى المحسنين) أى المؤمنين أى فمن اتبعهم فى الايمان ألحق بهم ورفع الله درجاته (قوله يفيد أن الذرية الخ) أى لأن عيسى لا أب له (قوله و إلياس ابن أخى هرون) وقيل هو إدريس فله اسمان .وهو خلاف الصحيح لأن إدريس أحد أجداد نوح وليس من الذرية والياس

(كُلاًّ) منهما (هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبل إبراهيم (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) أى نوح (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) بن يعقوب (وَمُوسَى وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى) ابنه (وَعِيسَى) ابن مريم ، يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت (وَإِلْيَاسَ) ابن أخى هٰرون أخى موسى (كُلٌّ) منهم (مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ) ابن إبراهيم (وَالْيَسَعَ) اللام زائدة (وَيُونُسَ وَلُوطًا) بن هاران أخى إبراهيم (وَكُلاًّ) منهم (فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) بالنبوة (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ) عطف على كلاًّ أو نوحا ومن للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد و بعضهم كان فى ولده كافر (وَاجْتَبَيْنَاهُمْ) اخترناهم (وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَٰلِكَ) الدين الذى هدوا إليه (هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا) فرضاً (لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (وَالْحُكْمَ) الحكمة (وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا) أى بهذه الثلاثة (هٰؤُلَاءِ) أى أهل مكة (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا) أرصدنا لها (قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) هم المهاجرون والأنصار (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى) هم (اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ) طريقهم ،

بهمز أوله وتركه وهو ابن ياسين بن فنحاص ابن عيزار بن هرون ابن عمران وهذا هو الصحيح فالصواب للمفسر حذف لفظة أخى (قوله واليسع) الجمهور على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء وقرئ بلام مشددة وياء ساكنة وهو ابن أخطوب ابن العجوز (قوله ويونس) هو ابن متى وهى أمه (قوله وكلا فضلنا على العالمين) أى على سائر الأولين والآخرين (قوله عطف على كلا) أى والعامل فيه فضلنا وقوله أو نوحا أى والعامل فيه هدينا والأقرب الأول (قوله ومن للتبعيض) هذا ظاهر فى الآباء والأبناء لا الاخوان فانهم كلهم مهديون (قوله لأن بعضهم لم يكن له ولد الخ) هذا تعليل لكون من للتبعيض وقد خصه المفسر بالذرية و يقال مثله فى الآباء . والحاصل أنه ذكر فى هذه الآيات من الأنبياء الذين يجب الايمان بهم تفصيلا ثمانية عشر ، و بقى سبعة وهم محمد صلى الله عليه وسلم و إدريس وشعيب وصالح وهود وذو الكفل وآدم فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين فى القرآن يجب الايمان بهم تفصيلا . و بقى ثلاثة مذكورون فى القرآن واختلف فى نبوتهم لقمان وذو القرنين والعزير من أنكر وجودهم كفر ومن أنكر نبوتهم لا يكفر (قوله الذى هدوا إليه) أى وهو التوحيد (قوله ولو أشركوا فرضا) أشار بذلك إلى أن الشرك مستحيل عليهم فلو غير مقتضية للوقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم (قوله أولئك) أى الأنبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر (قوله الحكمة) أى العلم النافع أو المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم (قوله فقد وكلنا) أى وفقنا وأعددنا للقيام بحقوقها وهذا تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا ضرر عليك لأننا قد وكلنا الخ وفى هذه وعد من الله بنصره و إظهار دينه (قوله ليسوا بها بكافرين) أى بل هم مستمرون على الايمان بها والمعنى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة فان من كفر منهم و باله على نفسه وأما آيات الله فقد جعل لها أهلا يؤمنون بها و يعملون بها إلى يوم القيامة .

(قوله من التوحيد الخ) دفع بذلك ما يقال إن هـذه الآية تقتضي أن رسول الله تابع لغيره من الأنبياء مع أن شرعه ناسخ لجميع الشرائع وأن كلهم ملتمسون منه . فأجاب بأن الاقتداء في التوحيد والصبر على الأذى لا في فروع الدين **(قوله وقفا ووصلا)** أما الوقف فظاهر وأما الوصل فاجراء له مجرى الوقف ، قال ابن مالك :

ور بما أعطى لفظ الوصل ما للوقف نثرا وفشا منتظما

(قوله الانس والجن) أى ففي الآية دليل على عموم رسالتـه للعالمين إلى يوم القيامة وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، و بيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه و إبراهيم صاحب كرم و بذل ومجاهدة في سبيل الله عزّ وجل واسحق و يعقوب وأيوب أصحاب صبر على البلاء والمحن وداود وسليمان أصحاب شكر على النعم و يوسف جمع بين الصبر والشكر وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا واسمعيل صاحب صدق الوعد ويونس صاحب تضرع وإخبات ثم إن الله أمر نبيه أن يقتدى بهم في جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا أنه أفضل الأنبياء لما اجتمع فيـه من هذه الخصال والله أعلم اهـ من الخازن لـكن قد يقال إن المزية لا تقتضي الأفضلية ولذا قال أشياخنا المحققون : إنه و إن كان جامعا لجميع ما تفرق في غيره فتفضيله من الله لا بتلك المزايا فقد فاقهم فضلا ومزايا .

تتمة : بين آدم ونوح ألف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سـنة وكان بين إدريس ونوح ألف سنة و بعث نوح لأربعين سـنة ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سـنة وقيل بعث نوح وهو ابن ثلثمائة وخمس وخمسين ، و إبراهيم ولد على رأس ألفي سنة من آدم و بينه و بين نوح عشرة قرون وعاش إبراهيم مائة وخمسا

من التوحيد والصبر (أَقْتَدِهْ) بهاء السكت وقفا ووصلا وفى قراءة بحذفها وصلا (قُلْ) لأهل مكة (لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى القرآن (أَجْرًا) تعطونيه (إِنْ هُوَ) ما القرآن (إِلَّا ذِكْرَى) عظة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن (وَمَا قَدَرُوا) أى اليهود (اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) أى ما عظموه حق عظمته أو ماعرفوه حق معرفته (إِذْ قَالُوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه فى القرآن (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ) لهم (مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى ، نورا

وسبعين سـنة وولده اسماعيل عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وأخوه اسحق ولد بعده بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة و يعقوب ابن اسحق عاش مائة وسبعا وأربعين و يوسف بن يعقوب بن اسحق عاش مائة وعشرين سنة و بينه و بين موسى أربعمائة سنة و بين موسى و إبراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة و بين موسى وداود خمسمائة وتسع وتسعون سنة وعاش مائة سنة وولده سليمان عاش نيفا وخمسين سنة و بينه و بين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف وسبعمائة سنة . وأيوب عاش ثلاثا وستين سنة وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير فى علم التفسير للسيوطى (قوله وما قدروا الله حق قدره) استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود وقدر من باب نصر يقال قدر الشىء إذا سبره وحزره ليعرف مقداره والمعنى لم يعترفوا بقدر الله وهذا الكلام إنما هو تنزل مع اليهود و إلا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته . واعلم أن هنا معنيين الأول أن معنى وما قدروا الله حق قدره أى ماعرفوه المعرفة التى تليق به وهذه لا يصل إليها أحد أبدا ففى الحديث «سبحانك ماعرفناك حق معرفتك يامعروف لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وهذا منتف فى حق كل مخلوق فلا خصوصية لليهود . الثانى أن معنى وما قدروا الله حق قدره أنهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ما أمروا به وهذا لم يقع من اليهود و إنما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا (قوله إذ قالو) إما ظرف لقدروا أو تعليل له (قوله وقد خاصموه فى القرآن) أى كفنحاص بن عازوراء ومالك بن الصيف فقد جاء يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى «أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين» أى العالم الجسيم وكان مالك المذكور كذلك وكان فيها ماذكر فقال نعم وكان يحب إخفاء ذلك لـكن أقر لاقسام النبى عليه السلام فقال له النبى أنت حبر سمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شىء فقال أصحابه الذين معه و يحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شىء فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبنى محمد فقلته فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله

نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ) بالياء والتاء فى المواضع الثلاثة (قَرَاطِيسَ) أى يكتبونه فى دفاتر مقطعة (يُبْدُونَهَا) أى ما يحبون إبداءه منها (وَيُخْفُونَ كَثِيراً) مما فيها كنعت محمد صلى الله عليه وسلم (وَعُلِّمْتُمْ) أيها اليهود فى القرآن (مَالَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ) من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه (قُلِ اللهُ) أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره . (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ) باطلهم (يَلْعَبُونَ . وَهٰذَا) القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَلِتُنْذِرَ) بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أى أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به (أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) أى أهل مكة وسائر الناس (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ) خوفا من عقابها (وَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً) بادعاء النبوة ولم ينبأ (أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ ،

غير الحق فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قوله نورا) حال إما من به والعامل فيها جاء أو من الكتاب والعامل فيه أنزل ومعنى نورا بينا فى نفسه وهدى مبينا لغيره وللناس متعلق بهدى (قوله يجعلونه) حال ثانية وجعل بمعنى صير فالهاء مفعول أول وقراطيس مفعول ثان على حذف مضاف أى ذا قراطيس أو فى قراطيس أو بولغ فيه (قوله بالياء والتاء) فعلى التاء يكون خطابا لليهود وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة (قوله فى المواضع الثلاثة) أى يجعلون و يبدون و يخفون (قوله مقطعة) أى مفصولا بعضها من بعض ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه (قوله و يخفون كثيرا) أى لم يظهروه بمعنى لم يكتبوه أصلا أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم وجعلوا ذلك سرا بينهم (قوله كنعت محمد) أى وكآية الرجم وآية إن الله يبغض الحبر السمين (قوله وعلمتم) يحتمل أن الخطاب لليهود كما قال المفسر وتكون الجملة حالية ، والمعنى تبدونها وتخفون كثيرا والحال أن محمدا أعلمكم فى القرآن بأشياء فى التوراة مالم تكونوا تعلمونها أنتم ولا آباؤكم ويحتمل أن الخطاب لقريش وتكون الجملة مستأنفة معترضة بين السؤال والجواب (قوله قل الله) يحتمل أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره أنزله وعليه درج المفسر وهو الأولى لأن السؤال جملة اسمية فيكون الجواب كذلك ويحتمل أنه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزله الله وقد صرح بالفعل فى قوله تعالى : ليقولن خلقهن العزيز العليم (قوله فى خوضهم) إما متعلق بذرهم أو بيلعبون ومعنى يلعبون يستهزئون و يسخرون (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وأنزلناه صفة أولى ومبارك صفة ثانية ومصدق الذى بين يديه صفة ثالثة (قوله القرآن) لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحا اللفظ المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ (قوله مبارك) أى كله خير لمن آمن به وشر على من كفر به ، ومن بركته بقاء الدنيا و إنبات الأرض و إمطار السماء ولذا إذا رفع القرآن تأتى ريح لينة فيموت بها كل مؤمن و يبقى الكفار فبقاء الخير فى الأرض مدة بقاء القرآن فيها (قوله مصدق الذى بين يديه) أى موافق للكتب التى قبله فى التوحيد والتنزيه والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للنبى وعلى الياء يكون الضمير عائدا على القرآن (قوله أى أنزلناه للبركة) هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق لأن تعليق الحكم به يؤذن بالعلية (قوله أى أهل مكة) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى أهل أم القرى وهى مكة (قوله وسائر الناس) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بمن حولها ما قاربها من البلاد بل المراد جميع البلاد لأن مكة وسط الدنيا واقتصر على الانذار لأنه هو الموجود فى صدر الاسلام إذ ليس ثم مؤمن يبشر (قوله والذين) مبتدأ و يؤمنون صلته و بالآخرة متعلق بيؤمنون وقوله يؤمنون به خبره ولم يتحد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة إيمانا معتدا به محصورون فى الذى يؤمن بالقرآن فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة لعدم إيمانهم بالقرآن (قوله وهم على صلاتهم يحافظون) جملة حالية من فاعل يؤمنون وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات (قوله خوفا من عقابها) أى الآخرة (قوله ومن أظلم) من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره وكذبا تمييز وأشار بقوله أى لا أحد إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله أو قال أوحى إلى) أو للتنويع والعطف مغاير وليس من عطف الخاص على العام ولا من عطف التفسير لأن ذلك لا يكون بأو .

(قوله ولم يوح إليه شئ) أى من قبل الله بل استهوته الشياطين وساب الله عقله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر: أنزلت علىّ سورة مثلها إنا أعطيناك المقعق فصلّ لربك وازعق إن شانئك هو الأبلق ، وغير ذلك من الخرافات التى قالها مسيلمة الكذاب فان الآية نزلت فيه كما قال المفسر ، وقد ورد أنه أرسل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا مع رسولين يذكر فيه : من عند مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فان الأرض بيننا نصفين ، فلما وصله الكتاب قال للرسولين أتشهدان له بالرسالة ؟ فقالا نعم فقال رسول الله لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما . وكتب له : من عند محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (قوله ومن من قال) قدّر المفسر من إشارة إلى أنه معطوف على المجرور بمن (قوله وهم المستهزئون) أى كعقبة ابن أبى معيط وأبى جهل وأضرابهما وما ذكره المفسر هو المشهور ، وقيل نزلت فى عبد الله بن أبى سرح كان من كتبة الوحى ثم ارتد وقال سأنزل مثل ماأنزل الله ثم رجع للإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبىّ صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقد دخل فى حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا فى أىّ زمان إلى يوم القيامة (قوله ولوترى) لوحوف شرط وجوابها محذوف قدّره المفسر فيما يأتى بقوله لرأيت أمرا فظيعا وترى بصرية ومفعولها محذوف تقديره الظالمين وإذ ظرف لترى ، والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم فى غمرات الموت الخ (قوله المذكورون) أى مسيلمة الكذاب والمستهزئون والأحسن أن يراد ماهو أعمّ (٣٠) (قوله فى غمرات) جمع غمرة من الغمر وهو الستر يقال غمره الماء إذا ستره

وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) نزلت فى مسيلمة (وَ) من (مَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) وهم المستهزئون قالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذِ الظَّالِمُونَ) المذكورون (فِي غَمَرَاتِ) سكرات (الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ) إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ) إلينا لنقبضها (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) بدعوى النبوة والإيحاء كذبا (وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون عن الإيمان بها ، وجواب لو ، لرأيت أمراً فظيعاً (وَ) يقال لهم إذا بعثوا (لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى) منفردين عن الأهل والمال والولد (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى حفاة عراة غرلا

سميت السكرة بذلك لأنها تستر العقل وتدهشه (قوله والملائكة باسطوا أيديهم) تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه لأن الكافر يكره لقاء الله فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرها . إن قلت إن المؤمن يكره الموت أيضا · أجيب بأن المؤمن وان أحب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما أعدّ الله له من النعيم الدائم ، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله . وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ماأعدّ له من العذاب الدائم يزداد كراهة فى الموت وعلى ذلك يحمل ماورد « من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (قوله يقولون لهم تعنيفا) أى لأن الانسان لايقدر على إخراج روحه وإنما ذلك لأجل تعنيفهم ، ويحتمل أن معنى أخرجوا أنفسكم نجوها من العذاب الذى حلّ بكم تهكما بهم (قوله اليوم) ظرف لقوله تجزون فالوقف تمّ على قوله أنفسكم وأل فى اليوم للعهد أى اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة والأحسن أن يراد ماهو أعمّ (قوله الهوان) أى الذل والصغار لاعذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين لأن كل عذاب يعقبه عفو فلايقال له هون وإنما يقال لعذاب الكافر (قوله بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية أى بسبب كونكم تقولون الخ (قوله بدعوى النبوّة الخ) هذا راجع لقوله : ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوقال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شئ (قوله وكنتم عن آياته تستكبرون) أى وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون وهو راجع لقوله : ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله ففيه لف ونشر مرتب وهذا باعتبار سبب النزول وإلا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت (قوله ويقال لهم) اختلف فى تعيين القائل فقيل الله سبحانه وقيل الملائكة ترجمانا عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم أولا (قوله فرادى) جمع فرد أوفريد أوفردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها (قوله حفاة عراة) أى وذلك عند الحساب فلاينافى أنهم يخرجون من القبور بالأكفان فاذا حشروا ودنت الشمس من الرءوس تطايرت الأكفان .

(قوله غرلا) بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة جمع أغرل كحمر جمع أحمر أى غير مقطوعين القلفة (قوله وتركتم ماخولناكم) الجملة حالية من فاعل جئتمونا وقوله : وراء ظهوركم متعلق بتركتم (قوله أى فى استحقاق عبادتكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين (قوله بينكم) على قراءة الرفع هو فاعل تقطع والبين بمعنى الوصل وهوالمراد هنا و يطلق ويراد منه البعد من باب تسمية الأضداد (قوله وفى قراءة بالنصب) أى وهى سبعية أيضا والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله شفعاءكم وشركاء لأن بين الشفيع والمشفوع له اتصال و بينكم ظرف له والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر أى وصلكم تفسير للضمير المستتر (قوله ما كنتم تزعمون) مااسم موصول فاعل ضل وكنتم تزعمون صلته والعائد محذوف تقديره وضل عنكم الذى كنتم تزعمونه شفيعا ونافعا (قوله إن الله فالق الحب) لما تقدم ذكرالتوحيد ومايتعلق به أتبعه بذكر مايدل على ذلك ، والمراد بالحب مالانوى له يرمى كالقمح والشعير والفول و بالنوى ضد الحب كالرطب والمشمش والنبق فانحصر مايخرج من الأرض فى هذين النوعين و إضافة فالق للحب يحتمل أنها محضة ففالق بمعنى فلق فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الأقرب و يحتمل أنها لفظية والمراد فالق فى الحال والاستقبال (قوله شاق) فسر الفلق بالشق لأنه المشهور فى اللغة ولأنه أقرب عبرة وأكثر فائدة . وقال ابن عباس : إن فالق بمعنى خالق (قوله عن النخل) مراده به كل ماله نوى (قوله يخرج الحي من الميت) يحتمل أنه خبر ثان لإن ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله

غرلا (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ) أعطيناكم من الأموال (وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) فى الدنيا بغير اختياركم (وَ) يقال لهم توبيخا (مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ) الأصنام (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ) أى فى استحقاق عبادتكم (شُرَكَاءُ) لله (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ) وصلكم أى تشتت جمعكم وفى قراءة بالنصب ظرف أى وصلكم بينكم (وَضَلَّ) ذهب (عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) فى الدنيا من شفاعتها (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ) شاق (الْحَبِّ) عن النبات (وَالنَّوَى) عن النخل (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ) الفالق المخرج (اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) مصدر بمعنى الصبح أى شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) تسكن فيه الخلق من التعب (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) بالنصب

والمراد بالحى كل ماينمو كان ذا روح أولا كالحيوان والنبات ، و بالميت مالاينمو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة فتسمية النبات حبا مجاز بجامع قبول الزيادة فى كل (قوله من النطفة والبيضة) لف ونشر مرتب وأدخلت الكاف جميع مايخرج من النطفة والبيضة لجميع الحيوانات لاتخلو عن هذين الشيئين لجميع الطيور من البيض وماعداها من النطفة (قوله ومخرج الميت من الحى) إنما عبر باسم الفاعل مع العطف إشارة إلى أنه كلام آخر معطوف على فالق وليس بيانا له و إلا لأتى بالفعل (قوله من الحي) أى كالانسان والطائر ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر فيخرج الحى كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس (قوله ذلكم الله) أتى بذلك و إن علم من قوله إن الله فالق لأجل الرد على : من كفر بقوله : فأنى تؤفكون (قوله فكيف تصرفون عن الايمان) أى لاوجه لصرفكم عن الايمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الأشياء فهو استفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله مصدر) أى لأصبح بمعنى الدخول فى الصباح وليس مرادا بل المراد الصبح نفسه فلذا فسره به حيث أطلق المصدر وهوالاصباح وأراد أثره وهو الصبح والاصباح بكسر الهمزة وقرئ شذوذا بفتحها وعليه يكون جمع صبح نحو قفل وأقفال و برد وأبراد وظاهر الآية مشكل لأن الانفلاق يكون للظلمة لاللصبح . وأجيب بأن الكلام على حذف مضاف والأصل فالق ظلمة الاصباح بمعنى الصبح أو يراد فالق الاصباح بمعنى عمود الصبح وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل ثم يعقبه الفجر الصادق فهو فالق الاصباح الأول عن ظلمة آخر الليل وعن بياض النهار أيضا و يفيد هذا المفسر أو يفسر فالق بخالق ، وسماه فلقا مشا كلة لما قبله وكل صحيح (قوله وهو أول مايبدو من النهار) أى وهو الفجر الكاذب (قوله عن ظلمة الليل) متعلق بشاق (قوله سكنا) أى محل سكون واستراحة (قوله تسكن فيه الخلق) أى جميعها حتى المياه والهوام .

(قوله عطفا على محل الليل) أى وهو النصب وحسبانا معطوف على سكنا ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جاعل والتقدير وجاعل الشمس والقمر حسبانا وذلك جائز باتفاق (قوله حسبانا) مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر (قوله حسابا للأوقات) أى ضبطا لها أى علامة ضبط لكن الشمس يتم دورانها فى سنة والقمر فى شهر وذلك لنفع العباد دينا ودنيا قال تعالى ـ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ـ (قوله أو الباء محذوفة) أى فهو منصوب بنزع الخافض (قوله وهو حال من مقدر) لوقال متعلق بمقدر لكان أحسن لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال على أن جاعل بمعنى خالق وأما إن جعل بمعنى مصير فهو مفعول ثان وهو اشارة لتقدير ثان فى الآية (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله العليم) أى ذى العلم التام (قوله وهو الذى جعل) أى خلق ولكم متعلق بجعل ولتهتدوا بدل من لكم بدل اشتمال فلم يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ونظيره قوله تعالى ـ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ، فلبيوتهم بدل من لمن يكفر باعادة العامل (قوله أنشأكم) إنما عبر به لموافقة ما يأتى فى قوله وأنشأنا من بعدهم وقوله وهو الذى أنشأ جنات (قوله هى آدم) أى فكل أفراد النوع الانسانى منه (قوله فمستقر) بالكسر اسم فاعل وصف والمعنى منكم من استقر فى الرحم وعبر فى جانبه بالاستقرار لأن زمن بقاء النطفة فى الرحم

عطفاً على محل الليل (حُسْبَانًا) حساباً للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أى يجريان بحسبان كما فى آية الرحمن (ذَلِكَ) المذكور (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) فى الأسفار (قَدْ فَصَّلْنَا) بينا (الْآيَاتِ) الدلالات على قدرتنا (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ) خلقكم (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) هى آدم (فَمُسْتَقَرٌّ) منكم فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعٌ) منكم فى الصلب وفى قراءة بفتح القاف أى مكان قرار لكم (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) ما يقال لهم (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) فيه التفات عن الغيبة (بِهِ) بالماء (نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) ينبت (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ) أى النبات شيئاً (خَضِرًا) بمعنى أخضر (نُخْرِجُ مِنْهُ) من الخضر (حَبًّا مُتَرَاكِبًا) يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها (وَمِنَ النَّخْلِ) خبر ويبدل منه (مِنْ طَلْعِهَا) أول ما يخرج منها ، والمبتدأ (قِنْوَانٌ) عراجين (دَانِيَةٌ) قريب بعضها من بعض

أكثر من زمن بقائها فى الصلب (قوله وفى قراءة بفتح القاف) أى وأما مستودع فليس فيه إلا فتح الدال لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شىء مودوع وهو النطفة وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب (قوله يفقهون) أى يفهمون الأسرار والدقائق وعبر هنا بيفقهون اشارة إلى أن أطوار الانسان وما احتوى عليه الانسان أمر خفى تتحير فيه الألباب بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد فعبر فيها بيعلمون (وقوله وهو الذى أنزل من السماء ماء) لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولا بالايجاد حيث قال وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة امتن ثانيا بانزال الماء الذى به حياة كل شىء ونفعه وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى ـ وفى السماء رزقكم ـ (قوله فيه التفات) أى ونكتته الاعتناء بشأن ذلك المخرج اشارة إلى أن نعمه عظيمة (قوله به) الباء للسببية (قوله فأخرجنا) بيان لما أجمل أولا (قوله خضرا) يقال خضر الشىء فهو خضر وأخضر كعور فهو عور وأعور وقدر المفسر شيئا اشارة إلى أن خضرا صفة لموصوف محذوف (قوله ومن النخل) شروع فى تفصيل حال الشجر بعد ذكر عموم النبات لمزيد الرغبة فيه (قوله ويبدل منه) أى بدل بعض من كل (قوله أول ما يخرج منها) أى قبل انفلاق الكيزان عنه فاذا انفلقت عنه سمى عذقا (قوله قنوان) جمع قنو كصنو وصنوان وهذا الجمع يلتبس بالمثنى حالة الوقف ويميز المثنى بكسر نونه والجمع بتوارد حركات الاعراب عليه وبالاضافة فتحذف نون المثنى دون الجمع فتقول هذان قنواك وفى الجمع هذه قنوانك وبالنسب فاذا نسبت إلى المثنى رددته إلى المفرد فقلت قنوى وإذا نسبت إلى الجمع أبقيته على حاله فقلت قنوانى (قوله عراجين) جمع عرجون قيل هى الشماريخ وقيل هى السبائط ولاشك أن الشماريخ قريب بعضها من بعض والسبائط كذلك : واعلم أن أطوار النخل سبع كالانسان يجمعها قولك طاب زبرت فأولها الطلع ثم الاغريض ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر وفى الحديث أكرموا عمتكم النخلة ولهذه الأمور قدم على ما بعده

(وَ) أخرجنا به (جَنَّاتٍ) بساتين (مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا) ورقهما حال (وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) ثمرهما (انْظُرُوا) يا مخاطبين نظر اعتبار (إِلَى ثَمَرِهِ) بفتح الثاء والميم و بضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب (إِذَا أَثْمَرَ) أول مايبدو كيف هو؟ (وَ) إلى (يَنْعِهِ) نضجه إذا أدرك كيف يعود (إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها فى الإيمان بخلاف الكافرين (وَجَعَلُوا لِلَّهِ) مفعول ثان (شُرَكَاءَ) مفعول أول ويبدل منه (الْجِنَّ) حيث أطاعوهم فى عبادة الأوثان (وَ) قد (خَلَقَهُمْ) فكيف يكونون شركاءه (وَخَرَقُوا) بالتخفيف والتشديد أى اختلقوا (لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) حيث قالوا: عزير ابن الله والملائكة بنات الله (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولدا، هو (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما من غير مثال سبق (أَنَّىٰ) كيف (يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ) زوجة (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ) وحدوه،

(قوله وجنات) معطوف على نبات من عطف الخاص على العام والنكتة مزيد الشرف لكونها من أعظم النعم وكذا قوله: والزيتون والرمان معطوفان على النبات ويكون قوله ومن النخل الخ معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه لاعتناء بشأن النخل لعظم منته و يصح عطف جنات على خضرا وهذا على قراءة الجمهور وقرى شذوذا برفع جنات والزيتون والرمان وخرّج على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات (قوله مشتبها) يقال مشتبه ومتشابه بمعنى (قوله نظر اعتبار) أى تتفكر فى مصنوعاته لتعلموا أن ربكم هو القادر المريد الخالق لما يشاء فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا (قوله وهو جمع ثمرة) أى المفتوح والمضموم وقوله كشجرة وشجر راجع للمفتوح وقوله وخشبة وخشب راجع للمضموم فهو لف ونشر مرتب (قوله و ينعه) مصدر ينع بكسر النون ينع بفتحها كتعب يتعب و يصح العكس وقرئ بضم الياء والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الثمر حيث يكون بعضه مرا و بعضه ملحا لاينتفع بشئ منه وانتهاؤه إذا نضج فانه يعود حلوا تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل (قوله إن فى ذلكم) الاشارة إلى جميع ماتقدم من قوله: إن الله فالق الحب والنوى إلى هنا (قوله لأنهم المنتفعون بها) أشار بذلك إلى أن ظهور الأدلة لاتفيد ولا تنفع إلا إذا كان العبد مؤمنا وأما من سبق له الكفر فلاتنفعه الآيات ولا يهتدى بها (قوله وجعلوا) الضمير لعبدة الأصنام وهذا اشارة إلى أنهم قابلوا نعم الله العظيمة بالاشراك (قوله مفعول ثان) هذه طريقة فى الاعراب وهناك طريقة أخرى وهى أن لله متعلق بمحذوف حال والجن مفعول أول مؤخر وشركاء مفعول ثان مقدم (قوله الجن) قيل المراد بهم الشياطين و إلى هذا يشير المفسر بقوله حيث أطاعوهم الخ وقيل المراد بهم نوع من الملائكة كانوا يعبدونهم لاعتقادهم أنهم بنات الله (قوله وخلقهم) الضمير يصح أن يكون عائدا على الجن وعليه المفسر ويصح أن يعود على الجميع والجملة حال من الجن ولذا قدر المفسر قد (قوله وخرقوا) الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركى العرب فاليهود والنصارى نسبوا له البنين ومشركو العرب نسبوا له البنات فالكلام على التوزيع (قوله اختلقوا) يقال اختلق وخلق وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب وقرئ شذوذا بالحاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لأن المحرف مزور مغير للحق بالباطل (قوله حيث قالوا عزير ابن الله) كان عليه أن يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون قالوا الملائكة بنات الله (قوله بديع السموات) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله أنى يكون له ولد) أنى منصوبة على التشبيه بالحال وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر و يصح أن تكون تامة وولد فاعلها والمعنى كيف يوجد له ولد والحال أنه لم تكن له صاحبة مع كونه الخالق لكل شئ (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك مايقال إن من جملة الشئ ذاته وصفاته فيقتضى أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل. فأجاب المفسر بأن ذلك عام مخصوص بما من شأنه أن يخلق وهو ماعدا ذاته وصفاته (قوله ذلكم) مبتدأ والله خبر أول وربكم خبر ثان ولا إله إلا هو خبر ثالث وخالق كل شئ خبر رابع وقوله فاعبدوه مفرع على ماذكر من هذه

الأوصاف فالمعنى أن المتصف بالألوهية الخالق لكل شيء هو أحق بالعبادة وحده فقوله حق كل شيء توطئة لقوله فاعبدوه وأما قوله وخالق كل شيء فهو رد لما زعموه من الولد له سبحانه وتعالى (قوله وهو على كل شيء وكيل) أى متصرف فى خلقه ومتولى أمورهم فالواجب قصر العبادة عليه وتفويض الأمور إليه (قوله لاتدركه الأبصار) جمع بصر وهو حاسة النظر أى القوة الباصرة ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحل (قوله وهذا مخصوص) أى نفى الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة لأن الفعل إذا دخل عليه النفى يكون من قبيل العام (قوله لرؤية المؤمنين) علة لقوله مخصوص وقوله لقوله تعالى علة للعلة (قوله ناضرة) أى قامت بها النضارة وهى البهجة والحسن وقوله ناظرة أى باصرة للذات المقدس (قوله ليلة البدر) أى ليلة أربعة عشر (قوله وقيل المراد الخ) أى وعلى هذا فالنفى باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبدا لافى الدنيا ولا فى الآخرة فلا ينافى أن المؤمنين يرونه فى الآخرة لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية أما النقلية فالكتاب والسنة والاجماع، والعقلية منها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز والمعلق على الجائز جائز ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى عليه السلام إذ لايجوز على النبى سؤال المحال إذ هو جهل ويستحيل على النبى الجهل ومنها أن يقال الله موجود وكل موجود يصح أن يرى فالله يصح أن يرى خلافا للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم إن الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائى بالمرئى فيلزم أن يكون المرئى جسما وتعالى الله عن الجسمية، ورد كلامهم بما علمت وبأن هذا التلازم عادى لاعقلى ويجوز تخلف العادة (قوله لاتحيط به) أى لاتبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر (قوله وهو يدرك الأبصار) فيه تفسيران أيضا: الأول يراها. الثانى يحيط بها على أسلوب ماتقدم (قوله ولا يجوز فى غيره الخ) أى لأن رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة وماجاز على أحد المثلين يجوز على الآخر (قوله أو يحيط بها علما) هذا هو التفسير الثانى (قوله وهو اللطيف) من لطف بمعنى احتجب فلا يحيط به بصر ولا بصيرة فهو راجع لقوله لاتدركه الأبصار وقوله الخبير راجع لقوله وهو يدرك الأبصار فهو لف ونشر مرتب وهذا هو المناسب هنا فقول المفسر بأوليائه يقتضى أن معنى اللطيف الرءوف المحسن وهو وإن كان مناسبا فى نفسه إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر فى الآخرة للمؤمنين وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة وأما رؤية قلوب العارفين له فى الدنيا بمعنى شهود القلب له فى كل شيء فهو جائز بل هو مطمح نظرهم وغاية مقصودهم ومنا هم قال العارف:

أثلنا مع الأحباب رؤيتك التى ... إليها قلوب الأولياء تسارع

وكذا رؤياه فى المنام (قوله بصائر) جمع بصيرة وهى النور الباطنى الذى ينشأ عنه العلوم والمعارف (قوله حجج) جمع حجة وهى الأدلة وسميت الحجج بصائر لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب (قوله فمن أبصرها) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف (قوله فلنفسه أبصر) قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلا ماضيا مؤخرا وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء بل المناسب تقديره اسما مبتدأ والجار والمجرور خبره والتقدير فإبصاره لنفسه وكذا يقال فى قوله ومن عمى فعليها (قوله لأن ثواب إبصاره) أى نفعه له فلا يعود على الله من الطاعة نفع ولايصل له من المعصية ضر (قوله ومن عمى عنها) أى عن البصائر بمعنى الحجج (قوله وكذلك نصرف الآيات) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات فى غير هذه السورة تصريفا مثل التصريف فى هذه السورة (قوله كما بينا ماذكر) أى الأحكام المذكورة

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حفيظ (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) أى لاتراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له فى الآخرة لقوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. وحديث الشيخين «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» وقيل المراد لاتحيط به (وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) أى يراها ولا تراه ولا يجوز فى غيره أن يدرك البصر وهو لايدركه أو يحيط به علما (وَهُوَ اللَّطِيفُ) بأوليائه (الْخَبِيرُ) بهم، قل يامحمد لهم (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ) حجج (مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ)ها فآمن (فَلِنَفْسِهِ) أبصر لأن ثواب إبصاره له (وَمَنْ عَمِيَ) عنها فضل (فَعَلَيْهَا) وبال إضلاله (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير (وَكَذَٰلِكَ) كما بينا ما ذكر (نُصَرِّفُ) :

(قوله نبين الآيات) هذا وعد من الله باكمال الدين وإظهاره فقد كان نزول قوله تعالى - اليوم أكملت لكم دينكم - من مبشرات الوفاة لرسول الله (قوله ليعتبروا) أى لتقوم بهم العبرة أى الاتعاظ فيميزوا الحق من الباطل وقدره المفسر لعطف قوله وليقولوا عليه (قوله فى عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام فى وليقولوا لام العاقبة والصيرورة نظير قوله تعالى - فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا - وقيل إن اللام للعلة حقيقة ، والمعنى نصرّف الآيات ليعتبر الذين آمنوا ويزدادوا بها إيمانا وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفرا ونظيره قوله تعالى - فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم (قوله دارست) كقاتلت من المدارسة ، والمعنى تذكرت مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص (قوله وفى قراءة درست) أى قرأت الكتب وبقى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى درست بفتح الدال والراء والسين أى عفت وبليت وتكررت على الأسماع (قوله وجئت بهذا منها) راجع لكل من القراءتين (ولنبينه) أى الآيات وذكر باعتبار معناها وهو القرآن (قوله اتبع ما أوحى إليك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله أخذ يسلى رسوله بقوله: اتبع أى دم على ذلك ولاتبال بكفرهم ولاتلتفت لقولهم ، وما اسم موصول والعائد محذوف ونائب فاعل أوحى ضمير مستتر عائد على ما و إليك متعلق بأوحى ومن ربك متعلق بمحذوف حال ومن لابتداء الغاية والتقدير اتبع الذى أوحى إليك هو أى القرآن حال كونه ناشئا وصادرا من ربك ويصح أن تكون مصدرية ونائب الفاعل هو الجار والمجرور والتقدير اتبع الايحاء الجائى إليك من ربك (قوله لا إله إلا هو) جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد (قوله وأعرض عن المشركين) أى لاتتعرض لهم ولاتقاتلهم وهذا على أنها منسوخة كما يأتى للمفسر وقيل إن الآية محكمة والمعنى لاتلتفت إلى رأيهم ولاتغتظ من أقوالهم وإشراكهم لأن ذلك بمشيئة الله ومثل ذلك يقال إذا أجمع خلق على ضلالة لايستطاع ردها ففى الحديث « إذا رأيتم الأمر لاتستطيعون رده

نبين (الآيَاتِ) ليعتبروا (وَلِيَقُولُوا) أى الكفار فى عاقبة الأمر (دَارَسْتَ) ذاكرت أهل الكتاب ، وفى قراءة درست أى كتب الماضين ، وجئت بهذا منها (وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . اتَّبِعْ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) رقيبا فتجازيهم بأعمالهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فتجبرهم على الإيمان ، وهذا قبل الأمر بالقتال (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ) هم (مِنْ دُونِ اللهِ) أى الأصنام (فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا) :

فاصبروا حتى يكون الله هو الذى يغيره» (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره عدم إشراكهم (قوله وما أنت عليهم بوكيل) تأكيد لما قبله أى لست حفيظا مراقبا لهم فتجبرهم على الايمان (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة واسم الاشارة عائد على قوله: وأعرض عن المشركين الخ (قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى - إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كثر سب المسلمين للأصنام فتحزب المشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لأصنامهم فنزلت الآية ، وقيل إن أباطالب حضرته الوفاة فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحى أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبى البخترى إلى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا وندعه وإلهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب إن هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك فقال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبى أرأيتم إن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطىّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هى فقال قولوا: لا إله إلا الله فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخى فقال ياعم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتونى بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا ولنسبن من يأمرك فنزلت (قوله الذين يدعون) أى يعبدون وقدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول يدعون محذوف (قوله فيسبوا الله) أى فيترتب على ذلك سب الله فسب الأصنام وإن كان جائزا إلا أنه عرض له النهى بسبب ما ترتب عليه من سب الله فى

الحقيقة النهي عن سب الله (قوله اعتداء) أشار بذلك إلى أن عدوا مصدر ويصح أن يكون حالا مؤكدة لأن السب لا يكون إلا عدوا (قوله أي جهلا منهم بالله) أي بما يجب في حقه (قوله كذلك زينا) نعت لمصدر محذوف أي زينا لهؤلاء أعمالهم تزيينا مثل تزييننا لكل أمة عملهم (قوله من الخير والشر) أشار بذلك إلى أن الآية ردّ على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشرور ولا القبائح (قوله ثم إلى ربهم مرجعهم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فأتوه (قوله وأقسموا) أي حلفوا (قوله غاية اجتهادهم) أي لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فإذا أرادوا تغليظ اليمين حلفوا بالله (قوله لئن جاءتهم آية) حكاية عنهم وإلا فلفظهم لئن جاءتنا آية (قوله مما اقترحوا) أي طلبوا وذلك أن قريشا قالوا يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى فائتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله أي شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله إن فعلت ما تقولون تصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يرضوا فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل وقال لك ما شئت إن شئت يصبح ذهبا ولكن إن لم يصدقوك لنعذبنهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله بل يتوب تائبهم فنزلت الآية. (قوله ليؤمنن بها) جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله قل إنما الآيات عند الله) أي لا عندي فالقادر على إنزالها هو الله وينزلها على حسب ما يريد (قوله وما يشعركم) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة يشعركم خبرها والكاف مفعول أول والثاني محذوف قدره المفسر بقوله بإيمانهم والخطاب للمؤمنين: أي وما يعلمكم أيها المؤمنون بإيمانهم وقوله إنها إذا جاءت بالكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من إيمان المشركين وتكذيب للمشركين في حلفهم (قوله أي أنتم لا تدرون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله وفي قراءة بالتاء) ظاهره أن هذه القراءة مع كسر إن وليس كذلك بل هي مع الفتح، فالمناسب تأخيرها عن قوله وفي أخرى بفتح أن فالقراءات ثلاث: الكسر مع الياء لا غير والفتح إما مع الياء أو التاء (قوله بمعنى لعلّ) أي ومجيء أن بمعنى لعلّ كثير شائع في كلام العرب والترجي في كلام الله مثل التحقيق فهي مساوية لقراءة الكسر (قوله أو معمولة لما قبلها) أي على أنها المفعول الثاني ولا إما صلة أو داخلة على محذوف والتقدير إذا جاءت لا تعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف والتقدير إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون وهو إخبار عن الكفار على قراءة الياء وخطاب لهم على قراءة التاء (قوله ونقلب أفئدتهم) استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره فمن أراد الله له الهدى حول قلبه له ومن أراد الله شقاوته حوّل قلبه لها (قوله كما لم يؤمنوا به) مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون والمعنى نحوّل قلوبهم عن الإيمان ثانيا كما حوّلناها أولا عند نزول الآيات لو نزلت أي فهم لا يؤمنون على كل حال (قوله ونذرهم) عطف على لا يؤمنون (قوله يعمهون) إما حال أو مفعول ثان لأن الترك بمعنى التصيير. وعمه من باب تعب إذا تردد متحيرا مأخوذ من قولهم أرض عمهاء إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة (قوله ولو أننا نزلنا) هذه زيادة في الرد عليهم وتفصيل لما أجمل في قوله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (قوله كما اقترحوا) أي طلبوا بقولهم: لولا أنزل علينا الملائكة، وقولهم: فائتوا بآبائنا.

اعتداء وظلماً (بِغَيْرِ عِلْمٍ) أي جهلا منهم بالله (كَذَٰلِكَ) كما زينا لهؤلاء ما هم عليه (زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) من الخير والشر فأتوه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ) في الآخرة (فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم به (وَأَقْسَمُوا) أي كفار مكة (بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أي غاية اجتهادهم فيها (لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ) مما اقترحوا (لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ، قُلْ) لهم (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) يدريكم بإيمانهم إذا جاءت أي أنتم لا تدرون ذلك (إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) لما سبق في علمي . وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار وفي أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ) نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه (وَأَبْصَارَهُمْ) عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ) أي بما أنزل من الآيات (أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ) نتركهم (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالهم (يَعْمَهُونَ) يترددون متحيرين (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ) كما اقترحوا (وَحَشَرْنَا) جمعنا (عَلَيْهِمْ ،

كل

(قوله كل شيء) أي من أصناف المخلوقات كالوحوش والطيور (قوله بضمتين جمع قبيل) أي كنصيب ونصب وقضيب وقضب (قوله أي فوجا فوجا) تفسير لقبيل وأما قبلا فمعناه أفواجا أفواجا وعلى هذه القراءة فنصب قبلا على الحال (قوله وبكسر القاف وفتح الباء) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي معاينة) أي فيقال فلان قبل فلان أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال أي معاينين ومشافهين لكل شيء وصاحب الحال الهاء في عليهم (قوله ما كانوا ليؤمنوا) جواب لو واللام في ليؤمنوا لام الجحود ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد لام الجحود وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلا للايمان (قوله إلا أن يشاء الله) قدر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع كما هو عادته وذلك لأن المشيئة ليس من جنس إرادتهم ، وقال بعضهم إن الاستثناء متصل والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله لهم بالايمان (قوله يجهلون ذلك) أي يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الايمان ولو لم تصحبه مشيئة الله وهو توبيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم إنه إذا جاءتهم الآيات يؤمنون مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم ومن هنا لاينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب (قوله وكذلك جعلنا) هذا تسلية لرسول الله على ماوقع منهم من العداوة والكاف داخلة على المشبه وهي بمعنى مثل . والمعنى مثل ماجعلنا لك أعداء من قومك جعلنا لكل نبي عدوا الخ فتسل ولا تحزن وجعل بمعنى صير فتنصب مفعولين الأول عدوا مؤخر والثاني لكل نبي مقدم وشياطين الانس والجن بدل وهذا مادرج عليه المفسر وقيل إن عدوا مفعول ثان وشياطين مفعول أول ولكل نبي متعلق بمحذوف حال من عدوا

كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) بضمتين جمع قبيل أي فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك (مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) لما سبق في علم الله (إِلَّا) لكن (أَنْ يَشَاءَ اللهُ) إيمانهم فيؤمنون (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) ذلك (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه (شَيَاطِينَ) مردة (الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي) يوسوس (بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ) مموهه من الباطل (غُرُورًا) أي ليغروهم (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) أي الايحاء المذكور (فَذَرْهُمْ) دع الكفار (وَمَا يَفْتَرُونَ) من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَلِتَصْغَىٰ) عطف على غرورا أي تميل (إِلَيْهِ) أي الزخرف (أَفْئِدَةُ) قلوب (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا) يكتسبوا (مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ) من الذنوب فيعاقبوا عليه . ونزل لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل بينه وبينهم حكما قل

(قوله لكل نبي) أي وإن لم يكن رسولا ولذا ورد أن الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا (قوله مردة) جمع مارد وهو المتمرد المستعد للشر وقدم شياطين الانس لأنهم أقوى في الايذاء . قال مالك بن دينار : إن شيطان الانس أشد علي من شيطان الجن وذلك إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني إلى المعاصي . وقال الغزالي : كن من شياطين الجن في أمان ، واحذر من شياطين الانس فان شياطين الانس أراحوا شياطين الجن من التعب وهذا على أن المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن ، وقيل إن الشياطين كلهم من إبليس وذلك أنه فرق أولاده فرقتين ففرقة توسوس للانس وتسمى شياطين الانس ، وفرقة توسوس لصحاء الجن وتسمى شياطين الجن وكل صحيح (قوله يوحي بعضهم) أي وهو شيطان الجن وقوله إلى بعض : أي وهو شيطان الانس قال تعالى ــ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ــ (قوله من الباطل) بيان لزخرف القول وأشار به إلى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطن (قوله أي ليغروهم) أشار بذلك إلى أن قوله غرورا مفعول لأجله (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم (قوله وما يفترون) ما اسم موصول أو نكرة موصوفة وجملة يفترون صلة أو صفة والعائد محذوف تقديره فذرهم والذي يفترونه أو مصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهي منسوخة (قوله عطف على غرورا) أي فاللام للتعليل وما بين الجملتين اعتراض والتقدير يوحي بعضهم إلى بعض للغرور ولتصغى (قوله وليرضوه) أي يحبوه لأنفسهم (قوله من الذنوب) بيان لما وقوله فيعاقبوا أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير وليقترفوا عقاب ماهم مقترفون (قوله لما طلبوا) أي قريش (قوله أن يجعل بينه وبينهم حكما) أي من أحبار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرهم بما في كتابهم من أوصاف النبي وأمره ،

(قوله أفغير الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أأميل لزخارفكم التى زينها الشيطان فغير الله أبتغى حكما وغير مفعول لأبتغى وحكما حال أو تمييز أو حكما مفعول وغير حال والحكم أبلغ من الحاكم لأن الحكم من تكرر منه الحكم وأما الحاكم فيصدق ولو بمرة أو لأن الحكم لايجور أصلا والحاكم قد يجور (قوله وهو الذى أنزل) الجملة حالية كأنه قال أفغير الله أطلب حكما والحال أن الله هو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا فالذى يشهد لى هو القرآن وأما الكتب القديمة فانها وإن كانت تشهد له أيضا لكن لما غيروا وبدلوا صارت غير معول عليها (قوله وأصحابه) أى ممن أسلم من علماء اليهود (قوله يعلمون أنه) أى الكتاب (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالحق) متعلق بمحذوف حال والتقدير أنه منزل من ربك حال كونه ملتبسا بالحق (قوله والمراد بذلك التقرير الخ) دفع بذلك مايقال إن الشك مستحيل على النبى فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضا بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترون فالخطاب له والمراد غيره (قوله وتمت كلمات ربك) أى القرآن وفيها قراءتان الجمع والافراد فالجمع ظاهر والافراد على إرادة الجنس والماهية وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين وهكذا كل ماقرىء بالجمع والافراد إلا موضعين أحدهما فى يونس فى قوله تعالى ـ إنّ الذين حقت عليهم كلمة ربك ـ وثانيهما فى غافر فى قوله تعالى ـ وكذلك حقت كلمة ربك ـ فاختلف فيها المصاحف فبعضهم بالتاء المجرورة وبعضهم بالتاء المربوطة (قوله بالأحكام والمواعيد) راجع لقوله صدقا

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِى) أطلب (حَكَمًا) قاضيا بينى وبينكم (وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ) القرآن (مُفَصَّلًا) مبينا فيه الحق من الباطل (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ) بالأحكام والمواعيد (صِدْقًا وَعَدْلًا) تمييز (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) بنقض أو خلف (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْعَلِيمُ) بما يفعل (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ) أى الكفار (يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) فى مجادلتهم لك فى أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَإِنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون فى ذلك (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فيجازى كلامنهم (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أى ذبح على اسمه (إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ.

ومالكم

وعدلا على سبيل اللف والنشر المشوش ولو أخره لكان أحسن والمعنى تمت كلمات ربك من جهة الصدق كالأخبار والمواعيد والعدل كالأحكام فلاجور فيها وهذا إخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل كما وقع فى الكتب المتقدمة وذلك سرّ قوله تعالى ـ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ـ وقوله تعالى ـ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ـ (قوله تمييز) أى على التوزيع أى صدقا فى مواعيده وعدلا فى أحكامه ويصح أن يكون حالا من ربك ويؤول المصدر باسم الفاعل أى حال كونه صادقا وعادلا (قوله لامبدل لكلماته) هذا كالتوكيد لقوله وتمت كلمات ربك وقوله بنقض أو خلف راجع لقوله صدقا وعدلا على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله أى الكفار) تفسير للأكثر (قوله إن يتبعون) قدر المفسر ما إشارة إلى أن إن نافية بمعنى ما (قوله إذ قالوا الخ) إشارة لسبب نزول هذه الآية ومابعدها وذلك أن المشركين قالوا للنبى أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت تزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتلها الكلب والصقر حلال وماقتله الله حرام فكيف تدعون أنكم تعبدون الله ولاتأكلون ماقتله ربكم فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم (قوله إلا يخرصون) الخرص فى الأصل الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة وقوله يكذبون سمى الخرص كذبا لأن فيه تتبع الظنون الكاذبة (قوله فى ذلك) أى فى قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (قوله أى عالم) دفع بذلك مايقال إن أفعل التفضيل بعض مايضاف إليه فأجاب بأن اسم التفضيل مؤول باسم الفاعل. وأجيب أيضا بأن قوله من يضل مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل أو منصوب بنزع الخافض والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد: وهو أعلم بالمهتدين (قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) هذا ردّ لقولهم المتقدم فان الميتة لم يذكر عليها اسم الله. واختلف فى طلب ذكر اسم الله فعند مالك الوجوب مع الذكر وعند الشافعى السنية ،

والمراد بذكر اسم الله هنا عدم ذكر اسم غيره كالاصنام ليدخل ما إذا نسى التسمية فانها تؤكل وسيأتى ايضاح ذلك (قوله ومالكم ألاتأكلوا) هذا تأكيد لإباحة ماذبح على اسم الله وما استفهام مبتدأ ولكم خبره والتقدير أى شىء ثبت لكم فى عدم أكلكم الخ (قوله وقد فصل) أى بين وميز والواو للحال (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان وبقى ثالثة وهى بناء الأول للفاعل والثانى للمفعول (قوله فى الفعلين) أى فصل وحرم (قوله فى آية حرمت عليكم الميتة) أى التى ذكرت فى المائدة. وفى المقام إشكال أورده فخر الدين الرازى وهو أن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنية من آخر القرآن نزولا بالمدينة . وأجيب بأن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام فى الترتيب لافى النزول فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة عليها لسبقية علم الله بذلك ، وقال بعضهم الأولى أن يقال وقد فصل لكم الخ أى فى قوله قل لاأجد فيما أوحى إلىّ محرما الآية وهذه وإن كانت مذكورة بعد إلا أنه لايمنع الاستدلال بها للاتحاد فى وقت النزول (قوله إلا مااضطررتم إليه) استثناء منقطع لأن ما اضطر إليه ليس داخلا فى المحرم (قوله فهو أيضا حلال لكم) أى وهل يشبع ويتزود منها أو يقتصر على مايسد الرمق خلاف بين العلماء (قوله المعنى لامانع الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله وهذا ليس منه) أى من المحرم وأما مالم ينص على حرمته ولاحله فهو من قبيل الحل لأنه ذكر أشياء واستثنى الحرام منها فالحرام معدود معروف فمثل القهوة والدخان غير محرم إلا أن يطرأ له مايحرمه كالاسراف وتغييب العقل . وحاصل ذلك أن يقال إن اعتاد ذلك وصار دواء له فهو جائز لكن بقدر الضرورة وإن كان يضر جسمه أو يسرف فيه فهو حرام وإن اشتغل

وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) من الذبائح (وَقَدْ فُصِّلَ) بالبناء للمفعول وللفاعل فى الفعلين (لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) فى آية : حرمت عليكم الميتة (إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) منه فهو أيضا حلال لكم ، المعنى لا مانع لكم من أكل ماذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه (وَإِنَّ كَثِيراً لَيَضِلُّونَ) بفتح الياء وضمها (بِأَهْوَائِهِمْ) بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بِغَيْرِ عِلْمٍ) يعتمدونه فى ذلك (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) المتجاوزين الحلال إلى الحرام (وَذَرُوا) اتركوا (ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) علانيته وسره والاثم قيل الزنا وقيل كل معصية (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ) فى الآخرة (بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) يكتسبون (وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) بأن مات ،

به عن عبادة مندوبة فهو مكروه فكثرته إما حرام أو مكروه (قوله بفتح الياء) أى من ضل اللازم بمعنى قام به الضلال فى نفسه وقوله وضمها أى من أضل الرباعى بمعنى أوقع غيره فى الضلال (قوله بأهوائهم) الباء سببية وفى قوله بغير علم متعلق بمحذوف حال والمعنى يضلون فى أنفسهم أو يوقعون غيرهم فى الضلال بسبب اتباعهم هواهم ملتبسين بغير علم (قوله وغيرها) أى كالدم ولحم الخنزير إلى آخر ماذكر فى آية المائدة (قوله إن ربك هو أعلم بالمعتدين) أى فيجازيهم على اعتدائهم (قوله وذروا) الأمر للمكلفين من الانس والجن وهو للوجوب (قوله علانيته وسره) لف ونشر مرتب (قوله قيل الزنا) أى وكان العرب يحبونه وكان الشريف منهم يستحى من إظهاره فيفعله سرا وغير الشريف لايستحى من ذلك فيظهره فأنزل الله تحريمه ظاهرا وباطنا (قوله وقيل كل معصية) أى فالظاهر منها كالزنا والسرقة وبقية معاصى الجوارح الظاهرية والباطن منها كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصى القلبية وهذا التفسير هو الأقرب وإن كان الأول موافقا لسبب النزول لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله سيجزون فى الآخرة) أى بالعذاب الدائم إن كان مستحلا أو بالعذاب مدة ويخرج إن لم يكن مستحلا ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه فان تاب الكافر قبل قطعا وإن تاب المسلم فقيل كذلك وقيل تقبل ظنا . إن قلت لأى شىء اختلف فى توبة المسلم دون الكافر . أجيب بأن رحمة الله سبقت غضبه فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر لكان مخلدا فى النار مع أن رحمته غلبت غضبه . وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة فلو لم يقبل توبته وعذبه فلابد له من الرحمة انتهاء غاية ماهناك عذابه تطهير له (قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) اختلف فى تفسير هذه الآية فقال بعض المجتهدين غير الأربعة الآية عامة فى كل شىء فأى شىء لم يذكر اسم الله عليه لايجوز أكله ، وقال بعضهم الآية مخصوصة بالذبيحة فمتى ترك التسمية عمدا أو نسيانا لا تؤكل ذبيحته ، وقال بعضهم إن تركها عمدا لا تؤكل وإن تركها نسيانا

أو عجزا كخرس أكلت وبه قال مالك وأبو حنيفة، وقال بعضهم التسمية سنة فإن تركها عمدا أو نسيانا أكلت وبه قال الإمام الشافعي، وعن الامام أحمد روايتان الأولى يوافق فيها مالكا والثانية يوافق فيها الشافعي إذا علمت ذلك فحمل الآية ماأهلّ به لغير الله فقط لأنه المفسر به الفسق فيما يأتي في قوله تعالى ـ أو فسقا أهل لغير الله به ـ وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الوضع وحملها المفسر عليهما معا وهما طريقتان (قوله أو ذبح على اسم غيره) أي وإن لم يذكر اسم غير الله وأما الكتابي إذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره فإنها تؤكل فإن جمع الكتابي بين اسم الله واسم غيره أكلت ذبيحته عند مالك لأن اسم الله يعلو ولا يعلى عليه وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته (قوله وعليه الشافعي) أي فالتسمية عنده سنة (قوله أي الأكل منه) أي المفهوم من لا تأكلوا على حدّ اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل المفهوم من اعدلوا (قوله وإن الشياطين) أي إبليس وجنوده من الجنّ (قوله الكفار) أي وهم شياطين الانس (قوله ليجادلوكم) تعليل ليوحون، وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال الله قتلها، قالوا تزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الله حرام فنزلت (قوله إنكم لمشركون) أي لأن من أحلّ شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحلّ الله فهو مشرك لأنه أثبت حاكما غير الله ولا شك أنه إشراك (قوله وغيره) أي كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر أو النبي صلى الله عليه وسلم ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم. وسبب نزولها على القول بأنها في أبي جهل وحمزة أن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر حمزة بما فعل أبوجهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يكن مؤمنا إذ ذاك فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألا ترى ماجاء به سفه عقولنا وسبّ آلهتنا وخالف آباءنا، فقال حمزة ومن أسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فأسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية (قوله أو من كان ميتا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أيستويان ومن كان ميتا الخ ومن اسم شرط مبتدأ وكان فعل الشرط واسمها مستتر وميتا خبرها وقوله فأحييناه جواب الشرط وقوله كمن مثله خبر المبتدأ (قوله بالهدى) أي الايمان (قوله مثل زائدة) أي لأن المثل هو الصفة والمستقر في الظلمات ذواتهم لاصفاتهم (قوله ليس بخارج منها) هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأسا ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ (قوله لا) أي لايستويان وأشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري (كما زين للمؤمنين الايمان) أي لقوله تعالى ـ ولكنّ الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم ـ (قوله زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي والمزين لهم حقيقة هو الله ويصح نسبة التزيين إلى الشياطين من حيث الاغواء والوسوسة (قوله وكذلك) الكاف اسم بمعنى مثل، والمعنى ومثل ماجعلنا في مكة كبراءها وعظماءها المجرمين جعلنا في كل قرية كبراءها وعظماءها مجرميها، فذلك سنة الله أنه جعل أوّل من يقتدي بالرسل الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء ليكون عز الرسل بربهم ظاهرا وباطنا وكل آية وردت في ذمّ الكفار تجرّ بذيلها على عصاة الأمة فإن المباشر للظلم والفجور أكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد (قوله فساق مكة) هو معنى مجرميها وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول أوّل مؤخر وأكابر مفعول ثان مقدم وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا وهوأحد أعاريب أربعة

أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمداً أو نسياناً فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وَإِنَّهُ) أي الأكل منه (لَفِسْقٌ) خروج عما يحل (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ) يوسوسون (إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) الكفار (لِيُجَادِلُوكُمْ) في تحليل الميتة (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) فيه (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) ونزل في أبي جهل وغيره (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً) بالكفر (فَأَحْيَيْنَاهُ) بالهدى (وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان (كَمَنْ مَثَلُهُ) مثل زائدة أي كمن هو (فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) وهو الكافر، لا (كَذَٰلِكَ) كما زين للمؤمنين الإيمان (زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الكفر والمعاصي (وَكَذَٰلِكَ) كما جعلنا فساق مكة أكابرها (جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا،

ليمكروا

الثانى أن قوله فى كل قرية مفعول ثان مقدم وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لمجرميها وأخر المفعول الأول لأن فيه ضميرا يعود على المفعول الثانى فلو قدّم لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، وقد أشار ابن مالك لذلك بقوله :

كذا إذا عاد عليه مضمر ... مما به عنه مبينا يخبر

فيصير المعنى وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين فى كل قرية . الثالث أن فى كلّ قرية مفعول ثان وأكابر مفعول أوّل ومجرميها بدل من أكابر ولم يضف لئلا يلزم عليه إضافة الصفة للموصوف وهو لايجوز عند البصريين . الرابع أن أكابر مفعول أوّل مضاف لمجرميها وفى كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا والمفعول الثانى محذوف تقديره فساقا وردّ بأن هذا التقدير لافائدة فيه ولاحوج له فالأحسن الثلاثة الأول (قوله ليمكروافيها) اللام إمالام العاقبة والصيرورة نظير ـ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاوحزنا ـ أولام العلة بمعنى الحكمة ، وأماقولهم تنزه الله عن العلة فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به ، وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها سبحانك ماخلقت هذا عبثا والمكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور وترويج الباطل وهذه الأشياء لا تقبل عادة إلا من الكبراء (قوله بالصدّ عن الايمان) أى لما ورد أن كلّ طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة يصرفون الناس عن الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن (قوله لأن وباله عليهم) أى وبال مكرهم لاحق بهم. قال تعالى ـ ولايحيق المكر السيئ إلا بأهله ـ وقال أيضا ـ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله ـ الآية (قوله وما يشعرون بذلك) أى لم يعلموا بأن وباله عليهم (قوله وإذا جاءتهم آية) نزلت فى الوليد بن المغيرة حيث قال للنبى : لو كانت النبوّة حقا لكنت أنا أولى بها منك لأنى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا ، وقيل فى أبى جهل حيث قال : زاحمنا بنوعبد مناف فى الشرف حتى إذاصرنا كفرسى رهان قالوامنا نبى يوحى إليه

لِيَمْكُرُوا فِيهَا) بالصدّ عن الإيمان (وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ) لأن وباله عليهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ) أى أهل مكة (آيَةٌ) على صدق النبى صلى الله عليه وسلم (قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ) به (حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ) من الرسالة والوحى إلينا لأنا أكثر مالاً وأكبر سنا ، قال تعالى (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ) بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أى يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) بقولهم ذلك (صَغَارٌ) ذلّ (عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) أى بسبب مكرهم (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ ،

والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا إلاأن يأتينا وحى كما يأتيه (قوله آية) أى معجزة كانشقاق القمر وحنين الجذع ونبع الماء (قوله لن نؤمن) أى نصدق برسالته (قوله مثل ما أوتى رسل الله) قال بعضهم: يسنّ الوقف عليه هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين ، وذكر بعضهم له دعاء مخصوصا وهو : اللهم من الذى دعاك فلم تجبه ومن الذى استجارك فلم تجره ومن الذى سألك فلم تعطه ومن الذى استعان بك فلم تعنه ومن الذى توكل عليك فلم تكفه ياغوثاه ياغوثاه ياغوثاه بك أستغيث أغثنى يامغيث واهدنى هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين اهـ (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله لفعل دلّ عليه أعلم) دفع بذلك مايقال مع أن حيث مفعول به وليست ظرفا لأنها كناية عن الذات التى قامت بها الرسالة واسم التفضيل لاينصب المفعول به فأجاب بما ذكر . وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤوّل باسم الفاعل وهذا أولى لأن مالاتقدير فيه خير مما فيه تقدير وأيضا يدفع توهم المشاركة بين علم القديم والحادث ، والحاصل أن اسم التفضيل فى أسماء الله وصفاته كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابه (قوله الموضع الصالح لوضعها فيه) أى الذات التى تستحق الرسالة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله الذين أجرموا) أى وماتوا على الكفر (قوله صغار) كسحاب مصدر صغر كتعب معناه الذل والهوان ، وأما الصغر ضدّ الكبر فيقال فيه صغر بالضم كعظم فهو صغير (قوله عند الله) إماظرف ليصيب أولصغار والعندية مجازية كناية عن الحشر والوقوف بين يديه والحساب والجزاء (قوله أى بسبب مكرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية ومامصدرية (قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره) اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل خلقه فى الأزل قسمين شقى وسعيد وجعل لكلّ علامة تدل عليه فعلامة السعادة شرح الصدر للاسلام وقبوله لمايرد عليه من النور والأحكام وعلامة الشقاوة ضيق الصدر وعدم قبوله لذلك ، وجعل لكل قسم فى الآخرة دارا يسكنونها فلأهل السعادة الجنة ونعيمها ولأهل الشقاوة

النار وعذابها لما فى الحديث « إن الله خلق خلقا وقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وخلق خلقا وقال هؤلاء للنار ولا أبالى » فذكر فى هذه الآية علامة كل قسم فاذا رزق الله العبد شرح الصدر وأسكنه حلاوة الايمان فليعلم أن الله أعظم عليه النعمة :

* و بضدها تتميز الأشياء

ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويشرح جوابه (قوله يهديه) أى يوصله للمقصود وليس المراد الدلالة لأنها هى شرح الصدر (قوله يشرح صدره) الشرح فى الأصل التوسيع والمراد هنا لازمه وهو أن يقذف الله فى قلب الشخص النور حتى تكون أحواله مرضية لله لأنه يلزم من الوسع قبول ما يحل فيه (قوله كما ورد فى حديث) أى وهو أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال « هو نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفتح ، قيل فهل لذلك أمارة ؟ قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت » وفى رواية « قبل لقى الموت » (قوله ومن يرد أن يضله) أى يمنعه عن الوصول ويسكنه دار العقاب ويطرده عن رحمته ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويجعل جوابه وجعل بمعنى صير فصدره مفعول أول وضيقا مفعول ثان وحرجا صفته ، والمعنى أن من أراد الله شقاوته وطرده عن رحمته ضيق قلبه فلا يقبل شيئا من أصول الاسلام ولا من فروعه ولو قطع إربا إربا وعلامة ذلك إذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز وإن نطق بلسانه كأهل النفاق . قال تعالى ـ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ـ الآية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى كميت وميت قراءتان سبعيتان (قوله شديد الضيق) أى زائده فلا يقبل شيئا من الهدى أصلا (قوله بكسر الراء صفة) أى اسم

فاعل كفرح فهو فرح (قوله وصف به مبالغة) أى أو على حذف مضاف : أى

يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) بأن يقذف فى قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد فى حديث (وَمَنْ يُرِدْ) الله (أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا) بالتخفيف والتشديد عن قبوله (حَرِجًا) شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ) وفى قراءة يصاعد وفيهما إدغام التاء فى الأصل فى الصاد وفى أخرى بسكونها (فِى السَّمَاءِ) إذا كلف الايمان لشدته عليه (كَذَٰلِكَ) الجعل (يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ) العذاب أو الشيطان أى يسلطه (عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَهَٰذَا) الذى أنت عليه يا محمد (صِرَاطُ) طريق (رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة (قَدْ فَصَّلْنَا) بينا (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال أى يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون

ذا حرج على حد زيد عدل (قوله كأنما يصعد) أى يتكلف الصعود فلا يستطيعه (قوله وفيهما إدغام التاء فى الأصل) أى بعد قلبها صادا فأصل الأولى يتصعد وأصل الثانية يتصاعد وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقا وكسر راء حرجا أو فتحها ، وأما قوله وفى أخرى بسكونها فهى قراءة من خفف ضيقا وفتح حرجا فالمخفف للمخفف والمشدد للمشدد (قوله لشدته عليه) (لم
أى لتعسر الايمان عليه فان القلب بيد الله يسكن فيه أى الأمرين شاء وليس مملوكا لصاحبه وحينئذ فلا ينبغى له أن يأمن لما هو فى قلبه من الايمان ومحبة الله ورسوله ، ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ وبقوله ـ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ـ الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك » ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا إلى علم ولا عمل لما علموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الايمان ولكن شأن الكريم إن من تمم لأنه وعد منه وهو لا يخلف (قوله أى يسلطه) أى الشيطان وهو تفسير الجعل على التفسير الثانى ، وأما تفسيره على الأول فمعناه يلقى ويصيب (قوله الذى أنت عليه) أى وهو الاسلام (قوله صراط ربك) شبه دين الاسلام بالصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية (قوله ونصبه على الحال المؤكدة للجملة) المناسب أن يقول المؤكدة لصراط لأن الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر قال ابن مالك :

وإن تؤكد جملة فمضمر عاملها ولفظها يؤخر

فينافيه قوله والعامل فيها معنى الاشارة (قوله معنى الاشارة) المناسب أن يقول والعامل فيها اسم الاشارة باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو أشير (قوله فيه إدغام التاء فى الأصل) أى بعد قلبها ذالا (قوله وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون) أى المؤتمرون بأمره المنتهون بنهيه وهم الصالحون المتقون فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبى بدليل هذه الآية وآية ـ الله نزل أحسن

الحديث كتابا متشابها ـ ولاعبرة بمن يقول عدمت الصالحون وربما قال أنا لم أر أحدا منهم ، فقد قال ابن عطاء الله : أولياء الله عرائس مخدرة ولايرى العرائس المجرمون (قوله لهم دار السلام) الجار والمجرور خبر مقدم ودار السلام مبتدأ مؤخر والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره وماجزاء من ينتفع بالذكرى فأجاب بقوله ـ لهم دار السلام ـ ويحتمل أن يكون حالا من القوم أو صفة لهم ، والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون حال كونهم لهم دار السلام أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام (قوله أى السلامة) أى من جميع المخاوف والمكاره لأن بدخولها يحصل الأمن التام من جميع المكاره حتى الموت ويصح أن المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة . قال تعالى ـ تحيتهم فيها سلام ـ وقال ـ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ـ وقال ـ لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما ـ (قوله وهى الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بدار السلام ما يعم باقى الجنان ، وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام (قوله عند ربهم) العندية عندية شرف بمعنى أنها منسوبة لله خاصة وليس لأحد فيها منة أوالمعنى أن من دخلها كان فى حضرة ربه لايشهد شيئا سواه ولايحجب بنعيمها عن مولاه بل كلما ازداد من الجنة نعيما ازداد قربا من الله وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا إذا اشتغل بشىء من زينتها بعد عن الله فكلما ازداد فيها شغلا ازداد بعدا عن الله فلايخلص منها إلا من جاهد نفسه وخرج عن هواه (قوله وهو وليهم) الجملة حالية ، والمعنى ناصرهم ومتولى أمورهم ، وقوله بما كانوايعملون الباء سببية ومامصدرية ، والتقدير بسبب عملهم السابق تولاهم وأدخلهم حضرة قربه (قوله ويوم نحشرهم) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى الله) تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على القراءة الأخرى

(لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ) أى السلامة وهى الجنة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) بالنون والياء أى الله الخلق (جَمِيعاً) ويقال لهم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) باغوائكم (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ) الذين أطاعوهم (مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات ، والجن بطاعة الإنس لهم (وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا) وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم (قَالَ) تعالى لهم على لسان الملائكة (النَّارُ مَثْوَيكُمْ) مأواكم (خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ) من الأوقات التى يخرجون فيها ،

(قوله الخلق) أى جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم (قوله جميعا) توكيد للضمير أو حال منه (قوله يامعشر الجن) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقال لهم وليس معمولا لنحشرهم بل هما جملتان وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق فى الموقف وتصيير غير العاقل ترابا ، وقوله يا معشر الجن المعشر الجماعة والجمع معاشر ، والمراد بالجن الشياطين (قوله قد استكثرتم) السين والتاء لتأكيد الكثرة (قوله باغوائكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير قد استكثرتم من إغواء الانس (قوله وقال أولياؤهم من الانس) لعل وجه الاقتصار على كلام الانس الاشارة إلى أن الجن بهتوا فلم يردوا جوابا ، وقوله من الانس فى محل نصب على الحال (قوله ربنا) منادى حذف منه حرف النداء (قوله انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات) أى التى تنوعت فيها الانس من سحر وكهانة ودعوى ألوهية ودعوى نبوة وسائر الأديان والعقائد الباطلة ، ومن ذلك كان الرجل فى الجاهلية إذا سافر فنزل بأرض قفراء خاف على نفسه من الجن فقال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى جوارهم (قوله بطاعة الانس لهم) أى فى هذه الأمور المزينة ، فاستمتاع الجن بالانس بالسلطنة التى تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم وكانوا من حزبهم ودخلوا فى جاههم (قوله الذى أجلت لنا) أى الذى قدرته لنا (قوله وهذا تحسر منهم) أى ما وقع منهم من تلك المقالة تحسر وتحزن على ماسلف منهم من طاعة الشيطان واتباع الهوى (قوله على لسان الملائكة) مرور على القول بأن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلا (قوله خالدين فيها) حال من الكاف فى مثواكم (قوله من الأوقات التى يخرجون فيها) تبع المفسر فى ذلك شيخه الجلال المحلى فى تفسير سورة الصافات وهو مخالف لظاهر قوله تعالى ـ يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ـ والأحسن أن يقال إلا ما شاء الله من الأوقات التى ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير فينقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير ، وهو شدة البرد ما يقطع بعضهم من بعض ، فيطلبون الرد إلى الجحيم كما ذكر فى حواشى البيضاوى .

(قوله لشرب الحميم) أى وهو ماء شديد الحرارة يقطع الأمعاء وذلك حين يستغيثون من شدة حر النار يطلبون الماء ليبرد عنهم تلك الحرارة قال تعالى : وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه (قوله وعند ابن عباس الخ) أى فيحمل على من مات مؤمنا وهو مصر على المعاصى ونفذ فيه الوعيد ويكون المراد من النار دار العذاب وإن لم تكن دار خلود لجهنم لعصاة المؤمنين (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشىء فى محله (قوله عليم بخلقه) أى فيجازى كلا على عمله (قوله نولى) أى نسلط ونؤمر (قوله بما كانوا يكسبون) الباء سببية ومامصدرية . والمعنى كما متعنا الانس والجن بعضهم ببعض نسلط بعض الظالمين على بعض بسبب كسبهم من المعاصى فيؤخذ الظالم بالظالم لما فى الحديث «ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما» ولما فى الحديث أيضا «كما تكونوا يولى عليكم» ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيبلى بظالم

(قوله يامعشر الجن والانس) هذا زيادة فى التوبيخ عليهم لأن الله سبحانه وتعالى أوّلا وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجن وثانيا خاطبهم جميعا ووبخهم (قوله أى من مجموعكم) دفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية يقتضى أن من الجن رسلا مع أن الرسالة مختصة بالانس فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل . فأجاب بأن المراد من مجموعكم الصادق بالانس ، ونظير ذلك قوله تعالى : يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، أى من أحدهما وهو الملح وقوله تعالى : وجعل القمر فيهن نورا أى فى إحداهن وهى سماء الدنيا (قوله أو رسل الجن نذرهم) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو تسليم أن هناك رسلا من الجن لكنهم رسل الرسل الذين يسمعون من النبى المواعظ والأحكام ويبلغون قومهم ذلك قال تعالى : وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين الآية وقال تعالى : قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد الآيات

لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال : ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم . وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى من (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (وَكَذَٰلِكَ) كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض (نُوَلِّى) من الولاية (بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) أى على بعض (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) أى من مجموعكم أى بعضكم الصادق بالإنس أو رسل الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم (يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا) أن قد بلغنا ، قال تعالى (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) فلم يؤمنوا (وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ . ذَٰلِكَ) أى إرسال الرسل (أَن) اللام مقدرة وهى مخففة أى لأنه (لَّمْ يَكُن ر بك

فيكون المعنى على ذلك ألم يأتكم رسل منكم أى من الانس يبلغونكم عن الله ومن الجن يبلغونكم عن الرسل ، والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرسل لهم غيره ، وأما حكم سليمان فيهم فحكم سلطنة وملك لاحكم رسالة ، وأما قوله تعالى حكاية عن الجن : ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى فلايلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه أن يكونوا مكلفين به (قوله يقصون عليكم آياتى) القص معناه الحديث أى يحدثونكم بآياتى على وجه البيان (قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوفونكم يوم القيامة ، والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله التى توجب الخوف يوم القيامة (قوله أن قد بلغنا) يصح بناؤه للفاعل والمفعول (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) عطف سبب على مسبب أو علة على معلول (قوله وشهدوا على أنفسهم) كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به فأوّلا شهدوا بتبليغ الرسل لهم وثانيا شهدوا بكفرهم زيادة فى التقبيح عليهم ، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به والتحذير من فعل مثل ذلك . إن قلت إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقروا به وهومناف لقوله تعالى : والله ربنا ما كنا مشركين . أجيب بأن مواقف القيامة مختلفة فأوّلا حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم ويمشون على الصراط لدخول الجنة ينكرون الاشراك طمعا فى دخولهم فى زمرة المؤمنين ، فحينئذ يختم على أفواههم وتنطق أعضاؤهم قهرا عليهم وتقر بالكفر (قوله ذلك أن لم يكن) اسم الاشارة مبتدأ وأن لم يكن خبره واللام محذوفة وأن مخففة من من الثقيلة واسمها ضمير الشأن كما قال المفسر والتقدير ذلك ثابت لأنه لم يكن الخ

(قوله لم يكن ربك مهلك القرى) أى لغلبة رحمته لاينزل العذاب على من خالف وعصى حتى يتكرر عليهم الإنذار والتخويف (قوله بظلم منها) الباء سببية وقدّر المفسر قوله منها إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى ، والمعنى لم يكن مهلك أهل القرى بسبب وقوع ظلم منها والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول (قوله من العاملين) أى طائعين أوعاصين (قوله جزاء) دفع بذلك مايقال إن الدرجات بالجيم للطائعين فينافى العموم المتقدم . فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء وهو صادق بالدرجات والدركات . وأجيب أيضا بأن فى الكلام اكتفاء أى ودركات على حدّ سرابيل تقيكم الحرّ أى والبرد (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وربك الغنى) هذا مرتب على ماقبله جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لامفرّ لهم منه فما وجه إمهالهم وعدم تعجيل ذلك لهم ؟ . فأجاب بأنه الغنى فلاينتفع بطاعة الطائع ولاتضرّه معصية العاصى وربك مبتدأ والغنى خبره وذوالرحمة خبر ثان ويصح أن يكون الغنى وذوالرحمة صفتين له وجملة إن يشأ يذهبكم خبره (قوله ذوالرحمة) أى ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم (قوله بالاهلاك) أى جملة واحدة بحيث لم يبق منهم أحد كعاد وثمود (قوله ويستخلف من بعدكم مايشاء) أى ينشئ ويوجد بعد إذهابكم مايشاء (قوله من ذرّية قوم آخرين) أى وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم (قوله ولكنه أبقاكم رحمة لكم) أى لوجود نبيكم لأنه بعث رحمة لاعذابا (قوله من الساعة) بيان لما (قوله لآت) خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء

ربك مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ) منها (وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) لم يرسل إليهم رسول يبين لهم (وَلِكُلٍّ) من العاملين (دَرَجَاتٌ) جزاء (مِمَّا عَمِلُوا) من خير وشر (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ) عن خلقه وعبادتهم (ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يا أهل مكة بالاهلاك (وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ) من الخلق (كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) أذهبها ولكنه أبقاكم رحمة لكم (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) من الساعة والعذاب (لَآتٍ) لامحالة (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) فائتين عذابنا (قُلْ) لهم (يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتى (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعول العلم (تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة أنحن أم أنتم (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ) يسعد (الظَّالِمُونَ) الكافرون (وَجَعَلُوا) أى كفار مكة (لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ) خلق (مِنَ الْحَرْثِ) الزرع (وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ، ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدنتها (فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ)

الساكنين كقاض (قوله وما أنتم بمعجزين) أى فارين من عذابنا بل هو مدرككم لامحالة (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا أمر تهديد وزجر نظير قوله تعالى : اعملوا ماشئتم وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » والمكانة إما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصلية أومن الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة والمفسر جعلها بمعنى الحالة (قوله من موصولة مفعول العلم) أى وتكون صلتها وعاقبة الدار اسمها وله خبرها وعلم عرفانية متعدية لواحد ويصح أن تكون من استفهامية مبتدأ وجملة تكون مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والمبتدأ والخبر فى محل نصب سدت مسد مفعول تعلمون (قوله أى العاقبة المحمودة فى الدار) أشار بذلك إلى أن الاضافة على معنى فى والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل (قوله أنحن أم أنتم) هذا يناسب كون من استفهامية لاموصولة وإلا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذى له عاقبة الدار (قوله إنه لايفلح الظالمون) استئناف كأنه واقع فى جواب سؤال مقدّر تقديره ماعاقبتهم فقال إنه لايفلح الظالمون (قوله وجعلوا لله) هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم وجعل فعل ماض والواو فاعل ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم ونصيبا مفعول أول مؤخر ومما ذرأ متعلق بجعلوا (قوله من الحرث) متعلق بمحذوف حال من ماذرأ (قوله الزرع) أى مايزرع كان حبا أوغيره (قوله والأنعام) أى الابل والبقر والغنم (قوله ولشركائهم) متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم وأشار المفسر بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا (قوله إلى سدنتها) أى خدمتها (قوله فقالوا) هذا تفريع على الشق المذكور والشق المطوى (قوله بزعمهم) الزعم الكذب ومصبه قوله بعد : وهذا لشركائنا فمحط الكذب التنصيف حيث جعلوا نصف ماخلق الله وأنشأه من الحرث والأنعام له ونصفه لشركائهم وحق الجميع أن يكون لله ويحتمل أن الزعم من حيث ادّعاؤهم الملك وإنشاء الجعل من عندهم لله والملك فى الحقيقة لله

(قوله بالفتح والضم) أى فهما قراءتان سبعيتان الأولى لغة أهل الحجاز والثانية لغة بنى أسد وفى لغة بالكسر لكن لم يقرأ بها والكل بمعنى واحد (قوله فكانوا إذا سقط فى نصيب الله شىء من نصيبها التقطوه) أى وكانوا إذا رأوا ماعينوه لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم و إن رأوا مالآلهتهم أزكى تركوه حبا لها ، و إذا هلك ماجعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله (قوله أى لجهته) أى لجهة مراضيه و إلا فيستحيل على الله الوصول والجهة (قوله ساء مايحكمون) ساء فعل ماض وما اسم موصول فاعل و يحكمون صلته والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم وقوله هذا بدل من حكمهم لأن حكمهم مبتدأ والجملة قبله خبره (قوله وكذلك) الجملة معطوفة على الجملة قبلها والكاف بمعنى مثل (قوله زين لكثير من المشركين) زين بالبناء للفاعل ولكثير متعلق بزين ومن المشركين صفة لكثير وقتل بالنصب مفعول لزين وهو مضاف لأولادهم وشركاؤهم بالرفع فاعل زين وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول وقتل بالرفع نائب فاعل زين وأولادهم بالنصب مفعول المصدر الذى هو قتل وقتل مضاف وشركائهم مضاف إليه ولايضرّ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف لأنه ليس أجنبيا والمضرّ الفصل بالأجنبى وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو خلافا لمن شذ وعاب على من قرأ بها كيف وهو أعلى القراءة سندا وأقدمهم هجرة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى زين مبنيا للمفعول وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالجر مضاف لقتل وشركاؤهم بالرفع فاعل قتل . قال ابن مالك :

و بعد جره الذى أضيف له
كمل بنصب أو برفع عمله

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضا على أن شركائهم صفة لهم بمعنى أنهم يشركونهم فى المال والنسب وقرأ فرقة من أهل الشام زين بكسر الزاى بعدها ياء ساكنة مبنى للمفعول كقيل و بيع وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالنصب وشركائهم بالجر وتوجيهها معلوم مما تقدم فجملة القراآت خمس اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر وثلاثة شواذ (قوله بالوأد) هو دفن الإناث بالحياة مخافة الفقر والعار قال تعالى: و إذا الموءودة سئلت بأىّ ذنب قتلت (قوله من الجن) أى الملابسين للأصنام (قوله ولايضر) ردّ على منع ذلك وعاب على ابن عامر (قوله واضافة القتل) مبتدأ وقوله لأمرهم به خبره ومباشر القتل هو كثير من المشركين (قوله ليردوهم) علة للتزيين وقوله وليلبسوا معطوف على ليردوهم وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبسا بمعنى خالط (قوله ولوشاء الله مافعلوه) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم والمعنى لو أراد الله عدم التزيين والقتل مافعلوه لأن الله هو الموجد للخير والشرّ وإنما الخلق أسباب ظاهرية فى الخير والشر و إلافمرجع الكل إلى الله ، ومن هنا قول سيدى إبراهيم الدسوقى : من نظر للخلق بعين الشريعة مقتهم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم .

وقال بعض العارفين :

الكل تقدير مولانا وتأسيسه ... فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك إذا زادت وساويسه ... إبليس لما طغى من كان إبليسه

(قوله فذرهم وما يفترون) أى اتركهم وافتراءهم (قوله وقالوا) هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم وقوله هذه أنعام الخ الاشارة إلى ماجعلوه لآلهتهم (قوله حجر) بمعنى محجور كذبح بمعنى مذبوح أى ممنوعة (قوله لايطعمها) أى لا يأكلها والضمير عائد على الأنعام والحرث (قوله وغيرهم) أى من الرجال دون النساء (قوله بزعمهم) حال من فاعل قالوا (قوله كالسوائب والحوامى) أى والبحائر .

بالفتح والضم (وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا) فكانوا إذا سقط فى نصيب الله شىء من نصيبها التقطوه ، أو فى نصيبها شىء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غنى عن هذا كما قال تعالى (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللّٰهِ) أى لجهته (وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ) بئس (مَا يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا (وَكَذٰلِكَ) كما زين لهم ما ذكر (زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ) بالوأد (شُرَكَاؤُهُمْ) من الجن بالرفع فاعل زين . وفى قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به وجر شركائهم بإضافته . وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر . و إضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به (لِيُرْدُوهُمْ) يهلكوهم (وَلِيَلْبِسُوا) يخلطوا (عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ) حرام (لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ) من خدمة الأوثان وغيرهم (بِزَعْمِهِمْ) أى لا حجة لهم فيه (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا) فلا تركب كالسوائب والحوامى (وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا) عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ،

(قوله ونسبوا ذلك) أى التقسيم إلى الأقسام الثلاثة بأن قالوا قسم حجر أى ممنوع منه بالكلية ، وقسم لايركب و إن كان يجوز أخذ لبنه وأولاده ، وقسم لايذكر اسم الله عليه عند الذبح و إنما يذكر اسم الصنم وقوله افتراء معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك (قوله بما كانوا يفترون) أى بسبب افترائهم (قوله وقالوا) هذا إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم (قوله مافى بطون هذه الأنعام) أى نتاج الأنعام السوائب والبحائر فما ولد منها حيا فهو حلال للذكور خاصة وما ولد منها ميتا فهو حلال للذكور والاناث (قوله خالصة) خبر عن ما باعتبار معناها وقوله ومحرم خبر عنها باعتبار لفظها (قوله مع تأنيث الفعل) أى باعتبار معنى ما وهو الأجنة وهذا على النصب وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة وقوله وتذكيره أى باعتبار لفظ ما على قراءة النصب و باعتبار أن تأنيث الميتة مجازى على قراءة الرفع فالقراءات أربع وكلها سبعية وكان ناقصة فى النصب واسمها ضمير يعود على ما وتامة فى الرفع فاعلها ميتة (قوله فهم فيه) أى ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعا (قوله وصفهم) أى جزاء وصفهم والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذى اخترعوه فالباء فى قوله بالتحليل والتحريم لتصوير الوصف (قوله إنه حكيم) تعليل لمجازاته إياهم أى فمن أجل حكمته وعلمه لايترك جزاءهم (قوله قد خسر الذين قتلوا) أى فى الدنيا باعتبار السعى فى نقص عددهم و إزالة ما أنعم الله به عليهم وفى الآخرة باستحقاق

العذاب الأليم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جهلا) روى البخارى عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين والمائة من الانعام: قد خسر الذين إلى قوله وما كانوا مهتدين (قوله وحرموا) معطوف على قتلوا فهو صلة ثانية (قوله افتراء) معمول لحرموا (قوله قد ضلوا) أى عن الطريق المستقيم وقوله وما كانوا مهتدين

ونسبوا ذلك إلى الله (افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) عليه (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ) المحرمة وهى السوائب والبحائر (خَالِصَةٌ) حلال (لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا) أى النساء (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً) بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ) الله (وَصْفَهُمْ) ذلك بالتحليل والتحريم أى جزاءه (إِنَّهُ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا) بالتخفيف والتشديد (أَوْلَادَهُمْ) بالوأد (سَفَهًا) جهلا (بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) مما ذكر (افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ) خلق (جَنَّاتٍ) بساتين (مَعْرُوشَاتٍ) مبسوطات على الأرض كالبطيخ (وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ) بأن ارتفعت على ساق كالنخل (وَ) أنشأ (النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ) ثمره وحبه فى الهيئة والطعم (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا) ورقهما حال (وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) طعمهما (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) قبل النضج (وَآتُوا حَقَّهُ):

فيه إعلام بأن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل يموتون على الضلال كأن الله يقول لنبيه لا تعلق آمالك بهداهم (قوله وهو الذى أنشأ جنات) هذا امتنان من الله على عباده و بيان أن كل نعمة منه (قوله جنات) المراد بها جميع ماينبت أعم من أن يكون بساتين أولا بدليل مابعده من باب تسمية الكل باسم جزئه الأشرف أو أطلق الخاص وأراد العام فلا مفهوم لقول المفسر بساتين (قوله كالبطيخ) أى والعنب إذا لم يوضع على عريش (قوله كالنخل) أى وغيره مماله ساق يرتفع به كالجميز والنبق والعنب إذا وضع على عريش والحبوب وقيل المعروشات المرتفعات على ساق وغير المعروشات مالا ساق له عكس ما ذكر المفسر (قوله والنخل والزرع) قدر المفسر أنشأ إشارة إلى أنه معطوف على جنات عطف خاص على عام والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لاقامتهما بنية الآدمى فهما يغنيان عن غيرهما وغيرهما لايغنى عنهما والمراد بالزرع جميع الحبوب التى يقتات بها (قوله مختلفا أكله) فالمعنى أنشأه مقدرا فى علمه سبحانه أن أكله مختلف والأكل بالضم المأكول أى مأكول كل منهما مختلف فى الصفة والطعم واللون والرائحة (قوله ثمره وحبه) لف ونشر مرتب (قوله والزيتون والرمان) معطوف أيضا على جنات وخصهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل (قوله متشابها) هو بمعنى مشتبها المتقدم إلا أن القراءة سنة متبعة (قوله طعمهما) أى ولونهما وريحهما وجرمهما (قوله كلوا من ثمره) هذا أمر إباحة (قوله قبل النضج) أى استوائه ووجوب الزكاة فيه فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه وهو النضج أو التهيؤ له ولا يحسب عليه شىء للفقراء أما بعد النضج

فكل ما أكله حسبت عليه زكاته (قوله زكاته) هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك واستشكل بأن السورة مكية وفرض الزكاة كان بالمدينة فى السنة الثانية من الهجرة . وأجيب بأن الآية مدنية وقيل المراد بالحق إطعام من حضر وترك ماسقط من الزرع والثمر للفقراء وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد وعلى هـذا القول فقيل الأمر للوجوب ويكون منسوخا بآية الزكاة وقيل للندب ويكون محكما (قوله يوم حصاده) أى زمن تيسر الاخراج منـه وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية كالعنب والزيتون والنخل وأما مايحتاج إلى تصفية كالحبوب فيقال إن يوم ظرف متسع فيشمل مدة الحصاد والدراس أو يقال إن يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حقه الذى وجب يوم حصاده وهو لاينافى أن إخراج الحق بعد التصفية إن توقف عليها (قوله بالفتح والكسر) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (قوله من العشر) أى فيما سقى بالسيح وقوله أو نصفه أى فيما سقى بآلة (قوله ولا تسرفوا) أى تتجاوزوا الحد باخراجه كله للفقراء أو بعدم الاخراج من أصله أو بانفاقه فى المعاصى والأقرب الأول الذى اقتصر عليـه المفسر لأن سبب نزولها أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لأهله شيئا (قوله إنه لايحب المسرفين) أى يعاقبهم (قوله ومن الأنعام) معطوف على جنات وإليه يشـير المفسر حيث قدر أنشأ وفى الحقيقة قوله من الأنعام متعلق

بمحذوف حال من حمولة لأنه نعت نكرة تقدم عليها وحمولة هو المعطوف على جنات (قوله صالحة للحمل عليهـا) مشى المفسر عـلى أن المراد بالحمولة الصـالح للحمل والفرش ماعداه والأحسن تفسـير الحمولة بالكبار أعم من أن تـكون إبلا أو بقرا أوغنما والفـرش بالصغار منها ويدل عليه قوله ثمانية أزواج وقيل الحمولة كل ماحمل عليه من إبل وغيرها والفرش ما اتخـذ من الصـوف والوبر والشـعر (قوله صميت) أى الابل الصغار والغنم (قوله كلوا مما رزقـكم الله) أى من جميع الثمار والأنعام والحرث (قوله فى التحريم والتحليل) أى فى الحرث والأنعام بأن تحلوا شيئا وتحرموا آخر كما يقول المشركون (قوله إنه لـكم عدو) تعليل لماقبله (قوله بين العداوة) أى ظاهرها لوجود عداوته لأبينا آدم من قبل واتصالها بأبنائه من بعـده ولذلك قيل إن المولود فى حال ولادته ينخسه الشيطان فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته له (قوله ثمانية أزواج) يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل وعلى أحدهما وهو المراد هنا (قوله بدل من حمولة وفرشا) أى بدل مفصل من مجمل (قوله من الضأن) بدل من ثمانية أزواج على جواز الابدال من البدل (قوله اثنين) أى وهما الـكبش والنعجة ، وقوله ومن المعز اثنين أى التيس والمعز (قوله بالفتح والسكون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لمن حرم ذكور الأنعام) أى بعض ذكورها وقوله وإناثها أى بعض إناثها (قوله آالذكرين) بمد الهمزة الثانية مدا لازما قدر ثلاث ألفات أو تسهيلها وهو منصوب بالعامل الذى بعده وهو حرّم قدم لأن مدخول الاستفهام له الصدارة (قوله أم الأنثيين) أم عاطفة على آلذكرين وكذلك أم الثانية عاطفة على ما الموصولة على ماقبلها ومحلها نصب أيضا تقديره أم الذى اشتملت عليه وأم فى كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام (قوله نبئونى بعلم) أى أخبرونى خبرا ملتبسا بعلم ناشئ عن إخبار من الله بأنه حرم ماذكر وهى جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه قصد بها إلزام الحجة لهم (قوله عن كيفية تحريم ذلك) أى

زكاته (يَوْمَ حَصَادِهِ) بالفتح والـكسر من العشر أو نصفه (وَلَا تُسْرِفُوا) بإعطاء كله فلا يبقى لعيالـكم شىء (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين ماحدّ لهم (وَ) أنشأ (مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً) صالحة للحمل عليها كالإبل الـكبار (وَفَرْشًا) لاتصلح له كالإبل الصغار والغنم سميت فرشا لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) طرائقه فى التحريم والتحليل (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) أصناف بدل من حمولة وفرشا (مِنَ الضَّأْنِ) زوجين (اثْنَيْنِ) ذكر وأنثى (وَمِنَ الْمَعْزِ) بالفتح والسكون (اثْنَيْنِ، قُلْ) يامحمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله (آلذَّكَرَيْنِ) من الضأن والمعز (حَرَّمَ) الله عليكم (أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ) منهما (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ) ذكرا كان أو أنثى (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ) عن كيفية تحريم ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، المعنى من أين جاء التحريم ؟ ،

فان

فإن كان من قِبَل الذكورة ، لجميع الذكور حرام ، أو الأنوثة لجميع الإناث ، أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للانكار (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ، أَمْ) بل (كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) حضوراً (إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا) التحريم ، فاعتمدتم ذلك ؟ لا ، بل أنتم كاذبون فيه (فَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بذلك (لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ) شيئا (مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ) بالياء والتاء (مَيْتَةً) بالنصب وفى قراءة بالرفع مع التحتانية (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال (أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) حرام (أَوْ) إلا أن يكون (فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) أى ذبح على اسم غيره (فَمَنِ اضْطُرَّ) إلى شىء مما ذكر فأكله (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

جهته وسببه (قوله فإن كان من قبل الذكورة الخ) أى فإن كان سبب التحريم الذكورة لزمكم تحريم جميع الذكور وإن كانت الأنوثة لزمكم تحريم جميع الاناث وإن كان ما اشتملت عليه الأرحام لزمكم تحريم الجميع فلأى شىء خصصتم التحريم ببعض الذكور والإناث فمن أين التخصيص أى تخصيص تحريم البحائر والسوائب بالابل دون بقية النعم من البقر والغنم (قوله والاستفهام للانكار) أى فى المواضع الثلاثة (قوله أم كنتم) أم منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة لمدخولها جملة مستقلة والمقصود بها التهكم بهم حيث نسبهم إلى الحضور فى وقت الإيصاء (قوله حضورا) أى حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض (قوله لا) أى لم تكونوا حاضرين ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ليضل الناس) متعلق بافترى وقوله بغير علم متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى أى افترى حال كونه ملتبسا بغير علم بل جاهلا (قوله إن الله لا يهدى القوم الظالمين) تعليل لما قبله والمعنى لا يرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم (قوله قل لا أجد) لما ألزمهم الله الحجة بأن التحريم من عند أنفسهم لا من عند الله أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله فهو نتيجة ما قبله وثمرته والمعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحى إلىّ الخ (قوله فيما أوحى إلى) ما اسم موصول وأوحى صلته والعائد محذوف والتقدير فى الذى أوحاه الله إلىّ وهو القرآن (قوله شيئا محرما) قدره المفسر إشارة إلى أن محرما صفة لموصوف محذوف (قوله على طاعم) متعلق بمحرما وقوله يطعمه من باب فهم ومعنى طاعم آكل ويطعمه يأكله (قوله إلا أن يكون) اسمها ضمير مستتر عائد على الشىء المحرم وميتة بالنصب خبرها فذكر باعتبار ما عاد عليه الضمير وهذا على قراءة الياء وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة وهاتان قراءتان على نصب ميتة وأما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل إذا علمت ذلك فقول المفسر وفى قراءة بالرفع مع التحتانية سبق قلم والصواب الفوقانية وهذا الاستثناء يصح أن يكون متصلا باعتبار عموم الأحوال أو منقطعا لأنه مستثنى من محرما وهو ذات والمستثنى كونه ميتة وهو معنى فليس من جنس المستثنى منه والأقرب كونه متصلا (قوله أو دما) بالنصب عطف على ميتة فى قراءة النصب وعلى المستثنى فى قراءة الرفع (قوله مسفوحا) من السفح وهو السيلان أو الصب والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات ولو من سمك وذباب وعند أبى حنيفة لا دم للسمك أصلا بدليل أنه إذا نشف صار أبيض (قوله كالكبد والطحال) أى فإنهما طاهران لما فى الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» (قوله فإنه) أى لحم الخنزير وخص اللحم بالذكر وإن كان باقيه كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه (قوله حرام) الأوضح أن يقول نجس لأن التحريم علم من الاستثناء (قوله أو فسقا) عطف على ميتة وهو على حذف مضاف أى ذا فسق أو جعل نفس الفسق مبالغة على حد زيد عدل وقوله أهل لغير الله به صفة لفسقا (قوله أى ذبح على اسم غيره) أى قربانا كما يتقرب إلى الله كان ذلك الغير صنما أو غيره (قوله فمن اضطر) أى أصابته الضرورة (قوله مما ذكر) أى من الميتة وما بعدها (قوله غير باغ) تقدم فى سورة البقرة أنه فسر الباغى بالخارج على المسلمين والعادى بقاطع الطريق لأن مع كل مندوحة وهى التوبة فإذا تاب كل جاز له الأكل وتقدم الخلاف فى المضطر هل له أن يشبع ويتزود وهو مشهور

مذهب مالك أو يقتصر على سدّ الرمق وهو مشهور مذهب الشافعي (قوله فإن ربك غفور) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا إثم عليه (قوله ويلحق بما ذكر) كان المناسب تقديمه على قوله فمن اضطر (قوله كل ذى ناب) أى كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب وقوله ومخلب من الطير كالصقر والنسر والوطواط وهذا مذهب الامام الشافعي وأما عند مالك فجميع الطيور يجوز أكلها ماعدا الوطواط فيكره أكله وجميع السباع مكروهة ماعدا الكلب الانسى والقرد ففيهما قولان بالحرمة والكراهة وأما الخيل والبغال والحمير الانسية فمشهور مذهب مالك أنها محرمة ومشهور مذهب الشافعي إباحة الخيل دون البغال والحمير (قوله وعلى الذين هادوا) الجار والمجرور متعلق بحرمنا وهادوا صلة الذين سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل (قوله كل ذى ظفر) القراء السبعة على ضم الظاء والفاء وقرئ شذوذا بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء وبقى فى الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها أظفور وجمع الأولى أظفار والأخيرة أظافير قياسا وأظافر سماعا (قوله كالابل) أدخلت الكاف الاوز والبط (قوله ومن البقر والغنم) متعلق بحرمنا (قوله الثروب) جمع ثرب كفلس شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء ولكن المراد بها هنا الشحم الذى على الكرش فقط وإلا ناقض مابعده (قوله وشحم الكلى) جمع كلوة أو كلية (قوله إلا ماحملت ظهورهما) ما اسم موصول فى محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصوفة وجملة حملت ظهورهما صلة أوصفة والعائد محذوف (قوله أو الحوايا) معطوف على ظهورهما وسميت بذلك لأنها محتوية على الفضلات لأنها تنحل فى الكرش ثم إذا صفيت استقرت فى الأمعاء أولأنها محتوية بمعنى ملتفة كالحلقة (قوله الأمعاء) أى المصارين . والمعنى أن الشحم الذى تعلق بالظهور أواحتوت عليه المصارين أو اختلط بعظم كلحم الألية جائز لهم (قوله جمع حاوياء) أى كقاصعاء وقواصع وقوله أو حاوية أى كزاوية وزوايا وقيل جمع حوية كهدية (قوله وهو شحم الألية) بفتح الهمزة

فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ) له ما أكل (رَحِيمٌ) به ، ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا) أى اليهود (حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ) وهو مالم تفرق أصابعه كالإبل والنعام (وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) الثروب وشحم الكلى (إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) أى ماعلق بها منه (أَوِ) حملته (الْحَوَايَا) الأمعاء جمع حاوياء أو حاوية (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) منه وهو شحم الألية ، فإنه أحل لهم (ذَٰلِكَ) التحريم (جَزَيْنَاهُمْ) به (بِبَغْيِهِمْ) بسبب ظلمهم بما سبق فى سورة النساء (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فى أخبارنا ومواعيدنا (فَإِنْ كَذَّبُوكَ) فيما جئت به (فَقُلْ) لهم (رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ) عذابه إذا جاء (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) نحن ،

(قوله بما سبق فى سورة النساء) أى فى قوله : فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله (ولا إلى أن قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم (قوله فى أخبارنا ومواعيدنا) أى بأن سبب ذلك التحريم هو بغيهم لا كما قالوا حرمها إسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به فقد كذبوا فى ذلك بل لم يطرإ التحريم إلا بعد موسى ولم يكن ذلك محرما على أحد قبلهم لا فى شرع إبراهيم ولا غيره وإنما حرم إسرائيل على نفسه بالخصوص الابل من أجل شفائه من عرق النسا الذى كان به وقد تقدم الرد عليهم أيضا فى قوله تعالى ـ كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل ـ (قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أى فامهاله للكافر من سعة رحمته فاذا تاب خلده فى الرحمة (قوله وفيه تلطف الخ) دفع بذلك مايقال إن مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد . فأجاب بأنه تلطف بدعائهم إلى الايمان ليطمع التائب ولا ييأس (قوله ولايرد بأسه) هذا من جملة المقول أيضا والمعنى لايرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر فأطمعهم فى الرحمة بالجملة الأولى وبقى الاغترار بالجملة الثانية (قوله سيقول الذين أشركوا) هذا إخبار من الله لنبيه بما يقع منهم فى المستقبل وقد وقع كما حكاه الله عنهم فى سورة النحل بقوله تعالى ـ وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ الخ وانما قالوه إظهارا لكونهم على الحق لااعتذارا من ارتكاب هذه القبائح مدعين أن المشيئة لازمة للرضا فلايشاء إلا مايرضاه وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به فكيف تقول يامحمد إنا نعذب على شئ أراده الله منا ورضيه. وحاصل رد تلك الشبهة أن تقول لايلزم من المشيئة الرضا بل يشاء القبيح ولا يرضاه ويشاء الحسن ويرضاه فكل شئ بمشيئته تعالى (قوله لوشاء الله) أى عدم إشراكنا فمفعول المشيئة محذوف وهذه المقدمة صادقة لكنهم توصلوا بها إلى

معلّمة كافة قدرها المفسر بقوله فهو راض به (قوله ولا آباؤنا) معطوف على الضمير فى أشركنا والفاصل موجود وهو لا النافية وتقدير المفسر نحن بيان للضمير فى أشركنا لا لصحة العطف إذ يكن أى فاصل قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل   عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أوفاصل ما (قوله فهو راض به) هذا هو نتيجة قولهم لوشاء الله ما أشركنا (قوله قال تعالى) أى تسلية له عليه الصلاة والسلام (قوله كما كذب هؤلاء) أى مثل ما كذبوك ولم يصدقوا بما جئت به كذب الأمم السابقة أنبياءهم (قوله حتى ذاقوا بأسنا) غاية للتكذيب : أى استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ (قوله من علم) من زائدة وعلم مبتدأ مؤخر وعند ظرف خبر مقدم ، والمعنى هل عندكم من شىء تحتجون به على مازعمتم من أن الله راض بأفعالكم فتظهروه لنا (قوله أى لاعلم عندكم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله قل فلله الحجة البالغة) جواب شرط مقدّر قدره المفسر بقوله إن لم يكن لكم حجة (قوله التامة) أى وهى إرسال الرسل و إنزال الكتب ومعنى التامة الكاملة التى لايعتريها نقص ولاخفاء (قوله هدايتكم) قدره إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف (قوله لهداكم أجمعين) أى ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل ومحط التعليق على هداية الجميع وأما هداية البعض فقد حصلت (قوله قل هلم) فيها لغتان لغة أهل الحجاز عدم إلحاقها شيئا من العلامات فهى بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها وعلى ذلك فهى اسم فعل بمعنى أحضروا ولغة تميم وهى إلحاقها العلامات فتقول هلموا وهلمى وهلما وهلممن وعليها فهى فعل أمر ، وهذا الأمر لمزيد التبكيت لهم و إقامة الحجة عليهم

(وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ) فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به . قال تعالى : (كَذَٰلِكَ) كما كذب هؤلاء (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم (حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا) عذابنا (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ) بأن الله راض بذلك (فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) أى لاعلم عندكم (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ) فى ذلك (إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) تكذبون فيه (قُلْ) إن لم تكن لكم حجة (فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) التامة (فَلَوْ شَاءَ) هدايتكم (لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ . قُلْ هَلُمَّ) أحضروا (شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا) الذى حرمتموه (فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يشركون (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ) أقرأ (مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ،

(قوله فان شهدوا) أى بعد مجيئهم وحضورهم (قوله فلا تشهد معهم) أى لاتصدقهم ولا تمل لقولهم وهذا خطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه (قوله والذين لايؤمنون بالآخرة) معطوف على قوله الذين كذبوا (قوله وهم بربهم يعدلون) الجملة حالية ومعنى يعدلون يسوون به غيره ، والمعنى لاتتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك بالله فى أهوائهم (قوله قل تعالوا) لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار بأنه لاتحليل ولا تحريم إلا بما أحله الله أو حرّمه كأن سائلا قال وما الذى حرمه وأحله فقال سبحانه قل تعالوا الخ وتعالوا فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو فى الأصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل إلى مكان عال ثم استعمل فى الاقبال والحضور مطلقا وآثرها إشارة إلى أنهم فى أسفل الدركات وهو يطلبهم للرفع والعلوّ من أخس الأوصاف إلى أكملها وأعلاها كأنه قال أقبلوا إلى المعالى لأن من سمع أحكام الله وقبلها بنصح كان فى أعلى المراتب (قوله أتل) جواب الأمر مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها وقيل جواب لشرط محذوف تقديره إن تأتوا أتل : أى أقرأ ما حرّم الله عليكم (قوله ماحرّم ربكم) ما اسم موصول وحرم صلته والعائد محذوف ور بكم فاعل حرم وقوله عليكم تنازعه كلّ من أتل وحرم أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف لأنه فضلة . وحاصل ماذكر فى هاتين الآيتين عشرة أشياء خمسة بصيغ النهى وخمسة بصيغ الأمر وقدم المنهى عنه لأنّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح ولأن المنهى عنه مأمور باجتنابه مطلقا والمأمور به على حسب الاستطاعة لما فى الحديث «مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم» ووسط بينهما الأمر ببرّ الوالدين اعتناء بشأنه لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار بل أجمع عليها جميع أهل الأديان . قال ابن عباس هذه آيات محكمات لم ينسخهن شىء فى جميع الكتب وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار

(قوله أن مفسرة) أى وضابطها موجود وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ، واستشكل بأن هذا يقتضى أن جميع ما يأتى محرم مع أن بعضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب. أجيب بأجوبة منها أن التحريم فى النهى عنه ظاهر وفى المأمور به باعتبار أضدادها ، فالمعنى حرم فعلا وهى المنهيات أو تركا وهى المأمورات ، ومنها أن فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت ، والتقدير ماحرم ربكم عليكم وما أمركم به . ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف والأقرب الأول (قوله لا تشركوا به شيئا) أى لافى الأقوال ولا فى الأفعال ولا فى الاعتقادات (قوله إحسانا) مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله أحسنوا ، والمراد بالوالدين الأب والأم وإن عليا (قوله بالوأد) تقدم أنه الدفن بالحياة (قوله من إملاق) يطلق بمعنى الفقر والافلاس والافساد ، والمراد هنا الأول (قوله نحن نرزقكم وإياهم) هذا فى معنى التعليل للنهى المتقدم ، والمعنى لاتقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر لأن رزقكم ورزقهم علينا لاعلى غيرنا ، وقال هنا من إملاق ، وقال فى الاسراء خشية إملاق لأن ما هنا فى الفقر الحاصل بالفعل وما فى الاسراء فى الفقر المتوقع فهو خطاب للأغنياء وقدم هنا خطاب الآباء وهناك ضمير الأولاد ، قيل تفننا ، وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلا لبشارة الآباء الفقراء بأنهم فى ضمان الله وقدم هناك ضمير الأولاد لتطمئن الآباء بضمان رزق الأولاد فهذه الآية تفيد النهى للآباء عن قتل الأولاد وإن كانوا متلبسين بالفقر والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين ولكن يخافون وقوع الفقر (قوله ولاتقربوا الفواحش) هذا أعم مما قبله لأن من جملة الفواحش قتل الأولاد (قوله أى علانيتها) أى كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصى الظاهرية ، وقوله وسرها: أى كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصى القلبية (قوله ولا تقتلوا النفس) عطف خاص على عام ونكتته الاستثناء بعده (قوله التى حرم الله) مفعول حرّم محذوف : أى قتلها (قوله إلا بالحق) فى محل نصب على الحال أو صفة لمصدر محذوف ، والتقدير ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله إلا ملتبسين بالحق أو قتلا ملتبسا بالحق وهو استثناء مفرّغ : أى لاتقتلوها فى حال من الأحوال إلا فى حال ملابستكم بالحق

أَنْ) مفسرة (لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَ) أحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) بالوأد (مِنْ) أجل (إِمْلَاقٍ) فقر تخافونه (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ) الكبائر كالزنا (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) أى علانيتها وسرها (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) كالقود وحد الردة ورجم المحصن (ذَلِكُمْ) المذكور (وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي) أى بالخصلة التى (هِيَ أَحْسَنُ) وهى ما فيه صلاحه (حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) بأن يحتلم (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) بالعدل وترك البخس (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها فى ذلك فإن أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث (وَإِذَا قُلْتُمْ) فى حكم أو غيره (فَاعْدِلُوا) بالصدق (وَلَوْ كَانَ) المقول له أو عليه (ذَا قُرْبَى) قرابة (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ

لعلكم

(قوله كالقود) أى القصاص ، وقوله وحدّ الردة : أى لما فى الحديث «من بدل دينه فاقتلوه» وقوله ورجم المحصن : أى بشروطه هو وماقبله المذكورة فى الفروع (قوله ذلكم وصاكم به) مبتدأ وخبر ، وقوله المذكور إشارة إلى أن اسم الاشارة عائد على ما تقدم من تلك الأمور (قوله لعلكم تعقلون) ختم هذه الآية بذلك لأنها اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها فى غيرها لعموم نفعها فى الدين والدنيا فختمها بالعقل الذى هو مناط التكاليف (قوله أى بالخصلة التى هى أحسن) أشار بذلك إلى أنه نعت لمصدر محذوف ، والمعنى لاتقربوا مال اليتيم فى حالة من الحالات إلا فى الحالة التى هى أحسن لليتيم (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لما يفهم من النهى كأنه قال احفظوه إلى بلوغ أشده فسلموه له حينئذ (قوله بأن يحتلم) هذا تفسير لبلوغ الأشد باعتبار أول زمانه وسيأتى فى الأحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة لأن الأشد هو قوة الانسان وشدته ومبدؤه البلوغ وينتهى لثلاث وثلاثين سنة (قوله بالقسط) متعلق بمحذوف إما حال من فاعل أوفوا أو من مفعوله : أى أوفوهما حال كونكم مقسطين أو حال كونهما تامين (قوله وترك البخس) أى النقص فى الكيل أو الوزن (قوله فلا مؤاخذة عليه) أى لاإثم ولكنه يضمن ما أخطأ فيه لأن العمد والخطأ فى أموال الناس سواء (قوله وإذا قلتم) المراد بالقول مايعم الفعل ، وقوله فاعدلوا بالصدق : أى لا تتركوه فى القول ولا فى الفعل وإنما خص القول تنبيها بالأدنى على الأعلى (قوله وبعهد الله) إما مضاف لفاعله : أى ماعهده إليكم أو لمفعوله : أى ماعاهدتم الله عليه .

(قوله لعلكم تذكرون) ختمها بذلك لأن هذه الأمور خفية غامضة لابد فيها من الاجتهاد والتذكر (قوله والسكون) صوابه والتخفيف إذ لم يقرأ بسكون الدال فمن شدد قلب التاء ذالا وأدغمها فى الأخرى ومن خفف حذف إحدى التاءين (قوله بالفتح) أى مع التشديد أو التخفيف ، وقوله والكسر : أى مع التشديد لا غير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله على تقدير اللام) أى على كلّ من الوجهين وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول ، والتقدير كلفتم بهذا الذى وصاكم به من أوّل الربع إلى هنا أومن أوّل السورة إلى هنا لأن هذا صراطى (قوله استئنافا) أى واقعا فى جواب سؤال مقدر ومع ذلك فيها معنى التعليل كأن قائلا قال لأىّ شئ كلفتنا بما تقدم فقيل فى الجواب إن هذا صراطى مستقيما . ثم اعلم أنه على قراءة التشديد فاسم الاشارة اسم أن وصراطى خبرها وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن واسم الاشارة مبتدأ وصراطى خبره والجملة خبر أن ومستقيما حال من صراطى على كلّ حال (قوله وأن هذا) يصح أن يرجع اسم الاشارة إلى ما تقدم من أول الربع أو من أول السورة (قوله صراطى مستقيما) أى دينى لا اعوجاج فيه فشبه الدين القويم بالصراط بمعنى الطريق بجامع أن كلا يوصل للمقصود واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية (قوله فاتبعوه) أى اسلكوه ولا تحودوا عنه فتقعوا فى المهالك ، روى الدارقطنى عن ابن مسعود قال « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ هذه الآية » ، وفى رواية « أنه خط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن شماله ثم وضع يده فى الخط الأوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية »

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بالتشديد تتعظون والسكون (وَأَنَّ) بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافا (هٰذَا) الذى وصيتكم به (صِرَاطِي مُسْتَقِيماً) حال فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) الطرق المخالفة له (فَتَفَرَّقَ) فيه حذف إحدى التاءين : تميل (بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) دينه (ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة وثم لترتيب الأخبار (تَمَاماً) للنعمة (عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ) بالقيام به (وَتَفْصِيلاً) بيانا (لِكُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ) أى بنى إسرائيل (بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) بالبعث (يُؤْمِنُونَ . وَهٰذَا) القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ) يا أهل مكة بالعمل بما فيه (وَاتَّقُوا) الكفر (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أنزلناه ،

(قوله الطرق المخالفة) أى الأديان المباينة له فشبه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلا يوصل صاحبه إلى المهالك واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فتفرّق) بالنصب بأن مضمرة فى جواب النهى (قوله ذلكم) أى ما أمر من اتباع دينه وترك غيره من الأديان (قوله لعلكم تتقون) أى تمتثلون المأمورات وتجتنبون المنهيات وأتى بالتقوى هنا لأن الصراط المستقيم جامع للتكاليف ، وقد أمر باتباعه ونهى عن الطرق المعوجة فناسب ذكر التقوى (قوله وثم لترتيب الأخبار) أى الترتيب فى الذكر لا فى الزمان وهو جواب عما يقال إن إيتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخى . وأجيب أيضا بأن ثم لمجرد العطف كالواو فلا ترتيب فيها ولا تراخى (قوله تماما) مفعول لأجله : أى آتيناه الكتاب لأجل تمام النعمة الخ (قوله للنعمة) أى الدنيوية والأخروية (قوله على الذى أحسن) متعلق بتماما ومعنى أحسن قام به الحسن وهو الصفات الجميلة ، وقوله بالقيام به سبب لكونه قام به الحسن ، والمعنى تماما على المحسن منهم بسبب قيامه به : أى اتباعه له وامتثاله مأموراته واجتنابه منهياته (قوله وتفصيلا) عطف على تماما (قوله أى بنى إسرائيل) أى المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب (قوله بلقاء ربهم) متعلق بيؤمنون قدم عليه للفاصلة (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وجملة أنزلناه نعت أول لكتاب ومبارك نعت ثان له : أى كثير الخير والمنافع دينا ودنيا ، والمعنى وهذا القرآن العظيم كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى سماء الدنيا فى بيت العزة ، ثم نزل مفرقا على حسب الوقائع مبارك كثير الخير والمنافع فى الدنيا بالشفاء به والأمن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة بتلقى السؤال عن صاحبه وشهادته له وكونه ظلة على رأسه فى حر الموقف والرقى به إلى الدرجات العلا (قوله يا أهل مكة) قصر الخطاب عليهم لأنهم هم المعاندون فى ذلك الوقت (قوله بالعمل بما فيه) بيان لاتباعه (قوله لعلكم ترحمون) أى تصيبكم الرحمة فى الدنيا والآخرة

(قوله أن تقولوا) مفعول لأجله والعامل محذوف قدره المفسر بقوله أنزلناه ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو لفظ مبارك وقدر المفسر لا لأن الانزال علة لعدم القول لا للقول . وقال بعضهم : إن الكلام على حذف مضاف : أي كراهة أن تقولوا وكل صحيح (قوله إنما أنزل الكتاب) أي جنسه الصادق بالتوراة والانجيل (قوله وإن مخففة) أي من الثقيلة (قوله واسمها محذوف الخ) فيه شيء وذلك لأن إن المكسورة إذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت فلا عمل لها ووجب اقتران الخبر باللام وذلك كما في هذه الآية (قوله قراءتهم) أي لكتبهم ، والمعنى لانفهم معانيها لأنها بالعبرانية أوالسريانية ونحن عرب لانفهم إلا اللغة العربية (قوله لغافلين) أي لانعلمها والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بانزال القرآن بلغتهم ، والمعنى أنزلنا القرآن بلغتهم لئلايقولوا يوم القيامة إن التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما (قوله أو تقولوا) عطف على النفي وهو قطع لعذرهم أيضا (قوله لكنا أهدى منهم) أي إلى الحق والطريق المستقيم (قوله فقد جاءكم بينة) أي لاتعتذروا بذلك فقد جاءكم (قوله أي لاأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله سوء العذاب) أي العذاب السيء بمعنى الشديد (قوله بما كانوايصدفون) الباء سببية ومامصدرية : أي بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله هل ينظرون) استفهام إنكاري بمعنى النفي وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقي على الكفر . إن قلت إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها. أجيب بأن هذه الأشياء

لِـ(أَنْ) لا (تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ) اليهود والنصارى (مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ) مخففة واسمها محذوف أي إنا (كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ) قراءتهم (لَغَافِلِينَ) لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ) لجودة أذهاننا (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ) بيان (مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) لمن اتبعه (فَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ) أعرض (عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ) أي أشده (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ . هَلْ يَنْظُرُونَ) ماينتظر المكذبون (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ) لقبض أرواحهم (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) أي أمره بمعنى عذابه (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) أي علاماته الدالة على الساعة (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) وهي طلوع الشمس من مغربها

لما كانت محتمة عوملوا معاملة المنتظر ولم يعوّل على اعتقادهم ، فالمعنى لامفرّ لهم من ذلك (قوله ماينتظر المكذبون) أي من أهل مكة وغيرهم (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان لأن جمع التكسير يجوز تأنيثه وتذكيره تقول قام الرجال وقامت الرجال (قوله الملائكة) أي عزرائيل وأعوانه أو ملائكة العذاب لما تقدم كما أن الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب (قوله أي أمره) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ودفع بذلك توهم حقيقة الاتيان وهو الانتقال من مكان إلى آخر إذ هو مستحيل على الله تعالى (قوله بمعنى عذابه) أي المعجل لهم إما بالسيف أو غيره (قوله الدالة على الساعة) أي على قربها ، والعلامات الكبرى عشر وهي : الدجال والدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر (قوله يوم يأتي بعض آيات ربك) يوم معمول لينفع على الصحيح من أن مابعدلا يعمل فيما قبلها (قوله وهو طلوع الشمس من مغربها) ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما «أتدرون أين تذهب هذه الشمس إذا غربت ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال إنها تذهب إلى مستقرّها تحت العرش فتخرّ ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها وهكذا كل يوم ، فاذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها ، فتقول ياربّ إن مسيري بعيد ، فيقول لها اطلعي من حيث غربت ، فقال الناس يارسول الله هل لذلك من آية ؟ فقال آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب» .

(قوله كما فى حديث الصحيحين) أى وهو كما فى البخارى عن أبى هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وروى «أن أول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى وذلك أن الكفار يسلمون فى زمن عيسى فاذا قبض ومن معه من المسلمين رجع أكثرهم إلى الكفر فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها (قوله لاينفع نفسا) أى كافرة أو مؤمنة عاصية ويكون قوله لم تكن آمنت راجعا للأولى وقوله أو كسبت راجعا للثانية ويكون التقدير لاينفع نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن ولاينفع نفسا مؤمنة توبتها من المعاصى فقوله أو كسبت معطوف على آمنت وحينئذ فيكون فى الكلام حذف قد علمته (قوله الجملة صفة نفس) أى جملة لم تكن آمنت من قبل وجاز الفصل بين الصفة والموصوف لأنه بالفاعل وهو ليس بأجنبى (قوله أو نفسا لم تكن كسبت) أشار بذلك إلى أن المعطوف فى الحقيقة محذوف وهو معطوف على المنفى (قوله كما فى الحديث) روى عن صفوان بن عسال المرادى . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «باب من قبل المغرب مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحا للتوبة لايغلق حتى تطلع الشمس منه» وورد أن من الأشراط العظام طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وهذان أيهما سبق الآخر فالآخر على أثره وورد «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير فى هذه الأمة قردة وخنازير وتطوى الدواوين وتجف الأقلام لايزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا» وورد «لاتزال الشمس تجرى من مطلعها إلى مغربها حتى يأتى الوقت الذى جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلايؤذن لهما فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلايعرف مقدار حبسهما

(٥٥)

كما فى حديث الصحيحين (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ) الجملة صفة نفس (أَوْ) نفسا لم تكن (كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) طاعة أى لاتنفعها توبتها كما فى الحديث (قُلِ انْتَظِرُوا) أحد هذه الأشياء (إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) ذلك (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيه ،

إلا قليل من الناس وهم أهل الأوراد وحملة القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون فى مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكى الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله والغافلون فى غفلاتهم إذ نادى مناد ألا إن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودين كالعكمين : أى الغرارتين العظيمتين لاضوء لهما ولا نور فذلك قوله وجمع الشمس والقمر فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فأما الصالحون والأبرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب فيغربهما فى باب التوبة ثم يرد المصراعين فيلتئم مابينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولاتنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك فانه يجرى لهم» وورد «أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة لايتمنون شيئا إلا أعطوه ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون فى الطرق كالبهائم حتى ينكح الرجل المرأة فى وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن فيكونون على مثل ذلك حتى لايولد لأحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة» (قوله قل انتظروا) أمر تهديد على حد اعملوا ماشئتم (قوله إن الذين فرقوا دينهم) الأقرب كما قال المفسر أنها نزلت فى اليهود والنصارى لما ورد «قام فينا رسول الله فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة» وفى رواية «من كان على ما أنا عليه وأصحابى» .

(قوله فأخذوا بعضه) أي كما حكاه الله عنهم بقوله في سورة النساء ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله لست منهم في شيء) أي لست مأمورا بقتالهم وهذا ما مشى عليه المفسر من أنها منسوخة وقيل إنها محكمة والمعنى أنت بريء منهم ومن أفعالهم لقطع نسبهم منك بكفرهم (قوله فيجازيهم به) أي بفعلهم (قوله وهذا) أي قوله لست منهم في شيء (قوله من جاء بالحسنة) أي يوم القيامة (قوله فله عشر أمثالها) هذا إخبار بأقل المضاعفة وإلا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب . واعلم أن المضاعفة تابعة للاخلاص فكل من عظم اخلاصه كانت مضاعفة حسناته أكثر ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وفسر الحسنة بلا إله إلا الله وهو أحد تفسيرين والآخر أن المراد بها كل ما أمر الله به فيشمل الذكر والصلاة والصدقة وغير ذلك من أنواع البر وهو الأولى لأنه إن أراد خصوص ما ينجي من الشرك فذلك جزاؤه دخول الجنة وإن أراد الذكر بها فلا مفهوم لها لأن العبرة بعموم اللفظ وأفرد في الحسنة والسيئة لأنه لو جمع لربما توهم أن الجزاء اجمالي بحيث يعطى في نظير حسناته كلها عشرة أمثالها بل الجزاء لكل فرد من أفراد الحسنات والسيئات لأن الحسنات تتفاوت فربما جوزى على بعضها عشرا وعلى بعضها أكثر (قوله أمثالها) جمع مثل إن قلت إنه مذكر فكان مقتضاه تأنيث العدد قال ابن مالك :

ثلاثة بالتاء قل للعشره ... في عد ما آحاده مذكره

في الضد جرد . وأجيب بأنه جرد

التاء مراعاة لاضافة مثل لضمير الحسنة فكأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها فجرد العدد من التاء مراعاة للموصوف المحذوف وإلى هذا الثاني أشار المفسر بقوله أي جزاء عشر حسنات (قوله ومن جاء بالسيئة) أي الشرك على

فأخذوا بعضه وتركوا بعضه (وَكَانُوا شِيَعاً) فرقا في ذلك ، وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) فلا تتعرض لهم (إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) يتولاه (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ) في الآخرة (بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فيجازيهم به ، وهذا منسوخ بآية السيف (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) أي لا إله إلا الله (فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) أي جزاء عشر حسنات (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) أي جزاءه (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ينقصون من جزائهم شيئا (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ويبدل من محله (دِيناً قِيَماً) مستقيما ،

ما قاله المفسر حيث فسر الحسنة بلا إله إلا الله او ما هو اعم وهو الأولى (قوله فلا يجزى إلا مثلها) أي إن (ملة مات غير تائب وجوزي وإلا فأمره مفوض لربه فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وأما إن مات تائبا فلا سيئة له لأنه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له قال تعالى - إن الله يحب التوابين - وقال عليه الصلاة والسلام «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (قوله وهم لا يظلمون) أي العاملون للحسنات والسيئات (قوله ينقصون من جزائهم) هذا بالنظر لجزاء الحسنات أي ولا يزاد في سيئات أهل العقاب فالظلم نقص المحسن والزيادة في المسيء وتسميته ظلما تنزل منه سبحانه وتعالى وإلا فالظلم التصرف في ملك الغير ولا ملك لأحد معه تبارك وتعالى وأما الزيادة في الحسنات فليس بظلم بل هو تفضل منه واحسان . واعلم أن الحسنة تتفاوت والسيئة كذلك فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا فعشرة أمثال الحسنة من شكلها ومثل السيئة من شكلها . واعلم أيضا أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة وأما من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة ومن هم بسيئة ولم يعملها فان تركها خوف الله كتبت حسنة وإن تركها لا لذلك لم تكتب شيئا لما في الحديث قال الله تعالى «إذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها فأنا أكتبها له حسنة حتى يعملها فان عملها فأنا أكتبها له بعشر حسنات وإذا تحدث عبدي بسيئة ولم يعملها فأنا أغفرها له حتى يعملها فان عملها فأنا أكتبها له بمثلها» (قوله قل إنني هداني) إن حرف توكيد ونصب والياء اسمها وجملة هداني ربي خبرها وهدى فعل ماض والياء مفعول أول وإلى صراط مستقيم مفعول ثان وربي فاعل . والمعنى قل يا محمد لكفار مكة انني أرشدني ربي ووصلني إلى دين مستقيم لا اعوجاج فيه (قوله ويبدل من محله) أي محل إلى صراط مستقيم وهو النصب لأنه المفعول الثاني (قوله قيما) نعت لدينا أي لا اعوجاج فيه .

(قوله ملة إبراهيم) بدل دينا أى دينه وشريعته وماأوحى به إليه (قوله حنيفا) حال من إبراهيم أى مائلا عن الضلال إلى الاستقامة (قوله وما كان من المشركين) عطف حال على أخرى وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الاسلام عن ملة إبراهيم (قوله عبادتى) أشار بذلك إلى أن قوله ونسكى عطف عام على خاص (قوله ومحياى ومماتى) قرأ نافع بسكون ياء محياى وفتح ياء مماتى والباقون بالعكس (قوله لله رب العالمين) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة (قوله فى ذلك) أى الصلاة والنسك والمحيا والممات (قوله وأنا أول المسلمين) أى المنقادين لله. واستشكل بأنه تقدمه الأنبياء وأممهم. وأجاب المفسر بأن الأولية بالنسبة لأمته. وأجيب أيضا بأن الأولية بالنسبة لعالم الذر فهى حقيقية (قوله قل أغير الله) نزلت لما قال الكفار يامحمد ارجع إلى ديننا وغير منصوب بأبغى وربا تمييز وقوله إلها تفسير لربا (قوله أى لاأطلب) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وهو رب كل شىء) الجملة حالية، والمعنى لايليق أن أتخذ إلها غير الله والحال أنه مالك كل شىء (قوله ولاتكسب كل نفس إلا عليها) ردلقولهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أى يكتب علينا ماعملتم من الخطايا (قوله إلا عليها) أى إلا فى حال كونه مكتوبا عليها لاعلى غيرها (قوله ولاتزر وازرة) أى ولاغير وازرة وإنما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين اتبعوا سبيلى أحمل عنكم أوزاركم وهو وازر (قوله وزر أخرى) إن قلت كيف هذا مع قوله تعالى: وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم، وقوله عليه الصلاة والسلام «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». وأجيب بأن ماهنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه وفى الآية الأخرى والحديث محمول على من تسبب فيه فعليه وزر المباشرة ووزر التسبب ووزر الفاعل لايفارقه

(مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) عبادتى من حج وغيره (وَمَحْيَايَ) حياتى (وَمَمَاتِي) موتى (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) فى ذلك (وَبِذَلِكَ) أى التوحيد (أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) من هذه الأمة (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) إلها أى لا أطلب غيره (وَهُوَ رَبُّ) مالك (كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) ذنبا (إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ) تحمل نفس (وَازِرَةٌ) آثمة (وِزْرَ) نفس (أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضا فيها (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) بالمال والجاه وغير ذلك (لِيَبْلُوَكُمْ) ليختبركم (فِي مَا آتَاكُمْ) أى أعطاكم إياه ليظهر المطيع منكم والعاصى (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ) لمن عصاه (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم.

(قوله فينبئكم) أى يخبركم ويعلمكم (قوله بما كنتم فيه تختلفون) أى من الاديان والملل (قوله أى يخلف بعضكم بعضا فيها) أشار بذلك إلى أن إضافة خلائف للأرض على معنى فى (قوله ورفع بعضكم فوق بعض) أى خالف بين أحوالكم حيث جعل منكم الحسن والقبيح والغنى والفقير والعالم والجاهل والقوى والضعيف ليبلوكم فيما آتاكم وليس عجزا عن مساواتكم فانه منزه عنه سبحانه (قوله ليختبركم) أى يعاملكم معاملة المختبر وإلافلايخفى عليه شىء (قوله أى أعطاكم إياه) أى من الغنى والفقر ليتبين الصابر والشاكر من غيرهما (قوله إن ربك سريع العقاب) إن قلت إن الله حليم لايعجل بالعقوبة على من عصاه فكيف وصف بكونه سريع العقاب؟. أجيب بأن كل آت قريب، أوالمعنى سريع العقاب إذا جاء وقته وأكد الجملة الثانية هنا باللام وفى الأعراف الجملتين لأن الوعيد المتقدم هنا أخف من الوعيد المتقدم هناك فالوعيد هنا هوقوله: ومن جاء بالسيئة فلايجزى إلامثلها، وأما فى الأعراف فهو قوله: وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس وقوله: كونوا قردة خاسئين فالمقام هنا لغلبة الرحمة فلذلك أكدت دون العقاب وأما هناك فالمقام لهما فلذلك أكدا معا (قوله وإنه لغفور رحيم) جعل خبر إن فى هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة وأكده باللام وجعل خبر إن السابقة صفة جارية على غير من هى له للتنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما ومعاقب بالعرض مسامح فى العقوبة، ومعنى بالذات أن مغفرته ورحمته لاتتوقف على تأهل من العبد، ومعنى بالعرض أن عقابه لايكون إلا بعد صدور ذنب فتأمل.

سميت بذلك لذكر أهل الأعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه (قوله مكية) تقدم أن المكي ما نزل قبل الهجرة و إن نزل بأرض المدينة (قوله الثمان) أى ومنتهاها : إنا لانضيع أجر المصلحين وقوله أوالخمس أى ومنتهاها : و إنه لغفور رحيم (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحد أقوال تقدم جملة منها وقد ذكر هذا القول فى الخازن بقوله : هى حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز (قوله هذا كتاب) قدره إشارة إلى أن كتاب خبر لمحذوف واسم الاشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذى نزل منه وجملة أنزل إليك نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه (قوله فلايكن فى صدرك حرج منه) لاناهية ويكن مجزوم بها وفى صدرك خبرها مقدم وحرج اسمها مؤخر ومنه صفة لحرج وهو نهى عن السبب وفى الحقيقة النهى عن أسباب الحرج ، والمعنى لاتتعاط أسبابا توجب الحرج (قوله أن تبلغه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى من تبليغه و يصح أن الضمير عائد على المنزل أو الانزال أو الانذار (قوله لتنذر) من الانذار وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته (قوله متعلق بأنزل) أى واللام للتعليل فهو مفعول لأجله و إنما جر باللام لفقد بعض الشروط لأنه اختلف مع عامله فى الزمان والفاعل لأن زمن الانزال غير زمن الانذار وفاعل الانزال الله تعالى وفاعل الانذار النبى صلى الله عليه وسلم (قوله وذكرى) إما فى محل نصب عطف على تنذر أوفى محل رفع خبر لمحذوف تقديره

هوذكرى أوفى محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد

(سورة الأعراف)

مكية إلا « واسألهم عن القرية » ـ الثمان أو الخمس آيات ـ

مائتان وخمس أو ست آيات

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . المٓصٓ) الله أعلم بمراده بذلك ، هذا (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ) ضيق (مِنْهُ) أن تبلغه مخافة أن تكذب (لِتُنْذِرَ) متعلق بأنزل أى للانذار (بِهِ وَذِكْرَى) تذكرة (لِلْمُؤْمِنِينَ) به قل لهم (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) أى القرآن (وَلَا تَتَّبِعُوا) تتخذوا (مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره (أَوْلِيَاءَ) تطيعونهم فى معصيته تعالى (قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) بالتاء والياء تتعظون وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال وفى قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة (وَكَمْ) خبرية مفعول (مِنْ قَرْيَةٍ) ،

اللام والفعل والتقدير أنزل للانذار والتذكير . ولما كان النبى مكلفا بالتبليغ للكفار و إن لم يتعظوا به أسند الانذار له ، ولما كانت الوعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند سماعه أسندت لهم فالواعظ للكفار من غيرهم والواعظ للمؤمنين من أنفسهم وحيث كان القرآن منزلا لانذار الكفار واتعاظ المؤمنين به فلا يحل إخراجه عما أنزل له أريد كأن يقرأه الشخص فى الطرقات لطلب الدنيا أوليتغنى به بحيث يكون المقصود من القرآن الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء فان ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة (قوله اتبعوا) أمر لجميع المكلفين أوللكافرين (قوله من ربكم) إما متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الموصول (قوله من دونه) إما متعلق بقوله لاتتبعوا ، والمعنى لاتعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكهان أوحال من أولياء لأنه نعت نكرة قدم عليها ، والمعنى لاتتولوا من دونه أحدا من شياطين الانس والجن ليحملوكم على الأهواء والبدع (قوله بالتاء) أى مع تشديد الذال بعدها وقوله والياء أى قبل التاء مع تخفيف الذال وقوله وفيه إدغام التاء راجع إلى القراءة الأولى وقوله وفى قراءة بسكونها صوابه بتخفيفها وفيه حذف إحدى التاءين فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله ومازائدة لتأكيد القلة) أى وقليلا نعت مصدر محذوف أى تذكرا قليلا أونعت ظرف زمان محذوف أى زمانا قليلا والمصدر أوالظرف منصوب بالفعل بعده (قوله وكم خبرية) أى بمعنى كثيرا ولم ترد فى القرآن إلا هكذا ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية (قوله مفعول) أى لفعل محذوف يفسره قوله أهلكناها من باب الاشتغال والتقدير وكم من قرية أهلكنا أهلكناها و يصح أن يكون كم مبتدأ وجملة أهلكناها خبر ومن قرية تمييز لكم على كل حال .

(قوله أريد أهلها) أى فأطلق المحل وأريد الحال فيه فهو مجاز مرسل (قوله أردنا إهلاكها) جواب عما يقال إن الاهلاك مسبب عن البأس الذى هو العذاب وظاهر الآية يقتضى أن العذاب مسبب عن الاهلاك فأجاب بأن الكلام فيه حذف (قوله بياتا) يحتمل أنه حال والتقدير جاءها بأسنا حال كونه بياتا أى فى البيات بمعنى الليل أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر (قوله أوهم قائلون) أو للتنويع والجملة حالية معطوفة على ماقبلها والواو مقدرة وإنما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفى عطف فى الصورة وقائلون من قال يقيل كباع يبيع فألفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول فهى منقلبة عن واو (قوله والقيلولة استراحة نصف النهار) هذا قول ثان فى تفسيرها فتحصل أن القيلولة فيها قولان النوم وقت الظهر أوالاستراحة فى وسط النهار وإن لم يكن معها نوم (قوله أى مرة جاءها ليلا الخ) هذا تفسير مراد للآية وقوله جاءها أى جاء بعضها ليلا كقوم لوط وقوله ومرة نهارا أى كقوم شعيب (قوله فما كان دعواهم) أى استغاثتهم وتضرعهم أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم (قوله إذ جاءهم) ظرف لقوله دعواهم (قوله إلا أن قالوا) أى إلا قولهم إنا كنا ظالمين والمعنى أنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم وإنما ذلك تحسر وندامة طمعا فى الخلاص (قوله فلنسألن) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لنسألن وهذا إشارة لعذابهم فى الآخرة إثر بيان عذابهم فى الدنيا والمقصود من سؤال الأمم زيادة الافتضاح لهم ومن سؤال الرسل رفع قدرهم وزيادة شرفهم وتبكيت الأمم حيث كذبوهم (قوله بعلم) متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب وقالوا لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب

أريد أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) أردنا إهلاكها (فَجَاءَهَا بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَاتًا) ليلا (أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أى مرة جاءها ليلا ومرة نهارا (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ) قولهم (إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) أى الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم (وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) عن الإبلاغ (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه (وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ) عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا (وَالْوَزْنُ) للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد فى حديث، كائن (يَوْمَئِذٍ) أى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة (الْحَقُّ) العدل صفة الوزن (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)

(قوله وما كنا غائبين) توكيد لما قبله (قوله فيما عملوا) فى بمعنى عن أى عما عملوا (قوله والوزن) مبتدأ وقوله يومئذ خبره والحق نعته وهذا هو إعراب المفسر ويصح أن يكون الحق خبر المبتدأ ويومئذ ظرف منصوب على الظرفية وهذا الوزن بعد أخذ الصحف والحساب ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط وهو مختلف باختلاف أحوال العباد (قوله للأعمال أو لصحائفها) هذا إشارة لقولين فعلى الأول تصور الأعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع فى كفة الحسنات وتصور الأعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع فى كفة السيئات. وبقى قول ثالث وهو أن الوزن للذوات لما فى الحديث «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة» (قوله وكفتان) بكسر الكاف وفتحها فى المثنى والمفرد والجمع كفف بالكسر لاغير (قوله فمن ثقلت موازينه الخ) اعلم أن الناس فى القيامة ثلاث فرق: متقون لاكبائر لهم، ومخلطون، وكفار فأما المتقون فان حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم فى الكفة الأخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة وينعم كل على حسب أعماله، وأما الكفار فانهم يوضع كفرهم فى الكفة المظلمة ولا توجد لهم حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة فيأمر الله بهم إلى النار وهذان الصنفان هما المذكوران فى القرآن صراحة فى آيات الوزن، وأما الذين خلطوا فقد ثبت فى السنة أن حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة فان كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار إلا أن يعفو الله، هذا إن كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله وأما إن كانت عليهم تبعات وكانت لهم حسنات كثيرة فانه يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم وإن لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات المظلوم فحمل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يعذب إلا أن يرضى الله عنه خصماءه.

(قوله بالحسنات) أى بسبب ثقلها فى الميزان ورجحانها على السيئات (قوله بالسيئات) أى بسبب رجحانها على الحسنات (قوله بما كانوا) متعلق بخسروا وما مصدرية و بآياتنا متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة وقوله يجحدون أشار بذلك إلى أنه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالباء (قوله ولقد مكناكم الخ) لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر ومن استمر على الإيمان ذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر (قوله معايش بالياء) أى باتفاق السبعة لأن الياء أصلية إذ هى جمع معيشة وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها أوقلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت إلى ماقبلها وحيث كانت الياء فى المفرد أصلية فانها تبقى فى الجمع وقرئ شذوذا بالهمز تخريجا على زيادة الياء رأصالة الميم وأما إن كانت الياء فى المفرد زائدة فانها تكون فى الجمع همزة كصحائف وصحيفة . قال ابن مالك :

والمد زيد ثالثا فى الواحد همزا يرى فى مثل كالقلائد

(قوله أسبابا تعيشون بها) أى تحيون فيها كالمأكل والشرب وما به تكون الحياة (قوله لتأكيد القلة) أى زائدة لتأكيد القلة والمعنى أن الشاكر قليل قال تعالى - وقليل من عبادى الشكور - (قوله ولقد خلقناكم الخ) تذكير لنعمة عظيمة على آدم سارية إلى ذريته موجبة لشكرها (قوله أى أباكم آدم) أى حين كان طينا غير مصوّر (قوله أى صوّرناه) أى حين كان بشرا بتخطيطه وشق حواسه وإنما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لأجل أن يصح الترتيب بثم وإنما ينسب الخلق والتصوير للمخاطبين إعطاء لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظا من خلق أبيهم وتصويره لأنهما من الأمور السارية فى الذرية جميعا (قوله أو أنتم فى ظهره) هكذا فى نسخة بأو وفى أخرى بالواو فعلى الأولى يكون جوابا ثانيا . والحاصل أن الناس اختلفوا فى ثم فى هذين الموضعين فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيبا وجعلها بمنزلة الواو وأبقى الآية على ظاهرها ومنهم من قال هى للترتيب الزمانى وجعل الكلام على حذف مضاف فى الخلق والتصوير (قوله سجود تحية بالانحناء) أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوى وهو الانحناء كسجود إخوة يوسف وأبويه له

(٦٠)

بالحسنات (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيئات (فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) بتصييرها إلى النار (بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) يجحدون (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ) يابنى آدم (فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) بالياء أسبابا تعيشون بها جمع معيشة (قَلِيلًا مَا) لتأكيد القلة (تَشْكُرُونَ) على ذلك (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) أى أباكم آدم (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) أى صورناه أو أنتم فى ظهره (ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود تحية بالانحناء (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) أبا الجن كان بين الملائكة (لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . قَالَ) تعالى (مَا مَنَعَكَ أَ) ن (لَا) زائدة (تَسْجُدَ إِذْ) حين (أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ .

قال وقد كان تحية للملوك فى الأمم السابقة وعليه فلا إشكال وقال بعضهم إن السجود شرعى بوضع الجبهة على الأرض لله وآدم قبلة كالكعبة ويحتمل أن السجود على ظاهره لآدم ، وقوله إن السجود لغير الله كفر محله إن كان من هوى النفس لا بأمر الله ، ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل (قوله فسجدوا) أى قبل دخول الجنة وأول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون ، واختلف فى مدة السجود فقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة وقيل غير ذلك (قوله أبا الجن) هذا أحد قولين والثانى هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وأنه ليس من الملائكة قال فى الكشاف لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم فى الآية واحتيج إلى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى - إلا إبليس كان من الجن - وقال بعضهم : إنه من الملائكة فالاستثناء متصل وقوله تعالى - كان من الجن - أى فى الفعل والمعول عليه الأول (قوله مامنعك) ما استفهامية للتوبيخ فى محل رفع بالابتداء والجملة بعدها خبر وأن فى محل نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر وإذ منصوب بتسجد والتقدير أى شىء منعك من السجود حين أمرتك (قوله زائدة) أى لتأكيد معنى النفى فى منعك فهو كما فى ص بحذفها وهو الأصل لأن القرآن يفسر بعضه بعضا (قوله خلقتنى من نار) هذه الجملة لامحل لها من الاعراب لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية . فائدة : قال هنا ما منعك وفى سورة الحجر - قال ياإبليس مالك أن لاتكون مع الساجدين - وفى سورة ص - مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى - الآية اختلاف العبارات عند الحكاية دل على أن اللعين قد أدرج فى معصية واحدة ثلاث معاص : مخالفة الأمر ، ومفارقة

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا) أى من الجنة وقيل من السموات (فَمَا يَكُونُ) ينبغى (لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ) منها (إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) الذليلين (قَالَ أَنْظِرْنِي) أخرنى (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ) وفى آية أخرى إلى يوم الوقت المعلوم أى وقت النفخة الأولى (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ) أى لبنى آدم (صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) أى على الطريق الموصل إليك (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) أى من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتى من فوقهم لئلا يحول بين العبد و بين رحمة الله تعالى (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) مؤمنين (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا) بالهمزة معيبا أو ممقوتا (مَدْحُورًا) مبعدا عن الرحمة (لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم ، وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) أى منك بذريتك ومن الناس ، وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفى الجملة معنى جزاء من الشرطية أى من تبعك أعذبه ،

الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم ، وشبهة الخبيث أن النار جسم لطيف نورانى والطين جسم كثيف ظلمانى وما كان لطيفا نورانيا خير مما كان كثيفا ظلمانيا ، ولما كان ما احتج به على ربه باطلا لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة و يتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه إليه ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلى والنار منافعها قليلة ولا يتوقف عليها نظام العالم لوجود كثير منه غير محتاج لها ولا لما يسوى بها ردّ عليه المولى بأشنع ردّ وأجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر بقوله فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها الآية (قوله قال فاهبط منها) الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من مخالفة اللعين (قوله أى من الجنة) أى وعليه فبقى فى السموات خارج الجنة (قوله وقيل من السموات) أى فلم يبق له استقرار فى العالم العلوى أصلا (قوله أن تتكبر فيها) أى ولا فى غيرها فى الكلام اكتفاء لأن الكبر مذموم مطلقا (قوله الذليلين) تفسير للصاغرين من الصغار وهو بالفتح الذل والضيم (قوله قال أنظرنى) لما كره اللعين إذاقة الموت طلب البقاء والخلود إلى يوم البعث ومن المعلوم أن لاموت بعده فقصد استمرار الحياة فى الدنيا والآخرة فأجابه الله لا على مراده بل أمهله إلى النفخة الأولى ولا نجاة له من الموت ولا من العذاب (قوله أى وقت النفخة الأولى) أى لا وقت النفخة الثانية التى طلبها اللعين (قوله قال فبما أغويتنى الخ) غرضه بهذا أخذ ثأره منهم لأنه لما طرد ومقت بسببهم أحب أن ينتقم منهم أخذا بالثأر (قوله والباء للقسم) أى وما مصدرية وما بعدها مسبوك بها يشير له قول المفسر أى باغوائك لى ويصح أن تكون للسببية (قوله أى على الطريق الخ) أشار به إلى أن صراط منصوب على نزع الخافض (قوله من بين أيديهم ومن خلفهم) أى من الجهات التى يعتاد الهجوم منها وهى الجهات الأربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت أما الفوق فلكونه لم يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه كما قال ابن عباس وأما التحت فالكبره لا يرضى أن يأتى من ذلك ويكثر إتيانه من أمام وخلف و يضعف فى اليمين واليسار لحفظ الملائكة ، وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت لكون الآتى من تحت إنما يريد الازعاج وهو يريد التأليف للغواية والأول أقرب و إنما عدى الفعل فى الأولين بمن الابتدائية لأن شأن التوجه منهما بخلاف الأخيرين فالآتى منهما كالمنحرف لليسار (قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين) يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدى لواحد وشاكرين حال و يحتمل أنه بمعنى العلم فيتعدى لاثنين (قوله قال اخرج منها مذءوما) تأكيد لما تقدم والمذءوم بالهمزة من ذأمه يذأمه ذأما إذا عابه ومقته أى اخرج ممقوتا معابا عليك (قوله مبعدا عن الرحمة) أى لأن الدحر الطرد والابعاد يقال دحره يدحره دحرا ودحورا ، ومنه قوله تعالى ـ ويقذفون من كل جانب دحورا ـ وهما حالان من فاعل اخرج (قوله واللام للابتداء) أى داخلة على المبتدأ فمن اسم موصول مبتدأ وتبعك صلته ومنهم متعلق بتبعك وقوله لأملأنّ جواب قسم محذوف بعد قوله منهم والقسم وجوابه فى محل رفع خبر المبتدإ (قوله أو موطئة للقسم) والتقدير والله لمن تبعك ومن اسم شرط مبتدأ ولأملأنّ جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب الشرط محذوف لسدّ جواب القسم مسدّه (قوله وفيه تغليب الحاضر) أى وهو إبليس وقوله على الغائب أى وهو الناس (قوله وفى الجملة) أى وهى لأملأنّ وقوله معنى جزاء من أى على كونها شرطية وتقديره أعذبه .

(قوله ويا آدم) تقدير للمفسر قال يفيد أنه معطوف على أخرج مسلط عليه عامله عطف قصة على قصة ويصح عطفه على قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا فيكون مسلطا عليه قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة ، والأول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه ، وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك (قوله تأكيد للضمير فى اسكن) أى وليس هو الفاعل لأن فاعل فعل الأمر واجب الاستتار ، وقوله ليعطف عليه وزوجك جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل (قوله حواء) سميت بذلك لأنها خلقت من حى وهو آدم ، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة مضى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها ، فلما استيقظ ورآها مال إليها ، فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها ، فقال وما مهرها ؟ فقالوا ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . إن قلت إن شرط المهر أن يكون متمولا وهذا ليس بمتمول . أجيب بأن هذا الشرط فى شرع محمد ولم يكن فى شرع آدم وأيضا الآمر هو الله وهو يحكم لامعقب لحكمه ، وأيضا من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج بلا مهر أصلا فلما كان هو الواسطة فى ذلك عدّ كأنه هو العاقد لهما وإنما كان خصوص الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لكل أحد حتى أبيه آدم ، وأمر الله آدم بالسكون فى الجنة قيل قبل دخول الجنة فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم الله بها فانها لم تكن خلقت إذ ذاك وقيل بعد الدخول وهو المعتمد وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار (قوله فكلا من حيث شئتما) أى فى أى مكان وفى الكلام حذف بعد من والأصل فكلا من ثمارها حيث شئتما وترك رغدا من هنا اكتفاء بذكره فى البقرة وأتى بالفاء هنا وفى البقرة بالواو تفننا وإشارة إلى أن كلا من الحرفين بمعنى الآخر ، وقيل إن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من

(وَ) قال (يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ) تأكيد للضمير فى اسكن ليعطف عليه (وَزَوْجُكَ) حواء بالمد (الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) بالأكل منها وهى الحنطة (فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) إبليس (لِيُبْدِيَ) يظهر (لَهُمَا مَا وُورِيَ) فوعل من المواراة (عَنْهُمَا

الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة وما ذكره شيخ الاسلام من الجواب بعيد كما تقدم لنا فى البقرة فانظره . بقى شىء آخر وهو أنه وجه الخطاب أولا لآدم وثانيا لهما ، وحكمة ذلك أن حواء فى السكنى تابعة لآدم فوجه الخطاب من فى السكنى لآدم وأما فى الأكل من حيث شاءا والنهى عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه فلذا وجه الخطاب لهما معا (قوله ولا تقربا) يقال قربت الأمر أقرب به من باب تعب وفى لغة من باب قتل قربانا بالكسر فعلته أو دانيته وحينئذ يكون النهى عن القربان أبلغ من النهى عن الأكل بالفعل (قوله وهى الحنطة) وقيل الكرم وقيل التين وقيل البلح وقيل الأترج والمشهور ما قاله المفسر (قوله من الظالمين) أى لأنفسهما (قوله فوسوس لهما الشيطان) الوسوسة الحديث الخفى الذى يلقيه الشيطان فى قلب الانسان على سبيل التكرار . إن قلت إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان وظاهر الآية يقتضى أن الشيطان وسوس لآدم . أجيب بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة ، وإنما باشر حواء وهى باشرت آدم بذلك ، قال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك ؟ قال أطعمتنى حواء ، قال لحواء لم أطعمتيه ؟ قالت أمرتنى الحية ، قال للحية لم أمرتيها ؟ قالت أمرنى إبليس ، قال الله : أما أنت ياحواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة ، وأما أنت ياحية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك ، وأما أنت يا إبليس فملعون إن قلت كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة . أجيب بأن وسوسته وإن كانت خارج الجنة إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله فى جوف الحية ووسوس لهما وقوله الشيطان من شاط بمعنى احترق أو من شطن بمعنى بعد (قوله إبليس) من أبلس إبلاسا بمعنى يائس لأنه آيس من رحمة الله ، وقد تقدم فى البقرة جملة أسمائه فانظرها (قوله ليبدى لهما) هذا من جملة أغراضه فى الوسوسة فتكون اللام للتعليل ويحتمل أنها للعاقبة وأن غرضه فى الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة (قوله ماوورى عنهما) أى غطى وستر عنهما . واختلف فى ذلك اللباس فقيل غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار فى اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعا ، ولذلك قالوا إن النظر للأظفار فى حال الضحك يقطعه وقيل كان نورا وقيل كان من ثياب الجنة (قوله فوعل) أشار بذلك

إلى أن الواو الثانية زائدة وحينئذ فلا يجب قلب الأولى همزة و إنما يجب لو كانت الثانية أصلية (قوله من سوآتهما) أى عوراتهما سميت بذلك لأن كشفها يسىء صاحبها (قوله وقال مانهاكما) معطوف على وسوس بيان له (قوله إلا أن تكونا ملكين) بفتح اللام أى لم ينهكما عن الأكل منها إلا كراهة أن تكونا من الملائكة أو تكونا من الخالدين فى الجنة ، فالمعنى الذى ادعاه لهما أن الأكل منها سبب لأن يكونا من الملائكة وسبب للخلود فيها (قوله كراهة) أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله قدره البصريون إلا كراهة أن تكونا الخ وقدره الكوفيون أن لا تكونا وتقدير البصريين أولى لأن إضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف (قوله وقرىء بكسر اللام) أى شذوذا و يؤيده قوله تعالى فى موضع آخر هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر (قوله أى وذلك) أى أحد الأمرين ، وقوله لازم أى ناشىء عن الأكل منها وقضية هذه الآية على قراءة الكسر عدم اجتماع الأمرين وقضية الآية الأخرى وهى هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اجتماعهما . وأجيب بأن أو بمعنى الواو وحكمة ترغيبهما فى الملكية أن الملائكة خصوا بالقرب من العرش ولهم المنزلة عند الله (قوله وقاسمهما) معطوف على فوسوس لهما الشيطان و إنما أقسم لهما لأجل تأكيد إضلاله فهو أول من حلف كاذبا بل هو أول من عصى الله مطلقا (قوله أى أقسم لهما بالله) أى وقبلا منه القسم فالمفاعلة باعتبار ذلك و إلا فالواقع ليست على بابها لأن الحالف هو فقط (قوله فى ذلك) أى ماذكر من كونهما يلحقان بالملائكة و يكونان من الخالدين (قوله فدلاهما) التدلى النزول من أعلى لأسفل (قوله حطهما عن منزلتهما) أى الحسية لأن غروره

مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا) كراهة (أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ) وقرىء بكسر اللام (أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) أى وذلك لازم عن الأكل منها كما فى آية أخرى : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (وَقَاسَمَهُمَا) أى أقسم لهما بالله (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) فى ذلك (فَدَلَّاهُمَا) حطهما عن منزلتهما (بِغُرُورٍ) منه (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) أى أكلا منها (بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) أى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذا يلزقان (عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة والاستفهام للتقرير (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا) بمعصيتنا ،

تسبب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض لا المعنوية بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت (قوله بغرور) الباء سببية والغرور تصوير الباطل بصورة الحق (قوله فلما ذاق الشجرة) من الذواق وهو تناول الشىء ليعرف طعمه وفيه إشارة إلى أنهما لم يتناولا منها كثيرا لأن شأن من ذاق الشىء أن يقتصر على ماقل منه (قوله بدت لهما سوآتهما) أى سقط عنهما لباسهما فبدت الخ (قوله ودبره) أى الآخر وأما دبر نفسه فلا يظهر له إلا إن التفت له وتعاناه (قوله يسوء صاحبه) أى يوقعه فى السوء (قوله وطفقا) من باب طرب أى شرعا وأخذا (قوله يخصفان) من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لأجل الستر (قوله عليهما) أى القبل والدبر (قوله من ورق الجنة) قيل ورق التين وقيل ورق الموز (قوله وناداهما ربهما) يحتمل على لسان ملك أو مباشرة (قوله ألم أنهكما) إما تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب أو مقول لقول محذوف والتقدير قائلا ألم أنهكما الخ (قوله وأقل لكما) أى كما فى آية طه فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك الآية (قوله بين العداوة) أى حيث امتنع من السجود له ورضى بالطرد والبعد (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار والمعنى أقرا بذلك على حد ألم نشرح لك صدرك (قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) هذا إخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ماوقع منهما وإنما عاتبهما الله على ذلك و إن كان ليس بمعصية حقيقية لأن حسنات الأبرار سيآت المقربين وليس ذلك بقادح فى عصمة آدم لأن المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة ، وأما الخطأ فى الاجتهاد والنسيان الرحمانى فهو جائز عليهم ، ونظير ذلك ماوقع فى قصة ذى اليدين حيث سلم رسول الله من ركعتين ، فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال كل ذلك لم يكن ، فقال بل بعض ذلك قد كان الحديث ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أنس ولكن أنسى لأسن ، وحكمة الأكل من الشجرة ماترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة فمن نسب التعمد والتجرؤ لآدم

فقد كفر كما أن من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية وعصى آدم ربه فغوى فالخلاص من ذلك أن يقال إن معصيته ليست كالمعاصي وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره (قوله وإن لم تغفر لنا) شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم (قوله بما اشتملتما عليه من ذريتكما) أي فهذا هو وجه الجمع في الآية وقيل إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس ويكون قوله بعضكم لبعض عدو باق على ظاهره لأن إبليس والحية عدو لآدم وحواء (قوله مكان استقرار) أي وهو المكان الذي يعيش فيه الانسان والمكان الذي يدفن فيه (قوله قال فيها تحيون) أصله تحييون كترضيون تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله بالبناء للفاعل الخ) أي في تخرجون وأما تحيون وتموتون فللفاعل لاغير (قوله يابني آدم) لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم به عليهما وفتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموما بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لأنه عدو لأبيهم والعداوة للآباء متصلة للأبناء (قوله قد أنزلنا عليكم لباسا) أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كالقطن والكتان وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير (قوله سوآتكم) أي عوراتكم أي فهو نعمة (قوله وريشا) معطوف على لباسا وعبر عنه بالريش لأن الريش زينة الطائر كما أن اللباس زينة الآدميين، والمعنى أن الله تعالى منّ على بني آدم بلباسين لباسا يواري سوآتهم ولباسا ريشا أي زينة ويصح أن يكون معطوفا على يواري فيكون وصف اللباس بشيئين كونه يواري سوآتكم وكونه زينة لكم ويؤخذ (٦٤) من الآية أن لبس لباس الزينة غير مذموم والمراد الزينة التي لم تخالف الشرع وهذا إن صح القصد بأن لم يقصد الفخر ولا العجب بها كما أن التقشف في اللباس غير مذموم إن كان خاليا من الأغراض الفاسدة بأن لم يقصد به دعوى الولاية أو إظهار الفقر لأجل أن يتصدق عليه، وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تخشن فيها وفي هذا المعنى قال بعضهم:

(وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قَالَ اهْبِطُوا) أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) من ظلم بعضهم بعضا (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) مكان استقرار (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَى حِينٍ) تنقضي فيه آجالكم (قَالَ فِيهَا) أي الأرض (تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا) أي خلقناه لكم (يُوَارِي) يستر (سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا) هو ما يتجمل به من الثياب (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دلائل قدرته (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب (يَا بَنِي آدَمَ

لا يفتننكم

ليس التصوف لبس الصوف والخلق ... بل التصوف حسن الصمت والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت وقم ... جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق
فرب لابس الديباج يشغله ... حب الذي خلق الانسان من علق
وكم فتى لابس للخيش تحسبه ... ناج وذلك عند العارفين شقي
فان ذلك لم يحجبه ملبسه ... وذا مع اللبس مأسور فلم يفق

(قوله ولباس التقوى) أي الناشئ عنها أو الناشئة عنه (قوله العمل الصالح) أي المنجي من العذاب لأن الانسان يكسى من عمله يوم القيامة (قوله خبره جملة ذلك خير) أي فاسم الاشارة مبتدأ ثان وخير خبره والجملة من المبتدإ الثاني وخبره خبر الأول واسم الاشارة عائد على قوله ولباس التقوى وإنما كان خيرا لأنه يستر من فضائح الآخرة وفي الحديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فاذا كان كذلك فينبغي للانسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة وباطنه بالاخلاص فانه محل نظر الله منه، ولذلك قال العارف البكري إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه وزين سري بالأسرار وعن الأغيار فصنه (قوله ذلك من آيات الله) اسم الاشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه (قوله فيه التفات عن الخطاب) أي وكان مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون ونكتته دفع الثقل في الكلام (قوله يابني آدم) لما ذكرهم نعمة اللباس نبههم على أن الشيطان

حسود وعدوّلهم كما أنه حسود وعدوّ لأبيهم (قوله لايفتننكم الشيطان) هو نهى له صورة وفى الحقيقة نهى لبنى آدم عن الاصغاء لفتنه وأتباعه فليس المراد النهى عن تسلطه إذ لاقدرة لمخلوق على منع ذلك لأنه قضاء مبرم بل المراد النهى عن الميل إليه و إلى ذلك أشار المفسر بقوله أى لاتتبعوه فتفتنوا (قوله كما أخرج) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر والتقدير فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم والجامع بينهما زوال النعم فى كل (قوله أبويكم) أى آدم وحواء (قوله بفتنته) الباء سببية (قوله حال) أى من أبويكم أومن ضمير أخرج وكل صحيح فان الجملة مشتملة على ضمير الأبوين وعلى ضمير الشيطان و إسناد النزع إليه باعتبار كونه سببا فيه والنزع أخذالشئ بسرعة وقوةومنه قوله تعالى : تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ، وفيه إشارة إلى أن من اتبع الشيطان تزول نعمه بسرعة وقوة وأتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضارا للصورة العجيبة (قوله إنه يراكم) تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهى كأنه قيل فاحذروه لأنه يراكم الخ (قوله وقبيله) معطوف على الضمير المتصل فى يراكم وأتى بالضمير المنفصل و إن كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة فى الفصاحة . والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق ولذلك فسره بالجنود والقبيلة الجماعة من أب واحد (قوله من حيث لاترونهم) من ابتدائية وحيث ظرف مكان والتقدير إنه يراكم رؤية مبتدأة من مكان لاترونهم فيه (قوله للطافة أجسادهم) أى فأجسامهم كالهواء نعلمه وتتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه هذا وجه عدم رؤيتنا لهم ، وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوننا وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة فى أبصارهم وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية ، وأما إذا تصوروا بغيرها فنراهم لأن الله جعل لهم قدرة على التشكل بالصور الجميلة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة كما فى الأحاديث الصحيحة فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم و بين الملائكة أن الملائكة لا يتشكلون إلا فى الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد

(لَا يَفْتِنَنَّكُمُ) يضلنكم (الشَّيْطَانُ) أى لاتتبعوه فتفتنوا (كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ) بفتنته (مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ) حال (عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ) أى الشيطان (يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) جنوده (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ) أعوانا وقرناء (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها (قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا) فاقتدينا بهم (وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) أيضا (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أنه قاله ، استفهام إنكار (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) العدل (وَأَقِيمُوا) معطوف على معنى بالقسط أى قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدرا (وُجُوهَكُمْ) لله (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)

إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بنى آدم مساكن لهم إلا من عصمه الله كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم و بنو آدم لايرونهم . قال مجاهد قال إبليس : جعل لنا أربع[1] نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى و يعود شيخنا شابا . وقال مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المجاهدة إلا من عصمه الله (قوله إنا جعلنا الشياطين أولياء) أى صيرناهم أعوانا لغير المؤمنين ومكناهم من إغوائهم فتحرزوا منهم (قوله و إذا فعلوا فاحشة) هذه الآية نزلت فى كفار مكة كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار ونساؤهم بالليل فكان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لاينبغى أن أطوف فى ثوب قد عصيت فيه ربى فيقول من يعيرنى إزارا فان وجد و إلا طاف عريانا و إذا فرض وطاف فى ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه وحرّمها على نفسه (قوله قالوا وجدنا الخ) أى محتجين بهذين الأمرين : تقليد الآباء ، والافتراء على الله (قوله قل إن الله لايأمر بالفحشاء) أى ردا لمقالتهم الثانية وترك رد الأولى لوضوح فسادها (قوله أتقولون على الله مالاتعلمون) أى لأنكم لم تسمعوه مشافهة ولم تأخذوه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وخلقه (قوله استفهام إنكار) أى وتوبيخ وفيه معنى النهى (قوله معطوف على معنى بالقسط) دفع بذلك مايقال إن قوله أمر ربى بالقسط خبر وقوله وأقيموا إنشاء ولا يصح عطف الانشاء على الخبر . فأجاب بجوابين : الأول أن أقيموا معطوف على المعنى والتقدير قال أقسطوا وأقيموا . الثانى أن الكلام فيه حذف والتقدير قل أمر ربى بالقسط فاقبلوا وأقيموا .

(١) (قوله جعل لنا أربع) لم يذكر إلا ثلاثا . اهـ مصححه

(قوله أى أخلصوا له سجودكم) أى صلاتكم ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله وادعوه) عطف عام (قوله كما بدأكم تعودون) كلام مستأنف مسوق للرد على منكرى البعث أى يعيدكم أحياء أى بالأرواح والأجساد بعينها (قوله فريقا هدى) فريقا معمول لهدى وفريقا الثانى معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق فى المعنى، والتقدير وأضل فريقا حق عليهم الضلالة أى ثبت فى الأزل ضلالهم (قوله إنهم اتخذوا) علة لقوله حق عليهم (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) أى يظنون أنهم على هدى والحال أنهم ليسوا كذلك (قوله يابنى آدم الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل يقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها وكانوا لا يأكلون فى أيام حجهم إلا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم (قوله أى مايستر عورتكم) راعى فى هذا المحل سبب النزول وأصل الواجب، وعموم اللفظ يفيد أن المطلوب فى الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو المندوب شرعا تأمل (قوله عند كل مسجد) المسجد فى الأصل موضع السجود ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف من باب تسمية الحال باسم المحل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالذى ينبغى للأمة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة (قوله وكلوا واشربوا) أى من الحلال فانه رأس التقوى (قوله ولا تسرفوا) أى بأن تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم أو تحلوا الحرام أو تتجاوزوا الحد فى الأكل والشرب كالتعمق فى ذلك أو الإكثار المضر لما فى الحديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه» ولأن ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص إلا بالضرر لما ورد فى الحديث أيضا «أصل كل داء البردة» وهى إدخال الطعام على الطعام فالمناسب أن لا يأكل حتى يجوع وأن يقوم ونفسه تشتهى الطعام فان ملك النفس عن الإسراف فى المباح أكبر دليل على ملكها عن الحرام كذلك

أى أخلصوا له سجودكم (وَادْعُوهُ) اعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (كَمَا بَدَأَكُمْ) خلقكم ولم تكونوا شيئا (تَعُودُونَ) أى يعيدكم أحياء يوم القيامة (فَرِيقًا) منكم (هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ. يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ) ما يستر عورتكم (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) عند الصلاة والطواف (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) ما شئتم (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ) إنكارا عليهم (مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) من اللباس (وَالطَّيِّبَاتِ) المستلذات (مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم (خَالِصَةً) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(قوله إنه لا يحب المسرفين) أى يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم (قوله إنكارا عليهم) أى وتوبيخا لهم وحيث كان إنكاريا فلا جواب له (قوله التى أخرج لعباده) أى التى خلقها لهم من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع وكلها جائزة للرجال والنساء ماعدا الحرير الخالص للرجال فانه يحرم عليهم إجماعا، وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففيه خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة والجواز والمعتمد عدم الحرمة (قوله قل هى) أى الزينة من الثياب والطيبات من الرزق (قوله بالاستحقاق) أى الأصلى، وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق التبع وهذا جواب عما يقال إن المشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم فكيف يقال إنها للذين آمنوا فى الحياة الدنيا؟. فأجاب بما ذكر، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا الآية ولذا لا يعاقبون عليها لأن الله خلقها لهم بطريق الأصالة ليستعينوا بها على طاعاته ولذا إذا عدمت المؤمنون فى آخر الزمان تقوم القيامة إذ لم يبق مستحق للنعم (قوله خاصة بهم) أى لا يشاركهم فيها غيرهم (قوله بالرفع) أى خبر ثان (قوله والنصب حال) أى من الضمير فى الخبر المحذوف والتقدير هى كائنة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة وإنما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة لأن رحمة الله تنفرد بالمؤمنين وغضبه ينفرد بالكافرين قال تعالى: وامتازوا اليوم أيها المجرمون.

(قوله كذلك نفصل الآيات) أى نبينها ونوضحها فى غير هذا الموضع مثل ذلك التفصيل والتوضيح فى هذا الموضع (قوله لقوم يعلمون) أى أنه مستحق للعبادة (قوله فانهم المنتفعون بها) أى وغيرهم لايعبأ به ولايخاطب (قوله كالزنا) أى والقتل وسلب الأموال وسائر أنواع الفسق بالجارحة (قوله أى جهرها وسرها) المراد بالجهر المعاصى الظاهرية كالقتل وشرب الخمر و بالسر المعاصى الباطنية القلبية كالعجب والكبر والرياء (قوله والاثم) عطف عام على خاص ومابعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأنه (قوله هو الظلم) أى للناس إما بالقتل أوسلب الأموال أوالتكلم فى أعراضهم أوغير ذلك وقوله بغير الحق إيضاح لمعنى البغى فهو صفة كاشفة (قوله مالم ينزل به سلطانا) مانكرة بمعنى شىء أى شيئا سواء تعالى (قوله حجة) أى دليلا لأن دليل الوحدانية قد أبطل الشرك لغيره (قوله وغيره) أى كتحليل الحرام و يدخل فى ذلك الفقى بالكذب (قوله ولكل أمة أجل) أى لكل فرد من أفراد الأمة (قوله مدة) أى وقت معين (قوله ساعة) أى شيئا قليلا من الزمن فالمراد بالساعة الساعة الزمانية وقوله لايستأخرون جواب إذا وقوله ولا يستقدمون مستأنف أومعطوف على الجملة الشرطية ولا يصح عطفه على قوله لايستأخرون لأن المعطوف على الجواب جواب وجواب إذا يشترط أن يكون مستقبلا والاستقدام بالنسبة لمجىء الأجل ماض فلا يصح ترتبه على الشرط (قوله يابنى آدم) هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره ولكن المقصود من كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل على عموم رسالته لأن الله خاطب من أجله عموم بنى آدم (قوله فى ما المزيدة) أى للتأكيد (قوله يأتينكم) فعل الشرط مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة فى محل جزم وجملة فمن اتقى إلى خالدون جواب الشرط والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم ومن يحتمل أن تكون شرطية واتقى فعل الشرط وجملة فلا خوف

(٦٧)

(كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ) نبينها مثل ذلك التفصيل (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون فانهم المنتفعون بها (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ) الكبائر كالزنا (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) أى جهرها وسرها (وَالْإِثْمَ) المعصية (وَالْبَغْيَ) على الناس (بِغَيْرِ الْحَقِّ) هو الظلم (وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) باشراكه (سُلْطَانًا) حجة (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من تحريم مالم يحرم وغيره (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) مدة (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه (سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) عليه (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ) الشرك (وَأَصْلَحَ) عمله (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا (عَنْهَا) فلم يؤمنوا بها (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. فَمَنْ) أى لاأحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك والولد إليه (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) القرآن (أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ) يصيبهم (نَصِيبُهُمْ) حظهم ،

عليهم جوابه و يحتمل أنها موصولة واتقى صلتها وجملة فلاخوف عليهم خبرها وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من معنى العموم (قوله منكم) أى من جنسكم يابنى آدم و إنما كان من جنسهم لأنه أقطع لعذرهم وحجتهم (قوله يقصون) أى يقرءون و يتلون (قوله آياتى) أى القرآنية وغيرها (قوله فمن اتقى الشرك) أشار بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة وهى اتقاء الشرك بالايمان لقرينة قوله وأصلح وأعلى منها تقوى الخواص وهى ترك المعاصى وأعلى منها ترك الأغيار وهى كل مشغل عن الله ، ولهذه المرتبة أشار العارف بقوله : ولوخطرت لى فى سواك إرادة . على خاطرى يوما حكمت بردتى

(قوله وأصلح عمله) أى بأن ترك المعاصى أوكل مشغل عن الله فهوصادق بتقوى الخواص وخواص الخواص (قوله فى الآخرة) أى وأما فى الدنيا فلايفارقهم الخوف ولا الحزن لتذكرهم الموت وأحوال الآخرة ولوجاءتهم البشرى من الله فالحزن دأب الصالحين فى الدنيا لزيادة درجاتهم (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى تكبروا عن الايمان بها (قوله أى لاأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله بنسبة الشريك) الباء سببية ، والمعنى لاأحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بسبب نسبة الشريك لله ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الأصنام والنصارى واليهود حيث نسبوا له لولد (قوله أوكذب بآياته) أىو إن لم ينسب الشريك له لأنه لايلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له ، وأما نسبة الشريك له فيلزم منها التكذيب بالآيات (قوله أولئك ينالهم نصيبهم) أى فى الدنيا .

(قوله من الكتاب) من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم وقوله مما كتب لهم بيان النصيب (قوله من الرزق) أى على حسبه من سعة وضيق وكونه من حلال أوحرام وقوله والأجل أى من قصر أوطول وقوله وغير ذلك أى كالعمل وكما أن ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ مكتوب فى صحف الملائكة وهو فى بطن أمه فتحصل أن ماقسم له فى الحياة الدنيا لايغيره كفر ولا إسلام (قوله حتى إذا جاءتهم) حتى إما ابتدائية أو جارة (قوله الملائكة) قيل إنهم عزرائيل وأعوانه لقبض أرواحهم وقيل إنهم ملائكة العذاب وتقدم أنهم سبع موكلون بأخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب (قوله تبكيتا) أى توبيخا وتقريعا (قوله أين ما كنتم تدعون من دون الله) أى الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب (قوله فلم نرهم) أى مع شدة احتياجنا إليهم فى هذا الوقت (قوله وشهدوا على أنفسهم) كلام مستأنف إخبار من الله باقرارهم على أنفسهم بالكفر ولا تعارض بين هذا و بين قوله : والله ربنا ما كنا مشركين ؛ لأن مواقف القيامة مختلفة (قوله قال ادخلوا فى أمم) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته (قوله فى أمم) فى بمعنى مع أى ادخلوا مصاحبين لأمم وهو حال من فاعل ادخلوا وتسمى حالا منتظرة لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم وقوله قد خلت صفة أولى لأمم وقوله من قبلكم صفة ثانية وقوله من الجن والانس صفة ثالثة وقوله فى النار فى للظرفية فاندفع مايقال يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد

(مِنَ الْكِتَابِ) مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك (حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا) أى الملائكة (يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا) لهم تبكيتا (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلم نرهم (وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) عند الموت (أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ . قَالَ) تعالى لهم يوم القيامة (ادْخُلُوا فِي) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) متعلق بادخلوا (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ) النار (لَعَنَتْ أُخْتَهَا) التى قبلها لضلالها بها (حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا) تلاحقوا (فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ) وهم الأتباع (لِأُولَاهُمْ) أى لأجلهم وهم المتبوعون (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا) مضعفا (مِنَ النَّارِ ، قَالَ) تعالى (لِكُلٍّ) منكم ومنهم (ضِعْفٌ) عذاب مضعف (وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) بالياء والتاء ـ مالكل فريق (وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء ، قال تعالى لهم (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا (عَنْهَا) فلم يؤمنوا بها ،

(قوله قد خلت) أى سبقت ومضت (قوله فى النار) المراد بها دار العقاب بجميع طباقها (قوله لعنت أختها) أى فى الدين (قوله التى قبلها) أى فى التلبس بذلك الدين فالنصارى تلعن النصارى واليهود تلعن اليهود والمجوس تلعن المجوس وهكذا كل من اقتدى بغيره فى دين باطل (قوله اداركوا) أصله تداركوا قلبت التاء دالا وأدغمت فى الدال وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله أخراهم) (لا أى المتأخرون عنهم فى الزمن فأخرى تأنيث آخر مقابل أول لا تأنيث آخر الذى بمعنى غير (قوله وهم الأتباع) أى كانوا فى زمنهم أو تأخروا بعدهم (قوله أى لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام فى لأولاهم للتعليل وليست للتبليغ لأن الخطاب مع الله لامعهم (قوله وهم المتبوعون) أى الرؤساء (قوله ضعفا) ضعف الشيء فى الأصل أقل مايتحقق فيه مثل ذلك الشيء والمراد هنا الزيادة إلى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفا (قوله لكل ضعف) أما المتقدمون فلضلالهم وإضلالهم وأما المتأخرون فلكفرهم وتقليدهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للأخرى أو للأحياء الذين فى الدنيا وعلى الياء يكون إخبارا عن المتقدمين والمتأخرين (قوله مالكل فريق) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله لأخراهم) اللام هنا للتبليغ لأن الخطاب معهم (قوله لأنكم لم تكفروا بسببنا) أى بل كفرتم اختيارا لا أنا حملناكم على الكفر وأكرهناكم عليه لأنه لا يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب (قوله قال تعالى لهم) هذه إحدى طريقتين والأخرى أنه من كلام الرؤساء للاتباع (قوله بما كنتم تكسبون) أى بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة (قوله إن الذين كذبوا بآياتنا) أى وماتوا على ذلك (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير تكبروا عن الايمان بها .

(قوله لاتفتح) بالبناء للمفعول إما بالتاء أو الياء مع التخفيف أو التشديد وكلها سبعية (قوله إذا عرج بأرواحهم) ومثلها دعاؤهم وأعمالهم (قوله إلى سجين) هو واد فى جهنم أسفل الأرض السابعة تسجن به أرواح الكفار وقيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة وأما عليون فقيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمنى الثقلين وقيل هو مكان فى الجنة فى السماء السابعة تحت العرش (قوله و يصعد بروحه إلى السماء السابعة) أى وترى مقعدها فى الجنة وترجع مسرورة فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها (قوله كما ورد فى حديث) أى وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبض روح الكافر «ويخرج معها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتفتح لهم أبواب السماء» (قوله ولايدخلون الجنة) أى بعد الموت (قوله حتى يلج الجمل) الولوج الدخول بشدة والجمل الذكر من الابل وخص بذلك لأنه أعظم جسم عند العرب فجسم الجمل من أعظم الأجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ وهو تعليق جائز على مستحيل والمعلق على المستحيل مستحيل فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل (قوله فى سم الخياط) السم مثلث السين لكن القراء السبعة على الفتح وقرئ شذوذا بالضم والكسر وجمعه سمام وأما مايقتل فهو مثلث أيضا إلا أن جمعه سموم. والخياط هو الآلة التى يخاط بها و يقال لها مخيط أيضا (قوله وكذلك الجزاء) أى المتقدم وهو عدم فتح أبواب السماء لهم وعدم دخولهم الجنة (قوله نجزى المجرمين) أى كما جزينا هؤلاء نجزى كل من اتصف بالاجرام من مبدإ الزمان إلى منتهاه (قوله لهم) أى للذين كذبوا واستكبروا (قوله ومن فوقهم غواش) الجار والمجرور خبر مقدم وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل، والمعنى أن النار محيطة بهم من كل جانب وقد ورد أن سقف النار من نحاس وأرضها من رصاص وحيطانها من كبريت ووقودها الناس والحجارة (قوله وتنوينه عوض من الياء المحذوفة) هذا بناء على الصحيح من أن الاعلال مقدم على منع الصرف فأصله غواشى بالتنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف فحذف تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء فأتى بالتنوين عوضا عنها وأما تصريفها على أن منع الصرف مقدم على الاعلال فأصلها غواشى بترك التنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتى بالتنوين عوضا عن الحركة التى هى الضمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت الياء لالتقائهما (قوله وكذلك) أى مثل الجزاء المتقدم (قوله نجزى الظالمين) عبر عنهم أولا بالمجرمين وهنا بالظالمين اشارة إلى أنهم اتصفوا بالأمرين معا (قوله والذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكافرين أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه فى كتابه والاسم الموصول مبتدأ وآمنوا صلته وعملوا الصالحات معطوف عليه وقوله لانكلف نفسا إلا وسعها اعتراض بين المبتدإ والخبر وهو قوله أولئك أصحاب الجنة وهذا مامشى عليه المفسر تبعا لأكثر علماء المعانى وقال بعضهم لانكلف نفسا إلا وسعها خبر والرابط محذوف أى لانكلف منهم (قوله لانكلف نفسا إلا وسعها) أى مايسعها من الأعمال وما يسهل عليها ودخل فى طوقها وقدرتها وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى (قوله اعتراض) وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على أن الجنة مع عظم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة. إن قلت ورد أن الجنة حفت بالمكاره فكيف تقولون إن الجنة يتوصل إليها بالعمل السهل. أجيب بأن المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس وهى فى طاقة العبد فالمراد بالعمل السهل ما كان فى طاقة العبد كان فعلا أو تركا.

(لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له و يصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد فى حديث (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ) يدخل (الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم (وَكَذَٰلِكَ) الجزاء (نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) بالكفر (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ) فراش (وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مبتدأ وقوله (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها من العمل اعتراض بينه و بين خبره وهو (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

(قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ) أى خلقناهم فى الجنة مطهرين منه لا أنهم دخلوا الجنـة به ثم نزع وحكمة نزع الغلّ من صدور أهل الجنة أن كل أحد منهم أعطى فوق أمانيه أضعافا مضاعفة (قوله حقد كان بينهم فى الدنيا) الحقد هو ضيق الصدر من الغير وهو أسّ الحسد وهو معصية قلبية تجب التوبة منه ومجاهدة النفس لتخاص منه ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم . واعلم أن الناس ثلاثة أقسام قسم خلصت قلوبهم من الأمراض الباطنية فهم فى الدنيا كأهل الجنة فى الجنة يحبون للناس مايحبونه لأنفسهم وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم وقسم لم تخلص قلوبهم غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك ويلومون أنفسهم على مافى قلوبهم وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم ولايؤاخذون بذلك حينئذ وقسم لم تخلص قلوبهم وهم راضون لأنفسهم بذلك وهؤلاء فساق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم فى تخليصها من تلك الآفات (قوله تحت قصورهم) أى بجانب جدارها وليس المراد أنها تجرى من تحت الجدار (قوله الذى هدانا) أى أرشدنا ووفقنا (قوله العمل الذى هذا جزاؤه) كذا فى نسخة وفى نسخة أخرى لعمل هذا جزاؤه وفى أخرى لهذا العمل هذا جزاؤه (قوله وما كنا لنهتدى) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والجملة إمامستأنفة أوحالية على كل (قوله لدلالة ماقبله عليه) أى وهوقوله وما كنا لنهتدى والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا (قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) هذا إقسام من أهل الجنة شكرا لنعم الله وتحدثا بها ، والمعنى أن ما أخبرونا به فى الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عيانا (قوله ونودوا) يحتمل أن المنادى هو الله ويحتمل أنه الملائكة (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها (قوله أو مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله ونودوا (قوله فى المواضع الخمسة) أى من هنا إلى قوله أفيضوا علينا من الماء (قوله تلكم الجنة) اسم الاشارة مبتدأ والجنة خبر وقوله : أورثتموها حال من الجنة أو الجنة نعت لاسم الاشارة وأورثتموها خبره باسم الاشارة البعيدة إشارة لعظم رتبتها ومكانتها على حد ذلك الكتاب (قوله أورثتموها) أى من الكفار لأن الله استوت خلق فى الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار يضم لمنزله فيجتمع له ألف منزل فلما كان الغالب منها ميراثا أطلق على جميعها اسم الميراث وحكمة إطلاق اسم الارث عليها أن الكفار سماهم الله أمواتا بقوله أموات غير أحياء والمؤمنين أحياء ، ومن المعلوم أن الحىّ يرث الميت (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية ومامصدرية : أى بسبب عملكم . إن قلت ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لن يدخل الجنة أحد بعمله ، قيل ولا أنت يارسول الله ؟ قال ولاأنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » . أجيب بأن الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل والحديث محمول على العمل المجرد عنه (قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) إن قلت إذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الأرض فكيف يسمعون النداء . أجيب بأن القيامة خارقة للعادة فلامانع من وصول النداء لهم وهذا النداء من كل فرد من أفراد أهل الجنة لكل فرد من أفراد أهل النار لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على الآحاد (قوله ماوعدكم ربكم حقا) تسميته وعدا مشاكلة وإلا فالاخبار بالشر إيعاد لاوعد وقدر المفسر الكاف إشارة إلى أن مفعول وعد محذوف وقوله من العقاب بيان لما (قوله نادى مناد) قيل هو إسرافيل وقيل غيره من الملائكة (قوله أسمعهم) تفسير لقوله بينهم (قوله الذين يصدون) نعت للظالمين (قوله معوجه) أى مائلة عن الحق ، والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التى شرع لعباده (قوله حاجز) أى يمنع وصول كل منهما للآخر .

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) حقد كان بينهم فى الدنيا (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ) تحت قصورهم (الْأَنْهَارُ وَقَالُوا) عند الاستقرار فى منازلهم (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا) العمل الذى هذا جزاؤه (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه (لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ) مخففة أى أنه أو مفسرة فى المواضع الخمسة (تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ) تقريرا وتبكيتا (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا) من الثواب (حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ) كم (رَبُّكُمْ) من العذاب (حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) نادى مناد (بَيْنَهُمْ) بين الفريقين أسمعهم (أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَيَبْغُونَهَا) أى يطلبون السبيل (عِوَجًا) معوجة (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ . وَبَيْنَهُمَا) أى أصحاب الجنة والنار (حِجَابٌ) حاجز قيل هو سور الأعراف (وَعَلَى الْأَعْرَافِ) وهو سور الجنة (رِجَالٌ) ،

(قوله استوت حسناتهم وسيئاتهم) هذا قول من ثلاثة عشر قولا وقيل أولاد المشركين الذين ماتوا صغارا وقيل أناس خرجوا للغزو في سبيل الله من غير إذن آبائهم ثم قتلوا وقيل ناس بروا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس وقيل إنهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة (قوله كما في الحديث) أي وهو أن الله يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الأعراف فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم سلام عليكم و إذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا (قوله ونادوا) أي أصحاب الأعراف (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن الوقف على قوله عليكم وقوله لم يدخلوها كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر كأن قائلا قال وماصنع بأهل الأعراف؟فأجيب بأنهم لم يدخلوها (قوله إذ طلع عليهم ربك) أي أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه (قوله فقال قوموا ادخلوا الجنة) أي فينطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فيلقون فيه فتصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة (قوله و إذاصرفت أبصارهم) عبر بالصرف دون النظر إشارة إلى أن نظرهم إلى أهل النار غير مقصود لأن رؤية العذاب وأهله تسيء الناظرين بخلاف النظر للنعيم وأهله ففيه مسرة للناظرين فلذا لم يعبر في جانبه الصرف بل قيل ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم (قوله تلقاء) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان وهي ظرف مكان بمعنى جهة ويستعمل مصدرا كالتبيان ولم يجئ من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال وبعضهم ألحق التكرار بذلك (قوله في النار) أي لاابتداء مع العصاة ولا دواما مع

استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث (يَعْرِفُونَ كُلاًّ) من أهل الجنة والنار (بِسِيمَاهُمْ) بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال (وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) قال تعالى (لَمْ يَدْخُلُوهَا) أي أصحاب الأعراف الجنة (وَهُمْ يَطْمَعُونَ) في دخولها، قال الحسن لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال: بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقدغفرت لكم (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ) أي أصحاب الأعراف (تِلْقَاءَ) جهة (أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا) في النار (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً) من أصحاب النار (يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ) من النار (جَمْعُكُمْ) المال أو كثرتكم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) أي واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين (أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) قد قيل لهم (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وقرئ أدخلوا بالبناء للمفعول، ودخلوا،

الكفار (قوله رجالا) أي كانوا عظماء في الدنيا كأبي جهل والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم (قوله بسيماهم) أي علامتهم وتقدم أنها سواد الوجه للكفار (قوله ما أغنى عنكم) يحتمل أن ما استفهامية أي أي شيء أغنى عنكم جمعكم ويحتمل أنها نافية أي لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئا من عذاب الله (قوله المال) أشار بذلك إلى أن جمع مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره بقوله المال وقوله أوكثرتكم إشارة لتفسير ثان لجمعكم فيكون معناه جماعتكم (قوله أي واستكباركم) سبك المصدر بما بعدكان جريا على قول من يقول إن كان تجردت عن معنى الحدث وصارت لمجرد الربط ولو مشى على مقابله المشهور لقال وكونكم مستكبرين و إنما حمل المفسر على ذلك الاختصار (قوله مشيرين) أي أهل الأعراف (قوله إلى ضعفاء المسلمين) أي الذين كانوا يعذبون في الدنيا وكان المشركون يسخرون بهم كصهيب و بلال وسلمان وخباب ونحوهم (قوله أهؤلاء) استفهام تقرير وتوبيخ (قوله أقسمتم) أي باللات والعزى وقوله لاينالهم الله برحمة هذا هو المقسم عليه ويؤخذ من الآية أن أهل الأعراف ناظرون لأهل الجنة وأهل النار وأن أهل النار ناظرون لأهل الأعراف وأهل الجنة وهذا لمزيد الحسرة لهم فهم يعذبون بالنار والتبكيت من أهل الأعراف (قوله قدقيل لهم) قدره إشارة إلى أن قوله ادخلوا الجنة مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبرا ثانيا لأن الجملة الطلبية لايصح وقوعها خبرا إلا إذا أولت بخبر (قوله وقرئ أدخلوا الخ) هاتان شاذتان على عادته حيث يعبر عن الشاذ بقرئ وعن السبعي بوفي قراءة وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول لأن الجملة خبرية .

(قوله لجملة النفى) أى جنسها الصادق بالجملتين وهما لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون (قوله حال) أى معمول لحال محذوفة فنى كلامه تسمح وهذا على القراءتين الشاذتين وأما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك (قوله ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار فى الفرج عنهم فقالوا يارب إن لنا قرابات من أهل الجنة فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون إلى قراباتهم فى الجنة وماهم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت أفض علىّ من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون إن الله حرمهما على الكافرين (قوله من الطعام) أى الشامل للمشروب والمأكول وحينئذ فيضمن أفيضوا معنى ألقوا نظير : علفتها تبناوماءباردا ، وأو بمعنى الواو بدليل قوله حرمهما وإلا لو بقيت على بابها من التخيير لأعيد الضمير مفردا (قوله منعهما) أى فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكاليف بالموت ويعلم من هذا أنه لايتأثر أهل الجنة بعذاب أهل النار لتقطع الأسباب بينهم ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لأهل النار لاستحقاقهم ماهم فيه من العذاب (قوله الذين اتخذوا) هذا وصف للكافرين (قوله لهوا ولعبا) اللهو صرف الهمّ بما لايحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لايحسن أن يطلب به (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) أى شغلتهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش (قوله

فجملة النفى حال أى مقولا لهم ذلك (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) من الطعام (قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا) منعهما (عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ) نتركهم فى النار (كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا) بتركهم العمل له (وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) أى وكما جحدوا (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ) أى أهل مكة (بِكِتَابٍ) قرآن (فَصَّلْنَاهُ) بيناه بالأخبار والوعد والوعيد (عَلَى عِلْمٍ) حال أى عالمين بما فصل فيه (هُدًى) حال من الهاء (وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (هَلْ يَنْظُرُونَ) ما ينتظرون (إِلَّا تَأْوِيلَهُ) عاقبة مافيه (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) هو يوم القيامة (يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ) تركوا الإيمان به (قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ، أَوْ) هل (نُرَدُّ) إلى الدنيا (فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا ، قال تعالى (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) أى صاروا إلى الهلاك (وَضَلَّ) ذهب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من دعوى الشريك ،

فاليوم ننساهم) ليس من كلام أهل الجنة وإنما هو قول الرب جل جلاله فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره فاذا كان هذا حال الكافرين فاليوم ننساهم (قوله نتركهم فى النار) أشار بذلك إلى أن النسيان مستعمل فى لازمه وهو الترك لأن حقيقته مستحيلة على الله فالمعنى نعاملهم معاملة الناسى من عدم الاعتناء بهم وتركهم فى النار (قوله كما نسوا) الكاف تعليلية ومامصدرية أى لأجل نسيانهم (قوله بتركهم العمل له) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره كما نسوا العمل للقاء يومهم هذا (قوله أى وكما جحدوا) أشار بذلك إلى أن مامعطوف على ما الأولى مسلط عليه كاف التعليل ، والمعنى نتركهم فى النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا (قوله فصلناه) القراءة السبعية بالصاد وقرئ شذوذا بالضاد المعجمة أى فضلناه على غيره من الكتب السماوية (قوله بالأخبار والوعد) أى وكذا بقية الأنواع التسعة التى جمعها بعضهم فى قوله : حلال حرام محكم متشابه بشير نذير قصة عظة مثل

(قوله حال) أى من الفاعل ويصح كونه حالا من المفعول والمعنى فصلناه حال كونه مشتملا على علم (قوله حال من الهاء) أى أو من كتاب وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف (قوله هل ينظرون) أى أهل مكة (قوله عاقبة مافيه) أى فهذا هو المراد بتأويله بمعنى مايؤول إليه وعيد القرآن لهم (قوله الذين نسوه) أى التأويل (قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين صدقهم فيما جاءوا به واعترفوا بذلك لمعاينة العذاب (قوله فيشفعوا) منصوب بأن مضمرة فى جواب الاستفهام فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح (قوله أو هل نرد) أشار بذلك إلى أن جملة نرد معطوفة على التى قبلها والاستفهام مسلط عليها (قوله فنعمل) منصوب بأن مضمرة فى جواب الاستفهام الثانى والمعنى نطلب أحد أمرين إما الشفاعة لنا فيما سبق منا أو نرجع إلى الدنيا ونحسن العمل فيها (قوله من دعوى الشريك) أى من دعوى نفع الشريك لأنهم كانوا يدعون أن الأصنام تنفعهم .

(قوله إن ربكم الله) أى لاغيره (قوله فى ستة أيام) أى وأولها الأحد وآخرها الجمعة كما ورد أنه ابتدأ الخلق فى يوم الأحد وأنه خلق الأرض فى يومين الأحد والاثنين ، والسموات فى يومين الخميس والجمعة ، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزروع فى الثلاثاء والأربعاء ، وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس أن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء ، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب ، وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه ، فخلق الله فى أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ، وفى الثانية ألقى الله الآفة على كل شىء مما ينتفع به الناس ، وخلق فى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة . واستشكل ذلك بأنه لم يكن ثم شمس ، والجواب بأن المراد فى قدرها لايجدى نفعا إلا أن يقال إن ذلك التقدير فى علم الله بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك ، ثم اعلم أن ماهنا من الأحاديث موافق لما يأتى فى سورة فصلت من أن خلق الأرض مقدم على السماء ولاتنافى بينه و بين مايأتى فى سورة النازعات فى قوله تعالى : والأرض بعد ذلك دحاها المقتضى تقديم السماء على الأرض لأن الدحى غير الخلق فان الأرض خلقت أولا كرة ثم بعد خلق السماء بسطت الأرض (قوله أى فى قدرها) جواب عن سؤال مقدر أفاده المفسر بقوله لأنه لم يكن ثم شمس (قوله التثبت) أى التمهل فى الأمور وعدم العجلة (قوله هو فى اللغة سرير الملك) أى وتسميته عرشا إنما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلوه عليهم وأما المراد به هنا فهو الجسم النورانى المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى وهذا نظير ماوقع لمالك بن أنس أنه سأله رجل عن قوله تعالى الرحمن

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ) مخففا ومشددا ، أى يغطى كلا منهما بالآخر (يَطْلُبُهُ) يطلب كل منهما الآخر طلبا (حَثِيثًا) سريعا (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) بالنصب عطفا على السموات والرفع مبتدأ خبره (مُسَخَّرَاتٍ) مذللات (بِأَمْرِهِ) بقدرته (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ) جميعا (وَالْأَمْرُ) ،

على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع. وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد . قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وقد أشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله :

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

(قوله مخففا ومشددا) أى فهما قراءتان سبعيتان وعليهما فالليل فاعل معنى والنهار مفعول لفظا ومعنى ، ووجب تقديم ماهو فاعل معنى لئلا يلتبس نحو أعطيت زيدا عمرا (قوله أى يغطى كلا منهما بالآخر) يشير إلى أن فى الآية حذفا تقديره ويغشى النهار الليل ويؤيده آية يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (قوله يطلبه حثيثا) أى ليس بينهما فاصل ، والحث والحض بمعنى واحد وهو الطلب بسرعة وحثيثا نعت مصدر محذوف أى طلبا حثيثا (قوله بالنصب عطفا على السموات) أى ونصب مسخرات على الحال من الشمس والقمر والنجوم (قوله والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مذللات) أى مسيرات حيث سيرها سارت وفى هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب فى العالم السفلى فهى أسباب عادية توجد الأشياء عندها لابها (قوله ألا له الخلق والأمر) ألا للاستفتاح يؤتى بها فى مبدإ الكلام البليغ الذى يقصد به الرد على المنكر والمراد بالخلق الايجاد و بالأمر التصرف فهو منفرد بالايجاد والتصرف فلا شريك له فيهما وتصرف الحادث إنما هو بتصريف الله له وليس لمخلوق استقلال بتصريف أبدا و إنما العبيد مظاهر التصريف فمن أكرمه أجرى جلب الخير ودفع الشر على يديه كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، ومن أهانه أجرى الشرور على يديه

(قوله تبارك) فعل ماض جامد لاينصرف ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث (قوله ادعوا ربكم) أمر لجميع العباد بالتوجه في الدعاء لله سبحانه وتعالى أى فحيث علمتم أن الله هو المتصرف فى خلقه إيجادا و إعداما و إعطاء ومنعا فوجهوا إليه قلوبكم واسألوه بألسنتكم وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعة شروط التضرع والخفية والخوف والطمع (قوله حال) أى من الفاعل فى ادعوا أى ادعوا حال كونكم متضرعين ومتذللين لأن الدعاء إذا كان مع التذلل كان للاجابة أقرب (قوله سرا) أى باسماع نفسه لأن الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة فلا يكفى مرور الدعاء على قلبه . واعلم أن الانسان إذا كان وحده فالسر أفضل له إن كان ينشط فى ذلك و إلا فالجهر أفضل له كالجماعة (قوله بالتشدق) هو كثرة الكلام من غير حضور فى القلب فهو راجع لقوله تضرعا وقوله ورفع الصوت هو راجع لقوله وخفية (قوله خوفا) الخوف غم يحصل من أمر مكروه يقع فى المستقبل (قوله وطمعا) الطمع توقع أمر محبوب يحصل فى المستقبل ومنه رجاء الاجابة، ففى الحديث «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة» ، وفى الحديث «أيضا مامن عبد يرفع يديه و يقول يارب إلا و يستحى الله أن يردهما صفرين» فاستفيد من هذا أنه ينبغى للداعى الخوف والرجاء فيجعلهما كجناحى الطائر إن مال أحدهما سقط (قوله المطيعين) أى ولو بالتوبة فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر فيكون أقرب للاجابة (قوله وتذكير قريب) جواب عما يقال إن قريب فى الأصل وصف فى المعنى لرحمة وهى مؤنثة فكان حقه التأنيث . فأجاب بأنه اكتسب التذكير من المضاف إليه وهو لفظ الجلالة أو يقال إن رحمة مجازى التأنيث فيوصف بالمذكر أو يقال إن معنى الرحمة الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى (قوله وهو الذى يرسل الرياح) معطوف على قوله إن ربكم الله الآية والرياح جمع ريح وهى أربعة : الصبا والدبور والجنوب والشمال ، فالصبا تثير السحاب وهى من مطلع الشمس ، والشمال

كله (تَبَارَكَ) تعاظم (اللهُ رَبُّ) مالك (الْعَالَمِينَ . ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا) حال تذللا (وَخُفْيَةً) سراً (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) فى الدعاء بالتشدق ورفع الصوت (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالشرك والمعاصى (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) ببعث الرسل (وَادْعُوهُ خَوْفًا) من عقابه (وَطَمَعًا) فى رحمته (إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أى متفرقة قدام المطر ، وفى قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أى مبشراً ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ) حملت الرياح (سَحَابًا ثِقَالًا) بالمطر (سُقْنَاهُ) أى السحاب وفيه التفات عن الغيبة (لِبَلَدٍ مَيِّتٍ) لا نبات به أى لاحيائها (فَأَنْزَلْنَا بِهِ) بالبلد (الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كذلك)

تجمعه وهى من تحت القطب ، والجنوب تضره وهى من جهة القبلة ، والدبور تفرقه وهى من مغرب الشمس ، وفى رواية الرياح ثمانية : أربعة عذاب العاصف والقاصف والصرصر والعقيم ، وأربعة رحمة الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات (قوله متفرقة) هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد بل بعض المفسرين قال إن معنى نشرا منتشرة منسعة أو ناشرة للسحاب (قوله قدام المطر) فى الكلام استعارة مكنية حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسلطان يقدم له مبشرات وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو قوله بين يدى فاثباته تخييل (قوله تخفيفا) أى بحذف ضمة الشين وهى سبعية أيضا كالتين بعدها (قوله بسكونها وفتح النون) أى و إفراد الريح (قوله مصدر) أى إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول أى ناشرة للسحاب أو منشورة (قوله ومفرد الأولى) أى ضم الشين ومثلها سكونها لمفرد الاثنين واحد (قوله حتى إذا أقلت) غاية لارسال الرياح (قوله سحابا) هو غمر شجرة فى الجنة (قوله بالمطر) متعلق بثقالا والباء للسببية (قوله عن الغيبة) أى إلى التكلم إذ كان مقتضى الظاهر فساقه (قوله لانبات به) أى فموت الأرض كناية عن عدم النبات بها (قوله بالبلد) أشار بذلك إلى أن الضمير فى به عائد على البلد والباء بمعنى فى وقوله بالماء يشير إلى أن الضمير عائد على الماء والباء سببية و يصح عوده على البلد وتكون الباء بمعنى فى

(قوله كذلك الاخراج) أى فالتشبيه فى مطلق الاخراج من العدم فمن كان قادرا على إخراج الثمار من الأرض سيما أرض الجبال التى شأنها عدم إنبات شىء من الثمار قادر على إحياء الموتى من قبورهم فهو ردّ على منكرى البعث (قوله والبلد) أى الأرض (قوله حسنا) أخذه من قوله لايخرج إلا نكدا (قوله باذن ربه) أى بارادته ولم يذكر ذلك فى المقابل وإن كان باذنه أيضا تعليما لعباده الأدب حيث أسند لنفسه الخير دون الشر وإن كان منه أيضا لما ورد «إن الله جميل يحب الجمال» ولقوله تعالى ـ بيدك الخير ـ ولم يقل وبيدك الشر فلا يجوز أن يقال سبحان من خلق القرد ولاسبحان من دبب الشوك (قوله هذا مثل للؤمن) أى ولعمله فمثل المؤمن كمثل الأرض الطيبة ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء فكما أن الماء إذا نزل على الأرض الطيبة أنبتت طيبا كذلك المواعظ والقرآن إذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الحميدة (قوله إلانكدا) أى إلا انباتا نكدا عديم النفع ونصب نكدا على الحال أو نعت مصدر محذوف أى إلا اخروجا نكدا وهو من باب تعب (قوله لقد أرسلنا نوحا) المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتركت الواو هنا وذكرت فى سورة هود والمؤمنون لعدم تقدم مايعطف عليه هنا بخلاف مايأتى ونوح اسمه عبد الغفار بن لمك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح ، وقيل على رأس خمسين ، وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ومكث فى قومه تسعمائة وخمسين ، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين لجملة عمره ألف ومائتان وأربعون بناء على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين وكان نجارا وصنع السفينة فى عامين ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه حيث دعا على قومه فهلكوا وقيل لمراجعته ربه فى شأن ولده كنعان وقيل لأنه مرّ على كلب مجذوم فقال له : اخسأ ياقبيح ، فأوحى الله إليه أعبتنى أم عبت الكلب وقدم قصة نوح لأن قومه أول من كفر واستحق العذاب (قوله جواب قسم محذوف) إنما أتى بالقسم هنا للرد على المنكرين وهو مما يجب التأكيد فيه (قوله إلى قومه) القوم فى الأصل قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه فى جدّ واحد ويطلق القوم مجازا على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم وإن لم يكونوا أقارب له (قوله اعبدوا الله) أى وحدوه (قوله مالكم من إله غيره) استئناف مسوق لبيان وجه إفراده بالعبادة (قوله صفة لاله) أى مراعاة للفظه (قوله بدل من محله) أى لأن محله رفع بالابتداء أو من زائدة (قوله إنى أخاف) علة ثانية للأمر بالعبادة والمعنى اعبدوا الله لأنه ليس لكم إله غيره ولأنى أتحقق نزول عذاب الآخرة بكم إن خالفتم ذلك إما عاجلا فى الدنيا أو آجلا فى الآخرة (قوله قال الملأ) بالهمز والقصر سموا بذلك لأنهم يملأون المجالس بأجسامهم والقلوب بهيبتهم والعيون بأبهتهم (قوله من قومه) لم يقل الذين كفروا مثل ماقيل فى قوم هود لأن ذلك كان فى مبدإ رسالته ولم يكن ثم مؤمن هكذا قيل والأحسن أن يقال حذفه منه لعلمه مما يأتى فى الآية الأخرى (قوله فى ضلال مبين) أى حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجمعين عليها المذكورين فى سورة نوح فى قوله تعالى ـ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ـ الآية (قوله هى أعم من الضلال) أى لأن الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه والضلالة هى الخروج عن الحق ولو بوجه (قوله فنفيها أبلغ) أى لأنها نكرة فى سياق النفى فتعم (قوله ولكنى رسول) قد وقع الاستدراك أحسن موقع لكونه وقع بين ضدّين نفى الضلالة المتوهم ثبوتها وثبوت الرسالة المتوهم نفيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله رسالات ربى) الجمع باعتبار تعدّد الأزمنة أو المراد بالرسالات المرسل بها التى هى الأحكام .

كَذَٰلِكَ) الإخراج (نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ) من قبورهم بالإحياء (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فتؤمنون (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ) العذب التراب (يَخْرُجُ نَبَاتُهُ) حسنا (بِإِذْنِ رَبِّهِ) هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها (وَالَّذِي خَبُثَ) ترابه (لَا يَخْرُجُ) نباته (إِلَّا نَكِدًا) عسرا بمشقة وهذا مثل للكافر (كَذَٰلِكَ) كما بينا ما ذكر (نُصَرِّفُ) نبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) الله فيؤمنون (لَقَدْ) جواب قسم محذوف (أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) بالجر صفة لإله والرفع بدل من محله (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غيره (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (قَالَ الْمَلَأُ) الأشراف (مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) هى أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ) بالتخفيف والتشديد (رِسَالَاتِ رَبِّي ،

(قوله وأنصح لكم) النصح يتعدى بنفسه وباللام وهو إرادة الخير للغير كما يريده لنفسه (قوله وأعلم من الله مالا تعلمون) أى من الأحكام التى تأتيه عن الله أو من العذاب الذى يحل بهم إن لم يؤمنوا (قوله أكذبتم) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله موعظة) أى تخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا (قوله لينذركم) علة للمجىء وقوله ولتتقوا مرتب على الانذار وقوله ولعلكم ترحمون مرتب على التقوى فهذا الترتيب فى أحسن البلاغة وعبر فى جانب الرحمة بالترجى إشارة إلى أن الرحمة أمرها عزيز لاتنال بالعمل بل بفضل الله (قوله العذاب) قدره إشارة إلى أن مفعول ينذر محذوف (قوله ولتتقوا الله) قدره إشارة إلى أن مفعول تتقوا محذوف أيضا (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة أولاده الثلاثة : سام وهو أبو العرب ، وحام وهو أبو السودان ، ويافث وهو أبو الترك وستة من غيرهم (قوله فى الفلك) يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ووزن المفرد قفل والجمع أسد (قوله السفينة) وكان طولها ثلثمائة ذراع وسمكها ثلاثين ذراعا وعرضها خمسين وطبقاتها ثلاث السفلى للوحوش والدواب والوسطى للإنس والعليا للطيور وركبها فى عاشر رجب واستوت على الجودى فى عاشر المحرم (قوله بآياتنا)أى الدالة على التوحيد وهى معجزات نوح (قوله عمين) أصله عميين حذفت الياء الأولى تخفيفا وهو جمع عم يقال لأعمى البصيرة وأما عميان فجمع أعمى يقال لأعمى البصر (قوله و إلى عاد) جرت عادة الله فى كتابه أنه إذا كان للرسل إليهم اسم ذكرهم به و إلا عبر بقوله قومه وقدر المفسر أرسلنا إشارة إلى أن أخاهم معطوف على نوحا والعامل فيه أرسلنا المتقدم

وَأَنْصَحُ) أريد الخير (لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ . أَ) كذبتم (وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ) موعظة (مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى) لسان (رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ) العذاب إن لم تؤمنوا (وَلِتَتَّقُوا) الله (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) بها (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ) من الغرق (فِي الْفُلْكِ) السفينة (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) بالطوفان (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) عن الحق (وَ) أرسلنا (إِلَى عَادٍ) الأولى (أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ) وحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافونه فتؤمنون (قَالَ ٱلْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ) جهالة (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فى رسالتك (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) مأمون

والجار والمجرور معطوف على قوله إلى قومه فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة وهكذا يقال فى باقى القصص (قوله الأولى) يحترز به عن عاد الثانية فانها قوم صالح (قوله أخاهم هودا) سمى أخاهم لأنه من جنسهم واجتمع معهم فى جد لأن عادا بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح فسميت القبيلة باسم جدهم وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح ، وقيل هو ابن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح ، فعلى الأول قد اجتمع معهم فى عاد ، وعلى الثانى لا وإنما اجتمع معهم فى سام ، وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة و بين القبيلتين مائة سنة وعاش أربعمائة وأربعا وستين سنة ، وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسما للحى ومنعه باعتبار كونه اسما للقبيلة وهذا من حيث العربية وأما فى القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف (قوله قال ياقوم) أتى فى قصة نوح بالفاء لأنه كان مسارعا فى دعوتهم إلى الله غير متوان كما حكى فى سورة نوح قال تعالى ـ قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا ـ بخلاف هود (قوله مالكم من إله غيره) أى لأنه الخالق للعالم المتصرف فيه (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التفكر فى مصنوعات الله فلا تتقون (قوله الذين كفروا) صفة للملأ كاشفة لأن هذه المقالة لاتقع من مؤمن ولذا تركت من قصة نوح لعلمها مما هنا (قوله إنا لنراك) رأى هنا علمية فمفعولها الأول الكاف والثانى متعلق الجار والمجرور (قوله فى سفاهة) الحكمة فى تعبير قوم هود بالسفاهة وقوم نوح بالضلال أن نوحا لما خوف قومه بالطوفان وجعل يصنع الفلك نسبوه للضلال حيث أتعب نفسه فى عمل سفينة فى أرض لاماء بها ولا طين ، وهود لما نهاهم عن عبادة الأصنام التى سموها صمودا وصمدا وهبا ونسب من يعبدها للسفه خاطبوه بمثل ماخاطبهم به (قوله ولكنى رسول) تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين (قوله أبلغكم) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله وأنا لكم ناصح) الحكمة فى تعبير هود بالجملة الاسمية ونوح بالجملة الفعلية أن هودا كان نصوحا مع التراخى

مأمون على الرسالة (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى) لسان (رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ) فى الأرض (مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً) قوة وطولا وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين (فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ) نعمه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ) نترك (مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) به من العذاب (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى قولك (قَالَ قَدْ وَقَعَ) وجب (عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ) عذاب (وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا) أى سميتم بها (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا) أى بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة و برهان (فَانْتَظِرُوا) العذاب (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) ذلك بتكذيبكم لى فأرسلت عليهم الريح العقيم (فَأَنْجَيْنَاهُ) أى هوداً (وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ) القوم (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أى استأصلناهم (وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) عطف على كذبوا (وَ) أرسلنا (إِلَى ثَمُودَ) بترك الصرف مراداً به القبيلة (أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ) معجزة (مِنْ رَبِّكُمْ) على صدقى (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً) حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم

ومعلوم أن ذلك يدلّ عليه بالجملة الاسمية ونوح كان مكررا النصح وذلك يدلّ عليه بالجملة الفعلية لأن الفعل للتجدد (قوله مأمون على الرسالة) أى فلا أزيد ولا أنقص (قوله أوعجبتم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتمونى وعجبتم (قوله ذكر) أى موعظة تخوفكم من عذاب الله (قوله إذ جعلكم خلفاء) إذ ظرف معمول لاذكروا أى اذكروا وقت جعلكم والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها (قوله بسطة) بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله قوة وطولا) أى ومالا (قوله مائة ذراع الخ) الذى قاله المحلى فى سورة الفجر إن طويلهم كان أربعمائة ذراع بذراع نفسه، وفى رواية خمسمائة ذراع وقصيرهم ثلثمائة ذراع، وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع (قوله آلاء الله) جمع إلى بكسر الهمزة وضمها كحمل وقفل أو بكسر ففتح كضلع أو بفتحتين كقفا (قوله تفوزون) أى برضا الله وزيادة النعم لأن شكر النعم مما يديمها ويزيدها (قوله قالوا أجئتنا) أى جوابا لنصحه لهم (قوله وجب) أى حق وثبت والتعبير بالماضى إشارة إلى أنه واقع لامحالة (قوله وغضب) عطف سبب على مسبب (قوله فى أسماء) أى مسميات (قوله أصناما) قدره إشارة إلى مفعول سميتموها الثانى (قوله فأرسلت عليهم الريح العقيم) وكانت باردة ذات صوت شديد لامطر فيها وكان وقت مجيئها فى عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوّال وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم بأن رفعت ذلك فى الجوّ فمزقته وفى رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها بادروا الى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر (قوله والذين معه) أى وكانوا شرذمة قليلة يكتمون إيمانهم وسبب نجاتهم أنهم دخلوا فى حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح مايلتذون به ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (قوله أى استأصلناهم) أى لم نبق منهم أحدا (قوله عطف على كذبوا) أى وفائدته وإن علم منه الاشارة إلى أن الله علم عدم إيمانهم وأنهم لو بقوا ما آمنوا أى فلا تحزن عليهم أيها السامع (قوله وإلى ثمود) تقدم أنه معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وثمود قبيلة سموا باسم جدهم ثمود بن عاد بن عابر بن سام بن نوح (قوله بترك الصرف) أى للعلمية والتأنيث ولو أريد به الحى لصرف (قوله أخاهم) أى فى النسب لأنه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود والمدة التى بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله صالحا) بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه (قوله مالكم من إله غيره) علة لقوله اعبدوا الله وقوله قد جاءتكم علة لمحذوف والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به لأنه قد جاءتكم بينة على صدقى (قوله هذه ناقة الله لكم آية) كلام مستأنف بيان للمعجزة والاضافة للتشريف واسم الاشارة مبتدأ وناقة الله خبر ومضاف إليه ولكم جار ومجرور متعلق بمحذوف

حال من آية لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان وآية حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير وقد أشار له المفسر بقوله حال عاملها معنى الاشارة وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم كما قال تعالى فى سورة هود : هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها الآيات (قوله من صخرة عينوها) وكان يقال لها الكاثبة وكانت منفردة فى ناحية الجبل فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت وتكون عشراء جوفاء وبراء أى ذات جوف واسع ووبر وصوف ، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لايعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى فعند خروجها ولدت ولدا مثلها فى العظم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب إلى أن عقروها (قوله فذروها) مرتب على كونها آية من آيات الله (قوله تأكل فى أرض الله) أى وتشرب (قوله فيأخذكم) بالنصب فى جواب النهى والتعقيب ظاهر لأنهم لم يلبثوا إلا ثلاثة أيام رأوا فيها أمارات العذاب كما يأتى فى سورة هود (قوله عذاب أليم) أى مؤلم (قوله واذكروا إذ جعلكم خلفاء) تذكير لهم بنعم الله التى أنعمها عليهم (قوله فى الأرض) قدره المفسر إشارة إلى أن فى الآية الحذف من الأول لدلالة الثانى عليه (قوله وبوأكم فى الأرض) أى أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام (قوله تتخذون) أى تعملون وتصنعون واتخذ يصح أن يكون متعديا لواحد فمن سهولها متعلق باتخذ أو لاثنين فمن سهولها متعلق بمحذوف مفعول ثان (قوله من سهولها) جمع سهل وهو المكان المتسع الذى لاجبل به ومن بمعنى فى أى تصنعون فى الأرض السهلة القصور ويصح أن تكون من للابتداء أى تتخذون من السهول أى لأراضى اللينة القصور أى طوبها وطينها والأقرب الأول ، وسميت القصور بذلك لقصر أيدى الفقراء عن تحصيلها (قوله وتنحتون الجبال بيوتا) يصح أن يكون المعنى على إسقاط الخافض أى من الجبال وبيوتا مفعول تنحتون ، ويصح أن يكون الجبال مفعولا به وبيوتا حال مقدرة كما قال المفسر لأن الجبال لاتصير بيوتا إلا بعد نحتها

من صخرة عينوها (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) بعقر أو غيره (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ) فى الأرض (مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ) أسكنكم (فِى الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا) تسكنونها فى الصيف (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) تسكنونها فى الشتاء ونصبه على الحال المقدرة (فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) تكبروا عن الإيمان به (لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ) أى من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ) إليكم (قَالُوا) نعم (إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) وكانت الناقة لها يوم فى الماء ولهم يوم فملوا ذلك (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) ، عقرها

وهو وإن كان جامدا إلا أنه مؤول بالمشتق أى مساكن (قوله مفسدين) حال مؤكدة لعاملها لأن العثو هو الفساد (قوله تكبروا) أشار بذلك إلى أن السين زائدة (قوله عن الايمان به) أى بصالح (قوله بدل مما قبله بإعادة الجار) أى بدل كل من كل إن كان الضمير فى منهم عائدا على القوم ويكون جميع المستضعفين آمنوا ، وبدل بعض من كل إن كان الضمير عائدا على المستضعفين ويكون بعض المستضعفين آمنوا والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أتعلمون) مقول قول المستكبرين (قوله قالوا نعم) قدره المفسر إشارة إلى أن هذا حق الجواب وإنما عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم وتنبيها على أن رسالته واضحة لاتخفى فلا ينبغى السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم (قوله قال الذين استكبروا) إظهار فى محل الاضمار تبكيتا لهم (قوله إنا بالذى آمنتم) لم يقولوا إنا بما أرسل به إظهارا لمخالفتهم إياهم وتعنتا وعنادا (قوله وكانت الناقة لها يوم فى الماء) أى فاذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ماشاءوا حتى يملؤوا أوانيهم فيشربون ويدخرون (قوله فعقروا الناقة) أى فى يوم الأربعاء فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون فى يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة ، فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم فأيقنوا بالعذاب ثم احمرت فى يوم الجمعة فازداد خوفهم ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك ، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى فكفنوا أنفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الأرض فلما اشتد الضحى أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت فى ذلك الوقت كل شىء له صوت مما فى الأرض ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعا . وأما ولد الناقة فقيل إنه فر هاربا فانفتحت له الصخرة التى خرجت منها أمه

لدخلها وانطبقت عليه قال بعض المفسرين . إنه الدابة التي تخرج قرب يوم القيامة ، وقيل إنهم أدركوه وذبحوه (قوله عقرها قدار) أى ابن سالف وكان رجلا أحمر أزرق العينين قصيرا وكان ابن زانية ولم يكن لسالف وهو أشقى الأولين كما ورد فى الحديث (قوله بأن قتلها بالسيف) أى فالمراد بالعقر النحر ففيه إطلاق السبب على المسبب لأن العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر (قوله وقالوا ياصالح) أى على سبيل التهكم والاستهزاء (قوله بما تعدنا به) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف وكان الأولى أن يقدر ضمير نصب بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما (قوله فأخذتهم الرجفة) أى بعد مضى ثلاثة أيام والتعقيب ظاهر لأن الثلاثة أيام مقدمات الهلاك (قوله والصيحة من السماء) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء لأن عذابهم كان بهما معا (قوله فى دارهم) أى أرضهم فالمراد بها الجنس (قوله فتولى عنهم) أى بعد أن هلكوا وماتوا توبيخا كما خاطب النبى صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا فى القليب فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم ماأنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لايجيبون ، وقيل خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم وعليه يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين (قوله واذكر) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدره ولم يقدر أرسلنا مع أنه يكون موافقا لما قبله ومابعده لأنه يوهم أن وقت الإرسال قال لقومه ماذكر مع أنه ليس كذلك بل أمرهم أولا بالتوحيد ثم بين لهم فروع شريعته . ولوط بن هاران أخى إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان إبراهيم ولوط

عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) به من العذاب على قتلها (إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (فَتَوَلَّى) أعرض صالح (عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ . وَ) اذكر (لُوطًا) و يبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أدبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال الألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) متجاوزون الحلال إلى الحرام (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ) أى لوطا وأتباعه

ببابل بالعراق فهاجرا إلى الشام فنزل إبراهيم بأرض فلسطين ونزل لوط بالأردن وهى قرية بالشام فأرسله الله إلى أهل سذوم بالذال المعجمة على وزن رسول وهى بلد بحمص (قوله أتأتون الفاحشة) استفهام توبيخ وتقريع لأنها من أعظم الفواحش ولذا كان حدها عند أبى حنيفة الرمى من شاهق جبل وعند مالك الرجم مطلقا فاعلا أومفعولا أحصنا أو لم يحصنا (قوله ماسبقكم الخ) تأكيد للانكار عليهم لأن مباشرة القبيح قبيحة واختراعه أقبح (قوله الانس والجن) أى وجميع البهائم بل هذه الفعلة لم توجد فى أمة إلا فى قوم لوط وفساق هذه الأمة المحمدية وكان قوم لوط يتباهون بالضراط فى المجالس أيضا كما قال تعالى : وتأتون فى ناديكم المنكر وهوفاحشة عظيمة أيضا (قوله بتحقيق الهمزتين) حاصل ماأفاده المفسر أن القراآت أربع تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين الهمزتين أو بإدخالها ولكن الحق أن إدخال الألف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية وإنما هى لهشام وبقى قراءة سبعية أيضا وهى بهمزة واحدة على الخبر المستأنف بيان لتلك الفاحشة وهى لنافع وحفص عن عاصم فتحصل أن القراآت خمس أربع سبعية وواحدة غير سبعية (قوله شهوة) أى لأجل الشهوة (قوله من دون النساء) إما حال من الرجال أو من الواو فى تأتون وحكمة التوبيخ على هذا الفعل القبيح أن الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة والنسل فاذا تركهن الانسان فقد عدل عما أحل له وتجاوز الحد لوضعه الشىء فى غير محله لأن الأدبار ليست محلا للولادة التى هى المقصودة بالذات (قوله وما كان جواب قومه) القراء على نصب جواب خبرا لكان واسمها أن ومادخلت عليه وقرأ الحسن بالرفع اسم كان وأن ومادخلت عليه خبرها ومامشى عليه الجماعة أفصح عربية لأن الأعرف وقع اسما والواو هنا للتعقيب لحلولها محل الفاء فى النمل والعنكبوت لأن جوابهم لم يتأخر عن نصيحته والحصر نسبى والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصح وموعظة فلاينافى أنهم زادوا فى الجواب من الكلام القبيح .

(قوله من قريتكم) أى سدوم (قوله إنهم أناس يتطهرون) قالوا ذلك استهزاء (قوله فأنجيناه وأهله) أى ابنتيه لأنه لم ينج من العذاب إلا هو وابنتاه لإيمانهما به فخرج لوط من أرضه وطوى الله له الأرض فى وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم، وسيأتى تمام القصة فى سورة هود وإنما ذكرت هنا اختصارا (قوله الباقين فى العذاب) أى لأن الغبور من باب قعد يستعمل بمعنى البقاء فى الزمان المستقبل وبمعنى المكث فى الزمان الماضى والمراد الأول (قوله وأمطرنا) يقال غالبا فى الرحمة مطر وفى العذاب أمطر وعلى كل هو متعدّ ينصب المفعول (قوله هو حجارة السجيل) أى وكانت معجونة بالكبريت والنار وهلكوا أيضا بالخسف. قال تعالى - فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها - ورد أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء وكانت خمسة وأسقطها مقلوبة إلى الأرض وأمطر عليهم الحجارة متتابعة فى النزول عليها اسم كلّ من يرمى بها، وقيل إن الحجارة لمن كان مسافرا منهم والخسف لمن كان فى المدائن (قوله فانظر) الخطاب لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم (قوله وإلى مدين) معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة، ولذا قدر المفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب واسم لقريته أيضا بينها وبين مصر ثمانية مراحل سميت باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل فشعيب أخوهم فى النسب وليس من أنبياء بنى إسرائيل، وقوله شعيبا بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه وأرسل شعيب أيضا إلى أصحاب الأيكة وهى شجر ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين. قال تعالى - كذب أصحاب الأيكة المرسلين - (قوله معجزة) لم تذكر تلك المعجزة فى القرآن، وقيل المراد بها نفسه بمعنى أن أوصافه لا يمكن معارضتها وقيل المراد بها قوله - فأوفوا الكيل والميزان - الخ بمعنى ما يترتب عليها من العزّ للطيع والذلّ والعقاب للمخالف (قوله فأوفوا الكيل والميزان) أى وكانت عادتهم نقص الكيل والميزان

(مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين فى العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هو حجارة السجيل فأهلكتهم (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ. وَ) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ) معجزة (مِنْ رَبِّكُمْ) على صدق (فَأَوْفُوا) أتموا (الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا) تنقصوا (النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالكفر والمعاصى (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) ببعث الرسل (ذَٰلِكُمْ) المذكور (خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) مريدى الإيمان فبادروا إليه (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ) طريق (تُوعِدُونَ) تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم (وَتَصُدُّونَ) تصرفون (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (مَنْ آمَنَ بِهِ) بتوعدكم إياه بالقتل (وَتَبْغُونَهَا) تطلبون الطريق (عِوَجًا) معوجة (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) قبلكم بتكذيبهم رسلهم أى آخر أمرهم من الهلاك (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ

(قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) هذا لازم لقوله فأوفوا الكيل والميزان لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه فقد نقص الغير من الثمن (قوله بعد إصلاحها) ورد أنه قبل بعث شعيب لهم كانوا يفعلون المعاصى ويستحلون المحارم ويسفكون الدماء فلما بعث شعيب أصلح الله به الأرض وهكذا كل نبى بعث إلى قومه (قوله مريدى الإيمان) جواب عما يقال إنهم لم يكونوا مؤمنين إذ ذاك (قوله فبادروا إليه) جواب الشرط وما قبله دليل الجواب (قوله بكل صراط) أى محسوس بدليل ما بعده (قوله تخوفون الناس) قدره إشارة إلى أن مفعول توعدون محذوف (قوله بأخذ ثيابهم) ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق ويقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك فإن آمنت به قتلناك (قوله من آمن) هذا مفعول تصدون (قوله تطلبون الطريق) أى المعبر عنه بالسبيل وهو الطريق المعنوى الذى هو الدين، والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج (قوله واذكروا إذ كنتم) إذ ظرف معمول لقوله اذكروا: أى اذكروا وقت كونكم قليلا الخ، والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة (قوله قليلا) أى فى العدة والعدد والضعف، وقوله فكثركم أى فزاد عددكم وقوتكم فكانوا أغنياء أقوياء ذوى عدد كثير بوجود شعيب بينهم، ولذا لما فرّ موسى هاربا من فرعون نزل عند شعيب فطمنه وأمن روعه. قال تعالى حكاية عن شعيب - قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين - (قوله عاقبة المفسدين)

أى وأقرب بهم إليكم قوم لوط فانظروا مانزل بهم (قوله وطائفة لم يؤمنوا) فى الكلام الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه ، والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذى أرسلت به (قوله فاصبروا) يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه وأن يكون للكافرين منهم وأن يكون للفريقين وهذا هو الظاهر فأمر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم وهو نظير قوله تعالى ـ فتربصوا إنامعكم متربصون ـ (قوله و بينكم) لاحاجة له لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم ، والمعنى حتى يقضى الله بين الفريقين المؤمنين والكفار (قوله وهو خير الحاكمين) التعبير باسم التفضيل باعتبار أنه الحاكم حقيقة وغيره حاكم مجازا ومن كان له الحكم بالأصالة والحقيقة خير ممن كان له الحكم مجازا (قوله قال الملأ) أى جوابا لما قاله لهم (قوله ياشعيب) إنما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه زيادة فى القباحة والشناعة منهم (قوله وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد الخ) جواب عما يقال إن شعيبا لم يسبق له الدخول فى ملتهم و إنما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع ، وقال بعضهم: إن عاد تأتى بمعنى صار وعلى هذا فلا إشكال ولاجواب (قوله وعلى نحوه) أى التغليب (قوله أنعود

وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا) به (فَاصْبِرُوا) انتظروا (حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا) و بينكم بانجاء المحق و إهلاك المبطل (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أعدلهم (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) عن الإيمان (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ) ترجعن (فِي مِلَّتِنَا) ديننا وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن فى ملتهم قط وعلى نحوه أجاب (قَالَ أَ) نعود فيها (وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) لها ، استفهام إنكار (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ) ينبغى (لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا) ذلك فيخذلنا (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) أى وسع علمه كل شيء ومنه حالى وحالكم (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ) احكم (بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) الحاكمين (وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) أى قال بعضهم لبعض (لَئِنِ) لام قسم (اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ . فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً) مبتدأ خبره (كَأَنْ) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لَمْ يَغْنَوْا) يقيموا (فِيهَا) فى ديارهم (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم فى قولهم السابق (فَتَوَلَّى) أعرض (عَنْهُمْ ،

فيها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله أولو كنا كارهين) الهمزة لانكار الوقوع وكلمة لو فى مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشىء فى الزمن الماضى لانتفاء غيره فيه بل هى لمجرد الربط والمبالغة فى الانتفاء العود ، والمعنى لا يطمعوا فى عودنا مختارين ولا مكرهين يتأمل (قوله إن عدنا فى بحكم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه (قوله وما يكون لنا) أى لا يصح ولا يليق لنا أن نعود فيها فى حال من الأحوال إلا فى حال مشيئة الله لنا (قوله إلاأن يشاء الله ربنا) يصح ان يكون متصلاوالمستثنى منه عموم الاحوال اومنقطعا وهذا الاستثناء محض رجوع إلى الله وتفويض الأمر إليه وقد جازاهم الله بأن كفاهم شر أعدائهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قوله أى وسع علمه) أشار بذلك إلى أن علما تمييز محوّل عن الفاعل (قوله و بين قومنا) أى الكفار و إنما أعرض عن مكالمتهم ورجع لله متضرعا لماظهرله من شدّة عنادهم وتعنتهم فى كفرهم (قوله وقال الملأ الذين كفروا الخ) إنماقال بعضهم لبعض هذه المقالة خوفا على بعضهم من الميل لشعيب حيث توعدوه بما تقدم فلم يبال بهم (قوله إنكم إذا لخاسرون) أى فى الدنيا بفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف ، وجملة إنكم إذا لخاسرون جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله فأخذتهم الرجفة) ذكر هنا وفى العنكبوت الرجفة وذكر فى سورة هود ـ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ـ أى صيحة جبريل عليهم من السماء وجمع بينهما بأن الرجفة فى المبدإ والصيحة فى الأثناء فتأمل، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بالظلة كما سيأتى فى سورة الشعراء (قوله كأن لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يلبثوا فى ديارهم أصلا لأنهم استؤصلوا بالمرة (قوله وغيره) أى وهو ضمير الفصل

(قوله وقال ياقوم) ماتقدم من لون القول بعد هلاكهم أوقبله فى قصة صالح يجرى هنا (قوله فكيف آسى) أصله أأسى بهمزتين قلبت الثانية ألفا (قوله وما أرسلنا فى قرية من نبى) جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص وإنما خص ماتقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم (قوله فكذبوه) قدره إشارة إلى أن الكلام فيه حذف لأن قوله إلا أخذنا أهلها لايترتب على الارسال وإنما يترتب على التكذيب (قوله لعلهم يضرعون) أصله يتضرعون قلبت التاءضادا وأدغمت فى الضاد وإنما قرئ بالفك فى الأنعام لأجل مناسبة الماضى فى قوله تضرعوا بخلاف ماهنا لمجيء به على الأصل (قوله ثم بدلنا) أى استدراجا لهم (قوله العذاب) أى الفقر والمرض (قوله الغنى والصحة) لف ونشر مرتب (قوله كفرا للنعمة) أى وتكذيبا لأنبيائهم (قوله وهذه عادة الدهر) هذا من جملة مقولهم (قوله فكونوا على ما أنتم عليه) هذا من جملة قول بعضهم لبعض (قوله فأخذناهم بغتة) مرتب على قوله ـ وقالوا قد مس آباءنا ـ الخ (قوله وهم لايشعرون) أى لعدم تقدم أسبابه لهم وهذه الآية بمعنى آية

وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ) فلم تؤمنوا (فَكَيْفَ آسَى) أحزن (عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) استفهام بمعنى النفى (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ) فكذبوه (إِلَّا أَخَذْنَا) عاقبنا (أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءِ) المرض (لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) يتذللون فيؤمنون (ثُمَّ بَدَّلْنَا) أعطيناهم (مَكَانَ السَّيِّئَةِ) العذاب (الْحَسَنَةَ) الغنى والصحة (حَتَّى عَفَوْا) كثروا (وَقَالُوا) كفرا للنعمة (قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى (فَأَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئه قبله (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى) المكذبين (آمَنُوا) بالله ورسلهم (وَاتَّقَوْا) الكفر والمعاصى (لَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (وَلَكِنْ كَذَّبُوا) الرسل (فَأَخَذْنَاهُمْ) عاقبناهم (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى) المكذبون (أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَاتًا) ليلا (وَهُمْ نَائِمُونَ) غافلون عنه (أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى) نهارا (وَهُمْ يَلْعَبُونَ . أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ) استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . أَوَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ) بالسكنى (مِنْ بَعْدِ) هلاك (أَهْلِهَا أَنْ) فاعل مخففة واسمها محذوف أى أنه (لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ) بالعذاب (بِذُنُوبِهِمْ) كما أصبنا من قبلهم والهمزة فى المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة

الأنعام . قال تعالى ـ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء ـ الآية. (قوله ولوأن أهل القرى) جمع قرية والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم (قوله ورسلهم) أى أهل القرى وفى نسخة ورسله: أى الله (قوله واتقوا) عطف على آمنوا عطف عام على خاص لأن التقوى امتثال المأمورات ومن جملتها الايمان (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بركات) جمع بركة وهى زيادة الخير فى الشىء (قوله ولكن كذبوا) أى لم يؤمنوا ولم يتقوا (قوله بما كانوا يكسبون) أى بسبب كسبهم من الكفر والمعاصى (قوله أفأمن) الهمزة مقدمة من تأخير والفاء عاطفة على قوله ـ فأخذناهم بغتة ـ ومابينهما اعتراض وهذه طريقة الجمهور، وعند الزمخشرى أن الهمزة داخلة على محذوف وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف ولكنه فى هذا الموضع وافق الجمهور فى كشافه (قوله بياتا) حال من بأسنا، وجملة وهم نائمون حال من ضمير يأتيهم (قوله وهم يلعبون) أى يشتغلون بما لايعنيهم (قوله مكرالله) المكر فى الأصل الخديعة والحيلة وذلك مستحيل على الله وحينئذ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر بأن يستدرجهم بالنعم أولا ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قوله للذين يرثون) أى وهم كل قوم جاءوا بعد هلاك من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة المحمدية فإن كل فرقة من هؤلاء تبين لها الاصابة بذنوبهم حيث شاء الله ذلك (قوله فاعل) أى المصدر المأخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل والتقدير أولم يتبين إصابتنا بالعذاب لو شئنا الاصابة (قوله لو نشاء) أى إصابتهم مفعول نشاء محذوف (قوله فى المواضع الأربعة) أى وأولها أفأمن أهل القرى وآخرها أولم يهد فاثنتان بالفاء والثنتان بالواو .

(قوله الداخلة) أى لهمزة وقوله عليهما أى الفاء والواو (قوله فى الموضع الأول) أى من موضعى الواو (قوله ونطبع) قدر المفسر نحن إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله (قوله تلك القرى نقص) اسم الإشارة مبتدأ والقرى بدل أو عطف بيان ونقص خبره (قوله التى مر ذكرها) أى وهى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (قوله من أنبائها) أى بعض أخبارها وماوقع لها (قوله ليؤمنوا) اللام زائدة لتوكيد النفى (قوله عند مجيئهم) أى الرسل (قوله قبل مجيئهم) أى بالمعجزات بعد إرسالهم للخلق (قوله أى الناس) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها ويصح أن الضمير عائد على الأمم فيكون بينهما ارتباط (قوله وإن وجدنا) أى علمنا أكثر مفعول أول وفاسقين مفعول ثان واللام فارقة والمراد ليظهر متعلق علمنا للخلق على حد: لنعلم أى الحزبين أحصى (قوله لفاسقين) أى خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد (قوله أى الرسل المذكورين) أى وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (قوله موسى) وعاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة (قوله التسع) أى وهى العصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكلها مذكورة فى هذه السورة إلا الطمس فى سورة يونس قال تعالى

الداخلة عليهما للعطف وفى قراءة بسكون الواو فى الموضع الأول عطفا بأو (وَ) نحن (نَطْبَعُ) نختم (عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) الموعظة سماع تدبر (تِلْكَ الْقُرَى) التى مر ذكرها (نَقُصُّ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْ أَنْبَائِهَا) أخبار أهلها (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) عند مجيئهم (بِمَا كَذَّبُوا) كفروا به (مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر (كَذَلِكَ) الطبع (يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ) أى الناس (مِنْ عَهْدٍ) أى وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق (وَإِنْ) مخففة (وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ) أى الرسل المذكورين (مُوسَى بِآيَاتِنَا) التسع (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) قومه (فَظَلَمُوا) كفروا (بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) بالكفر من إهلاكهم (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك فكذبه فقال أنا (حَقِيقٌ) جدير (عَلَى أَنْ) أى بأن (لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) وفى قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده (قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) وكان استعبدهم (قَالَ) فرعون له (إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ) على دعواك (فَأْتِ بِهَا

- ربنا اطمس على موالهم - (قوله إلى فرعون) هذا لقبه واسمه الوليد بن مصعب بن الريان ففرعون فى الأصل علم شخص ثم صار لقبا لكل من ملك مصر فى الجاهلية وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة ومدة ملكه أربعمائة سنة لم يذكروها قط وكنيته أبو مرة وقيل أبو العباس وهو فرعون الثانى وفرعون الأول أخوه واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة وفرعون إبراهيم النمروذ وفرعون هذه الأمة أبو جهل (قوله فظلموا بها) ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها أى بسبب تكذيبهم بها (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة (قوله وقال موسى) تفصيل لما أجمل أولا لأن التفصيل بعد الإجمال أوقع فى النفس وهذا القول وما بعده إنما وقع بعد كلام طويل حكاه الله فى سورة الشعراء بقوله تعالى - فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين - الآيات وقوله تعالى قال فرعون ومارب العالمين الآيات وفى طه أيضا (قوله فكذبه) قدره إشارة إلى أن جملة حقيق مرتبة على محذوف (قوله حقيق) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أنا (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن على بمعنى الباء (قوله إلا الحق) مقول القول وهو مفرد فى معنى الجملة ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به العمل فى الجار والمجرور فإن على متعلق بحقيق (قوله فأرسل معى إلى الشام) أى وسبب سكناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام أن الأسباط أولاد يعقوب جاءوا مصر لأخيهم يوسف فمكثوا وتناسلوا فى مصر فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم فى الأعمال الشاقة فأحب موسى أن يخلصهم من ذلك الأسر (قوله استعبدهم) أى جعلهم عبيدا أرقاء بسبب استخدامه إياهم

(قوله إن كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله ثعبان مبين) الثعبان ذكر الحيات وصفت هنا بكونها ثعبانا وفى آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصغيرة ووجه الجمع أنها كانت فى العظم كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة ورد أنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة فمها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هاربا وأحدث أى تغوط فى ثيابه بحضرة قومه فى ذلك اليوم أربعمائة مرة واستمر معه هذا المرض وهو الاسهال إلى أن غرق مع كونه كان لايتغوط إلا فى كل أربعين يوما مرة وقيل إنها أدخلت قبة القصر بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالذى أرسلك أن تأخذها وأنا أومن بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأمسكها بيده فعادت كما كانت (قوله ونزع يده) أى اليمنى (قوله ذات شعاع) أى نور يغلب على ضوء الشمس (قوله من الأدمة) أى السمرة (قوله وفى الشعراء أنه) أى هذا القول (قوله فكأنهم قالوه معه) هذا بيان لوجه الجمع بين ماهنا وبين مايأتى فى الشعراء (قوله فماذا تأمرون) يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه تشيرون ويصح أن يكون من كلام الملأ له والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك والأول أقرب (قوله أرجئه) فيه ست قراآت سبعية ثلاثة مع الهمز وهى كسر الهاء من غير إشباع وضمها مع الاشباع وعدمه وثلاث من غير همز وهى إسكان الهاء وكسرها باشباع وبدونه (قوله وأرسل فى المدائن) أى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر (قوله وفى قراءة سحار) أى بالامالة وتركها فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله فجمعوا) أى وكانوا اثنين وسبعين وقيل اثنى عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل بضعا وثمانين ألفا (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع فكان عليه أن يقول وإدخال ألف بينهما وتركه وبقيت خامسة وهى أن بهمزة واحدة (قوله قال نعم) أى لكم الأجر (قوله وإنكم لمن المقربين) أى فى المنزلة عندى بحيث تكونون أول من يدخل عندى وآخر من يخرج (قوله قالوا ياموسى الخ) إما أن يكون ذلك تأدبا من السحرة مع موسى وقد جوزوا عليه بالايمان والنجاة من النار وإما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أوعدم مبالاة بموسى لاعتمادهم على غلبتهم (قوله إما أن تلقى الخ) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لمحذوف تقديره اختر إما إلقاءنا أو إلقاءك (قوله أمر للاذن) جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه . فأجاب بأن ذلك للتوصل إلى إظهار الحق (قوله عن حقيقة إدراكها) أى عن ادراك حقيقتها (قوله بسحر عظيم) أى عند السحرة وفى باب السحر وإن كان حقيرا فى نفسه وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وأخشابا طوالا وطلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضا فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل الناس أنها حيات وكانت سعة الأرض ميلا فى ميل وكانت الواقعة فى سكندرية فلما ألقى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ، ثم فتحت

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيها (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) حية عظيمة (وَنَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ) ذات شعاع (لِلنَّاظِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فائق فى علم السحر وفى الشعراء إنه من قول فرعون نفسه ، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ) أخر أمرهما (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ) وفى قراءة سحار (عَلِيمٍ) يفضل موسى فى علم السحر فجمعوا (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَئِنَّ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالُوا يَامُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ) عصاك (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) ماممنا (قَالَ أَلْقُوا) أمر للاذن بتقديم إلقائهم توصلا به إلى إظهار الحق (فَلَمَّا أَلْقَوْا) حبالهم وعصيهم (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) صرفوها عن حقيقة إدراكها (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى (وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ .

فاها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت فى يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر غيره والله ساجدين وقالوا لوكان ماصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وكانت حمل ثلثمائة بعير فعدمت بقدر الله تعالى (قوله وأوحينا إلى موسى) أى بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم أوحى الله إلى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما فى سورة طه : قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى الآية (قوله تلقف) أى تأخذ وتبتلع بسرعة (قوله فى الأصل) أى وأصلها تتلقف حذفت إحدى التاءين تخفيفا وهذه قراءة الجمهور وفى قراءة بادغام التاء فى التاء وفى قراءة تلقف من لقف كعلم فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله مايأفكون) أى يكذبون فالافك الكذب (قوله بتمويههم) أى تزيينهم الباطل بصورة الحق (قوله وبطل ماكانوا يعملون) أى ظهر بطلانه (قوله هنالك) أى فى ذلك المكان وهو سكندرية (قوله وانقلبوا صاغرين) أى فرعون وقومه غير السحرة فانهم لم يصبهم صغار بل أصابهم العز الأبدى بإيمانهم بالله وحده (قوله ساجدين) حال من السحرة وقوله : قالوا آمنا فى موضع الحال من الضمير فى ساجدين والتقدير قائلين فى حال سجودهم آمنا الخ (قوله رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين أوعطف بيان أونعت جىء به لدفع إيهام فرعون الناس أنه هو رب العالمين (٨٥) حيث قال للسحرة إياى تعنون فدفعوا

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ) بحذف إحدى التاءين فى الأصل تبتلع (مَا يَأْفِكُونَ) يقلبون بتمويههم (فَوَقَعَ الْحَقُّ) ثبت وظهر (وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من السحر (فَغُلِبُوا) أى فرعون وقومه (هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ) صاروا ذليلين (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لايتأتى بالسحر (قَالَ فِرْعَوْنُ ءَآمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (بِهِ) بموسى (قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّ هَذَا) الذى صنعتموه (لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ماينالكم منى (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا) بعد موتنا بأى وجه كان (مُنْقَلِبُونَ) راجعون فى الآخرة (وَمَا تَنْقِمُ) تنكر (مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) عند فعل ما توعده بنا لئلا نرجع كفارا (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ .

ذلك بقولهم : رب موسى وهارون (قوله بتحقيق الهمزتين) أى همزة الاستفهام والهمزة الزائدة فى الفعل وقوله و إبدال الثانية أى فى الفعل وان كانت ثالثة فهى فاء الكلمة وفى قراءة سبعية أيضا بحذف همزة الاستفهام وفى قراءة بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية و إبدال الثالثة ألفا وفى قراءة بقلب الأولى واوا فى الوصل وتسهيل الثانية وقلب الثالثة ألفا فالقراآت أربع وكلها سبعية (قوله قبل أن آذن لكم) أصله أأذن أبدلت الثانية ألفا على القاعدة المشهورة ، والمعنى أحصل منكم الايمان قبل حصول الاذن منى لايليق منكم ذلك والفعل مضارع منصوب بأن (قوله إن هذا لمكر) أى حيلة وخديعة (قوله مكرتموه) أى تواطأتم عليه قبل مجيئكم إلينا وقصد بذلك اللعين تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم وهما قوله : إن هذا لمكر وقوله : لتخرجوا منها أهلها (قوله ماينالكم منى) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله لأقطعن أيديكم) هذا بيان لوعيده الذى توعدهم به وهل فعل ماتوعدهم به أولا ؟ خلاف بل قال بعضهم إنه لم يفعل بدليل قوله تعالى : أنتما ومن اتبعكما الغالبون (قوله من خلاف) الجار والمجرور فى محل نصب على الحال أى مختلفة (قوله بأى وجه كان) أى سواء كان بقتلك أولا وفى آية طه : إنما تقضى هذه الحياة الدنيا (قوله وماتنقم منا) أى تنكره منا فقوله إلا أن آمنا أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول به لتنقم ، والمعنى وماتنكره منا إلا إيماننا ويصح أن يكون المعنى وماتعذبنا بشىء من الأشياء إلا لأجل إيماننا فيكون مفعولا لأجله (قوله لما جاءتنا) أى حين أتتنا من عنده (قوله عند فعل ماتوعده بنا) أى ماتوعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب ففى العبارة قلب (قوله لئلا نرجع كفارا) علة لقوله - ربنا أفرغ علينا صبرا - (قوله وتوفنا مسلمين) أى ثابتين على الدين الحق غير مغيرين ولامبدلين .

(قوله وقال الملأ) أي المصرّون على الكفر فانه حين آمنت به السحرة آمن من بني إسرائيل ستمائة ألف (قوله و يذرك) معطوف على ليفسدوا ، والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليتركك وآلهتك والاستفهام إنكاري ، والمعنى لايليق ذلك (قوله وآلهتك) بالجمع في قراءة الجمهور لأنه جعل آلهة يعبدها قومه وجعل نفسه هو الإله الأعلى قال تعالى : فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى ، وقرئ شذوذا و إلهتك بتاء التأنيث لأنه كان يعبد الشمس (قوله أصناما صغارا) أي على صور الكواكب (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله المولودين) أي الصغار (قوله ونستحيي نساءهم) أي للخدمة (قوله من قبل) أي قبل مولد موسى (قوله قال موسى لقومه) أي تسلية لهم (قوله استعينوا بالله) أي اطلبوا الاعانة منه سبحانه (قوله يورثها) الجملة حالية من لفظ الجلالة وقوله من يشاء مفعول ثان والمفعول الأول الهاء (قوله للمتقين الله) قدره إشارة إلى أن مفعول المتقين محذوف (قوله قالوا أوذينا) أي بالقتل الأولاد واستبقاء النساء للخدمة (قوله من قبل أن تأتينا) أي بالرسالة وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة نصف النهار فلما بعث موسى وجرى بينهم ماجرى استعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم (قوله كيف تعملون فيها) أي من الاصلاح والافساد

(قوله ولقد) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد أخذنا أي ابتلينا وهذا شروع في تفصيل مبادي هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات (قوله بالسنين) جمع سنة ومن المعلوم أنه يجري مثل جمع المذكر السالم في إعرابه بالواو رفعا و بالياء نصبا وجرا وتحذف نونه للاضافة ففي الحديث «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» ويقل إعرابه كحين (قوله بالقحط) أي احتباس المطر (قوله ونقص من الثمرات) أي إتلافها بالآفات (قوله فاذا جاءتهم الحسنة) أشار بذلك إلى أنهم باقون في غيهم وضلالهم لم يتعظوا ولم ينزجروا عما هم عليه (قوله أي نستحقها) أي بحولنا وقوتنا

(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ) له (أَتَذَرُ) تترك (مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالدعاء إلى مخالفتك (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) وكان صنع لهم أصناما صغارا يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الأعلى (قَالَ سَنُقَتِّلُ) بالتشديد والتخفيف (أَبْنَاءَهُمْ) المولودين (وَنَسْتَحْيِي) نستبقي (نِسَاءَهُمْ) كفعلنا بهم من قبل (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا) على أذاهم (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا) يعطيها (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ) الله (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فيها (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) بالقحط (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ) الخصب والغنى (قَالُوا لَنَا هَذِهِ) أي نستحقها ولم يشكروا عليها (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جدب وبلاء (يَطَّيَّرُوا) يتشاءموا (بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ) من المؤمنين (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ) شؤمهم (عِنْدَ اللَّهِ) يأتيهم به (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن مايصيبهم من عنده (وَقَالُوا) لموسى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) ،

فدعا

(قوله يطيروا) أصله يتطيروا أدغمت التاء في الطاء والتطير في الأصل أن يفرق الشيء بين القوم و يطير لكل واحد مايخصه فيشمل النصيب الحسن والسيء ثم غلب على الحظ والنصيب السيء ، والحكمة في التعبير في جانب الحسنة باذا المفيدة للتحقيق وتعريفها وفي جانب السيئة بان المفيدة للشك وتنكيرها الاشارة إلى أن رحمة الله تغلب غضبه وأنها صادرة منه سبحانه وتعالى و إن لم يتأهل لها العبد بخلاف السيئة فصدورها منه نادر ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (قوله ألا إنما طائرهم) ألا أداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم (قوله شؤمهم) أي عذابهم الذي تشاءموا به (قوله عند الله) أي لا عند موسى فليس له مدخل في إيجاد ذلك (قوله يأتيهم به) أي جزاء لأعمالهم السيئة (قوله ولكن أكثرهم لايعلمون) يفيد أن الأقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق و إنما كفرهم محض عناد (قوله وقالوا) أي فرعون وقومه (قوله مهما تأتنا به الخ) مهما اسم شرط جازم وتأت فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها والمفعول ومن آية بيان لمهما و به متعلق بتأت وضميرها راجع لمهما ولتسحرنا متعلق بتأتنا وبها متعلق بتسحرنا وقوله فما الفاء واقعة في جواب الشرط وما نافية ونحن مبتدأ و بمؤمنين

خبر مرفوع بواو مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء التي جلبها حرف الجر الزائد والجملة في محل جزم جواب الشرط (قوله فدعا عليهم) قال سعيد بن جبير لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادى على الشر فتابع الله عليهم الآيات فأخذهم الله أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض و بغى وعتا وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة ففعل الله بهم ماسيذكر (قوله فأرسلنا عليهم الطوفان) أى ما من السماء والحال أن بيوت القبط مشتبكة ببيوت بنى إسرائيل فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بنى إسرائيل شىء وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فاستغاثوا بموسى فأزال الله عنهم المطر وأرسل الريح فجفف الأرض وخرج من النبات مالم ير مثله قط فقالوا هذا الذى جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر فلا والله لانؤمن بك ولا نرسل معك بنى إسرائيل فأقاموا شهرا في عافية (قوله إلى حلوق الجالسين) في كلام غيره إلى حلوق القائمين ومن جلس غرق كما علمت (قوله والجراد) أى واستمر من السبت إلى السبت يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وابتلى الجراد بالجوع فكانت لاتشبع ولم تصب بنى إسرائيل فعظم الأمر عليهم فضجوا من ذلك وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فأشار موسى بعصاه نحو الشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فأقاموا شهرا

فدعا عليهم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام (وَالْجَرَادَ) فأكل زرعهم وثمارهم كذلك (وَالْقُمَّلَ) السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد (وَالضَّفَادِعَ) فملأت بيوتهم وطعامهم (وَالدَّمَ) في مياههم (آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) مبينات (فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها (وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) العذاب (قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنا (لَئِنْ) لام قسم (كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى (عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم .

في عافية ثم رجعوا إلى أعمالهم الخبيثة (قوله والقمل) مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد وقيل إنه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم وقيل هو البراغيث فأكل ما أبقاه الجراد وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلأ قملا فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت فضجوا واستغاثوا فرفع عنهم ثم أقاموا شهرا في عافية ثم رجعوا لأخبث ما كانوا عليه (قوله والضفادع) جمع ضفدع كدرهم وزبرج (قوله فملأت بيوتهم وطعامهم) أى وكان الواحد منهم يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكان يملأ قدورهم ويطفئ نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لايستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر، وورد أن الضفادع كانت برية فلما أرسلها الله سمعت وأطاعت فجعلت تلقى نفسها في القدور وهى تغلى وفى التنانير وهى تفور فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فصارت من حينها تسكن الماء، ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقى إلا أن نتوب ولا نعود بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك واستمروا شهرا في عافية ثم عادوا (قوله والدم) أى وكان أحمر خالصا فصارت مياههم كلها دما فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دما فأجهدهم العطش جدا حتى إن القبطية تأتى لمرأة من بنى إسرائيل فتقول لها اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الاناء دما حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجيه في فى فتأخذه في فيها ماء وإذا مجته في فيها صار دما واعترى فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأحجار الرطبة فاذا مضغها صار دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت فشكوا لموسى ذلك فكشف عنهم (قوله آيات) حال من الخمسة المذكورة (قوله مفصلات) أى مفرقات فكانت كل واحدة تمكث سبعة أيام وبين كل واحدة وأخرى شهر (قوله ولما وقع عليهم الرجز) هذا موزع على الخمسة فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله فلما كشفنا) أى في كل واحدة من الخمس (قوله إلى أجل هم بالغوه)

(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) البحر الملح (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) لا يتدبرونها (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ) بالاستعباد وهم بنو إسرائيل (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر صفة للأرض وهي الشام (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى) وهي قوله: ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الخ (عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا) على أذى عدوهم (وَدَمَّرْنَا) أهلكنا (مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) من العمارة (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) بكسر الراء وضمها: يرفعون من البنيان (وَجَاوَزْنَا) عبرنا (بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا) فمروا (عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ) بضم الكاف وكسرها (عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ) يقيمون على عبادتها (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا) صنما نعبده (كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ) هالك (مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا) معبودا وأصله أبغي لكم (وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) في زمانكم بما ذكره في قوله (وَ) اذكروا (إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ) وفي قراءة أنجاكم (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ) يكلفونكم ويذيقونكم (سُوءَ الْعَذَابِ) أشده وهم (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ،

ويستحيون

أي وهو وقت إغراقهم (قوله فانتقمنا منهم) أي أردنا الانتقام منهم لأن الانتقام هو الاغراق فلا يحسن دخول الفاء بينهما (قوله مشارق الأرض ومغاربها) أي نواحيها وجميع جهاتها (قوله صفة للأرض) فيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي والأولى أن يكون صفة للمشارق والمغارق (قوله وهو الشام) الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى: التي باركنا فيها وهذا الوصف لايعين هذا المعنى بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر كما هو السياق وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره ويؤيده قوله تعالى: كم تركوا من جنات وعيون إلى أن قال: كذلك وأورثناها قوما آخرين وكذلك آية الشعراء وقد اختار ماقلناه جملة من المفسرين وقال بعضهم المراد بمشارق الأرض الشام ومغاربها مصر فانهم ورثوا العمالقة في الشام وورثوا الفراعنة في مصر (قوله كلمت) ترسم هذه بالتاء المجرورة لاغير وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل (قوله بما صبروا) أي بسبب صبرهم (قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي أهلكنا وخربنا الذي كان يصنعه فرعون وقومه (قوله وما كانوا يعرشون) هذا آخر قصة فرعون وقومه (قوله بكسر الراء وضمها) قراءتان سبعيتان (قوله من البنيان) أي كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بأرض مصر (قوله وجاوزنا) شروع في قصة بني إسرائيل وما وقع منهم من كفر النعمة والقبائح والمقصود من ذلك تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتخويف أمته من أن يفعلوا مثل فعلهم (قوله عبرنا) العبر هو الانتقال من جانب لآخر لانتقالهم من الجانب الغربي إلى الشرقي (قوله بضم الكاف وكسرها) أي من بابي نصر وضرب وهما قراءتان سبعيتان (قوله على أصنام لهم) قيل هي حجارة على صور البقر وقيل بقر حقيقة وكان هؤلاء القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك (قوله قالوا ياموسى) القائل بعضهم لاجميعهم (قوله اجعل لنا إلها) قيل إنهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقة وقيل ليسوا مرتدين بل هم جاهلون جهلا مركبا لاعتقادهم أن عبادة الصنم بقصد التقرب إلى الله تعالى لا تضرهم في الدين وعلى كل فهذه المقالة في شرعنا ردة والجار والمجرور مفعول ثان والهاء مفعول أول وقوله كما لهم آلهة صفة لالها وما اسم موصول ولهم صلتها وآلهة بدل من الضمير المستتر في لهم والتقدير اجعل إلهالنا كالذي استقر لهم الذي هو آلهة (قوله إن هؤلاء متبر ماهم فيه) جملة مستأنفة قصد بها توبيخهم وزجرهم (قوله ماهم فيه) أي من الدين الباطل وهو عبادة الأصنام (قوله قال أغير الله) الاستفهام للانكار والتوبيخ (قوله أبغيكم) أي أطلب وأقصد لكم (قوله وأصله أبغي لكم) أي فحذف الجار فاتصل الضمير (قوله وهو فضلكم) الجملة حالية من لفظ الجلالة (قوله في زمانكم) أي بانجائكم وإغراق عدوكم وإنزال المن والسلوى عليكم وليس تفضيلهم على جميع العالمين فان أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأمم (قوله وإذ أنجيناكم) هذا من كلام موسى فاسناد الانجاء إليه مجاز لكونه على يده وسببا فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق (قوله وفي قراءة أنجاكم) أي وهي ظاهرة فان الفاعل ضمير عائد على الله وهما قراءتان سبعيتان (قوله يسومونكم) من السوم وهو الاذاقة (قوله يقتلون أبناءكم) قدر المفسر هم إشارة إلى أن يقتلون بيان ليسومونكم.

(قوله ويستحيون نساءكم) أى لخدمتهم (قوله الانجاء أو العذاب) أشار بذلك إلى أن اسم الاشارة يصح عوده على الأنجاء ، ومعنى كونه بلاء أنه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا أو يكفرون فيعاقبوا وعوده على العذاب ظاهر فالابتلاء كما يكون فى الشر يكون فى الخير . قال تعالى ـ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ـ فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلايا موجب لرضا الله - قال تعالى ـ و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون ـ (قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الألف من المواعدة وهى مفاعلة من الجانبين فمن الله الأمر ومن العبد القبول وعلى حذف الألف فالوعد من الله لاغير وهو ظاهر (قوله ثلاثين ليلة) إنما عبر بالليالى دون الأيام مع أن الصيام فى الأيام لأن موسى كان صائما تلك المدة ليلا ونهارا مواصلا وحرمة الوصال على غير الأنبياء فعبر بالليالى لدفع توهم اقتصاره على صوم النهار فقط . قال المفسرون : إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى إسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خرنوب ، وقيل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك ، فأمره الله أن يصوم عشر ذى الحجة فكانت فتنة بنى إسرائيل فى تلك العشر (قوله أنكر خلوف فمه) أى كره رائحة فمه من أثر الصوم وهو بضم الخاء واللام معناه الرائحة (قوله وأتممناها) أى

(وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ) الانجاء أو العذاب (بَلَاءٌ) إنعام أو ابتلاء (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم (وَوَاعَدْنَا) بألف ودونها (مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهى ذو القعدة فصامها ، فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى : (وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) من ذى الحجة (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ) وقت وعده بكلامه إياه (أَرْبَعِينَ) حال (لَيْلَةً) تمييز (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ) عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة (اخْلُفْنِي) كن خليفتى (فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) أمرهم (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) بموافقتهم على المعاصى (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا) أى للوقت الذى وعدناه بالكلام فيه (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة (قَالَ رَبِّ أَرِنِي) نفسك (أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) أى لا تقدر على رؤيتى والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان رؤيته تعالى (وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ) ،

المواعدة المأخوذة من قوله وواعدنا (قوله أربعين حال) أى من ميقات (قوله وقال موسى) الواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا لأن تلك الوصية كانت قبل ذهابه وصيامه (قوله وأصلح أمرهم) أى أمر بنى إسرائيل ولا تغفل عنهم (قوله ولما جاء موسى لميقاتنا) قال أهل التفسير لما جاء موسى لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء فأنزل الله ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء ، فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا ، وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه ، وكان جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه فاشتاق إلى رؤيته فقال رب أرنى الخ (قوله أى للوقت) أى وكان يوم الخميس يوم عرفة فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر (قوله وكلمه ربه) أى أزال الحجاب عنه حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته لا أن الله أنشأ له الكلام لأن الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة (قوله قال رب أرنى) لما سمع الكلام هام واشتاق إلى رؤية الذات فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر كما أزال الله عنه حجاب السمع إذ لا فرق بين الحاستين فقد سأل جائزا لأن كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته (قوله نفسك) قدره إشارة إلى أن مفعول أرنى محذوف (قوله أنظر إليك) جواب الشرط ، لا يقال إن الشرط قد اتحد مع الجواب لأن المعنى هيئنى لرؤيتك ومكنى منها فان تفعل بى ذلك أنظر إليك (قوله قال لن ترانى) أى لا طاقة لك على رؤيتى فى الدنيا ، وهذا لا يقتضى أنها مستحيلة عقلا و إلا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل (قوله ولكن انظر إلى الجبل) هذا من تنزلات الحق لموسى وتسلية له على ما فاته من الرؤية وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير

(قوله الذى هو أقوى منك) أى لحجبه عن الرؤية برحمة به لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى (قوله أى ظهر من نوره) أى نور جلال عرشه ، وفى رواية « أمر الله ملائكة السموات السبع بحمل عرشه فلما بدا نورعرشه انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى » (قوله نصف أنملة الخنصر) وفى رواية « قدر منخر الثور » وفى رواية « قدر سم الخياط » وفى رواية « قدر الدرهم » (قوله بالقصر والمد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستويا بالأرض) أى بعد أن كان عاليا مرتفعا وقيل تفرق ستة أجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهى أحد وورقان ورضوى ، وثلاثة بمكة ثبير وثور وحراء (قوله وخر موسى صعقا) أى سقط مغشيا عليه ذاهبا عن حواسه ولذا لايصعق عند النفخة (قوله فلما أفاق)أى ردّ حواسه له (قوله من سؤال مالم أومر به) أى وليس المراد أن طلب الرؤية معصية و إنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله فى زمانى) دفع بذلك مايقال إن قبله من المؤمنين كثيرا من الأنبياء والأمم ، وفى القصة أن موسى عليه السلام كان بعد مارجع من المكالمة لايستطيع أحد أن ينظر إليه لماغشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات ، وقالت له زوجته أنالم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه ، فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلنى زوجتك فى الجنة . قال ذلك لك إن لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر أزواجها ، وورد أيضا « أنه مكث زمنا طويلا كلما سمع كلام الناس نفا » (قوله قال ياموسى)هذا تسلية له على مافاته من الرؤية (قوله أهل زمانك) دفع بذلك مايقال إن من جملة

عباس سيد محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الخليل فيقتضى أنه مختار عليهما فأجاب بأن المراد بالناس اهل زمانه أنبياء أو غيرهم ، ولذلك كانت أنبياء بنى إسرائيل يتعبدون بالتوراة (قوله بالجمع) أى باعتبار تعدد الأحكام الموحى بها (قوله والافراد) أى مرادا بها للمعنى المصدرى أى إرسالى وهما قراءتان سبعيتان

الذى هو أقوى منك (فَإِنِ اسْتَقَرَّ) ثبت (مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) أى تثبت لرؤيتى وإلا فلا طاقة لك (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ) أى ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما فى حديث صححه الحاكم (لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) بالقصر والمد أى مدكوكا مستويا بالأرض (وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا) مغشيا عليه لهول مارأى (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ) تنزيها لك (تُبْتُ إِلَيْكَ) من سؤال مالم أومر به (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) فى زمانى (قَالَ) تعالى له (يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ) اخترتك (عَلَى النَّاسِ) أهل زمانك (بِرِسَالَاتِي) بالجمع والإفراد (وَبِكَلَامِي) أى تكليمى إياك (فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ) من الفضل (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لأنعمى (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ) أى ألواح التوراة ، وكانت من سدر الجنة ، أو زبرجد ، أو زمرد سبعة أو عشرة (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا) تبيينا (لِكُلِّ شَيْءٍ) بدل من الجار والمجرور قبله (فَخُذْهَا) قبله قلنا مقدرا (بِقُوَّةٍ) بجد واجتهاد (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا ، بأحسنها

(قوله و بكلامى) اسم مصدر بمعنى التكليم : أى تكليمي إياك مباشرة بلا واسطة ويصح أن يراد بالكلام التوراة كما يقال للقرآن كلام الله يقال للتوراة أيضا كلام الله لأنها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن (قوله لأنعمى) جمع نعمة ويجمع أيضا على نعم (قوله وكتبنا له فى الألواح) أى وكان طول اللوح منها اثنى عشر ذراعا ، وقيل عشرة على طول موسى والكاتب لها هو الله بلا واسطة (قوله من سدر الجنة) أى خشبها المسمى بالسدر والشاقق لها هو الله بلا واسطة (قوله أو زمرد) وقيل من ياقوتة حمراء (قوله سبعة أو عشرة) وقيل تسعة ، وقيل اثنان ويكون المراد بالجمع مافوق الواحد قال الربيع بن أنس : نزلت التوراة وهى وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يحفظها إلا أربعة موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام ، وقال الحسن : هذه الآية فى التوراة بألف آية (قوله بدل) أى قوله موعظة وتفصيلا بدل من محل قوله من كل شئ وهو النصب ، وقوله لكل شئ متعلق بتفصيلا (قوله قبله قلنا مقدرا) أشار بذلك إلى أن هذا المحذوف معطوف على كتبنا (قوله بجد واجتهاد) أى لا بتراخ وكسل فان العلم لايأتى إلا للجد المشتاق كان كسبيا أو وهبيا فلابد لمتعاطى العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس . قال بعضهم :

بقدر الكد تكتسب المعالى ... ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلى

وقال بعض الظرفين :

تجد بالروح والدنيا خليلى ... كذا الأوطان كى تدرك سناه

وهذا الخطاب لموسى والمراد غيره لأنه هو آخذ لها بقوة واجتهاد (قوله بأحسنها) أى بالأحوط منها لأن فيها عزائم ورخصا وفاضلا ومفضولا وجائزا ومندوبا فأمر قومك يأخذوا بأحوطها بأن يتبعوا العزائم ويتركوا الرخص ، وذلك كالقود والعفو ، والانتصار والصبر فالأخذ بالعفو أحسن من القود والصبر أحسن من الانتصار أو يقال إن اسم التفضيل ليس على بابه : أى بحسنها ، الاضافة بيانية ، والمعنى يعملون بجميع مافيها (قوله سأريكم) الخطاب لموسى ومن تبعه فالكاف مفعول أول ودار مفعول ثان ، والمعنى أملككم إياها بدليل قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة (قوله وهى مصر) هذا هو الأقرب ، وقيل المراد بدار الفاسقين ديار عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح (قوله ليعتبروا بهم) أى ففى الآية إشارة إلى أنهم إن خالفوا فعل بهم كما فعل بفرعون قومه ، وهكذا كل ظالم فاجر ولو من المسلمين إذا بغى واعتدى وتكبر وتجبر يمهل مدة ثم تصير دياره بلاقع فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ويؤيده قوله تعالى ـ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ـ (قوله سأصرف عن آياتى) أى أنسى قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتى فلا يتفكرون ولا يتدبرون (قوله بغير الحق) حال من الذين يتكبرون : أى حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق (قوله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى لوجود الطبع على قلوبهم وفى الآية إشارة إلى أن المتكبر المعترض لا يستفيد نورا ولا خيرا من الذى اعترض وتكبر عليه (قوله بأنهم كذبوا) أى بسبب تكذيبهم (قوله تقدم مثله) أى فى قوله ـ فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ـ (قوله والذين كذبوا) مبتدأ وجملة

(٩١)

بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) فرعون وأتباعه وهى مصر لتعتبروا بهم (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ) دلائل قدرتى من المصنوعات وغيرها (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ) طريق (الرُّشْدِ) الهدى الذى جاء من عند الله (لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) يسلكوه (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ) الضلال (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَٰلِكَ) الصرف (بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) تقدم مثله (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) البعث وغيره (حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) ماعملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من التكذيب والمعاصى (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد ذهابه إلى المناجاة (مِنْ حُلِيِّهِمْ) الذى استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقى عندهم (عِجْلًا) صاغه لهم منه السامرى (جَسَدًا) ،

حبطت أعمالهم خبره (قوله لعدم شرطه) أى الثواب وهو الايمان فالايمان شرط فى الثواب لأنه مقدار من الجزاء يعطى للمؤمنين فى مقابلة أعمالهم الحسنة فأعمال الكفار الحسنة لا تتوقف على نية يجازون عليها فى الدنيا أو يخفف عنهم من عذاب غير الكفر لكنه لا يقال له ثواب كذا قرر الأشياخ (قوله هل يجزون) استفهام إنكارى بمعنى النفى ، ولذا أشار له المفسر بقوله ما (قوله واتخذ قوم موسى) عطف قصة على قصة والواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكالمة فى مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين (قوله من حليهم) جمع حلى بفتح فسكون وأصله حلوى اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقلبت ضمة اللام كسرة لتصح الياء (قوله الذى استعاروه من قوم فرعون) أى قبل غرقهم (قوله فبقى عندهم) أى ملكا لبنى إسرائيل كما ملكوا غيره من أموالهم وديارهم ولذا أضافه الله لهم ، وأما قول المفسر استعاروه فهو باعتبار ما كان (قوله عجلا) وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه فى البحر كما قصه الله تعالى فى سورة طه (قوله صاغه لهم منه السامرى) واسمه موسى وكان ابن زنا وضعته أمه فى جبل فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من أصبعه فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون وكان راكبا فرسا فكان كل شىء وطئته بحافرها يخضر ويثمر ففطن موسى السامرى لذلك وعلم أن هذا التراب له أثر فأخذ شيئا منه وادخره فلما توجه موسى للمناجاة صنع لهم العجل ووضع التراب فى فيه فصار له خوار فقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسى كما فى سورة طه وكان موسى السامرى منافقا ، وانظر إلى من رباه جبريل حيث كان منافقا وإلى من رباه فرعون حيث كان مرسلا فان هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بيد الله ، فقد قال بعضهم :

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل ✲ فقد خاب من ربى وخاب المؤمل
فموسى الذى رباه جبريل كافر ✲ وموسى الذى رباه فرعون مرسل

(قوله بدل) أى من عجلا أوعطف بيان (قوله لحما ودما) تفسير لجسدا (قوله له خوار) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا له جؤار بجيم فهمزة وهوالصوت الشديد (قوله فان أثره الحياة) أى بتأثير الله له (قوله ألم يروا) استفهام توبيخ وتقريع (قوله اتخذوه) كرره لمزيد التشنيع عليهم (قوله وكانوا ظالمين) أى أنفسهم أشد الظلم حيث عبدوا غير الله (قوله ولما سقط فى أيديهم) فعل مبنى للمجهول والجار والمجرور نائب الفاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالفاعل ضمير يعود على الندم وقرئ شذوذا أيضا أسقط بضم الهمزة والضمير عائد على الندم والأصل على القراءة السبعية سقطت أفواههم على أيديهم فى بمعنى على وذلك من شدة الندم فان العادة أن الانسان إذا ندم على شئ عض بفمه على يده فسقوط الفم على اليد لازم للندم فأطلق اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية ولم تعرف هذه الكناية فى لغة العرب إلا فى القرآن (قوله ورأوا) الجملة حالية (قوله وذلك) أى الندم (قوله بعد رجوع موسى) أى وإنما قدم ليتصل ما قالوه بما فعلوه (قوله لئن لم يرحمنا ربنا الخ) فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعا على الفاعلية وعلى قراءة التاء يكون منصوبا على النداء (قوله ولما رجع موسى) أى من المناجاة (قوله غضبان) أى لما فعلوه من عبادة العجل وقد أخبره بذلك المولى حيث قال له كما فى طه فانا قد فتنا قومك من بعدك

الآية (قوله أسفا) حال وكذا غضبان فتكون حالامتداخلة (قوله بئسما خلفتمونى بئس فعل ماض لانشاء الذم وما تمييز وقيل فاعل وجملة خلفتمونى صفة لما والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه والمعنى بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه (قوله من بعدى) متعلق بخلفتمونى (قوله أعجلتم أمر ربكم) أى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق أوالمعنى أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم (قوله وألقى الألواح) أى وكان حاملا لها (قوله فتكسرت) هذا أحد الأقوال وقيل إنه تكسر البعض و بقى البعض وقيل المراد بالقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة أخيه فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شئ كما حققه زاده على البيضاوى (قوله أى بشعره بيمينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يجره إليه) حال من فاعل أخذ (قوله بكسر الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فأما قراءة الفتح فعند البصريين مبنى على الفتح لتركبه تركيب خمسة عشر وعند الكوفيين ابن منادى منصوب بفتحة ظاهرة وهومضاف لأم مجرور بكسرة مقدرة على ماقبل ياء التكلم المنقلبة ألفا المحذوفة للتخفيف و بقيت الفتحة لتدل عليها وأما على قراءة الكسر فعند البصريين هومنادى مضاف لياء التكلم المحذوفة تخفيفا فهو كسر بناء وعند الكوفيين كسرة إعراب وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة (قوله وذكرها أعطف) جواب عما يقال إن هرون شقيق موسى فلم اقتصر فى خطابه على الأم وكان هرون كثير الحلم محببا فى بنى إسرائيل وهو أكبر من موسى بثلاث سنين (قوله وكادوا يقتلوننى) أى بذلت وسعى فى نصيحتهم حتى قهرونى وقاربوا قتلى (قوله فلا تشمت بى الأعداء) الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه .

بدل لحما ودما (لَهُ خُوَارٌ) أى صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذى أخذه من حافر فرس جبريل فى فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثانى محذوف أى إلها (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) فكيف يتخذ إلها (اتَّخَذُوهُ) إلها (وَكَانُوا ظَالِمِينَ) باتخاذه (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ) أى ندموا على عبادته (وَرَأَوْا) علموا (أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) بالياء والتاء فيهما (لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهتهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ) لهم (بِئْسَمَا) أى بئس خلافة (خَلَفْتُمُونِي) ها (مِنْ بَعْدِي) خلافتكم هذه حيث أشركتم (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ) ألواح التوراة غضبا لربه فتكسرت (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) أى بشعره بيمينه ولحيته بشماله (يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) غضبا (قَالَ) يا (ابْنَ أُمَّ) بكسر الميم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا) قاربوا (يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ) تفرح (بِيَ الْأَعْدَاءَ) بإهانتك إياى (وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) بعبادة العجل فى المؤاخذة ،

قوله قال رب اغفرلى) أى لما تبين له عذر أخيه جمعه معه فى الدعاء استعطافا وإرضاء له (قوله إن الذين اتخذوا العجل) أى وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف و بقى اثنا عشر ألفا لم يعبدوه لأن جملة من عبر البحر مع موسى ستمائة ألف وعشرون ألفا (قوله إلها) قدره إشارة إلى أن مفعول اتخذوا محذوف (قوله سينالهم) الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض (قوله رجعوا عنها) أى عن السيئات التى منها عبادة العجل (قوله ولما سكت عن موسى الغضب) أى بمراجعة هرون له حيث ألان له الكلام واعتذر له وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الغضب بأمير قام على موسى فأمره بالقاء الألواح والأخذ برأس أخيه وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السكوت فاثباته تخييل وفى السكوت استعارة تبعية حيث شبه السكون بالسكوت واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئا عن سوء خلق وعدم حلم و إنما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافى الحلم قال بعضهم :

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وماقيل إن موسى لما كان قليل الحلم أمره الله بالإلانة الكلام لفرعون حيث قال له فقولا له قولا لينا ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم أمره الله بالاغلاظ على الكفار حيث قال واغلظ عليهم فهو باطل لا أصل له و إنما الذى يقال إن كلا كامل فى الحلم وكلا مأمور بالإلانة أولا فاذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد أمروا بالاغلاظ هذا هو الحق ومن نفى عن أحد منهم الحلم فقد كفر (قوله وفى نسختها) أى كتابتها وتسميتها نسخة باعتبار كتابتها

(قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي) ما صنعت بأخى (وَلِأَخِي) أشركه فى الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة به (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ) عذاب (مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة (وَكَذَٰلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) على الله بالاشراك وغيره (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا) رجعوا عنها (مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا) بالله (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) أى التوبة (لَغَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم (وَلَمَّا سَكَتَ) سكن (عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ) التى ألقاها (وَفِي نُسْخَتِهَا) أى ما نسخ فيها أى كتب (هُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه (وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ) أى من قومه (سَبْعِينَ رَجُلًا) ممن لم يعبد العجل بأمره تعالى (لِمِيقَاتِنَا) أى للوقت الذى وعدناه باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لأنهم ،

من اللوح المحفوظ وهذا على ما قاله زاده من أن الألواح لم تتكسر وأما على ماقاله ابن عباس من أنها تكسرت فصام موسى أربعين يوما فردت عليه فى لوحين لمعنى قوله وفى نسختها أى مانسخ من الألواح التى كسرت فى ألواح أخر فتسميتها نسخة ظاهر لأن نسخ الشئ نقله (قوله للذين هم لربهم يرهبون) أى وأما لغيرهم فليس فيه هدى ورحمة وإنما هو وبال وخسران فهى نظير القرآن مع المؤمن والمنافق قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (قوله وأدخل اللام على المفعول لتقدمه) أى فضعف عن العمل فقوى باللام والمعنى للذين هم يخافون ربهم أى يخافون عقابه (قوله أى من قومه) أشار بذلك إلى أن قوله من قومه مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض والمفعول الأول قوله سبعين (قوله سبعين رجلا) أى من شيوخهم روى أنه لم يجد إلا ستين شيخا فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا و يتطهروا و يطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى الميقات وهو طور سيناء فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره و ينهاه فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوما وليلة وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية وهذاقول غير ابن عباس وقال ابن عباس إن السبعين الذين سألوا الرؤية غير السبعين

الذين ذهبوا الشفاعة فالأولى أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية والثانية أخذتهم الرجفة بسبب معاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليهم و إلى هذا القول يشير المفسر بقوله قال وهم غير الذين سألوا الرؤية الخ (قوله لم يزايلوا) أى لم يفارقوا قومهم (قوله وهم غير الذين سألوا الرؤية) أى لأنهم لم يكونوا فى ذلك الميعاد بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة (قوله لو شئت أهلكتهم) مفعول المشيئة محذوف تقديره إهلاكهم (قوله استفهام استعطاف) أى طلب العطف والرحمة من الله (قوله ابتلاؤك) أى اختبارك ليتبين المطيع من العاصى (قوله وأنت خير الغافرين) اسم التفضيل ليس على بابه أو على بابه باعتبار أن الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سببا وهو الغافر الحقيقى (قوله واكتب) أى حقق وأثبت وهذا من جملة دعاء موسى فأوله أنت ولينا وآخره إنا هدنا إليك وحينئذ فلا ينبغى جعل قوله واكتب لنا أول الربع (قوله فى هذه الدنيا حسنة) أى ماتحمد عاقبته كالعافية والايمان والمعرفة وقوله وفى الآخرة حسنة أى وهى الجنة وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة (قوله إنا هدنا إليك) استئناف مسوق لتعليل الدعاء أى لأنا هدنا إليك أى رجعنا من هاد يهود إذا رجع ولذلك سميت اليهود بذلك وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم و بعد ذلك صار ذما (قوله قال عذابى) جواب من الله لموسى (قوله أصيب به من أشاء) أى فى الدنيا كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم وفى الآخرة بالنار لمن كفر (قوله ورحمتى وسعت كل شىء) ورد أنه لما نزلت هذه الآية فرح إبليس وقال قد دخلت فى رحمة الله فلما نزل فسأكتبها الخ أيس من ذلك وفرحت اليهود وقالوا نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الأمة بقوله الذين يتبعون الرسول الخ (قوله فى الدنيا) أى فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلاوهو متقلب فى الرحمة (قوله فسأكتبها) أى أثبتها

(٩٤)

لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوه الرؤية وأخذتهم الصاعقة (قَالَ) موسى (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ) أى قبل خروجى بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهمونى (وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) استفهام استعطاف أى لاتعذبنا بذنب غيرنا (إِنْ) ما (هِيَ) أى الفتنة التى وقعت فيها السفهاء (إِلَّا فِتْنَتُكَ) ابتلاؤك (تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ) إضلاله (وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) هدايته (أَنْتَ وَلِيُّنَا) متولى أمورنا (فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ) أوجب (لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ) حسنة (إِنَّا هُدْنَا) تبنا (إِلَيْكَ قَالَ) تعالى (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) تعذيبه (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ) عمت (كُلَّ شَيْءٍ) فى الدنيا (فَسَأَكْتُبُهَا) فى الآخرة (لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) محمداً صلى الله عليه وسلم (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ) باسمه وصفته،

(قوله للذين يتقون) أى يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهى (قوله ويؤتون الزكاة) بأمرهم خصها بالذكر لمشقتها على النفوس من حيث إن المال محبوب (قوله الذين يتبعون الرسول) أى بالايمان به بعد بعثته والعمل بشريعته ورد أن الله قال لموسى أجعل لك الأرض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهر قلب يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد أن نصلى الا فى الكنائس ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب ولا نقرؤها إلا نظرا قال فسأكتبها إلى قوله هم المفلحون فجعل هذه الأمور لهذه الأمة (قوله الأمى) أى الذى لا يقرأ ولا يكتب نسب إما للأم لأنه باق على حالته التى ولد عليها أو لأم القرى وهى مكة لكونه ولد بها (قوله باسمه وصفته) أى من كونه محمدا ولد بمكة وهاجر إلى المدينة يقبل الهدية و يرد الصدقة وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة قال الخميس فى تاريخه: إن محمدا مذكور فى التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية و بعدها نون مشددة بعدها ألف ومعناه محمد وذكر الحسن عن كعب الأحبار أن اسم النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القاهر وعند الجن عبد الرحيم وفى الجبال عبد الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وفى التوراة موذموذ وفى الانجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق وعند الله طه و محمد صلى الله عليه وسلم اه بحروفه

(قوله يأمرهم بالمعروف الخ) هذا وما بعده إلى المفلحون من جملة أوصافه المكتوبة فى التوراة والأنجيل (قوله مما حرم فى شرعهم) أى وهى لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر (قوله من الميتة ونحوها) أى كالدم ولحم الخنزير (قوله كقتل النفس) أى وتعيين القصاص فى القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل يوم السبت وكون صلاتهم لاتجوز إلا فى الكنائس ونحو ذلك من الأمور الشاقة التى كلفوا بها وتسميتها أغلالا مجاز لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الأغلال تمنع منه (قوله وقروه) أى عظموه (قوله ونصروه) أى أيدوه (قوله الذى أنزل معه) أى مقارنا لزمانه ومصحوبا به (قوله أى القرآن) تفسير للنور سمى القرآن بذلك لأنه ظاهر فى نفسه مظهر لغيره يهدى من الضلال المعنوى كما أن النور يهدى من الضلال الحسى (قوله أولئك هم المفلحون) أى الموصوفون بهذه الصفات فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال دنيا وأخرى (قوله قل يأيها الناس) أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصرا عليهم بل كل من تبعه حصل له الفوز كان من أهل الكتابين أولا والناس اسم جنس واحده إنسان (قوله جميعا) حال من ضمير إليكم (قوله الذى له ملك السموات) يصح رفع الذى ونصبه على أنه نعت مقطوع وجره على أنه نعت متصل وقوله له ملك السموات والأرض صلة الموصول لامحل لها من الاعراب وقوله لا إله إلا هو بيان للصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله لا إله إلا هو فكل واحدة من هذه الجمل كالدليل لما قبلها ولامحل لكل من الاعراب لأن الصلة لامحل لها فكذا مبينها (قوله

(يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) مما حرم فى شرعهم (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) من الميتة ونحوها (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) ثقلهم (وَالْأَغْلَالَ) الشدائد (الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) كقتل النفس فى التوبة وقطع أثر النجاسة (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ) منهم (وَعَزَّرُوهُ) وقروه (وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ) أى القرآن (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) القرآن (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ترشدون (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ) جماعة (يَهْدُونَ) الناس (بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) فى الحكم (وَقَطَّعْنَاهُمُ) فرقنا بنى إسرائيل (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) حال (أَسْبَاطًا) بدل منه أى قبائل (أُمَمًا) بدل مما قبله (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ) فى التيه (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) فضرب به (فَانْبَجَسَتْ) انفجرت (مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) بعدد الأسباط

فآمنوا بالله) تفريع على ما تقدم أى فحيث علمتم أن محمدا مرسل لجميع الناس وأن الله له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت وجب عليكم الايمان بالله ورسوله وفيه التفات من التكلم للغيبة ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله النبى الأمى الخ (قوله الذى يؤمن بالله وكلماته) أى لأنه مرسل لنفسه (قوله لعلكم تهتدون) أى تفلحون والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق فهو بمعنى قوله فيما سبق أولئك هم المفلحون (قوله ترشدون) من باب تعب ونصر (قوله ومن قوم موسى أمة) استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى بل استمروا على ضلالهم فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم شرذمة قليلة كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله وقطعناهم) الهاء مفعوله واثنتى عشرة حال وأسباطا بدل كما قال المفسر وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة ويصح أن قطع بمعنى صير فالهاء مفعول أول واثنتى عشرة مفعول ثان وأسباطا بدل وسبب تفرقهم كذلك أن أولاد يعقوب كانوا كذلك فكل سبط ينتمى لواحد منهم والأسباط جمع سبط وهو ولد الولد مرادف للحفيد هكذا فى كتب اللغة وتفرقة بعض العلماء بين السبط والحفيد بأن السبط ولد البنت والحفيد ولد الولد اصطلاح (قوله أى قبائل) أى كالقبائل فى التفرق والتعدد (قوله بدل مما قبله) أى فهو بدل من البدل (قوله وأوحينا إلى موسى) أى حيث أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بنى إسرائيل ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين فاطلعوا على أوصاف مهولة لهم فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام فأمرهم بالكتم عن قومهم فخانوا إلا اثنين منهم يوشع وكالب فجبنوا فحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلما طالت عليهم المدة فى التيه عطشوا فطلبوا منه السقيا فدعا الله موسى فأمره بضرب الحجر بعصاه وهذا الحجر هو الذى فر بثوبه حين اتهموه بالأدرة خفيف مربع كرأس الرجل (قوله فانبجست) أى انفجرت .

(قوله مشربهم) أى عينهم الخاصة بهم (قوله وظللنا عليهم الغمام) أى السحاب يسير بسيرهم ويضىء لهم بالليل يسيرون بضوئه (قوله الترنجبين) هو شىء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ كل إنسان صاعا (قوله والطير السمانى) أى فكانت ريح الجنوب تسوقه إليهم فيأخذ كل منهم ما يكفيه (قوله مارزقناكم) أى وهو المن والسلوى (قوله وماظلمونا) أى لم يصل لنا منهم ظلم بفعلهم ذلك فان ذلك مستحيل (قوله واذكر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (قوله وإذ قيل لهم) أى بعد خروجهم من التيه (قوله بيت المقدس) وقيل أريحا وقد ذكر القولين فى البقرة فعلى الأول يكون القائل الله على لسان موسى وهم فى التيه وعلى الثانى يكون على لسان يوشع وهو المعتمد كما تقدم فى البقرة (قوله وقولوا حطة) قدر المفسر أمرنا إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف ومعنى أمرنا حطة أى طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها (قوله سجود انحناء) أى فالمراد السجود اللغوى بأن يكونوا على هيئة الراكعين (قوله بالنون والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان ولكن على النون يقرأ خطايا وخطيئات وعلى التاء يقرأ خطيئاتكم وخطيئتكم بالجمع والافراد فالقراآت أربع (قوله قولا غير الذى قيل لهم) أى وفعلا غير ماأمروا به (قوله فقالوا حبة الخ) يحتمل أنه مجرد هذيان قصدوا به إغاظة موسى ويحتمل أن يكون له معنى صحيح كأنهم قالوا مطلوبنا حبة يعنى قمح فى زكائب من شعر ، وقد تقدم بسطه فى البقرة (قوله على أستاههم) جمع سته وهو الدبر (قوله عذابا) أى وهو الطاعون ومات منهم فى وقت واحد سبعون ألفا (قوله بما كانوا يظلمون) أى بسبب ظلمهم وقد غايرت هذه القصة مافى البقرة من عشرة أوجه قد تقدمت مفصلة فراجعه إن شئت (قوله واسألهم) أى اليهود الذين فى المدينة وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوبخ اليهود على كفرهم ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم فى الكفر بأنبيائهم فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم ولا كفر بأنبيائهم وكانوا يعرفون ماوقع لهذه القرية ويخفونه ويعتقدون أنه لاعلم لأحد غيرهم به فنزلت الآية فقصها رسول الله عليهم فبهتوا . إن قلت إن السورة مكية وهذا خطاب لأهل المدينة فالجواب أنها مكية ماعدا تلك الآيات الثمانية التى أولها واسألهم الخ فانها مدنية كما تقدم (قوله توبيخا) أى وتقريعا وتبكيتا (قوله عن القرية) أى أهلها (قوله مجاورة لبحر القلزم) أى عند العقبة بجانب القلعة (قوله إذ يعدون) أى يتعدون الحدود وكانوا فى زمن داود عليه السلام وسبب نهيهم عن الصيد يوم السبت أن الله أمرهم على لسان داود أن يتخذوا يوم الجمعة عيدا ينقطعون فيه لعبادة الله فكرهوا ذلك واختاروا السبت ومعناه فى اللغة القطع فهو إشارة إلى أنهم منقطعون عن كل خير فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليهم صيد السمك يوم السبت وأحله لهم باقى الأسبوع فكانوا يوم السبت يجدون السمك متراكما وباقى الجمعة لم يجدوا منه شيئا ثم إن إبليس علمهم أن يصنعوا جداول حول البحر يوم السبت فاذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك سدوا عليه وأخذوه يوم الأحد فافترقت القرية ثلاث فرق وكانوا سبعين ألفا ففرقة اصطادت وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سورا وفرقة لم تصد ولم تنه فبعد أيام قلائل مسخ من اصطاد قردة وخنازير ومكثوا ثلاثة أيام وماتوا وأنجى الله الفرقة الناهية والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالانجاء والاهلاك والصحيح نجاتهم (قوله حيتانهم) جمع حوت وأصل حيتان حوتان وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله شرعا) حال من فاعل تأتيهم أى قريبة من الساحل .

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) سبط منهم (مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ) فى التيه من حر الشمس (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . وَ) اذكر (إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا) أمرنا (حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ) أى باب القرية (سُجَّدًا) سجود انحناء (نَغْفِرْ) بالنون والتاء مبنيا للمفعول (لَكُمْ خَطَايَاكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) بالطاعة ثوابا (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ . وَسْئَلْهُمْ) يا محمد توبيخا (عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) مجاورة لبحر القلزم وهى أيلة ماوقع بأهلها (إِذْ يَعْدُونَ) يعتدون (فِى السَّبْتِ) بصيد السمك المأمورين بتركه فيه (إِذْ) ظرف ليعدون (تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا) ظاهرة على الماء .

(ويوم

(وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) لايعظمون السبت أى سائر الأيام (لَا تَأْتِيهِمْ) ابتلاء من الله (كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهى (وَإِذْ) عطف على إذ قبله (قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ) لم تصد ولم تنه لمن نهى (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا) موعظتنا (مَعْذِرَةً) نعتذر بها (إِلَىٰ رَبِّكُمْ) لئلا ننسب إلى تقصير فى ترك النهى (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الصيد (فَلَمَّا نَسُوا) تركوا (مَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهِ) فلم يرجعوا (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالاعتداء (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) شديد (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . فَلَمَّا عَتَوْا) تكبروا (عَنْ) ترك (مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدرى ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه (وَإِذْ تَأَذَّنَ) أعلم (رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) أى اليهود (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان بعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ) لمن عصاه (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ) لأهل طاعته (رَحِيمٌ) بهم .

(قوله و يوم لا يسبتون) اى لايعظمون يوم سبت ، والمعنى تأتيهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لاتأتيهم ، ولما كانت العبارة موهمة قال المفسر أى سائر الأيام أى باقيها (قوله ابتلاء من الله) علة لقوله تأتيهم وقوله لاتأتيهم (قوله كذلك) أى الابتلاء المتقدم (قوله بما كانوا يفسقون) أى يتجاوزون الحد (قوله ثلث صادوا معهم) المناسب حذف قوله معهم (قوله عطف على إذ قبله) أى وهو إذ يعدون (قوله لم تعظون قوما) إنما قصدوا بذلك اللوم على الناهين حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم (قوله أومعذبهم عذابا شديدا) أومانعة خلو تجوز الجمع ، والمعنى مهلكهم فى الدنيا ومعذبهم فى الآخرة (قوله قالوا معذرة) قدر المفسر موعظتنا إشارة إلى أن معذرة خبر لمحذوف وفى قراءة بالنصب على المفعول من أجله أى وعظناهم لأجل المعذرة (قوله لئلا ننسب إلى تقصير) أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليهم ، ولذا ورد أنه مجمع عليه فى جميع الشرائع (قوله ولعلهم يتقون) إشارة إلى أنهم ظانون إفادة الوعظة وهو عطف على المعنى إذ التقدير موعظتنا للاعتذار ولعلهم يتقون (قوله فلما نسوا ماذكروا به) فى الكلام حذف دل عليه قوله : أنجينا الذين ينهون الخ والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسى من نسى أنجينا الخ (قوله بئيس) فعيل من بؤس إذا اشتد وقرئ بئس على وزن ضيغم و بئس بكسر الباء وسكون الهمزة أوقلبها ياء و بيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة و بيس بفتح الباء وسكون الياء و بائس على وزن فاعل هكذا فى البيضاوى وليست كلها سبعية (قوله كونوا) أمر تكوين لاقول فهو كناية عن سرعة التصيير إذ لايكلف الشخص إلا بما يقدر عليه وكونهم قردة ليس فى طاقتهم (قوله فكانوها) أى قردة ، وقيل إن شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير ، وقيل إن الذين مسخوا خنازير هم أصحاب المائدة (قوله وهذا) أى قوله فلما عتوا تفصيل لما قبله وهو قوله : وأخذنا الذين ظلموا الخ (قوله لأنها كرهت مافعلوه) أى فهى داخلة تحت قوله : أنجينا الذين ينهون عن السوء فهى وان لم تنه صريحا لكنها نهت ضمنا (قوله أنه رجع إليه) أى إلى قول عكرمة (قوله و إذ تأذن) إذ ظرف لمحذوف تقديره اذكر وقت إذ تأذن (قوله أعلم) مفعوله محذوف والتقدير أعلم ربك أسلافهم (قوله ليبعثن) أى ليسلطن عليهم (قوله من يسومهم) أى يذيقهم (قوله بختنصر) علم مركب تركيبا مزجيا كبعلبك فاعرابه على الجزء الثانى والأول ملازم للفتح وهو غير منصرف للعلمية والتركيب المزجى ، و بخت معناه فى الأصل ابن ونصر اسم صنم ، سمى بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحا عند ذلك الصنم (قوله وسباهم) أى سبى نساءهم وصغارهم (قوله وضرب عليهم الجزية) أى على من لم يقاتل منهم (قوله فضربها عليهم) أى ولا تزال كذلك إلى نزول عيسى فلا يقبل منهم إلا الاسلام (قوله إن ربك لسريع العقاب) أى إذا تعلقت إرادته به و إلا فهو واسع الحلم .

(قوله وقطعناهم) أى بنى إسرائيل الـكائنين قبل زمن النبى صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم دون ذلك) قدّر المفسر ناس إشارة إلى أن دون نعت لمنعوت محذوف وهو كثير إذا كان التفصيل بمن كقولهم : منا ظعن ومنا أقام ، أى منا فريق ظعن ومنا فريق أقام (قوله و بلوناهم بالحسنات والسيئات) أى اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية والبلايا كالنقم والأسقام والشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه من الـكفر والمعاصى إلى طاعة ربهم فلم يرجعوا (قوله فخلف من بعدهم خلف) بسكون اللام للشىء و بفتحها للخير يقال خلف سوء وخلف صالح وهذه صفة من كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم إثر بيان صفات أسلافهم (قوله التوراة) أشار بذلك إلى أن أل فى الـكتاب للعهد (قوله عن آبائهم) أى أسلافهم سواء كانوا صلحاء أولا (قوله عرض هذا الأدنى) سمى عرضا لتعرضه للزوال ففى الـكلام استعارة تصريحية حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذى لايقوم بنفسه بجامع الزوال فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله و يقولون) أى زيادة على طمعهم فى الدنيا (قوله سيغفرلنا) أى لأنا أبناء الله وأحباؤه وشأن الحبيب أن لايعذب حبيبه (قوله مصرّون عليه) أى لم يقلعوا عنه فقد طمعوا فى المغفرة مع فقد شروطها إذ من أكبر شروطها الندم والإقلاع (قوله ميثاق الـكتاب) أى التوراة ، والمعنى أخذ عليهم الميثاق فى التوراة أنهم لايكذبون على الله ولا يقولون إلا الحق (قوله إلا الحق) صفة لوصوف محذوف مفعول مطلق لقوله أن لايقولوا والتقدير أن لايقولوا على الله إلا القول الحق (قوله فلم كذبوا عليه) أى الله (قوله أفلايعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركوا التدبر والتفكر فلايعقلون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء يكون إخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله بالتشديد) أى يمسكون غيرهم بالـكتاب ويدلونه على طريق الهدى (قوله والتخفيف) أى يمسكون بالـكتاب بمعنى يهتدون فى أنفسهم (قوله منهم) أى من بنى إسرائيل (قوله وأقاموا الصلاة) خصها بالذكر لأنها أعظم أركان الدين بعد التوحيد (قوله وفيه وضع الظاهر موضع المضمر) أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ المصلحين لقيامه مقام الضمير على حد قول الشاعر : ✽ سعاد التى أضناك حب سعادا ✽ ونكتة ذلك الاشارة إلى شرفهم والاعتناء بهم (قوله وإذ نتقنا) إذ ظرف معمول لمحذوف قدّره المفسر بقوله اذكر والمقصود من ذلك الردّ على اليهود والتقبيح عليهم حيث قالوا إن بنى إسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة لله (قوله الجبل) قيل هو الطور وقيل هو جبل من جبال فلسطين ، وقيل من جبال بيت المقدس وفى آية النساء التصريح بالطور . وسبب رفع الجبل فوقهم أنّ موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم فلما سمعوا مافيها من التغليظ أبوا أن يقبلوا ذلك ، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رءوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذيا لرءوسهم كالسقيفة فلما نظروا إلى الجبل فوق رءوسهم خرّوا سجدا فسجد كل واحد على خدّه وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوف أن يسقط عليه ، ولذلك لاتسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر .

(وَقَطَّعْنَاهُمْ) فرقناهم (فِي الْأَرْضِ أُمَماً) فرقا (مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ) ناس (دُونَ ذَٰلِكَ) الـكفار والفاسقون (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ) بالنعم (وَالسَّيِّئَاتِ) النقم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن فسقهم (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ) التوراة عن آبائهم (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ) أى حطام هذا الشىء الدنىء أى الدنيا من حلال وحرام (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) ما فعلناه (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) الجملة حال أى يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرّون عليه وليس فى التوراة وعد المغفرة مع الإصرار (أَلَمْ يُؤْخَذْ) استفهام تقرير (عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ) الاضافة بمعنى فى (أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا) عطف على يؤخذ قرءوا (مَا فِيهِ) فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الاصرار (وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الحرام (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ) بالتشديد والتخفيف (بِالْكِتَابِ) منهم (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) كعبد الله بن سلام وأصحابه (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أى أجرهم (وَ) اذكر (إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ) رفعناه من أصله (فوقهم

(قوله فوقهم) إما حال منتظرة أوظرف لنتقنا (قوله كأنه ظلة) حال من الجبل (قوله وظنوا) الجملة حالية من الجبل والتقدير رفعناه فوقهم والحال أنه مظنون وقوعه عليهم ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله خذوا معمول لمحذوف وهو معطوف على نتقنا (قوله لعلكم تتقون) أى تتصفون بالتقوى وهى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات أوتجعلون بينكم و بين النار وقاية تحفظكم منها (قوله و إذ أخذ ربك) عطف على قوله و إذ نتقنا عطف قصة على قصة وقدر المفسراذكر اشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف والحكمة فى تخصيص بنى إسرائيل بهذه القصة الزيادة فى إقامة الحجة عليهم حيث أعلمهم الله بأنه أعلم نبيه بمبدإ العالم فضلا عن وقائعهم (قوله بدل اشتمال) أى من قوله بنى آدم والأوضح أنه بدل بعض من كل لأن الظهور بعض بنى آدم كضربت زيدا يده (قوله بأن أخرج بعضهم من صلب بعض) أى فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم وهكذا على حسب الظهور الجسمانى إلى يوم القيامة وميز المسلم من الكافر بأن جعل ذر المسلم أبيض وذر الكافر أسود . روى أنهم لما اجتمعوا قال لهم اعلموا أنه لا إله غيرى وأنا ربكم لارب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فانى سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن و إنى مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتابا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لارب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال إنى أحب أن أشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض ودون ذلك أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق (قوله كالذر) قيل هو صغار النمل وقيل هو الهباء الذى يطير فى الشمس وقيل غير ذلك (قوله بنعمان) مكان بجنب عرفة (قوله وركب فيهم عقلا) أى وسمعا وروحا (قوله وأشهدهم على أنفسهم) أى قررهم فان الشهادة على النفس معناها الاقرار (قوله بلى) هى جواب للنفى ولكنها تفيد اثباته كان مجردا أو مقرونا بالاستفهام التقريرى كما هنا ولذلك قال ابن عباس لو قالوا نعم لكفروا لأن نعم لتقرير ماقبلها مثبتا أومنفيا فكأنهم أقروا بأنه ليس بربهم وإلى ذلك أشار العارف الأجهورى رضى الله عنه بقوله :

(فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا) أيقنوا (أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ) ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بجد واجتهاد (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) بالعمل به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَ) اذكر (إِذْ) حين (أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ) بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو مايتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) قال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) أنت ربنا (شَهِدْنَا) بذلك والاشهاد (أَنْ) لا (يَقُولُوا) بالياء والتاء فى الموضعين أى الكفار (يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا) التوحيد (غَافِلِينَ) لانعرفه (أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبلنا (وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ) فاقتدينا بهم (أَفَتُهْلِكُنَا) تعذبنا (بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) من آبائنا بتأسيس الشرك ، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ) نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ،

بلى جواب النفى لكنه ... يصير اثباتا كذا قرروا
نعم لتقرير الذى قبلها ... اثباتا اونفيا كذا حرروا

(قوله شهدنا) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك فيكون الوقف على قوله بلى ، و يحتمل أن يكون من كلام الذرية و يكون المعنى أقررنا بذلك وحينئذ فلا يصح الوقف على بلى (قوله فى الموضعين) أى قوله أن يقولوا أو يقولوا والمناسب تأخير قوله فى الموضعين فعلى الياء يكون إخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله فاقتدينا بهم) أى نهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون (قوله المعنى لايمكنهم) أى معنى الجملتين (قوله مع إشهادهم على أنفسهم) أى إقرارهم عليها (قوله على لسان صاحب المعجزة) أى وهم المرسلون وهو جواب عما يقال إن هذا العهد لايذكره أحد اليوم .

(قوله ولعلهم يرجعون) عطف على ماقدره المفسر . [فائدة حسنة] ذكر القطب الشعرانى فى رسالة سماها القواعد الكشفية فى الصفات الالهية : قد ذكر العلماء فى قوله تعالى ــ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ــ الآية اثنى عشر سؤالا ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به . الأول أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد . والجواب أن الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة قاله ابن عباس وغيره وقال بعضهم أخذه بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذى هبط آدم فيه من الجنة وقال الكلبى كان أخذ العهد بين مكة والطائف ، وقال الامام على بن أبى طالب كان أخذ العهد فى الجنة وكل هذه الأمور محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد . الثانى كيف استخرجهم من ظهره . والجواب ورد فى الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا الوجهين بعيد والأقرب كما قيل أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط فى النفوذ لا فى السعة فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصئبان من العرق السائل وهذا غير بعيد فى العقل فيجب اعتقاد اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة إذ لا اتصال بين الحادث والقديم . الثالث كيف أجابوه تعالى ببلى هل كانوا أحياء عقلاء أم أجابوه بلسان الحال . والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء إذ لا يستحيل فى العقل أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته تعالى واسعة وغاية وسعنا فى كل مسئلة أن نثبت الجواز ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى . الرابع فاذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد آخرين . والجواب كما قال الحكيم الترمذى أن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم إيمانهم فكان إيمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم . الخامس إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلأى شىء لا نذكره اليوم . والجواب أنا لم نتذكر هذا العهد لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها بمرور الزمان عليها فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثم استحال تصويرها فى الأطوار الواردة

عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذا كله مما يوجب النسيان . وكان على كرم الله وجهه يقول إنى لأذكر العهد الذى

(وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن كفرهم ،

عهد إلى ربى وكان سهل التسترى يقول إنى لأعرف تلامذتى من ذلك اليوم ولم أزل أربيهم فى الأصلاب حتى وصلوا إلى . السادس هل كانت تلك الذوات مصورة بصورة الانسان أم لا والجواب لم يبلغنا فى ذلك دليل إلا أن الأقرب للعقول عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الانسان إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة بل يقتضيان محلا حيا لا غير السابع متى تعلقت الأرواح بالذوات التى هى الذرية هل قبل خروجها من ظهره أم بعد خروجها منه . والجواب قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء لأنه سماهم ذرية والذرية هم الأحياء لقوله تعالى ــ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ــ فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم فى ظلمات ظهر أبيهم ثم أدخلها مرة أخرى وهم فى ظلمات بطون أمهاتهم ثم أدخلها مرة ثالثة وهم فى ظلمات بطون الأرض هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقا . الثامن ما الحكمة فى أخذ الميثاق منهم . والجواب أن الحكمة فى ذلك اقامة الحجة على من لم يوف بذلك التاسع هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء أم استرد . أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتا . والجواب أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره قبض أرواحهم قياسا على ما يفعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت فانه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها . العاشر أين رجعت الأرواح بعد رد الذرات إلى ظهره . والجواب أن هذه مسئلة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلى عندى بأكثر من أن يقال رجعت لما كانت عليه قبل حلولها فى الذرات فمن رأى فى ذلك شيئا فليلحقه بهذا الموضع . الحادى عشر قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم والناس يقولون إن الذرية أخذت من ظهر آدم . والجواب أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم أخرج بنى بنيه من ظهور بنيه فاستغنى عن ذكر اخراج بنى آدم من آدم بقوله من بنى آدم إذ من المعلوم أن بنى بنيه لا يخرجون إلا من بنيه ومثال ذلك من أودع جوهرة فى صدفة ثم أودع الصدفة فى خرقة ثم أودع الخرقة مع الجوهرة فى حقة ثم أودع الحقة فى درج ثم أودع الدرج فى صندوق فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه . الثانى عشر فى أى مكان أودع كتاب العهد والميثاق والجواب قد جاء فى الحديث أنه مودع فى باطن الحجر الأسود وأن للحجر الأسود عينين وفما ولسانا فان قال قائل هذا غير متصور فى العقل فالجواب أن كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الايمان به ورد معناه إلى الله تعالى اه ملخصا .

(وائل)

(قوله واتل عليهم) عطف على واسألهم عطف قصة على قصة (قوله آياتنا) أى وهى علوم الكتب القديمة ومعرفة الاسم الأعظم فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه وكان يرى العرش وهوجالس مكانه وكان فى مجلسه اثنا عشرألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه . وحاصل قصته على ماذكره ابن عباس وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد قتال الجبارين ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام أتى قوم بلعم إليه وكان عنده الاسم الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحليها لبنى إسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله أن يردهم عنا ، فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله مالا تعلمون وإنى إن فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربى ، وكان لايدعو حتى ينظر مايؤمر به فى المنام فآمر ربه فى الدعاء عليهم ، فقيل له فى المنام لاتدع عليهم ، فقال لقومه إنى قد آمرت ربى وإنى نهيت أن أدعو عليهم ، فأهدوا إليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أؤامر ربى فآمره فلم يؤمر بشىء ، فقال قد آمرت ربى فلم يأمرنى بشىء ، فقالوا له لوكره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى ، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن ، فركب أتانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بنى إسرائيل يقال له حسبان ، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها وهكذا مرارا ، فأذن الله تعالى لها فى الكلام فأنطقها له فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ؟ أماترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى ، ويحك تذهب إلى نبى الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزجر فخلى الله سبيل الأتان ، فانطلقت حتى أشرف على جبل حسبان فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله به لسانه إلى بنى إسرائيل ، فقال له قومه : يابلعم ، أتدرى ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا ، فقال هذا ما لا أملكه ، هذا شىء قد غلب الله عليه فاندفع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم الآن قد ذهب منى الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والخديعة فسأمكر لكم وأحتال ، احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى عسكر بنى إسرائيل يبعنها فيه ، ومروهن أن لاتمنع امرأة نفسها من رجل راودها ، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بنى إسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب ، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى ، وقال إنى أظنك أن تقول هذه حرام عليك ، قال أجل هى حرام عليك لاتقربها . قال فوالله لانطيعك ثم دخل بها قبته فوقع عليها ، فأرسل الله عليهم الطاعون فى الوقت فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من النهار (قوله من علماء بنى إسرائيل) أى بل قيل بنبوته والحق خلافه لأن الأنبياء معصومون من كل ماينقص الله تعالى (قوله وأهدى إليه شىء) أى فى نظير الدعاء عليهم وتسمى تلك الهدية رشوة وهى محرمة فى شرعنا لذى الجاه والمنصب (قوله واندلع لسانه) أى تدلى (قوله فأتبعه الشيطان) هذا مبالغة فى ذمه حيث كان عالما عظيما ثم صار الشيطان من أتباعه (قوله ولو شئنا لرفعناه) مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته (قوله بها) أى بسبب تلك الآيات (قوله ولكنه أخلد) أى مال واطمأن (قوله كمثل الكلب) أى الذى هو أخس الحيوانات (قوله إن تحمل عليه) أى تشدد عليه وتجهده يلهث أى يخرج لسانه (قوله أو تتركه) أى من غير تشديد عليه (قوله وليس غيره من الحيوانات كذلك) أى بل غيره يلهث فى حال التعب فقط (قوله ما بعدها) أى وهو الانسلاخ وقوله من

(وَاتْلُ) يامحمد (عَلَيْهِمْ) أى اليهود (نَبَأَ) خبر (الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدى إليه شىء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) فأدركه فصار قرينه (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ) إلى منازل العلماء (بِهَا) بأن نوفقه للعمل (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ) سكن (إِلَى الْأَرْضِ) أى الدنيا ومال إليها (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فى دعائه إليها فوضعناه (فَمَثَلُهُ) صفته (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ) بالطرد والزجر (يَلْهَثْ) يدلع لسانه (أَوْ) إن (تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) وليس غيره من الحيوانات كذلك وجملتا الشرط حال أى لاهثا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب مابعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله :

للبل الخ بيان لما قبلها (قوله ذلك مثل القوم) أى اليهود الذين أوتوا التوراة وفيها صفات النبى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله فغيروا و بدلوا (قوله فاقصص القصص) أى الذى أوحى إليك ليعلموا أنك علمته من الوحى فيؤمنون (قوله على اليهود) لامفهوم له بل المراد اقصص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك (قوله ساءمثلاالقوم) ساء فعل ماض لانشاء الذم ومثلا تمييز والقوم فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم والمخصوص بالذم محذوف تقديره مثلهم (قوله من يهد الله) هذا رجوع للحقيقة وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فهوالمهتدى) باثبات الياء وصلا ووقفا باتفاق القراء هنا (قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا) أى بحكم القبضة الالهية حين قبض قبضة وقال هذه للجنة ولاأبالى ، وقبض قبضة وقال هذه للنار ولاأبالى ، وقوله كثيرا يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة وهو كذلك لما تقدم من أن من كل ألف واحدا للجنة والباقى للنار (قوله الحق) قدره هو ونظيره فى يبصرون و يسمعون إشارة إلى أن مفعول كل محذوف (قوله بل هم أضل) إضراب انتقالى ونكتة الاضراب أن الأنعام لاتدرى العواقب والعقلاء تعرفها فقدومهم على الضار مع علمهم بعواقبها أضل من قدوم الأنعام على مضارها (قوله أولئك هم الغافلون) أى قلبا وسمعا و بصرا وهذه علامة أهل النار المخلدين فيها (قوله ولله الأسماء الحسنى) ذكرت فى أربعة

(ذلك) المثل (مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) على اليهود (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يتدبرون فيها فيؤمنون (ساء) بئس (مَثَلًا الْقَوْمُ) أى مثل القوم (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) بالتكذيب (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَلَقَدْ ذَرَأْنَا) خلقنا (لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) الحق (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا) دلائل قدرة الله بصر اعتبار (وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ) فى عدم الفقه والبصر والاستماع (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة (أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن (فَادْعُوهُ) سموه (بِهَا وَذَرُوا) اتركوا (الَّذِينَ يُلْحِدُونَ) من ألحد ولحد : يميلون عن الحق (فِي أَسْمَائِهِ) حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان (سَيُجْزَوْنَ) فى الآخرة جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهذا قبل الأمر بالقتال ،

(ومن

مواضع من القرآن هنا وفى آخر الإسراء وفى أول طه وفى آخر الحشر (قوله الوارد بها الحديث) أى وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد إنه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة» ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» ومنها « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد إن الله وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة» ومنها «إن لله مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له» وكلها مذكورة فى الجامع الصغير عن على وعن أبى هريرة ، والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على المسمى إما على الذات فقط أو الذات والصفات والاخبار بأنها تسع وتسعون ليس حصرا و إنما ذلك إخبار عن دخول الجنة باحصائها أو استجابة الدعاء بها و إلا فأسماء الله كثيرة قال بعضهم إن لله ألف اسم وقال بعضهم إن أسماءه على عدد أنبيائه فكل نبى يستمد من اسم ونبينا يستمد من الجميع (قوله والحسنى مؤنث الأحسن) أى ككبرى وصغرى مؤنث الأكبر والأصغر و إنما كانت حسنى لأن الدال يشرف بشرف مدلوله (قوله سموه بها) أى وقت دعائكم ونداءكم وأذكاركم (قوله وذروا) أمر للمكلفين (قوله من ألحد ولحد) أى رباعيا وثلاثيا وهما قراءتان سبعيتان (قوله يميلون عن الحق) تفسير لكل من القراءتين ومنه لحد الميت لأنه يمال بحفره إلى جنب القبر بخلاف الضريح فانه الحفر فى الوسط (قوله حيث اشتقوا) أى اقتطعوا وهذا الإلحاد كفر و يطلق الالحاد على التسمية بمالم يرد وهو بهذا المعنى حرام لأن أسماءه توقيفية فيجوز أن يقال ياجواد ولايجوز أن يقال ياسخى و يقال ياعالم دون عاقل وحكيم دون طبيب وهكذا (قوله جزاء ما كانوا يعملون) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وقدر ليصح الكلام إذ لامعنى لكونهم يجزون الذى كانوا يعملونه من الالحاد بل المراد جزاؤه (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) اسم الاشارة راجع لقوله وذروا الذين

يلحدون فى أسمائه فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله وممن خلقنا) الجار والمجرور خبر مقدم وأمة مبتدأ مؤخر (قوله بالحق) الباء للملابسة: أى يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق (قوله وبه يعدلون) أى بالحق يجعلون الأمور متعادلة مستوية لاإفراط فيها ولا تفريط (قوله كما فى الحديث) أى وهو قوله صلى الله عليه وسلم «لا تزال من أمتى طائفة على الحق إلى أن يأتى أمر الله» وعن معاوية قال وهو يخطب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك» وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان بل هم فى كل مكان وفى كل زمان، فالاسلام دائما يعلو ولا يعلى عليه وإن كثر الفساق وأهل الشر فلا عبرة بهم ولا صولة لهم وفى هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية بأن الاسلام فى عز وشرف وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء وينزع القرآن من المصاحف وتأتى الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الايمان ولا يكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله والذين كذبوا بآياتنا) مبتدأ خبره الجملة الاستقبالية بعده (قوله سنستدرجهم) الاستدراج هو الاستصعاد درجة فدرجة أو الاستنزال درجة بعد درجة (قوله نأخذهم قليلا قليلا) أى نمدهم بالعطايا شيئا فشيئا وهم مقيمون على المعاصى حتى ينتهى بهم الأمر إلى الهلاك فهم يظنون أنهم فى نعم وهم فى نقم، ولذا قيل إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج له (قوله إن كيدى متين) الكيد فى الأصل المكر والخديعة وذلك

(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن من أهل مكة (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلا قليلا (مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ) أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لا يطاق (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) فيعلموا (مَا بِصَاحِبِهِمْ) محمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ جِنَّةٍ) جنون (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الانذار (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ) ملك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ) فى (مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته (وَ) فى (أَنْ) أى أنه (عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ) قرب (أَجَلُهُمْ) فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار فيبادروا إلى الايمان (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أى القرآن (يُؤْمِنُونَ. مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ) بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل ما بعد الفاء (فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون تحيراً (يَسْأَلُونَكَ) أى أهل مكة (عَنِ السَّاعَةِ) القيامة،

مستحيل على الله، بل المراد الاستدراج وكان شديدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (قوله أولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يتفكروا (قوله ما بصاحبهم من جنة) سبب نزولها ماروى أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يابنى فلان يابنى فلان يحذرهم بأس الله، فقال بعضهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، ومعنى يهوت يصوت، وإنما نسبوه إلى الجنون لمخالفته لهم فى الأقوال والأفعال فانه كان موحدا مقبلا على الله بكليته معرضا عن الدنيا وشهواتها وهم ليسوا كذلك (قوله ملك السموات والأرض) إنما فسر الملكوت بالملك لأن الملكوت ماغاب عنا كالملائكة والعرش والكرسى والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ماظهر لنا (قوله وماخلق الله) قدر المفسر فى إشارة إلى أنه معطوف على ملكوت السموات والأرض (قوله وأن عسى) قدّر المفسر فى إشارة إلى أن الجملة فى محل جر عطفا على ماقبلها وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، وجملة عسى أن يكون قد اقترب أجلهم خبرها (قوله فبأى حديث الخ) متعلق بيؤمنون وهو استفهام تعجبى، والمعنى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذى هو أعظم المعجزات فبأى آية ومعجزة يؤمنون بها (قوله من يضلل الله) تذييل لما قبله خارج مخرج المثل (قوله بالياء والنون) أى مع الرفع وبالياء لاغير مع الجزم فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فعلى النون يكون التفاتا من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله على محل مابعد الفاء) أى وهو الجزم لأن جملة فلا هادى له جواب الشرط فى محل جزم (قوله يسئلونك) الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسر لأن السورة مكية إلا ماتقدم من الثمان آيات، وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم فى كفرهم لأنه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من الساعة وأهوالها (قوله القيامة) سميت ساعة إما لسرعة مجيئها قال تعالى ـ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ـ أو لسرعة حسابها لأن الخلق جميعا يحاسبون

فى قدر نصف نهار أو لأنها ساعة عند الله لخفتها و إن كانت فى نفسها طويلة لأن الأزمان عنده مستوية ، ولها أسماء كثيرة منها القيامة لقيام الناس لربّ العالمين فيها والقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها والحاقة لأنها ثابتة والخافضة والرافعة لأنها تخفض أقواما وترفع آخرين والطامة لأنه لايمكن ردّها والصاخة لأنها تصم الآذان والزلزلة لتزلزل الأرض والقلوب و يوم الفرقة لتفرقهم فى الجنة والنار واليوم الموعود لأن الله وعد فيه أقواما بالجنة وأوعد أقواما بالنار ويوم العرض لعرض الناس على ربهم ويوم المفرّ لقول الانسان الكافر يومئذ أين المفرّ واليوم العسير لشدّة الحساب فيه وزحمة الناس بعضهم على بعض حتى يكون على القدم ألف قدم ، وفى رواية: سبعون ألف قدم على قدم ، وتدنو الشمس من الرءوس حتى يكون بينها و بين الرءوس قدر المرود إلى غير ذلك من أسمائها (قوله أيان مرساها) فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الساعة بسفينة فى البحر وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشىء من لوازمه وهو الارساء فذكره تخييل ، وهذه الجملة من المبتدإ والخبر بدل من الجار والمجرور قبله ، والمعنى يسألونك عن وقت مجىء الساعة وهو فى محل نصب لأن الجار والمجرور فى محل نصب معمول ليسألونك (قوله متى تكون) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مضاف ، والتقدير إنما علم وقتها عند الله (قوله على أهلهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وفى بمعنى على و يصح أن تبقى الآية على ظاهرها لأنه لايطيقها شىء من السموات لطيها ولا الأرض لتبدلها فهى شاقة مفزعة لكل ماسوى الله (قوله لاتأتيكم إلا بغتة) أى على حين غفلة والحكمة فى إخفائها ليتأهب لها كل أحد كما أخفيت ساعة الاجابة يوم الجمعة ليعتنى باليوم كله وليلة القدر فى سائر الليالى ليعتنى بجميع الليالى والرجل الصالح فى جميع

(أَيَّانَ) متى (مُرْسَاهَا ، قُلْ) لهم (إِنَّمَا عِلْمُهَا) متى تكون (عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا) يظهرها (لِوَقْتِهَا) اللام بمعنى فى (إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ) عظمت (فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) على أهلهما لهولها (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) فجأة (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ) مبالغ فى السؤال (عَنْهَا) حتى علمتها (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) تأكيد (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن علمها عنده تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا) أجلبه (وَلَا ضَرًّا) أدفعه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ما غاب عنى (لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) من فقر وغيره لاحترازى عنه باجتناب المضار (إِنْ) ما (أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ) بالنار للكافرين (وَبَشِيرٌ) بالجنة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . هُوَ) أى الله (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) ،

الخلق ليعتقد الجميع والصلاة الوسطى فى جميع الصلوات للمحافظة على الجميع (قوله كأنك حفى عنها) عن بمعنى الباء ، والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها (قوله تأكيد) أى لما قبله لبيان أنها من الأمر المكتوم الذى استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا إلا من ارتضاه من الرسل والذى يجب الايمان به أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله أى بجميع المغيبات التى تحصل فى الدنيا والآخرة فهو يعلمها كما هى عين يقين لما ورد «رفعت لى الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفى هذه» وورد أنه اطلع على الجنة ومافيها والنار ومافيها وغيرذلك مما تواترت به الأخبار ولكن أمر بكتمان البعض (قوله لنفسى) معمول لأملك (قوله إلاماشاء الله) أى تمليكه لى فأنا أملكه (قوله ولو كنت أعلم الغيب الخ) إن قلت إن هذا يشكل على ماتقدم لنا أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة ، والجواب أنه قال ذلك تواضعا أوأن علمه بالمغيب كلا علم من حيث إنه لاقدرة له على تغيير ماقدرالله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لو كان لى علم حقيقى بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ إن قلت إن دعاءه مستجاب لايرد . أجيب بأنه لايشاء إلامايشاؤه الله فلو اطلع على أن هذا الشىء مثلا لا يكون كذا لايوفق للدعاء له إذ لايشفع ولايدعو إلا بما فيه إذن من الله واطلاع منه على أنه يحصل مادعا به ، وهو سر قوله تعالى ـ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، وفى ذلك المعنى قال العارف :

وخصك بالهدى فى كل أمر ... فلست تشاء إلا مايشاء

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام ، ولذا قال العارف أبوالحسن الشاذلى : إذا أراد الله أمرا أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء سترا عليهم لئلا يدعو فلا يستجاب لهم فيفتضحوا (قوله للكافرين) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لأنهم المنتفعون بذلك (قوله هو الذى خلقكم) الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين (قوله من نفس واحدة) أى لأنه المالك المتصرف وهذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية .

(قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله سواء عليكم) استئناف مقرر لمضمون ماقبله أى سواء عليكم فى عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنهم فانه لايتغير حالكم فى الحالين كما لايتغير حالهم عن حكم الجمادية (قوله مملوكة) دفع بذلك مايقال إن الأصنام جمادات لاتعقل فكيف توصف بأنها مثلكم . وأجيب بأن المراد بكونهم أمثالكم أنهم مملوكون مقهورون لايملكون ضرا ولا نفعا فالتشبيه من هذه الحيثية لامن كل وجه (قوله وفضل عابديهم) إما بتشديد الضاد عطف على بين أو بسكون الضاد عطف على غاية ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة (قوله أم لهم) أشار المفسر إلى أن أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاضراب انتقالى من توبيخ لتوبيخ آخر (قوله يبطشون) من باب ضرب وبها قرأ السبعة وقرئ شذوذا من باب قتل والبطش هو الأخذ بعنف (قوله استفهام انكارى) أى فى المواضع الأربعة أى ليس لهم شئ من المنافع المذكورة (قوله قل ادعوا شركاءكم) أى واستعينوا بهم فى عداوتى (قوله ثم كيدون) قرئ باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وباثباتها فى الحالين وبحذفها فى الحالين وكلها سبعية ، وفى القرآن كيدن فى ثلاثة مواضع هنا وفى هود باثبات الياء عند السبع فى الحالين وفى المرسلات بحذفها عند السبع فى الحالين (قوله إن ولي) العامة

على تشديد الولى مضافا لياء المتكلم المفتوحة وفى وفى بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة (قوله والذين تدعون من دونه) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (قوله وإن تدعوهم) أى أيها المشركون أى تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لايسمعوا دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا أبلغ من نفى الاتباع وقوله وتراهم ينظرون الخ بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل ورأى بصرية (قوله خذ العفو)

بالتخفيف والتشديد (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ) إليه (أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ) مملوكة (أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) دعاءكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنها آلهة ثم بيّن غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَهُمْ أَيْدٍ) جمع يد (يَبْطِشُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) استفهام إنكارى أى ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالا منهم (قُلِ) يا محمد (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) إلى هلاكى (ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ) تمهلون فإنى لا أبالى بكم (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ) متولى أمورى (الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ) القرآن (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) بحفظه (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) فكيف أبالى بهم (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ) أى الأصنام (إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ) أى الأصنام يا محمد (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) أى يقابلونك كالناظر (وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ خُذِ الْعَفْوَ) أى اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) المعروف (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) فلا تقابلهم بسفههم ،

(وإما)

هذا أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وحسن معاملة الكفار إثر بيان زجرهم وإفحامهم بالخطاب ، وورد لما نزلت هذه الآية سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عن معناها فقال حتى أسأل ربى فذهب ثم رجع فقال يامحمد ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، قال جعفر الصادق ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية (قوله أى اليسر من أخلاق الناس) أى ماسهل منها (قوله ولا تبحث عنها) أى لاتفتش عن الأخلاق بل اقبل ماظهر ودع مابطن لله (قوله وأمر بالعرف) أى ماعرف حسنه فى الشرع (قوله وأعرض عن الجاهلين) إن كان المراد بالجاهلين الكفار وبالاعراض عدم مقاتلتهم فالآية منسوخة بآية القتال ، وإن كان المراد بالجاهلين ضعفاء الاسلام وأجلاف العرب وبالاعراض عدم تعنيفهم والاغلاظ عليهم فالآية محكمة وكلام المفسر يشهد للثانى ، ومن معنى ذلك قوله تعالى : فاصفح الصفح الجميل ، وهو الذى لاعتاب بعده : وفى هذه الآية تعليم مكارم الأخلاق للعباد فليس هذا الأمر من خصوصياته صلى الله عليه وسلم .

(قوله أى آدم) أى وهو مخلوق من الماء والطين والماء والطين موجودان من عدم فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودون من عدم (قوله وجعل منها زوجها) أى من الضلع الأيسر فنبتت منه كما تنبت النخلة من النواة (قوله حواء) تقدّم أنها سميت حواء لأنها خلقت من حى وهو آدم (قوله ليسكن إليها) هذا هو حكمة كون حواء من آدم : أى فالحكمة فى كونها منه كونه يسكن إليها و يألفها لأنها جزء منه (قوله و يألفها) عطف تفسير (قوله فلما تغشاها) التغشى كناية عن الجماع وعبر به تعليما لعباده الأدب (قوله هو النطفة) إن قلت إن الجنة لاحمل فيها ولا ولادة . أجيب بأن ذلك بعد هبوطهما إلى الأرض ، وأما جماعه لها فى الجنة فبغير نطفة ولاحمل منها ولا ولادة (قوله فمرت به) أى تردّدت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه (قوله لما أثقلت) أى صارت ذات ثقل أودخلت فى الثقل كأصبح إذا دخل فى الصباح (قوله وأشفقا) أى خافا ، ورد أنه لما جاءها إبليس وقال لها ماهذا الذى فى بطنك فقالت لاأدرى فقال لها يحتمل أن يكون كلبا أو حمارا أو غير ذلك ، ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه فخوّفها بهذا كله ، فعرضت الأمر على آدم فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور (قوله لئن) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله (قوله ولدا قدّره) إشارة إلى أن صالحا صفة لموصوف

أى آدم (وَجَعَلَ) خلق (مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ويألفها (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا) جامعها (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) هو النطفة (فَمَرَّتْ بِهِ) ذهبت وجاءت لخفته (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) بكبر الولد فى بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة (دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا) ولداً (صَالِحًا) سويًّا (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لك عليه (فَلَمَّا آتَاهُمَا) ولدا (صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ) وفى قراءة بكسر الشين والتنوين أى شريكا (فِيمَا آتَاهُمَا) بتسميته عبد الحرث ولا ينبغى أن يكون عبدا إلا لله وليس بإشراك فى العبودية لعصمة آدم ، وروى سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لايعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذى وقال حسن غريب (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أى أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض (أَيُشْرِكُونَ) به فى العبادة (مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ) أى لعابديهم (نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) بمنعها ممن أراد بهم سوءا من كسر أوغيره والاستفهام للتوبيخ (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ) أى الأصنام (إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ)

محذوف مفعول ثان لآتيتنا لأنه بمعنى أعطيتنا (قوله لنكونن من الشاكرين) أى نزيد فى الشكر لأن الشكر يزيد و يعظم بزيادة النعم (قوله شركاء) جمع شريك ، والمراد بالجمع المفرد بدليل القراءة الثانية (قوله أى شريكا) تفسير لكل من القراءتين (قوله بتسميته عبد الحرث) أى والحرث كان اسما لابليس فقصد اللعين بذلك انتسابه له وأنه عبده (قوله وليس بإشراك فى العبودية) المناسب أن يقول فى العبادة أو فى المعبودية و إنما هو إشراك فى التسمية وهو ليس بكفر بل تعمده حرام لعدم تعظيمه شرعا ، وأما النسبة للمعظم شرعا كعبد النبى وعبد الرسول فقيل بالكراهة ، والحاصل أن النسبة للمعظم شرعا لاحرمة فيها ولغيره حرام إن لم يعتقد للعبودية و إلا كان كفرا فى الجميع (قوله وروى سمرة) الحكمة فى ذكر هذه الرواية أن هذا المقام زلت فيه أقدام العلماء فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ، فذكر هذه الرواية ليتضح المقام و يظهر الغث من السمين (قوله وكان لايعيش لها ولد) وذلك أنها ولدت قبل ذلك عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فأصابهم الموت وكان يلح عليها كل مرة فألح عليها فى الأخير فسمته عبدالحرث كما أفادته رواية المفسر (قوله والجملة) أى قوله - فتعالى الله عما يشركون - (قوله مسببة) عطف على قوله خلقكم أى وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلا ، و يؤيد ذلك الجمع بعد التثنية ولو كان راجعا لهما لثنى الضمير وقال يشركان ، وفى قوله يشركون التفات من الخطاب إلى الغيبة (قوله أيشركون) شروع فى توبيخ أهل مكة على الاشراك (قوله و إن تدعوهم) هذا بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفى عنها ، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ ، وقوله الى الهدى : أى لكم : أى إن تدعوهم الى أن يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله

(قوله وإما ينزغنك) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بأخذ العفو والأمر بالعرف والاعراض عن الجاهلين قال وكيف بالغضب فنزلت هذه الآية . والنزغ هو النخس وهو فى الأصل حث السائق للدابة على السير والمراد منه الوسوسة فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك والخطاب للنبى والمراد غيره لأن الشيطان لاتسلط له عليه (قوله فاستعذ بالله) أى اطلب الاستعاذة بالله بأن تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قوله جواب الشرط) أى وقرن بالفاء لأنه جملة طلبية (قوله إنه سميع عليم) أى فيجيبك لما طلبت (قوله إن الذين اتقوا) أى الذين اتصفوا بامتثال الأوامر واجتناب النواهى (قوله أى شىء ألم بهم) تفسير للقراءتين أى خاطر قليل من الشيطان فاذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصى أو ترك الطاعات تذكروا عقاب الله وثوابه فرجعوا لما أمر الله به ونهى عنه (قوله عقاب الله) أى فى متابعة الشيطان وقوله وثوابه أى فى مخالفته (قوله وإخوانهم) مبتدأ وجملة يمدونهم خبر (قوله أى إخوان الشياطين من الكفار) أى والفساق أشار بذلك إلى

(وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) أى إن يصرفك عما أمرت به صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللهِ) جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أى يدفعه عنك (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للقول (عَلِيمٌ) بالفعل (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ) أصابهم (طَيْفٌ) وفى قراءة طائف : أى شىء ألم بهم (مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) عقاب الله وثوابه (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) الحق من غيره فيرجعون (وَإِخْوَانُهُمْ) أى إخوان الشياطين من الكفار (يَمُدُّونَهُمْ) أى الشياطين (فِي الْغَيِّ ثُمَّ) هم (لَا يُقْصِرُونَ) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ) أى أهل مكة (بِآيَةٍ) مما اقترحوا (قَالُوا لَوْلَا) هلا (اجْتَبَيْتَهَا) أنشأتها من قبل نفسك (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي) وليس لى أن آتى من عند نفسى بشىء (هَذَا) القرآن (بَصَائِرُ) حجج (مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) عن الكلام (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل فى قراءة القرآن مطلقاً (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) أى سراً (تَضَرُّعًا) تذللا (وَخِيفَةً) خوفا منه (وَ) فوق السر (دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) أى قصداً بينهما ،

أن المراد بالاخوان الكفار والفساق والضمير عائد على الشياطين (قوله يمدونهم) الواو عائدة على الشياطين والهاء عائدة على الكفار والفساق فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدأ فى المعنى (قوله ثم هم) أى الاخوان (قوله لايقصرون) أى لايبعدون عن الغى (قوله بالتبصر) أى التأمل والتفكر والمعنى أن الشياطين يمدون الكفار والفساق فى الغى حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه فجعل الله فى هذه الآية للمتقين علامة ولغيرهم علامة (قوله وإذا لم تأتهم) رجوع لخطاب كفار مكة (قوله مما اقترحوا) أى طلبوا (قوله لولا اجتبيتها) أشار المفسر إلى أن لولا تحضيضية حيث قال هلا (قوله أنشأتها) أى اخترعتها واختلقتها (قوله وليس لى أن آتى من عند نفسى بشىء) أى لايمكننى ذلك (قوله بصائر) أى سبب فيها فسمى السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لأنهم المنتفعون به (قوله فاستمعوا له) أى للقرآن (قوله نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة) أى وهو واجب عند مالك والشافعى فى القديم ومذهب الشافعى فى الجديد الانصات سنة والكلام مكروه (قوله وقيل فى قراءة القرآن مطلقا) أى فيحرم الكلام فى مجلس القرآن للتخليط على القارىء ، بل يجب الانصات والاستماع فان أمن التخليط فلا حرمة وما ذكره المفسر قولان من أربع ، وثالثها نزلت فى تحريم الكلام فى الصلاة لأنهم كانوا يتكلمون فى الصلاة ، رابعها أنها نزلت فى ترك الجهر بالقراءة خلف الامام (قوله واذكر ربك فى نفسك) أى بأى نوع من أنواع الذكر كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك ، وقوله سرا أى إن لم يلزم عليه الكسل وإلا جهر (قوله تضرعا وخيفة) مفعولان لأجله أوحالان أى متضرعين خائفين (قوله ودون الجهر) معطوف على قوله فى نفسك .

(قوله بالغدو) جمع غدوة وهى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، والآصال جمع أصيل وهو من العصر إلى الغروب و إنما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الانسان يقوم من النوم عند الغداة فطلب أن يكون أول صحيفته ذكر الله ، وأما وقت الآصال فلأن الانسان يستقبل النوم وهو أخو الموت فينبغى له أن يشغله بالذكر خيفة أى يموت فى نومه ، فيبعث على ما مات عليه ، وقيل إن الأعمال تصعد فى هذين الوقتين وقيل لكراهة النفل فى هذين الوقتين فطلب الذكر فيهما لئلا يضيع على الانسان وقته (قوله ولا تكن من الغافلين) خطاب للنبي والمراد غيره (قوله عند ربك) العندية عندية مكانة لا مكان أو المراد عند عرش ربك ، وهذا كالدليل لما قبله أى فاذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار فلتكونوا كذلك بالأولى (قوله ينزهونه) أى يعتقدون تنزيهه (قوله أى يخصونه) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله بالخضوع) تفسير للسجود ، أى فالمراد بالسجود مطلق العبادة لا خصوص السجود المعروف ، و إنما خص السجود لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وهذه أول سجدات القرآن المأمور بها عند التلاوة ، والله أعلم .

[سورة الأنفال] (قوله سورة الأنفال) مبتدأ ومضاف إليه ، ومدنية خبر أول وخمس الخ

(١٠٨)

خبر ثان (قوله أو إلا) أو لحكاية الخلاف فانه اختلف هل هى مدنية كلها وهو الصحيح أو إلا سبع آيات أولها وإذ يمكر بك الذين كفروا وآخرها بما كنتم تكفرون فمكيات وهو ضعيف ، ولا يلزم من كونها فى شأن أهل مكة أنها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية عما وقع فى مكة (قوله فى غنائم بدر) أى لأنها أول غنيمة فى الاسلام (قوله وقال الشيوخ) أى وكانوا محدقين برسول الله خوفا عليه من العدو (قوله كنا ردءا) أى عونا لكم (قوله ولو انكشفتم) أى انهزمتم حقا

(بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) أوائل النهار وأواخره (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) عن ذكر الله (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى الملائكة (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون (عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ) ينزهونه عما لا يليق به (وَلَهُ يَسْجُدُونَ) أى يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم .

(سورة الأنفال)

(مدنية أو إلا : وإذ يمكر بك الآيات السبع فمكية خمس أو ست أو سبع وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) لما اختلف المسلمون فى غنائم بدر فقال الشبان هى لنا لأنا باشرنا القتال . وقال الشيوخ كنا ردءا لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها ، نزل(يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (عَنِ الْأَنْفَالِ) الغنائم لمن هى (قُلْ) لهم (الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) يجعلانها حيث شاءا ، فقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ، رواه الحاكم فى المستدرك (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أى حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

(قوله لفئتم) أى رجعتم(قوله يسئلونك) السؤال ان كان عن تعيين الشئ وتبيينه تعدى للمفعول الثانى بعن كما هنا ، و إن كان بمعنى طلب الاعطاء تعدى للمفعولين بنفسه كسألت زيدا مالا خلافا لمن فهم أن ما هنا من الثانى وادعى زيادة عن (قوله عن الأنفال) جمع نفل مثل سبب وأسباب ، ويقال نفل بسكون الفاء أيضا وهى الزيادة لزيادة هذه الأمة بها عن الأمم السابقة فانها لم تكن حلالا لهم بل كانوا إذا غنموا غنيمة وضعوها فى مكان ، فان قبلها الله منهم أنزل عليها نارا أحرقتها والا بقيت (قوله لله والرسول) قيل إن معنى ذلك أنها مملوكة لله وأعطاها ملكا لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء وعلى هذا فقوله : واعلموا أنما غنمتم الآية ناسخة لها ، وقيل إن ما يأتى توضيح لما هنا وتفصيل له والآية محكمة فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين (قوله يجعلانها حيث شاآ) أى فامتثلوا ما يأمركم به (قوله فاتقوا الله) أى امتثلوا أمره وأمر نبيه (قوله وأصلحوا ذات بينكم) أى الحالة التى بينكم وهى الوصلة الاسلامية فالمعنى اتركوا النزاع والشحناء والزموا المودة والمحبة بينكم ليحصل النصر والخير لكم (قوله وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما يأمركم به (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه

(قوله حقا) أى كاملين فى الايمان فعلامة كمال الايمان طاعة الله والرسول ، وعدم وجود الحرج فى النفس . قال تعالى : فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما (قوله إنما المؤمنون) استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين فهو كالدليل لما قبله (قوله الكاملون الايمان) بالنصب على نزع الخافض أى فيه ، وفى بعض النسخ بحذف النون فيكون مضافا للايمان(قوله الذين إذا ذكر الله) وصل الذين بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب (قوله وجلت قلوبهم) أى فزعت لاستيلاء هيبته على قلوبهم (قوله تصديقا) أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة إذ لايصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفساق ، وما قبل الزيادة قبل النقص و بذلك أخذ مالك والشافعى وجمهور أهل السنة (قوله به يثقون) أشار بذلك إلى أن على بمعنى الباء ، و يتوكلون بمعنى يثقون وقوله لابغيره حصر أخذ من تقديم المعمول والمعنى أن ثقتهم بالله لابغيره فلايعتمدون على عمل ولا على مال ولا يخافون من غيره (قوله الذين يقيمون الصلاة) أى يلازمونها فى أوقاتها مستوفية الشروط والأركان والآداب (قوله ينفقون) أى النفقة الواجبة كالزكاة أو المندوبة كالصدقة (قوله حقا) صفة لمصدر محذوف أى إيمانا حقا (قوله بلا شك) أى لظهور علامة الايمان

حقا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) الكاملون الإيمان (الَّذِينَ ذُكِرَ اللَّهُ) أى وعيده (وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) تصديقا (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) به يثقون لا بغيره (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ) يأتون بها بحقوقها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بما ذكر (هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) صدقا بلا شك (لَهُمْ دَرَجَاتٌ) منازل فى الجنة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) متعلق بأخرج (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدإ محذوف أى هذه الحال فى كراهتهم لها مثل إخراجك فى حال كراهتهم وقد كان خيراً لهم فكذلك أيضا ، وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها ، وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لأبى جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر ،

الكامل فيهم (قوله عند ربهم) العندية عندية مكانة لا مكان (قوله ومغفرة) أى غفران لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أى دائم مستمر لا نكد فيه ولا تعب مقرون بالتعظيم والتكريم (قوله كما أخرجك) الكاف بمعنى مثل وما مصدرية خبر لمحذوف والتقدير قسم الغنائم عموما والحال أن بعض الصحابة كارهون لذلك مثل إخراجك من بيتك والحال أنهم كارهون لذلك فهو تشبيه حكم بحكم ، أو قصة بقصة وهذا أحسن الأعاريب ولذا درج عليه المفسر ، فالمشبه قسم الغنائم عموما ، والمشبه به الخروج لقتال ذى الشوكة بجامع أن كلا كان فيه كراهة لبعض المؤمنين بحسب الصورة الظاهرية ، وفى الواقع ونفس الأمر خير ومصلحة للعموم فى كل لأن الأول ترتب عليه إصلاح ذات البين . والثانى ترتب عليه عز الاسلام ونصره (قوله من بيتك) أى الكائن بالمدينة أو المراد بالبيت نفس المدينة (قوله متعلق بأخرج) أى والباء سببية ، والمعنى أخرجك من بيتك بسبب الحق أى إظهار الدين ورفع شأنه ويصح أن الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الكاف فى أخرجك . أى أخرجك متلبسا بالحق أى الوحى لاعن هوى نفسك (قوله والجملة حال) أى مقدرة لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين ، وإنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذى الشوكة (قوله أى هذه الحال) أى وهى قسم الغنائم على العموم (قوله فى كراهتهم لها) هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما (قوله فكذلك أيضا) أى قسم الغنائم كان خيرا انتهاء لما فيه من إصلاح ذات البين (قوله قدم بعير) أى إبل حاملة تجارة ، وكان فيها أموال كثيرة ، ورجال قليلة نحو الأربعين (قوله فعلمت قريش) أى بإخبار ضمضم بن عمرو الغفارى الذى اكتراه أبو سفيان ليعلم قريشا بذلك (قوله ومقاتلو مكة) أى وكانوا ألفا إلا خمسين (قوله وأخذ أبو سفيان) أى عدل عن الطريق المعتاد للمدينة وسار بساحل البحر .

(قوله فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه) أى فى المضى إلى بدر لقتال النفير (قوله فوافقوه) أى آخرا بعد أن توقف بعضهم محتجا بعدم التهيؤ ، وكان إذ ذاك صلى الله عليه وسلم بوادى دقران بدال وقاف وراء بوزن سلمان واد قريب من الصفراء ، وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا فى القول ، ثم قام سعد بن عبادة فقال : انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت إلى عدن ماتخلف عنك رجل من الأنصار ، ثم قال مقداد بن عمرو : امض كما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ! أشيروا علىّ وهو يريد الأنصار ، فقام سعد بن معاذ فقال : كأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال أجل . قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق فامض يارسول الله لما أردت فانا لانكره أن تلقى بنا عدونا و إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك مناما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ، ثم قال رسول الله سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم (قوله يجادلونك فى الحق) أى يقيمون حجة قبالة حجة ، فليس المراد بالجدال الجدال فى الباطل (قوله ظهر لهم) أى تحتم القتال (قوله كأنما يساقون إلى الموت) أى كأنهم مثل من يساق إلى القتل وهو ينظر بعينه أسبابه (قوله فى كراهتهم له) هذا هو وجه المشابهة ، وسبب تلك الكراهة قلة عددهم وعددهم فقد ورد انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والكل رجال وليس فيهم إلا فرسان (قوله بخلاف النفير) أى فانه كثير العدد والعدد (قوله يظهره) جواب عما يقال إن فيه تحصيل الحاصل ، وكذا يقال فى قوله و يبطل الباطل (قوله ليحق الحق) ليس مكررا مع ماقبله لأن المراد بالأول تثبيت ماوعده به فى هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء ، والمراد بالثانى تقوية الدين و إظهار الشريعة مدى الأيام (قوله إذ تستغيثون) إما خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فقط فيكون الجمع للتعظيم ، أو خطاب للنبي وأصحابه ، روى عن ابن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلثمائة و بضعة عشر رجلا ، فاستقبل نبى الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول : اللهم أنجز لى ماوعدتنى ، اللهم آتنى ماوعدتنى ، اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد فى الأرض فمازال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ماوعدك فنزلت هذه الآية (قوله تطلبون منه الغوث) أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب (قوله ممدكم بألف) ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها فى يمين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها فى يسار الجيش ، وفيه علىّ ولم يثبت أن الملائكة قاتلت فى وقعة إلا فى بدر ، وأما فى غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل (قوله يردف بعضهم بعضا) أى يعقبه فى المجىء (قوله وعدهم بها أولا) أشار بذلك إلى الجمع بين ماهنا و بين ما فى آل عمران (قوله وقرئ) أى شذوذا .

فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال : إن الله وعدنى إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) القتال (بَعْدَ مَاتَبَيَّنَ) ظهر لهم (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) إليه عيانا فى كراهتهم له (وَ) اذكر (إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) العير أو النفير (أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ) تريدون (أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ) أى البأس والسلاح وهى العير (تَكُونُ لَكُمْ) لقلة عددها وعُددها بخلاف النفير (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ) يظهره (بِكَلِمَاتِهِ) السابقة بظهور الإسلام (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ) يمحق (الْبَاطِلَ) الكفر (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) المشركون ذلك . اذكر (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي) أى بأنى (مُمِدُّكُمْ) معينكم (بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) متتابعين يردف بعضهم بعضا ، وعدهم بها أولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما فى آل عمران ، وقرئ بآلف ، كأفلس

(قوله كأفلس) أى فأبدلت الهمزة الثانية ألفا (قوله إلا من عند الله) أى فلا يتوقف على تهيؤ بعدد ولا عدد (قوله إذ يغشاكم النعاس) أى دفعة واحدة فناموا كلهم وهذا على خلاف العادة فهى معجزة لرسول الله حيث غشى الجميع النوم فى وقت الخوف وفيه ثلاث قراآت سبعية يغشاكم كيلقاكم والنعاس مرفوع على الفاعلية ، ويغشيكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة ويغشيكم بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة والنعاس منصوب على المفعولية فى هاتين القراءتين (قوله أمنة) منصوب على الحال على القراءة الأولى أو المفعول لأجله على القراءتين الأخيرتين . قال عبد الله بن مسعود : النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة من الشيطان . قيل إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدد العدوّ وعددهم وقلة المسلمين وعطشوا عطشا شديدا ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم العطش وتمكنوا من قتال عدوّهم فكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لأنه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدوّ لتنبهوا له وقدروا على دفعه (قوله من الخوف) بيان لما (قوله ليطهركم الخ) أى وذلك أنهم وقفوا فى كثيب رمل فشقّ المشى عليهم فيه من لينه ونعومته واشتدّ عليهم الخوف من أن يأتيهم العدوّ فى تلك الحالة فألقى الله عليهم النعاس فاحتلم معظمهم فاشتدّ احتياجهم إلى الماء فوسوس لهم الشيطان (١١١) بما ذكره المفسر فردّ الله كيده بإنزال المطر الكثير عليهم فشربوا وتطهروا وملئوا القرب وتلبد الرمل حتى سهل المشى عليه (قوله إذ يوحى ربك) معمول لمحذوف أى اذكر ولم يقدره المفسر اتكالا على تقديره فيما سبق (قوله إلى الملائكة) أل للعهد الذكرى أى المذكورين فيما سبق فى قوله : أنى ممدكم بألف من الملائكة كما أشار إليه المفسر (قوله أنى معكم) الجملة فى محل نصب مفعول ليوحى (قوله فثبتوا الذين آمنوا)

كأفلس جمع (وَمَا جَعَلَهُ اللهُ) أى الإمداد (إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) اذكر (إِذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً) أمنا مما حصل لكم من الخوف (مِنْهُ) تعالى (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) من الأحداث والجنابات (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمآى محدثين والمشركون على الماء (وَلِيَرْبِطَ) يحبس (عَلَى قُلُوبِكُمْ) باليقين والصبر (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) أن تسوخ فى الرمل (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) الذين أمد بهم المسلمين (أَنِّي) أى بأنى (مَعَكُمْ) بالعون والنصر (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) بالاعانة والتبشير (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) الخوف (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) أى الرءوس (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) أى أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه، ورماهم صلى الله عليه وسلم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه منها شىء فهزموا (ذَلِكَ) العذاب الواقع بهم (بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا) خالفوا (اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له ،

أى قوّوا قلوبهم ، واختلف فى كيفية هذه التقوية فقيل إن الشيطان كما أن له قوة فى إلقاء الوسوسة فى قلب ابن آدم بالسوء كذلك الملك له قوة فى إلقاء الإلهام فى قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقيه الملك إلهاما ، وقيل إن ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم ومعونتهم لهم بالقتال بالفعل ، وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى فى صفة رجل أمام الصف ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم (قوله سألقى فى قلوب الذين كفروا) كالتفسير لقوله : أنى معكم وقوله فاضربوا الخ كالتفسير لقوله فثبتوا فهو لف ونشر مرتب (قوله الرءوس) تفسير للفظ فوق وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولا به وإن كان أصله ظرف مكان ملازما للظرفية وقيل إن لفظة فوق زائدة وقد أشار له المفسر بقوله يقصد ضرب رقبة الكافر الخ فقد أشار المفسر إلى قولين، وقيل إن فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف أى فاضربوهم فوق الأعناق ، وقيل إن فوق بمعنى على والمفعول محذوف أيضا أى فاضربوهم على الأعناق (قوله أى أطراف اليدين والرجلين) فى المصباح البنان الأصابع قيل أطرافها والواحدة بنانة (قوله إلا دخل فى عينيه) أى وفى فمه وأنفه (قوله ذلك العذاب) أى من إلقاء الرعب والقتل والأسر وقوله بأنهم الباء سببية (قوله خالفوا الله ورسوله) أصل معناها المجانبة لأنهم صاروا فى شق وجانب عن النبى والمؤمنين (قوله فان الله شديد العقاب) أى وما نزل بهم فى هذا اليوم قليل بالنسبة لما ادخر لهم عند الله .

(قوله ذلكم العذاب) اسم الاشارة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر وقوله فذوقوه لا تعلق له بما قبله من جهة الأعراب (قوله وأن للكافرين) عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه (قوله يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم) خطاب لكل من يحضر القتال (قوله زحفا) حال من المفعول به وهو الذين فهو مؤول بالمشتق أى حال كونهم زاحفين (قوله أى مجتمعين الخ) أى فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم فى بطء السير وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضه ببعض يتراءى أن سيره بطىء وإن كان فى نفس الأمر سريعا ، وفى المصباح زحف القوم زحفا من باب نفع (قوله فلا تولوهم الأدبار) ويطلق الدبر على مقابل القبل ويطلق على الظهر وهو المراد هنا والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام فهذا اللفظ استعمل فى ملزوم معناه كما أشار له المفسر بقوله منهزمين والأدبار مفعول ثان لتولوهم وكذا دبره مفعول ثان ليولهم وفى الآية تعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها فى تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر (قوله أى يوم لقائهم) حل معنى وإلا فمقتضى التنوين فى إذ أن يقول يوم لقيتموهم لأنه عوض عن جملة (قوله إلا متحرفا) فى نصبه مع ما عطف عليه وجهان أحدهما أنه حال والثانى أنه مستثنى من ضمير المؤمنين (قوله الفرة) بفتح الفاء وهى المرة من الفر بمعنى الفرار أى الهرب وقوله مكيدة أى خديعة ومكرا وقوله وهو يريد الكرة أى الرجعة لأن الكرة المرة من الرجوع والكر الرجوع وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها (قوله أو متحيزا) التحيز والتحوز الانضمام وأصل تحيز تحيوز اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء

(ذٰلِكُمْ) العذاب (فَذُوقُوهُ) أيها الكفار فى الدنيا (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) فى الآخرة (عَذَابَ النَّارِ . يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً) أى مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون (فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) منهزمين (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ) أى يوم لقائهم (دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً) منعطفا (لِقِتَالٍ) بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة (أَوْ مُتَحَيِّزاً) منضما (إِلَى فِئَةٍ) جماعة من المسلمين يستنجد بها (فَقَدْ بَاءَ) رجع (بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) ببدر بقوتكم (وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ) بنصره إياكم (وَمَا رَمَيْتَ) يا محمد أعين القوم (إِذْ رَمَيْتَ) بالحصى لأن كفا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَى) بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً) عطاء (حَسَناً) هو الغنيمة (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ) لأقوالهم (عَلِيمٌ) بأحوالهم (ذٰلِكُمْ) الإبلاء حق (وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ) مضعف (كَيْدِ الْكَافِرِينَ ، إِنْ تَسْتَفْتِحُوا)

فى الياء (قوله يستنجد) أى يستنصر ويستعين (قوله فقد باء بغضب) جواب الشرط وهو من والباء للملابسة أى ملتبسا ومصحوبا بغضب (قوله ومأواه) أى مسكنه وفى الآية وعيد عظيم ولذلك قيل إن الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر (قوله مخصوص) أى مقصور أى فان زادت عن الضعف كما إذا كان المسلمون ربع الكفار فلا يحرم الفرار (قوله فلم تقتلوهم) نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون آيها
بعد رجوعهم من بدر فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلت كذا أسرت كذا فعلمهم الله الأدب بقوله فلم تقتلوهم الخ والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم (قوله ولكن الله قتلهم) قرىء بتشديد لكن وتخفيفها فعلى التخفيف تكون مهملة ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء وعلى التشديد تكون عاملة عمل إن ولفظ الجلالة منصوب على أنه اسمها وهما قراءتان سبعيتان (قوله وما رميت إذ رميت) ظاهره التناقض حيث جمع بين النفى والاثبات والجواب أن النفى الرمى بمعنى إيصال الحصى لأعينهم والمثبت فعل الرمى كما أشار لهذا الجواب المفسر بقوله بإيصال ذلك إليهم (قوله ولكن الله رمى) فيه القراءتان المتقدمتان وقد علمت أن حكمة قوله تعالى : فلم تقتلوهم التأديب لبعض المؤمنين ، وأما حكمة قوله تعالى : وما رميت فاثبات أنها معجزة من الله لنبيه لتذكر من جملة معجزاته التى أمر بالتحدث بها قال تعالى : وأما بنعمة ربك فحدث ، وقال البوصيرى :

ورمى بالحصى فأقصد جيشا ما العصا عنده وما الإلقاء

(قوله فعل) أى الله ذلك أى القتل والرمى وقوله ليقهر الخ قدره ليعطف عليه وليبلى (قوله عطاء) أى فالمراد من الإبلاء الاعطاء فهو إبلاء بخير لا بشر فان البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لأن أصله الاختبار وذلك كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة لاظهار الشكر (قوله ذلكم) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله حق ، وقوله

وأن الله يجوز أن يكون معطوفا على ذلكم ليكون فى محل رفع بالابتداء وخبره محذوف أيضا ، والمعنى ذلكم الابلاء للمؤمنين حق وتوهين كيد الكافرين حق وموهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين فكيد منصوب على المفعولية به ويقرأ بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم منونا أو مضافا إلى كيد فالقراءات ثلاث وكلها سبعية (قوله أيها الكفار) أى فهو خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والفتح وقع لغيرهم (قوله أى القضاء) أى الحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل (قوله حيث قال أبوجهل) أى وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة ودعوا بما ذكره المفسر (قوله أينا) أى الفريقين يعنى نفسه ومن معه ومحمدا ومن معه وهو يزعم أن محمدا هو القاطع للرحم حيث خرج من بلده وترك أقاربه (قوله فأحنه الغداة) الحين بالفتح الهلاك يقال حان الرجل هلك وأحانه الله أهلكه والغداة ظرف للحين أى أهلكه فيما يستقبل (قوله وفتحها على تقدير اللام) أى فهما قراءتان سبعيتان أى واللام المقدرة للتعليل (قوله يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله) أى دوموا على طاعته وعلى عدم التولى يدم لكم العز الذى حصل ببدر (قوله إن شر الدواب الخ) نزلت فى جماعة من بنى عبد الدار بن قصى كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما

أيها الكفار أى تطلبوا الفتح أى القضاء حيث قال أبو جهل منكم : اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة أى أهلكه (فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وَإِنْ تَنْتَهُوا) عن الكفر والحرب (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا) لقتال النبى صلى الله عليه وسلم (نَعُدْ) لنصره عليكم (وَلَنْ تُغْنِيَ) تدفع (عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ) جماعاتكم (شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) بكسر إن استئنافا ، وفتحها على تقدير اللام (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا) تعرضوا (عَنْهُ) بمخالفة أمره (وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) القرآن والمواعظ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ) عن سماع الحق (الْبُكْمُ) عن النطق به (الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا) صلاحا بسماع الحق (لَأَسْمَعَهُمْ) سماع تفهم (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ) فرضا وقد علم أن لا خير فيهم (لَتَوَلَّوْا) عنه (وَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن قبوله عنادا وجحودا (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) بالطاعة (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ،

جاء به محمد وتوجهوا مع أبى جهل حاملين اللواء لقتال النبى وأصحابه ببدر فقتلوا جميعا ولم يسلم منهم إلا اثنان مصعب بن عمير وسبيط بن حرملة والدواب فى اللغة مادب على وجه الأرض عاقلا أو غيره وفى العرف مخصوص بالخيل والبغال والحمير وفى الآية غاية الذم لهم بأنهم أشر من الكلب والخنزير والحمير (قوله ولو علم الله فيهم خيرا) هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم على عدم إيمانهم ولو حرف امتناع لامتناع ، والمعنى امتنع سماعهم الخير سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم (قوله ولو أسمعهم) هذا ترق فى التسلية والمعنى لو فرض أن الله أسمعهم سماع تفهم لتولوا وهم معرضون عنه عنادا فلا تحزن على كفرهم فإن كفرهم ثابت مطلقا فهموا الحق أولا هذا حاصل معنى الآية . واستشكل ظاهرها بأن الآية دلت على قياس حاصله لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا ينتج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو فاسد إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا.وأجيب بجوابين الأول أن الحد المكرر لم يتحد معنى وشرط الانتاج اتحاده معنى لأن المراد بالاسماع الأول الموجب للفهم والاذعان والاسماع الثانى للفهم من غير إذعان . الثانى أن الكلام تم عند قوله لأسمعهم وقوله ولو أسمعهم ترق فى التشنيع عليهم فالمعنى هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حصوله فعدم إيمانهم عند عدمه أولوى نظير لو لم يخف الله لم يعصه ولكن توليهم عند ظهور الحق عناد وجحود وعند عدمه جهل (قوله استجيبوا) السين والتاء زائدتان للتوكيد (قوله إذا دعاكم) أفرد لأن دعوة الرسول فى الحقيقة هى لله وذكر الرسول أولا لأنه المبلغ عن الله فعدم طاعته مخالفة لله (قوله لما يحييكم) ما إما نكرة وجملة يحييكم صفة لها أو اسم موصول وما بعدها صلة والمعنى لما فيه حياتكم الأبدية

(قوله من أمر الدين) أى وهو الايمان والاسلام وقيل هو القرآن لأنه حياة القلوب و به النجاة من أهوال الدنيا والآخرة وقيل هو الحق مطلقا ، وقيل الجهاد فى سبيل الله وأتمها ماقاله المفسر (قوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه ومن قلبه لذاته بل هو أقرب من السمع للأذن ومن البصر للعين ومن اللمس للجسد ومن الشم للأنف ومن الذوق للسان فشبه القرب بالحيلولة واستعير اسم المشبه به وهو الحيلولة للمشبه وهو القرب واشتق من الحيلولة يحول بمعنى يقرب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية (قوله فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بارادته) تقدم أنه لامفهوم للكفر والايمان بل السمع والبصر والشم والذوق واللمس فى قبضة الله سبحانه إن شاء أبقاه و إن شاء أذهبه و إنما خص الايمان والكفر لأن مناط السعادة والشقاوة بهما (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله واتقوا فتنة) أى سبب فتنة وهى المعاصى فانها سبب لنزول المصائب الدنيوية (قوله لاتصيبن) الجملة صفة لفتنة ولانافية وتصيبن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو واقع فى جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله إن أصابتكم وليس جوابا للأمر لأن المرتب على تقواها عدم إصابتها أحدا لاخصوصا ولا عموما و إنما أكد الفعل المضارع المنفى بالنون إجراء له مجرى النهى (قوله بل تعممهم وغيرهم) أى فالظالم لظلمه وغير الظالم لاقراره وسكوته وعدم نهيه عن المنكر وفى الحديث

مامعناه «مثل الظالم كمثل جماعة فى أسفل مركب ومثل غير الظالم كمثل جماعة فى أعلى المركب فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقا يستقون منه فان سلم لهم أهل الأعلى هلكوا جميعا ، وإن قاموا عليهم نجوا جميعا» قال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن لايقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم ، وفى الحديث «إن الله لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلاينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة» وورد «إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى ذلك فاذا علمت ذلك فلا تشكل هذه بقوله تعالى ـ ولا تزر وازرة وزر أخرى ـ لما علمت أن الساكت على المنكر مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر (قوله واذكروا) خطاب للنبى وأصحابه نزلت بعد غزوة بدر (قوله مستضعفون) أى مظهرون الضعف لعدم أمركم بالقتال (قوله الغنائم) أى فلما هاجروا وأمروا بالقتال تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم ، وفى الحديث «جعل رزقى تحت ظل رمحى» (قوله لعلكم تشكرون) أى فتزدادوا من النعم لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم (قوله ونزل فى أبى لبابة) اسمه مروان كما فى بعض النسخ وقيل رفاعة (قوله وقد بعثه الخ) . حاصل قصته أن رسول الله حاصر قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر وقيل بضعة عشر يوما ، فلما اشتد عليهم الأمر قام عليهم رئيسهم كعب بن أسد وعرض عليهم الايمان فقال يامعشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ماترون و إنى أعرض عليكم خصالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين أنه نبى مرسل وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فأبوا فقال هلم نقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فقالوا أى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا فقال إن هذه الليلة ليلة السبت

من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بارادته (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فيجازيكم بأعمالكم (وَاتَّقُوا فِتْنَةً) إن أصابتكم (لَاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ) أرض مكة (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) يأخذكم الكفار بسرعة (فَآوَاكُمْ) إلى المدينة (وَأَيَّدَكُمْ) قواكم (بِنَصْرِهِ) يوم بدر بالملائكة (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الغنائم (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه . ونزل فى أبى لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ،

(يأيها

وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتنا وقد علمت مسخ من خالف السبت فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا فأرسله إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وفزع النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح فقال أبو لبابة فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله ثم انطلق وسلك طريقا أخرى فلم يأت رسول الله حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطأه قال أما لو جاءنى لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فأقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال وقيل بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره وكانت امرأته تأتيه فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تربطه ثم نزلت توبته فى بيت أم سلمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرا فقام يضحك فقالت أم سلمة مم تضحك ؟ أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت أفلا أبشره يارسول الله قال بلى إن شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فتسارع إليه الناس ليطلقوه ، فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما أصبح الصبح أطلقه فلما اشتد الحصار على بنى قريظة أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان فى خيمة فى المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى حسبة فأتى به فلما حضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم فقاموا إليه فقالوا إن رسول الله ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال **(١١٥)** وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة والرقيع السماء ففعل بهم كما قال سعد (قوله يأيها الذين آمنوا) إنما عمم الخطاب إشارة إلى الستر عليه وأن العبرة بعموم

(يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، وَ) لا (تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) لكم صادة عن أمور الآخرة (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم . ونزل فى توبته (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ) بالإنابة وغيرها (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) بينكم وبين ماتخافون فتنجون (وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَ) اذكر يا محمد (إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شأنك

اللفظ لا بخصوص السبب (قوله وتخونوا) معطوف على الفعل قبله فهو فى حيز النهى ، ولذا قدر المفسر لا فهو نهى عن الخيانتين (قوله وأنتم تعلمون) الجملة حالية من فاعل تخونوا (قوله صادة) أى مانعة (قوله فلا تفوتوه بمراعاة الأموال الخ) أى لأنها أمور زائلة فانية وسعادة الآخرة لانهاية لها فهى أولى بتقديمها على مايفنى (قوله فرقانا) أى نجاة مما تخافون وقد أشار لهذا المفسر بقوله فتنجون ، وقيل المراد بالفرقان النور الكائن فى القلب الذى يفرق به بين الحق والباطل وهو أولى (قوله ويكفر عنكم سيئاتكم) أى يمحها فقوله ويغفر لكم عطف مرادف عليه (قوله وإذ يمكر بك) إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه إثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله : واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض . والمكر الاحتيال على إيصال الضرر للغير . وحاصل ذلك أن قريشا عرفوا لما أسلم الأنصار أن أمر رسول الله يتفاقم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش فى دار الندوة ليتشاوروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤساؤهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود فجاءهم إبليس فى صورة شيخ نجدى ، فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ، ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا له ادخل فدخل ، فقال أبو البخترى أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت مقيدا وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك فصرخ ذلك الشيخ النجدى وقال بئس الرأى إن أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهرا عليكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال هشام بن عمرو إنى أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم بلا يضركم ماصنع فقال ذلك الشيخ النجدى ماهذا برأى تعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين فيسير بهم إليكم ليخرجكم من بلادكم فقال أبو جهل إنى أرى

أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا ويعطى كل شاب سيفا صارما ثم يضربونه ضربة واحدة فإذا قتل تفرق دمه فى القبائل ولا أظن أن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها غايته يطلبون ديته وهو أمر سهل فقال إبليس إنه أجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك فأتى جبريل وأخبر رسول الله بذلك وبأن الله أذن له فى الخروج إلى المدينة فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فأمر رسول الله عليا أن يبيت بمضجعه، وقال له تسج ببردتى فانه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أخذ الله أبصارهم فلم يره منهم أحد ونثر على رءوسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى ـ يس ـ إلى قوله ـ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ـ ثم أتاهم آت فقال لهم إن محمدا خرج عليكم ووضع التراب على رءوسكم فما من رجل منهم أصابه ذلك التراب إلا قتل يوم بدر كافرا (قوله بدار الندوة) أى بالدار التى يقع فيها الحديث والاجتماع وهى أول دار بنيت بمكة فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدرى بمائة ألف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهى فى جانبه الشمالى (قوله ليثبتوك) هذا إشارة لرأى أبى البخترى (قوله أو يقتلوك) أى شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد وهو إشارة لرأى أبى جهل (قوله أو يخرجوك) هو إشارة لرأى هشام بن عمرو (قوله ويمكرون بك) أى يحتالون ويتدبرون فى أمرك (قوله بتدبير أمرك) جواب عما يقال إن حقيقة المكر محالة على الله تعالى لأنه الاحتيال على الشىء من أجل حصول العجز عنه. وأجيب أيضا بأن المراد يمكر الله معاملته لهم معاملة الماكر حيث خيب سعيهم وضيع أملهم أو المراد جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء مكرا لأنه فى مقابلته (قوله أعلمهم به) دفع بذلك ما يقال إن المكر لا خير فيه. وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله وإذا تتلى عليهم) هذا من جملة قبائح أهل مكة (قوله مثل هذا) تنازعه كل من سمعنا وقلنا (قوله الحيرة) بلدة بقرب الكوفة (قوله أخبار الأعاجم) أى كالفرس والروم (قوله إلا أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى وقد رد الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى ـ قل فأتوا بعشر سور مثله ـ وقال أيضا ـ قل فأتوا بسورة مثله ـ فعجزوا عن ذلك، وقال البوصيرى :

سور منه أشبهت صورا منـا ومثل النظائر النظراء

بدار الندوة (لِيُثْبِتُوكَ) يوثقوك ويحبسوك (أَوْ يَقْتُلُوكَ) كلهم قتلة رجل واحد (أَوْ يُخْرِجُوكَ) من مكة (وَيَمْكُرُونَ) بك (وَيَمْكُرُ اللَّهُ) بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أعلمهم به (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا) قاله النضر بن الحرث لأنه كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة (إِنْ) ما (هَٰذَا) القرآن (إِلَّا أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ. وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا) الذى يقرؤه محمد (هُوَ الْحَقَّ) المنزل (مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم على إنكاره قاله النضر أو غيره استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ) بما سألوه (وَأَنْتَ فِيهِمْ) لأن العذاب إذا نزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)،

(قوله وإذ قالوا) هذا من جملة قبائحهم الشنيعة (قوله هو الحق) القراء السبعة على نصب الحق خبرا لكان وهو ضمير فصل لا محل له من الاعراب وقرئ شذوذا برفعه على أنه خبر للضمير والجملة خبر لكان (قوله من عندك) حال من الحق (قوله حجارة من السماء) أى من سجيل مسومة كما أرسلتها على أصحاب الفيل (قوله بعذاب أليم) أى كالصيحة والخسف (قوله قاله النضر) أى ابن الحارث وقوله أو غيره أى وهو أبو جهل ولا مانع من أن كلا قال ذلك (قوله استهزاء) أى سخرية به صلى الله عليه وسلم (قوله وإيهاما أنه على بصيرة) أى لأن أصعب الايمان الدعاء على النفس (قوله بما سألوه) أى وهو الحجارة أو العذاب الأليم ولا بالعذاب العام لرفعه ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله وأنت فيهم) أى فى بلدهم فان خرجت منها أنت والمؤمنون عذبهم الله على أيديكم عذابا خاصا بهم (قوله وما كان الله معذبهم) أى عذابا عاما ولا خاصا (قوله وهم يستغفرون) الجملة حالية من الضمير فى معذبهم، والمعنى أن الله لا يعذبهم والحال أنهم يستغفرون فاستغفارهم نافع لهم بعدم نزول العذاب عليهم. إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى ـ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ـ وقوله تعالى ـ وما دعاء الكافرين إلا فى تباب ـ. أجيب بأن استغفارهم نافع لهم فى الدنيا فقط وأما الآيتان

فالمراد منهما مايحصل في الآخرة فأعمال الكفار الصالحة التي لاتفتقر إلى نية كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار تنفعهم في الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها ولا تنفعهم في الآخرة (قوله وقيل هم المؤمنون) أي ضمير معذبهم يعود إلى أهل مكة وقوله وهم الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون (قوله لو تزيلوا) أي تميز المؤمنون عن الكفار (قوله ومالهم أن لايعذبهم الله) أي أي شيء ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم أي لامانع لهم منه (قوله والمستضعفين) أي وخروج المستضعفين أيضا (قوله وعلى القول الأول) أي وهو كون الضمير عائدا على الكفار (قوله هي ناسخة لما قبلها) أي وهي قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لأنه أخبر أولا أنه لايعذبهم مع استغفارهم وأخبر ثانيا أنه يعذبهم ولا يبالي باستغفارهم، والوجه أنها ليست منسوخة لأنها خبر والأخبار لاتنسخ وأيضا استغفارهم قد انقطع بخروجهم للمقاتلة لارتباط استغفارهم بالبيت (قوله وهم يصدون) الجملة حالية من ضمير يعذبهم (قوله أن يطوفوا به) أي النبي والمؤمنون (قوله وما كانوا أولياءه) ردّ لقولهم نحن ولاة البيت فنصدّ من نشاء وندخل من نشاء (قوله إن أولياؤه إلا المتقون) أي المجتنبون الشرك (قوله أن لاولاية لهم عليه) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله إلامكاء) استثناء من الصلاة على حسب زعمهم حيث ادعوا أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة فالاستثناء زيادة في التشنيع عليهم (قوله صفيرا) أي فكان الواحد منهم يشبك أصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمهما وينفخ فيهما فيظهر من ذلك صوت (قوله تصفيقا) أي ضربا بإحدى اليدين على الأخرى (قوله أي جعلوا ذلك الخ) جواب عما يقال إن المكاء

حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال: لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره (وَهُمْ يَصُدُّونَ) يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أن يطوفوا به (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) كما زعموا (إِنْ) ما (أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن لاولاية لهم عليه (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً) صفيرا (وَتَصْدِيَةً) تصفيقا أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها (فَذُوقُوا الْعَذَابَ) ببدر (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) في حرب النبي صلى الله عليه وسلم (لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ) في عاقبة الأمر (عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) ندامة لفواتها وفوات ماقصدوه (ثُمَّ يُغْلَبُونَ) في الدنيا (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِلَىٰ جَهَنَّمَ) في الآخرة (يُحْشَرُونَ) يساقون (لِيَمِيزَ) متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل (اللَّهُ الْخَبِيثَ) الكافر (مِنَ الطَّيِّبِ) المؤمن (وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا) يجمعه متراكبا بعضه على بعض (فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) كأبي سفيان وأصحابه،

والتصدية ليسا من جنس الصلاة فكيف يصح استثناؤهما منها فأجاب بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها فجرى الاستثناء على معتقدهم وكانوا يفعلون ذلك حين يشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن كما حكى الله عنهم قوله وقال ـ الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ـ (قوله إن الذين كفروا) نزلت في كفار مكة ولكن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فإن الشاهد في الكفار ذلك إلى يوم القيامة (قوله فسينفقونها) أي يعلمون عاقبة إنفاقها (قوله ثم تكون في عاقبة الأمر) أي وهي عدم وصولهم لمقصودهم (قوله ثم يغلبون) التعبير بثم إشارة إلى أنهم يمهلون استدراجا لهم وزيادة حسرة لهم في العاقبة (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جميعا) إماحال من الهاء في فيركمه أو توكيد لها (قوله يجمعه متراكبا بعضه على بعض) ظاهر الآية أن هذا الجمع قبل دخولهم النار وحينئذ فيكون بيانا لحالهم في الوقف لما تقدم أنه يكون سبعون ألف قدم على قدم (قوله أولئك هم الخاسرون) أي الخائبون في الدنيا والآخرة (قوله قل للذين كفروا) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الكفار ما ذكر (قوله كأبي سفيان وغيره) إنما خصهم لأنهم هم الباقون من كفار مكة لأن الآية نزلت

بعد بدر وفيها قتل من قتل من صناديدهم و بقي من بقي فالخطاب لمن بقي (قوله إن ينتهوا عن الكفر) أى بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدقين فكلمة التوحيد سبب للانتقال من ديوان الأشقياء لديوان السعداء ، إذا علمت أن هذا الفضل لمن سبق له الكفر فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش مؤمنا ومات كذلك قال السنوسي فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعاني حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الأسرار والعجائب مالا يدخل تحت حصر (قوله مَن أعمالهم) أى السيئة وأعظمها الكفر (قوله و إن يعودوا) وأصل العود الرجوع عن الشيء بعد التلبس به وحينئذ فيكون المعنى و إن يرتدوا عن الاسلام بعد تلبسهم به و يصح أن يفسر العود بالاستمرار على الكفر (قوله فقد مضت سنة الأولين) أى كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك . إن قلت إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمحفوظة منه . أجيب بأن التشبيه فى مطلق هلاك و إن كان ماسبق عاما وهذا خاص ، والأقرب أن يراد بالأولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر وجملة فقد مضت سنة الأولين تعليل لمحذوف .ولا يصلح للجواب وتقدير الجواب و إن يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الأولين (قوله وقاتلوهم) أى الكفار مطلقا مشركين أو غيرهم (قوله حتى لا تكون فتنة) أى شوكة لأهل الشرك أى بأن ينقرضوا رأسا أو بدخولهم فى الاسلام أو بأن يؤدوا الجزية بدليل قوله تعالى - قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر - إلى أن قال - حتى يعطوا الجزية -

(إِنْ يَنْتَهُوا) عن الكفر وقتال النبي صلى الله عليه وسلم (يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) من أعمالهم (وَإِنْ يَعُودُوا) إلى قتاله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ) أى سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ) توجد (فِتْنَةٌ) شرك (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) وحده ولا يعبد غيره (فَإِنِ انْتَهَوْا) عن الكفر (فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيهم به (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الايمان (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (نِعْمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر لكم (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ) أخذتم من الكفار قهرا (مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) يأمر فيه بما يشاء (وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم و بنى المطلب (وَالْيَتَامَى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (وَالْمَسَاكِينِ) ذوى الحاجة من المسلمين (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره من المسلمين أى يستحقه النبي صلى الله عليه وسلم والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه ،

فالمكلف به مأخوذ من مجموع الآيتين (قوله توجد) أشار بذلك إلى أن كان تامة وفتنة بالرفع فاعلها (قوله ويكون الدين كله لله) يكون ناقصة والدين اسمها ولله متعلق بمحذوف خبرها (قوله بما يعملون) القراء السبعة على الياء التحتية وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية (قوله فيجازيكم به) أى بالذى تعملونه من خير وشر (قوله و إن تولوا) أى أعرضوا من لم يمتثلوا (قوله نعم المولى) هذا ثناء من الله على نفسه فهو حمد قديم لقديم والمعنى أن الله ينصر العبد و يشكره ولا يضيعه بخلاف الناصر من الخلق ينصر ويمن بذلك النصر (قوله هو) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله واعلموا أنما غنمتم) تقدم أن الحق أن هذه الآية مفصلة لآية - يسألونك عن الأنفال - (قوله من شيء) بيان لما ونكره ليشمل الجليل والحقير والشريف والوضيع (قوله فأن لله خمسه) بفتح الهمزة خبر لمحذوف والتقدير فحكمه أن خمسه لله (قوله يأمر فيه بما يشاء) أى فالخمس يقسم ستة أقسام قسم لله يصرف فى الكعبة والخمسة أقسام للنبي ولآله واليتامى والمساكين وابن السبيل ، و بذلك قال بعض الأئمة غير الأربعة ، وقال الأئمة الأربعة : إنه يقسم خمسة أقسام فقط للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم ، وهذا ما كان فى زمنه وأما بعد وفاته فالخمس الذى كان يأخذه النبي يوضع فى بيت المال يصرف فى مصالح المسلمين وهو كواحد منهم و بهذا قال الشافعي وقال مالك النظر فيه للامام وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم القربى بوفاته وصار الكل للثلاثة فقط (قوله من بنى هاشم والمطلب) هذا مذهب الشافعي وعند مالك الآل بنو هاشم فقط ، وعند أبي حنيفة فرق خمسة : آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، وآل الحارث (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنقطع فى سفره) أى المحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أى يستحقه النبي) إنما لم يقل الله

والنبي اشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك كما هو التحقيق (قوله من أن لكل) أي من الأصناف الخمسة (قوله والأخماس الأربعة) بيان لمفهوم قوله خمسة (قوله فاعلموا ذلك) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه لأن العلم المجرد لاثمرة له (قوله عطف على بالله) أي على مدخول الباء وهو لفظ الجلالة (قوله من الملائكة الخ) بيان لما (قوله الفارق بين الحق) أي بظهوره واتضاحه وقوله والباطل أي بخموده وذهابه (قوله يوم التقى الجمعان) بدل من يوم الأول (قوله والله على كل شيء قدير) كالتذييل والدليل لما قبله (قوله بدل من يوم) أي الثاني بدل اشتمال (قوله بضم العين وكسرها) أي فيهما قراءتان سبعيتان والعدوة الشاطئ والشفير والجانب سميت بذلك لأن السيل يعدوها ويتجاوزها املوها عن الوادي، والمعنى أنتم بالجانب القريب من المدينة وهم بالجانب الآخر وبينهما مقدار الرمي (قوله كائنون بمكان أسفل منكم) أشار المفسر إلى أن الركب مبتدأ خبره محذوف وقوله أسفل ظرف صفة لمحذوف، والمعنى أن الركب في مكان أسفل منكم بحيث لو استغاثوا بقومهم لأغاثوهم (قوله ولو تواعدتم) أي أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال (قوله لاختلفتم في الميعاد) أي لأمكن اختلافكم في التواعد بمعنى أنكم لم توفوا بذلك بل قد تتخلفون عن الخروج (قوله ليهلك) علة لمحذوف قدره المفسر بقوله فعل ذلك وهو جمعهم بغير ميعاد وإخراجهم بغير تأهل (قوله يكفر) أي يستمر على كفره (قوله أي بعد حجة) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد على حد قوله تعالى - لتركبن طبقا عن طبق - والمعنى أنه لم يبق لهم عذر في عدم إيمانهم بل صار كفرهم عنادا (قوله ويحيا) أي يستمر على الحياة وهي الايمان (قوله من حي) بالفك والادغام قراءتان سبعيتان (قوله وإن الله لسميع) أي بأقوالكم عليم بأحوالكم فيجازيكم عليها (قوله قليلا) مفعول ثالث لأن رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همز فاذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة والمعنى اذكر يا محمد هذه النعمة العظيمة وهي رؤيتك إياهم في المنام قليلا تشجيعا لأصحابك وتثبيتا لهم واشارة إلى ضعف الكفار وأنهم يهزمون وبهذا اندفع مايقال إن رؤيا الأنبياء حق فكيف يراهم قليلا مع كثرتهم (قوله ولو أراكهم كثيرا) أي وأخبرت أصحابك بذلك (قوله ولتنازعتم) عطف على فشلتم عطف سبب على مسبب (قوله ولكن الله سلم) مفعوله محذوف قدره المفسر وقوله من الفشل الخ متعلق بسلم (قوله بما في القلوب) أي بالخطرات والسرائر التي احتوت عليها القلوب فالمراد بصاحبات الصدور السرائر والصدور القلوب من باب تسمية الحال باسم محله (قوله وإذ يريكموهم) هذه الرؤية بصرية فتنصب مفعولا واحدا إن لم تدخل عليها الهمزة وإلا نصبت مفعولين فالكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان وقليلا حال .

من أن لكل خمس الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ) فاعلموا ذلك (وَمَا) عطف على بالله (أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) المسلمون والكفار (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم (إِذْ) بدل من يوم (أَنْتُمْ) كائنون (بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا) القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي (وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى) البعدى منها (وَالرَّكْبُ) العير كائنون بمكان (أَسْفَلَ مِنْكُمْ) مما يلي البحر (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ) أنتم والنفير للقتال (لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ) جمعكم بغير ميعاد (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) في علمه وهو نصر الاسلام ومحق الكفر فعل ذلك (لِيَهْلِكَ) يكفر (مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ) أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير (وَيَحْيَى) يؤمن (مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) اذكر (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ) أي نومك (قَلِيلًا) فأخبرت به أصحابك فسروا (وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ) جبنتم (وَلَتَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِي الْأَمْرِ) أمر القتال (وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) كم من الفشل والتنازع (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ)،

(قوله أيها المؤمنون) تفسير للكاف (قوله وهم ألف) أى فى الواقع ونفس الأمر (قوله لتقدموا عليهم) علة لقوله ويكثرهم الخ (قوله ليقدموا) علة لقوله و يقللكم (قوله وهذا) أى تقليلكم فى أعينهم (قوله أراهم) أى الكفار إياهم أى المسلمين مثليهم أى مثلى الكفار وكانوا ألفا فرأوا المسلمين قدر ألفين لتضعف قلوبهم و يتمكن المسلمون منهم فلا تنافى بين ماهنا و بين ماتقدم (قوله ليقضى الله أمرا) علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضى الخ (قوله ترجع) بالبناء للفاعل أو للمفعول قراءتان سبعيتان والأمور فاعل على الأول ونائب فاعل على الثانى (قوله تصير) هذا على قراءة البناء للفاعل وأما على قراءة البناء للمفعول فمعناه ترد (قوله إذا لقيتم فئة) أى حاربتم جماعة والفئة اسم جمع لاواحد له من لفظه (قوله فاثبتوا) أمر للمؤمنين فى أى زمان (قوله ادعوه بالنصر) أى فالمراد بالذكر مايشمل الدعاء ويصح أن يبقى الذكر على إطلاقه فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب وأنه معهم بالعون والنصر (قوله لعلكم تفلحون) الترجى بمنزلة التحقق لأنه وعد ووعد الله لايخلف (قوله وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما يأمركم به (قوله فتفشلوا) عطف مسبب على سبب (قوله تجبنوا) أى عن الحرب (قوله وتذهب ريحكم) عطف مسبب على سبب أيضا وهذا على الترتيب فالاختلاف ينشأ عنه الجبن والجبن ينشأ عنه ذهاب الريح (قوله قوتكم) أى و يطلق على الغلبة والرحمة والنصرة (قوله ودولتكم) الدولة فى الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال وأما دولة المال فبضم الدال وجمعها دول بضم الدال (قوله واصبروا) أى على قتالهم (قوله كالذين خرجوا من ديارهم) أى وهم أبوجهل ومن معه وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبى سفيان وقال لهم ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان فيتسامع بذلك الناس و يهابوننا

أيها المؤمنون (إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً) نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم (وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ) ليقدموا ولايرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما فى آل عمران (لِيَقْضِىَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ) تصير (الْأُمُورُ. يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) جماعة كافرة (فَاثْبُتُوا) لقتالهم ولا تنهزموا (وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً) ادعوه بالنصر (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا) تختلفوا فيما بينكم (فَتَفْشَلُوا) تجبنوا (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قوتكم ودولتكم (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالنصر والعون (وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ) حيث قالوا لانرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس (وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (مُحِيطٌ) علما فيجازيهم به (وَ) اذكر (إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ) إبليس (أَعْمَالَهُمْ) بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بنى بكر (وَقَالَ) لهم (لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنِّى

(قوله ليمنعوا عيرهم) أى ليمنعوا المسلمين عن قافلتهم التى كانت مع أبى سفيان (قوله ولم يرجعوا بعد نجاتها) قدره المفسر اشارة إلى أن بطرا وما عطف عليه علة لمحذوف لالقوله خرجوا لأن خروجهم ليس للبطر بل لمنع الناس عن العير والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاتها (قوله بطرا) هو وما بعده مفعول لأجله والبطر كفران النعمة وعدم شكرها (قوله القيان) جمع قينة وهى الجارية المغنية.قال ابن مالك : فعل وفعلة فعال لهما * (قوله فيتسامع بذلك الناس) أى القبائل فيهابوننا وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت وضرب القيان بنوح النائحات ونحر الجزور بنحرر قابهم (قوله ويصدون) عطف على بطرا فهو فى قوة المصدر : أى وصدا . قال ابن مالك : واعطف على اسم شبه فعل فعلا (قوله بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة فذكرها سبق قلم (قوله وإذ زين) عطف على ولا تكونوا عطف قصة على قصة وإذ ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله لما خافوا الخروج) أى لما خافوا من أعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم (قوله بنى بكر) أى وهم قبيلة كنانة وكانت قريبة من قريش و بينهم الحروب الكثيرة .

وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ) من كنانة وكان أتاهم فى صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية (فَلَمَّا تَرَاءَتِ) التقت (الْفِئَتَانِ) المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده فى يد الحرث بن هشام (نَكَصَ) رجع (عَلَى عَقِبَيْهِ) هاربا (وَقَالَ) لما قالوا له : أتخذلنا على هذا الحال (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) من جواركم (إِنِّي أَرَى مَالَا تَرَوْنَ) من الملائكة (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ) أن يهلكنى (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ. إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (غَرَّ هَؤُلَاءِ) أى المسلمين (دِينُهُمْ) إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه ، قال تعالى فى جوابهم (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يثق به يغلب (فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) فى صنعه (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ يَتَوَفَّى) بالياء والتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ) حال (وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) بمقامع من حديد (وَ) يقولون لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى النار ، وجواب لو لرأيت أمرا عظيما (ذَلِكَ) التعذيب (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أى بذى ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب ،

(قوله وإنى جار لكم) أى مجير ومعين (قوله وكان أتاهم الخ) قال ابن عباس جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه راية فى صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقة بن مالك فقال للمشركين لاغالب لكم اليوم من الناس (قوله ورأى الملائكة) أى نازلين من السماء (قوله أتخذلنا) أى تترك نصرتنا فى هذه الحالة فعلى بمعنى فى (قوله أن يهلكنى) أى بتسليط الملائكة علىّ . إن قلت أنه من المنظرين فكيف يخاف الهلاك حينئذ . أجيب بأنه لشدة مارأى من الهول نسى الوعد بأنه من المنظرين وما أشار له المفسر جواب عما يقال إن الشيطان لاخوف عنده وإلا لما كفر وأضل غيره . وأجيب أيضا بأن قوله إنى أخاف الله كذب ولا مانع من ذلك (قوله والله شديد العقاب) يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره أو مستأنف تهديد له من كلام الله تعالى (قوله إذ يقول المنافقون) أى الكائنون بالمدينة وقوله والذين فى قلوبهم مرض أى الكائنون بمكة إذلم يحضر وقعة بدر منافق إلا عبدالله بن أبىّ فقط ولم يكن فيها ضعيف إيمان (قوله توهما) مفعول لخرجوا والضمير فى بسببه عائد على الدين (قوله يغلب) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فان الله عزيز حكيم دليل عليه (قوله ولوترى) الرؤية بصرية ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت ولو حرف شرط تقلب المضارع ماضيا عكس إن

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى التاء فلأن الجمع يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله الذين كفروا) قيل المراد جميع الكفار من وجد ومن سيوجد وقيل المراد الكفار الذين قتلوا ببدر. واختلف أيضا فى وقت الضرب فقيل عند الموت تعجيلا للمساءة وقيل ذلك يوم القيامة ولا مانع من الجميع (قوله حال) أى من الملائكة (قوله وجوههم وأدبارهم) المراد أمامهم وخلفهم فيعمون جميع أجسادهم بالضرب (قوله بمقامع من حديد) جمع مقمعة بكسر الميم وهى العصا من الحديد المحماة بالنار لو وضعت على جبال الدنيا لدكت (قوله وذوقوا) قدر المفسر يقولون إشارة إلى أنه معطوف على يضربون فهو حال أيضا (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ وقوله بما قدمت أيديكم متعلق بمحذوف خبر والباء سببية (قوله عبر بها الخ) دفع بذلك مايقال إن إذاقة العذاب حاصلة بسبب مافعلوا بجميع أعضائهم فلم خصت الأيدى فأجاب بما ذكر وبعضهم فسر الأيدى بالقدر جمع قدرة فيكون المعنى ذلك بسبب ماقدمته قدرتكم وكسبكم فان اليد تطلق ويراد بها القدرة ، قال تعالى : يد الله فوق أيديهم (قوله وأن الله) معطوف على ماقدمت أيديكم والمعنى ذلك بسبب ماقدمت أيديكم وبسبب أن الله ليس بظلام للعبيد ونفى الظلم عن الله كناية عن العدل فكأنه قال ذلك بسبب الذى قدمته أيديكم وبسبب عدل الله فيكم (قوله أى بذى ظلم) دفع بذلك مايتوهم من ظاهر الآية أن أصل الظلم ثابت لله والمنفى كثرته فأجاب المفسر بأن هذه الصيغة ليست للمبالغة بل للنسب ، قال ابن مالك : ومع فاعل وفعال فعل فى نسب أغنى عن اليا فقبل

وحينئذ فقد انتفى أصل الظلم بل لايريده أصلا ، قال تعالى وما الله يريد ظلما للعباد لأن الارادة لا تتعلق إلا بالجائز والظلم من الله مستحيل عقلا لأن حقيقته التصرف فى ملك الغير من غير إذنه ، ولا يتصور العقل ملكا لغير الله

(قوله كدأب آل فرعون) الكاف متعلقة بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف قدّره المفسر بقوله دأب هؤلاء ، وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كفروا بآيات الله) تفصيل للدأب وتفسير له كما قال المفسر (قوله فأخذهم الله) أى أهلكهم لكن هلاك غير هذه الأمة بالرجفة والزلزلة والخسف والمسخ من كل عذاب عام وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف فالمماثلة فى مطلق الهلاك (قوله بذنوبهم) الباء سببية (قوله إن الله قوىّ شديد العقاب) كالدليل لما قبله (قوله أى تعذيب الكفرة) أى بسبب ماقدمت أيديهم (قوله بأن الله) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن اسم الاشارة والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين (قوله لم يك) مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفا . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

وأصله يكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ثم حذفت النون تخفيفا (قوله يبدلوا نعمتهم كفرا) أى يتركوا مايجب للنعم من شكرها والقيام بحقها ويرتكبوا عدم الشكر وعدم القيام بحقها ،

دأب هؤلاء (كَدَأْبِ) كعادة (آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ) بالعقاب (بِذُنُوبِهِمْ) جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها (إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ) على مايريده (شَدِيدُ الْعِقَابِ . ذَٰلِكَ) أى تعذيب الكفرة (بِأَنَّ) أى بسبب أنّ (اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ) مبدلا لها بالنقمة (حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبى صلى الله عليه وسلم إليهم بالكفر والصدّ عن سبيل الله وقتال المؤمنين (وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (وَكُلٌّ) من الأمم المكذبة (كَانُوا ظَالِمِينَ) . ونزل فى قريظة (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ) أن لايعينوا المشركين (ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ) عاهدوا فيها (وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) الله فى غدرهم (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (تَثْقَفَنَّهُمْ) تجدنهم (فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ) فرق (بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة (لَعَلَّهُمْ) أى الذين خلفهم (يَذَّكَّرُونَ) يتعظون بهم (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ) عاهدوك (خِيَانَةً) فى عهد بأمارة تلوح لك (فَانْبِذْ) اطرح عهدهم (إِلَيْهِمْ ،

والمعنى يبدلون مابهم من الحال إلى حال أسوأ منه فتغيرت نعمة إمهالهم بمعاجلة العذاب لهم (قوله وأن الله سميع) أى لأقوالكم عليم بأحوالكم (قوله كدأب آل فرعون الخ) كرره تفصيلا لماقبله لأنه مقام ذم وهو كالمدح البلاغة فيه الاطناب (قوله والذين من قبلهم) أى كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم (قوله فأهلكناهم بذنوبهم) أى بسببها (قوله قومه معه) أشار بذلك إلى أن المراد بآل فرعون هو وآله (قوله كانوا ظالمين) فيه مراعاة معنى كل ولو روعى لفظها لقيل وكل كان ظالما وكل صحيح ، و إنما روعى معناها على مراعاة للفواصل (قوله ونزل فى قريظة) أى حين قدم رسول الله المدينة وعاهدهم أن لايحاربوه ولايعاونوا عليه فنقضوا عهده وأعانوا عليه مشركى مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا أيضا وتمالؤا مع الكفار عليه يوم الخندق (قوله إن شرّ الدواب) فى ذلك إشارة إلى أنهم بمعزل من جنسهم و إنما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها. قال تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل - (قوله الذين عاهدت منهم) بدل من الموصول قبله أونعت أوعطف بيان (قوله أن لايعينوا المشركين) أى كفار مكة فنقضوا أوّلا وثانيا (قوله فاما تثقفنهم) أى تظفرن بهم (قوله فشرد بهم) الباء سببية والكلام على حذف مضاف : أى بسبب عقوبتهم وتنكيلهم (قوله من خلفهم) مفعول لشرد والمراد بمن خلفهم كفار مكة ، والمعنى إذا ظفرت بقريظة فعاقبهم ليتفرق كفار مكة وغيرهم ممن نقض عهدك ويتعظوا بهم فيصيرهم عبرة لغيرهم حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك (قوله و إما تخافن) خطاب عام للمسلمين وولاة الأمور و إن كان أصل نزولها فى قريظة (قوله فانبذ إليهم) أى أعلمهم بأن لاعهد لهم بعد اليوم فشبه العهد بالشئ الذى يرمى وطوى ذكر المشبه به ورمز له

بحئ من لوازمه وهو النبذ فاثباته تخييل (قوله بأن تعلمهم به) أى إن لم يكن غدرهم ظاهرا ظهورا بينا و إلا فلا يحتاج للاعلان . والحاصل أنه إذا ظهرت أمارات نقض العهد وجب على الامام أن ينبذ عهدهم و يعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم بحيث لا يعدّ الامام غادرا لهم و إن ظهرت الخيانة ظهورامقطوعابه فلاحاجة إلى نبذ العهد ولا الاعلام بل يبادرهم بالقتال (قوله إن الله لا يحب الخائنين) تعليل للأمر بنبذ العهد (قوله ونزل فيمن أفلت) أى فى الكفار الذين خلصوا وهربوا وهذاتسلية لرسول الله وأصحابه حيث حزنوا على نجاة من نجا من الكفار وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والأسر (قوله ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله ، والمعنى لاتظنن يامحمد الذين كفروا فاتين الله وفارين من عقابه إنهم لايعجزونه وهذا و إن كان فى أهل بدر إلا أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب وحسب تتعدّى لمفعولين الأوّل الذين كفروا والثانى جملة سبقوا ، وهذا على قراءة التاء الفوقية ، وأما على قراءة الياء التحتية فالذين كفروا فاعل والمفعول الأوّل محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر والمفعول الثانى جملة سبقوا (قوله وفى قراءة بفتح أن) أى مع الياء التحتية لاغير فالقراآت ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع . وحاصلها أن التاء فيها وجهان فتح أن وكسرها والياء فيها وجه واحد وهو فتح أن لاغير (قوله على تقدير اللام) أى التى للتعليل (قوله وأعدّوا لهم) أى للكفار مطلقا أولناقضى العهد (قوله من قوة) بيان لما (قوله هى الرمى) هذا الحديث رواه عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمى

عَلٰى سَوَاء) حال أى مستويًا أنت وهم فى العلم بنقض العهد بأن تُعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر (إِنَّ اللّٰهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) . ونزل فيمن أفلت يوم بدر (وَلاَ تَحْسِبَنَّ) يا محمد (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) الله أى فاتوه (إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ) لا يفوتونه . وفى قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف أى أنفسهم . وفى أخرى بفتح أن على تقدير اللام (وَأَعِدُّوا لَهُمْ) لقتالهم (مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) قال صلى الله عليه وسلم : هى الرمى رواه مسلم (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) مصدر بمعنى حبسها فى سبيل الله (تُرْهِبُونَ) تخوفون (بِهِ عَدُوَّ اللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ) أى كفار مكة (وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) أى غيرهم وهم المنافقون أو اليهود (لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّٰهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) جزاؤه (وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) تنقصون منه شيئاً (وَإِنْ جَنَحُوا) مالوا (لِلسَّلْمِ) بكسر السين وفتحها : الصلح (فَاجْنَحْ لَهَا) وعاهدهم ، قال ابن عباس : هذا منسوخ بآية السيف ، ومجاهد : مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت فى بنى قريظة ،

ثلاثا » أخرجه مسلم ، وقيل المراد بالقوة جميع مايتقوّى به فى الحرب على العدوّ من سلاح ورمى وخيل ورجال ودروع وغير ذلك ولا منافاة بين هذا و بين قوله عليه الصلاة والسلام « ألا إن القوة الرمى » لأن المراد معظم القوة الرمى كحديث « الحج عرفة والندم توبة » وهذا هو الأحسن (قوله مصدر) أى سماعى و إلا فالقياسى لما يقتضى الاشتراك كقاتل وخاصم وضارب (قوله ترهبون به) أى بالرباط الذى هو بمعنى الربط (قوله أى كفار مكة) هذا باعتبار سبب نزول الآية و إلا فالعبرة بعموم اللفظ فالمراد جميع الكفار فى أىّ زمان (قوله وهم المنافقون) أورد عليه أن المنافقين لايقاتلون . أجيب بأن المراد بارهابهم إدخال الرعب والحزن فى قلوبهم لأنهم إذاشاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم كان ذلك مرهبا ومخوفا لهم (قوله أو اليهود) أو مانعة خلوّ فتجوّز الجمع (قوله لا تعلمونهم) أى لاتعلمون بواطنهم وما انطووا عليه (قوله وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله) أى فى جهاد الكفار (قوله يوفّ إليكم جزاؤه) أى فالحسنة بسبعمائة . قال تعالى ـ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ـ الآية (قوله تنقصون منه شيئا) أى وسماه ظلما لأن وعده بالخير لايتخلف فكأنه واجب وضدّه مستحيل ، وليس المراد الظلم الحقيقى لأنه التصرف فى ملك الغير ولاملك لأحد معه (قوله و إن جنحوا) أى الكفار مطلقا أو بنو قريظة ، وعلى هذين القولين يتخرّج القول بالنسخ والقول بالتخصيص الذى أشارله المفسر بقوله : قال ابن عباس الخ وهذا مبنى على أن المراد بالصلح عقد الجزية ، وأما إن أريد بالصلح غيره من الهدنة والأمان فلانسخ إذ يصح عقد ذلك لكل كافر ، وهذا التقرير مرور على مذهب الشافعى من أن الجزية لاتضرب إلا على أهل الكتاب فقط ، وقال مالك : إن الجزية تضرب على كل كافر صحّ سباؤه كان من أهل الكتاب أولا فعلى مذهبه ليس فى الآية نسخ أصلا (قوله بكسر السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) بالصلح ليستعدوا لك (فَإِنَّ حَسْبَكَ) كافيك (اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ) جمع (بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) بعد الإحن (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) بقدرته (إِنَّهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) لا يخرج شيء عن حكمته (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ، وَ) حسبك (مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ) حث (الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) للكفار (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) منهم (وَإِنْ يَكُنْ) بالياء والتاء (مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ) أي بسبب أنهم (قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) وهذا خبر بمعنى الأمر ، أي ليقاتل العشرون منكم المائتين منهم والمائة الألف ويثبتوا لهم ، ثم نسخ لما كثروا بقوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم (فَإِنْ يَكُنْ) بالياء والتاء (مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) منهم (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بعونه ،

ونزل

(قوله وتوكل على الله) أي فوض أمورك له (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله (قوله وإن يريدوا أن يخدعوك) شرط حذف جوابه تقديره فصالحهم ولا تخف من غدرهم (قوله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) أي قواك بأسباب باطنية وهي نصره لك من غير واسطة وبأسباب ظاهرية وهم المؤمنون (قوله بعد الإحن) جمع إحنة وهي العداوة والشحناء التي كانت بين الأوس والخزرج (قوله وألف بين قلوبهم) أي بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة مائة وعشرين سنة حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة لقاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم فلما آمنوا برسول الله زالت تلك الحالة وانقلبت العداوة محبة في الله ورسوله فكان معجزة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لو أنفقت ما في الأرض الخ) هذا امتنان من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة (قوله يا أيها النبي حسبك الله) قيل نزلت ببدر فالمراد بالمؤمنين الذين كانوا حاضرين وقعتها فيكون في ذلك مدح عظيم لهم ودليل على شرفهم ، ويؤخذ من ذلك أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبدا وليس في ذلك اعتماد على غير الله لأن المؤمنين ما التفت لهم إلا لإيمانهم وكونهم حزب الله فرجع الأمر لله ، وقيل نزلت الآية في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلا وست نسوة فيكون هو متمما للأربعين فعلى الأول الآية مدنية كبقيتها وعلى الثاني تكون الآية مكية أثناء سورة مدنية ولا مانع أنها نزلت مرتين مرة بمكة يوم إسلام عمر ومرة بالمدينة في أهل بدر (قوله ومن اتبعك) معطوف على لفظ الجلالة (قوله حرض المؤمنين على القتال) أي أمرهم أمرا أكيدا ورغبهم فيه (قوله إن يكن منكم) إما تامة وفاعلها عشرون ومنكم حال وإما ناقصة فعشرون اسمها ومنكم خبرها وهكذا يقال فيما بعدها ويكن وقع هنا خمس مرات : الأول والرابع بالياء لا غير ، والثاني والثالث والخامس بالياء والتاء كما سيأتي للمفسر فما سكت عنه فبالياء لا غير وما نبه عليه ففيه الوجهان (قوله صابرون) أي محتسبون أجرهم عند الله وهذا خبر بمعنى الأمر لقلة المسلمين وكثرة الكافرين ، وحكمة ذلك التكليف أن المسلمين وليهم الله فهم معتمدون عليه ومتوكلون عليه ، فبذلك الوصف كان الواحد مكلفا بقتال عشرة ، وأما الكفار فلا ناصر لهم وهم معتمدون على قوتهم وذلك داع للضعف والهزيمة ، وفي الآية من المحسنات البديعية الاحتباك وهو الحذف من كل نظير ما أثبت في الآخر فقد أثبت صابرون في الأول وحذف الذين كفروا منه وأثبت الذين كفروا في الثاني وحذف لفظ الصبر منه (قوله وهذا خبر بمعنى الأمر) أي وقد كان هذا في صدر الإسلام وكان فرار المائة من الألف حراما ثم نسخ (قوله بضم الضاد وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان ، والمراد الضعف في الأبدان لكثرة العبادة والتعب فرحمهم الله وأكرمهم ، وأيضا علم الله ضعف من يأتي بعد الصدر الأول عن القتال فخفف الله عن الجميع (قوله وهو خبر بمعنى الأمر) أي وقد استمر ذلك الأمر إلى يوم القيامة .

(قوله ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر) أى وكانوا سبعين من صناديدهم . «روى أنه لما جىء بالأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتقولون فى هؤلاء ؟ فقال أبو بكر يارسول الله أهلك وقومك استبقهم لعلّ الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار ، وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه فانّ هؤلاء أئمة الكفر ، وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنّ الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن و يشدّ قلوب رجال حتى تكون أشدّ من الحجارة و إن مثلك ياأبا بكر مثل إبراهيم قال ـ فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ـ ومثل عيسى قال إن تعذبهم فانهم عبادك و إن تغفرلهم فانك أنت العزيز الحكيم ـ ومثلك ياعمر مثل نوح قال ـ ربّ لاتذرعلى الأرض من الكافرين ديارا ـ ومثل موسى قال ـ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ـ الآية ، ثم قال رسول الله : اليوم أنتم عالة فلا يفلتنّ أحد منهم إلا بفداء أوضرب عنقه ، قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله ماقاله أبو بكر ولم يهو ماقلت وأخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون أوقية من الذهب وقيل أربعون أوقية إلا العباس فأخذ منه ثمانون أوقيـة عن نفسه وعن ابنى أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث ثمانون وأخذ منه وقت الحرب عشرون فجملة ماأخذ منه مائة وثمانون أوقية قال عمر فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله وأبو بكر يبكيان قلت يارسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت و إن لم أجد تباكيت لبكائكما فقال رسول الله أبكى للذى عرض لأصحابى من أخذهم الفداء فقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية » وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين فرسول الله لم يفعل إلا ماأبيح له

ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ) بالتاء والياء (لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) يبالغ فى قتل الكفار (تُرِيدُونَ) أيها المؤمنون (عَرَضَ الدُّنْيَا) حطامها بأخذ الفداء (وَاللَّهُ يُرِيدُ) لكم (الْآخِرَةَ) أى ثوابها بقتلهم (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وهذا منسوخ بقوله : فإما منًّا بعدُ و إما فداء (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) بإحلال الغنائم والأسرى لكم (لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ) من الفداء (عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ ،

و إنما عتابه تعليما لمن يتولى الأمور من أمته حسن السياسة من أنه لايقبل الفداء من الكفار حتى يكون قادرا عليهم وظافرا بهم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكن على الفوقية تتعين الامالة فى أسرى وعلى التحتية تجوز الامالة وعدمها (قوله حتى يثخن فى الأرض) أى حتى تظهر شوكة الاسلام وقوّته وذل الكافرين (قوله عرض الدنيا) أى متاعها ، سمى عرضا لزواله وعدم ثباته (قوله والله يريد الآخرة) أى يرضاها لكم (قوله وهومنسوخ) أى قوله : ما كان لنبىّ أن تكون له أسرى هكذا مشى المفسر على هذا القول وهوضعيف بل ماهنا مقيد بالاثخان أى كثرة القتال المترتب عليها عز الاسلام وقوّته ومايأتى فى سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الاسلام حيث قال ـ فاذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ـ فاذا علمت ذلك فالآيتان متوافقتان فى أن كلا يدل على أنه لابد من تقديم الاثخان ثم بعده الفداء (قوله لولا كتاب) لولا حرف امتناع لوجود وكتاب مبتدأ وجملة من الله صفة له وكذا قوله سبق والخبر محذوف تقديره موجود والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب باحلال الغنائم لمسكم الخ فهو عتاب على ترك الأولى لاعلى فعل منهى عنه تنزيها لرسول الله عن مثل ذلك (قوله فيما أخذتم) أى بسبب ماأخذتم فى للسببية (قوله حلالا) أى كلا حلالا (قوله طيبا) أى خالصا لاشبهة فيه (قوله ياأيها النبىّ قل لمن فى أيديكم من الأسارى) نزلت فى العباس عم رسول الله وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر وكان معه عشرون أوقية من ذهب فلما أخذ أسيرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسبها من فدائه فأبى وقال له شئ خرجت به لتستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس يامحمد أتتركنى أتكفف قريشا مابقيت فقال رسول الله فأين الذهب الذى وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها إنى لاأدرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل فقال العباس

وما يدريك يا ابن أخي فإني أعطيتها إياه في سواد الليل ولم يطلع عليه أحد إلا الله فقال أخبرني به ربي فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأنك صادق ، وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحارث فأسلما فنزل قوله تعالى : يا أيها النبيّ الآية فكان العباس يقول أبدلني الله خيرا مما أخذ مني عشرين عبدا تجارا يضربون بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفا مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي (قوله من الأسارى) بالامالة لاغير (قوله وفي قراءة الأسرى) أي بالامالة وتركها فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله من الفداء) بيان لما (قوله خيانتك) أي بنقض العهد الذي عاهدوك عليه وهو أن لا يحاربوك ولا يعاونوا عليك المشركين (قوله بما أظهروا من القول) أي قولهم رضينا بالاسلام (قوله فليتوقعوا) هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله : وإن يريدوا خيانتك (قوله إن الذين آمنوا وهاجروا) أي سبق لهم الايمان والانتقال مع رسول الله من مكة إلى المدينة وهم السابقون الأولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح الذين قال الله فيهم : للفقراء (١٣٦) المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (قوله بأموالهم وأنفسهم) متعلق بجاهدوا أي بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله (قوله والذين آووا النبيّ) أي والمهاجرين ولم يذكرهم المفسر لأنهم تبع لرسول الله (قوله وهم الأنصار) أي الذين قال الله فيهم : والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله في النصر

مِنَ الْأَسَارَى) وفي قراءة الأسرى (إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) إيمانا وإخلاصا (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَإِنْ يُرِيدُوا) أي الأسرى (خِيَانَتَكَ) بما أظهروا من القول (فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) قبل بدر بالكفر (فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) ببدر قتلا وأسرا فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) في صنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهم المهاجرون (وَالَّذِينَ آوَوْا) النبيّ صلى الله عليه وسلم (وَنَصَرُوا) وهم الأنصار (أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في النصرة والإرث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ) بكسر الواو وفتحها (مِنْ شَيْءٍ) فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة (حَتَّى يُهَاجِرُوا) وهذا منسوخ بآخر السورة (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) لهم على الكفار (إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) أي تولي المسلمين وقطع الكفار (تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) بقوة الكفر وضعف الإسلام

والارث) أي فكان الأنصار ينصرون المهاجرين وبالعكس وكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه معه رسول الله وبالعكس (قوله ولم يهاجروا) أي بأن أقاموا بمكة (قوله بكسر الواو وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من شيء) من زائدة وشيء مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله فلا إرث بينكم وبينهم) أي لا إرث بين المهاجرين والأنصار وبين الذين لم يهاجروا (قوله ولا نصيب لهم في الغنيمة) اعترض بأن الغنيمة لا يأخذها إلا من قاتل وهؤلاء لم يقاتلوا فالأولى حذف هذه العبارة (قوله وهذا منسوخ) اسم الاشارة عائد على ما تقدم من أن الارث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالايمان والهجرة ومنفي بين من لم يهاجر وبين الأنصار والمهاجرين (قوله بآخر السورة) أي وهو قوله : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله وإن استنصروكم في الدين) أي طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين والضمير عائد على الذين آمنوا ولم يهاجروا (قوله إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي من الكفار وهم أهل مكة (قوله وتنقضوا عهدهم) أي الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين (قوله في النصرة والارث) أي فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض (قوله فلا إرث بينكم وبينهم) أي ولا نصرة (قوله إلا تفعلوه) إن شرطية مدغمة في لا النافية تفعلوه فعل الشرط وتكن جواب الشرط ، والمعنى إن لم تفعلوا ماذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار بل توليتم الكفار

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ) أى بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة (وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ) أيها المهاجرون والأنصار (وَأُولُو الْأَرْحَامِ) ذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) فى الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكور فى الآية السابقة (فِي كِتَابِ اللهِ) اللوح المحفوظ (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه حكمة الميراث .

(سورة التوبة)

(مدنية ـ أو إلا الآيتين آخرها ـ مائة وثلاثون ، أو إلا آية)

ولم تكتب فيها البسملة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج فى معناه عن علىّ أن البسملة أمان وهى نزلت لرفع الأمن بالسيف ، وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب . وروى البخارى عن البراء :

وقطعتم المؤمنين تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير لأنه يترتب على ذلك قوة الكفار وضعف المسلمين ، وهذا ماحلّ به المفسر ويحتمل أن لازائدة . والمعنى إن تفعلوا ما نهيتم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين (قوله والذين آمنوا وهاجروا الخ) ليس مكررا مع ماتقدم لأن ماهنا بيان لفضلهم ، وماتقدم بيان لكونهم أولياء بعض وأيضا ماتقدم فى الهجرة قبل عام الحديبية وما هنا فى الهجرة قبل الفتح كان قبل الحديبية أو بعدها (قوله أولئك هم المؤمنون حقا) أى الكاملون فى الايمان بلا شك (قوله لهم مغفرة) أى لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أى لاتعب فيه ولا مشقة ، ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والأنصار مبشرون بالجنة من غير سابقة عذاب ، وأما ماورد من أن المبشرين عشرة فلأنهم جمعوا فى حديث واحد (قوله من بعد) أى بعد الحديبية وقبل الفتح لأنه بعد الفتح لاهجرة (قوله فأولئك منكم) أى محسوبون منكم وفى الآية دليل على أن المهاجرين الأولين أعلى وأجل من المتأخرين بالهجرة لأنّ الله ألحقهم بهم ، ومن المعلوم أن المفضول يلحق بالفاضل (قوله وأولوا الأرحام) هذه الآية نزلت بعد الفتح وهى ناسخة للآية المتقدمة وهى ميراث المهاجرين للأنصار (قوله من التوارث) متعلق بأولى (قوله أى اللوح المحفوظ) وقيل المراد به القرآن لأن قسمة المواريث مذكورة فى سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن (قوله ومنه حكمة الميراث) أى التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة بدون قرابة ونسخه ، والتوارث بالقرابة .

[سورة التوبة] مبتدأ ومدنية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله أو إلا الآيتين) إشارة إلى قول آخر (قوله آخرها) حال من الآيتين وأولهما : لقد جاءكم رسول فعلى أنهما مكيتان يكون معنى قوله فقل حسبى الله اكتف بالله واترك قتالهم ويكون منسوخا بآية السيف ، وعلى أنهما مدنيتان يكون المعنى كن مستعينا بالله واثقا به فى قتالهم ولا نسخ وهذه السورة من آخر القرآن نزولا لأنها نزلت بعد عزة الاسلام وانتشاره (قوله ولم تكتب فيها البسملة الخ) جواب عما يقال إن كل سورة مبتدأة بالبسملة إلا هذه السورة فما الحكمة فى ذلك ، فأجاب بأن رسول الله لم يأمر بذلك أى لكونه لم ينزل عليه وحى بها ، وهذا أصح الأقوال ولذا صدّر به المفسر ، وحاصل الخلاف فى حكمة عدم الاتيان بالبسملة خمسة أقوال : أولها ما قاله المفسر ، الثانى أنه سئل عثمان عن ذلك ، فأجاب بأنه ظن أنها مع الأنفال سورة لأن قصتها تشبه قصتها فعلى هذا القول تكون مع الأنفال تمام السبع الطوال ، الثالث أنها نزلت لنقض عهد الكفار ، وفضيحة المنافقين فهى سورة عذاب والبسملة رحمة ولا تجتمع رحمة مع عذاب ، وتسمى أيضا الفاضحة لفضيحة المنافقين بها وسورة العذاب ، وسورة التوبة لاشتمالها على ذكرها وغير ذلك من أسمائها . الرابع تركت البسملة لاختلاف الصحابة فى أن الأنفال وبراءة سورة واحدة أو سورتان ، فتركت البسملة لقول من قال هما سورة واحدة ، وتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان . الخامس : أن ذلك على عادة العرب فى الجاهلية إذا كان بينهم و بين قوم عهد ، فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة وهذه السورة نزلت لنقض عهود المشركين فلم تكتب فيها ، ثم اختلف العلماء فى ابتداء تلك السورة بها ، فقال ابن حجر من الشافعية :

بالحرمة، وقال الرملى بالكراهة وفى الاثناء يكره عند الأول، ويجوز عند الثانى، ومذهب مالك كذلك، وقد أشار لذلك صاحب الشاطبية بقوله:

ومهما تصلها أو بدأت براءة ... لتنزيلها بالسيف لست مبسملا

ولا بدّ منها فى ابتدائك سورة ... سواها وفى الاجزاء خير من تلا

(قوله أنها آخر سورة نزلت) أى من الآخر وإلا فالمائدة متأخرة عنها، وهذه السورة نزلت كاملة لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما أنزل علىّ القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا إلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد، فانهما نزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة (قوله براءة) أشارة المفسر إلى أن براءة خبر لمحذوف قدره بقوله هذه (قوله إلى الذين عاهدتم) متعلق بمحذوف صفة لبراءة قدره المفسر بقوله واصلة والمعنى هذه قطع وصلة صادرة من الله ورسوله واصلة إلى الذين عاهدتم من المشركين (قوله ونقض العهد) أى فى الصور الثلاثة (قوله فسيحوا) أمر إباحة للمشركين وهو مقول لقول محذوف والتقدير فقولوا لهم سيحوا وهذا بيان لعقد الأمان لهم أربعة أشهر وإنما اقتصر عليها لقوة الاسلام وكثرة المسلمين بخلاف صلح الحديبية، فكان عشر سنين لضعف المسلمين إذ ذاك (قوله أولها شوّال) أى وآخرها المحرم، وقيل أولها عشر ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسىء ثم صار فى السنة القابلة فى العاشر من ذى الحجة، وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خاق الله الحديث، وقيل أولها (١٢٨) عاشر ذى الحجة وآخرها عاشر ربيع الثانى (قوله بدليل ماسيأتى) أى فى قوله: فاذا انسلخ الأشهر الحرم (قوله واعلموا أنكم الخ) أى فلا تغتروا بعقد الأمان لكم (قوله وأذان) معطوف على قوله براءة من الله ورسوله عطف مفصل على مجمل (قوله إعلام) أى فالمراد الأذان اللغوى لا الشرعى الذى هو الاعلام بألفاظ مخصوصة (قوله يوم النحر) إنما سمى يوم الحج الأكبر لأن معظم أفعال الحج بهذه يكون فيه كالطواف والرمى والنحر والحلق واحترز بالحج الأكبر عن العمرة فهى الحج الأصغر لأن أعمالها أقل من أعمال الحج لأنه يزيد عليها بأمور كالرمى والمبيت والوقوف (قوله أن الله برىء الخ) هذه الجملة خبر عن قوله وأذان، وقوله يوم الحج الأكبر ظرف للأذان والمعنى وإعلام من الله ورسوله إلى الناس كائن فى يوم الحج الأكبر بأن الله برىء الخ (قوله ورسوله) القراء السبعة بل العشرة على الرفع عطف على الضمير المستتر فى برىء ووجد الفاصل وهو قوله من المشركين ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره برىء منهم أيضا، وقرىء شاذا بالنصب ووجهت بوجهين الأول أن الواو بمعنى مع ورسوله مفعول معه الثانى أنه معطوف على اسم أن وهو لفظ الجلالة، وقرىء شاذا أيضا بالجر ووجهت بأن الواو للقسم، واستبعدت تلك القراءة لايهام عطفه على المشركين حتى أن بعض الأعراب سمع رجلا يقرأ بها، فقال الأعرابى: إن كان الله بريئا من رسوله فأنا برىء منه فلببه القارىء إلى عمر، فحكى الأعرابى الواقعة فأمر عمر بتعليم العربية وتحكى هذه أيضا عن على وأبى الأسود الدؤلى (قوله وقد بعث الخ) حاصل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة، وأعانتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى، ووقف على رسول الله وأخبره الخبر، فقال رسول الله: لانصرت إن لم أنصرك وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة

أنها آخر سورة نزلت، هذه (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) واصلة (إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر فى قوله (فَسِيحُوا) سيروا آمنين أيها المشركون (فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) أوّلها شوال بدليل ماسيأتى ولا أمان لكم بعدها (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ) أى فائتى عذابه (وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ) مذلهم فى الدنيا بالقتل والأخرى بالنار (وَأَذَانٌ) إعلام (مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) يوم النحر (أَنَّ) أى بأن (اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وعهودهم (وَرَسُولُهُ) برىء أيضاً، وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليًّا من السنة، وهى سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى،

فلما كان سنة تسع أراد رسول الله أن يحج فقيل إن المشركين يحضرون و يطوفون بالبيت عراة فقال لاأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج و بعث معه أربعين آية من صدر براءة آخرها ـ ولو كره المشركون ـ ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة فلحق أبا بكر بالعرج بفتح العين وسكون الراء قرية جامعة بينها و بين المدينة ستة وسبعون ميلا ، فلما تلاقيا ظن أبو بكر أنه معزول ، فرجع إلى رسول الله فقال يارسول الله أأنزل فى شأنى شىء ؟ فقال لا ، ولكن لاينبغى لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلى ، أماترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار وأنك معى على الحوض ؟ فقال بلى يارسول الله ، فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلىّ بن أبى طالب يؤذن ببراءة ، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدّثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علىّ فأذن بما أمر به وهو لايطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه و بين النبى عهد فهو منقوض ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولايجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى الحج ، ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع ، إذا علمت ذلك تعلم أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة فى نقض عهود ماعدا قريش فان قريشا تم أمرهم بفتح مكة ، وفى ذلك قال المفسرون : لما خرج رسول الله إلى تبوك فكان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل

بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان » رواه البخارى (فَإِنْ تُبْتُمْ) من الكفر (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن الإيمان (فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَبَشِّرِ) أخبر (الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم وهو القتل والأسر فى الدنيا والنار فى الآخرة (إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا) من شروط العهد (وَلَمْ يُظَاهِرُوا) يعاونوا (عَلَيْكُمْ أَحَدًا) من الكفار (فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى) انقضاء (مُدَّتِهِمْ) التى عاهدتم عليها (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) باتمام العهود (فَإِذَا انْسَلَخَ) خرج (الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) وهى آخر مدة التأجيل (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فى حل أو حرم (وَخُذُوهُمْ) بالأسر (وَاحْصُرُوهُمْ) فى القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فَإِنْ تَابُوا) من الكفر (وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) ولاتتعرضوا لهم (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) مرفوع بفعل يفسره (اسْتَجَارَكَ) استأمنك من القتل (فَأَجِرْهُ) أمّنه ،

المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى ـ وإما تخافن من قوم خيانة ـ الآية ففعل رسول الله ما أمر به ونبذ لهم عهودهم (قوله بهذه الآيات) أى وهى ثلاثون أو أربعون آية آخرها ـ ولو كره المشركون ـ (قوله وأن لايحج) أى و بان لايحج فهو وما بعده من جملة ماأذن به (قوله فهو) أى التوبة المفهومة من قوله تبتم (قوله خير لكم) أى من بقائكم على الكفر الذى هو خير فى زعمكم أو اسم التفضيل ليس على بابه (قوله أخبر) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الاخبار وعبر عنه بالبشارة تهكما بهم (قوله إلا الذين عاهدتم) استثناء من المشركين فى قوله ـ براءة من الله ورسوله ـ إلى الذين عاهدتم من المشركين ـ وهو منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدّتهم وهذا أولى من جعله متصلا لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه (قوله ثم لم ينقصوكم) قرأ الجمهور بالصاد المهملة من النقصان وهو يتعدّى لواحد واثنين فالكاف مفعول أوّل وشيئا إمامفعول ثان أو مصدر أى لاقليلا ولا كثيرا من النقصان وقرىء شذوذا بالضاد والمعنى لم ينقضوا عهدكم وهى مناسبة لذكر العهد والقراءة الأولى مناسبة لذكر التمام فى مقابلتها (قوله ولم يظاهروا) أى هؤلاء المشركون وهم بنو ضمرة حى من كنانة (قوله إلى مدّتهم) أى وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر (قوله فاذا انسلخ الأشهرالحرم) أى انقضت وفرغت وتقدم للمفسرأنّ هذا يدلّ على أن أوّل المدة شوّال وهوأحد أقوال ثلاثة تقدمت (قوله حيث وجدتموهم) أى فى أىّ مكان (قوله واقعدوا لهم كل مرصد) أى لئلا ينتشروا فى البلاد (قوله وأقاموا الصلاة الخ) المراد أتوا بأركان الاسلام و إنما اقتصر على الصلاة والزكاة لأنهما رأس الأعمال البدنية والمالية (قوله ولاتتعرضوا لهم) أى لا لأنفسهم .لا لأموالهم فلاتأخذوامنهم جزية ولاأعشارا ولاغيرذلك (قوله و إن أحد من المشركين)

إن حرف شرط جازم وأحد فاعل بفعل محذوف يفسره قوله استجارك وهو فعل الشرط وقوله فأجره جواب الشرط وإنما أعرب أحد فاعلا بفعل محذوف لأن أدوات الشرط لايليها إلا الأفعال لفظا أو تقديرا سيما إن (قوله حتى يسمع كلام الله) أى فيتدبره ويعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن (قوله ثم أبلغه مأمنه) أى إن أراد الانصراف ولم يسلم وصله إلى قومه ليتدبر فى أمره ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم لقيام الحجة عليهم (قوله المذكور) أى من الاجارة والابلاغ (قوله يعلموا) أى مالهم من الثواب إن آمنوا وماعليهم من العقاب إن لم يؤمنوا (قوله أى لا يكون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب بمعنى النفى وهذا تأكيد لإبطال عهدهم ونقضه فى الآية المتقدمة (قوله إلا الذين عاهدتم) يصح أن يكون الاستثناء منقطعا أو متصلا فعلى الانقطاع يكون الموصول مبتدأ خبره جملة الشرط وهى قوله فما استقاموا لكم الخ وعلى الاتصال يكون للموصول منصوبا على الاستثناء (قوله يوم الحديبية) اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ (قوله وهم قريش المستثنون من قبل) أى فى قوله : إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا، وقد تبع المفسر فى ذلك ابن عباس وهو مشكل لأن هذه الآيات نزلت فى شوّال فى السنة التاسعة وقريش إذ ذاك مسلمون لأنها كانت نقضت فى السنة السابعة وحصل الفتح فى الثامنة فالصواب كما قال الخازن ان ذلك محمول على بنى ضمرة الذين دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل فكلهم نقضوا إلا بنى ضمرة فلم ينقضوا فلذا أمر رسول الله باتمام عهدهم إلى مدتهم (قوله وماشرطية) أى بمعنى إن ويصح كونها مصدرية ظرفية أى فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (قوله حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة) هذا مبنى على مافهمه أوّلا ولو مشى على الصواب لقال حتى فرغت مدتهم (و إن

(حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ) القرآن (ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) أى موضع أمنه وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر فى أمره (ذٰلِكَ) المذكور (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) دين الله فلابد لهم من سماع القرآن ليعلموا (كَيْفَ) أى لا (يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ) وهم كافرون بهما غادرون (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) أقاموا على العهد ولم ينقضوه (فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) على الوفاء به وما شرطية (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة (كَيْفَ) يكون لهم عهد (وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) يظفروا بكم (لَا يَرْقُبُوا) يراعوا (فِيكُمْ إِلًّا) قرابة (وَلَا ذِمَّةً) عهدا بل يؤذوكم مااستطاعوا وجملة الشرط حال (يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) بكلامهم الحسن (وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ) الوفاء به (وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) ناقضون للعهد (اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ) القرآن (ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا أى تركوا اتباعها للشهوات والهوى (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) دينه (إِنَّهُمْ سَاءَ) بئس (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عملهم هذا (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ . فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ) أى فهم إخوانكم (فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ) نبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون

(قوله كيف يكون لهم عهد) كرر الاستفهام زيادة فى التأكيد (قوله إلا) مفعول ليرقبوا وجمعه إلال كقداح (قوله قرابة) وقيل المراد به العهد وقيل المراد به الله تعالى وقيل الجؤار وهو رفع الصوت عند المحالفة لأنهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة والأقرب ماقاله المفسر (قوله عهدا) أى فالعطف للتفسير على تفسير الإل بالعهد (قوله يرضونكم) هذا بيان لحالهم عند عدم الظفر بالمسلمين إثر بيان حالهم عند الظفر بهم (قوله وتأبى قلوبهم) أى تمتنع من الاذعان والوفاء بما أظهروه (قوله اشتروا بآيات الله) أى استبدلوا آيات الله بالأعراض الفانية والشهوات الزائلة (قوله فصدّوا عن سبيله) أى منعوا الناس من اتباع دين الاسلام والإيمان (قوله إنهم ساء ما كانوا يعملون) أى لضلالهم وكفرهم وإضلالهم غيرهم (قوله لا يرقبون فى مؤمن) كرر ذلك لمزيد التشنيع والتقبيح عليهم لأن مقام الذم كمقام المدح البلاغة فيه الاطناب (قوله فان تابوا الخ) ليس فيه تكرار مع ماتقدم لاختلاف جواب الشرط لأن الأول أفاد تخلية سبيلهم، وهنا أفاد أنهم إخواننا فى الدين (قوله أى فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أن إخوانكم خبر لمحذوف والجملة فى محل جزم جواب الشرط (قوله يتدبرون) أى يتعقلون فيؤمنون وإنما فسر العلم بالتدبر لأن المراد به علم يحصل معه الاذعان لامطلق علم .

(قوله وإن نكثوا) النكث فى الأصل الرجوع إلى خلف ثم استعمل فى النقض مجازا بجامع أن كلا متأخر عن مطلوبه وهو مقابل قوله فإن تابوا الخ . والمعنى فإن أظهروا ما فى ضمائرهم من الشر فقاتلوا الخ (قوله وطعنوا فى دينكم) عطفه تفسير أو سبب على مسبب والأقرب الأول (قوله فقاتلوا) أمر لسيدنا محمد وأمته (قوله أئمة الكفر) بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما وتركه وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما وتركه وبإبدال الثانية ياء فهذه خمس قراآت غير شاذة هنا وفى الأنبياء وفى موضعى القصص وفى السجدة ، وأصله أأممة بوزن أفعلة أريد إدغام إحدى الميمين فى الأخرى فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التقبيح عليهم حيث وصفهم بكونهم رءوسا فى الكفر وكان مقتضى الظاهر فقاتلوهم (قوله لا أيمان لهم) بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى الحلف والمعنى لا عهود لهم متممة (قوله وفى قراءة بالكسر) أى فيكون مصدر آمن بمعنى أعطاه الأمان أو من الإيمان وهو التصديق (قوله ألا للتحضيض) أى وهو الطلب بحث وإزعاج لاتصافهم بصفات ثلاثة كل واحد منها يقتضى القتال (قوله وهموا بإخراج الرسول) إنما اقتصر على الاخراج مع أنه وقع منهم الهمّ بالقتل والهمّ بالإيثاق أيضا لأن أثر

الاخراج ظهر عقبه وهو خروجه منها

(وَإِنْ نَكَثُوا) نقضوا (أَيْمَانَهُمْ) مواثيقهم (مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) عابوه (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ) عهود (لَهُمْ) وفى قراءة بالكسر (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) عن الكفر (أَلَا) للتحضيض (تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا) نقضوا (أَيْمَانَهُمْ) عهودهم (وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وَهُمْ بَدَءُوكُمْ) بالقتال (أَوَّلَ مَرَّةٍ) حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بنى بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم (أَتَخْشَوْنَهُمْ) أتخافونهم (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ) فى ترك قتالهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ) يقتلهم (بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ) يذلهم بالأسر والقهر (وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) بما فعل بهم هم بنو خزاعة (وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) كربها (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) بالرجوع إلى الإسلام كأبى سفيان (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا) لم (يَعْلَمِ اللَّهُ) علم ظهور (الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) بإخلاص (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً) بطانة وأولياء ، المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ) ،

بإذن ربه لا خوفا منهم ، ولذا ورد : اللهم كما أخرجتنى من أحب البلاد إلىّ فأسكنى فى أحب البلاد إليك (قوله بدار الندوة) تقدم أنها مكان اجتماع القوم للمشاورة والحديث والبانى لها قصىّ ، وقد أدخلت الآن فى المسجد فهى فى مقام الحنفى (قوله حيث قاتلوا خزاعة) أى أعانوهم بالسلاح ثم اعلم أن صريح المفسر حمل ذلك على قريش وهو مناف لما تقدم من أن السورة نزلت سنة تسع وقريش إذ ذاك مسلمون

(قوله فما يمنعكم أن تقاتلوهم) أشار بذلك إلى أن المراد من التحضيض الأمر مع التوبيخ (قوله فى ترك قتالهم) متعلق بقوله أتخشونهم (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله قاتلوهم) هذا أمر ذكر فى جوابه خمسة أمور (قوله هم بنو خزاعة) يؤخذ من ذلك أنهم مؤمنون إذ ذاك (قوله ويتوب الله) بالرفع استئناف ولم يجزم لأن التوبة على من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار (قوله بمعنى همزة الانكار) الحق أنها بمعنى بل والهمزة معا كما تقدم له (قوله أن تتركوا) أى يترككم الله من غير قتال (قوله ولما يعلم الله) الجملة حالية (قوله علم ظهور) دفع بذلك ما يقال كيف ينفى علم الله مع أنه متعلق بكل شىء وجد أو لم يوجد (قوله بإخلاص) أى مع إخلاص (قوله وليجة) من الولوج وهو الدخول والمعنى بل أظننتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم آمنا بل حتى يظهر المجاهد منكم مع الاخلاص من غيره ولم تتخذوا فى الله ولا رسوله ولا المؤمنين شيئا تدخلونه فى قلوبكم غير محبة الله ورسوله وللمؤمنين (قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر منهم العباس عم رسول الله فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله يعيرونهم بالشرك وجعل علىّ بن أبى طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله وقطيعة الرحم ،

قال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن ؟ قال نعم نحن أفضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أى نخدمها ونسقى الحجيج ونفك العانى (قوله بالافراد والجمع) أى فهما قراءتان سبعيتان فالافراد إما على أن المراد المسجد الحرام أو على أن المسجد اسم جنس فيدخل فيه جميع المساجد والجمع إما على أن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد أوالجمع باعتبار أنه قبلة لسائر المساجد (قوله شاهدين على أنفسهم بالكفر) قيل المراد به السجود للأصنام لأن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام فلم يزدادوا بذلك إلا بعدا من الله (قوله أولئك حبطت أعمالهم) أى الحسنة التى افتخروا بها من خدمة المساجد وفك الأسير وسقاية الحاج وغير ذلك (قوله إنما يعمر مساجد الله) بالجمع باتفاق السبعة وعمارتها تكون ببنائها من المال الحلال والصلاة فيها وغير ذلك (قوله أن يكونوا من المهتدين) أى أن يحشروا فى زمرتهم يوم القيامة (قوله أجعلتم سقاية الحاج) ردّ على العباس وغيره كما يأتى للمفسر حيث افتخروا بذلك وقالوا إن هذا شرف لايضاهى ، والسقاية فى الأصل هى المحل الذى يجعل فيه الشراب فى الموسم كانوا ينبذون الزبيب فى ماء زمزم ويسقونه الناس أيام الحج وكان الفاعل لذلك العباس فى الجاهلية واستمرت معه السقاية فى الاسلام فهى لآل العباس أبدا (قوله أى أهل ذلك) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف والتقدير أجعلتم أهل سقاية الحاج الخ وقد دفع بذلك مايقال كيف يشبه المعنى وهو السقاية بالذات وهو من آمن (قوله لايستوون عند الله فى الفضل) أى الأخروى لأن فضل أهل السقاية والعمارة دنيوى (قوله أوغيره) أو بمعنى الواو

بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه (شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) لعدم شرطها (وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ) أحداً (إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى أهل ذلك (كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) فى الفضل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين ، نزلت ردًّا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً) رتبة (عِنْدَ اللَّهِ) من غيرهم (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) الظافرون بالخير (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ) دائم (خَالِدِينَ) حال مقدرة (فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا) اختاروا (الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

لأن أهل مكة كانوا يفتخرون بذلك ويزعمون أن هذا فخر لايضاهى (قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وما عطف عليه وهو الهجرة والجهاد (قوله من غيرهم) يدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار فمقتضاه أن لهم درجة لكنها ليست أعظم ، والجواب أن ذلك إما باعتبار مايعتقدونه من أن لهم درجة ورتبة أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يستكملوا الأوصاف الثلاثة (قوله وأولئك هم الفائزون) أى الكاملون فى الفوز بالنسبة للمؤمن الذى لم يستكمل الأوصاف الثلاثة أو المراد الذين لهم أصل الفوز بالنسبة لأهل السقاية والعمارة (قوله يبشرهم ربهم برحمة الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء جزاء على الصفات الثلاثة فالرحمة فى مقابلة الايمان لتوقف الرحمة عليه ، والرضوان فى مقابلة الجهاد لأنه بذل الأموال والأنفس فى مرضاة الله ، والرضوان نهاية الاحسان فكان فى مقابلته والجنة فى مقابلة الهجرة لأن فى الهجرة ترك الأوطان فبدلوا وطنا فى الآخرة أعلى وأجلّ مما تركوه ، وإنما قدمت الرحمة والرضوان إشارة إلى أنهما يكونان فى الدنيا والآخرة وأخرت الجنة إشارة إلى أنها مختصة بالآخرة ولأنها آخر العطايا (قوله حال مقدرة) أى لأنهم حين الدخول ليسوا خالدين وإنما هم منتظرون (قوله ونزل فيمن ترك الهجرة) قال ابن عباس « لما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله أن لاتضيعنا فيرقّ لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله تعالى هذه الآية .

(قوله قل إن كان آباؤكم) نزلت لما قال الذين أسلموا ولم يهاجروا نحن إن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وتخربت ديارنا وتقطعت أرحامنا ، و يؤخذ من ذلك أنه إذا تعارض أمر من أمور الدين مع مصالح الدنيا يقدم أمر الدين ولو لزم عليه تعطيل أمر الدنيا (قوله و إخوانكم) أى حواشيكم ، والمراد بهم هنا إخوان النسب و إن شاع جمع أخ النسب على إخوة وأخ الدين على إخوان (قوله أقرباؤكم) وقيل هم من بينك و بينهم معاشرة مطلقا ولو غير قريب فهو عطف عام على ماقبله على كل حال (قوله وفى قراءة عشيراتكم) أى وهى سبعية وقرأ الحسن عشائركم (قوله ترضونها) أى ترضون الإقامة فيها (قوله أحب إليكم) خبر كان واسمها آباؤكم وماعطف عليه (قوله فقعدتم لأجله) قدره ليترتب عليه قوله فتربصوا وجملة فتربصوا جواب الشرط (قوله حتى يأتى الله بأمره) قال ابن عباس هو فتح مكة اهـ ، إذا علمت ذلك تعلم أن هذا مشكل مع ماتقدم ومع مايأتى من أن السورة نزلت بعد الفتح إلا أن يقال إن بعض السورة نزل قبل الفتح بحسب الوقائع والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح ولاغرابة فى ذلك فتدبر (قوله تهديد لهم) أى تخويف (قوله الفاسقين) عبر عنهم أولا بالظالمين إشارة إلى أن الكفار موصوفون بكل وصف قبيح (قوله لقد نصركم الله) الخطاب للنبى وأصحابه بتعداد النعم عليهم (قوله فى مواطن)

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ) أقرباؤكم وفى قراءة عشيراتكم (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا) اكتسبتموها (وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) عدم نفاقها (وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ) فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد (فَتَرَبَّصُوا) انتظروا (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) تهديد لهم (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ) للحرب (كَثِيرَةٍ) كبدر وقريظة والنضير (وَ) اذكر (يَوْمَ حُنَيْنٍ) وادٍ بين مكة والطائف أى يوم قتالكم فيه هوازن وذلك فى شوال سنة ثمان (إِذْ) بدل من يوم (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثنى عشر ألفا والكفار أربعة آلاف (فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ما مصدرية أى مع رحبها أى سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه لشدة ماحقكم من الخوف (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) منهزمين وثبت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس ، وأبو سفيان آخذ بركابه (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طمأنينته (عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فردوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا (وَأَنْزَلَ جُنُودًا

جمع موطن كمواعد وموعد و يرادفه الوطن وهو محل السكنى (قوله وقريظة والنضير) الكلام على حذف مضاف أى وموطن قريظة وموطن النضير (قوله و يوم حنين) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وقيل معطوف على مواطن من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان ورد بأنه يقتضى أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم يرجع لقوله مواطن أيضا لأنه بدل من يوم حنين ولايصح ذلك لأن كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن بل فى خصوص حنين فتعين ماقدره المفسر (قوله وادبين مكة والطائف) أى و بينهما ثمانية عشر ميلا وفى بعض العبارات ثلاث ليال (قوله هوازن) أى وهم قبيلة حليمة السعدية (قوله سنة ثمان) أى من الهجرة وهى سنة فتح مكة لأن مكة فتحت فى رمضان وغزوة هوازن فى شوال عقبه (قوله من قلة) أى من عدد قليل (قوله وكانوا اثنى عشر ألفا) عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الذين أسلموا فى مكة بعد فتحها (والكفار أربعة آلاف) الذى فى شرح المواهب أنهم أكثر من عشرين ألفا (قوله فلم تغن عنكم شيئا) أى لم تنفعكم ولم تدفع عنكم شيئا (قوله أى مع رحبها) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع والجملة حال أى ملتبسة برحبها والرحب بالضم السعة و بالفتح الواسع (قوله وليس معه غير العباس) أى وقد كان آخذا بلجام بغلته (قوله وأبو سفيان) أى ابن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح ، وفى بعض السير أن الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حنين مائة ، ثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الأنصار ، و يجمع بين ماقاله المفسر وغيره بأنه لم يبق متصلا بالبغلة إلا اثنان والباقون مشتغلون بالحرب لم يفروا (قوله فردوا) أى رجعوا جميعا كالفصيل الضال عن أمه إذا وجدها (قوله لما ناداهم العباس) أى وكان صيتا يسمع صوته من نحو ثمانية أميال .

(قوله لم تروها) قيل كانوا خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا ولم يقاتلوا بل نزلوا لتقوية قلوب المسلمين ، وروى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة ، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم فى آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، وروى أن الملائكة الذين نزلوا يوم حنين عليهم عمائم حمر راكبين خيلا بلقا (قوله بالقتل) أى لبعضهم وهم أكثر من سبعين (قوله والأسر) أى للنساء والذرارى وكانوا ستة آلاف ولم تقع غنيمة أعظم منها ، فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا وقيل أربعة وعشرون ألفا ومن الغنم ما لا يحصى وكان فيها غير ذلك ولما هزمهم قصد إلى الطائف وأمر بجعل الغنائم فى الجعرانة حتى يأتى إليهم ، فلما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ فى قسمة الغنائم ، وكان فى السبى أخت رسول الله من الرضاع وهى بنت حليمة السعدية فأطلقها رسول الله وأكرمها وردها لقومها فأخبرتهم بما وقع لها من رسول الله من الاكرام ، فكان ذلك باعثا على إسلامهم ، فأتى منهم جماعة وقالوا يارسول الله : أنت خير الناس وأبرّهم فاردد علينا أموالنا وأهالينا ؟ فقال لهم : إن خير القول أصدقه اختاروا إما أموالكم وإما ذراريكم ونساءكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فقال لهم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وأما ما كان لغيرهم فسأطلب فيه معروفهم ثم قال لهم إذا أنا صليت فتقدموا إلىّ وأخبرونى بذلك ففعلوا كما أمروا ، فقال صلى الله عليه وسلم من طابت نفسه بشىء أن يرده فليفعل ، فقالوا رضينا بذلك وسلموه الأموال والأسارى (قوله إنما المشركون نجس) القراءة السبعية بفتحتين ، وفيه لغات أخرى ككتف وعضد والمعنى أنهم نجس نجاسة معنوية لاحسية ، وقال ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير ، وقال الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف ذلك فإنهم طاهرون لأنهم داخلون فى آية ولقد كرمنا بنى آدم (قوله فلا يقربوا المسجد الحرام الخ)

لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ) منهم بالإسلام (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) قذر لخبث باطنهم (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) أى لا يدخلوا الحرم (بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا) عام تسع من الهجرة (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً)فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) وقد أغناهم بالفتوح والجزية (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) وإلا لآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ،

قال العلماء جملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة أقسام : أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال . وجوّز أبو حنيفة دخول المعاهد ، الثانى الحجاز فلا يجوز للكافر دخوله إلا بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما فى الحديث « لا يبقين دينان فى جزيرة العرب » وحدّها طولا من أقصى عدن إلى ريف العراق ، وعرضا من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام ، الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان ولكن لا يدخل المساجد إلا لغرض شرعى (قوله عام تسع) أى وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح وما يوهم خلاف ذلك يجب تأويله (قوله وإن خفتم عيلة الخ) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر عليا أن يقرأ على المشركين أول براءة خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش لامتناع المشركين من دخول الحرم واتجارهم فيه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله فقرا) فى المصباح العيلة بالفتح الفقر وهى مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة ، وفى المختار وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل كجيد والجمع عيائل كجيائد وأعال الرجل كثرت عياله (قوله وقد أغناهم بالفتوح) أى فأسلم أهل صنعاء وجدة وتبالة بفتح التاء وجرش بضم الجيم وفتح الراء بعدها شين معجمة قريتان من قرى اليمن وجلبوا إليهم الميرة وصاروا فى أرغد عيش (قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الخ) شروع فى ذكر قتال أهل الكتابين إثر بيان قتال مشركى العرب وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فلما نزلت توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك (قوله وإلا لآمنوا بالنبى) جواب عما يقال إن ظاهر الآية يقتضى نفى إيمانهم بالله

واليوم الآخر مع أنهم يزعمون الايمان بالله واليوم الآخر ، وفي كلام المفسر إشارة لقياس استثنائي وتقريره أن يقال لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكنهم لم يؤمنوا بالنبي فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر وأيضا دعواهم الايمان بالله باطلة لأنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه ولا شك في كونه كفرا وكذلك دعواهم الايمان باليوم الآخر باطلة لأنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ، فتحصل أن كفرهم بهذه الأمور وبتكذيبهم النبي ، ومن كذب نبيا فقد كفر بالله واليوم الآخر . قال تعالى : إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (قوله كالخمر) أي والخنزير والربا وكل محرم في شرعنا فانهم مخاطبون بفروع الشريعة ويعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله دين الحق) من إضافة الموصوف لصفته (قوله الناسخ لغيره) أي الماحي له فمن اتبع غير الاسلام فهو كافر قال تعالى : إن الدين عند الله الاسلام . وقال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ويصح أن يراد بالحق الله سبحانه وتعالى لأن من أسمائه الحق والمراد بدين الله الاسلام (قوله حتى يعطوا الجزية) غاية لقتالهم وسميت جزية لأنها جزاء لكف القتال عنهم وتأمينهم (قوله الخراج المضروب عليهم) أي الذي يجعله الامام على ذكورهم الأحرار البالغين الموسرين (قوله أي منقادين) تفسير باللازم أي فاليد كناية عن الانقياد (قوله لا يوكلون بها) أي فاليد على حقيقتها وهذا التفسير يناسب مذهب مالك لأن عنده لا يجوز التوكيل في دفعها بل كل واحد يدفع جزيته بيده ، وحين دفعها يبسط الكافر يده بها ويأخذها المسلم من يده لتكون يد المسلم هي العليا ثم بعد أخذها يصفعه المسلم على قفاه وعند الشافعي يجوز التوكيل في دفعها (قوله وقالت اليهود الخ) هذا من تفصيل عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، وعزير بالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان فالصرف على أنه عربي فلم توجد فيه إلا علة واحدة وعدمه على أنه أعجمي ففيه العلتان وابن خبر عزير فيرسم بالألف لأنه ليس بصفة للعلم . وسبب تلك المقالة على

كالخمر (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام (مِنَ) بيان للذين (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي اليهود والنصارى (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) الخراج المضروب عليهم كل عام (عَنْ يَدٍ) حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها (وَهُمْ صَاغِرُونَ) أذلاء منقادون لحكم الإسلام (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ) عيسى (ابْنُ اللَّهِ ، ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ ،

ما قاله ابن عباس أن عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ومسحها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا إلى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه فأذن في قومه وقال ياقوم قد آتاني الله التوراة وردها علي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ماشاء الله ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا إلا لأنه ابن الله (قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله) المسيح لقب له إما لأنه مامسح على ذي عاهة إلا برئ أو لأنه ممسوح بالبركة. وسبب مقالتهم أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء أنه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت أن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال اسم واحد نسطورا والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطورا أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان وأنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال ، فلما تمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خالصتي وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ثم قال لهم إني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم إني سأذبح نفسي تقربا إلى عيسى ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه وتفرقوا

أولئك الثلاثة مذهب واحد إلى الروم وواحد إلى بيت المقدس والآخر إلى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس إليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا (قوله بأفواههم) من المعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه فذكرها مبالغة فى الرد عليهم (قوله يضاهون) بضم الهاء بعدها واو و بكسر الهاء بعدها همزة مضمومة ثم واو قراءتان سبعيتان (قوله قاتلهم الله) أى أبعدهم عن رحمته فهو دعاء عليهم (قوله أنى يؤفكون) استفهام تعجب والاستفهام راجع إلى الخلق لأن الله يستحيل عليه التعجب (قوله اتخذوا) أى اليهود والنصارى (قوله أحبارهم) جمع حبر بالفتح والكسر والثانى أفصح العالم الماهر (قوله حيث اتبعوهم) أشار بذلك إلى أنهم لم يتخذوهم أربابا حقيقة بل للعنى كالأرباب فى شدة امتثالهم أمرهم (قوله والمسيح ابن مريم) بالنصب عطف على أحبارهم والمفعول الثانى محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره ربا (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية (قوله لا إله إلا هو) صفة ثانية لإلها (قوله شرعه وبراهينه) أى الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وهى ثلاثة أمور: أحدها المعجزات الظاهرات، ثانيها القرآن العظيم، ثالثها كون دينه الذى أمر باتباعه وهو دين الاسلام ليس فيه شىء سوى تعظيم الله والانقياد لأمره ونهيه والتبرى من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة واضحة فى صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فمن أراد إبطال ذلك فقد خاب سعيه (قوله إلا أن يتم نوره) أى يعليه ويرفع شأنه (قوله ولو كره الكافرون) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير ولو كره الكافرون إتمامه لأتمه ولم يبال بهم (قوله بالهدى) أى القرآن (قوله ودين الحق) أى دين الاسلام (قوله جميع الأديان المخالفة له) أى بنسخه لها (قوله ولو كره المشركون) كرر لمزيد التهكم بهم والرد عليهم ووصفهم أولا بالكفر وثانيا بالاشراك إشارة إلى أنهم اتصفوا بكل منهما (قوله يا أيها الذين آمنوا إنّ كثيرا من الأحبار الخ) لما بين عقائد الأتباع وصفاتهم أى شرع فى بيان صفات الرؤساء، والأحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى وفى قوله كثيرا إشارة إلى أن الأقل من الأحبار والرهبان لم يكونوا كذلك كعبد الله بن سلام وأضرابه من الأحبار والنجاشى وأضرابه من الرهبان (قوله يأخذون) أشار بذلك إلى أن المراد بالأكل الأخذ فأطلق الخاص وأريد العام من باب تسمية الشىء باسم جزئه الأعظم لأن معظم المقصود من أخذ الأموال أكلها (قوله بالباطل) قيل هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم، وقيل هو تغيير صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم الكائنة فى التوراة والانجيل، وقيل ماهو أعم وهو الأحسن والباعث لهم على ذلك حب الرياسة وأخذ الأموال (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرها جمع رشوة بالضم على الأول والكسر على الثانى وفى القاموس الرشوة مثلثة وهى الجعل على الحكم وهى حرام ولو على الحكم بالحق فما بالك بأخذها على الحكم بالباطل أما حبل الاستقاء فيقال فيه رشاء بالكسر والمد (قوله ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (قوله والذين يكنزون) الكنز فى الأصل جمع المال ودفنه وعدم الانفاق منه. واختلف فى المراد بالذين يكنزون الذهب والفضة فقيل المراد بهم أهل الكتاب لأن شأنهم الحرص وكنز المال وقال ابن عباس نزلت فى مانعى الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة وقال أبو ذر نزلت فى أهل الكتاب والمسلمين الذين يمنعون

بِأَفْوَاهِهِمْ) لا مستند لهم عليه بل (يُضَاهِئُونَ) يشابهون به (قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ) من آبائهم تقليداً لهم (قَاتَلَهُمُ) لعنهم (اللهُ أَنَّى) كيف (يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق مع قيام الدليل (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ) علماء اليهود (وَرُهْبَانَهُمْ) عباد النصارى (أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ) حيث اتبعوهم فى تحليل ما حُرّم وتحريم ما أحل (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا) فى التوراة والانجيل (إِلاَّ لِيَعْبُدُوا) أى بأن يعبدوا (إِلَٰهًا وَاحِدًا لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ) تنزيها له (عَمَّا يُشْرِكُونَ. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ) شرعه وبراهينه (بِأَفْوَاهِهِمْ) بأقوالهم فيه (وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ) يظهر (نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ذلك (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ) محمداً صلى الله عليه وسلم (بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) يعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) جميع الأديان المخالفة له (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ) يأخذون (أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) كالرشا فى الحكم (وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) دينه (وَالَّذِينَ) مبتدأ (يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا)،

الزكاة والحقوق الواجبة ، روى أن أبا ذر اختلف مع معاوية فى هذه الآية فقال معاوية نزلت فى أهل الكتاب وقال أبوذر نزلت فينا وفيهم فكتب معاوية وكان أميرا على الشام إلى عثمان يشكوه فكتب عثمان إلى أبى ذر أن اقدم إلى المدينة فقدم فازدحم عليه الناس حتى كأنهم لم يروه قبل ذلك فأخبر عثمان بذلك فقال له إن شئت تنحيت فكنت قريبا منا فنزل بالربذة وقال ولو أمروا علىّ عبدا حبشيا لسمعت وأطعت (قوله أى الكنوز) أى المدلول عليها بقوله يكنزون ودفع بذلك ما يقال إن المتقدم شيئان الذهب والفضة فكان مقتضاه تثنية الضمير فلم أفرد ؟ فأجاب بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق (قوله فبشرهم) إنما سمى بشارة تهكما بهم و إشارة إلى أنه بمنزلة الوعد فى عدم تخلفه (قوله يوم يحمى عليها)ظرف لقوله بعذاب أليم و يحمى يجوز أن يكون من حميته وأحميته ثلاثيا ورباعيا يقال حميت الحديدة وأحميتها أوقدت عليها لتحمى والفاعل محذوف تقديره يوم تحمى النار عليها أى تتقد على تلك الكنوز فتكوى بها جباههم الخ ، فلما حذف الفاعل ذهبت علامة التأنيث ولذلك قرئ بالتاء من فوق وأنيب الجار والمجرور منابه ولتضمنه معنى الايقاد عدى بعلى (قوله جباههم) المراد بها جهة الأمام بدليل المقابلة (قوله وتوسع جلودهم) أى حتى لايوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم وذلك بعد جعلها صفائح من نار (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن الكنوز لاتذاق وهذا عذابه فى الآخرة ، وورد أنه يصور ماله فى قبره بصورة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه أى شدقيه و يقول له أنا كنزك أنا مالك فلا مانع من حصول الجميع له أجارنا الله من أسباب ذلك (قوله إن عدة الشهور الخ) المقصود من ذلك الرد على الجاهلية حيث يزيدون فى الأشهر بحسب أهوائهم الفاسدة فرارا من القتال فى الأشهر الحرم فإنهم كانوا يعظمون الأشهر الحرم فلا يقاتلون فيها فكانوا إذا اضطروا للقتال فيها ادعوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها فربما جعلوا السنة أربعة عشر شهرا أو أزيد بحسب ماتسوله عقولهم الفاسدة (قوله عند الله) ظرف متعلق بمحذوف صفة للشهور (قوله اثنا عشر شهرا) وهذه شهور السنة القمرية العربية التى يعتد بها المسلمون فى عباداتهم كالصيام والحج وسائر أمورهم ، وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما ، والسنة الشمسية وتسمى القبطية ، وهى عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة ، وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية إما عشرة أيام أو أحد عشر يوما خمسة أيام نقص الشهور العربية وخمسة أيام النسئ إن كانت السنة بسيطة وستة أيام إن كانت كبيسة فكل أربع سنين تأتى فيها سنة كبيسة فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف (قوله فى كتاب الله) صفة لاثناعشر (قوله محرمة) أى معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات (قوله ذو القعدة) بفتح القاف وكسرها والفتح أفصح عكس الحجة (قوله بالمعاصى) أى فظلم النفس يكون بمخالفة الله لأنه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لدخول النار (قوله فانها فيها أعظم وزرا) أى أشد إثما منه فى غيرها (قوله وقاتلوا المشركين كافة) هذه الآية ناسخة لآية البقرة المفيده حرمة القتال فى الأشهر الحرم ، قال تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية وقوله كافة مصدر فى موضع الحال من فاعل قاتلوا أومن المشركين ولايثنى ولايجمع ولا تدخل عليه أل ولا يتصرف فيه بغير الحال

أى الكنوز (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لايؤدون منها حقه من الزكاة والخير (فَبَشِّرْهُمْ) أخبرهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى) تحرق (بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها و يقال لهم (هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) أى جزاءه (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ) المعتد بها للسنة (عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) اللوح المحفوظ (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا) أى الشهور (أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) محرمة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب (ذَٰلِكَ) أى تحريمها (الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) أى الأشهر الحرم (أَنْفُسَكُمْ) بالمعاصى فإنها فيها أعظم وزرا ، وقيل فى الأشهر كلها (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) جميعا فى كل الشهور (كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ،

(قوله بالعون والنصر) أى لمعيته مع المتقين زائدة على معيته مع الخلق أجمعين المشار لها بقوله تعالى ـ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ـ لأنها معية تصريف وتدبير وذلك لايختص بالانسان بل مع كل مخلوق حيوانا وجمادا (قوله إنما النسيء) فعيل بمعنى مفعول والمراد به تأخيرهم حرمة المحرم إلى صفر كما فى المختار وهذه قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء وفى قراءة سبعية بابدال الهمزة ياء و إدغام الياء فيها وقرئ شذوذا بسكون السين و بفتح النون و بضم السين بوزن فعول (قوله كما كانت الجاهلية تفعله) أى لأن الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها وكانت معايشهم من الغزو وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية فأخروا تحريم شهر إلى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فاذا احتاجوا إلى القتال أخروا التحريم إلى ربيع الأول وهكذا حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين والمحرم كذلك وهكذا باقى الشهور فوافقت حجة أبى بكر فى السنة التاسعة ذا القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فوافقت شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة فى اليوم التاسع وخطب الناس فى اليوم العاشر بمنى حيث قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم بعضا ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت مرتين (قوله إذا هل) بالبناء للفاعل وللمفعول ويقال استهل وهل إذا رفع الصوت عند ذكره وبذلك سمى الهلال (قوله بضم الياء) أى مع فتح الضاد مبنيا للمفعول فى السبعة ومع كسر الضاد مبنيا للفاعل فى العشرة (قوله وفتحها) أى مع كسر الضاد لاغير وهى سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا واحدة عشرية واثنتان سبعيتان (قوله أى النسيء) المراد به هنا اسم المفعول أى المنسوء أى المؤخر وهو تحريم بعض الشهور (قوله يحلونه عاما) فيه وجهان أحدهما أن الجملة تفسيرية للضلال الثانى أنها حالية (قوله ليواطئوا) تنازعه كل من يحلونه و يحرمونه فيجوز إعمال الثانى أو الأول (قوله إلى أعيانها) أى الأربعة التى اشتهر تحريمها لأنهم لو التزموا أعيانها لم يضلوا (قوله زين لهم سوء أعمالهم) بالبناء للمفعول والمزين لهم الشيطان (قوله لايهدى القوم الكافرين) أى لايوصلهم للسعادة (قوله ونزل لما دعا الخ) أى من هنا إلى قوله إنما الصدقات فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من منافقين وغيرهم (قوله إلى غزوة تبوك) بالصرف على إرادة البقعة ومنعه للعلمية والتأنيث وكانت فى السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف . وسبب توجهه لها أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء وكان صلى الله عليه وسلم قليلا ما يخرج فى غزوة إلا ورّى عنها بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك وذلك لبعد المسافة لأنها على طرف الشام بينها و بين المدينة أربع عشرة مرحلة فأمرهم بالجهاد و بعث إلى مكة وقبائل العرب وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وأنفق عثمان نفقة عظيمة فجهز عشرة آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير تسعمائة بعير ومائة فرس وما يتعلق بذلك وجاء

بالعون والنصر (إِنَّمَا النَّسِيءُ) أى التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هلّ وهم فى القتال إلى صفر (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) لكفرهم بحكم الله فيه (يُضَلُّ) بضم الياء وفتحها (بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ) أى النسيء (عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عِدَّةَ) عدد (مَا حَرَّمَ اللَّهُ) من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها (فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) فظنوه حسنا (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى غزوة تبوك ، وكانوا

أبو بكر بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة و بعثت النساء بكل مايقدرن عليه من حليهن فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى وقيل على بن أبى طالب وتخلف عبد الله بن أبى ومن كان معه من المنافقين فبعد أن خرج بهم إلى ثنية الوداع متوجها إلى تبوك عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر ورايته العظمى للزبير وراية الأوس لأسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وارتووا هم وخيلهم وركابهم وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة فأتاه يحنة بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تأنيث ابن رؤبة بضم الراء فهمزة ساكنة فموحدة صاحب أيلة وأهدى له بغلة بيضاء فكساه النبي رداء وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل أيلة كتابا تركه عندهم ليعملوا به وقد استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزة

وكانوا فى عسرة وشدة حر فشق عليهم (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ) بادغام التاء فى الأصل فى الثاثة واجتلاب همزة الوصل أى تباطأتم وملتم عن الجهاد (إِلَى الْأَرْضِ) والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ (أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولذاتها (مِنَ الْآخِرَةِ) أى بدل نعيمها (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي) جنب متاع (الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) حقير (إِلَّا) بادغام لا فى نون إن الشرطية فى الموضعين (تَنْفِرُوا) تخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم للجهاد (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أى يأت بهم بدلكم (وَلَا تَضُرُّوهُ) أى الله أو النبى صلى الله عليه وسلم (شَيْئًا) بترك نصره فإن الله ناصر دينه (وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه نصر دينه ونبيه (إِلَّا تَنْصُرُوهُ) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ) حين (أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من مكة أى ألجئوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة (ثَانِيَ اثْنَيْنِ)،

تبوك فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها فانصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة ولما دنا من المدينة تلقاه المتخلفون فقال لأصحابه لاتكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فصار الرجل يعرض عن أبيه وأخيه (قوله وكانوا فى عسرة) أى قحط وضيق عيش حتى إن الرجلين ليجتمعان على التمرة الواحدة (قوله وشدة حر) أى حتى كانوا يشربون الفرث (قوله فشق عليهم) أى فتخلف عنهم عشر قبائل ويقال لها غزوة العسرة والفاضحة لأنها أظهرت حال المنافقين (قوله مالكم) مامبتدأ ولكم خبره واثاقلتم حال و إذا ظرف لتلك الحال مقدم عليها والتقدير أى شىء ثبت لكم من الضرر حال كونكم متثاقلين وقت قول الرسول لكم انفروا الخ (قوله بادغام التاء الخ) أى فالأصل تثاقلتم أبدلت التاء ثاء وأدغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله وملتم) قدره اشارة إلى أنه ضمن اثاقلتم معنى ملتم فعداه بالى (قوله أرضيتم) الاستفهام للتوبيخ والتعجب (قوله حقير) أى لأن لذات الدنيا خسيسة مشوبة بالكدرات والآفات سريعة الزوال بخلاف لذات الآخرة فهى شريفة منزهة عن الأقذار والأكدار باقية لامنتهى لها (قوله بادغام لافى إن) العبارة فيها قلب والأصل بادغام إن فى لام لا (قوله فى الموضعين) أى هذا وقوله إلا تنصروه (قوله يعذبكم عذابا أليما) قيل المراد فى الآخرة وقيل المراد فى الدنيا باحتباس المطر لما روى أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (قوله ويستبدل قوما غيركم) قيل المراد بهم أبناء فارس وقيل أهل اليمن (قوله ومنه نصر دينه) أى ولو من غير واسطة (قوله إلا تنصروه) شرط حذف جوابه تقديره فسينصره الله وأما قوله فقد نصره الله فتعليل للجواب ولا يصلح أن يكون جوابا لأنه ماض. قوله إذ أخرجه ظرف لقوله نصره الله وهذا خطاب لمن تثاقل عن تلك الغزوة (قوله بدار الندوة) تقدم إيضاح ذلك فى سورة الأنفال فى قوله تعالى - وإذ يمكر بك

الذين كفروا ـ الخ (قوله حال) أى من الهاء فى أخرجه والتقدير إذ أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر (قوله بدل من إذ قبله) أى بدل بعض من كل لأن الاخراج زمنه ممتد فيصدق على زمن استقرارهما فى الغار وإلا فزمن الاخراج مباين لزمن حصولهما فى الغار لأن بين الغار ومكة مسيرة ساعة (قوله لاتحزن) أى لاتهتم وكان حزن الصديق على رسول الله لاعلى نفسه ورد أنه قال له إذا مت أنا فأنا رجل واحد وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين (قوله إن الله معنا) أى معية معنوية خاصة (قوله قيل على النبى) أى فيكون المراد زاده سكينة وطمأنينة حتى عمت أبا بكر وإلا فرسول الله لم يسبق له انزعاج لمزيد ثقته بربه (قوله وقيل على أبى بكر) أى لأنه هو المنزعج (قوله ملائكة فى الغار) أى يحرسونه من أعدائه (قوله ومواطن قتاله) الواو بمعنى أو لأنه تفسير ثان (قوله أى دعوة الشرك) أى دعوة أهل الشرك الناس إليه أو المراد عقيدة أهل الشرك (قوله وكلمة الله هى العليا) القراء السبعة على الرفع مبتدأ وهى إما ضمير فصل أو مبتدأ ثان والعليا

حال أى أحد اثنين والآخر أبو بكر، المعنى نصره الله فى مثل تلك الحالة فلا يخذله فى غيرها (إِذْ) بدل من إذ قبله (هُمَا فِي الْغَارِ) نقب فى جبل ثور (إِذْ) بدل ثان (يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) أبى بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بنصره (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طمأنينته (عَلَيْهِ) قيل على النبى صلى الله عليه وسلم وقيل على أبى بكر (وَأَيَّدَهُ) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة فى الغار ومواطن قتاله (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى دعوة الشرك (السُّفْلَى) المغلوبة (وَكَلِمَةُ اللَّهِ) أى كلمة الشهادة (هِيَ الْعُلْيَا) الظاهرة الغالبة (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) فى ملكه (حَكِيمٌ) فى صنعه (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) نشاطا وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهى منسوخة بآية: ليس على الضعفاء (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فلا تثاقلوا. ونزل فى المنافقين الذين تخلفوا (لَوْ كَانَ) ما دعوتهم إليه (عَرَضًا) متاعا من الدنيا (قَرِيبًا) سهل المأخذ (وَسَفَرًا قَاصِدًا) وسطا (لَاتَّبَعُوكَ) طلبا للغنيمة (وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) المسافة فتخلفوا (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ) إذا رجعتم إليهم (لَوِ اسْتَطَعْنَا) الخروج (لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) بالحلف الكاذب (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى قولهم ذلك. وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة فى التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ،

إما خبر عن كلمة أو عن الضمير والجملة خبر كلمة وقرئ شذوذا بالنصب معطوفا على مفعول جعل (قوله انفروا خفافا وثقالا) ذكر المفسر فى معنى ذلك ثلاثة أقوال وهى من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرون فقيل الخفيف الذى لاضيعة له والثقيل الذى له الضيعة وقيل الخفيف الشاب والثقيل الشيخ وقيل غير ذلك فالمقصود تعميم الأحوال أى انفروا على أى حال كنتم عليه وهذا الحكم باق إذا تعين الجهاد بأن فجأ العدو وأما فى حال كونه فرض كفاية فليس حكم العموم باقيا بل منسوخ إما بآية: وما كان المؤمنون لينفروا كافة، أو بآية: ليس على الضعفاء ولا على المرضى الخ (قوله نشاطا) بكسر النون جمع نشيط ككرام وكريم (قوله وهى منسوخة) أى على القولين الأخيرين لا على الأول فهى محكمة (قوله أنه خير) مفعول تعلمون (قوله فلاتثاقلوا) جواب الشرط (قوله فى المنافقين) أى كعبدالله بن أبى وأضرابه (قوله متاعا من الدنيا) سمى عرضا لسرعة زواله كالعرض (قوله المسافة) أى التى تقطع بالمشقة فهى مشتقة من المشقة (قوله وسيحلفون) هذا إخبار من الله بالغيب فان هذه الآية نزلت قبل رجوعه من تبوك (قوله لخرجنا معكم) هذه الجملة سدت مسد جواب القسم والشرط (قوله يهلكون أنفسهم) هذا مرتب على قوله وسيحلفون المعنى يزدادون بها هلاكا لأنهم هالكون بالكفر ويزيدون هلاكا باليمين الكاذبة لما فى الحديث «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» (قوله لجماعة) أى من المنافقين (قوله باجتهاد منه) هذا أحد قولين والآخر أنه لايجتهد. والحاصل أنه اختلف هل يجوز على النبى الاجتهاد فى غير الأحكام التكليفية الصادرة من الله تعالى أو لايجوز والصحيح الأول ولكنه فى اجتهاده دائما مصيب وعتاب الله إنما هو على فعل أمر مباح له فهو من باب حسنات الأبرار سيآت المقربين لاعلى وزر فعله فاعتقاد ذلك كفر (قوله عفا الله عنك) أى عن هذا الأمر الذى فعلته.

(قوله لم أذنت لهم) اللام الأولى للتعليل والثانية للتبليغ وكلاهما متعلق بأذنت فلم يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ، والمعنى لأى شىء أذنت لهم فى التخلف عن الجهاد (قوله وهلا تركتهم) قدره إشارة إلى أن قوله حتى يتبين الخ غاية فى ذلك المحذوف (قوله لايستأذنك الذين يؤمنون) أى لايليق منهم وليس من عادتهم الاستئذان فى الواجب عليهم بل الخالص فى الايمان يبادر إليه من غير توقف فحيث وقع من هؤلاء الاستئذان كان دليلا على نفاقهم (قوله فى التخلف) أى من غير عذر (قوله وارتابت قلوبهم) إنما أسند الريب للقلب لأنه محله كما أنه محل الايمان والمعرفة (قوله ولو أرادوا الخروج الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم خروج المنافقين معه إذ لافائدة فيه ولا مصلحة وعتاب الله له على الاذن لهم فى التخلف إنما هو لأجل إظهار حالهم وفضيحتهم كأن الله يقول لنبيه كان الأولى لك عدم الاذن لهم فى التخلف ليظهر حالهم فان القرائن دالة على أنهم لايريدون الخروج لعدم التأهب له (قوله ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك على قوله ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة لأنه فى معنى النفى فهو استدراك على مايتوهم ثبوته وهو محبة الله منهم الخروج ، والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا ولكن لم يريدوه لكراهة الله انبعاثهم لما فيه من المفاسد فلم يعدوا له عدة وهذا أحسن مايقال (قوله أى قدر الله تعالى ذلك) جواب عما يقال حيث أمرهم الله بالقعود كان قعودهم محمودا لامذموما فأجاب بأنه ليس المراد بالقول

لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) فى التخلف وهلا تركتهم (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) فى العذر (وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) فيه (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فى التخلف عن (أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ) فى التخلف (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ) شكت (قُلُوبُهُمْ) فى الدين (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) يتحيرون (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ) معك (لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) أهبة من الآلة والزاد (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ) أى لم يرد خروجهم (فَثَبَّطَهُمْ) كسلهم (وَقِيلَ) لهم (اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) المرضى والنساء والصبيان أى قدر الله تعالى ذلك (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا) فسادا بتخذيل المؤمنين (وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ) أى أسرعوا بينكم بالمشى بالنميمة (يَبْغُونَكُمُ) يطلبون لكم (الْفِتْنَةَ) بالقاء العداوة (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) ما يقولون سماع قبول (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . لَقَدِ ابْتَغَوُا) لك (الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أول ما قدمت المدينة (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى أجالوا الفكر فى كيدك و إبطال دينك ،

حقيقته بل المراد به الارادة والتقدير. وأجيب أيضا بأن القائل الشيطان وهو يأمر بالفحشاء والمنكر. وأجيب أيضا بأن القائل الله حقيقة والقول على حقيقته وهو أمر تهديد على حد : اعملوا ما شئتم (قوله لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا) هذا بيان للمفاسد التى تترتب على خروجهم . إن قلت ان مقتضى العتاب المتقدم ان خروجهم فيه مصلحة ومقتضى ما هنا أن خروجهم مفسدة فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن خروجهم مفسدة عظيمة ، وعتاب الله لنبيه إنما هو على عدم التأنى حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم وليس فى خروجهم مصلحة أصلا كما علمت (قوله ما زادوكم إلا خبالا) أى ما أحدثوا فيكم إلا خبالا ، وليس المراد أن الخبال كان حاصلا من قبل و إنما حصل منهم زيادته (قوله إلا خبالا) يصح أن يكون استثناء منقطعا ، والمعنى ما زادوكم قوة ولكن خبالا أو متصلا من عموم الأحوال ، والمعنى ما زادوكم شيئا أصلا إلا خبالا (قوله ولأوضعوا خلالكم) الإيضاع فى الأصل سرعة سير البعير ثم استعير الإيضاع لسرعة الإفساد ، ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه سرعة الإفساد بسرعة سير الركائب ثم اشتق منه أوضعوا بمعنى أسرعوا ، وفى الخلال استعارة مكنية حيث شبه الخلال بركائب تسرع فى السير وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو أوضعوا بمعنى أسرعوا فإثباته تخييل (قوله يبغونكم الفتنة) حال من فاعل أوضعوا ، والتقدير طالبين لكم الفتنة (قوله وفيكم سماعون لهم) يحتمل أن يكون المراد جواسيس منهم يسمعون لهم الأخبار منكم ، ويحتمل أن يكون الضمير فى فيكم عائدا على المؤمنين ، والمعنى أن فى المؤمنين ضعفاء قلوب يصغون الى قول المنافقين بالتخذيل والإفساد لظنهم صحة إيمانهم (قوله من قبل) أى قبل هذه الغزوة كالواقع من المنافقين فى أحد وفى الأحزاب .

(حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ) النصر (وَظَهَرَ) عزَّ (أَمْرُ اللهِ) دينه (وَهُمْ كَارِهُونَ) له فدخلوا فيه ظاهرا (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي) فى التخلف (وَلاَ تَفْتِنِّي) وهو الجد بن قيس قال له النبى صلى الله عليه وسلم : هل لك فى جلاد بنى الأصفر فقال إنى مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن قال تعالى (أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) بالتخلف وقرئ سقط (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) لامحيص لهم عنها (إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ) كنصر وغنيمة (تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ) شدة (يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا) بالحزم حين تخلفنا (مِنْ قَبْلُ) قبل هذه المصيبة (وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ) بما أصابك (قُلْ) لهم (لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا) إصابته (هُوَ مَوْلاَنَا) ناصرنا ومتولى أمورنا (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ) فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أى تنتظرون أن يقع (بِنَا إِلاَّ إِحْدَى) العاقبتين (الْحُسْنَيَيْنِ) تثنية حسنى تأنيث أحسن: النصر، أوالشهادة (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ) ننتظر (بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ) بقارعة من السماء (أَوْ بِأَيْدِينَا) بأن يؤذن لنا فى قتالكم (فَتَرَبَّصُوا) بنا ذلك (إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) عاقبتكم (قُلْ أَنْفِقُوا) فى طاعة الله (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) ما أنفقتموه (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) والأمر هنا بمعنى الخبر (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ) بالتاء والياء (مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ) فاعل وأن تقبل مفعول (كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى) متثاقلون (وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ) النفقة لأنهم يعدونها مغرما (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ) أى لاتستحسن نعمنا عليهم فهى استدراج (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ) أى أن يعذبهم (بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) بما يلقون فى جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وَتَزْهَقَ) تخرج (أنفسهم

(قوله حتى جاء الحق) أى استمروا على تقليب الأمور حتى الخ (قوله وهو الجد بن قيس) وهو منافق عنيد حتى إنه من قباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة فى بيعة الرضوان واختفى تحت بطن ناقته (قوله فى جلاد بنى الأصفر) أى ضربهم بالسيوف وفى نسخة جهاد وهى ظاهرة ، و بنوالأصفرهم ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن عيص بن إسحق (قوله وقرئ سقط) أى بالافراد مراعاة للفظ من والضمير عائد على الجد بن قيس وهى شاذة كما هى قاعدته (قوله إن تصبك حسنة) أى فى بعض الغزوات (قوله وإن تصبك مصيبة) أى فى بعضها وقابل الحسنة بالمصيبة إشارة إلى أن الثواب مترتب على كل منهما وإنما قابلها بالسيئة فى آل عمران لأنها خطاب للمؤمنين وفيهم من يراها سيئة (قوله يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أى أدركنا ما أهمنا من الأمور وهو موالاة الكفار واعتزال المسلمين وغير ذلك من أنواع النفاق (قوله وهم فرحون) الجملة حالية من فاعل يتولوا (قوله قل لن يصيبنا) أى ردا لقولهم قد أخذنا أمرنا من قبل (قوله الحسنيين) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله العاقبتين (قوله ونحن نتربص بكم) أى إحدى العاقبتين السيئتين (قوله بقارعة) أى صاعقة (قوله فتربصوا الخ) أى فانا منتظرون مايسرنا وأنتم منتظرون مايسوؤكم (قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها الخ) نزلت فى الجد ابن قيس حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وأنا أعطيك مالى ، والمعنى قل لهم اتصافكم بصفات المؤمنين فى الانفاق والصلاة لايفيدكم شيئا (قوله طوعا) أى من غير إلزام ، وقوله أو كرها : أى بالزام (قوله انكم كنتم قوما فاسقين) أى ولم تزالوا كذلك فالمراد فاسقون فيما مضى وفى المستقبل (قوله والأمر هنا بمعنى الخبر) أى فالمعنى نفقتكم طوعا أو كرها غيرمقبولة (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أنهم كفروا) استثناء من عموم الأشياء كأنه قيل مامنعهم قبول نفقاتهم لشئ من الأشياء الا لثلاثة أمور: كفرهم بالله ورسوله، و إتيانهم الصلاة فى حال كسلهم، و إنفاقهم مع الكراهة (قوله لأنهم يعدونها مغرما) أى لأنهم لايرجون عليها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا (قوله فهى استدراج) أى ظاهرها نعمة وباطنها نقمة (قوله بما يلقون فى جمعها من المشقة) جواب عما يقال: إن المال والولد سرور فى الدنيا ، فأجاب بأن المراد بكونهما عذابا باعتبار ما يترتب عليهما

من المشقة . إن قلت إن هذا ليس مختصا بالمنافق بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار . أجيب بأن المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقات فكأنها ليست مشقة والمنافق ليس كذلك فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة (قوله أنفسهم) أي أرواحهم (قوله يفرقون) الفرق بالتحريك الخوف (قوله لو يجدون ملجأ الخ) أي لو قدروا على الهروب منكم ولو في شر الأمكنة وأخسها لفعلوا لشدة بغضهم لكم ، والمعنى أنهم وإن كانوا يحلفون لكم إنهم منكم فهم كاذبون في ذلك لأنهم لو وجدوا مكانا يلجئون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات وهي الأماكن المنخفضة في الأرض أو في الجبل أو سراديب : أي أماكن ضيقة لفروا إليها (قوله وهم يجمحون) في المصباح جمح الفرس براكبه يجمح : استعصى حتى غلبه اهـ ففيه إشارة إلى أنهم كالدابة الجموح التي لا تقبل الانقياد بوجه من الوجوه (قوله ومنهم من يلمزك) هذا بيان لحال بعض المنافقين ، وقوله يلمزك من باب ضرب واللمز الاشارة بعين ونحوها على سبيل التنقيص فهو أخص من الغمز إذ هو الاشارة بعين ونحوها مطلقا ، والمراد هنا الاعابة بالقول ، قيل نزلت في أبي الجواظ المنافق بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء ، ومعناه الضخم المتكبر الكثير الكلام حيث قال : ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاء الغنم ويزعم أنه يعدل ، وقيل نزلت في ذي الخويصرة التميمي ، وقيل اسمه حرقوص ابن زهير وهو أصل الخوارج (قوله في الصدقات) المراد بها قيل الزكاة ، وقيل الغنائم ، وقيل ماهو أعم وهو

(أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ) أي مؤمنون (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً) يلجئون إليه (أَوْ مَغَارَاتٍ) سراديب (أَوْ مُدَّخَلًا) موضعا يدخلونه (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعا لا يرده شيء كالفرس الجموح (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ) يعيبك (فِي) قسم (الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من الغنائم ونحوها (وَقَالُوا حَسْبُنَا) كافينا (اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) من غنيمة أخرى ما يكفينا (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) أن يغنينا وجواب لو لكان خيرا لهم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ) الزكوات مصروفة (لِلْفُقَرَاءِ) الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم (وَالْمَسَاكِينِ) الذين لا يجدون ما يكفيهم (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ليسلموا ،

الأولى بدليل ما يأتي للمفسر (قوله فان أعطوا منها) أي ما يريدون (قوله إذا هم يسخطون) إذا الفجائية قامت مقام الفاء والأصل فهم (قوله ما آتاهم الله ورسوله) نسبة الاعطاء لله حقيقية وللرسول مجازية وفيه إشارة إلى أن ما فعله الرسول إنما هو على طبق ما أمر الله به (قوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا (قوله أن يغنينا) أي في أن يغنينا وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بفي متعلقة بيغنينا ، ويؤخذ من الآية تعليم العباد التعفف والاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمور إليه فان الأرزاق بيده تعالى متكفل بها لا يقطعها عن عباده ولو خالفوه (قوله إنما الصدقات للفقراء) رد على المنافقين الذين يزعمون أن رسول الله يأخذ الصدقات لنفسه ولأهل بيته فبين في هذه الآية أن المستحق لها الأصناف الثمانية ورسول الله وأهل بيته محرمة عليهم تشريفا لهم وتطهيرا والآية من قصر الموصوف على الصفة : أي الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية (قوله مصروفة) قدره ليتعلق به الجار والمجرور (قوله الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم) صادق بأن لا يجدوا شيئا أصلا أو لا يجدوا شيئا لا يقع الموقع من كفايتهم (قوله والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم) صادق بأن لا يجدوا شيئا أصلا أو يجدوا شيئا لا يقع الموقع أو يقع ولكن لا يكفيهم فالفقير على هذا أسوأ حالا من المسكين ، وهذا مذهب الإمام الشافعي وعند مالك بالعكس فالمسكين من لا يملك شيئا أصلا والفقير من عنده شيء لا يكفيه ، والمراد بالكفاية عند مالك كفاية سنة وعند الشافعي كفاية العمر الغالب وهو ستون سنة (قوله من جاب الخ) أي وهو الذي يجمع الزكوات من أربابها ، والقاسم الذي يقسمها على المستحقين ، والكاتب الذي يكتب ما أعطاه أرباب الأموال ، والحاشر الذي يجمع أرباب الأموال ليأخذ منهم الجابي الزكاة (قوله ليسلموا) أي يرجى باعطائهم إسلامهم .

(قوله أو يثبت إسلامهم) أى لهم حديثو عهد بالاسلام فنعطيهم ليتمكن الاسلام من قلوبهم (قوله أو يسلم نظراؤهم) أى لهم كبار قبيلة أسلموا فيعطون ليسلم نظراؤهم من الكفار (قوله أو يذبوا عن المسلمين) أى يدفعوا الكفار ويردوهم عن المسلمين والحال أنهم مسلمون (قوله والأول والأخير) أى الكافر ليسلم والذاب عن المسلمين (قوله لايعطيان) هذا ضعيف عندهم والمعتمد عندهم إعطاء الأول (قوله بخلاف الآخرين) أى الثانى والثالث وهذا مذهب الشافعى وعند مالك المؤلفة قلوبهم إما كفار يعطون ليسلموا أو مسلمون يعطون ليثبت إسلامهم (قوله وفى الرقاب) إنما أضيفت الصدقات إلى الأصناف الأربعة الأول باللام و إلى الأربعة الأخيرة بفى إشارة إلى أن الأربعة الأول يملكونها و يتصرفون فيها كيف شاءوا بخلاف الأربعة الأخيرة فيقيد بما إذا صرفت فى مصارفها فاذا لم يحصل نزعت منهم (قوله أى المكاتبين) أى ليستعينوا بها على فك رقابهم وهذا التفسير على مذهب الامام الشافعى ، وعند مالك وأحمد أن معناه يشترى بها رقيق كامل الرق و يعتق وولاؤه للمسلمين ، وعند أبى حنيفة يشترى بها بعض رقبة و يعان بها مكاتب لأن قوله وفى الرقاب يقتضى التبعيض (قوله لغير معصية) أى بأن استدانوا لمباح ولو صرفوه فى معصية وهذا مذهب الشافعى ، وعند مالك إذ صرفوه فى معصية لايعطون منها إلا إذا تابوا (قوله وتابوا) أى ظهرت توبتهم لا بمجرد قولهم تبنا مثلا (قوله أو لإصلاح ذات البين) أى كأن خيف فتنة بين قبيلتين تنازعتا فى قتيل لم يظهر قاتله فتحملوا الدية تسكينا للفتنة (قوله أى القائمين بالجهاد الخ) أى و يشترى منها آلته من سلاح ودرع وفرس ومذهب مالك أن طلبة العلم المنهمكين فيه لهم الأخذ من الزكاة ولو أغنياء إذا انقطع حقهم من بيت المال لأنهم مجاهدون (قوله وابن السبيل) الاضافة لأدنى ملابسة أى اللازم للطريق (قوله المنقطع فى سفره) أى إن كان سفره فى غير معصية و إلا فلا يعطى ولو خيف عليه الموت مالم يتب و يعطى بشرط أن لايجد مسلفا وهو ملىء ببلده (قوله فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أخذ ذلك من الحصر وهو محل وفاق (قوله ولا يمنع صنف منهم) هذا مذهب الشافعى وعند مالك لايلزم تعميم الأصناف فاللام فى للفقراء الخ لبيان المصرف لا للاستحقاق (قوله فيقسمها الامام عليهم على السواء) هذا مذهب الشافعى وعند مالك لايلزم ذلك بل يندب إيثار المضطر (قوله لعسره) علة لعدم وجوب الاستغراق (قوله الاسلام) هذا فى غير المؤلفة قلوبهم (قوله وأن لا يكون هاشميا ولا مطلبيا) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الذين تحرم عليهم الزكاة بنو هاشم فقط وهذا إن كان حقهم من بيت المال جاريا و إلا فهم أولى من غيرهم فاعطاؤهم أسهل من تعاطيهم خدمة الذمى والفاجر (قوله ومنهم الذين يؤذون النبى) سبب نزولها أن جماعة من المنافقين تكلموا فى حقه صلى الله عليه وسلم بما لايليق فقال بعضهم لبعض كفوا عن ذلك الكلام لئلا يبلغه ذلك فيقع لنا منه الضرر فقال الجلاس بضم الجيم وفتح اللام المخففة ابن سويد نقول ماشئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فانما محمد أذن (قوله أى يسمع كل قيل) أى من غير أن يتأمل فيه و يميز باطنه من ظاهره فقصدوا بذلك

أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام ، والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعى رضى الله تعالى عنه لعز الاسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح (وَفِي) فك (الرِّقَابِ) أى المكاتبين (وَالْغَارِمِينَ) أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء (وَفِي سَبِيلِ اللهِ) أى القائمين بالجهاد ممن لا فىء لهم ولو أغنياء (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره (فَرِيضَةً) نصب بفعله المقدر (مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء . وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفى إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفى دونها كما أفادته صيغة الجمع و بينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً (وَمِنْهُمْ) أى المنافقين (الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ) بعيبه و بنقل حديثه (وَيَقُولُونَ) إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هُوَ أُذُنٌ) أى يسمع كل قيل و يقبله فإذا حلفنا له إنا لم نقل صدقنا ،

(قل)

ومعه صلى الله عليه وسلم بالأذن لأنه كان لا يجابههم بسوء أبدا و يتحمل أذاهم و يصفح عنهم فحملوه على عدم التنبه والغفلة وهو إنما كان يفعل ذلك رفقا بهم وتغافلا عن عيوبهم وفي تسميته أذنا مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل للمبالغة في استماعه حتى صار كأنه هو آلة السماع كما يسمى الجاسوس عينا (قوله قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير ولا يسمع الشر (قوله يؤمن بالله الخ) هذا إيضاح لكونه أذن خير (قوله واللام زائدة) جواب عما يقال لم زيدت اللام مع أن الايمان يتعدى بالباء ؟ فأجاب بأنها زيدت للفرق بين إيمان التسليم وهو قوله و يؤمن للمؤمنين أى يسلم لهم قولهم و يصدقهم فيما يقولونه و بين إيمان التصديق المقابل للكفر وهو قوله يؤمن بالله أى يصدق بالله و يوحده (قوله ورحمة للذين آمنوا) أى أظهروا الايمان منكم وهذه الرحمة بمعنى الرفق بهم وعدم كشف أسرارهم لا بمعنى التصديق لهم فان رحمته في الدنيا عامة للبر والفاجر وفي الآخرة مختصة بالبر دون الفاجر إذ هي تابعة لرحمة الله تعالى و إحسانه (قوله يحلفون بالله لكم) أى يحلف المنافقون للمؤمنين إنه ماوقع منهم الايذاء للنبي وقصدهم بذلك إرضاء المؤمنين ليذبوا عنهم إذا أراد رسول الله أن يفتك بهم وسبب نزولها أنه اجتمع ناس من المنافقين منهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامرا كذاب وحلف عامر إنهم كذبوا فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو و يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب (قوله ما أتوه) أى ما فعلوه وفي نسخة آذوه (قوله يرضوكم) علة لقوله يحلفون (قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه) الجملة حالية من ضمير يحلفون والمعنى يحلفون لكم لارضائكم والحال أن الله ورسوله أحق بالارضاء (قوله إن كانوا مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه أى فليرضوا الله ورسوله (قوله وتوحيد الضمير الخ) أشار المفسر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية . حاصله أن لفظ الجلالة مبتدأ ورسوله مبتدأ ثان معطوف عليه وجملة أحق أن يرضوه خبر والضمير مفرد وما قبله مثنى فلم أفرد الضمير ؟ . فأجاب المفسر بأنه أفرده لأن الرضاءين واحد لأن رضا رسول الله تابع لرضا الله ولازم له فالكلام جملة واحدة أو الجملة خبر عن رسوله وحذف خبر لفظ الجلالة لدلالة مابعده عليه أو خبر عن لفظ الجلالة وخبر رسوله محذوف لدلالة ماقبله عليه ففيه إما الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه أو بالعكس (قوله ألم يعلموا) الاستفهام للتوبيخ (قوله من يحادد الله) من شرطية مبتدأ وقوله فأن له الخ خبر لمحذوف أى فحق أن له الخ والجملة جواب الشرط وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر أن الأولى وجملة أن الأولى من اسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يعلم (قوله جزاء) تمييز (قوله خالدا فيها) حال مقدرة (قوله أن تنزل عليهم) أى على المؤمنين وقوله تنبئهم أى تخبر المؤمنين وقوله بما في قلوبهم أى المنافقين من الحقد والحسد للمؤمنين (قوله قل استهزئوا الخ) نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها وتنكروا عليه في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله بما قد أضمروا وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة

(قُلْ) هو (أُذُنُ) مستمع (خَيْرٍ لَكُمْ) لامستمع شر (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ) يصدق (لِلْمُؤْمِنِينَ) فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره (وَرَحْمَةٌ) بالرفع عطفا على أذن والجر عطفا على خير (لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ) أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول إنهم ما أتوه (لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) بالطاعة (إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو خبر الله أو رسوله محذوف (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ) أى الشأن (مَنْ يُحَادِدِ) يشاقق (اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) جزاء (خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ. يَحْذَرُ) يخاف (الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين (سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون (قُلِ اسْتَهْزِئُوا) أمر تهديد (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ) مظهر (مَا تَحْذَرُونَ) إخراجه من نفاقكم (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) عن استهزائهم بك والقرآن

رسول الله وسرالله يسوقها فقال لحذيفة اشرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة هل عرفت من القوم أحدا فقال لم أعرف منهم أحدا يارسول الله فقال رسول الله إنهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت إليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفينا الله بالدبيلة وهي خرّاج من نار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم من صدورهم (قوله وهم سائرون معك) أى فكانوا يقولون هيهات يريد هذا الرجل أن يفتح حصون الشام وقصورها فأطلع الله نبيه على ماقالوه فقال لهم هل قلتم كذاوكذافقالوا لا والله ما كنا فى شيء من أمرك ولامن أمر أصحابك ولكن كنا فى شيء ممايخوض فيه الركب ليقصر بنا السفر (قوله أبالله) أى بفرائضه وحقوقه (قوله وآياته) أى كلماته القرآنية (قوله ورسوله) أى محمد صلى الله عليه وسلم (قوله عنه) أى الاستهزاء (قوله مبنيا للمفعول الخ) أى ونائب الفاعل عن طائفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله كمخشى بن حمير) وفى بعض النسخ كجحش بن حمير أسلم وحسن إسلامه كان يضحك ولا يخوض وكان ينكر بعض مايسمع فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم إنى لا أزال أسمع آية تقرأ تقشعر منها الجلود وتخفق منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لايقول أحد أناغسلت أنا كفنت أنادفنت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (قوله المنافقون) أى وكانوا ثلثمائة (قوله والمنافقات) أى وكن مائة وسبعين (قوله أى متشابهون فى الدين) أى الذى هو النفاق فهم على أمر واحد مجتمعون عليه (قوله ويقبضون أيديهم) كناية عن عدم الانفاق لأن شأن المعطى بسط اليد وشأن المسك قبضها (قوله تركوا طاعته) أى

وهم سائرون معك إلى تبوك (لَيَقُولُنَّ) معتذرين (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) فى الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك (قُلْ) لهم (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا) عنه (قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) أى ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان (إِنْ يُعْفَ) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ) باخلاصها وتوبتها كمخشى ابن حمير (تُعَذَّبْ) بالتاء والنون (طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) مصرين على النفاق والاستهزاء (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) أى متشابهون فى الدين كأبعاض الشيء الواحد (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ) الكفر والمعاصى (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) الإيمان والطاعة (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) عن الانفاق فى الطاعة (نَسُوا اللَّهَ) تركوا طاعته (فَنَسِيَهُمْ) تركهم من لطفه (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ) جزاء وعقابا (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم ، أنتم أيها المنافقون (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا) تمتعوا (بِخَلَاقِهِمْ) نصيبهم من الدنيا (فَاسْتَمْتَعْتُمْ) أيها المنافقون (بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ) فى الباطل والطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم (كَالَّذِي خَاضُوا) ،

جواب عما يقال إن النسيان لايؤاخذ به الانسان . فأجاب بأن المراد به الترك (قوله تركهم) جواب عما يقال إن النسيان مستحيل على الله تعالى . فأجاب بأن المراد به الترك (قوله هم الفاسقون) أى الكاملون فى التمرد والفسق والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقريع (قوله وعد الله المنافقين) يستعمل وعد فى الخير والشر وإنما يفترقان فى المصدر فمصدر الأول وعد والثانى وعيد (قوله والكفار) أى المتجاهرون بالكفر فهوعطف مغاير (قوله خالدين فيها) حال مقدرة (قوله ولهم عذاب مقيم) أى غير النار كالزمهرير أو المراد عذاب فى الدنيا (قوله كالذين من قبلكم) الجار والمجرور خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أنتم وهذا خطاب للمنافقين ففيه التفات من الغيبة للخطاب والمثلية فى الأوصاف المتقدمة وهى الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض اليد ونسيان حقوق الله والآتية بقوله فاستمتعوا الخ (قوله فاستمتعوا بخلاقهم) أى بحظوظهم الفانية والتشاغل بها عما يرضى الله تعالى .

(قوله أى كخوضهم) مشى المفسر على أن التى حرف مصدرى وهى طريقة ضعيفة لبعض النحاة وعليه فيقدر فى الكلام مفعول مطلق ليكون مشبها بالمصدر المأخوذ من الذى والتقدير وخضتم خوضا كخوضهم والصحيح أن الذى اسم موصول صفة لموصوف محذوف والعائد محذوف تقديره كالخوض الذى خاضوه (قوله ألم يأتهم) أى المنافقين والاستفهام للتقرير (قوله قوم نوح الخ) أى وقد أهلكوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح العقيم وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلكوا بسلب النعمة عنهم وبالبعوض وأصحاب مدين أهلكوا بالظلة (قوله والمؤتفكات) أى المنقلبات التى جعل الله عاليها سافلها (قوله فما كان الله ليظلمهم) معطوف على مقدر قدره المفسر بقوله فكذبوهم فأهلكوا (قوله بأن يعذبهم بغير ذنب) تفسير للظلم المنفى : أى الواقع أن الله لم يعذبهم بغير ذنب بل لو فرض أنه عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلما لأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير من غير إذنه ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى لكن تفضل الله بأنه لايعذب بغير ذنب ولايجوز عليه شرعا أن يعذب فى الآخرة عبدا بغير ذنب وإن جاز عقلا (قوله والمؤمنون والمؤمنات الخ) لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلا وآجلا ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلا وآجلا (قوله أولياء بعض) أى فى الدين وعبر عنهم بذلك دون المنافقين فعبر فى شأنهم بمن إشارة أن نسبة المؤمنين فى الدين كنسبة القرابة ، وأما المنافقون فنسبتهم طبيعية نفسانية فهم جنس واحد

أى كخوضهم (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون. ألم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم إبراهيم وأصحاب مدين) قوم شعيب (والمؤتفكات) قرى قوم لوط أى أهلها (أتتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) بأن يعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز) لا يعجزه شىء عن إنجاز وعده ووعيده (حكيم) لايضع شيئا إلا فى محله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن) إقامة (ورضوان من الله أكبر) أعظم من ذلك كله (ذلك هو الفوز العظيم . يأيها النبى جاهد الكفار).

(قوله يأمرون بالمعروف) أى يحبونه لأنفسهم ولإخوانهم والمعروف كل ماعرف فى الشرع وهو كل خير (قوله وينهون عن المنكر) أى ينفرون منه ولايرضون به ، والمراد بالمنكر كل ماخالف الشرع (قوله ويطيعون الله ورسوله) أى باللسان والجنان وسائر الأعضاء (قوله سيرحمهم الله) أى فى الدنيا بالايمان والمعرفة وفى الآخرة بالخلود فى الجنة ونعيمها ورضا الله عنهم ، وهذه الأوصاف مقابلة لأوصاف المنافقين المتقدمة (قوله عن إنجاز وعده) أى للمؤمنين والمؤمنات (قوله ووعيده) أى للمنافقين والمنافقات فهو لف ونشر مشوش (قوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات) هذا تفصيل لما أجمل فى قوله أولئك سيرحمهم الله (قوله جنات) أى بساتين لكل مؤمن ومؤمنة ليس فيها شركة لأحد (قوله تجرى من تحتها) أى بأرضها (قوله خالدين فيها) حال من المؤمنين والمؤمنات (قوله ومساكن طيبة) أى تستطيبها النفوس وتألفها ، فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (قوله فى جنات عدن) أى فى بساتين إقامة لاتحول ولازوال . «روى أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ـ ومساكن طيبة فى جنات عدن ـ قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين» وفى رواية «فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام» (قوله ورضوان من الله أكبر) التنوين للتقليل أى أقل رضوان يأتيهم من الله أكبر من ذلك كله فضلا عن أكثره . ورد «أن الله تعالى يقول لأهل الجنة : هل رضيتم ؟ فيقولون مالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شىء أفضل من ذلك ؟ قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا» (قوله ذلك) أى الرضوان (قوله هو الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الذى لايضاهى .

(قوله بالسيف) المراد به جميع آلات الحرب (قوله باللسان والحجة) أى لا بالسيف لنطقهم بالشهادتين فالمراد بجهادهم بذل الجهد فى نصيحتهم وتخويفهم (قوله بالانتهار والمقت) المراد به القتل بالنسبة للكفار والاهانة والزجر بالنسبة للمنافقين (قوله ومأواهم جهنم) جملة مستأنفة بيان لعاقبة أمرهم (قوله يحلفون بالله ماقالوا) هذا بيان لقبحهم وخباثة باطنهم (قوله كلمة الكفر) قيل هى كلمة الجلاس بن سويد حيث قال : إن كان محمدا صادقا فيما يقول فنحن شرّ من الحمير ، وقيل هى كلمة ابن أبى ابن سلول حيث قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ (قوله أظهروا الكفر الخ) دفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية يقتضى أنهم مسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يسلموا أصلا . فأجاب بأن المراد أظهروا الكفر بعد أن أظهروا الاسلام (قوله من الفتك) مثلث الفاء : الأخذ على حين غفلة (قوله ليلة العقبة) أى التى بين تبوك والمدينة (قوله وهم بضعة عشر رجلا) قيل اثناعشر وقيل أكثرمن ذلك لكن لم يبلغوا العشرين وقد أجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبىّ فى العقبة ليقع فى الوادى فيموت فأخبره الله بما دبروه فلما وصل إلى العقبة نادى منادى رسول الله بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره واسلكوا يامعشر الجيش بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك النبى العقبة وكان ذلك فى ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة فلما ازدحموا على رسول الله نفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مدبرين وأمر عمار ابن ياسر وقيل حذيفة بضرب وجوه رواحلهم فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادى واختلطوا بالناس فقال له النبىّ هل عرفت أحدا منهم ؟ قال لا كانوا متلثمين والليلة مظلمة قال هم فلان وفلان حتى عدّهم قال هل عرفت مرادهم قال لا قال إنهم مكروا وأرادوا الفتك بى و إنّ الله أخبرنى بمكرهم فلما أصبح جمعهم وأخبرهم بما مكروا فحلفوا بالله ماقالوا ولا أرادوا فنزلت الآية و يؤخذ من ذلك أنهم سافروا مع رسول الله إلى تبوك وتقدم أنهم تخلفوا و يمكن الجمع بأن البعض سافر والبعض تخلف (قوله فضرب عمار بن ياسر) وقيل حذيفة (قوله ومانقموا أنكروا) أى ما كرهوا وماعابوا وفى الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم كأنه قيل ليس له صفة تكره وتعاب إلا اغناءهم من فضله بعد أن كانوا فقراء وهذه ليست صفة ذم فحينئذ ليس له صفة تذم أصلا (قوله وليس مما ينقم) أى يعاب ويكره (قوله و إن تولوا) أى داموا عليه (قوله ومنهم) أى المنافقين وظاهر الآية أنه حين المعاهدة كان منافقا وليس كذلك بل كان مسلما صحيحا وكان يلزم المسجد والجماعة حتى لقب بحمامة المسجد فجعله منهم باعتبار ما آل إليه أمره ففيه مجاز الأول (قوله لئن آتانا) تفسير لقوله عاهد واللام موطئة لقسم محذوف وان شرطية وآتانا فعل الشرط وجملة لنصدقنّ جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالته عليه ولتأخره على حد قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ماأخرت فهو ملتزم (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى والأصل لنتصدقنّ قلبت التاء صادا ثم أدغمت فى الصاد (قوله ولنكوننّ من الصالحين) أى فى صرف المال بأن نصل به الأرحام وننفقه فى وجوه البر والخير (قوله وهو ثعلبة بن حاطب) كان أوّلا صحابيا جليلا ملازما للجمعة والجماعة والمسجد ثم رآه النبىّ يسرع بالخروج إثر الصلاة

بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) بالانتهار والمقت (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى (يَحْلِفُونَ) أى المنافقون (بِاللّٰهِ مَا قَالُوا) ما بلغك عنهم من السب (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) من الفتك بالنبى ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا (وَمَا نَقَمُوا) أنكروا (إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) بالغنائم بعد شدة حاجتهم ، المعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم (فَإِنْ يَتُوبُوا) عن النفاق ويؤمنوا بك (يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (يُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا) بالقتل (وَالْآخِرَةِ) بالنار (وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ) يحفظهم منه (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعهم (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد (وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه الله مالا ،

فقال له رسول الله لم تفعل فعل المنافقين ؟ فقال إنى افتقرت ولى ولامرأتى ثوب أجىء به للصلاة ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلى به فادع الله أن يوسع فى رزقى . وحاصل قصته : أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا ، فقال رسول الله ويحك ياثعلبة ! قليل تؤدّى شكره خير من كثير لاتطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك فقال له رسول الله أمالك فىّ أسوة حسنة ؟ والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ، ثم أتاه بعد ذلك فقال له : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطينّ كل ذى حق حقه ، فقال رسول الله : اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود فكان يصلى مع رسول الله الظهر والعصر ويصلى فى غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لايشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لايشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ذات يوم فقال مافعل ثعلبة ؟ فقالوا له يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما مايسعها واد ، فقال رسول الله : ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة ! فلما نزلت آية الصدقة بعث رسول الله رجلا من بنى سليم ورجلا من بنى جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرّا على ثعلبة بن حاطب وعلى رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وقرآ عليه كتاب رسول الله فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلىّ فانطلقا

ويؤدى منه كل ذى حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا) عن طاعة الله (وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ) أى فصير عاقبتهم (نِفَاقًا) ثابتا (فِى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) أى الله وهو يوم القيامة (بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) فيه ، فجاء بعد ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبى بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات فى زمانه (أَلَمْ يَعْلَمُوا) أى المنافقون (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ) ما أسروه فى أنفسهم (وَنَجْوَاهُمْ) ما تناجوا به بينهم (وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ماغاب عن العيان . ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشىء كثير فقال المنافقون مراء ،

وسمع بهما السليمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ماهذا عليك . قال خذاه فان نفسى بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأه فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيى فانطلقا ، فلما رآهما رسول الله قال قبل أن يتكلما ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ثم دعا للسليمى بخير فأخبراه بالذى صنع ثعلبة فنزلت الآية (قوله ويؤدى منه الخ) الجملة حالية من فاعل سأل (قوله فدعا له) أى فى المرة الثالثة (قوله فوسع عليه) أى بأن رزق غنما فصارت تنمو كالدود (قوله بخلوا به) أى حيث منع الزكاة لما جاءه السعاة لأخذها وقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية (قوله فأعقبهم نفاقا) أى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم (قوله إلى يوم يلقونه) غاية لتمكن النفاق فى قلوبهم وحكمة الجمع فى هذه الضمائر مع أن سبب نزولها فى شخص واحد الاشارة إلى أن حكم هذه الآية باق لكل من اتصف بهذا الوصف من أوّل الزمان لآخره وليس مخصوصا بثعلبة (قوله بما أخلفوا الله) الباء سببية وما مصدرية والمعنى ذلك بسبب إخلافهم الله الوعد وورد « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » (قوله فجاء بعد ذلك) أى غير تائب فى الباطن وإنما ذلك خوفا من أن يحكم بردته فيقتل ويؤخذ ماله كله ففعله ذلك لأجل حفظ دمه وماله لا توبة من ذنبه وإلا لقبله الله (قوله يحثو التراب) أى يهيله على رأسه (قوله ثم جاء إلى أبى بكر) أى فى خلافته وكذا فى خلافة عمر وعثمان (قوله أى المنافقون) أى لابقيد كونهم الذين عاهدوا الله لأن آيتهم قد انقضت بقوله يكذبون (قوله ما أسروه) أى أخفوه (قوله ما غاب عن العيان) أى بالنسبة للعباد لا بالنسبة لله فان الكل عنده عيان وليس شىء غائبا عن علمه سبحانه وتعالى (قوله جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة فاجعلها يارسول الله فى سبيل الله وأمسكت لعيالى أربعة ، فقال له النبى بارك الله

لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبورك له حتى صولحت إحدى زوجاته الاربع بعد وفاته عن ربع الثمن بثمانين ألفا وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار و بألف فرس فى سبيل الله وأوصى لمن بقى من البدريين إذ ذاك وكان الباقى مائة أوصى لكل منهم بأربعمائة دينار وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف (قوله وجاء رجل فتصدق بصاع) أى وهو أبو عقيل الأنصارى جاء بصاع تمر وقال : بت ليلتى أجر بالجرير أى الحبل الذى يستقى به الماء وكان أجيرا يسقى الزرع بالماء من البئر قال وكانت أجرتى صاعين من تمر فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره النبى أن ينثره على الصدقات (قوله فقالوا إن الله غنى الخ) أى وإنما أتى به تعريضا بفقره ليعطى من الصدقات (قوله الذين يلمزون) مبتدأ خبره سخر الله منهم والذين لايجدون عطف على الذين الأول وقوله فيسخرون عطف على قوله يلمزون (قوله المطوّعين) أصله المتطوّعين أبدلت التاء طاء ثم أدغمت فى الطاء (قوله إلا جهدهم) الجهد الشىء اليسير الذى يعيش به المقل (قوله استغفر لهم الخ) خبر جىء به فى صورة الأمر والمعنى استغفارك لهم وعدمه سواء (قوله قال صلى الله عليه وسلم)

وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله غنى عن صدقة هذا فنزل (الَّذِينَ) مبتدأ (يَلْمِزُونَ) يعيبون (الْمُطَّوِّعِينَ) المتنفلين (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَايَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) طاقتهم فيأتون به (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) والخبر (سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ) جازاهم على سخريتهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . اسْتَغْفِرْ) يا محمد (لَهُمْ أَوْ لَاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) تخيير له فى الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم : إنى خيرت فاخترت يعنى الاستغفار رواه البخارى (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار، وفى البخارى حديث: لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها ، وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضا وسأزيد على السبعين فبين له حسم المغفرة بآية : سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ) عن تبوك (بِمَقْعَدِهِمْ) أى بقعودهم (خِلَافَ) أى بعد (رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (لَا تَنْفِرُوا) تخرجوا إلى الجهاد (فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا) من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف (لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) يعلمون ذلك ما تخلفوا (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا) فى الآخرة (كَثِيرًا ،

دليل على التخيير (قوله قيل المراد بالسبعين الخ) هذا بناء على أن العدد لامفهوم له (قوله غفر) جواب لو الثانية وقوله لزدت جواب لو الأولى (قوله وقيل المراد الخ) بناء على أن العدد له مفهوم (قوله لحديثه) أى البخارى (قوله حسم المغفرة) أى قطعها (قوله ذلك) أى عدم المغفرة لهم (قوله بأنهم كفروا) الباء سببية وأن مصدرية والتقدير بسبب كفرهم (قوله والله لايهدى القوم الفاسقين) أى لايوصلهم لما فيه رضاه (قوله فرح المخلفون) جمع مخلف اسم مفعول والفاعل الكسل أى الذين خلفهم الكسل وكانوا اثنى عشر (قوله أى بعد) أشار بذلك إلى أن خلاف ظرف زمان أومكان و يصح أن يكون مصدرا بمعنى مخالفة ، والمعنى على الأول فرحوا بقعودهم فى خلاف رسول الله أى بعد سفره أو بمكانه الذى سافر منه وعلى الثانى فرحوا بمخالفة رسول الله حيث اتصفوا بالقعود واتصف هو بالسفر (قوله وكرهوا أن يجاهدوا) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول كرهوا والمعنى كرهوا الجهاد لأن الانسان بطبعه ينفر من إتلاف النفس والمال سيما من ينكر الآخرة (قوله وقالوا) أى قال بعضهم لبعض (قوله لاتنفروا) أى إلى تبوك لأنها كانت فى شدة الحر والقحط (قوله أشد حرا) أى لأن حر الدنيا يزول ولايبقى وحر جهنم دائم لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون فمن آثر الشهوات على مايرضى مولاه كان مأواه جهنم ومن آثر رضا ربه على شهوته كان مأواه الجنة ولذا ورد « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » (قوله ما تخلفوا) جواب لو (قوله فليضحكوا قليلا) أى بالنسبة لبكاء الآخرة و إن كان فى نفسه كثيرا (قوله وليبكوا كثيرا) أى على مافاتهم من النعيم الدائم . ورد عن أنس بن مالك قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ياأيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم

فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت» (قوله جزاء) إما مفعول لأجله أو مصدر منصوب بفعل مقدّر تقديره يجزون جزاء (قوله خبر عن حالهم) أى العاجل و لآجل و إنما جيء به على صورة الأمر إشارة إلى أنه لايتخلف لأن الأمر المطاع مما لايكاد يتخلف عنه المأمور (قوله فان رجعك الله) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بعدم جمعهم معه فى مشاهد الخير بعد ذلك ، ويؤخذ من ذلك أن أهل الفسوق والعصيان لايرافقون ولايشاورون (قوله ممن تخلف) بيان للضمير فى منهم (قوله من المنافقين) بيان للطائفة (قوله أول مرة) أى وهو الخروج لغزوة تبوك (قوله وغيرهم) أى كالمرضى (قوله على ابن أبىّ) اسمه عبد الله وأبىّ اسم أبيه وساول اسم أمه وكان رئيس الخزرج وكان له ولد مسلم صالح فدعا النبى ليصلى عليه وسأله أن يكفنه فى قميصه ففعل ، ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبىّ فقال صلى الله عليه وسلم ومايغنى عنه قميصى وصلاتى من الله والله إنى كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبى صلى الله عليه وسلم (قوله منهم) صفة لأحد وكذا قوله مات أبدا (قوله ولاتقم على قبره) أى لاتتول دفنه (قوله إنهم كفروا) علة لما قبله ولما نزلت هذه الآية ماصلى على منافق ولا قام على قبره بعدها (قوله كافرون) أى و إنما عبر عنهم بالفسق إشارة إلى أن الكافر قد يكون عدلا فى دينه بخلاف الفاسق فأفعاله خبيثة لاترضى أحدا وليس له دين يقر عليه فعبر عنهم بالفسق بعد التعبير عنهم بالكفر إشارة إلى أنهم جمعوا بين الوصفين الكفر وخسة الطبع (قوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم الخ) الحكمة فى تكرارها البالغة فى التحذير من هذا الشىء الذى وقع الاهتمام به وعبر

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) خبر عن حالهم بصيغة الأمر (فَإِنْ رَجَعَكَ) ردك (اللَّهُ) من تبوك (إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) ممن تخلف بالمدينة من المنافقين (فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ) معك إلى غزوة أخرى (فَقُلْ) لهم (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم . ولما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على ابن أبىّ نزل (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) لدفن أو زيارة (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) كافرون (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ) تخرج (أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ . وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) أى طائفة من القرآن (أَنْ) أى بأن (آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ) ذو والغنى (مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ . رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) جمع خالفة أى النساء اللاتى تخلفن فى البيوت (وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) الخير (لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ) فى الدنيا والآخرة (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أى الفائزون (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ،

فى الآية الأولى بالفاء وهنا بالواو لأن ماسبق له تعلق بما قبله فحسن العطف بخلاف ماهنا فلا تعلق له بما قبله وأتى بلا فيما تقدم وأسقط من هنا اعتناء بنفى الأولاد هناك وبين هنا أنهم سواء وأتى باللام فى ليعذبهم هناك و بأن هنا إشارة إلى أن اللام بمعنى أن وليست للتعليل وأتى فيما تقدم بالحياة وهنا باسقاطها إشارة إلى خسة حياة الدنيا حيث لاتستحق أن تذكر وقال هناك كارهون وهنا كافرون إشارة إلى أنهم يعلمون كفرهم قبل موتهم و يشاهدون الأماكن التى أعدّت لهم فى نظيره فمن حيث تلك المشاهدة تزهق أرواحهم وهم كافرون كارهون بخلاف المؤمن فانه يشهد مقعده فى الجنة ولاتخرج روحه إلا وهو كاره للدنيا محب للآخرة (قوله وهم كافرون) الجملة حالية (قوله أى طائفة من القرآن) أى سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها (قوله ذو والغنى) أى السعة من المال وقيل الرؤساء وخصوا بالذكر لأنهم قادرون على السفر وتركوه نفاقا إذ العاجز لايحتاج لاستئذان (قوله وقالوا) عطف على استأذنك (قوله أى النساء) و يصح أن يراد بهم الرجال الذين لاخير فيهم من قولهم رجل خالفة أى لاخير فيه (قوله لكن الرسول) استدراك على ماقد يتوهم أن كل هؤلاء جر غيرهم (قوله الخيرات فى الدنيا والآخرة) أى بالنصر والغنيمة والجنة والكرامة (قوله أعد الله لهم) أى هيأ وأحضر و يؤخذ من ذلك أن الجنة موجودة الآن

(قوله ذلك) أى الجنة المستفادة من قوله أعدّ الله لهم جنات (قوله وجاء المعذرون) أى الطالبون قبول العذر وهذا شروع فى ذكر أحوال منافقى الأعراب بعد بيان أحوال منافقى المدينة (قوله بادغام التاء فى الأصل) أى وأصله المعتذرون أبدلت التاء ذالا وأدغمت فى الذال ، وقيل إنه لاأصل له بل هو جمع معذر بالتشديد بمعنى متكلف العذر كذبا وليس بمعذور (قوله من الأعراب) أى سكان البوادى الناطقون بالعربية والعربى من نطق بالعربية مطلقا سكن البوادى أم لا فهو أعم من الأعرابى (قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أى فهم فريقان فريق جاء واعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وهم أسد وغطفان اعتذروا بالجهد وكثرة العيال وفريق لم يأت أصلا وكذبوا بالتخفيف باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله الذين كفروا) أى استمروا عليه وأتى بمن إشارة إلى أن بعضهم أسلم وهو كذلك (قوله عذاب أليم) أى فى الدنيا بالقتل والأسر والآخرة بالخلود فى النار (قوله ليس على الضعفاء) هذا تخصيص لقوله فيما تقدم انفروا خفافا وثقالا والضعفاء جمع ضعيف وهو ضعيف البنية النحيف (قوله كالشيوخ) أى والنساء والصبيان (قوله والزمنى) من الزمانة وهى العجز والابتلاء (قوله ولا على الذين لايجدون ماينفقون) أى لفقرهم وعجزهم كجهينة ومزينة و بنى عذرة (قوله حرج) اسم ليس حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه (قوله إذا نصحوا) شرط

فى قوله حرج ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج وقت نصحهم لله ورسوله (قوله بعدم الارجاف) أى إثارة الفتن (قوله والتثبيط) أى تكسيل من أراد الخروج (قوله والطاعة) معطوف على عدم الارجاف، والمعنى ان نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله بأن يخلصوا الايمان و يسعوا فى إيصال الخير إلى المجاهدين ويقوموا بمصالح بيوتهم و بعدم إثارة الفتن و بعدم تكسيل غيرهم بل لينشطوا و يرغبوا فى الجهاد ، و ينهوا من أراد التخلف(قوله ماعلى المحسنين من سبيل)إنما أظهر فى مقام الاضمار إشارة (إنما

ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ) بادغام التاء فى الأصل فى الذال أى المعتذرون بمعنى المعذورين وقرئ به (مِنَ الْأَعْرَابِ) إلى النبى صلى الله عليه وسلم (لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) فى القعود لعذرهم فأذن لهم (وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى ادعاء الايمان من منافقى الأعراب عن المجيء للاعتذار (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ) كالشيوخ (وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ) كالعمى والزمنى (وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ) فى الجهاد (حَرَجٌ) إثم فى التخلف عنه (إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) فى حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط والطاعة (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) بذلك (مِنْ سَبِيلٍ) طريق بالمؤاخذة (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم فى التوسعة فى ذلك (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن (قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) حال (تَوَلَّوْا) جواب إذا أى انصرفوا (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ) تسيل (مِنَ) للبيان (الدَّمْعِ حَزَنًا) لأجل (أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) فى الجهاد

إلى انتظامهم بنصحهم فى سلك المحسنين ومن زائدة للتأكيد والجار والمجرور خبر مقدم ومن سبيل مبتدأ مؤخر و يصح أن يكون فاعلا بالجار والمجرور لاعتماده على النفى (قوله ولا على الذين) أى ليس عليهم سبيل (قوله إذا ما أتوك) ما إذا وقعت بعد إذا تكون صلة (قوله إلى الغزو) أى وهى غزوة تبوك (قوله وهم سبعة من الأنصار) أى و يقال لهم البكاءون فحمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وحمل يامين بن عمرو النضرى اثنين (قوله وقيل بنو مقرن) أى وكانوا ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان وقيل هم أصحاب أبى موسى الأشعرى وقد كان حلف أن لايحملهم ثم أتى له صلى الله عليه وسلم بابل من السبى فأرسلها لهم ليحملوا عليها فقالوا لا نركب حتى نسأل رسول الله فانه قد حلف أن لايحملنا فلعله نسى اليمين فجاءوه فقال مامعناه لاأرى خيرا مما حلفت عليه إلا فعلته ، ومثل هذه اليمين لاتكفر عند مالك لوجود بساط اليمين حين الحلف فكأن يمينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه وتكفر عند الشافعى (قوله قلت لا أجد) أى ليس عندى ما تحملون عليه وفى هذا التعبير مزيد لطف بهم (قوله حال) أى من الكاف فى أتوك و يصح أن تكون هى الجواب وجملة تولوا مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا حصل لهم (قوله وأعينهم) الجملة حالية من فاعل تولوا (قوله للبيان) أى لجنس الفائض (قوله ألا يجدوا ماينفقون) أشار المفسر إلى أنه مفعول لأجله والعامل فيه حزنا الواقع مفعولا له أو حالا

(قوله إنما السبيل) أى طريق العتاب (قوله وهم أغنياء) الجملة حالية من فاعل يستأذنوك (قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) إما مستأنف أو حال وقد مقدرة (قوله تقدم مثله) أى فذكره هنا للتأكيد وعبر هنا بالعلم وهناك بالفقه إشارة إلى أن معناهما واحد إذ الفقه هو العلم والعلم هو الفقه (قوله يعتذرون) أى المتخلفون بالباطل والأكاذيب استئناف لبيان اعتذارهم عند العود إليهم روى أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا يعتذرون إليه و إلى أصحابه بالباطل (قوله قل لاتعتذروا) أى جوابا لهم (قوله لن نؤمن لكم) تعليل للنهى وقوله قد نبأنا الله علة للعلة (قوله وسيرى الله عملكم) أى السيء ومفعول يرى الثانى محذوف تقديره مستمرا والمعنى سيظهر تعلق علمه بأعمالكم لعباده (قوله أى الله) أشار بذلك إلى أنه إظهار فى موضع الاضمار زيادة فى التشديد عليهم (قوله بما كنتم تعملون) أى بعملكم أو بالذى كنتم تعملونه (قوله سيحلفون بالله) تأكيد لعذرهم بالكذب (قوله إنهم معذورون فى التخلف) هذا هو

(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ) فى التخلف (وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) تقدم مثله (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ) فى التخلف (إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) من الغزو (قُلْ) لهم (لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ) نصدقكم (قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) أى أخبرنا بأحوالكم (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ) بالبعث (إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى الله (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ) رجعتم (إِلَيْهِمْ) من تبوك وأنهم معذورون فى التخلف (لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) بترك المعاتبة (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ) قذر لخبث باطنهم (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) أى عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله (الْأَعْرَابُ) أهل البدو (أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم و بعدهم عن سماع القرآن (وَأَجْدَرُ) أولى (أَنْ) أى بأن (لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ) من الأحكام والشرائع (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) فى سبيل الله (مَغْرَمًا) غرامة وخسرانا لأنه لايرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو أسد وغطفان (وَيَتَرَبَّصُ) ينتظر (بِكُمُ الدَّوَائِرَ) دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) بالضم والفتح أى يدور العذاب والهلاك عليهم لاعليكم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوال عباده (عَلِيمٌ) بأفعالهم (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) كجهينة ومزينة (وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) فى سبيل الله ،

المحلوف عليه (قوله فأعرضوا عنهم) أى غير راضين بفعلهم (قوله إنهم رجس) علة لقوله فأعرضوا عنهم (قوله فان ترضوا عنهم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فان الله لايرضى الخ . أشار له المفسر بقوله ولا ينفع رضاكم الخ (قوله أى عنهم) أشار بذلك إلى أن المقام للاضمار و إنما أظهر زيادة فى التشنيع والتقبيح عليهم بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة (قوله الأعراب) أى جنسهم وهو اسم جمع لاجمع عرب لئلا يلزم عليه كون الجمع أخص من مفرده فان الأعراب سكان البوادى والعرب المتكلمون باللغة العربية سكنوا البوادى أم لا (قوله لجفائهم) علة لقوله أشد كفرا ونفاقا (قوله من الأحكام والشرائع) بيان للحدود (قوله لأنه لايرجو ثوابه) أى لعدم إيمانه بالآخرة وهو تعليل للاتخاذ المذكور (قوله ويتربص) عطف على يتخذ (قوله الدوائر) جمع دائرة وهى مايحيط بالانسان من المصائب (قوله فيتخلصوا) أى من الانفاق (قوله بالضم والفتح) أى فهما قراءتان سبعيتان وهذا دعاء عليهم بنظير ما أرادوه للمسلمين (قوله ومن الأعراب الخ) اعلم أن الأعراب أقسام منهم المنافقون ، وقد تقدم ذكرهم فى قوله ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرما ومنهم مؤمنون وقد ذكروا هنا (قوله كجهينة ومزينة) أى وكغفار وأسلم قبائل عظام (قوله ويتخذ) فعل مضارع ينصب مفعولين الأول الاسم الموصول والثانى قربات على حذف مضاف أى سبب قربات وقوله عند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لقربات وقوله وصلوات الرسول معطوف على قربات : أى وسبب صلوات الرسول .

(قوله قربات) بضم الراء باتفاق السبعة جمع قربة بضم الراء وسكونها فعلى الضم الأمر ظاهر وعلى السكون فضم راء الجمع للاتباع لضم فائه أوجعا لمضموم الراء وقد قرئ بهما فى السبع ، ومعنى كونها قربات أنها تقرب العبد لرضا الله عليه وليس معناه أن الله فى مكان وتلك النفقة تقربه من ذلك المكان فانه مستحيل تعالى الله عنه (قوله وصلوات الرسول) أى دعواته لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة فتجب ملاحظته فى كل عمل لله لأن الله تعبدنا بالتوسل به . قال تعالى ـ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ـ فمن زعم أنه يصل إلى رضا الله بدون اتخاذه صلى الله عليه وسلم واسطة ووسيلة بينه و بين الله تعالى ضل سعيه وخاب رأيه . قال العارف بن مشيش : ولا شئ إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، وقال بعضهم

وأنت باب الله أى امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

فهو باب الله الأعظم وسره الأفخم والوصول إليه وصول إلى الله لأن الحضرتين واحدة ومن فرق لم يذق للمعرفة طعما (قوله ألا إنها) ألا أداة استفتاح يؤتى بها لأجل الاعتناء بما بعدها (قوله قربة) أى تقربهم لرضا ربهم حيث أنفقوها مخلصين فيها متوسلين بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله جنته) أشار بذلك إلى أن المراد بالرحمة الجنة من إطلاق الحال و إرادة المحل لأن الجنة محل الرحمة (قوله والسابقون) مبتدأ والأولون صفته ، وقوله من المهاجرين والأنصار حال والذين اتبعوهم معطوف على السابقون والخبر قوله رضى الله عنهم الخ (قوله والأنصار) أى وهم الأوس والخزرج (قوله وهم من شهد بدرا) أى لأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين وعليه تكون من للتبعيض (قوله أو جميع الصحابة) أى فتكون من بيانية ،وقيل المراد بهم أهل بيعة الرضوان وكانوا ألفا وخمسمائة ، وقيل المراد بهم أهل أحد ، وقيل كل من دخل الإسلام قبل الفتح لقوله تعالى

(قُرُبَاتٍ) تقربه (عِندَ اللهِ وَ) وسيلة إلى (صَلَوَاتِ) دعوات (الرَّسُولِ) له (أَلَآ إِنَّهَا) أى نفقتهم (قُرْبَةٌ) بضم الراء وسكونها (لَّهُمْ) عنده (سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ) جنته (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ) لأهل طاعته (رَّحِيمٌ) بهم (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ) وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم) إلى يوم القيامة (بِإِحْسَانٍ) فى العمل (رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ) وفى قراءة بزيادة من (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمِمَّنْ حَوْلَكُم) ياأهل المدينة (مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ) كأسلم وأشجع وغفار (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) منافقون أيضا (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) لجوا فيه واستمروا (لَا تَعْلَمُهُمْ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) بالفضيحة أوالقتل فى الدنيا ، وعذاب

ـ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ـ (قوله إلى يوم القيامة) أى فيشمل صلحاء كل زمان (قوله رضى الله عنهم) أى قبل أعمالهم وأثابهم عليها وأعطاهم مالم يعط أحدا من خلقه (قوله ورضوا عنه) أى قبلوا ما أعطاهم الله لما فى الحديث « مالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون وأى شئ أفضل من هذا ؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط بعده أبدا » (قوله وفى قراءة بزيادة من) أى وهى سبعية لابن كثير ومعلوم أنه يقرأ بالصلة فمن قرأ بقراءته وصل اتبعوهم وعنهم ولهم بأن يشبع ضمة الميم فى الجميع (قوله ذلك) أى ماتقدم من الرضا والجنان (قوله الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الذى لا يضاهى (قوله وممن حولكم) خبر مقدم ومنافقون مبتدأ مؤخر ومن الأعراب بيان لمن ومن أهل المدينة خبر مقدم والمبتدأ محذوف تقديره منافقون أيضا وجملة مردوا على النفاق صفة لذلك المحذوف فيكون من عطف الجمل أو خبر بعد خبر توسط بينهما المبتدأ ويكون من عطف المفردات (قوله كأسلم الخ) أى بعض هذه القبائل فلا ينافى ماتقدم من مدحهم فى قوله ومن الأعراب من يتخذ ماينفق قربات (قوله مردوا على النفاق) أى تمرنوا عليه ولم يتوبوا منه (قوله لا تعلمهم) إن قلت كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا وأثبته فى قوله ولتعرفنهم فى لحن القول ، فالجواب أن آية النفى نزلت قبل آية الاثبات (قوله بالفضيحة أو القتل) أشار بذلك إلى أنه اختلف فى المرة الأولى ولكن القول الأول هو الصحيح لأن أحكام الاسلام فى الظاهر جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يؤسروا والفضيحة باخراجهم من المسجد لما فى الحديث عن ابن مسعود « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يافلان فانك منافق حتى سمى ستة وثلاثين » (قوله وعذاب القبر) هذه هى المرة الثانية ، وستأتى الثالثة فى قوله ثم يردّون إلى عذاب عظيم فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات (قوله وآخرون) حاصله أن من تخلف عن تبوك ثلاثة أقسام : قسم منافقون استمروا على النفاق وقد تقدم ذكرهم فى قوله وممن حولكم من الأعراب إلى قوله عظيم ، وقسم تائبون اعترفوا بذنوبهم و بادروا بالعذر لرسول الله وقد ذكرهم فى قوله ـ وآخرون اعترفوا ـ إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون ـ وقسم لم يبادروا بالعذر وقد ذكرهم الله بقوله ـ وآخرون مرجون ـ إلى قوله ـ حكيم ـ (قوله اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بذنوبهم لربهم وتابوا منها ، وليس المراد اعترفوا للناس وهتكوا أنفسهم فان ذلك أمر لايجوز (قوله وهو جهادهم قبل ذلك) أى قبل هذا التخلف (قوله وآخر سيئا) الواو بمعنى الباء ، والمعنى أنهم جمعوا بين العمل الصالح والعمل السيء (قوله وهو تخلفهم) أى من غير عذر واضح (قوله عسى الله أن يتوب عليهم) أى يقبل توبتهم والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق لأن عسى ونحوها تفيد الاطماع ومن أطمع إنسانا فى شيء ثم حرمه منه كان عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا فى شيء ثم لايعطيه إياه لأنه وعد وهو لايتخلف وهذه الجملة مستأنفة ويصح أن تكون خبرا وجملة خلطوا حالية وقد مقدّرة (قوله نزلت فى أبى لبابة) وهو رفاعة بن عبد المنذر كان من أهل الصفة ربط نفسه ثنتى عشرة ليلة فى سلسلة ثقيلة وكانت له ابنة تحله للصلاة وقضاء الحاجة ، وتقدم فى سورة الأنفال أنه أوثق نفسه مرة أخرى بسبب قريظة حتى نزلت توبته

وعذاب القبر (ثُمَّ يُرَدُّونَ) فى الآخرة (إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) هو النار (وَ) قوم (آخَرُونَ) مبتدأ (اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) من التخلف نعته والخبر (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا) وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك (وَآخَرَ سَيِّئًا) وهو تخلفهم (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) نزلت فى أبى لبابة وجماعة أو ثقوا أنفسهم فى سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين وحلفوا لايحلهم إلا النبى صلى الله عليه وسلم فحلهم لما نزلت (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) أى ادع لهم (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ) رحمة (لَهُمْ) وقيل طمأنينة بقبول توبتهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

(قوله وجماعة) قيل عشرة ، وقيل ثمانية ، وقيل خمسة ، وقيل ثلاثة وقد كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا بعد ذلك فلما قدم رسول الله من المدينة حلفوا ليربطن أنفسهم بالسوارى ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقها ففعلوا فلما رجع رسول الله رآهم ، فقال من هؤلاء فقيل له هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم فقال وأنا أقسم بالله لاأطلقهم ولاأعذرهم حتى أومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فعذرهم وأطلقهم (قوله ما نزل فى المتخلفين) أى من الوعيد الشديد حيث قال الله فيهم: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية (قوله فحلهم لما نزلت) أى آية وآخرون اعترفوا بذنوبهم (قوله خذ من أموالهم) من للتبعيض والجار والمجرور حال من صدقة ووجد المسوغ وهو وصفها بقوله تطهرهم وتزكيهم بها ، والمعنى خذ بعض الأموال التى خرجوا عنها لله ورسوله ، وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية وحلهم رسول الله أتوا وقالوا هذه أموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت ـ خذ من أموالهم ـ الآية (قوله تطهرهم وتزكيهم) الأقرب أن التاء للخطاب وحذف قوله بها من الأول لدلالة الثانى عليه ، والمعنى خذ يامحمد بعض أموالهم صدقة حال كونك مطهرا لهم بها ومزكيهم بها ومعنى تزكيهم تنميهم وتزيدهم بسبب أخذها خيرا (قوله فأخذ ثلث أموالهم) أى كفارة لذنوبهم ، ويؤخذ من ذلك أن من قال مالى صدقة فى سبيل الله أو للفقراء يكفيه ثلثه وهو مذهب مالك وعموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والمندوبة (قوله إن صلواتك) بالجمع والافراد هنا وفى هود فى قوله ـ أصلواتك تأمرك ـ قراءتان سبعيتان والمعنى دعواتك رحمة لهم وطمأنينة وهذا فى حياة رسول الله ، وأما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبى وأيضا الأعمال تعرض عليه صباحا ومساء فان رأى خيرا حمد الله وإن رأى غير ذلك استغفر لنا كما ورد فى الحديث « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فى الصباح وفى المساء فان وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت سوءا استغفرت لكم » فدعاء رسول الله حاصل فى حياته و بعد موته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف فى ذلك (قوله والله سميع عليم) أى

بالأقوال والأفعال (قوله ألم يعلموا) أى التائبون (قوله أن الله هو يقبل التوبة) هو مبتدأ وجملة يقبل خبره والجملة خبر أن وجملة أن واسمها وخبرها سدّت مسدّ مفعولى يعلم أو مفعولها (قوله عن عباده) متعلق بيقبل وعن بمعنى من ويجوز أن تكون باقية على معناها للمجاوزة ، والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم (قوله ويأخذ الصدقات) أى يثيب صاحبها عليها وعبر عن القبول بالأخذ ترغيبا لهم فى بذل الأموال (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله تهييجهم) أى حثهم وترغيبهم (قوله لهم أو للناس) تفسيران فى الآية (قوله اعملوا ما شئتم) فى ذلك وعد عظيم للطائعين ووعيد للعاصين، والمعنى اعملوا أيها التائبون أو أيها الناس عموما ما شئتم من خير فيجازيكم عليه بالثواب أو شرّ فيجازيكم عليه بالعقاب أو يعفو الله عنكم (قوله فسيرى الله عملكم) أى يحصيه ويجازيكم عليه فالاستقبال بالنظر للجزاء (قوله ورسوله) أى لأن الأعمال تعرض عليه (قوله والمؤمنون) أى فيكون ذلك الجزاء إما فرحا وسرورا بين أهل الموقف أو حزنا وسوءا بينهم (قوله فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيحاسبكم على جميع ما قدمتموه (قوله بالهمز) أى المضموم وتركه : أى مع سكون الواو قراءتان سبعيتان (قوله عن التوبة) أى عن قبولها وإلا فقد وقعت منهم التوبة غير أنهم لم يعتذروا للنبى صريحا وإنما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سرا (قوله إما يعذبهم) إما للابهام بالنسبة للمخاطبين ، والمعنى أن الله أبهم على المخاطبين أمرهم (قوله وإما يتوب عليهم) أى يقبل توبتهم (قوله حكيم فى صنعه) أى لا يسأل عما يفعل فلا يعترض على أحكامه سبحانه وتعالى (قوله وهم الثلاثة) أى وكانوا من أهل المدينة (قوله مرارة) بضم الميم (قوله إلى الدعة) أى الراحة والكسل (قوله ولم يعتذروا) أى لشدّة ما نزل بهم من الحزن والأسف على ما فرطوا (قوله فوقف أمرهم خمسين ليلة) أى فى نظير مدة التخلف لأنها كانت خمسين ليلة ، فلما تمتعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم فى السفر (وتفريقه) عوقبوا بهجرهم تلك المدة

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ يقبل (الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ) على عباده بقبول توبتهم (الرَّحِيمُ) بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم إلى التوبة والصدقة (وَقُلِ) لهم أو للناس (اعْمَلُوا) ما شئتم (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ) بالبعث (إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى الله (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَآخَرُونَ) من المتخلفين (مُرْجَوْنَ) بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة (لِأَمْرِ اللَّهِ) فيهم بما يشاء (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ) بأن يميتهم بلا توبة (وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد : مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلا وميلا إلى الدعة لا نفاقا ولم يعتذروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد (وَ) منهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا) وهم اثنا عشر من المنافقين (ضِرَارًا) مضارة لأهل مسجد قباء (وَكُفْرًا) لأنهم بنوه بأمر أبى عامر الراهب ليكون معقلا له يقدم فيه من يأتى من عنده وكان ذهب ليأتى بجنود من قيصر لقتال النبى صلى الله عليه وسلم ،

(قوله والذين اتخذوا) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والأحسن إعراب الاسم الموصول مبتدأ وعلى كل خبره محذوف قدره المفسر بقوله منهم والواو إما للعطف على الجمل المتقدمة كقوله تعالى ـ ومنهم من يلمزك فى الصدقات ، ومنهم الذين يؤذون النبى ، ومنهم من عاهد الله ـ عطف قصة على قصة أو للاستئناف (قوله ضرارا) إما مفعول لأجله أو مفعول ثان لاتخذوا (قوله لأهل مسجد قباء) أشار بذلك إلى أن متعلق الضرار محذوف (قوله بأمر أبى عامر الراهب) أى وهو والد حنظلة غسيل الملائكة (قوله معقلا له) أى ملجأ (قوله وكان ذهب الخ) حاصل ذلك أن أبا عامر قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر ، فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة . قال له أبو عامر ما هذا الدين الذى جئت به ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين إبراهيم. قال أبو عامر فأنا عليها قال له النبى إنك لست عليها. قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت فى الحنيفية ما ليس منها فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية . قال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا غريبا وحيدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين وسماه أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبى لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر فخرج هاربا إلى الشام فأرسل إلى المنافقين أن أعدوا

مااستطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا يارسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة و إنا نحب أن تأتينا وتصلى لنا فيه وتدعو بالبركة ، فقال رسول الله إنى على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه ، فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعا نزل بذى أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه أن يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه و يأتيهم فنزلت هذه الآية وأخبره جبريل خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشم ، فقال مالك أنظرونى حتى أخرج إليكم بنار فدخل على أهله فأخذ من سعف النخل فأوقده ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فأحرقوه وهدموه وتفرق أهله وأمر رسول الله أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام طريدا وحيدا غريبا (قوله إلا الحسنى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله الفعلة (قوله يشهد) أى يعلم (قوله فى ذلك) أى الحلف (قوله وكانوا سألوا النبى الخ) أى بعد فراغهم من بنائه وكان متجهزا لغزوة تبوك فوعدهم بذلك حين يقدم (قوله لمسجد) اللام للابتداء ومسجد مبتدأ وأسس نعته وأحق خبره (قوله يوم حلت بدار الهجرة) أى وهو يوم الاثنين فأقام فيه الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة وقيل صلى به الجمعة وهى أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا على القول بأنه أقام بقباء أربعة أيام وقيل أقام أربعة عشر وقيل اثنين وعشرين يوما (قوله أحق أن تقوم فيه) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار زعم المنافقين أو باعتبار ذات المسجد فان الخبث فى نيتهم لافى ذات المسجد (قوله فيه رجال) هم بنو عامر بن عوف (قوله يحبون أن يتطهروا) يحتمل أن المراد الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله ، وقيل المراد الطهارة الحسية من النجاسات والأحداث وهو الأقرب لأن مزيتهم التى مدحوا عليها مبالغتهم فى طهارة الظاهر وأما طهارة الباطن فأمر مشترك بين المؤمنين ، وقيل المراد ماهو أعم فقد حازوا طهارة الظاهر والباطن (قوله وفيه إدغام التاء الخ) أى فأصله المتطهرين أبدلت التاء طاء وأدغمت فى الطاء (قوله فى الطهور) بضم الطاء فى هذا وفيما يأتى لأن المراد به الفعل (قوله فغسلنا كما غسلوا) أى بعد المسح بالأحجار بدليل الرواية الثانية (قوله نتبع الحجارة بالماء) أى وهذا هو الأكمل فى الاستنجاء فان لم يوجد حجر فالمدر يقوم مقامه وإلا فالماء فقط أو الحجر فقط أو المدر فقط (قوله فعليكموه) أى الزموه .

(١٥٧)

(وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم فى مسجدهم (وَإِرْصَاداً) ترقباً (لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ) ما (أَرَدْنَا) ببنائه (إِلَّا) الفعلة (الْحُسْنَى) من الرفق بالمسكين فى المطر والحر والتوسعة على المسلمين (وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى ذلك ، وكانوا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيه فنزل (لَا تَقُمْ) تصل (فِيهِ أَبَداً) فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ) بنيت قواعده (عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما فى البخارى (أَحَقُّ) منه (أَنْ) أى بأن (تَقُومَ) تصلى (فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ) هم الأنصار (يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) أى يثيبهم وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الطاء . روى ابن خزيمة فى صحيحه عن عويمر بن ساعدة «أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذى تطهرون به قالوا والله يارسول الله مانعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وفى حديث رواه البزار فقالوا : نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه »

(قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى الخ) فى الكلام استعارة مكنية حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليه البنيان وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو التأسيس فاثباته تخييل والتأسيس كناية عن إحكام أمور الدين والأعمال الصالحة (قوله أم من أسس بنيانه) أى أحكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق (قوله بضم الراء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جانب) الأحسن ماقاله غيره أن المراد به البئر التى لم تطو (قوله هار) إما أصله هاور أوهائر فقدمت اللام على العين فصار كقاض فاعرابه بحركات مقدرة أو حذفت عينه تخفيفا بعدقلبها همزة فاعرابه بحركات ظاهرة وإما أصله هور أوهير تحركت الواو أوالياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا مثل باب واعرابه بحركات ظاهرة كالذى قبله (قوله فى نار جهنم) ورد أنهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه (قوله خير) قدره اشارة إلى أن خبر من الثانية محذوف (قوله ريبة) أى سبب ريبة أو بولغ فيه حتى جعل نفس الريبة (قوله إلا أن تقطع قلوبهم) مستثنى من محذوف والتقدير لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم فى كل وقت أو كل حال إلا وقت أو حال تقطيع قلوبهم وفيها قراءتان سبعيتان الأولى بفتح التاء وتشديد الطاء بحذف إحدى التاءين وقلوبهم فاعل الثانية بضم التاء وقلوبهم نائب فاعل وقرئ شذوذا تقطع بالتخفيف وقرئ أيضا إلا أن تقطع بضم التاء وكسر الطاء المشددة وقلوبهم مفعول به والفاعل ضمير يعود على النبى (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الأشياء فى محالها ومنه جريان عادة الله فى كل حسود لأهل الدين والصلاح أنه لايزال الكمد به حتى يموت على أسوإ الأحوال (قوله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الخ) لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عذر ومافاتهم من الخير العظيم ذكر فضل المجاهدين وما أعد لهم من الفوز الأكبر حيث عظم أنفسهم وأموالهم بأن جعل الجنة ثمنا لهما ومن المعلوم أن الثمن أغلى من المثمن وإشارة إلى أن الجنة خلقت لهم ولم يخلقوا لأجلها (قوله يبذلوها فى طاعته) أى يصرفوها فى مرضاته (قوله بأن لهم الجنة) أى لم يقل بالجنة اشارة إلى أن الجنة مختصة بهم وواصلة إليهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم ثم إن قوله اشترى من المؤمنين الخ كناية عن التعويض عن بذل النفوس والأموال بالجنة وإلا فحقيقة الشراء أخذ ما لايملك بعوض وهذا مستحيل فى حق الله تعالى بل معناه أثابهم وقبلهم فى نظير خدمتهم فشبهت الاثابة والقبول بالشراء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الشراء اشترى بمعنى أثابهم وقبلهم وإنما عبر عنه بالشراء تلطفا ورفقا بهم (قوله بيان للشراء) الأوضح أن يقول بيان للبيع الذى يستلزمه الشراء (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى) أشار بذلك إلى أنه لايتوقف الفضل على الجمع بين الأمرين معا بل المدار على نية إعلاء كلمة الله حصلا أو أحدهما أولا ولا (قوله بفعلهما المحذوف) أى والتقدير وعده وعدا وحقه حقا (قوله فى التوراة الخ) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لوعدا والمعنى وعدا مذكورا فى التوراة والانجيل والقرآن وخص التوراة والانجيل بالذكر لاقامة الحجة على من عارض من اليهود والنصارى وحينئذ فلاينافى أن هذا الوعد مذكور فى الكتب السماوية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الأنصار رسول الله ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قال إذا فعلنا ذلك ماذا لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت هذه الآية بشارة لهم

(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى) مخافة (مِنَ اللَّهِ، وَ) رجاء (رِضْوَانٍ) منه (خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا) طرف (جُرُفٍ) بضم الراء وسكونها جانب (هَارٍ) مشرف على السقوط (فَانْهَارَ بِهِ) سقط مع بانيه (فِي نَارِ جَهَنَّمَ) خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير، أى الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثانى مثال مسجد الضرار (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً) شكا (فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ) تنفصل (قُلُوبُهُمْ) بأن يموتوا (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) بأن يبذلوها فى طاعته كالجهاد (بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) جملة استئناف بيان للشراء وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول أى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ)،

(قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله فاستبشروا) خطاب للمؤمنين لمزيد الاعتناء بهم والسين والتاء للتصيير أى صرتم لكم البشرى بذلك فى الدنيا والآخرة (قوله التائبون الخ) هذه أوصاف تسعة للمؤمنين الستة الأولى متعلقة بحقوق الله وحده والاثنان بعدها متعلقان بحقوق الخلق والأخير عام (قوله بتقدير مبتدأ) أى هم التائبون (قوله من الشرك والنفاق) متعلق بالتائبون والتوبة شرطها الندم على ما وقع والعزم على عدم العود والاقلاع ورد المظالم إلى أهلها (قوله المخلصون العبادة لله) أى المنهمكون فى طاعة الله سرا وجهرا (قوله الحامدون له على كل حال) أى فى السراء والضراء . قال عليه الصلاة والسلام «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال فى السراء والضراء» أى بأن يكون عن الله راضيا فى جميع الأحوال كالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك (قوله السائحون) من السياحة وهى فى الأصل الذهاب فى الأرض للعبادة سمى الصائمون بذلك لأن من شأن السائح ترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والملبس والمنكح ولا شك أن الصائم كذلك والصيام عند العامة ترك شهوتى البطن والفرج وعند الخاصة ترك ماسوى الله تعالى . قال العارف الجيلى :

صيامى هو الامساك عن رؤية السوى   وفطرى أنى نحو وجهك راجع

(قوله أى المصلون) أشار بذلك إلى أنه أطلق الجزء وأراد الكل وخص الركوع والسجود بالذكر من دون أركانها لأن بهما التقرب إلى الله تعالى لما فى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» والركوع يلى السجود فى التواضع والذل (قوله والناهون عن المنكر) إنما عطف هذا بالواو على ماقبله لوجود المضادة بينهما لأن الأمر طلب الفعل والنهى طلب الترك (قوله والحافظون لحدود الله) هذا أعم الأوصاف المتقدمة ولذا عطف بالواو وهذا معنى التقوى إذ هى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولذا حكى أن السرى السقطى سأل ابن أخته الجنيد عن التقوى وهو صغير فقال له أن لا يراك حيث نهاك وأن لا يفقدك حيث أمرك فقال له أخاف أن يكون حظك من الله لسانك (قوله و بشر المؤمنين) اظهار فى مقام الاضمار اعتناء بهم وتشريفا لقدرهم وحذف المبشر به اشارة إلى أنه لا يدخل تحت حصر بل لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله لعمه أبى طالب) أى لأنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب حين حضرته الوفاة : ياعم قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى ، فقال النبى لا أزال أستغفر لك مالم أنه عن الاستغفار فنزلت وقصد النبى بهذا الاستغفار تأليفه للاسلام لعله يهتدى و إلا فرسول الله يعلم أن الله لا يغفر أن يشرك به (قوله ما كان للنبى) أى لا ينبغى ولا يصح (قوله بأن ماتوا على الكفر) أى فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ ، أما الاستغفار للكافر الحى ففيه تفصيل فان كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للاسلام جاز و إن كان قصده أن تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر فلا يجوز (قوله وما كان استغفار إبراهيم الخ) هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر تقديره إن شرعنا هو بعينه شرع إبراهيم وقد استغفر إبراهيم لأبيه . فأجاب الله عن إبراهيم بما ذكر (قوله لأبيه) تقدم الخلاف فى كونه أباه أو عمه و إنما سمى أبا لأن عادة العرب تسمى العم أبا والقرآن نزل بلغة العرب (قوله وعدها إياه) أى أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار قبل تبين أنه لا ينفع فيه الاستغفار لاصراره على الكفر .

أى لا أحد أو فى منه (فَاسْتَبْشِرُوا) فيه التفات عن الغيبة (بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ) البيع (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) المنيل غاية المطلوب (التَّائِبُونَ) رفع على المدح بتقدير مبتدإ من الشرك والنفاق (الْعَابِدُونَ) المخلصون العبادة لله (الْحَامِدُونَ) له على كل حال (السَّائِحُونَ) الصائمون (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) أى المصلون (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) لأحكامه بالعمل بها (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالجنة . ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ) ذوى قرابة (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار بأن ماتوا على الكفر (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) بقوله : سأستغفر لك ربى رجاء أن يسلم (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ،

(أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) بموته على الكفر (تَبَرَّأَ مِنْهُ) وترك الاستغفار له (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) كثير التضرع والدعاء (حَلِيمٌ) صبور على الأذى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ) للاسلام (حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الاضلال (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه مستحق الاضلال والهداية (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) يحفظكم منه (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعكم عن ضرره (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ) أى أدام توبته (عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) أى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ) بالتاء والياء : تميل (قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) بالثبات (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَ) تاب (عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا)

(قوله أنه عدو لله) أى أنه مصر ومستمر على الكفر والعداوة لأن الذى تبين بالموت إنما هو إصراره على الكفر وإلا فأصله كان حاصلا ومتبينا من قبل (قوله إن إبراهيم) هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين (قوله لأواه) من التأوه وهو التوجع والاكثار من قول آه ، واختلف فى معناه فقيل هو الخاشع المتضرع وقيل كثير الدعاء وقيل المؤمن التواب ، وقيل الرحيم بعباد الله وقيل الموقن وقيل المسبح وقيل المعلم للخير وقيل الراجع عما يكرهه الله الخائف من النار (قوله حليم) معناه صفوح عن المسىء له مقابل له باللطف والرفق وذلك كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له : لئن لم تنته لأرجمنك الخ ، فأجابه إبراهيم بقوله : سلام عليك سأستغفر لك ربى وكعدم دعائه على النمروذ حيث ألقاه فى النار (قوله وما كان الله ليضل قوما) سبب نزولها أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون لآبائهم الكفار وماتوا قبل نزول آية النهى فظن بعض الصحابة أن الله يؤاخذهم فبين الله أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب إلا بعد أن يبين حكمه فيه (قوله بعد إذ هداهم) أى بعد وقت هدايتهم وتوفيقهم للإيمان (قوله ومنه) أى من الشىء (قوله إن الله له ملك السموات والأرض) أى ففوضوا أموركم إليه لأنه الموجد لكل شىء الذى منه العون والنصر (قوله لقد تاب الله) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله أى أدام توبته) جواب عما يقال إن النبى معصوم من الذنوب والمهاجرون والأنصار لم يفعلوا ذنبا بل سافروا معه واتبعوه من غير امتناع . وأجيب أيضا بأن معنى توبته على النبى عدم مؤاخذته فى إذنه للمتخلفين حتى يظهر المؤمن من المنافق ومعنى توبته على المهاجرين والأنصار من أجل ماوقع فى قلوبهم من الخواطر والوساوس فى تلك الغزوة فإنها كانت فى شدة الحر والعسر وقيل إن ذكر النبى تشريف لهم وإنما المقصود ذكر قبول توبتهم لأنه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم ذنب أصلا حتى يحتاج التوبة منه (قوله الذين اتبعوه) أى وكانوا سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل (قوله أى وقتها) أشار بذلك إلى أن المراد بالساعة الزمانية لا الفلكية والعسرة عن الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة وجيشها يسمى جيش العسرة لأنه كان عليهم عسرة فى المركب والزاد والماء فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان تمرهم يسيرا جدا حتى إن أحدهم إذا جهده الجوع يأخذ التمرة فيلوكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى إلا النواة وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث ويجعلون ما بقى على كبدهم . قال أبو بكر : يارسول الله إن الله قد عودك خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله يديه فلم يرجعا حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملئوا ما معهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظرها فلم نجدها جاوزت العسكر (قوله من بعد ما كاد) هذا بيان لبلوغ الشدة حدها حتى إن بعضهم أشرف على الميل إلى التخلف واسم كاد ضمير الشأن وجملة تزيغ فى محل نصب خبرها (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم تاب عليهم) ذكر التوبة أولا قبل الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكرها بعده تعظيما لشأنهم وتأكيدا لقبول توبتهم (قوله إنه بهم رءوف رحيم) هذا تأكيد لما تقدم ، والرءوف الرفيق بعباده اللطيف بهم ، والرحيم المحسن المتفضل (قوله وعلى الثلاثة) قدر المفسر تاب إشارة إلى أنه معطوف على قوله على النبى ويصح عطفه على الضمير فى قوله ثم تاب عليهم وهو الأقرب لاعادة الجار قال ابن مالك :

وعود خافض لدى عطف على … ضمير خفض لازما قد جعلا

وإن كان يمكن أن يقال إنما أعاده تأكيدا (قوله على الثلاثة)

أيما لم يسمهم الله لكونهم معلومين بين الصحابة والتوبة هنا على حقيقتها بمعنى أنه قبل عذرهم وسامحهم وغفر لهم ما سلف منهم وأما التوبة فيما تقدم فمستعملة فى مجازها بمعنى دوام العصمة للنبي والحفظ للمهاجرين والأنصار ، ففى الآية استعمال التوبة فى حقيقتها ومجازها (قوله عن التوبة عليهم) أى عن قبولها من الله وسبب تأخير القبول من الله عدم إظهار توبتهم كما فعل أبو لبابة وقيل المراد خلفوا عن الغزو ولم يخرجوا مع رسول الله وفى صحيح البخارى مانصه :

باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل : وعلى الثلاثة الذين خلفوا

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك وكان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك ولم يذكرنى رسول الله حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك مافعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ماقلت والله يارسول الله ماعلمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرنى همى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما أى قرب قدومه انزاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبدا بشىء فيه كذب فأجمعت الصدق وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل رسول الله منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ماخلفك ألم تكن قد ابتعت مركوبك فقلت بلى إنى والله يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا أى فصاحة ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد أى تغضب على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لى من عذر ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وبادر رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله مازالوا يلوموننى لوما عنيفا حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد قالوا نعم رجلان قالا مثل ماقلت فقيل لهما مثل ماقيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لى فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى فإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله مارد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فسكت فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال

عن التوبة عليهم بقرينة ،

أن ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله أي أعلم الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبيّ مبشرون وركب رجل إليّ فرسا وركضها وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنونني بالتوبة يقولون لتهنك فتح التاء توبة الله عليك ، قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني ، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة ، قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ، قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال لا بل من عند الله ، وكان رسول الله إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله قال رسول الله أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، قلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر وأنزل الله على رسوله : لقد تاب الله على النبي إلى قوله

(حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) أي مع رحبها أي سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ) قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس (وَظَنُّوا) أيقنوا (أَن) مخففة (لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) وفقهم للتوبة (لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) بترك معاصيه (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ) إذا غزا (وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ) بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهي بلفظ الخبر (ذَٰلِكَ) أي النهي عن التخلف (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ) عطش (وَلَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا مَخْمَصَةٌ) جوع (فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا) مصدر بمعنى وطأ (يَغِيظُ) يغضب (الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ) لله (نَّيْلًا) قتلا أو أسرا أو نهبا (إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ) ليجازوا عليه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) ،

وكونوا مع الصادقين فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله اهـ (قوله حتى إذا ضاقت عليهم الأرض الخ) أي لم يطمئنوا ولم يسكنوا إلى شيء منها وإذا صلة أو ثم ليستقيم المعنى (قوله أي مع رحبها) بضم الراء وأما بفتحها فمعناه المكان المتسع (قوله فلا يسعها سرور) العبارة فيها قلب أي فلا تسع سرورا (قوله أن مخففة) أي واسمها ضمير الشان (قوله لا ملجأ الخ) لا نافية للجنس أي وملجأ اسمها ومن الله خبرها والجملة سدت مسد مفعولي ظنوا (قوله من الله إلا إليه) أي من سخطه إلا بالتضرع إليه (قوله ثم تاب عليهم) أي قبل توبتهم (قوله ليتوبوا) أي ليحصلوا التوبة وينشئوها (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خطاب عام لكل مؤمن (قوله مع الصادقين) مع بمعنى من بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود (قوله ما كان لأهل المدينة) أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم التخلف عن رسول الله الخ ، والمعنى إذا خرج رسول الله بنفسه للغزو فلا يجوز لأحد من المؤمنين التخلف بل ينفرون كافة (قوله ولا يرغبوا بأنفسهم) يجوز فيه النصب عطفا على يتخلفوا والجزم على أن لا ناهية (قوله بأن يصونوها الخ) هذا بيان لحاصل المعنى وإيضاحه أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط وأن يتلقوا الشدائد معه صلى الله عليه وسلم علما بأنه أعز نفس وأكرمها عند الله فإذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتعرض مثلها (قوله وهو نهي بلفظ الخبر) أي ما ذكر من قوله ما كان لأهل المدينة الخ أي فكأنه قيل لا يتخلف واحد منهم (قوله ظمأ) أي ولو يسيرا وكذا يقال فيما بعده (قوله ولا يطئون موطئا) أي لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم دوسا (قوله يغيظ) بفتح الياء باتفاق السبعة وإن كان يجوز في اللغة ضمها (قوله ولا ينالون) أي يصيبون (قوله قتلا أو أسرا أو نهبا) أمثلة للنيل بسبب جعله مصدرا ويصح أن يكون بمعنى اسم المفعول أي المأخوذ (قوله إلا كتب لهم)

أى بكل واحد من الأمور الخمسة (قوله أى أجرم) غرضه بهذا أن المقام للاضمار والعدول عنه لأجل مدحهم وليفيد العموم وعدم الخصوصية بالمخاطبين بل هذا الفضل العظيم باق ومستمر إلى يوم القيامة (قوله واديا) المراد به هنا مطلق الأرض وإن كان فى الأصل المكان المنفرج بين الجبال (قوله ذلك) أى ماذكر من كل من النفقة وقطع الوادى (قوله أى جزاءه) يشير بهذا إلى تقدير مضاف أى جزاء أحسن ما كانوا الخ (قوله ولما وبخوا على التخلف الخ) أى سبب نزولها أنه لما وبخهم الله على التخلف وظهرت فضيحة المنافقين وتاب الله على من تاب أجمع رأيهم وحلفوا إنهم لايتخلفون عن رسول الله ولا عن سرية بعثها فلما رجعوا من تبوك و بعث السرايا تهيأ المسلمون جميعا إلى الغزو (قوله سرية) قيل هى اسم لما زاد على المائة إلى الخمسمائة وما زاد إلى ثمانمائة يقال له منسر وما زاد عليها إلى أربعة آلاف يقال له جيش ومازاد عليها يقال له جحفل وجملة السرايا التى أرسلها رسول الله ولم يخرج معها سبعة وأربعون ، وغزواته التى خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون قاتل فى ثمانية منها فقط (قوله وما كان المؤمنون) أى لاينبغى ولا يجوز لهم أن ينفروا جميعا بل يجب عليهم أن ينقسموا قسمين طائفة تكون مع رسول الله لتلقى الوحى وطائفة تخرج للجهاد (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض (قوله ومكث الباقون) قدره إشارة إلى أن قوله ليتفقهوا الخ علة لمحذوف ولا يصح أن يكون علة لقوله نفر من كل

أى أجرم بل يثيبهم (وَلَا يُنفِقُونَ) فيه (نَفَقَةً صَغِيرَةً) ولو تمرة (وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا) بالسير (إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ) ذلك (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى جزاءه . ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعاً فنزل (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا) إلى الغزو (كَافَّةً فَلَوْلَا) فهلا (نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ) قبيلة (مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ) جماعة ومكث الباقون (لِّيَتَفَقَّهُوا) أى الماكثون (فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) من الغزو بتعليمهم ماتعلموه من الأحكام (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) عقاب الله بامتثال أمره ونهيه ، قال ابن عباس : فهذه مخصوصة بالسرايا ، والتى قبلها بالنهى عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ) أى الأقرب فالأقرب منهم (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) شدة ، أى أغلظوا عليهم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالعون والنصر (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ) من القرآن (فَمِنْهُم) أى المنافقين (مَّن يَقُولُ) :

فرقة منهم طائفة (قوله ولينذروا قومهم) عطف على قوله ليتفقهوا وفيه إشارة إلى أنه ينبغى لطالب العلم تحسين مقصده بأن يقصد بطلبه العلم تعليم غيره وانعاظه هو فى نفسه لا التكبر على العباد والتشدق بالكلام (قوله إذا رجعوا) أى من كان فى الغزو وقوله إليهم أى إلى من مكث ليتفقه فى الدين (قوله قال ابن عباس الخ) المقصود من ذلك دفع التعارض بين هذه الآية وما قبلها (قوله مخصوصة بالسرايا) أى وهى التى أرسلها ولم يخرج معها (قوله فيما إذا خرج النبى) أى لأنه لاعذر حينئذ فى التخلف لأن صاحب الشريعة الذى يتعلمونها منه مصاحب لهم (قوله قاتلوا الذين يلونكم) ليست هذه الآية ناسخة لآية وقاتلوا المشركين كافة على التحقيق بل هذه الآية تعليم لآداب الحرب وهو أن يبدءوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فبهذا يتمكنون من قتالهم كافة لأن قتلهم دفعة واحدة لايتصور ولذا قاتل رسول الله أولا قومه ثم انتقل إلى سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب ثم إلى قتال الروم والشام ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم انتقل أصحابه إلى قتال العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار (قوله يلونكم) من الولى وهو القرب وفى فعله لغتان وليه يليه وهو الأكثر والثانية من باب وعد والآية منها وهى قليلة الاستعمال فأصله يوليون حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها ثم نقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله شدة) أى صبرا وتحملا (قوله أى أغلظوا عليهم) أشار بذلك إلى أن فى الآية استعمال المسبب فى السبب لأن وجدان الكفار الغلظة مسبب عن إغلاظ المسلمين عليهم (قوله وإذا ما أنزلت) المعنى إذا أنزلت سورة من القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين وقت النزول وليس فيها فضيحة لهم وأما مايأتى فيحمل على ما إذا كانوا حاضرين ذلك والحال أن فيها بيان أحوالهم فلا تنافى بين المحلين كما يأتى .

(قوله لأصحابه) أى أولضعفاء المؤمنين .(قوله يفرحون بها) أى لأنه كلما نزل شئ من القرآن ازدادوا إيمانا وهذا الحكم باق إلى الآن فمن يفرح بكلام الله و بحامليه فهو من المؤمنين الصادقين ومن ينفر من سماعه ومن حامليه فهو إما كافر أوقريب من الكفر (قوله كفرا إلى كفرهم) أشار بذلك إلى أنه ضمن الزيادة معنى الضم والمعنى زادتهم كفرا مضموما إلى كفرهم لأن كفرهم يزيد بزيادة جحدهم المنزل ، وسمى الكفر رجسا لكونه أقبح الأشياء ، والرجس هو الشئ المستقذر (قوله بالياء) أى فالاستفهام حينئذ للتوبيخ وقوله والتاء أى فالاستفهام للتعجب لأن الخطاب حينئذ للصحابة (قوله ثم لايتوبون) أى لايرجعون عما هم عليه (قوله فيها ذكرهم) أى بيان أحوالهم (قوله نظر بعضهم إلى بعض) أى يتغامزون بالعيون (قوله يريدون الهرب) أى خوفا من الفضيحة التى تحصل لهم (قوله ويقولون) أشار بذلك إلى أن قوله هل يراكم من أحد مقول لقول محذوف (قوله ثم انصرفوا على كفرهم) عبارته تفيد أن قوله ثم انصرفوا ليس مرتبا على كونهم لم يرهم احد وليس كذلك فكان المناسب أن يقول

قاموا وهو بمعنى ثم انصرفوا (قوله صرف الله قلوبهم) إخبار أودعاه

لأصحابه استهزاء (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا) تصديقا ، قال تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) لتصديقهم بها (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بها (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) كفرا إلى كفرهم لكفرهم بها (وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ . أَوَلَا يَرَوْنَ) بالياء أى المنافقون ، والتاء أيها المؤمنون (أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ) يبتلون (فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) بالقحط والأمراض (ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ) من نفاقهم (وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكرهم وقرأها النبى صلى الله عليه وسلم (نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) يريدون الهرب يقولون(هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا (ثُمَّ انْصَرَفُوا) على كفرهم (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) عن الهدى (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) الحق لعدم تدبرهم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ)أى منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عَزِيزٌ) شديد (عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أى عنتكم أى مشقتكم ولقاؤكم المكروه (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) أن تهتدوا (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ) شديد الرحمة (رَحِيمٌ) يريد لهم الخير(فَإِنْ تَوَلَّوْا عن الإيمان بك (فَقُلْ حَسْبِيَ) كافى (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) به وثقت لابغيره (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ) الكرسى(الْعَظِيمِ) .

(قوله لايفقهون الحق) أى لايفهمونه (قوله لقد جاءكم) اللام موطئة لقسم محذوف أى وعزتى وجلالى لقد جاءكم الخ (قوله من أنفسكم) خطاب للعرب قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبىّ صلى الله عليه وسلم وله فيها نسب وأنفسكم بضم الفاء باتفاق السبعة وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة ، والمعنى جاءكم رسول من أشرفكم وأرفعكم قدرا لما فى الحديث « إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم خصه فأنا خيار من خيار » (قوله عزيز عليه ماعنتم) يصح أن يكون عزيز صفة لرسول ومامصدرية أو بمعنى الذى ، والمعنى يعزّ عليه عنتكم أوالذى عنتموه ويصح أن يكون عزيز خبرا مقدما وماعنتم مبتدأ مؤخرا (قوله حريص عليكم) أى محافظ على هداكم لتكون لكم السعادة الكاملة (قوله أن تهتدوا) أشار بذلك إلى أنّ الكلام على حذف مضاف أى حريص على هدايتكم (قوله رءوف) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان ، والرءوف أخصّ من الرحيم . قال الحسن بن المفضل لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبىّ صلى الله عليه وسلم فسماه رءوفا رحيما وقال : إنّ الله بالناس لرءوف رحيم (قوله فان تولوا) أى جميع الخلق مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم (قوله لاإله إلا هو) هذا كالدليل لما قبله (قوله لابغيره) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله الكرسى) مرور على القول باتحاد العرش مع الكرسى وهو خلاف الصحيح ، والصحيح أنّ العرش غير الكرسى فالعرش جسم عظيم محيط بجميع المخلوقات والكرسى أقلّ منه (قوله العظيم) بالجر باتفاق السبعة صفة للعرش وقرئ شذوذا بالرفع صفة للرب .

(قوله خصه بالذكر) جواب عما يقال إن الله رب كل شئ فلم خص العرش بالذكر (قوله آخر آية) مراده الجنس وإلا فهما آيتان وهذا القول ضعيف لما تقدم أن آخر آية نزلت ـ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ـ وعلى ماقاله المفسر يكونان مدنيتين وهو أحد قولين حكاهما المفسر أول السورة . وهاتان الآيتان بهما الأمان من كل مكروه ، وقد ورد : من قرأهما ويكرر الآية الثانية سبعا صباحا وسبعا مساء أمن من كل مكروه حتى الموت فاذا أراد الله موته أنساه قراءتهما .

[سورة يونس] سميت السورة بذلك لذكر اسمه فيها وقصته وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها (قوله مكية) أى لنزولها قبل الهجرة (قوله أو الثلاث) أو لتنويع الخلاف وسببه الخلاف فى أن آخر الآية الثانية من الخاسرين أو الأليم (قوله أو ومنهم الخ) أى فيكون المدنى إما ثلاثا أو أربعا بزيادة ومنهم الخ ، وقال القرطبي نقلا عن فرقة إن من أولها نحوا من أربعين آية مكى و باقيها مدنى (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحد أقوال تقدمت فى البقرة وهو أتمها وأسلمها (قوله أى هذه الآيات) يحتمل أن اسم الاشارة عائد على ماتقدم من أول القرآن إلى هنا و يحتمل أنه عائد إلى الآيات التى ستذكر فى هذه السورة وأتى باسم الاشارة البعيد إشارة إلى بعد رتبته عن كلام البشر ورفعة قدره

خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وروى الحاكم فى المستدرك عن أبىّ بن كعب قال : آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة .

(سورة يونس)

مكية إلا فإن كنت فى شك الآيتين أو الثلاث ، أو ومنهم من يؤمن به الآية : مائة وتسع أو عشر آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الر) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والاضافة بمعنى من (الْحَكِيمِ) المحكم (أَكَانَ لِلنَّاسِ) أى أهل مكة استفهام إنكارى والجار والمجرور حال من قوله (عَجَبًا) بالنصب خبر كان و بالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى (أَنْ أَوْحَيْنَا) أى إيحاؤنا (إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم (أَنْ) مفسرة (أَنْذِرِ) خوف الناس الكافرين بالعذاب (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ) أى بأن (لَهُمْ قَدَمَ) سلف (صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أى أجرا حسنا بما قدموه من الأعمال (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا) القرآن المشتمل على ذلك (لَسِحْرٌ مُبِينٌ) بين ،

(قوله آيات الكتاب) خبر اسم الاشارة (قوله والاضافة) أى فى قوله آيات الكتاب ، والمعنى تلك آيات من الكتاب لأن المشار إليه بعض القرآن (قوله المحكم) أشار بذلك إلى أن فعيلا بمعنى مفعول ومعناه الذى لايتطرق إليه الفساد ولا تغيره الدهور ولا يعتريه الكذب ولا التناقض ويصح أن يكون بمعنى فاعل أى الحاكم أى ذو الحكم لاشتماله على الأحكام الدينية المتعبد بها

(قوله استفهام إنكارى) أى والمعنى لايليق ولاينبغى لأهل مكة أن يتعجبوا من إرساله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا : العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب (قوله عجبا) العجب استعظام أمر خفى سببه (قوله خبر كان) أى مقدم عليها (قوله و بالرفع اسمها) هذه القراءة شاذة فكان المناسب للمفسر أن ينبه عليها (قوله والخبر) مبتدأ وجملة : أن أوحينا خبره وقوله وهو اسمها على الأولى اعتراض بين المبتدإ والخبر (قوله مفسرة) أى بمعنى أى وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله أنذر الناس) أى إن استمروا على الكفر (قوله قدم صدق) من إضافة الموصوف للصفة ، وسمى الأجر الحسن قدم صدق لأن الخير قد سبق لهم عند الله والشأن أن السعى يكون بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كتسمية النعمة يدا لأنها تعطى بها (قوله أجرا حسنا) هذا أحد أقوال فى تفسير قوله ـ قدم صدق ـ وهو لابن عباس ، وقيل هو الأعمال الصالحة ، وقيل شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل السعادة المكتوبة لهم أزلا فى اللوح المحفوظ ، وقيل منزلة رفيعة فى الجنة وكل هذه التفاسير ترجع إلى ماقاله المفسر (قوله قال الكافرون) أى حيث رد عليهم فى تعجبهم بأبلغ رد (قوله المشتمل على ذلك) أى الانذار والتبشير .

(قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله المشار إليه) أى على القراءة الثانية (قوله إن ربكم الله) هذا رد عليهم فى تعجبهم ، والمعنى لاينبغى لكم التعجب من إرسال الرسول لأن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض الخ فمن كان قادرا على ذلك فلايستغرب عليه إرسال رسول (قوله أى فى قدرها) جواب عن قوله لأنه لم يكن ثم شمس الخ (قوله لتعليم خلقه التثبت) أى التأنى والتمهل فى الأمور وتخصيص الستة بذلك ولم تكن أقل ولا أكثر مما استأثر الله بعلمه (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف فى تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى وطريقة الخلف يؤولونه بالاستيلاء والقهر والتصرف وإلى هذين الطريقتين أشار صاحب الجوهرة بقوله :

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

فالاستواء كما يطلق على الركوب يطلق على الاستيلاء وهو المراد هنا ، ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

(قوله يدبر الأمر) أى يتصرف فى الخلائق بأسرها ولا يشغله شأن عن شأن (قوله مامن شفيع إلا من بعد إذنه) أى لايشفع أحد عنده إلا أن يأذن له فى الشفاعة (قوله ربكم) أى خالقكم ومربيكم

(قوله بادغام التاء فى الأصل) أى فأصله تتذكرون قلبت التاء ذالا وأدغمت فى الذال (قوله إليه مرجعكم جميعا) رد على منكرى البعث حيث قالوا ماهى إلاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر (قوله بفعلهما المقدر) أى وعدكم وعدا وحقه حقا (قوله بالكسر) أى وهى القراءة السبعية (قوله والفتح) أى وهى شاذة فكان عليه أن ينبه عليها (قوله بالقسط) أى العدل المصحوب بالفضل أو المراد بالقسط عدل العبيد بامتثالهم للأمورات واجتنابهم النهيات فتكون الباء سببية (قوله والذين كفروا) غاير الأسلوب إشارة إلى أنهم مستحقون العذاب بسبب أعمالهم وأما المؤمنون فثوابهم بفضل الله وإلى أن المقصود من البدء والاعادة إنما هو الثواب وأما العقاب فكأنه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم (قوله وعذاب أليم) أى غير الشراب (قوله أى بسبب كفرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله هوالذى جعل الشمس ضياء) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله ذات ضياء) أشار بذلك إلى أن ضياء مصدر ويحتمل أنه جمع ضوء ، والمعنى ذات أضواء كثيرة والضوء النور القوى العظيم فهوأخص من مطلق نور وقيل الضياء ماكان ذاتيا والنور ما كان مكتسبا من غيره فما قام بالشمس يقال له ضياء وما قام بالقمر يقال له نور . واعلم أن الشعاع الفائض من الشمس قيل جوهر وقيل عرض والحق أنه عرض لقيامه بالأجرام (قوله والقمر) معطوف على الشمس ونورا معطوف على ضياء ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز بلا خلاف (قوله وقدره) الضمير عائد على القمر وخص بالذكر وإن كانت الشمس لها منازل أيضا لأن سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين لأن المعتبر فى مثل الصيام والحج السنة القمرية ويحتمل أن الضمير عائد على كل من الشمس والقمر وأفرد باعتبار ماذكر والأقرب الأول .

وفى قراءة لساحر والمشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) استواء يليق به (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) بين الخلائق (مَا مِنْ) زائدة (شَفِيعٍ) يشفع لأحد (إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) رد لقولهم إن الأصنام تشفع لهم (ذٰلِكُمُ) الخالق المدبر (اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) وحدوه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء فى الأصل فى الذال (إِلَيْهِ) تعالى (مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) مصدران منصوبان بفعلهما المقدر (إِنَّهُ) بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام (يَبْدَأُ الْخَلْقَ) أى بدأه بالانشاء (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بالبعث (لِيَجْزِىَ) يثيب (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) ماء بالغ نهاية الحرارة (وَعَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) أى بسبب كفرهم (هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً) ذات ضياء أى نور (وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ) من حيث سيره (مَنَازِلَ) ،

(قوله ثمانية وعشرين منزلا) أى وهى منقسمة على اثنى عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث فيكون إقامته فى كل برج ستة وخمسين ساعة وانتقالات الشمس فى هذه الأبراج مرتبة على الشهور القبطية لكن الشهر نصفه الأول من آخر برج ونصفه الآخر من أول برج آخر فتوت نصفه الأول من نصف السنبلة الأخير ونصفه الأخير من نصف الميزان الأول وهكذا (قوله و يستتر ليلتين) أى لايرى و إن كان سائرا (قوله لتعلموا) هذا هو حكمة التقدير (قوله والحساب) معطوف على عدد مسلط عليه تعلموا ولا يجوز جره عطفا على السنين لأن الحساب لايعلم عدده ، ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب أتنصبه أم تجره؟ فقال ومن يدرى ماعدد الحساب كناية عن كونه لايجوز جره (قوله المذكور) أى من كونه جعل الشمس ضياء والقمر نورا (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان وعلى النون فيه التفات من الغيبة إلى التكلم (قوله لقوم يعلمون) خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك (قوله إن فى اختلاف الليل والنهار) أى فى كون أحدهما يخلف الآخر و يعقبه

ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوما (لِتَعْلَمُوا) بذلك (عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ) المذكور (إِلَّا بِالْحَقِّ) لاعبثا تعالى عن ذلك (يُفَصِّلُ) بالياء والنون يبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالذهاب والمجىء والزيادة والنقصان (وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (وَ) فى (الْأَرْضِ) من حيوان وجبال و بحار وأنهار وأشجار وغيرها (لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)ـه فيؤمنون خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) بالبعث (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بدل الآخرة لانكارهم لها (وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) سكنوا إليها (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا) دلائل وحدانيتنا (غَافِلُونَ) تاركون للنظر فيها (أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الشرك والمعاصى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ) يرشدهم (رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) به بأن يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعْوَاهُمْ فِيهَا) طلبهم لما يشتهونه فى الجنة أن يقولوا (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أى يا الله فإذا ما طلبوه بين أيديهم

(قوله بالذهاب والمجىء) تصوير للاختلاف (قوله والزيادة والنقصان) أى فكل واحد يزيد بقدر مانقص من الآخر (قوله إنّ الذين لايرجون لقاءنا) أى لايخافونه ولايؤمنون به (قوله واطمأنوا بها) أى فعلوا فعل المخلدين فيها (قوله أولئك) مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول والجملة خبر إن (قوله بما كانوا يكسبون) أى بسبب كسبهم (قوله من الشرك والمعاصى) بيان لقوله يكسبون (قوله إن الذين آمنوا) هذا مقابل قوله إن الذين لايرجون لقاءنا الخ، إن حرف توكيد ونصب والذين اسمها آمنوا صلته وجملة يهديهم ربهم خبر إن (قوله آمنوا) أى صدقوا بالله ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله وعملوا الصالحات) أى الأعمال المرضية لله ورسوله (قوله يهديهم ربهم) أى يوصلهم لدار السعادة وحذف المعمول للعلم به (قوله بإيمانهم) أى بسبب تصديقهم بالله ورسله أى و بسبب أعمالهم الصالحة أيضا فالايمان والأعمال الصالحة سببان موصلان لدار السعادة أو المراد بالايمان الكامل ليشمل الأعمال (قوله بأن يجعل لهم نورا يهتدون به) أى وتصوّر لهم الأعمال الصالحة بصورة حسنة عند خروجهم من القبور وتقول لصاحبها كنت أسهرك فى الدنيا وأتعبك فيها فاركب على ظهرى وذلك قوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا - بخلاف الكافر فيحشر يوم القيامة أعمى لايهتدى إلى مقصوده و يأتيه عمله السيء فيقول له كنت متلذذا بى فى الدنيا فأنا أركبك اليوم ، وذلك قوله تعالى - وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم - (قوله فى جنات النعيم) أى بساتين التنعم وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات والمعنى أن المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم ربهم لدار كرامته ومحل سعادته تجرى الأنهار بجانب قصورهم ينظرون إليها من أعلى أماكنهم (قوله طلبهم لما يشتهونه فى الجنة أن يقولوا الخ) أى فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى جميع

مايطلبونه فاذا أرادوا الأكل مثلا قالوا : سبحانك اللهم فيأتونهم بالطعام على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لايشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ماأعطاهم وذلك قوله ـ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ـ والمراد بما يشتهونه فى الجنة ما كان محمودا فى الدنيا فلا يقال إن نفوس الفساق قد تشتهي اللواط مثلا فيفيد أنه يحصل فى الجنة لأنه يقال المراد بما يشتهونه ما ليس بشهوات شيطانية لأنهم عصموا منها بالموت فلا تخطر ببالهم فى الجنة ولايميل إليها طبعهم وكذلك يقال فى شهوة المحارم كالأم والبنت وأيضا أهل الجنة لاأدبار لهم ولايتغوطون فيها لما فى الحديث «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولايتغوطون ولايمتخطون. قالوا فما بال الطعام؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» (قوله وتحيتهم فيها سلام) التحية ما يحيا به الانسان من الكلام الطيب (قوله فيما بينهم) أى أو تحية الملائكة لهم قال تعالى ـ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ـ أو تحية الله لهم . قال تعالى ـ سلام قولا من ربّ رحيم ـ (قوله وآخر دعواهم) أى خاتمة تسبيحهم فى كل مجلس أن يقولوا : الحمد لله رب العالمين وليس معناه انقطاع الحمد فان أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها (قوله مفسرة) اعترض بأن ضابط المفسرة مفقود هنا إذ ضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهنا تقدمها مفرد فكان المناسب أن يقول مخففة من الثقيلة ويكون اسمها ضمير الشأن وجملة الحمد لله رب العالمين خبرها (قوله أن الحمد لله رب العالمين) أى فأهل الجنة يبتدئون مطالبهم بالتسبيح ويختمونها بالتحميد فتلذذهم بالأكل والشرب وسائر النعيم لايشغلهم عن ذكر الله وشكره (قوله ونزل لما استعجل المشركون العذاب) أى لما بين الله سبحانه وتعالى أنه يجيب الداعى بالخير أدب عباده بأنهم لايطلبون

(وَتَحِيَّتُهُمْ) فيما بينهم (فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ) مفسرة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ونزل لما استعجل المشركون العذاب (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ) أى كاستعجالهم (بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ) بالبناء للمفعول وللفاعل (إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم (فَنَذَرُ) نترك (الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون متحيرين (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (الضُّرُّ) المرض والفقر (دَعَانَا لِجَنْبِهِ) أى مضطجعا (أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) أى فى كل حال (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ ،

الشر بل يطلبون الخير فيعطون وقوله لما استعجل المشركون قيل هم النضر بن الحارث وغيره حيث قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (قوله ولو يعجل الله للناس الشر) أى الذى طلبوه لأنفسهم (قوله أى كاستعجالهم) أشار بذلك إلى أن استعجالهم مصدر والأصل استعجالا مثل استعجالهم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله لقضى إليهم أجلهم) أى لهلكوا جميعا والمعنى أن الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذى يستعجلونه به مثل مايجيبهم إذا دعوه بالخير لأهلكهم ولكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له بالشر فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالرفع والنصب) لف ونشر مرتب فالرفع نائب فاعل والنصب مفعول به (قوله بأن يهلكهم) أى قبل وقتهم (قوله ولكن يمهلهم) أى فضلا منه وكرما إلى أن يأتى أجلهم فاذا جاء لايستأخرون ساعة ولايستقدمون فالمؤمن يلقى النعيم الدائم والكافر يلقى العذاب الدائم (قوله الذين لايرجون لقاءنا) أى الذين لايخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (قوله فى طغيانهم) أى الذى هو إنكار البعث والمقالات الشنيعة (قوله يعمهون) حال من فاعل يرجون (قوله يترددون متحيرين) أى فى الفرار من العذاب فلا يجدون لهم مفرا (قوله وإذا مسّ الإنسان الضرّ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما وبخهم على الدعاء بالشر لأنفسهم بين هنا غاية عجزهم وضعفهم وأنهم لايقدرون على إيجاد شىء ولا إعدامه (قوله الكافر) مثله ناقص الايمان المنهمك فى المعاصى (قوله لجنبه) حال من فاعل دعانا واللام بمعنى على (قوله أوقاعدا أوقائما) يحتمل أن أو على بابها لأن المضار إما ثقيلة تمنعه القيام والقعود أوخفيفة لاتمنع ذلك أومتوسطة تمنعه القيام دون القعود ويحتمل أن أو بمعنى الواو فهو إشارة لتنويع الأحوال .

وإلى هذا أشار المفسر بقوله أى فى جميع الأحوال (قوله مرّ على كفره) أى استمر عليه (قوله كأن لم يدعنا) الجملة فى محل نصب حال من فاعل مر والمعنى استمر هو على كفره مشبها بمن لم يدعنا أصلا أى رجع إلى حالته الأولى وترك الالتجاء إلى ربه (قوله المسرفين) أى المتجاوزين الحد (قوله ما كانوا يعملون) أى عملهم فالواجب على الانسان دوام الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله فى كل حال سيما فى حال الصحة والغنى لأنه يشدد عليه فيهما مالا يشدد عليه فى غيرهما (قوله ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) أى كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (قوله لما ظلموا) أى حين ظلمهم (قوله وجاءتهم) قدر المفسر قد إشارة إلى أن الجملة حالية من فاعل ظلموا (قوله عطف على ظلموا) أى كأنه قيل حين ظلموا وحين لم يكونوا مؤمنين ، والمعنى أن سبب إهلاكهم شيئان ظلمهم وعدم إيمانهم (قوله ثم جعلناكم) عطف على أهلكنا (قوله خلائف فى الأرض) أى متخلفين من بعد القرون بسبب أن الله أورثكم أرضهم وديارهم فمن يوم بعث الله محمدا لجميع الخلق الموجودين من يومئذ إلى يوم القيامة من أمته مسلمهم وكافرهم وهم خلفاء الأرض (قوله لننظر) أى ليظهر متعلق علمنا ونعاملهم معاملة من

مرّ) على كفره (كأن) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك) كما زين له الدعاء عند الضر والإعراض عند الرخاء (زين للمسرفين) المشركين (ما كانوا يعملون. ولقد أهلكنا القرون) الأمم (من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) بالشرك (و) قد (جاءتهم رسلهم بالبينات) الدالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) عطف على ظلموا (كذلك) كما أهلكنا أولئك (نجزى القوم المجرمين) الكافرين (ثم جعلناكم) يا أهل مكة (خلائف) جمع خليفة (فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا (وإذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه عيب آلهتنا (أو بدله) من تلقاء نفسك (قل) لهم (ما يكون) ينبغى (لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن) ما (أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى) بتبديله (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم) أعلمكم (به) ولا نافية عطف على ما قبله وفى قراءة بلام جواب لو أى لأعلمكم به على لسان غيرى (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا)،

ينظر ، وفى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حال العباد مع ربهم بحال رعية مع سلطانها فى إمهالهم لينظر ماذا تفعل واستعير الاسم الدال على المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الأعلى (قوله كيف تعملون) أى فهل تصدقون رسلنا ، أو تكذبونهم (قوله وإذا تتلى عليهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة (قوله ائت بقرآن غير هذا) أى من عند ربك إن كنت صادقا فى أنه من عند الله (قوله أو بدله)

أى بأن تجعل مكان سب آلهتنا مدحهم ومكان الحرام حلالا وهذا الكلام من الكفار يحتمل أن يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية ويحتمل أنه على سبيل الامتحان ليعلموا كونه من عند الله فلا يقدر على تغييره ولا تبديله أو من تلقاء نفسه فيقدر على ذلك والأول هو المتبادر من حالهم (قوله قل ما يكون لى أن أبدله الخ) أى لا يليق منى ولا يصح (قوله إنى أخاف) تعليل لما قبله (قوله قل لو شاء الله) مفعول شاء محذوف أى عدم إنزاله (قوله ولا أدراكم) أدرى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والكاف مفعول به (قوله ولا نافية) أى وجملة لا أدراكم مؤكدة لما قبلها عطف عام على خاص ، والمعنى لو شاء الله عدم إنزاله ما تلوته عليكم ، ولا أعلمكم به منى ولا من غيرى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بلام) أى وهى للتأكيد ، والمعنى على هذا لو شاء الله عدم تلاوتى ما تلوته عليكم ولأعلمكم به غيرى بأن ينزله على لسان نبى غيرى ونتيجة هذا القياس محذوفة تقديره لكن شاء الله إنزاله علىّ فأنا أتلوه عليكم وأنا أعلمكم به (قوله فقد لبثت فيكم عمرا) هذا هو وجه الاحتجاج عليهم والمعنى أن كفار مكة شاهدوا رسول الله قبل مبعثه وعلموا أحواله وأنه كان أميا لم يقرأ كتابا ولا تعلم من أحد وذلك مدة أربعين سنة ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشأن مشتمل على نفائس

العلوم والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق فكل من له عقل سليم وفهم ثابت يعلم أن هذا القرآن من عند الله لا من عند محمد (قوله سنينا) منصوب بفتحة ظاهرة وقد مر المفسر على طريقة من يجعله مثل حين ومنه حديث اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فى إحدى الروايتين (قوله أفلا تعقلون) أى أعميتم عن الحق فلا تعقلونه (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله بنسبة الشريك إليه) أشار المفسر إلى أن الخطاب متوجه لهم والمعنى على ذلك أنكم افتريتم على الله الكذب فزعمتم أن له شريكا والله منزه عنه وثبت عندكم صدق بالقرآن فكذبتم بآياته (قوله ويعبدون) عطف على ماتقدم عطف قصة على قصة بيان لقبائحهم وفى الحقيقة عبادتهم غير الله تسبب عنه ماتقدم من افترائهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله مالايضرهم ولا ينفعهم) ما اسم موصول أو نكرة موصوفة ونفى الضر والنفع هنا باعتبار ذواتهم و إثباتهما فى قوله تعالى: يدعو لمن ضره أقرب من نفعه باعتبار السبب (قوله وهو الأصنام) بيان لما (قوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعانى توهموا أن عبادتها أشد فى تعظيم الله من عبادتهم إياه وقالوا لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الأصنام فإنها تكون شافعة لنا عند الله قال تعالى إخبارا عنهم: مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

سنيناً أربعين (مِنْ قَبْلِهِ) لا أحدثكم بشيء (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) أنه ليس من قِبَلى (فَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) القرآن (إِنَّهُ) أى الشأن (لاَ يُفْلِحُ) يسعد (الْمُجْرِمُونَ) المشركون (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مَالاَ يَضُرُّهُمْ) إن لم يعبدوه (وَلاَ يَنْفَعُهُمْ) إن عبدوه وهو الأصنام (وَيَقُولُونَ) عنها (هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ، قُلْ) لهم (أَتُنَبِّئُونَ اللهَ) تخبرونه (بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِى السَّمَوَاتِ وَلاَ فِى الْأَرْضِ) استفهام إنكار إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لايخفى عليه شيء (سُبْحَانَهُ) تنزيهاً له (وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً) على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح، وقيل من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحى (فَاخْتَلَفُوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) أى الناس فى الدنيا (فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من الدين بتعذيب الكافرين (وَيَقُولُونَ) أى أهل مكة (لَوْلاَ) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) على محمد صلى الله عليه وسلم (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد،

(فقل)

إن قلت إنهم ينكرون البعث ففى أى وقت يشفعون لهم على زعمهم أجيب بأنهم يرجون شفاعتهم فى الدنيا فى إصلاح معاشهم (قوله بما لايعلم) المقصود نفى وجود الشريك بنفى لازمه لأن علمه تعالى محيط بكل شيء فلو كان موجودا لعلمه الله وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجودا وهذا مثل مشهور فإن الانسان إذا أراد نفى شيء وقع منه يقول ماعلم الله ذلك منى أى لم يحصل ذلك منى قط (قوله فى السموات ولا فى الأرض) حال من العائد المحذوف فى يعلم (قوله استفهام إنكار) أى بمعنى النفى (قوله إلا أمة واحدة) أى متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف (قوله من لدن آدم إلى نوح الخ) ويجمع بينهما بأن عبادة الله وحده استمرت من آدم إلى نوح فظهر فى أمة نوح من يعبد غير الله، قال تعالى: فى شأنهم وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية فأخذوا بالطوفان واستمر من يعبد الله وحده إلى زمن إبراهيم فظهر فى أمته من يعبد غير الله فأهلكوا بالبعوض واستمر من يعبد الله وحده إلى أن ظهر عمرو بن لحى، وهو أول من بحر البحائر، وسيب السوائب فى الجاهلية إلى أن ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ولولا كلمة) المراد بها حكمه الأزلى بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة (قوله فيما فيه يختلفون) أى فى الدين الذى يختلفون بسببه (قوله بتعذيب الكافرين) متعلق بقضى (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) أى معجزة كما كان للأنبياء، قال تعالى حكاية عنهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآية.

(قوله فقل إنما الغيب لله) أى مختص به لايقدر على الاتيان بشىء منه إلا الله وإنما لم يجابوا بعين مطلوبهم لعلمه بقاء هذه الأمة وهذا الدين إلى يوم القيامة . وقد جرت عادته سبحانه وتعالى : أن القوم الذين يطلبون الآيات إذا جاءت ولم يؤمنوا بها يعجل لهم الهلاك فعدم إجابتهم على طبق ماطلبوا رحمة بهم (قوله إنى معكم من المنتظرين) أى لما يفعله بكم (قوله وإذا أذقنا الناس رحمة) هذا جواب آخر عن قول أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه وذلك أنه لما اشتد من أهل مكة العناد وعدم الاذعان ابتلاهم الله بالقحط سبع سنين ثم رحمهم بعد ذلك بإنزال المطر والخصب فجعلوا ذلك هزوا وسخرية وأضافوا المنافع إلى الأصنام وقالوا لو كان القحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد ماحصل لنا بعد ذلك الخصب لأنا لم نتب فاذا كان كذلك فعلى تقدير أن يعطوا ماسألوا من إنزال ماطلبوه لايؤمنون (قوله بالاستهزاء الخ) تفسير للمكر (قوله أسرع مكرا) أى أعجل عقوبة من سرعة مكرهم وتسمية عقوبة الله مكرا مشاكلة (قوله إن رسلنا) تعليل لأسرعية مكره وتنبيه على أن مادبروه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير (قوله بالتاء والياء) أى لكن الأولى سبعية والثانية عشرية (قوله هو الذى يسيركم) الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر أى لا مسير لكم فى البر والبحر إلا هو وهذا من جملة أدلة توحيده (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا من النشر وهو البث والتفريق والمعنى يفرقكم و ينشكم فى البر والبحر والرسم متقارب لكن

(فَقُلْ) لهم (إِنَّمَا الْغَيْبُ) ما غاب عن العباد أى أمره (لِلَّهِ) ومنه الآيات فلا يأتى بها إلا هو ، و إنما على التبليغ (فَانْتَظِرُوا) العذاب إن لم تؤمنوا (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ . وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) أى كفار مكة (رَحْمَةً) مطرا وخصبا (مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ) بؤس وجدب (مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) بالاستهزاء والتكذيب (قُلِ) لهم (اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) مجازاة (إِنَّ رُسُلَنَا) الحفظة (يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) بالتاء والياء (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ) وفى قراءة ينشركم (فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ) السفن (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) فيه التفات عن الخطاب (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) لينة (وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) شديدة الهبوب تكسر كل شىء (وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) أى أهلكوا (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) الدعاء (لَئِنْ) لام قسم (أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ) الأهوال (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) الموحدين (فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالشرك (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ) ظلمكم (عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) لأن إثمه عليها ،

طولت السنة الثانية وهى النون فى القراءة الثانية وطولت السنة التى قبل لراء وهى الياء على القراءة لأولى (قوله فى البر) أى مشاة وركبانا (قوله حتى إذا كنتم فى الفلك) غاية للسير فى البحر والفلك يستعمل مفردا وجمعا فحركته فى المفرد كحركة قفل وحركته فى الجمع كحركة بدن وهنا مستعمل فى الجمع بدليل وجرين وفى آية : فى الفلك المشحون مستعمل مفردا (قوله فيه التفات عن الخطاب) أى إلى الغيبة وحكمته زيادة التقبيح على الكفار لأن شأنهم عدم شكر النعمة وأما الخطاب أولا فهو لكل شخص مسلم أوكافر بتعداد النعم عليهم (قوله بريح طيبة) أى توصل للمقصود بلطف (قوله وفرحوا بها) الجملة حالية من ضمير بهم وقد مقدرة (قوله وظنوا) أى أيقنوا (قوله أى أهلكوا) أى ظنوا الهلاك لقيام الأسباب بهم (قوله مخلصين) أى غير مشركين معه شيئا من آلهتهم (قوله لئن أنجيتنا) هذا مقول لقول محذوف بيان لحصل الدعاء والتقدير قائلين وعزتك وجلالك لئن أنجيتنا (قوله من الشاكرين) أى على نعمائك الموحدين لك (قوله إذا هم يبغون) إذا للمفاجأة والمعنى فحين أنجاهم فاجأوا الفساد و بادروا إليه (قوله بغير الحق) إما وصف كاشف أواحترز به عن البغى بحق كاستيلاء المسلمين على الكفار وتخريب دورهم وإتلاف أموالهم كما فعل رسول الله بقريظة (قوله إنما بغيكم على أنفسكم) الكلام على حذف مضاف أى إثم بغيكم كما يشير له المفسر بقوله لأن إثمه عليها والمعنى أن و بال بغيكم راجع لأنفسكم لايضر الله منه شىء كما لاتنفعه طاعة المطيع قال تعالى : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم و إن أسأتم فلها . وقال العارف ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع فاشراك المشرك لايثبت لله شريكا بل هو محض افتراء وكذب وو باله على صاحبه وتوحيد الموحد لايثبت لله وحدة بل هى ثابتة أزلا وأبدا بل معنى وحدت ربى قامت وحدته بقلبى وامتزجت بلبى وليس المعنى أنه أثبت له وحدة لم تكن فان هذا هو الكفر بعينه . وفى ذلك قال العارف :

ما وحد الواحد من واحد ... إذ كل من وحده جاحد

(قوله متاع الحياة الدنيا) قدّر المفسر هو إشارة إلى أنه بالرفع خبر لمحذوف (قوله تمتعون فيها قليلا) أى زمنا قليلا (قوله ثم إلينا مرجعكم) أى لامفرّ لهم من ذلك و إنما إمهالهم وتأخيرهم من حلمه سبحانه وتعالى (قوله فنجازيكم عليه) أى على ماعملتم من خير وشرّ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بنصب متاع) أى مفعول لفعل محذوف قدّره المفسر بقوله أى تمتعون. (قوله إنما مثل الحياة الدنيا) بيان لشأن الدنيا وأن مدّتها قصيرة ، والمعنى صفتها فى سرعة انقضائها وكونكم متعززين بها كماء الخ (قوله كماء أنزلناه من السماء) حكمة تشبيهها بماء السماء دون ماء الأرض إشارة إلى أن الدنيا تأتى بلا كسب من صاحبها ولا تعان منه كماء السماء بخلاف ماء الأرض فينال بالآلات (قوله وغيرهما) أى كالذرة والحمص واللوبياء والفول ونحوذلك (قوله من الكلأ) هو العشب رطبا أو يابسا (قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) غاية لمحذوف أى مازال ينمو ويزهو حتى الخ ، والمعنى حتى استوفت واستكملت الأرض زخرفها من النبات وتمّ سرور أهلها بها أتاها أمرنا الخ (قوله بالزهر) أى أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك (قوله وأدغمت فى الزاى) أى بعد تسكينها وأتى بهمزة الوصل لأجل النطق بالساكن فلما دخلت الواو حذفت للاستغناء عنها (قوله متمكنون من تحصيل ثمارها) أى من أخذ ماأنبتته من ثمار وزروع و بقول (قوله أتاها أمرنا) جواب إذا (قوله كالمحصود) أى المقطوع (١٧٢) (قوله كأن لم تغن بالأمس) أى كأن لم تكن تلك الأشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض وهذا مثل للراغب فى زهرة الدنيا و بهجتها الراكن لها المعرض عن الآخرة فكما أن النبات الذى عظم الرجاء فيه والانتفاع به أتته المتلفات بغتة و يئس منه كذلك المتمسك بالدنيا إذا افتخر بها وتعزز يأتيه الموت بغتة فيسلب ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذتها (قوله بالأمس) المراد به الزمن الماضى لاخصوص اليوم الذى قبل يومك (قوله كذلك) أى كما فصلنا فى ضرب المثل (للذين

هو (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) تمتعون فيها قليلا (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ) بعد الموت (فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فنجازيكم عليه وفى قراءة بنصب متاع أى تمتعون (إِنَّمَا مَثَلُ) صفة (الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ) مطر (أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ) بسببه (نَبَاتُ الْأَرْضِ) واشتبك بعضه ببعض (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ) من البرّ والشعير وغيرهما (وَالْأَنْعَامُ) من الكلإ (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) بهجتها من النبات (وَازَّيَّنَتْ) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايا وأدغمت فى الزاى (وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) متمكنون من تحصيل ثمارها (أَتَاهَا أَمْرُنَا) قضاؤنا أو عذابنا (لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا) أى زرعها (حَصِيدًا) كالمحصود بالمناجل (كَأَنْ) مخففة أى كأنها (لَمْ تَغْنَ) تكن (بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ) نبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ) أى السلامة وهى الجنة بالدعاء إلى الإيمان (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دين الاسلام ،

(قوله نفصل الآيات لقوم يتفكرون) أى فليس هذا المثل قاصرا على شخص دون شخص بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر فينبغى للإنسان أن ينزل القرآن فى خطاباته على نفسه و يتأمل فيها و يتدبر ليأتمر بأوامره و ينتهى بنواهيه (قوله والله يدعوا إلى دار السلام) لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدنيا ورغب فى الزهد فيها والتجنب لزخارفها رغب فى الآخرة ونعيمها حيث أخبر أنه بعظمته وجلاله وكبريائه يدعو إلى دار السلام ، والسلام اسم من أسمائه تعالى ومعناه المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال وأضيفت الدار للسلام لأنها سالمة من الآفات والكدرات كما أن معنى السلام السالم من كل نقص ، وقيل المراد بالسلام السلامة من الآفات والنقائص وعليه درج المفسر (قوله وهى الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بهذا الاسم مايشمل جميع الجنات لاخصوص المسماة بهذا الاسم من باب تسمية الكل باسم البعض وكذا يقال فى باقى دورها كدار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة المأوى والفردوس جنة عدن ، فهذه الأسماء كما تطلق على مسمياتها يطلق كل اسم منها على جميع دورها لصدق الاسم على المسمى فى كل (قوله بالدعاء للايمان) أى فهو سبب لدخول الجنة وان كان صاحبه عاصيا فالمدار فى استحقاق الجنة على مجرد الايمان (قوله ويهدى من يشاء) أى يوصله إلى السعادة الكاملة (قوله هدايته) هذا هو مفعول يشاء (قوله إلى صراط مستقيم) أى طريق قويم لااعوجاج فيه وحذف مقابل و يهدى من يشاء الخ تقديره و يضل من يشاء عنه فالضلال والهدى بيد الله

يعطي أيهما شاء لمن شاء (قوله للذين أحسنوا) خبر مقدّم والحسنى مبتدأ مؤخر (قوله بالإيمان) أى ولوصحبه ذنوب فصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة وإن كانت مراتب أهل الجنة متفاوتة فليس المنهمكون فى طاعة الله كغيرهم (قوله هى النظر إليه تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين ، وقيل المراد بالزيادة رضوان الله الأكبر ، وقيل مضاعفة الحسنات ، وقيل الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب ولكن القول الأول هو الذى عليه المعوّل لأن النظر إليه تعالى يستلزم جميع ذلك ، ويدل له ماورد « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما يعطون شيئا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى » زاد فى رواية : ثم تلا ـ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ـ . واعلم أن الناس جميعا فى الجنة ينظرون إليه سبحانه وتعالى فى مثل يوم الجمعة من الأسبوع وفى مثل يوم العيد من السنة وهذه هى الرؤية العامة لجميع أهل الجنة ، وللخواص مراتب متفاوتة فمنهم من يراه فى كل صباح ومساء ، ومنهم من يراه فى مثل أوقات الصلوات الخمس ، ومنهم من لايحجب عن الرؤية أبدا لما قيل : إن لله رجالا لوحجبوا عن الرؤية طرفة عين لتمنوا الخروج من الجنة (قوله ولا يرهق) الجملة مستأنفة (قوله سواد) أى وغبار فأهل الجنة بيض الوجوه فى غاية من البسط والجمال فلايعتريهم نكد ولا كدر قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة (قوله أولئك) أى المحدث عنهم أن لهم الحسنى وزيادة (قوله هم فيها خالدون) أى لايخرجون منها أبدا (قوله والذين كسبوا السيئات) شروع فى ذكر صفات أهل النار إثر ذكر صفات أهل الجنة (١٧٣) (قوله عطف على للذين أحسنوا) أى ويكون فيه العطف على معمولى عاملين مختلفين لأن الذين معطوف على الذين الأول والعامل فيه المبتدأ الذى هو الحسنى وقوله : جزاء سيئة معطوف على الحسنى والعامل فيه الابتداء وهذا الوجه فيه خلاف بين النحويين ولذا حاول بعضهم إعراب الآية حتى

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالإيمان (الْحُسْنَى) الجنة (وَزِيَادَةٌ) هى النظر إليه تعالى كما فى حديث مسلم (وَلَا يَرْهَقُ) يغشى (وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ) سواد (وَلَا ذِلَّةٌ) كآبة (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ) عطف على للذين أحسنوا ، أى وللذين (كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ) عملوا الشرك (جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ) زائدة (عَاصِمٍ) مانع (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ) ألبست (وُجُوهُهُمْ قِطَعًا) بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أى جزءا (مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) أى الخلق (جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ) نصب بالزموا مقدرا (أَنْتُمْ) تأكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر ليعطف عليه (وَشُرَكَاؤُكُمْ) أى الأصنام ،

ذكر فيه سبعة أوجه أحسنها أن قوله الذين مبتدأ أول وجزاء سيئة مبتدأ ثان وبمثلها خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول والباء زائدة ويدل لزيادتها قوله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله بمثلها) أشار بذلك إلى الفرق بين الحسنات والسيئات فالحسنات مضاعفة بفضل الله والسيئات جزاؤها مثلها عدلا منه سبحانه وتعالى قال صاحب الجوهرة : فالسيئات عنده بالمثل ۞ والحسنات ضوعفت بالفضل (قوله وترهقهم ذلة) أى يغشاهم الذل والكآبة (قوله مالهم من الله) أى من عذابه وسخطه (قوله كأنما أغشيت) أى غطيت (قوله وإسكانها) أى فهما قراءتان سبعيتان ، والمعنى على الأولى كأن أجزاء الليل غطتهم ولبستهم وعلى الثانية كأن جزءا من الليل غشيهم وغطى وجوههم وهذه الآية بمعنى الآية الأخرى وهى قوله تعالى : ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ، ومامشى عليه المفسر من أن القطع بالسكون الجزء هو أحد أقوال فى تفسيره ، وقيل هو سواد الليل ، وقيل هو ظلمة آخر الليل (قوله مظلما) حال من الليل (قوله أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (قوله أصحاب النار) أى المستحقون لها (قوله هم فيها خالدون) أى ماكثون على سبيل الخلود والتأبيد (قوله ويوم نحشرهم) شروع فى ذكر محاجة أهل الشرك مع معبوداتهم إثر بيان أصحاب النار ويوم ظرف معمول لمحذوف قدّره المفسر بقوله اذكر (قوله نصب بالزموا) أى على أنه مفعول به ، والمعنى الزموا هذا المكان ولاتبرحوا عنه أو ظرف بجعل الزموا بمعنى قفوا (قوله تأكيد للضمير المستتر) أى الذى هو الواو وتسميته مستترا فيه مسامحة إذ الواو من الضمائر البارزة وقد يجاب بأن المراد بالاستتار عدم الذكر بالفعل (قوله المقدر) أى الذى هو الزموا والإخبار بهذا الأمر للتهديد يصدر من الله على لسان ملك لامباشرة لقوله تعالى ـ ولايكلمهم الله يوم القيامة ـ .

(قوله فزيلنا) من التزييل وهو التفريق والتمييز، يقال زل ضأنك من معزك: أي فرق بينهما وميز هذا من هذا ووزنه فعل بالتضعيف فهو من باب ذوات الياء أو فيعل، وأصله زيول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فهو من باب ذوات الواو (قوله بينهم و بين المؤمنين) هكذا فهم المفسر وهو بعيد من سابق الكلام ولاحقه، وقيل ميزنا بينهم و بين معبوداتهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وهو الأقرب لأن الكلام فيه (قوله وقال شركاؤهم) إنما أضيفت الشركاء لهم لأنهم اتخذوها شركاء لله في العبادة (قوله ما كنتم إيانا تعبدون) قال مجاهد: تكون في القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا، فيقولون والله إياكم كنا نعبد، فتقول الآلهة لهم ـ فكفى بالله شهيدا بيننا و بينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ـ (قوله للفاصلة) أي تناسب رءوس الآي (قوله لغافلين) أي لا علم لنا بذلك (قوله هنالك) إشارة للمكان البعيد وهو الوقف الذي يدهش العقول (قوله تبلو) أي تختبر وتعلم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا من التلاوة: أي تقرأ ما أسلفته وقدمته فتجده مسطرا في صحف الملائكة. قال تعالى ـ ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك ـ أو من التلو: أي تتبع وتطلب ما أسلفته من أعمالها، وفي قراءة أيضا نبلو بالنون بعدها باء موحدة: أي نختبر نحن وكل بالنصب مفعول به عليها وهي شاذة (قوله وردوا) أي المشركون (قوله الثابت الدائم) أي الذي لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق فلا ينافي أنهم معهم في النار، وهكذا كل من اعتمد على غير الله يقال له ـ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ـ الآية فينبغي للانسان أن يسعى في خلاص قلبه من الوهم الذي يلجئه إلى الاعتماد على غير الله من جاه أو مال أو علم أو عمل أو غير ذلك ليرى الحق حقا والباطل باطلا فيتبع الحق ويجتنب الباطل، وبهذا الأمر يتبين الولي من العاصي فالولي يرى الأشياء كلها ظاهرا و باطنا من الله فهو دائما مطمئن ساكن مسلم لله ومن في كل ما يفعله والعاصي يعتقد ذلك بقلبه غير أن الوهم يخيل له أن لغير الله ضرا أو نفعا فيكون دائما في تعب ونصب، وقد أشار العارف لذلك بقوله.

(فَزَيَّلْنَا) ميزنا (بَيْنَهُمْ) و بين المؤمنين كما في آية: وامتازوا اليوم أيها المجرمون (وَقَالَ) لهم (شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (فَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ) مخففة أي إنا (كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ. هُنَالِكَ) أي ذلك اليوم (تَبْلُوا) من البلوى وفي قراءة بتاءين من التلاوة (كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) قدمت من العمل (وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ) الثابت الدائم (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) عليه من الشركاء (قُلْ) لهم (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ) بمعنى الأسماع أي خلقها (وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة ... لها صورة لكن تبدت عن الماء

فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده ... تبدى بوصف الثلج من غير إخفاء

ومن حجبته صورة الثلج جاهل ... تغطى عليه الأمر من لمع أضواء

(قوله قل لهم من يرزقكم الخ) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم الحجة على المشركين ويبطل ما هم عليه من الإشراك بأسئلة ثمانية أجاب المشركون عن الخمسة الأولى وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له، وجواب الأخير لم يذكر للعلم به وقد صرح به المفسر (قوله من السماء والأرض) أي رزقا مبتدأ من السماء والأرض (قوله بالمطر) أي فهو سبب لاخراج نبات الأرض فصح كون الرزق من السماء (قوله أمن يملك السمع) أي يخلقه ويحفظه من الآفات في كل لحظة إذ هو معرض للزوال لولا حفظ الله له ما ثبت (قوله بمعنى الأسماع) إنما قال ذلك ليوافق الأبصار (قوله والأبصار) جمع بصر، والمعنى أن الله تعالى هو الخالق للأبصار الواضع للنور فيها الذي به الإبصار وهو الحافظ له (قوله ومن يخرج الحي من الميت الخ) تقدم أن المراد بالحي الانسان والطير، و بالميت النطفة والبيضة.

(وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) بين الخلائق (فَسَيَقُولُونَ) هو (اللَّهُ فَقُلْ) لهم (أَفَلَا تَتَّقُونَ) ه فتؤمنون (فَذَلِكُمُ) الفعال لهذه الأشياء (اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ) الثابت (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) استفهام تقرير: أى ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع فى الضلال (فَأَنَّى) كيف (تُصْرَفُونَ) عن الايمان مع قيام البرهان (كَذَلِكَ) كما صرف هؤلاء عن الايمان (حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) كفروا وهى لأملأن جهنم الآية أو هى (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) بنصب الحجج وخلق الاهتداء (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) وهو الله (أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي) يهتدى (إِلَّا أَنْ يُهْدَى) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أى الأول أحق (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ) فى عبادة الأصنام (إِلَّا ظَنًّا) حيث قلدوا فيه آباءهم

(قوله ومن يدبر الأمر) عطف عام على خاص لأن تدبير الأمر عام فى كل شئ (قوله فسيقولون الله) أى جوابا لمن تكلم (قوله أفلا تتقون) أى أدمتم على الشرك فلا تتقونه ، ويؤخذ من هذا أن المعرفة ليست هى الايمان إذ لو كانت هى الايمان لكان إقرارهم بأن الله هو الفعال لهذه الأشياء توحيدا وإيمانا بل الايمان هو حديث النفس التابع للمعرفة : أى قول النفس آمنت وصدقت على التحقيق (قوله الثابت) أى الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله استفهام تقرير) المناسب إنكار بدليل قوله : أى ليس بعده غيره (قوله وقع فى الضلال) أى الباطل وهو الشرك لأنه لاواسطة بين الحق والباطل (قوله فأنى تصرفون) أى تمنعون وهو استفهام تعجبى (قوله كذلك) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف ، والتقدير مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به حقت الخ (قوله وهى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أى فالمراد نفذ القضاء والقدر بأن جهنم تمتلئ من الجن والانس حتى تقول قط قط (قوله أوهى أنهم لايؤمنون) أو لتنويع الخلاف : أى فالمراد بكلمة الله على هذا القول نفوذ قضاء الله وقدره بعدم إيمانهم (قوله قل هل من شركائكم الخ) هذا هو السؤال السادس (قوله من يبدأ) أى ينشئ الخلق من العدم (قوله ثم يعيده) أى الخلق فى القيامة للحساب والجزاء وإنما لم يجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله الجواب عنه لأنهم منكرون البعث فلو أجابوا لكان ذلك إقرارا منهم بالبعث وصح أن يكون حجة عليهم لقيام الأدلة والبراهين عليه فلا يستطيعون أن ينازعوا فى ذلك (قوله قل هل من شركائكم) هذا هو السؤال السابع . والمعنى هل من شركائكم من يقيم الحجج ويرسل الرسل ويوفق العبيد لرشادهم ولما لم يكونوا مسلمين ذلك تولى الله جوابه أيضا (قوله قل الله يهدى للحق) اى فهو أحق بالاتباع لاهذه الأصنام التى لاتهتدى بنفسها (قوله أفمن يهدى إلى الحق) هذا هو السؤال الثامن ، وقد ذكر المفسر جوابه بقوله الأول أحق (قوله أحق أن يتبع) خبر قوله أفمن يهدى ، والمعنى أفمن يهدى إلى الحق حقيق بالاتباع أم من لايهدى إليه (قوله أم من لايهدى) أصله يهتدى نقلت فتحة التاء إلى الهاء وأبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال ويهدى بفتح الهاء وكسرها وبكسر الياء والهاء معا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين وكسر الياء اتباعا لكسر الهاء (قوله إلا أن يهدى) استثناء من أعم الأحوال ، والمعنى لايهتدى فى حال من الأحوال إلا فى حال إهداء الغير إياه . ومعنى هداية الأصنام كونها تنقل من مكان لآخر ، فالمعنى لاتنتقل من مكان لآخر إلا أن تحمل وتنقل وهذا ظاهر فى الأصنام ، وأما مثل عيسى والعزير فالمعنى لايهدى لا يخلق الهدى لافى نفسه ولا فى غيره فالخلق كلهم عاجزون إذ لايملكون لأنفسهم شيئا فضلا عن غيرهم (قوله فمالكم) أى أى شئ ثبت لكم فى هذه الحالة (قوله كيف تحكمون) أى بالباطل وتجعلون لله شركاء (قوله وما يتبع أكثرهم) يفيد أن الأقل يعرفون أن الله منزه عن كل نقص متصف بكل كمال غير أنهم يكفرون عنادا (قوله حيث قلدوا فيه آباءهم) أى فقالوا ـ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ـ .

(قوله إن الظن لايغني من الحق شيئا) المراد بالظن خلاف التحقيق فيشمل الشك والوهم ، وهذا الكلام في حق الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الكفر وقلدوهم فيه فلاعذر لهم في التقليد دنيا ولا أخرى ، وأما المؤمن الخالص الذي امتلأ قلبه بالإيمان حيث عجز عن قيام الأدلة على التوحيد وقلد العارف فيه فليس من هذا القبيل بل هو مؤمن جزما لأنه ليس عنده ظن بل جزم مطابق الواقع وربما إن دام على الصدق ومتابعة من يقلده يرتقي في التوحيد إلى مقام أعلى وأجل من مقام من قلده ، وأما القول بأنه كافر فإنما يعرف لأبي هاشم الجبائي من المعتزلة فلا يعوّل عليه (قوله إن الله عليم بما يفعلون) هذا تهديد لهم على ما وقع منهم من الأفعال الشنيعة والأحوال القبيحة (قوله وما كان هذا القرآن) المقصود من هذا الكلام الرد على من كذب بالقرآن وزعم أنه ليس من عند الله ، والمعنى لاينبغي لهذا القرآن أن يختلق و يفتعل لأن تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين وذلك لأن حسن الكلام على حسب سعة علم المتكلم واطلاعه ولاأحد أعلم من رب العالمين فلذلك أعجز الخلائق جميعا لكونه في أعلى طبقات البلاغة ولذلك قال صاحب الهمزية :

أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتي به البلغاء

إلى أن قال :

سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

(قوله أي افتراء) أشار بذلك إلى أن خبر كان أن ومادخلت عليه في تأويل مصدر (قوله ولكن تصديق الذي بين يديه) هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لأنه وقع بين نقيضين الكذب والصدق وتصديق بالنصب خبر لكان مقدرة والتقدير ولكن كان تصديق الخ أو مفعول لأجله بفعل محذوف قدره المفسر بقوله أنزل وتصديق بمعنى مصدق أو بولغ فيه حق جعل نفس التصديق على حد زيد عدل وكذا يقال في قوله وتفصيل الكتاب (قوله من الكتب) أي السماوية المنزلة على الأنبياء (قوله وتفصيل الكتاب) أي مفصل لما في الكتاب وهو اللوح المحفوظ فالقرآن مفصل لما كتب في اللوح المحفوظ من علم ما كان وما يكون وماهو كائن في الدنيا والآخرة فمن أعطى شيئا من أسرار القرآن فلا يحتاج للاطلاع على اللوح المحفوظ بل يأخذ منه ما أراده (قوله وغيرها) أي من المغيبات (قوله لاريب فيه) حال من التصديق والتفصيل وهذا هو الأظهر (قوله متعلق بتصديق أو بأنزل) أي ويكون قوله لاريب فيه معترضا بين المتعلق والمتعلق (قوله وقرئ) أي شاذا (قوله أم يقولون افتراه) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة ، والمعنى أنهم أصروا على تلك المقالة ولم يذعنوا للحق (قوله اختلقه محمد) أي افتعله وليس من عند الله (قوله قل فأتوا بسورة) هذا تبكيت لمقالتهم الفاسدة وهو جواب شرط مقدر والتقدير إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله . واعلم أن مراتب تحدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن أربعة : أولها أنه تحداهم بجميع القرآن . قال تعالى - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن - ثانيها أنه تحداهم بعشر سور . قال تعالى - قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات - ثالثها أنه تحداهم بسورة واحدة . قال تعالى - قل فأتوا بسورة مثله - رابعها أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى - فليأتوا بحديث مثله - (قوله من استطعتم من دون الله) أي من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه : أي فأتوا بسورة وادعوا الخ (قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أي بفهم ألفاظه ومعانيه العظيمة فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه وجهلهم بفضله ففي المثل : من جهل شيئا عاداه . وقال البوصيري :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله ولما يأتهم تأويله) أي لم ينزل بهم الوعيد فيحملهم على التصديق قهرا فتكذيبهم لأمرين جهلهم بفضله وعدم إتيان الوعيد لهم

(إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) فيما المطلوب منه العلم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيجازيهم عليه (وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ) أي افتراء (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (وَلَٰكِنْ) أنزل (تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ) تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) اختلقه محمد (قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلي (وَادْعُوا) للاعانة عليه (مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك قال تعالى (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) أي القرآن ولم يتدبروه (وَلَمَّا) لم (يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) عاقبة

(قوله من الوعيد) أى وهو العذاب الموعود به (قوله كذلك التكذيب) أشار بذلك إلى أن الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف أى مثل ذلك التكذيب كذبوا رسلهم (قوله فكذلك نهلك هؤلاء) أى بأن نسلطكم عليهم فتقتلوهم وليس المراد الهلاك العام بالخسف وللسخ مثلا فان ذلك مرفوع ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم) أى من أهل مكة المكذبين (قوله من يؤمن به) أى فى المستقبل والمعنى أن أهل مكة المكذبين للقرآن انقسموا قسمين قسم آمن بعد وقسم لم يؤمن (قوله و إن كذبوك) أى داموا على تكذيبك (قوله أى لكل جزاء عمله) أى جزاء ماعمله من خير أو شر (قوله وهذا منسوخ بآية السيف) أى فبعد نزولها لم يقل ذلك وفيه إن شرط الناسخ أن يكون رافعا الحكم المنسوخ ومدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف إذ مدلول هذه الآية اختصاص كل بعمله وبراءة كل من عمل الآخر وهذا حاصل مطلقا فالوجه أنه لا نسخ فى هذه الآية (قوله ومنهم من يستمعون إليك) أى من كفار مكة المكذبين للقرآن فريق يصغون إلى قراءتك بآذانهم ولم يذعنوا بقلوبهم فلا تطمع فى إيمانهم لوجود الختم على قلوبهم فلا يفقهوا الحق ولا يتبعوه وفى هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على عدم إيمانهم فانك لا تقدر أن تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى والمعنى أنت لا تقدر أن تسمع من سلبه الله السمع (قوله شبههم) أى الكفار وقوله بهم أى بالصم وقوله فى عدم الانتفاع هذا هو وجه الشبه أى فكما أن معدوم السمع لا ينتفع بالأصوات فكذلك الكفار لا ينتفعون بسماع القرآن لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله ولو كانوا لا يعقلون) أى ولو كان مع الصمم عدم العقل وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وجملة الشرط معطوفة على محذوف تقديره أأنت تسمع الصم إن عقلوا بل ولو كانوا لا يعقلون فأنت لا تسمعهم فيكون المعنى أنت لا تسمع الصم

عاقبة ما فيه من الوعيد (كَذَٰلِكَ) التكذيب (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) بتكذيب الرسل أى آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء (وَمِنْهُمْ) أى أهل مكة (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) لعلم الله ذلك منه (وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ) أبداً (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) تهديد لهم (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ) لهم (لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ) أى لكل جزاء عمله (أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) وهذا منسوخ بآية السيف (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) إذا قرأت القرآن (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) شبههم بهم فى عدم الانتفاع بما يتلى عليهم (وَلَوْ كَانُوا) مع الصمم (لَا يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ) شبههم بهم فى عدم الاهتداء بل أعظم ـ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ـ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ) أى كأنهم (لَمْ يَلْبَثُوا) فى الدنيا أو القبور (إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ)،

عقلوا أو لم يعقلوا فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله ومنهم من ينظر إليك) أى يبصرك بعينه (قوله أفأنت تهدى العمى) يقال فيه ما قيل فيما قبله (قوله ولو كانوا لا يبصرون) أى لا يتأملون ولا يتفكرون بقلوبهم فيما جئت به من الدلائل العظيمة والشمائل الفخيمة، والمعنى أنت لا تهدى عمى القلوب أبصروا أولم يبصروا (قوله بل أعظم) أى لأنهم عدموا البصيرة والمشبه بهم عدموا البصر وفقد البصيرة أعظم فى الضرر من فقد البصر (قوله إن الله لا يظلم الناس شيئا) هذه الآية سيقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم فدفع ذلك بأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه لأنه هو المالك الحقيقى وهو يتصرف فى ملكه كيف يشاء (قوله ولكن الناس أنفسهم يظلمون) إنما قال ذلك لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب الاختيارى فالله سبحانه وتعالى يعذب الشقى على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختيارى . فان قيل هو الخالق لذلك الكسب . يقال لا يسئل عما يفعل (قوله ويوم يحشرهم) أى نجمعهم للحساب والضمير عائد على المشركين المنكرين للبعث والمعنى ويوم نجمع المشركين فى القيامة ويعرف بعضهم بعضا حال كونهم فى وقت حشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا زمنا قليلا من النهار .

(قوله لهول مارأوا) أى فبسبب ذلك يعد الزمن السابق عليه يسيرا وإن كان فى نفسه طويلا (قوله حال من الضمير) أى فى نحشرهم (قوله إذا بعثوا) دفع بذلك مايقال إن هذا معارض لقوله فلا أنساب بينهم . وحاصل الجواب أنهم يتعارفون أولا فإذا اشتد الهول نسى بعضهم بعضا (قوله والجملة حال) أى من الواو فى يلبثوا أو من الضمير فى نحشرهم وعلى هذا فالظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر (قوله أو متعلق الظرف) أى فهو معمول له والتقدير يتعارفون وقت حشرهم (قوله قد خسر الذين كذبوا) هذا إخبار من الله بحالهم الشنيع (قوله وما كانوا مهتدين) معطوف على جملة قد خسر والمعنى وما كانوا واصلين الجنة أبدا (قوله وإما نرينك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لاتحزن فإما نرينك عقوبتهم فى حياتك أو نؤخرهم إلى يوم القيامة فهم لايفلتون من عذابنا على كل حال فاصبر ولا تحزن فان الأمر لنا فيهم (قوله فذاك) أى هو المراد وقد حصل ذلك بأن بلغ الله نبيه الآمال فيمن عاداه بسبب تسليمه الأمر فيهم لمالكهم وهكذا يفعل الله بالظالم إذا سلم المظلوم أمره لسيده ولم يعترض على أفعاله وصبر على أحكامه فبهذا ينال رضا الله ويظفر بمطلوبه ممن ظلمه وفى هذا المعنى قلت :

أرح قلبك العانى وسلم له القضا
تفز بالرضا فالأصل لايتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة
إيمان وتسليم وصبر مجمل

لهول مارأوا وجملة التشبيه حال من الضمير (يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) يعرف بعضهم بعضا إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) بالبعث (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف أى فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ) مطلع (عَلَى مَا يَفْعَلُونَ) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) من الأمم (رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ) إليهم فكذبوه (قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) بالعدل فيعذبون وينجى الرسول ومن صدقه (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا) أدفعه (وَلَا نَفْعًا) أجلبه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أن يقدرنى عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) مدة معلومة لهلاكهم (إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ) يتأخرون عنه (سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) يتقدمون عليه (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ) أى الله (بَيَاتًا) ليلا (أَوْ نَهَارًا مَاذَا) أى شىء (يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ) أى العذاب (الْمُجْرِمُونَ) المشركون ، فيه وضع الظاهر موضع

(قوله فالينا مرجعهم) هذا هو جواب الشرط (قوله ثم الله شهيد) ثم لترتيب الأخبار لا للترتيب الزمانى (قوله رسول) أى أرسله الله لهم (قوله فكذبوه) قدره إشارة إلى أن قوله قضى بينهم بالقسط مرتب على محذوف لاعلى قوله فإذا جاء رسولهم (قوله وهم لايظلمون) أى لأن تعذيبهم بسبب كسبهم لما تقدم أن الرحمة قد تأتى من غير سابقة مقتضيها ، وأما العذاب فلا بد وأن يكون بسبب فعل يقتضيه (قوله ويقولون) أى كفار مكة (قوله متى هذا الوعد) أى الذى تعدنا به وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبى والمؤمنين (قوله قل لا أملك لنفسى ضرا الخ) أى لا أستطيع أن أدفع الضر عن نفسى إن أراد الله نزوله بى ولا أستطيع جلب نفع أراد الله منعه عنى (قوله إلا ماشاء الله) يحتمل أن يكون متصلا والتقدير إلا ماشاء أن أملكه وأقدر عليه ، أو منقطعا والتقدير لكن ماشاء الله من ذلك فانى أملك لكم الضر وأجلب العذاب (قوله لكل أمة أجل) هذا من جملة ما أجابهم به والمعنى حيث كان لكل أمة أجل محدود لاتتعداه فلا معنى لاستعجالكم العذاب (قوله يتأخرون الخ) أشار بذلك إلى أن السين فى يستأخرون ويستقدمون زائدة والمعنى أنه إذا جاء الأجل الذى قدره الله لكل أمة فلا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه إن لم يجئ . إن قلت ورد أن الصدقة تزيد فى العمر فالجواب أن المراد بالزيادة البركة لأن الأجل الذى سبق فى علم الله لايتغير (قوله قل أرأيتم) أى قل للذين يستعجلون العذاب .

(قوله موضع المضمر) أى وهو الواو التى مع تاء المخاطب والتقدير ماذا تستعجلون وعدل عنه لأجل الوصف بالاجرام تبكيتا عليهم (قوله وجملة الاستفهام جواب الشرط) أى على تقدير الفاء لأن الجملة اسمية (قوله والمراد به) أى بالاستفهام (قوله لانكار التأخير) أى المستفاد من ثم والتقدير أأخرتم ثم آمنتم به إذا وقع. والمعنى لاينبغى هذا التأخير لأن الايمان فى هذه الحالة غير نافع (قوله آلآن) منصوب على الظرفية والعامل فيه محذوف قدره المفسر بقوله تؤمنون والفعل المقدر ومعموله على إضمار القول وهو يقال لكم وآلآن بهمزتين الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة أل المعرّفة فاذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب فى الثانية إما تسهيلها أو مدها بقدر ثلاث ألفات وهما قرءاتان سبعيتان وقد وقع ذلك فى القرآن فى ستة مواضع اثنان فى الأنعام آلذكرين مرتين وثلاثة فى هذه السورة آلآن مرتين وآلله أذن لكم وواحد فى النمل آلله خير. وأما تحقيق الهمزتين فلا يجوز (قوله وقد كنتم به تستعجلون) الجملة حالية من فاعل آمنتم (قوله استهزاء) أى تستعجلون على سبيل الاستهزاء (قوله ثم قيل للذين ظلموا) إخبار عما يقع لهم فى القيامة (قوله هل تجزون) الواو نائب الفاعل مفعول أول وقوله بما كنتم تكسبون مفعول ثان وقوله إلا جزاء مفعول مطلق لتجزون. والمعنى لاتجزون إلا جزاء الذى كنتم تكسبونه من الكفر والتكذيب (قوله ويستنبئونك) السين والتاء للطلب والمعنى يسئلونك أن تخبرهم عما وعدتهم به من العذاب أحق هو الخ ويستنبئونك فعل مضارع والواو فاعل والكاف مفعول أول وجملة أحق هو

(١٧٩)

موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك إذا أتيتك ماذا تعطينى والمراد به التهويل أى ما أعظم ما استعجلوه (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ) حلّ بكم (آمَنْتُمْ بِهِ) أى الله أو العذاب عند نزوله والهمزة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم، ويقال لكم (آلْآنَ) تؤمنون (وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) استهزاء (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) أى الذى تخلدون فيه (هَلْ) ما (تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ. وَيَسْتَنْبِئُونَكَ) يستخبرونك (أَحَقٌّ هُوَ) أى ماوعدتنا به من العذاب والبعث (قُلْ إِي) نعم (وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين العذاب (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ) كفرت (مَا فِي الْأَرْضِ) جميعا من الأموال (لَافْتَدَتْ بِهِ) من العذاب يوم القيامة (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) أى أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين الخلائق (بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئا،

فى محل المفعول الثانى وحق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس أو هو فاعل بحق أغنى عن الخبر والشرط موجود وهو اعتماد المبتدإ على الاستفهام (قوله قل إى وربى الخ) هذا أمر من الله لرسوله بأن يجيبهم بثلاثة أشياء إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين (قوله نعم) أشار المفسر بذلك إلى أن إى من أحرف الجواب ولكنها مختصة بالقسم لاتستعمل فى غيره ومنه قول الناس إى والله وقولهم إيوه فالواو للقسم والهاء مأخوذة من الله ويحتمل أن الهاء للسكت والقسم به محذوف للعلم به تقديره إى والله وهذا هو الأقرب لأن تقطيع اسم الجلالة غير لائق (قوله إنه لحق) جواب القسم (قوله وما أنتم بمعجزين) يصح أن يكون معطوفا على إى فيكون من جملة مقول القول ويصح أن يكون جملة مستأنفة خطابا من الله لهم وليس من جملة مقول القول وما يحتمل أنها حجازية فاسمها الضمير وبمعجزين خبرها أوتميمية ومابعدها مبتدأ وخبر (قوله بفائتين العذاب) أى فارّين منه بل هو مدرككم لامحالة (قوله ولو أن لكل نفس ظلمت الخ) المعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تفتدى به وهو جميع مافى الأرض (قوله كفرت) أى وماتت على كفرها (قوله لافتدت به) أى لجعلته فداء لها من العذاب لكنه لايحصل ذلك (قوله وأسروا الندامة) الضمير عائد على الرؤساء والإسرار على حقيقته. والمعنى أن الرؤساء حين يرون العذاب يخفون الندامة خوف التعيير هذا مامشى عليه المفسر وقيل إن أسروا بمعنى أظهروا من تسمية الأضداد ولعل هذا هو الأقرب قال تعالى - أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله - الآية (قوله لما رأوا العذاب) ظرف لأسروا بمعنى حين أو شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله مخافة التعيير) أى التوبيخ الواقع من الأتباع لهم (قوله بين الخلائق) أى فيقضى للمسلمين بالجنة وللكفار بالنار ويصح أن يكون المعنى بين الظالمين والمظلومين (قوله العدل) أى وهو عدم الجور والظلم.

(قوله ألا) أداة تنبيه يؤتى بها للاعتناء بما بعدها ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن كل نفس كافرة تمنى أنها لو تملك ما فى الأرض لافتدت به بين هنا أنه لا يمكن ذلك لعدم ملكها فان لله ما فى السموات والأرض (قوله ألا إن وعد الله حق) أى لامحيص عنه بل هو واقع ولابد (قوله ولكن أكثرهم لايعلمون) أى لقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم فينكرون ذلك والتعبير بأكثر اشارة إلى أن الأقل يعلم ذلك وهو واحد من ألف لما تقدم فى الحديث : يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك فيخرج من كل ألف واحداً للجنة والباقى للنار (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى خيرها وشرها (قوله أى أهل مكة) أشار بذلك إلى أن الخطاب لهم ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله موعظة) مصدر وعظ بمعنى ذكر وأرشد لما ينفع من محاسن الأعمال وزجر عما يضر من قبائحها (قوله من ربكم) صفة لموعظة وفى هذا تنزل من الله لعباده كأن الله يقول الفداء فى الآخرة لاينفع وأما فى الدنيا فذلك نافع (قوله وشفاء لما فى الصدور) المراد بها القلوب من باب تسمية الحال باسم المحل ، والمعنى أن القرآن مذكر وواعظ وبه الشفاء لما فى القلوب من الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة (قوله وهدى) أى نور يقذف فى قلوب الكاملين يميزون به بين الحق والباطل وفى هذه الآية اشارة إلى الشريعة والطريقة والحقيقة فأشار للشريعة بقوله : موعظة من ربكم لأن الشريعة بها تطهير الظواهر وأشار للطريقة بقوله : وشفاء لما فى الصدور لأن الطريقة بها تطهير البواطن عن كل ما لاينبغى وأشار للحقيقة بقوله : وهدى ورحمة للمؤمنين لأن بالحقيقة التحلى بالأنوار الساطعة فى القلوب التى يرى بها الأشياء على ما هى عليه عياناً فعند ذلك يرى الله فى كل شىء وأقرب إليه من كل شىء علماً ذوقياً لاعلماً

(أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والجزاء (حَقٌّ) ثابت (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى الناس (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (يَٰأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) كتاب فيه مالكم وعليكم وهو القرآن (وَشِفَاءٌ) دواء (لِمَا فِي الصُّدُورِ) من العقائد الفاسدة والشكوك (وَهُدًى) من الضلال (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) به (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ) الاسلام (وَبِرَحْمَتِهِ) القرآن (فَبِذَٰلِكَ) الفضل والرحمة (فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من الدنيا بالياء والتاء (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) خلق (لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) فى ذلك التحريم والتحليل

يقينياً فالحقيقة ثمرة الطريقة لاتحصل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة ولذا قيل: حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة (قوله قل بفضل الله الخ) متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده والأصل ليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة الحصر ثم دخلت الفاء لافادة السببية والمعنى أن من اتصف بهذه الصفات المتقدمة فينبغى له لا أن يفرح ويشكر ما أنعم الله به عليه ويجود بروحه وجسمه فى خدمة ربه ولا يتوانى فمن قذف الله فى قلبه نور محبته فالواجب عليه إفناء جسمه فى خدمته كى يتم له ذلك النور ويزداد السرور وهذه المحبة هى التى يعبر عنها العارفون بالخمرة والشراب والحيا لأن بها السكر والفناء عما سوى الله تعالى . قال العارف رضى الله عنه :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال العارف :

ولا تنظر لجسمى ياعذولى ... فان الجسم مطلوبى سلاه
ولاتنكر شراب حىّ قلبى ... فان القلب محبوبى سقاه

وقال العارف موضحاً لهذه الخمرة : فتلك خمر الشهود تدعى ... لاخمرة الكرم والدنان

ومن ذلك المعنى قوله تعالى ـ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ـ فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل محبته وأن يحشرنا فى زمرة أهل قربه ومودته (قوله هو خير مما يجمعون) أى من الدنيا وزخارفها وأبهمها اشارة إلى أنها خسيسة لاتساوى جناح بعوضة (قوله بالياء والتاء) راجع لقوله يجمعون وأما فليفرحوا فالتاء عشرية والياء سبعية (قوله قل أرأيتم) أشار المفسر إلى أن أرأيتم بمعنى أخبرونى وحينئذ فتنصب مفعولين الأول الموصول وصلته والثانى جملة آلله أذن لكم وقل تأكيد للأولى وليست من جملة المفعول الثانى (قوله كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام وتقدم أن البحائر والسوائب لم يوقفونها على الأصنام

يحرمون ظهورها وتتاجها وألبانها ولحومها وقوله والميتة مثال الحلال (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله أم بل) أشار المفسر إلى أنها منقطعة بمعنى بل ويصح أن تكون متصلة معادلة للهمزة والمعنى أخبرونى أحصل إذن من الله لكم أم ذلك افتراء منكم وكذب فهو استفهام لطلب التعيين وهو الأولى (قوله وماظن الذين) مااسم استفهام مبتدأ وظن خبره ويوم ظرف متعلق بظن والمعنى أى شىء ظنهم بالله يوم القيامة (قوله أيحسبون الخ) قدر المفسر هذه الجملة اشارة إلى أن مفعولى الظن محذوفان فهذه الجملة سدت مسدهما (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى أى لاينبغى هذا الظن ولا يليق ولاينفع وأما قوله فى الحديث «أنا عند ظن عبدى بى» فذلك فى حق المؤمن فظن الخير بالله ينفع المؤمن وأما الكافر فلاينفعه ذلك مادام على كفره (قوله لذو فضل على الناس) أى الطائع منهم والعاصى وذلك فى الدنيا فنعم الدنيا ليست تابعة للتقوى بل هى ثابتة بالقسمة الأزلية للمؤمن والكافر (قوله بامهالهم) أى تأخير عذابهم (قوله والانعام عليهم) أى بأنواع النعم كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك (قوله لايشكرون) أى لايصرفون النعم فى مصارفها وحينئذ فلاتنفعهم تلك النعم إلا إذا صحبها الايمان والشكر فان عدموا الايمان صارت النعم نقما وقوله ولكن أكثرهم يفيد أن القليل هو الشاكر وهو كذلك قال تعالى ـ وقليل من عبادى الشكور ـ (قوله وماتتلوا منه) الضمير إما عائد على الشأن أو على الله كما قال المفسر فعلى الأول تكون من التعليل وعلى الثانى تكون ابتدائية وقوله من قرآن من صلة والمعنى وماتتلو من أجل هذا الشأن قرآنا أو وماتتلو قرآنا مبتدأ أو صادرا من الله (قوله إلا كنا عليكم شهودا) استثناء من أعم الأحوال والمعنى ماتتلبسون بشىء من هذه الثلاثة فى حال من الأحوال إلا فى حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له إذا علمت ذلك فكان المناسب للمفسر أن يعيد الضمير فى فيه لكل من الثلاثة وقد يجاب بأنه أعاده على العمل لعمومه وشموله لباقى الثلاثة (قوله إذ تفيضون) ظرف لقوله شهودا (قوله وما يعزب) بضم الزاى وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله

لا (أَمْ) بل (عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) تكذبون بنسبة ذلك إليه (وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) أى أىّ شىء ظنهم به (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أيحسبون أنه لايعاقبهم ؟ لا (إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) بإمهالهم والانعام عليهم (وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ . وَمَا تَكُونُ) يا محمد (فِي شَأْنٍ) أمر (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ) أى من الشأن أو الله (مِنْ قُرْآنٍ) أنزله عليك (وَلَا تَعْمَلُونَ) خاطبه وأمته (مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) رقباء (إِذْ تُفِيضُونَ) تأخذون (فِيهِ) أى العمل (وَمَا يَعْزُبُ) يغيب (عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ) وزن (ذَرَّةٍ) أصغر نملة (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بيّن هو اللوح المحفوظ (أَلَا إِنَّ ،

عن ربك) أى عن علمه (قوله أصغر نملة) وقيل هو الهباء وقيل أصغر بعوضة (قوله فى الأرض ولا فى السماء) أى فى سائر الموجودات وعبر عنه بالسماء والأرض لمشاهدة الخلق لهما . واعلم أن عالم الملك مايشاهده الخلق كالأرض وماحوته وماظهر من السماء ، وعالم الملكوت مالايشاهد كما فوق السماء من العرش والكرسى والملائكة وغير ذلك ، وعالم الجبروت هو عالم الأسرار وعالم العزة هو ما استأثر الله بعلمه كعلم ذاته وصفاته ومراداته (قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع إما على الابتداء والخبر أو على أن لاعاملة عمل ليس والخبر على كلا الاعرابين قوله إلا فى كتاب مبين فتكون الجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها والنصب على أنها عاملة عمل إن لأن أصغر وأكبر شبيهان بالمضاف تعلق بهما شىء من تمام معناها وهو العمل فى الجار والمجرور وهاتان القراءتان هنا فقط وأما فى سبأ فبالرفع باتفاق السبعة (قوله إلا فى كتاب مبين) الاستثناء منقطع والمعنى لكن جميع الأشياء فى كتاب مبين فهو استدراك على مايتوهم نفسيه لأن قوله لا يعزب عن ربك الخ ربما يتوهم منه أنه لم يحط بها غير علم الله فدفع ذلك بقوله الا فى كتاب مبين : أى لكن جميع الأشياء مثبتة فى كتاب مبين أيضا ولايصح أن يكون متصلا لأنه يصير المعنى لايغيب عن علمه شىء فى حال من الأحوال إلا فى حال كونه مثبتا فى كتاب مبين فيغيب فيفيد أن مافى الكتاب المبين غائب عن علم الله وذلك باطل وهذا الاشكال لايرد إلا على جعل قوله ولا أصغر ولا أكبر معطوفا على مثقال وأما إن جعل مستأنفا كما تقرر فلا يرد الأشكال فتأمل (قوله ألا) أداة تنبيه يؤتى بها ليتنبه السامع لما بعدها ويعتنى به لعظمه .

(قوله أولياء الله) جمع ولىّ من الولاء وهو العز والنصر سموا بذلك لأنهم هم المنصورون بالله العززون به لايطمعون فى شىء سوى القرب منه وولىّ فعيل إما بمعنى فاعل أى متولى خدمة ربه بكل ما أمكنه بروحه وجسمه ودنياه أو بمعنى مفعول أى تولى الله إكرامه وعطاياه ونفحاته فلم يكله لشىء سواه فحيث تولى الخدمة تولاه الله بالنعمة والمنحة وهو سر قوله فى الحديث « يادنيا من خدمنى فاخدميه » فحينئذ صار معنى الولىّ المنهمك فى طاعة ربه الذى أفيضت عليه الأنوار والأسرار لما ورد « من تقرّب منى شبرا تقرّبت منه ذراعا ، ومن تقرّب منى ذراعا تقرّبت منه باعا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » وعلامة الولىّ كما فى الحديث « سئل رسول الله عن علامة الأولياء فقال هم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى » وسبب ذلك ظهور أنوار المعرفة الكائنة فى قلوبهم على ظواهرهم ، وذلك سرّ قوله تعالى ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . وقال أبو بكر الأصم : أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة إليه ، والولىّ من الولاء وهو القرب والنصرة ، فولىّ الله هو الذى يتقرب إلى الله بكل ماافترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب فى نور معرفة جلال الله تعالى ، فان رأى رأى دلائل قدرة الله ، وإن سمع سمع آيات الله ، وإن نطق نطق بالثناء على الله ، وإن تحرك تحرك فى طاعة الله ، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله لايفتر عن ذكر الله ولايرى بقلبه غير الله فهذه صفات أولياء الله . وإذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه . قال تعالى ـ الله ولىّ الذين آمنوا ـ وروى عن أبى مالك الأشعرى قال : « كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة ، قال وفى ناحية القوم أعرابى فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال : حدّثنا يارسول الله عنهم من هم ؟ قال فرأيت فى وجه رسول الله البشرى فقال : هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع النـــاس ولا يفزعون ويخـــاف الناس ولا يخافون » وروى عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا يارسول الله تخبرنا بأمرهم ؟ قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لايخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية ـ ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى ـ إنّ أوليائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم » (قوله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) لحفظ الله لهم فى الدنيا من الأسباب التى توجب الخوف والحزن فى الآخرة (قوله فى الآخرة) أى لما فى الحديث « لايخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » (قوله الذين آمنوا) قدر المفسر هم إشارة إلى أن الاسم الموصول خبر لمبتدإ محذوف وهذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ماصفات أولياء الله . فأجاب بأنهم الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى ، والمعنى أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالايمان وهو الاعتقاد الصحيح المبنى على الدلائل القطعية والتقوى وهى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع ، ولذا قال القشيرى : شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع . ونقل الامام الشافعى وأبو حنيفة : إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولىّ وذلك فى العالم العامل بعلمه (قوله فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة الخ) أى لأنه لم يبق من النبوّة إلا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة ، وفى الحديث : «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوّة» وقيل المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت ، ويدل عليه قوله تعالى ـ تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ـ وقيل البشرى فى الحياة الدنيا الثناء الحسن ومحبة الخلق لهم لما ورد عن أبى ذرّ : « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة هم (ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الله بامتثال أمره ونهيه (لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له (وَفِي ٱلْآخِرَةِ) بالجنة والثواب ،

(لاتبديل

أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال عاجل بشرى المؤمن » ، وورد أيضا : « إذا أحب الله عبدا نادى جبريل فيقول له إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض » قال بعض المحققين : إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فذلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقيل البشرى فى الحياة الدنيا ظهور الكرامات وقضاء الحوائج بسهولة فكلما توجه العبد المحبوب لشىء من أموره قضى عاجلا والأحسن أن يراد بالبشرى فى الدنيا جميع ما تقدم وأعظمها التوفيق لخدمة الله وراحة الجسد فى طاعة الله وانشراح الصدر لذلك ، وأما البشرى فى الآخرة فالجنة وما فيها من النعيم الدائم قال تعالى ـ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ـ (قوله لاخلف لمواعيده) أى التى وعد الله بها أولياءه وأهل طاعته فى كتابه وعلى ألسنة رسله والمعنى لاتغيير لذلك الوعد (قوله ذلك) أى الوعد المتقدم من كونهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ولهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وكون هذا الوعد لايتغير ولايتبدل (قوله هو الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الكامل الذى لايضاهى (قوله ولايحزنك) إما بفتح الياء وضم الزاى من باب نصر أو بضم الياء وكسر الزاى من باب أكرم قراءتان سبعيتان والمعنى لاتهتم بأقوالهم ولاتحزن لها فإن الله معزك وناصرك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من أذاهم وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود (قوله استئناف) أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله قولهم وقوله إن العزة الخ كلام مستأنف من كلام الله تعالى فى قوة التعليل لقوله ـ ولا يحزنك قولهم ـ أو واقع فى

(لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ) لا خلف لمواعيده (ذَٰلِكَ) المذكور (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) لك : لست مرسلا وغيره (إِنَّ) استئناف (الْعِزَّةَ) القوة (لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل فيجازيهم وينصرك (أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ) عبيداً وملكاً وخلقاً (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره أصناما (شُرَكَاءَ) له على الحقيقة ، تعالى عن ذلك (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فى ذلك (إِلاَّ الظَّنَّ) أى ظنهم أنها آلهة تشفع لهم (وَإِنْ) ما (هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) .

جواب سؤال مقدر تقديره إن الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم مع أن أقوالهم توجب الحزن فأجاب الله تعالى بأن العزة لله يعطيها لمن يشاء فأقوالهم لاتفيد شيئا فحينئذ لايبالى بهم ولا بقولهم (قوله إن العزة لله) أى الغلبة والسلطنة الكاملة ثابتة لله يخلعها على من يشاء ولذا قال فى سورة المنافقون ـ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ـ (قوله جميعا) حال من العزة (قوله فيجازيهم) أى على ماقدموا من خير وشر (قوله وينصرك) أى على من عاداك وهذا يقال لكل من سلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها وتعرض له الحساد بالايذاء فيقال له لايحزنك قولهم وعيبهم وحسدهم لأن العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن أراد فلا تنزعج منهم ولا تلتفت لهم (قوله ألا) أداة تنبيه (قوله من فى السموات ومن فى الأرض) من واقعة على العاقل فالمراد بمن فى السموات الملائكة وبمن فى الأرض الانس والجن وخصهم بالذكر لشرفهم، وليعلم أن غيرهم من باقى المخلوقات مملوكون لله بالطريق الأولى وهذا هو الحكمة فى تعبيره فى الآية الأولى بما وفى هذه الآية بمن أو يقال فى الحكمة إن التغاير إشارة إلى أن الخلق جميعا فى قبضته ومملوكون له سبحانه وتعالى فإن ما مستعملة فى غير العاقل كثيرا ومن بالعكس فأفاد أن جميع مافى السموات ومافى الأرض مملوكون له حقيقة (قوله وما يتبع الذين) ما نافية ويتبع فعل مضارع والذين فاعل ويدعون صلته ومن دون الله متعلق بيدعون وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف قدره المفسر بقوله أصناما والمعنى لايتبع الذين يعبدون غير الله أصناما شركاء حقيقة فالمنفى كونها شركاء حقيقة وأما ادعاؤهم الشركة لله فثابت ، وهذا نتيجة قوله : ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض فيصير المعنى حيث ثبت أن له جميع مافى السموات ومافى الأرض عقلاء وغيرهم تحقق وثبت أنه ليس شريك أصلا إذ ليس شىء مما جعلوه إلها خارجا عن السموات والأرض فكيف يكون المملوك شريكا ، تعالى الله عن ذلك (قوله إن يتبعون إلا الظن) أى لأنهم مقلدون لآبائهم حيث قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (قوله وإن هم إلا يخرصون) هذا من حصر الموصوف فى الصفة

أى ليس لهم صفة إلا الكذب والخرص فى الأصل الحزر والتخمين والمراد منه هنا الكذب كما أفاده المفسر (قوله يكذبون فى ذلك) أى اتباعهم الظن (قوله هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) هذا من جملة الأدلة القطعية على أنه واحد لاشريك له وفى هذه الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر فحذف من الأول وصف الليل وهو مظلما وذكر حكمته وحذف من الثانى الحكمة وذكر وصفه والأصل هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا وتتحركوا فيه (قوله لتسكنوا فيه) أى لتستريحوا من تعب النهار (قوله مجاز) أى عقلى من الاسناد للظرف (قوله إن فى ذلك) أى الجعل المذكور (قوله لقوم يسمعون) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله أى اليهود) أى حيث قالوا عزير ابن الله وقوله والنصارى أى حيث قالوا المسيح ابن الله وقوله ومن زعم أى وهم مشركو العرب (قوله سبحانه) أى تقدس وتنزه عن ذلك قال تعالى: تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا الآية (قوله هو الغنى) أى المستغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه وهو دليل لما قبله (قوله له ما فى السموات الخ) دليل لقوله هو الغنى (قوله استفهام توبيخ) أى تقريع وتهديد لهم (قوله قل) أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبههم على سوء عاقبتهم لعلهم ينزجرون عما هم عليه (قوله لايسعدون) أى لايفوزون بمطلوبهم بل هم خائبون خاسرون وإن تكاثرت عليهم النعم فمآلها للزوال (قوله متاع) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وحينئذ فالوقف على قوله لايفلحون وهذا جواب عما يقال إنا نراهم فى حظوظ كثيرة وسعة عيش وسلامة بدن وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية فدفع ذلك بقوله متاع قليل أى فلايستمر وليس بنافع فى الآخرة (قوله بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم (قوله واتل عليهم) لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من القبائح وما وعظهم الله به على لسانه صلى الله عليه وسلم شرع فى ذكر ماوقع للأنبياء مع أممهم ليكون ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وعبرة للكفار لعلهم يؤمنون (قوله نبأ نوح) أى بعض نبئه إذ لم يذكر جميع خبره وتقدم أن اسمه عبد الغفار بن لمك بن متوشلخ بن إدريس ونوح لقبه وبينه وبين إدريس ألف سنة وقدم قصة قوم نوح لأنهم أول الأمم هلاكا وأشدهم كفرا (قوله كبر) بضم الباء فى المعانى وأما فى الأجسام فهو بكسر الباء (قوله مقامى) بفتح الميم باتفاق السبعة وقرىء شذوذا بضمها فالأول ثلاثى والثانى رباعى وهو من باب الاسناد المجازى وحق الاسناد أن يكون للذات نظير ثقل على ظله (قوله لبثى فيكم) أى مكثى بينكم وقوله وتذكيرى الخ الواو بمعنى مع والمعنى إن كان عظم عليكم مكثى بينكم مع تذكيرى بآيات الله فأجمعوا أمركم الخ وذلك لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى توحيد الله فى الحقيقة الذى شق عليهم إنما هو دعاؤه إلى التوحيد ونصيحته لهم لأن النصيحة لايقبلها إلا الطبع السليم (قوله فعلى الله توكلت) أى وثقت به لا بغيره وفوضت أمورى إليه (قوله فأجمعوا) هذا هو جواب الشرط وجملة فعلى الله توكلت اعتراض بين الشرط وجوابه ولا يصح أن تكون جوابا لأنه لايحسن ترتبها على الشرط

يكذبون فى ذلك (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) إسناد الابصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (قَالُوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن الولد (هُوَ الْغَنِيُّ) عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (إِنْ) ما (عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) حجة (بِهَٰذَا) الذى تقولونه (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) استفهام توبيخ (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بنسبة الولد إليه (لَا يُفْلِحُونَ) لايسعدون، لهم (مَتَاعٌ) قليل (فِي الدُّنْيَا) يتمتعون به مدة حياتهم (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) بالموت (ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) بعد الموت (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. وَاتْلُ) يا محمد (عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة (نَبَأَ) خبر (نُوحٍ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ) شق (عَلَيْكُمْ مَقَامِي) لبثى فيكم (وَتَذْكِيرِي) وعظى إياكم (بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ)، اعزموا

إذ هو متوكل على الله دائما وأجمعوا بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة وهو يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وأما ما يأتى فى طه فى قوله فأجمعوا كيدكم فبهمزة الوصل والقطع قراءتان سبعيتان فأجمع بهمزة القطع مستعمل فى المعانى كثيرا وبهمزة الوصل فى الأجسام كثيرا يقال أجمعت أمرى وجمعت جيشى (قوله اعزموا) أى صمموا ولا ترددوا (قوله على أمر تفعلونه) أى كهلاكى (قوله الواو بمعنى مع) أى فشركاءكم منصوب على المعية لا معطوف على أمركم لأن الشركاء ذوات لا يتسلط عليه أجمعوا إلا بقلة ويصح النصب باضمار فعل لائق والتقدير فأجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم بهمزة الوصل على حد علفتها تبنا وماء باردا أو يقدر مضاف فى المعطوف والتقدير أمر شركائكم (قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى لا يكن أمركم مخفيا بل أظهروا ما فى ضمائركم فانى لست مباليا بكم لأن توكلى على ربى فالغمة مأخوذة من قولهم غم الهلال إذا خفى على الناس (قوله ثم اقضوا إلىّ) أى أدوا إلىّ ما أردتموه وأوصلوه لى وقرئ شذوذا ثم أفضوا إلىّ بقطع الهمزة وبالفاء من أفضى بالشئ إذا انتهى إليه وأسرع والمعنى ثم أسرعوا إلىّ بما عزمتم عليه (قوله فان توليتم) أى دمتم على التولى والكفر وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر علىّ وقوله فما سألتكم الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله ثواب عليه) أى على التذكير (قوله فتولوا) منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية وفيه حذف إحدى التاءين والأصل فتتولوا (قوله إن أجرى إلا على الله) أى ثوابى عليه لا على غيره فأطلبه منه (قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أى المنقادين لامتثال أوامره واجتناب نواهيه فى نفسى

أعزموا على أمر تفعلونه بى (وَشُرَكَاءَكُمْ) الواو بمعنى مع (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) مستوراً بل أظهروه وجاهرونى به (ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ) امضوا فىّ ما أردتموه (وَلَا تُنْظِرُونِ) تمهلون فانى لست مبالياً بكم (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن تذكيرى (فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) ثواب عليه فتولوا (إِنْ) ما (أَجْرِيَ) ثوابى (إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ) السفينة (وَجَعَلْنَاهُمْ) أى من معه (خَلَائِفَ) فى الأرض (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) بالطوفان (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ) أى نوح (رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ) كابراهيم وهود وصالح (فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) أى قبل بعث الرسل إليهم (كَذَلِكَ نَطْبَعُ) نختم (عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) فلا تقبل الايمان كما طبعنا على قلوب أولئك (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) قومه (بِآيَاتِنَا)

وتبليغ غيرى (قوله فكذبوه) أى داموا واستمروا على تكذيبه (قوله فنجيناه) أى أعقبنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه (قوله ومن معه) أى من الانس وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة (قوله فى الفلك) تقدم أنه يستعمل مفردا وجمعا (قوله وجعلناهم) أى صيرناهم (قوله وأغرقنا) إنما أخر ذكره عن الانجاء إشارة إلى أن الرحمة سابقة على الغضب ولتعجيل المسرة لمن يمتثل الأمر (قوله فكذلك نفعل بمن كذبك) هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص (قوله رسلا إلى قومهم) أى فكل رسول بعث إلى قومه (قوله كابراهيم) أى فكذبوه وآذوه حتى رموه فى النار (قوله وهود) أى فكذبوه وآذوه فأهلكهم الله (قوله فجاءوهم) أى جاء الأنبياء لأقوامهم ملتبسين بالآيات (قوله فما كانوا ليؤمنوا) أى لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الايمان فالمراد بعدم الايمان الاصرار على الكفر والتكذيب (قوله كذلك) أى مثل هذا الطبع (قوله فلا تقبل الايمان) أى لوجود الحجاب المانع منه ففى الحقيقة لا يمكنهم الايمان وإن كانوا فى الظاهر مختارين (قوله ثم بعثنا من بعدهم) هذا عطف قصة على قصة وخاص على عام لمزيد الغرابة فى وقائع موسى مع فرعون وكما هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله موسى وهرون) أى فكل منهما رسول إلى فرعون وقومه لكن هرون وزير لموسى ومعين له قال تعالى حكاية عن موسى: وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى الآية وهذا لا ينافى أن كلا منهما رسول من عند الله فمن أنكر رسالة واحد منهما كفر (قوله وملئه) تقدم أن الملأ بالقصر والهمز الأشراف الذين يملئون العيون بمهابتهم والمجالس بأجسامهم والقلوب بجلالتهم، ولكن المفسر فسرهم هنا بالقوم فحينئذ يكون المراد بهم ما يشمل الاتباع وقيل المراد بالملأ خصوص الأشراف وخصوا بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فاذا آمن الرؤساء آمن الأتباع وإذا كفروا كفر الأتباع.

(قوله التسع) تقدم منها فى الأعراف ثمانية : العصا واليد والسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتاسعة هنا فى قوله : ربنا اطمس على أموالهم الآية (قوله فاستكبروا) الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق له (قوله عن الايمان بها) أى بتلك الآيات التسع وفى نسخة بهما أى موسى وهرون (قوله فلما جاءهم الحق) أى الآيات التسع ففيه إظهار فى مقام الاضمار وفى الحقيقة أصل نزاعهم ودعواهم أن ماجاء به سحر إنما هو فى اليد والعصا (قوله قالوا إن هذا لسحر مبين) هذه المقالة وقعت منهم بعد مجىء السحرة وابتلاع العصا حبال السحرة وعصيهم (قوله قال موسى) أى ردّا عليهم بثلاث جمل الأولى أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر الثانية أسحر هذا الثالثة ولا يفلح الساحرون (قوله إنه لسحر) مقول لقوله أتقولون حذف لدلالة ماقبله عليه ولأنه لاينبغى أن يذكر (قوله وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية (قوله ولا يفلح الساحرون) أى لايفوزون بمطلوبهم والجملة حالية من فاعل أتقولون (قوله للانكار) أى فالمعنى لايليق ولاينبغى أن يقال هذا الكلام (قوله قالوا أجئتنا) لما لم يجدوا حجة يعارضونه بها رجعوا للتقليد المحض فقالوا ماذكر (قوله عما وجدنا عليه آباءنا) أى من عبادة الأصنام (قوله وتكون) معطوف على تلفتنا أى ولتكون (قوله الملك) أى وسمى بالكبرياء لأنه أكبرمايطلب من أمور الدنيا ولأنه يورث الكبرياء والعز (قوله وقال فرعون) ليس هذا مرتبا على ماتقدم فان هذا القول وقع فى ابتداء القصة فالمقصود هنا بيان ذكر لقصة لابقيد ترتيبها فان الواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا (قوله فلما جاء السحرة) عطف على محذوف تقديره فأتوا بالسحرة (قوله بعدماقالوا له الخ) أشار بذلك إلى أنه معطوف على محذوف وأصل الكلام فلما جاء السحرة وجمعوا حبالهم وعصيهم وقالوا لموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال موسى الخ (قوله ما أنتم ملقون) أبهمه إشارة إلى تحقيره (قوله فلما ألقوا) أى السحرة وتقدم أنهم كانوا ثمانين ألفا (قوله حبالهم وعصيهم) أى وتقدم أنها كانت حمل ثلثمائة بعير (قوله استفهامية) أى أىّ شىء جئتم به للتوبيخ والتحقير (قوله بدل) أى من ما الاستفهامية وأعيدت همزة الاستفهام لتكشف استفهام المبدل منه على حد قول ابن مالك :

التسع (فَاسْتَكْبَرُوا) عن الايمان بها (وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن ظاهر (قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) إنه لسحر (أَسِحْرٌ هَذَا) وقد أفلح من أتى به ، وأبطل سحر السحرة (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) والاستفهام فى الموضعين للانكار (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا) لتردنا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ) الملك (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) مصدقين (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) فائق فى علم السحر (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى) بعد ما قالوا له : إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ . فَلَمَّا أَلْقَوْا) حبالهم وعصيهم (قَالَ مُوسَى مَا) استفهامية مبتدأ خبره (جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ) بدل ، وفى قراءة بهمزة واحدة إخبار فما موصول مبتدأ (إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) أى سيمحقه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ . وَيُحِقُّ) يثبت ويظهر (اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) بمواعيده (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ . فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ) طائفة (مِنْ) أولاد (قَوْمِهِ) أى فرعون ، (على

وبدل المضمن الهمز يلى ... همزا كمن ذا أسعيد أم على

(قوله بهمزة واحدة إخبار) أى باسقاط همزة الاستفهام ووجهت هذه القراءة بأن ما اسم موصول مبتدأ وصلتها جئتم به والخبر السحر . والحاصل أن فى همزة السحر الثانية وجهين التسهيل والمد اللازم بقدر ثلاث ألفات وهاتان القراءتان على جعل ما استفهامية وخبرها جئتم به والسحر بدل من ما وأما على إسقاطها فالجملة خبرية وما اسم موصول مبتدأ وجئتم به صلته والسحر خبر وتحذف همزة أل عند الدرج (قوله سيمحقه) أى فلا يبقى له أثر أصلا (قوله إن الله الخ) تعليل لقوله سيبطله (قوله ويحق الله الحق) عطف على قوله سيبطله (قوله ولو كره المجرمون) أى الكافرون (قوله فما آمن لموسى إلا ذرية) الذرية اسم يقع على القليل من القوم (قوله أى فرعون) أشار بذلك إلى أن الضمير فى قومه عائد على فرعون والمراد بذرية قومه ناس يسير منهم

امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وأولاد خازنه وماشطته ، وقيل إن الضمير عائد على موسى وهم ناس من بنى إسرائيل نجوا من قتل فرعون ، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل بنى إسرائيل كانت المرأة من بنى إسرائيل إذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأوا بين القبط ، فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به ، وقيل هم بنو إسرائيل وهو الأقرب (قوله على خوف) أى مع خوف (قوله وملئهم) أى ملأ الذرية الذين نشأوا بينهم على التفسير الثانى وأقاربهم حقيقة على التفسير الاول الذى ذكره المفسر (قوله أن يفتنهم) أى فرعون وأفرد لأنه هو المباشر للفتنة ، والخوف من الملأ إنما كان بواسطته هو (قوله وقال موسى) أى تطمينا لقلوبهم وهذا يؤيد أن الضمير فى قومه عائد على موسى . وقد يجاب عن المفسر بأنه سماهم قومه من حيث إنه مرسل لهم (قوله إن كنتم آمنتم) جوابه : فعليه توكلوا وقوله : إن كنتم مسلمين شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير توكلتم عليه أو هو شرط فى الشرط لأن الشرطين متى لم يترتبا فى الوجود فالشرط الثانى شرط فى الأول (قوله إن كنتم مسلمين) أى منقادين لأحكام الله (قوله فقالوا) أى جوابا لموسى (قوله ربنا لاتجعلنا الخ) دعاء منهم لله سبحانه وتعالى (قوله أى لاتظهرهم علينا) أى لاتجعلهم ظاهرين علينا وغالبين لنا (قوله ونجنا) أى خلصنا (قوله برحمتك) أى إحسانك وإنعامك (قوله من القوم الكافرين) أى الجاحدين لآياتك (قوله أن تبوّآ) يحتمل أن أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (١٨٧) ويحتمل أنها مصدرية أى

(عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ) متكبر (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية (وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ . فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى لاتظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ) اتخذا (لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) أتموها (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالنصر والجنة (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا) آتيتهم ذلك (لِيُضِلُّوا) فى عاقبته (عَنْ سَبِيلِكَ) دينك (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) امسخها ،

أوحينا التبوّأ ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه أن يتخذا لقومهما مساكن بأرض مصر يتوطنون بها ويعبدون الله فيها رغما على أنف عدوّهم فرعون وهذا طمأنينة للقوم فإنهم كانوا خائفين من فرعون (قوله لقومكما) الأقرب أن اللام زائدة فى المفعول الأول

وبيوتا مفعول ثان (قوله بمصر) متعلق بتبوّآ ، والمراد بمصر مصر القديمة (قوله واجعلوا بيوتكم قبلة) أى اجعلوا مساكنكم مصلى ، والمراد بالقبلة مكان التوجه لله لاخصوص الفجوة المعلومة . واختلف فى قبلتهم قيل هى الكعبة ، وقيل بيت المقدس (قوله وكان فرعون منعهم من الصلاة) أى فى أول أمرهم فأمر الله موسى ومن معه أن يصلوا فى بيوتهم خفية لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وذلك كما كان عليه المسلمون فى أول الاسلام بمكة (قوله أتموها) أى بشروطها وأركانها المعلومة عندهم (قوله وبشر المؤمنين) أى قومك الذين آمنوا بك وهذا خطاب لموسى وحده لأن البشارة على لسانه وماقبله من قوله واجعلوا وأقيموا خطاب لموسى وقومه لاشتراكهم فى ذلك (قوله وقال موسى) أى لما رأى فرعون وقومه طغوا وبغوا ولم ينقادوا للاسلام واستمروا على الكفر والعناد جاءه الإذن من الله بالدعاء عليهم ، وقدم سبب الدعاء وهو بطر النعم إذ هو من أعظم المعاصى الموجبة لغضب الله وسلب النعم (قوله زينة) هى عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والأمور الجميلة قال ابن عباس : كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (قوله ربنا) كرّره تأكيدا للأول وتلذذا بخطاب الله (قوله ليضلوا) متعلق بآتيت فى كلام الله ، وأما قول المفسر آتيتهم ذلك إنما هو تتميم للجملة المؤكدة واللام للعاقبة والصيرورة ، وإلى هذا أشار المفسر بقوله فى عاقبته (قوله عن سبيلك) أى طاعتك وتوحيدك (قوله ربنا اطمس على أموالهم) أى أزل صورها وهيئاتها . قال قتادة : بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة ودنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا ، وهذا الطمس آخر الآيات التسع .

(قوله واشدد على قلوبهم) أى اربط عليها حتى لاتلين ولاتنشرح للايمان وإنما دعا بذلك لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لايؤمنون فوافق دعاء موسى ماقدّر وقضى عليهم فكان ترجمانا عن مراد الله ، وأما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموته على الكفر فلا يحلّ (قوله فلايؤمنوا) عطف على ليضلوا فيكون منصوبا أوهو مجزوم بجعل لادعائية (قوله دعاء عليهم) الأقرب أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا دعاء عليهم أى قوله فلايؤمنوا الخ ودفع بذلك ماقيل إنه خبر وليس من جملة الدعاء فتأمل (قوله وأمّن هرون على دعائه) أى والمؤمن أحد الداعيين فصحت التثنية فى قوله دعوتكما وهوجواب عما يقال إن الداعى موسى فلم ثنى الضمير فى دعوتكما (قوله فسخت أموالهم) أى الدنانير والدراهم والنخيل والزروع والثمار والخبز والبيض وغير ذلك ، وقيل مسخت صورهم أيضا فكان الرجل مع أهله فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبزصارت حجرا وهذا قول ضعيف لأن موسى دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ (قوله فاستقيما) أى دوما على الاستقامة (قوله ولاتتبعانّ سبيل الذين لايعلمون) خطاب لموسى وهرون ، والمراد غيرهما على حد : لئن أشركت ليحبطنّ عملك ، والمعنى لاتسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون أنه متى دعا الانسان أجيب بعين مطلوبه فى الحال لأن الإجابة على مراد الله فربما يجاب الشخص بغيرمطلوبه أوتتأخر إجابته لحكم يعلمها الله وفى تتبعانّ ثلاث قراآت سبعيات تشديد النون مع تشديد التاء فقط وتخفيفها مع تشديد التاء وتخفيفها فعلى الأولى تكون النون للتوكيد الثقيلة وكسرت تشبيها بنون المثنى والفعل مجزوم بحذف النون وعلى الثانية والثالثة تكون الجملة اسمية والنون نون الرفع والتقدير وأنتما لاتتبعان (قوله (١٨٨) روى أنه) أى نزول العذاب بهم مكث أربعين سنة من حين الدعوة وهذا التأخير لحكمة يعلمها الله (قوله وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر الخ) لما استجاب الله دعاء موسى وهرون بالطمس على أموالهم والربط على قلوبهم أوحى الله إلى موسى وهرون أن أسر بعبادى واخرج بهم من أرض مصر . ورد أن يعقوب لما دخل مصر مع ذرّيته لاجتماعهم بيوسف كانوا اثنين وسبعين فلماخرج موسى بهم كانوا ستمائة ألف وكان فرعون غافلا عن ذلك من فلماسمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج فى عقبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين الخلاص والبحر أمامنا والعدوّ وراءنا ؟ فلما قربوا أوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقطعه موسى وبنو إسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لايبقى منهم أحد فدنا جبريل بفرسه ، فلما وجد الحصان ريح الأنثى لم يتمالك فرعون نفسه فنزل البحر وتبعه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعا فى البحر وهمّ أولهم بالخروج انطبق عليهم وحصان بوزن كتاب وجمعه حصن ككتب كذا فى القاموس قوله وجاوزنا من المجاوزة وهى التخطية والتعدية ، والمعنى جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقوله البحر أى بحر السويس (قوله لحقهم) أى مشى خلفهم (قوله بغيا) أى فى الأقوال وعدوا أى فى الأفعال ففرعون متعدّ على بنى إسرائيل بالأقوال الكاذبة والأفعال الجائرة (قوله مفعول له) أى لأجله ويصح نصبهما على الحال أى باغين ومعتدين (قوله حتى إذا أدركه الغرق) غاية لاتباعه (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله استئنافا) أى واقعا فى جواب سؤال مقدّر أوعلى إضمار القول والتقدير قائلا إنه الخ (قوله كرره ليقبل منه) أى كرر الاقرار بالايمان ثلاث مرات : قوله آمنت وقوله أنه الخ وقوله وأنا من المسلمين (قوله فلم يقبل) أى فمات على كفره وهذا مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وماقيل من أنه مات مؤمنا فلايلتفت له (قوله ودسّ جبريل) أى بأمر من الله وهو لايسأل عما يفعل وذلك نظير أمرنا بقتل الكفار وبهذا تعلم جواب إشكال الفخر الرازى فى هذا المقام .

(وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) اطبع عليها واستوثق (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) المؤلم دعاء عليهم وأمّن هرون على دعائه (قَالَ) تعالى (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) فسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق (فَاسْتَقِيمَا) على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب (وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فى استعجال قضائى ، روى أنه مكث بعدها أربعين سنة (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ) لحقهم (فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا) مفعول له (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ) أى بأنه وفى قراءة بالكسر استئنافا (لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) كرره ليقبل منه فلم يقبل ، ودسّ جبريل فى فيه ،

(قوله من حمأة البحر) بسكون الميم وتحريكها وهى الطين الأسود (قوله مخافة أن تناله الرحمة) أى وليس من أهلها لسابق علم الله بعدم إيمانه. إن قلت ما الحكمة فى عدم قبوله مع كون الايمان وقع منه ثلاث مرات. أجيب بأجوبة منها أنه إنما آمن عند نزول العذاب وهو حينئذ غير نافع. قال تعالى: فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا، ومنها أن الايمان بالله من غير إقرار للرسول بالرسالة غير نافع وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام فلم يصح إيمانه، ومنها أن قوله: آمنت ليس قاصدا به الايمان حقيقة بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادته إذا أصابته مصيبة رجع واستجار. وحكى أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بفتوى: ما قول الأمير فى عبد نشأ فى مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه: يقول أبوالعباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يغرق فى البحر فلما غرق رفع جبريل إليه خطه (قوله وقال له) معطوف على قوله ودس وقدره إشارة إلى أن قوله آلآن ظرف لمحذوف والجملة مقول لذلك القول المقدر (قوله آلآن) استفهام توبيخ وتقريع (قوله وقد عصيت قبل) الجملة حالية والمعنى آلآن تتوب وقد ضيعت الايمان فى وقته الذى يقبل فيه وهو غير وقت العذاب (قوله فاليوم ننجيك) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله ببدنك) حال من الضمير فى ننجيك، والمعنى فاليوم نخرجك من البحر ملتبسا

من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (آلْآنَ) تؤمن (وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بضلالك وإضلالك عن الإيمان (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ) نخرجك من البحر (بِبَدَنِكَ) جسدك الذى لا روح فيه (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ) بعدك (آيَةً) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بنى إسرائيل شكوا فى موته فأخرج لهم ليروه (وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ) أى أهل مكة (عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) لا يعتبرون بها (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا) أنزلنا (بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) منزل كرامة وهو الشام ومصر (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا) بأن آمن بعض وكفر بعض (حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين (فَإِنْ كُنْتَ) يا محمد (فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) من القصص فرضا (فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ قَبْلِكَ) فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال صلى الله عليه وسلم: لا أشك ولا أسأل (لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ

ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوب بك وقيل المراد بالبدن الدرع لأن له درعا كان يعرف بها فلما ألقى على وجه الأرض وعليه درعه عرفوه (قوله فيعرفوا عبوديتك) أى ويبطلوا دعوى ألوهيتك لأن الاله لا يموت ولا يتغير (قوله شكوا فى موته) إنما وقع منهم الشك لشدة ما حصل فى قلوبهم من الرعب منه فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا (قوله ولقد بوأنا بنى إسرائيل) هذا امتنان من الله تعالى على بنى إسرائيل بنعم عظيمة (قوله مبوأ صدق) أى أنزلناهم منزلا حميدا صالحا، وإنما وصف المكان بالصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئا أضافته إلى الصدق يقولون: هذا قدم صدق ورجل صدق (قوله وهو الشام ومصر) أى، وقيل مصر فقط لأنها التى كانت تحت أيدى فرعون وقومه (قوله فما اختلفوا) أى من فعلنا بهم هذا الفعل من بنى إسرائيل، وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبى مؤمنين به غير مختلفين فى نبوته لما يجدونه مكتوبا عندهم، فلما بعث اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه، وكفر بعض (قوله حتى جاءهم العلم) أى القرآن، وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته ويفتخرون بذلك على المشركين، فلما بعث اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر (قوله فرضا) جواب عما يقال إن الشك محال على رسول الله، فأجاب بأنه على فرض المحال، وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره، وهذا هو الأتم فى تلك الآيات (قوله فاسئل الذين يقرءون الخ) أى فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم (قوله يخبروك) مجزوم فى جواب الأمر وهو اسأل (قوله لقد جاءك الحق) أى اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا، وهذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره والله لقد جاءك الحق الخ.

(قوله فلا تكونن من الممترين) أى دم على ما أنت عليه من عدم الشك والامتراء (قوله إن الذين حقت عليهم كلمت ربك) أى ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر فلا يتأتى منهم الايمان أصلا إذ لامعقب لحكمه سبحانه وتعالى (قوله حتى يروا) غاية فى النفى (قوله فلا ينفعهم حينئذ) أى كفرعون وأضرابه (قوله فلولا) أشار المفسر بقوله هلا إلى أنها تحضيضية وهو للتوبيخ مع النفى وكان فعل ماض تام ، وقرية فاعلها وآمنت صفة قرية ، وقوله فنفعها معطوف على آمنت عطف مسبب على سبب ، والمعنى لم تكن قرية من تلك القرى التى تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت فيتسبب على إيمانها كونه نافعا لها . والحاصل أن الآية تضمنت تحضيضا وتوبيخا ونفيا . فالنفى راجع لمن مضى والتوبيخ والتحضيض راجعان لمن يسمع (قوله أريد أهلها) أشار بذلك إلى أن فى الكلمة مجازا مرسلا من باب تسمية الحال باسم المحل لا مجازا بالحذف (قوله إلا قوم يونس) أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن ، وضابط الاستدراك وجود وهو رفع مايتوهم ثبوته أو نفيه ، فأتى به هنا لدفع توهم أنهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب فرفع ذلك التوهم بأن قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب بل عند حضور أماراته ولذلك نفعهم إيمانهم ، وأما غيرهم فلم يؤمن قبل نزوله أعم من أن يكون آمن وقت نزوله أو لم يؤمن أصلا (قوله ولم يؤخروا إلى حلوله) أى بل عجلوا الايمان عند ظهور أماراته . وحاصل قصتهم على ماذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا : إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من أرض الموصل ، وكانوا أهل كفر وشرك ، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الايمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له أخبرهم أن العذاب يصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم فليس بشىء و إن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب ، فكان فوق رءوسهم . قال ابن عباس : إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم و بينه إلا قدر ثلثى ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم ، وقال قتادة : قدر ميل

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ) وجبت (عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) بالعذاب (لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا ينفعهم حينئذ (فَلَوْلَا) فهلا (كَانَتْ قَرْيَةٌ) أريد أهلها (آمَنَتْ) قبل نزول العذاب بها (فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا) لكن (قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله (كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) ، انقضاء

وقال سعيد بن جبير : غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر ، وقال وهب : غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض للبعض فحنت الأولاد إلى الأمهات والأمهات إلى الأولاد وعلت الأصوات ولجئوا جميعا إلى الله تعالى وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا إلى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف مانزل بهم من العذاب بعد ما أظلهم ، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم أنهم ردوا المظالم فيما بينهم حتى إنه كان الرجل يأتى إلى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقلعه فيرده ، وروى الطبرانى بسنده قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا : ياحى حين لاحى ، وياحى يحيى الموتى وياحى لا إله إلا أنت ، فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا إلى حين ، وقال الفضيل ابن عياض إنهم قالوا : اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولاتفعل بنا مانحن أهله فلما خرج يونس جعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل له ارجع إلى قومك قال وكيف أرجع إليهم فيجدونى كذابا وكان كل من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فنزل فى سفينة فلما بلغت وسط البحر وقفت وكان من عادتهم أن السفينة لاتقف إلا إذا كان فيها عبد آبق فضربوا القرعة فخرجت على يونس فألقوه فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجاب الله نداءه وأخرجه من بطن الحوت ضعيفا فأنبت الله عليه شجرة القرع ورجع إلى قومه وكانوا يزيدون عن مائة ألف

فرجعوا به وأخبوه وآمنوا بك فهنيئا لمن رجع إلى مولاه وندم على ماجناه فان الله يقبل التوبة عن عباده و يعفوعن السيئات (قوله انقضاء آجالهم) تفسير للحين ودفع بذلك ماقيل إن قوم يونس من المنظرين لايموتون إلا عند النفخة الأولى فأجاب المفسر بأن معنى الحين انقضاء آجالهم (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف أى إيمان جميع الناس (قوله كلهم) توكيد لمن وجميعا حال منها والمعنى لو أراد الله إيمان من فى الأرض لآمنوا كلهم حال كونهم مجتمعين (قوله أفأنت تكره الناس) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتحزن على عدم إيمانهم وتتأسف عليه أفأنت تكره الخ (قوله لا) أى لست بمكره الناس على الايمان والمعنى ليس عليك إلا البلاغ لاخلق الايمان فى قلوبهم و إكراههم عليه فان الأمر لله لاخالق سواه (قوله وما كان لنفس أن تؤمن الخ) بيان وتعليل لما قبله، والمعنى ماثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن فى حال من الأحوال إلا فى حال إرادة الله الايمان لها (قوله ويجعل الرجس) معطوف على محذوف والتقدير فيريد الله الايمان للبعض، ويجعل الرجس الخ (قوله قل انظروا) بضم اللام وكسرها قراءتان سبعيتان فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام والكسر على أصل التخلص، والمعنى تفكروا وتأملوا واتعظوا (قوله من الآيات) بيان لما (قوله وما تغنى الآيات)

انقضاء آجالهم (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ) بما لم يشأه الله منهم (حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) لا (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ) العذاب (عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) يتدبرون آيات الله (قُلِ) لكفار مكة (انْظُرُوا مَاذَا) أى الذى (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ) جمع نذير أى الرسل (عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) فى علم الله أى ما تنفعهم (فَهَلْ) فما (يَنْتَظِرُونَ) بتكذيبك (إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم، أى مثل وقائعهم من العذاب (قُلْ فَانْتَظِرُوا) ذلك (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ. ثُمَّ نُنَجِّي) المضارع لحكاية الحال الماضية (رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا) من العذاب (كَذَلِكَ) الانجاء (حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين تعذيب المشركين (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي) أنه حق (فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره وهو الأصنام لشككم فيه (وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) يقبض أرواحكم (وَأُمِرْتُ أَنْ) أى بأن (أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَ) قيل لى (أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً) مائلا إليه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

أى المذكورة فى قوله: ماذا فى السموات والأرض ففى الكلام إظهار فى مقام الاضمار، والمعنى لاتنفع الآيات والنذر قوما لايؤمنون (قوله أى مثل وقائعهم من العذاب) أى وهو القتل بالسيف (قوله فانتظروا ذلك) أى مثل وقائع الأمم السابقة (قوله ثم ننجى) بالتشديد باتفاق العشرة وبثبوت الياء لفظا وخطا (قوله رسلنا) أى من سبق على محمد (قوله كذلك) صفة لمصدر محذوف أى انجاء مثل ذلك الانجاء والعامل فيه ننج المؤمنين وحقا علينا جملة معترضة بين العامل والمعمول (قوله ننج المؤمنين) بالتخفيف والتشديد وتحذف منه الياء لفظا وخطا (قوله حين تعذيب المشركين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله أى أهل مكة) أى الكفار المعارضون (قوله من دينى) أى الذى جئت به عن ربى (قوله أنه حق) بدل من دينى، والمعنى إن كنتم فى شك من حقيقة دينى وصحته فلا أعبد الخ (قوله لشككم فيه) أى فى دينى الحق أى فالحامل لكم على عبادة غير الله شككم فى حقية دينى، وأما أنا فليس عندى شك فى حقيته فلذلك لاأعبد غير الله فكفرهم بالشك لأنه لايتأتى منهم إنكار كون الله حقا ودين الاسلام حقا على سبيل الجزم بذلك لقيام الأدلة العقلية القطعية على ذلك (قوله الذى يتوفاكم) خص هذا الوصف بالذكر تهديدا وتخويفا لهم (قوله أن أكون) أن مصدرية مجرورة بالباء المقدرة كما قال المفسر أى بكونى من المؤمنين المصدقين بما جاء من عند الله لأنه مرسل لنفسه فهو واجب عليه الايمان بما أرسل به (قوله وأن أقم) قدر المفسر القول إشارة إلى أن أن وما دخلت عليه فى محل نصب مقول لذلك القول (قوله مائلا إليه) أى مخلصا له العمل ظاهرا وباطنا فعلى المكلف أن يتخلق بخلق رسول الله بأن لايميل لغير الله ظاهرا و باطنا بل يكون كله لله فلا يشرك معه غيره أصلا لا فى الظاهر ولا فى الباطن فكما أن الخالق لاشريك له فما خلقه كذلك ينبغى للمخلوق أن لايشرك فى عبادته غيره.

(قوله ولاتدع من دون الله) أي غيره (قوله فرضا) جواب عما يقال إن عبادة النبي غير الله مستحيلة فكيف يخاطب بذلك أجاب المفسر بأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير . وأجيب بأن الخطاب له والمراد غيره (قوله فلا كاشف له إلا هو) أي لادافع ولامانع له إلا الله حقيقة فنسبة النفع أو الضر لغير الله باعتبار أن الله أجرى على أيديهم ذلك لاباعتبار أنهم الخالقون له فان نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر (قوله وإن يردك بخير) عبر في جانب الخير بالارادة دون المس إشارة إلى أن الخير لايتوقف إتيانه على سبب وتهيؤ من العبد بخلاف الضر فلابد من تقدم سببه قال تعالى ـ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ـ (قوله وهو الغفور) أي الستار للذنوب الماحي لها (قوله الرحيم) أي المنعم المحسن فالغفور المنجي من النار بسبب محو الذنوب والرحيم المدخل للجنة بسبب الانعام والإحسان (قوله الحق) أي القرآن ومن جاء به وهو النبي صلى الله عليه وسلم (قوله لأن ثواب اهتدائه له) فلا يصل لله ممن كفر ضر ولا ممن آمن نفع تنزه سبحانه وتعالى عن أن يتكمل بمخلوق (قوله لأن وبال ضلاله عليها) أي عذاب ضلاله على نفسه فلا يشاركه أحد لافي هداية نفسه ولافي ضلاله بل كل امرىء بما كسب رهين (قوله بوكيل) أي بحفيظ موكول إلي أمركم وإنما أنا بشير ونذير (١٩٢) (قوله فأجبركم على الهدى) أي أكرهكم عليه (قوله مايوحى إليك) أي من القرآن (قوله على الدعوة) أي دعائك إياهم للايمان (قوله وأذاهم) أي لك فكان رسول الله يسمع سبه بأذنه ولا يتكلم (قوله أعدلهم) أي فلايخطىء في حكمه أصلا وأما غيره فتارة يخطىء في حكمه وتارة يعدل ، فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل فاثابته المؤمن بالفضل وتعذيبه العاصي بالعدل (قوله بالقتال) أي الجهاد ، وأشار بذلك إلى قول ابن عباس إن هذه الآية منسوخة بآية القتال ، والله أعلم .

(وَلاَ تَدْعُ) تعبد (مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ) إن عبدته (وَلاَ يَضُرُّكَ) إن لم تعبده (فَإِنْ فَعَلْتَ) ذلك فرضاً (فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ . وَإِنْ يَمْسَسْكَ) يصبك (اللهُ بِضُرٍّ) كفقر ومرض (فَلاَ كَاشِفَ) رافع (لَهُ إِلاَّ هُوَ ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ) دافع (لِفَضْلِهِ) الذي أرادك به (يُصِيبُ بِهِ) أي بالخير (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرحِيمُ . قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لأن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) لأن وبال ضلاله عليها (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) فأجبركم على الهدى (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ) من ربك (وَاصْبِرْ) على الدعوة وأذاهم (حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ) فيهم بأمره (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية .

(سورة هود)

مكية إلا أقم الصلوة الآية، أو إلا فلعلك تارك الآية وأولئك يؤمنون به بالآية : مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . الٓرٰ) الله أعلم بمراده بذلك، هذا (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ)

بعجيب

[سورة هود] بالصرف وتركه فان لوحظ أنه اسم للسورة منع الصرف وإن لوحظ أن المراد السورة المذكورة فيها هود صرف ومثل ذلك يقال في سورة نوح لأن هذه الأسماء مصروفة وسورة مبتدأ أخبر عنه بخبرين قوله مكية وقوله مائة الخ (قوله إلا أقم الصلاة) التلاوة بالواو فالصواب أن يقول إلا وأقم الصلاة الخ وهذا قول ابن عباس وقوله أو إلافلعلك الخ هو قول مقاتل فالحاصل أن الذي عند ابن عباس آية واحدة وهي وأقم الصلوة الآية وعند مقاتل آيتان : قوله فلعلك تارك بعض مايوحى إليك الآية وقوله أولئك يؤمنون به الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا هو الأسلم في تفسير الحروف المقطعة (قوله كتاب) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا يدل عليه قوله في آية أخرى ذلك الكتاب واسم الاشارة يصح عوده على ماذكر في هذه السورة فقط أو على جميع القرآن وتقدم ذلك (أحكمت) صفة لكتاب إما من الإحكام أي الاتقان ففعله متعد والمعنى أتقنت آياته لفظا ومعنى فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى ولم يوجد تركيب بديع الصنع عديم النظير نظير القرآن ، أو الهمزة للنقل من حكم بضم الكاف بمعنى جعلت حكيمة .

بعجيب النظم وبديع المعانى (ثُمَّ فُصِّلَتْ) بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) أى الله (أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ) بالعذاب إن كفرتم (وَبَشِيرٌ) بالثواب إن آمنتم (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (ثُمَّ تُوبُوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (يُمَتِّعْكُمْ) فى الدنيا (مَتَاعًا حَسَنًا) بطيب عيش وسعة رزق (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) هو الموت (وَيُؤْتِ) فى الآخرة (كُلَّ ذِي فَضْلٍ) فى العمل (فَضْلَهُ) جزاءه (وَإِنْ تَوَلَّوْا) فيه حذف إحدى التاءين أى تعرضوا (فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) هو يوم القيامة (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه الثواب والعذاب. ونزل كما رواه البخارى عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضى إلى السماء وقيل فى المنافقين (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) أى الله (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يتغطون بها (يَعْلَمُ) تعالى (مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فلا يغنى استخفاؤهم (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

(قوله ثم فصلت) يحتمل أن ثم لمجرد الأخبار والمعنى أخبرنا الله بأن القرآن محكم أحسن الاحكام مفصل أحسن التفصيل كما تقول فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل ويحتمل أنها للترتيب الزمانى بحسب النزول لأنها أحكمت أوّلا حين نزلت جملة واحدة ثم فصلت ثانيا بحسب الوقائع (قوله من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب وفيه طباق حسن لأن حكيم يناسب أحكمت وخبير يناسب فصلت ويصح أن يكون من باب التنازع أعمل الأوّل وهو أحكمت وأضمر فى الثانى وحذف والأحسن الأول (قوله أن لاتعبدوا) الأحسن أنّ أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو تقدّم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهى قوله ثم فصلت (قوله منه) يصح عود الضمير على الله أو على الكتاب (قوله إن كفرتم) أى دمتم على الكفر (قوله وأن استغفروا) عطف على قوله أن لا تعبدوا والسين والتاء للطلب والمعنى اسألوه الغفران لذنوبكم فيما مضى وقوله ثم توبوا إليه أى فى المستقبل لأن شرط التوبة الندم على مافات والاقلاع فى الحال والعزم على عدم العود فى المستقبل فلا يقال إن الاستغفار هو التوبة بل بينهما التغاير (قوله يمتعكم) جواب الأمر (قوله بطيب عيش) أى فى أمن وراحة ورضا فمن تاب من ذنوبه وأخلص عبادة ربه عاش فى أمن وراحة ورضا ، وإن ضيقت عليه الدنيا فهى رفع درجات له بوجود رضا الله عليه ، ومن لم يتب وأصر على المعاصى والكفر عاش فى خوف ونصب وسخط ، وإن وسعت عليه ملاذ الدنيا إذ لاخير فى عيش بعده النار وحينئذ فلا ينافى هذا كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (قوله فيه حذف إحدى (١٩٣) التاءين) أى والأصل تتولوا (قوله أى تعرضوا) أى عن الأوامر والنواهى وتدوموا على الكفر ، وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا تلوموا إلا أنفسكم وقوله فإنى أخاف الخ تعليل للجواب المحذوف (قوله إلى الله مرجعكم) أى فلا مفرّ لكم منه (قوله ومنه الثواب) أى من الشىء المقدور عليه (قوله فيمن كان يستحي) أى من المسلمين (قوله أن يتخلى) أى يقضى حاجته من البول والغائط (قوله فيفضى) معطوف على يتخلى وتنزيل الآية على حكم هذا القول باعتبار تعليم التوحيد والمراقبة كأن الله يقول لهم : لاتظنوا أن تغطيتكم تحجبكم عن الله بل الله يعلم ماتسرون وما تعلنون فلا ينافى أن التغطية عند التخلى والجماع مندوبة وليس المراد ذمهم على هذا الفعل إذ هو مطلوب حياء من الله والجنّ والملائكة (قوله وقيل فى المنافقين) قال ابن عباس «نزلت فى الأخنس بن شريق من منافقى مكة وكان رجلا طلق الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله بما يحب وينطوى بقلبه على مايكره » ، وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويستغشى بثوبه ويقول الكفر ويظنّ أن الله لايعلمه فى تلك الحالة (قوله ألا إنهم يثنون صدورهم) من الثنى وهو طى الشىء ليكون مستورا فالمراد يعطفون صدورهم على مافيها من الكفر ليكون مخفيا مستورا وأصله يثنيون نقلت ضمة الياء إلى ماقبلها ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ، وهذا المعنى على أن سبب النزول فى المنافقين ، وأما على أنه فيمن يستحى حال قضاء الحاجة والجماع فالمراد بثنى الصدر انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع فتأمل (قوله ليستخفوا منه) هذا هو علة ثنى الصدر على مافيه (قوله ألا حين يستغشون ثيابهم) أى يأوون إلى فراشهم ويرتدون ثيابهم (قوله مايسرّون) أى فى قلوبهم وقوله وما يعلنون أى بأفواههم .

(قوله أى بما فى القلوب) أى فالمراد بالصدور القلب ومافيها هو الخواطر فعلق المحل وأريد الحال فيه (قوله ومامن دابة) النكرة فى سياق النفى تعم فدخلت جميع الدواب عاقلة وغير عاقلة (قوله هى مادب عليها) أى مشى وسار (قوله إلا على الله رزقها) ليس المراد أن ذلك واجب عليه تنزه سبحانه وتعالى بل المراد أنه التزم به وتكفل به التزاما لايتخلف فنى الحقيقة على بمعنى من وإنما التعبير بعلى ليزداد العبد ثقة بربه وتوكلا عليه وإن أخذ فى الأسباب فلا يعتمد عليها بل يثق بالله ويعتمد عليه وليكن أخذه فى الأسباب امتثالا لأمره تعالى لأن الله يكره العبد البطال وخص دواب الأرض بالذكر لأنهم المحتاجون للأرزاق، وأما دواب السماء كالملائكة والحور العين فليسوا محتاجين لذلك بل قوتهم التسبيح والتهليل (قوله ويعلم مستقرها ومستودعها) أتى بذلك دفعا لما يتوهم من كونه متكفلا لكل دابة فى الأرض برزقها أنه ربما يخفى عليه بعض أماكن تلك الدواب فدفع ذلك التوهم بأنه يعلم مكان كل دابة فلا تخفى عليه خافية والمعنى أنه أحاط علمه بمكان كل دابة وزمانها (قوله بعد الموت) أى وهو القبر (قوله كل مما ذكر) أى من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها فاللوح المحفوظ أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكنتها وأزمنتها وأحوالها وهذا من باهر قدرته تعالى لزيادة طمأنينة العبيد ومراجعة الملائكة الموكلين بالأرزاق لا خوفا من نسيانه إذ هو مستحيل عليه (قوله وهو الذى خلق السموات) هذا بيان لكونه قادرا على جميع الممكنات وماتقدم بيان لكونه عالما بالمعلومات كلها (قوله والأرض) أى ومافيها من الأقوات والحيوانات وغير ذلك والكلام على التوزيع إذ خلق السموات فى يومين، والأرض فى يومين، والأقوات فى يومين كما يأتى فى سورة فصلت (قوله أولها الأحد) تقدم أن هذا مشكل لأنه لم يكن ثم زمان فضلا عن تفصيله أياما فضلا عن تخصيص كل يوم باسم وتقدم الجواب عنه بأن ذلك باعتبار ماتعلق به علمه سبحانه وتعالى

أى بما فى القلوب (وَمَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ) هى مادبّ عليها (إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا) تكفل به فضلا منه تعالى (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) مسكنها فى الدنيا أو الصلب (وَمُسْتَوْدَعَهَا) بعد الموت أو فى الرحم (كُلٌّ) مما ذكر (فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بيّن هو اللوح المحفوظ (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (وَكَانَ عَرْشُهُ) قبل خلقهما (عَلَى الْمَاءِ) وهو على متن الريح (لِيَبْلُوَكُمْ) متعلق بخلق أى خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أى أطوع لله (وَلَئِنْ قُلْتَ) يامحمد لهم (إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (هٰذَا) القرآن الناطق بالبعث أو الذى تقوله (إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن وفى قراءة ساحر والمشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى) مجىء (أُمَّةٍ) أوقات، (معدودة

لأن كل شىء كان أو يكون فهو فى علمه على ماهو عليه فالمعنى أولها الأحد الذى علم الله أنه يكون (قوله على الماء) أى لم يكن بينهما حائل بل هو فى مكانه الذى هو فيه الآن وهو مافوق السموات السبع والماء فى المكان الذى هو فيه الآن وهو ماتحت الأرضين السبع، وذلك أن أول ماخلق الله النور المحمدى ثم خلق منه العرش ونشأ الماء من عرق العرش فخلق الله منه الأرضين والسموات فالأرضون من زبده والسموات من دخانه (قوله ليختبركم) أى ليتميز المحسن من المسىء بتلك النعم فمن شكر فهو المحسن ومن كفر فهو المسىء والمعنى ليظهر بين الناس المطيع فيثيبه فى الآخرة على طاعته والعاصى فيعاقبه فى الآخرة على عصيانه (قوله أيكم أحسن عملا) مبتدأ وخبر والجملة فى محل نصب معمولة ليبلوكم علق عنها بالاستفهام (قوله ولئن قلت) اللام موطئة لقسم محذوف وإن حرف شرط وقوله ليقولن جواب القسم .وحذف جواب الشرط لتأخره . قال ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

وكذا يقال فيما بعده (قوله إلا سحر) أى كالسحر فالكلام على التشبيه البليغ من حيث إنه كلام مزين الظاهر فاسد الباطن (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب) أى الذى استعجلوه (قوله إلى أمة) أى طائفة من الأزمنة .

(قوله معدودة) أى قليلة (قوله ليقولن) الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالى الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعله وأعرب مع وجود نون التأكيد ولم يبن لأن نون التوكيد لم تباشره إذ الأصل ليقولونن حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال، فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما والمحذوف لعلة كالثابت وهذا بخلاف ليقولن المتقدم فانه مبنى لمباشرة النون فى اللفظ والتقدير (قوله مايحبسه) أى أى شىء يمنعه من النزول وهذا الاستفهام على سبيل السخرية (قوله ألا يوم يأتيهم) ألا أداة افتتاح داخلة على ليس فى المعنى ويوم معمول لخبر ليس واسمها ضمير فيها يعود على العذاب وكذلك فاعل يأتيهم ضمير يعود على العذاب، والتقدير ألا ليس هو: أى العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم العذاب، فى هذه الآية تقدم معمول خبر ليس عليها (قوله من العذاب) بيان لما (قوله ثم نزعناها منه) أى أخذناها قهرا (قوله قنوط) أى لقلة صبره وعدم رجائه فى ربه (قوله ليقولن ذهب السيئات عنى) أى على حسب عادة الدهر ولا ينظر لفضل الله فى ذلك فهو مغضوب عليه على كل حال (قوله إلا الذين صبروا) مستثنى من قوله: ولئن أذقنا الانسان الخ، وقد أشار المفسر إلى أن هذا الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن ويصح أن يكون متصلا باعتبار أن المراد بالانسان الجنس لا لواحد بعينه (قوله لهم مغفرة) أى لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أى عظيم مدخر لهم فى الآخرة (قوله فلعلك تارك) لعل تأتى للترجى فى الأمر المحبوب كما تقول لعل الحبيب قادم وتأتى للتوقع فى الأمر المكروه كما تقول لعل العدو قادم والآية من هذا الثانى غير أن التوقع ليس على بابه إذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما أمر بتبليغه والعزم على ذلك بل المقصود منه الاستفهام الانكارى والتحضيض على التبليغ مع عدم المبالاة بمن عاداه كأن الله

(مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ) استهزاء (مَا يَحْبِسُهُ) ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا) مدفوعا (عَنْهُمْ، وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) من العذاب (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ) الكافر (مِنَّا رَحْمَةً) غنى وصحة (ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ) قنوط من رحمة الله (كَفُورٌ) شديد الكفر به (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ) فقر وشدة (مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ) المصائب (عَنِّي) ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (إِنَّهُ لَفَرِحٌ) بطر (فَخُورٌ) على الناس بما أوتى (إِلَّا) لكن (الَّذِينَ صَبَرُوا) على الضراء (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فى النعماء (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هو الجنة (فَلَعَلَّكَ) يا محمد (تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ) فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به (وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) بتلاوته عليهم لأجل (أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) يصدقه كما اقترحنا (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) فلا عليك إلا البلاغ، لا الإتيان بما اقترحوه (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حفيظ فيجازيهم (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى القرآن (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ) فى الفصاحة والبلاغة (مُفْتَرَيَاتٍ) فانكم عربيون فصحاء مثلى،

يقول لنبيه بلغ ما أمرت به ولو كره المشركون ذلك ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم، وذلك أن رسول الله كان إذا قرأ آية فيها سب المشركين وآلهتهم نفروا وقالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ونحن نتبعك فرد الله عليهم ذلك حيث حضه على التبليغ ونهاه عن الكتم (قوله بعض مايوحى إليك) أى وهو ما فيه سب آلهتهم (قوله وضائق به صدرك) أى لا يكن منك ضيق صدر بسبب استهزاء الكفار بك فان الله حافظك وناصرك عليهم ومخذلهم (قوله أن يقولوا) أى فقد قالوا إن كنت صادقا فى الرسالة من عند الله الذى تصفه بالقدرة التامة وأنك حبيبه وعزيز عنده مع أنك فقير فهلا أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة (قوله كنز) أى مال كثير وسمى بذلك لأن شأنه أن يكنز (قوله فلا عليك إلا البلاغ) أى فلا تبال بقولهم ولا تغتم منهم (قوله حفيظ) أى فيحفظك ويجازيهم (قوله أم يقولون) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة، والاضراب انتقالى والهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب (قوله افتراه) أى اختلقه من عند نفسه (قوله قل فأتوا الخ) رد لما قالوه، والمعنى أنكم عربيون مثلى فأتوا بكلام مثل هذا الكلام الذى جئت به فانكم تقدرون على ذلك بل أقدر منى لممارستكم الأشعار والوقائع (قوله مثله) نعت لسور وإن كان بلفظ الافراد فانه يوصف به المثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

(قوله تحداهم بها أوّلا) أى بعد أن تحداهم بجميع القرآن كما فى سورة الاسراء . قال تعالى ـ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ـ الآية ، ثم تحدّاهم بعشر سور كاهنا ثم بسورة كما فى البقرة ويونس فالاسراء قبل هود نزولا ثم هود ثم يونس ثم البقرة (قوله على ذلك) أى الاتيان (قوله أى غيره) أى من الأصنام أو من جميع المخلوقات (قوله فان لم يستجيبوا لكم) أى أيها المشركون ، وقوله : أى من دعوتموهم تفسير للواو فى يستجيبوا (قوله بعلم الله) أى فكما أن علمه لا يشابهه علم كذلك كلامه لا يشابهه كلام لأن الكلام على حسب علم المتكلم فكلما كان المتكلم متسع العلم كان كلامه فصيحا بليغا ولا أوسع من علم الله لأنه أحاط بكل شىء علما (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن (قوله أى أسلموا) أى فهو استفهام فيه معنى الطلب لزوال العذر المانع من ذلك (قوله من كان يريد الحيوة الدنيا) اختلف فى سبب نزولها فقيل فى اليهود والنصارى ، وقيل فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة ، وقيل فى المرائين والحمل على العموم أولى فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن الذى يأتى بالطاعات على وجه الرياء والسمعة (قوله وزينتها) أى ما يتزين به فيها من الصحة والأمن والسعة والرياسة وغير ذلك (قوله بأن أصرّوا على الشرك) هذا شامل للقولين المتقدمين (قوله وقيل هى فى المرائين) أى ومعنى قوله : أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار : أى ابتداء ثم بعد استيفاء ما عليه يخرج منها ، ويدل على أن له هذا الوعيد الشديد ما روى «يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه»

تحدّاهم بها أوّلا ثم بسورة (وَادْعُوا) للمعاونة على ذلك (مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنه افتراء (فَإِ) ن (لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) أى من دعوتموهم للمعاونة (فَاعْلَمُوا) خطاب للمشركين (أَنَّمَا أُنْزِلَ) ملتبسا (بِعِلْمِ اللهِ) وليس افتراء عليه (وَأَنْ) مخففة أى أنه (لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) بعد هذه الحجة القاطعة أى أسلموا (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) بأن أصر على الشرك ، وقيل هى فى المرائين (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ) أى جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم (فِيهَا) بأن نوسع عليهم رزقهم (وَهُمْ فِيهَا) أى الدنيا (لَا يُبْخَسُونَ) ينقصون شيئا (أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ) بطل (مَا صَنَعُو) هُ (فِيهَا) أى الآخرة فلا ثواب له (وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّهِ) وهو النبى صلى الله عليه وسلم أو المؤمنون وهى القرآن

وهذا القول اختاره البيضاوى لحديث « يقال لأهل الرياء حججتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك ، ثم قال إن هؤلاء أوّل من تسعر بهم النار » رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديدا ثم قال صدق رسول الله من كان يريد الحياة الدنيا الخ (قوله نوف) بالنون مبنيا للفاعل وفيه ضمير يعود على الله و بالياء مبنيا للمفعول وأعمالهم بالرفع نائب فاعل والفاء مشدّدة على كل حال قراءتان الأولى سبعية والثانية شاذة (قوله أى جزاء ما عملوه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن نوسع عليهم رزقهم) أى فهذا جزاء أعمالهم الحسنة فى الدنيا وأما فى الآخرة فليس لهم فى نظير ذلك شىء . قال تعالى ـ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ـ فجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوص بالمؤمن (قوله فلا ثواب له) أى لأنهم قد استوفوا فى الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة فليس لهم فى الآخرة إلا العذاب . قال تعالى ـ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب ـ (قوله وباطل ما كانوا يعملون) أى فى الدنيا من الخيرات (قوله أفمن كان على بينة من ربه) لما تقدّم ذكر أوصاف أهل الدنيا الغافلين عن الآخرة وعاقبة أمرهم ذكر أوصاف أهل الآخرة الذين يريدون بأعمالهم وجه ربهم ، واسم الموصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر فيما يأتى بقوله كمن ليس كذلك وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله لا وقد صرّح بهذين المحذوفين فى قوله تعالى ـ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ـ (قوله بيان) أى نور واضح ودليل ظاهر وذلك نظير قوله تعالى ـ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ـ (قوله وهو النبى) أى وعليه فالجمع للتعظيم فى قوله ـ أولئك يؤمنون به ـ وقوله أو المؤمنون والجمع فيها ظاهر وفى نسخة والمؤمنون وهى ظاهرة (قوله وهو القرآن) تفسير للبينة ، وقد أخذ هذا التفسير مما يأتى فى سورة البينة فى قوله تعالى ـ حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ـ .

(ويتلوه)

(قوله و يتلوه) الضمير عائد على من (قوله وهو جبريل) تفسير للشاهد ، والمعنى من كان متمسكا بالحق والحال أنه يتبعه شاهد من الله يصدقه على ذلك وهو جبريل لأنه مقو ومصدق للرسول ويصح أن يكون المراد بالشاهد معجزات القرآن والضمير في منه إما عائد على الله أو على القرآن ، والمعنى على هذا و يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله وهو الاعجاز في نظمه واشتماله على عجائب المغيبات في معناه فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله كلا أو بعضا ، و يصح أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يد رسول الله مطلقا (قوله ومن قبله) الجار والمجرور حال من كتاب موسى الواقع معطوفا على شاهد (قوله شاهد له أيضا) الأوضح أن يقول يتلوه أيضا إذ هو المسلط عليه (قوله إماما) أي مقتدى به (قوله ورحمة) أي إحسانا ولطفا لمن أنزل إليهم (قوله أي من كان على بينة من ربه) أشار بذلك إلى أن اسم الاشارة عائد على قوله أفمن كان على بينة (قوله ومن يكفر به) اسم الموصول راجع لقوله كمن ليس كذلك فهو لف ونشر مرتب (قوله فلا تك) أصله تكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا (قوله في مرية) بكسر الميم باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بضمها وهي لغة قليلة وهو خطاب للنبي والمراد غيره (قوله إنه الحق) أي الثابت الذي لا محيص عنه (قوله ولكن أكثر الناس) يفيد أن الأقل مؤمن وهو كذلك في كل زمن إلى يوم القيامة وإنما خص المفسر أهل مكة لكون أصل الخطاب لهم (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي وهذا شروع في ذكر أوصافهم وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفا أولها قوله ومن أظلم وآخرها قوله لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (قوله أولئك يعرضون على ربهم) أي عرض فضيحة وهتك ستر (قوله وهم الملائكة) أي والنبيون والأصفياء (قوله ألا لعنة الله) هذا من كلام الله تعالى يقوله لهم يوم القيامة فيطردون بذلك عن الرحمة الحاصلة في الآخرة ، وليس المراد أنهم يطردون عن رحمة الدنيا (قوله الذين يصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام ، والمعنى أنهم كما ضلوا في أنفسهم يضلون غيرهم (قوله و يبغونها عوجا) أي ينسبونها للاعوجاج والحال أنه قائم بقلوبهم (قوله أولئك لم يكونوا معجزين) أي فارين من عذاب الله لأن الله وإن أمهلهم لا يهملهم (قوله من أولياء) من زائدة في اسم كان ، والمعنى ليس لهم أنصار من غير الله يمنعون عذاب الله عنهم (قوله بإضلالهم غيرهم) أشار بذلك إلى جواب سؤال وارد على الآية . وحاصله أن المضاعفة مخصوصة بالحسنات ، وأما السيئات فلا تضاعف . قال تعالى ـ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ـ فأجاب المفسر بأن معنى المضاعفة الشدة لأنهم يعذبون عذابين عذابا على ضلالهم في أنفسهم وعذابا على إضلالهم غيرهم (قوله ما كانوا يستطيعون السمع) أي لم يقبلوه لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله وما كانوا يبصرون) أي لم يقدروا على ذلك (قوله أولئك) أي الذين لا يستطيعون السمع ولا الابصار (قوله من دعوى الشريك) بيان لما .

(وَيَتْلُوهُ) يتبعه (شَاهِدٌ) له يصدقه (مِنْهُ) أي من الله وهو جبريل (وَمِنْ قَبْلِهِ) أي القرآن (كِتَابُ مُوسَىٰ) التوراة شاهد له أيضا (إِمَامًا وَرَحْمَةً) حال كمن ليس كذلك؟ لا (أُولَٰئِكَ) أي من كان على بينة من ربه (يُؤْمِنُونَ بِهِ) أي بالقرآن فلهم الجنة (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ) جميع الكفار (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) من القرآن (إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي أهل مكة (لَا يُؤْمِنُونَ. وَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك والولد إليه (أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ) يوم القيامة في جملة الخلق (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ ، وعلى الكفار بالتكذيب (هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) المشركين (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دين الاسلام (وَيَبْغُونَهَا) يطلبون السبيل (عِوَجًا) معوجة (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ. أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ) الله (فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مِنْ أَوْلِيَاءَ) أنصار يمنعونهم من عذابه (يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) بإضلالهم غيرهم (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) للحق (وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ)ه أي لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) على الله من دعوى الشريك

(قوله لاجرم) اختلف العلماء فى معنى لاجرم على ثلاثة أوجه : أولها أن لا نافية لأمانى الكفار وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وقوله أنهم فى الآخرة هم الأخسرون الجملة فى محل رفع فاعل بجرم ويصير المعنى لا عبرة بأمانيهم بل حق وثبت خسرانهم فى الآخرة وهذا الوجه أحسنها . ثانيا أن لا كذلك وجرم بمعنى كسب وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعوله والفاعل مادل عليه السياق والمعنى ما كسب لهم كفرهم وأمنياتهم إلا خسرانهم فى الآخرة . ثالثها أن لاجرم بمعنى لابد أى لابد أنهم فى الآخرة هم الأخسرون فلا نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وجملة أنهم فى محل رفع خبرها إذا علمت ذلك فقول المفسر حقا لم يوافق واحدا من هذه الثلاثة إلا أن يقال إنه مرّ على الأول ويكون حقا مفعولا مطلقا لفعل محذوف والتقدير حق حقا ، وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن فى خمسة مواضع ويقال فى كل واحد منها ماقيل هنا (قوله إن الذين آمنوا) لما ذكر الله أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعهم بذكر المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وأخبتوا) من الاخبات وهو الخشوع والخضوع ويتعدى باللام وإلى فان عدى باللام فمعناه خشع وخضع وإن عدى بالى فمعناه اطمأن وسكن وقد اقتصر المفسر على هذا الثانى (قوله أولئك أصحاب الجنة) التعبير بأصحاب إشارة إلى أن أهل الجنة مالكون لمنازلها ملكا لا يحول ولا يزول (قوله مثل الفريقين) لما ذكر أحوال الكفار وماهم عليه من الصمم والعمى عن اتباع الحق وذكر أحوال المؤمنين وماهم عليه من التبصر وسماع الحق واتباعه أتبع ذلك بذكر مثل لكل فريق (قوله كالأعمى والأصم) هذا كناية عن كون الله سلبهم الانتفاع بالحق لسبق شقاوتهم فى علم الله ، والمراد من الأعمى والأصم ذات واحدة اتصفت بهذين الوصفين فانه هو الذى لا يقبل الهدى لمقصوده بأى وجه كان ومثل ذلك يقال فى نظيره وهو البصير والسميع (قوله مثلا) تمييز محول عن الفاعل والأصل هل يستوى مثلهما (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وتركتم الهدى فلا تذكرون وهو خطاب للمشركين الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى والأصل تتذكرون أبدلت التاء الثانية ذالا وأدغمت فى الذال وفى قراءة سبعية بحذف إحدى التاءين تخفيفا (قوله ولقد أرسلنا نوحا) جرت عادة الله فى كتابه العزيز أنه إذا أقام الحجج على الكفار ووبخهم وضرب لهم الأمثال يذكر لهم بعض قصص الأنبياء المتقدمين وأممهم لعلهم يهتدون وفى هذه السورة سبع قصص : الأولى قصة نوح مع قومه . الثانية قصة هود مع قومه . الثالثة قصة صالح مع قومه . الرابعة قصة إبراهيم مع الملائكة . الخامسة قصة لوط مع قومه . السادسة قصة شعيب مع قومه . السابعة قصة موسى مع فرعون ، وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزمانى وتقدم أن نوحا اسمه عبد الغفار ونوح لقبه سمى بذلك لكثرة نوحه لما ورد أنه رأى كلبا مجذوما فقال له اخسأ ياقبيح فأوحى الله إليه أعبتنى أم عبت الكلب فكان ذلك عتابا له فاستمر ينوح صلى الله عليه وسلم على نفسه فسمى بذلك (قوله أى بأنى) أشار بذلك إلى أن قراءة الفتح على إضمار حرف الجر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله على حذف القول) أى ومتى وقعت إن بعد القول كسرت (قوله مبين) أى بين الانذار وواضحه (قوله إنى أخاف عليكم) هذا فى قوة التعليل لقوله ألا تعبدوا إلا الله (قوله أليم) صفة لليوم وأسنده له مبالغة على سبيل المجاز العقلى وحق الإسناد للعذاب (قوله ما نراك) اعلم أنهم احتجوا عليه بثلاث حجج أولها قوله ما نراك إلا بشرا مثلنا وآخرها قوله بل نظنكم كاذبين وقد أجابهم عنها إجمالا بقوله أرأيتم إن كنت على بينة من ربى الخ وتفصيلا بقوله

(لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا) سكنوا واطمأنوا أو أنابوا (إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . مَثَلُ) صفة (الْفَرِيقَيْنِ) الكفار والمؤمنين (كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ) هذا مثل الكافر (وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) هذا مثل المؤمن (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) لا (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال : تتعظون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي) أى بأنى وفى قراءة بالكسر على حذف القول (لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الإنذار (أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غيره (عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) مؤلم فى الدنيا والآخرة (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) وهم الأشراف (مَا نَرَاكَ

إلا

ولا أقول لكم عندى خزائن الله الخ (قوله إلا بشرا مثلنا) أى آدميا مثلنا (قوله ولا فضل لك علينا) أى لا مزية لك علينا وهذا من فرط جهلهم حيث استبعدوا فضل الله على البشر وظنوا أن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة (قوله أراذلنا) إما جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الدال جمع رذل بسكونها ككلب وأكلب وأكالب أو جمع المفرد وهو أرذل كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح (قوله كالحاكة) جمع حائك وهو القزاز (قوله والأساكفة) جمع إسكاف وهو صانع النعال وهذه عادة الله فى الأنبياء والأولياء أن أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم فلا يتكبرون عن الاتباع (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من غير تفكر فيك) أى ولو تفكروا لما اتبعوك (قوله من فضل) أى مزية من مال وغيره (قوله فى الخطاب) أى فى قوله وما نرى لكم بل نظنكم (قوله قال يا قوم) هذا خطاب فيه غاية التلطف بهم (قوله بيان) أى حجة وبرهان (قوله فعميت) أى النبوة أى خفيت عليكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله والبناء للمفعول) أى والأصل أعماها الله عليكم أى أخفاها فأطلق العمى وأريد لازمه وهو

الخفاء لأن الأعمى تخفى عليه الأشياء فلا يهتدى ولا يهدى غيره (قوله أنجبركم على قبولها) أى لا قدرة لنا على إلزامكم إياها والحال أنكم كارهون لها بل الإيمان إنما هو بالرضا والتسليم الباطنى والمعنى أخبرونى إن كنت على حجة ظاهرة من ربى وأعطانى نبوة من عنده فأخفاها عليكم أأجبركم على قبولها والايمان بها والحال أنكم كارهون منكرون لها لا أستطيع ذلك بل لا قدرة لى إلا على البلاغ (قوله الا على الله) أى فهو المتكفل لى بالثواب والعطايا (قوله كما أمرتمونى) أى فقد قالوا له امنع واطرد هؤلاء

(إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا) ولا فضل لك علينا (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) أسافلنا كالحاكة والأساكفة (بَادِئَ الرَّأْيِ) بالهمز وتركه أى ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أى وقت حدوث أول رأيهم (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) فتستحقون به الاتباع منا (بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) فى دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه فى الخطاب (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً) نبوة (مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ) خفيت (عَلَيْكُمْ) وفى قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) أنجبركم على قبولها (وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) لا نقدر على ذلك (وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة (مَالاً) تعطونيه (إِنْ) ما (أَجْرِيَ) ثوابى (إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) كما أمرتمونى (إِنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ) بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ) عاقبة أمركم (وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي) يمنعنى (مِنَ اللهِ) أى عذابه (إِنْ طَرَدْتُهُمْ) أى لا ناصر لى (أَفَلاَ) فهلا (تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء الثانية فى الأصل فى الذال: تتعظون (وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ) إنى (أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) بل أنا بشر مثلكم (وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي) تحتقر (أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) قلوبهم (إِنِّي إِذاً) إن قلت ذلك (لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا) خاصمتنا (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا)

الأسافلة عنك ونحن نتبعك فانا نستحي أن نجلس معهم فى مجلسك وهذا كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم كما فى سورة الأنعام فنزل ردا عليهم : ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية (قوله فيجازيهم) أى على ما قدموا من الأعمال الصالحة (قوله تجهلون) أى لا تحسنون خطابا (قوله أى لا ناصر لى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتأمرونى بطردهم فلا تذكرونى (قوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله) هذا رد لقولهم وما نرى لكم علينا من فضل والمراد بخزائن الله مغيباته التى لا يعلمها ولا يطلع عليها إلا هو (قوله ولا أعلم الغيب) رد لقولهم وما نراك اتبعك الخ ، والمعنى ما قلت لكم إنى أعلم الغيب فأطلع على بواطنكم (قوله ولا أقول إنى ملك) رد لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا (قوله تزدرى) أصله تزترى فقلبت تاء الافتعال دالا (قوله لن يؤتيهم الله خيرا) أى توفيقا وهدى (قوله الله أعلم بما فى أنفسهم) أى من ايمان وكفر (قوله قد جادلتنا) أى شرعت فى جدالنا

(قوله به) قدره إشارة إلى ان عائد الموصول محذوف و يصح ان تكون ما مصدرية والمعنى بوعدك إيانا (قوله فيه) أى فى الوعد (قوله تعجيله) أشار بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف (قوله بفائتين الله) أى بفارين من عذابه (قوله وجواب الشرط) أى الأول وهذا مرور على مذهب البصريين القائلين إن جواب الشرط لا يتقدم عليه وجوزه الكوفيون وحينئذ يكون تقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى وذلك لأن القاعدة إذا اجتمع فى الكلام شرطان وجواب يجعل الجواب للثانى والشرط الثانى وجوابه جوابا عن الأول (قوله أى كفار مكة) هذا أحد قولين والثانى وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية من جملة قصة نوح ويكون الضمير فى افتراه عائدا على الوحى الذى جاءهم به نوح (قوله أى عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وأوحى) الجمهور على أنه مبنى للمفعول وأنه بالفتح فى تأويل مصدر نائب فاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وإنه بالكسر إما على إضمار القول أى أوحى الله إلى نوح قائلا له إنه الخ أو بتضمين الايحاء معنى القول (قوله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) أى لن يستمر على الايمان إلا من ثبت إيمانه وحصل فاندفع ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل (قوله فدعا عليهم) أى بعد اليأس من إيمانهم وحصول غاية المشقة له منهم فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلفونه فى اللبد ويلقونه فى بيت يظنون موته فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم إلى الله وكانوا

به من العذاب (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ) تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إلىّ (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين الله (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) أى إغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحى (هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قال تعالى (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ) أى كفار مكة (افْتَرَاهُ) اختلق محمد القرآن (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي) إثمى أى عقوبته (وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) من إجرامكم فى نسبة الافتراء إلىّ (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ) تحزن (بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) من الشرك فدعا عليهم بقوله: رب لا تذر على الأرض الخ فأجاب الله دعاءه وقال (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا وحفظنا (وَوَحْيِنَا) أمرنا (وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكهم (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ. وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ) حكاية حال ماضية،

يخنقونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وكان الوالد منهم يوصى أولاده بعدم اتباعه ويقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا فلما أوحى إليه بعدم إيمانهم دعا عليهم كما قال المفسر (قوله واصنع الفلك) يطلق مفردا وجمعا والمراد هنا المفرد وكان طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وطولها (وكلها) لجهة العلو ثلاثين ذراعا والذراع إلى المنكب وهذه أشهر الروايات وقيل كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل غير ذلك وجعلها ثلاث طبقات فالسفلى للوحوش والسباع والهوام وفى الوسطى الدواب والأنعام وركب هو ومن معه فى العليا وقيل السفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطير وأول ما حمله نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه فاستثقل رجلاه وجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل ولو كان الشيطان معك فدخل فقال له نوح ماذا أدخلك علىّ ياعدوّ الله قال ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك قال اخرج عنى ياعدوّ الله قال لابدّ أن تحملنى معك هكذا قيل، وقيل إنه لم يحمله معه فى السفينة وهو الصحيح لأنه لم يثبت فى حمله خبر صحيح ومكث فى صنع السفينة مائتى سنة مائة فى غرس الأشجار ومائة فى عملها وهى من خشب الساج (قوله بمرأى منا وحفظنا) دفع بذلك ما يقال إن ظاهره مستحيل لاستحالة الأعين بمعنى الجارحة المعلومة على الله. فأجيب بأنه أطلق الملزوم وأراد اللازم لأنه يلزم من كون الشيء بالأعين أنه مبالغ فى حفظه (قوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لا تراجعنى فى شأنهم فإن الهلاك لابد لهم منه (قوله حكاية حال ماضية) أى فالمضارع بمعنى الماضى

(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ) جماعة (مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) استهزءوا به (قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) إذا نجونا وغرقتم (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعول العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم (حَتَّى) غاية للصنع (إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (وَفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا) فى السفينة (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ) أى ذكر وأنثى أى من كل أنواعهما (اثْنَيْنِ) ذكرا وأنثى وهو مفعول، وفى القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما فى السفينة (وَأَهْلَكَ) أى زوجته وأولاده (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أى منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة (وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَقَالَ) نوح (ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا) بفتح الميمين وضمهما مصدران أى جريها ورسوها أى منتهى سيرها (إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) حيث لم يهلكنا (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) فى الارتفاع والعظم

(قوله وكلما مر عليه ملأ) الجملة حالية والتقدير يصنع الفلك والحال أنه كلما مر الخ استهزءوا به أى فقالوا صرت نجارا بعد أن كنت نبيا وكان يعمل السفينة فى برية لاماء فيها، واستهزاؤهم إما لكونهم لايعرفون السفينة ولا الانتفاع بها أو لكونهم يعرفونها غير أنهم تعجبوا من صنعه لها فى أرض لاماء بها (قوله فإنا نسخر منكم) أى أنتم محل السخرية والاستهزاء لأن من كان على أمر باطل فهو أحق بالاستهزاء والسخرية ولاحاجة لكون الكلام من باب المشاكلة (قوله موصولة) أى وعلم عرفانية تنصب مفعولا واحدا وصح أن تكون استفهامية وعلم على بابها من كونها متعدية لاثنين ويكون الثانى محذوفا (قوله عذاب) أى وهو الغرق (قوله غاية للصنع) أى فى قوله ويصنع الفلك (قوله وفار التنور) وكان من حجارة ورثه من أمه حواء والأشهر أنه كان بالكوفة على يمين الداخل مما يلى باب كندة، والتنور مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون (قوله للخباز) أى وهى امرأة نوح وكان فورانه وقت طلوع الفجر (قوله وكان ذلك) أى فوران التنور وغليانه (قوله علامة لنوح) أى على الطوفان وكان فى الثالث والعشرين من أبيب فى شدة القيظ (قوله من كل زوجين) المراد بالزوجين كل اثنين لايستغنى أحدهما عن الآخر كالذكر والأنثى ويقال لكل منهما زوج، والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى. قال الحسن: لم يحمل نوح معه إلا مايلد أو يبيض. وأما ماسوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض فلم يحمل منه شيئا. وروى بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحا وقالا احملنا معك فقال إنكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالا احملنا ونحن نضمن لك أن لانضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما: سلام على نوح فى العالمين لم يضره (قوله وهو مفعول) أى لفظ اثنين وقوله من كل زوجين حال منه مقدم عليه (قوله أى زوجته) أى التى أسلمت لأنه كان له زوجتان إحداهما آمنت فحملها والأخرى لم تؤمن فتركها (قوله وأولاده) أى الثلاثة وزوجاتهم (قوله إلا من سبق عليه القول) أى القضاء بالغرق (قوله أى منهم) أخذ هذا التقييد من سورة المؤمنون (قوله وهو زوجته) أى التى لم تؤمن واسمها واعلة وقيل واعكة. ورد أنه قبل مجىء الطوفان بأربعين سنة أصيبوا بالعقم فلم يلدوا فى تلك المدة كى لاتصيبهم الرحمة من أجل وجود الصغار بينهم (قوله بخلاف سام) وهو أبو العرب وحام وهو أبو السودان ويافث وهو أبو الترك (قوله ثمانون) أى اثنان وسبعون من الأمة وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله وقال اركبوا) خطاب لمن معه (قوله بسم الله مجريها ومرساها) حال من الواو فى اركبوا والتقدير قائلين بسم الله الخ و بسم الله خبر مقدم وقوله مجراها ومرساها مبتدأ مؤخر. روى أنه كان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست (قوله بفتح الميمين) سبق قلم إذ فتح مرساها شاذ فالصواب أن يقول بضم الميمين أو فتح الأولى مع ضم الثانية (قوله مصدران) راجع لكل من الفتح والضم (قوله أى جريها) هذا يناسب الفتح، وأما الضم فيقال فى تفسيره أى إجراؤها وإرساؤها (قوله كالجبال) روى أن الله أرسل المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الأرض قال تعالى - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر - وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا حتى أغرق كل شىء. وروى أنه لما كثر الماء فى السكك

خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء إلى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي ، ولاينافى ماتقدم من أنهم أصابهم العقم أربعين سنة لجواز أن يكون هذا الولد ابن أكثر من أربعين (قوله ونادى نوح ابنه) أى قبل سير السفينة (قوله وكان فى معزل) الجملة حالية من ضمير ابنه وقوله يابنى الخ هذا هو المنادى به و بنىّ بثلاث ياآت الأولى ياء التصغير والثانية لام الكلمة والثالثة ياء المتكلم تحركت ياء المتكلم وانفتح ماقبلها (١) قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما وأدغمت إحدى الياءين فى الأخرى فيقرأ بفتح الياء وكسرها قراءتان سبعيتان ، وقوله اركب معنا باظهار الباء و إدغامها فى الميم سبعيتان (قوله ولاتكن مع الكافرين) أى فى البعد عن الركوب معنا . إن قلت لايخلو الحال إما أن يكون هذا الولد مسلما أوكافرا فان كان مسلما فيبعده كونه فى معزل و إن كان كافرا فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره ؟ . أجيب بأنه ذكر العلماء أنه كان منافقا يظهر الاسلام ويخفى الكفر فعند مجىء الطوفان أظهر ماكان يخفيه ولامانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن و بالعكس ، وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح ، وقيل ابن زوجته من نكاح غيره ، وقيل كان ولد خبث ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به وهذا القول غير وجيه لقول ابن عباس : مابغت امرأة نبىّ قط (قوله سآوى) أى ألتجىء (قوله إلا من رحم) عبر المفسر بلكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن مابعد إلا هو المعصوم وماقبلها هو العاصم ولا شك أنه غيره (قوله وحال بينهما) أى بين نوح وابنه (قوله فكان من

(وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) كنعان (وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) عن السفينة (يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي) يمنعنى (مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) عذابه (إِلاَّ) لكن (مَنْ رَحِمَ) الله فهو المعصوم ، قال تعالى (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ . وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) الذى نبع منك فشربته دون مانزل من السماء فصار أنهاراً و بحاراً (وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي) أمسكى عن المطر فأمسكت (وَغِيضَ) نقص (الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ) تمّ أمر هلاك قوم نوح (وَاسْتَوَتْ) وقفت السفينة (عَلَى الْجُودِيِّ) جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وَقِيلَ بُعْداً) هلاكا (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فقال

المغرقين) أى الهالكين بالماء . ورد أنه أوى إلى جبل عال فدخل فى غار منه وسدّ على نفسه من كل جهة فغرق فى بوله وغائطه (قوله وقيل ياأرض الخ) أى أمر الله الأرض بذلك ، والمراد تعلقت قدرته بزوال الماء على حد قوله تعالى: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهذا القول وقع يوم عاشوراء ونزل نوح السفينة لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة أشهر فلما نجوا صاموا جميعا حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء شكرا لله على النجاة ومرّت السفينة بهم بالبيت الحرام فطافت به سبع مرات وأودع الله الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس ، وورد أن نوحا حمل أباه آدم معه فى السفينة (قوله فصار أنهارا و بحارا) أى فماء السماء بقى فى أماكن من الأرض أنهارا و بحارا وماء الارض ابتلعته الأرض فصار فى باطنها (قوله نقص) أى ولم يذهب بالكلية لما علمت من بقاء ماء السماء (قوله جبل بالجزيرة) هى مدينة بالعراق . روى أن الله أوحى إلى الجبال أن السفينة ترمى على واحد منها فتطاولت و بقى الجودى لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينة عليه و بقيت على أعوادها ، وفى الحديث : لقد بقى منها شىء أدركه أوائل هذه الأمة . ورد أنهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية وسموها الثمانين لأنهم كانوا ثمانين (قوله وقيل بعدا) منصوب على المصدر بفعل مقدّر أى بعدوا بعدا فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم (قوله للقوم الظالمين) أى فهلكوا جميعا حتى البهائم والطيور والأطفال على القول بأنهم لم يعقموا ولايسئل عما يفعل ، وهذا الغرق عقوبة للمكلفين لاغيرهم . قال بعضهم : هذه الآية أبلغ آية فى القرآن لاحتوائها على أحد وعشرين نوعا من أنواع البديع والحال أن كلماتها تسعة عشر وخوطبت الأرض أوّلا بالبلع لأن الماء نبع منها أولا قبل أن تمطر السماء (قوله ونادى نوح ربه) أى قبل سير السفينة .

---

(١) قوله وانفتح ماقبلها أى بحسب الآن وقوله فالتقى ساكنان أى بحسب الأصل إذ أصله بنيو بسكون الواو لأن الكلمات قبل دخول العوامل موقوفة ومثل هذا كثير فى كلام الصرفيين اه .

(قوله فقال) هذا تفصيل للنداء (قوله وقد وعدنى بنجاتهم) أى المدلول عليها بقوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك (قوله الناجين أو من أهل دينك) أشار المفسر إلى أن الكلام إما على حذف الصفة أو على حذف المضاف (قوله أى سؤالك) أشار بذلك إلى أن الضمير فى إنه عائد على نوح على حذف مضاف والمعنى قال الله له يانوح إن سؤالك عمل غير صالح أى غير مقبول لأن الله لايقبل الشفاعة إلا فى المسلمين فسؤالك خطأ ، وذلك نظير استغفار إبراهيم لأبيه وهذا غير قادح فى منصب النبوّة لأن نوحا كان يظن إسلام ولده لأنه كان يظهره ، ومن المعلوم أن الرسل يحكمون بالظاهر ، وقيل إن الضمير عائد على الولد ويقال فى الإخبار عنه بعمل ماقيل فى زيد عدل وهو الراجح (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ونصب غير) أى على المفعولية لعمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فعلى التخفيف تسكن اللام وعلى التشديد تفتح اللام ، وفى قراءة التخفيف وجهان حذف الياء واثباتها وفى قراءة التشديد ثلاث فتح النون مع حذف الياء لاغير وكسر النون مع حذف الياء واثباتها وكل هذا فى حال الوصل ، وأما عند الوقف فلا تثبت أصلا (قوله ماليس لك به علم) أى ما لاتعلم أنه صواب أم لا (قوله إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) هذا العتاب فيه رفق وتلطف والمعنى كأن الله يقول له إن مقامك عظيم فشأنك أن لاتسأل ولا تشفع إلا فيمن يرجى فيه النجاة وأما فيمن تحقق عدم قبول الشفاعة فيه فلا يليق منك أن تقدم على السؤال فيه (قوله إنى أعوذ بك) أى أتحصن بك (قوله أن أسألك) أى بعد

ذلك (قوله مافرط منى) أى تقدم وسلف وهو الاقدام على سؤال ماليس لى به علم وهذا لا يقتضى صدور ذنب من نوح إذ هو معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها لأن الله وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح بظاهر اللفظ واتبع التأويل حيث ظن أن ولده من جملة أهله الناجين فلما عاتبه ربه رجع على نفسه باللوم والندم مما وقع منه وسأله المغفرة والرحمة وذلك كما وقع لآدم فى الأكل من الشجرة وليست هذه ذنوبا بل هى من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله قيل يانوح اهبط بسلام) أى سلامة وأمن ويدخل فى هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة (قوله انزل من السفينة) ورد أنه لما نزل منها أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض فقال له الدجاج أنا فأخذه وختم على جناحه وقال لها أنت مختومة بخاتمى لاتطيرى أبدا تنتفع بك أمتى فبعث الغراب فأصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس فلعنه ودعا عليه بالخوف فلذلك يقتل فى الحل والحرم ولا يألف البيوت وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوقفت على شجرة بأرض سبأ فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح فعلم أنها لم تتمكن من الأرض ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقفت بوادى الحرم فاذا الماء قد ذهب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءت إلى نوح فقالت بشراى منك أن تهب لى الطوق فى عنقى والخضاب فى رجلى وأن أسكن الحرم فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة فى رجليها ودعا لها ولذريتها بالبركة (قوله أى من أولادهم الخ) أشار بذلك إلى أن من تبعيضية والكلام على حذف مضاف والمعنى وعلى أمم من ذرية من معك (قوله وأمم سنمتعهم) يقال فيه ماقيل فيما قبله أى وأمم من ذرية من معك سنمتعهم الخ ، والمعنى أن ذرية الأمم الذين معه بعضها مؤمن فعليه السلام وبعضها كافر فيمتع فى الدنيا ثم يمسه العذاب الأليم فى الآخرة ، والذرية المذكورة لم تكن إلا من أولاده الثلاثة كما تقدم فهو الأب الثانى للخلق بعد آدم .

فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي) كنعان (مِنْ أَهْلِي) وقد وعدتنى بنجاتهم (وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) الذى لاخلف فيه (وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) أعلمهم وأعدلهم (قَالَ) تعالى (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) الناجين ، أو من أهل دينك (إِنَّهُ) أى سؤالك إياى بنجاته (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فإنه كافر ولا نجاة للكافرين وفى قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه (فَلَا تَسْأَلْنِ) بالتخفيف والتشديد (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) من إنجاء ابنك (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بسؤالك ما لم تعلم (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ) من (أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي) ما فرط منى (وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ . قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ) انزل من السفينة (بِسَلَامٍ) بسلامة أو بتحية (مِنَّا وَبَرَكَاتٍ) وخيرات (عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) فى السفينة أى من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون (وَأُمَمٌ) بالرفع ممن معك (سَنُمَتِّعُهُمْ) فى الدنيا (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة وهم الكفار ،

(قوله تلك) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار (قوله ماكنت تعلمها) أى تفصيلا (قوله فاصبر) هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة أى فتسل ولا تحزن على عدم إيمان المشركين ولا تنزعج من أذاهم (قوله وإلى عاد) الجملة معطوفة على جملة ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه عطف قصة على قصة وأخر هودا لأنه متأخر عن نوح فى الزمن إذ هو من أولاد سام بن نوح و بين هود ونوح ثمانمائة سنة وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح وهود ينسب له لأنه من تلك القبيلة لأن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهود بن عبد الله بن رباح بن الحلود بن عاد وعاش هود أربعمائة سنة وأربعا وستين سنة (قوله وحدوه) أى وسمى التوحيد عبادة لأنه أساسها ورأسها (قوله مالكم من إله غيره) ما نافية ولكم خبر مقدم و إله مبتدأ مؤخر وغيره صفته ومن زائدة كما قال المفسر (قوله كاذبون على الله) أى حيث ادعيتم أن لله شركاء وعبدتموهم (قوله لا أسألكم عليه أجرا) أى ليس مقصدى من تبليغ التوحيد والأحكام لكم أنكم تعطونى أجرا على ذلك من مال أوغيره والمقصود من ذلك الخطاب إزاحة قلوبهم والتلطف بهم عسى أن يقبلوا ماجاءبه بقاب سليم وعبرهنا بأجرا وفى قصة نوح بمالا تفننا

(تلك) أى هذه الآيات المتضمنة قصة نوح (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) أخبار ما غاب عنك (نُوحِيهَا إِلَيْكَ) يا محمد (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا) القرآن (فَاصْبِرْ) على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح (إِنَّ الْعَاقِبَةَ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ . وَ) أرسلنا (إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ) من القبيلة (هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ) وحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ) زائدة (إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ) ما (أَنْتُمْ) فى عبادتكم الأوثان (إِلَّا مُفْتَرُونَ) كاذبون على الله (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على التوحيد (أَجْرًا إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى (أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (ثُمَّ تُوبُوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (يُرْسِلِ السَّمَاءَ) المطر وكانوا قد منعوه (عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) كثير الدرور (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى) مع (قُوَّتِكُمْ) بالمال والولد (وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) مشركين (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) برهان على قولك (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ) أى لقولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ) ما (نَقُولُ) فى شأنك (إِلَّا اعْتَرَاكَ) أصابك (بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) فخبلك لسبك إياها فأنت تهذى (قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ) علىَّ (وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) ـه به (مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي) احتالوا فى هلاكى (جَمِيعًا) أنتم وأوثانكم (ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ) تمهلون (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي

(قوله إن أجرى إلا على الذى فطرنى) أى لأنه هو المعطى المانع الضار النافع المقدم المؤخر فلا أطلب من غيره (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم وعميتم فلا تعقلون (قوله استغفروا ربكم) أى من كل ذنب مضى وقوله : وتوبوا إليه أى أقلعوا واعزموا على عدم الرجوع فى المستقبل (قوله وكانوا قد منعوه) أى ثلاث سنين (قوله مدرارا) حال من السماء أى كثيرة النزول والتتابع

(قوله كثير الدرور) أى فيقال درّ يدرّ درّا ودرورا فهو مدرار (قوله بالمال والولد) أى وكانت قد عقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (قوله قالوا ياهود) أى استهزاء وعنادا (قوله ببينة) أى معجزة وكانت معجزته التى قامت بها الحجة عليهم ما يأتى فى قوله فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون فعصمته منهم هى معجزته وكذا معجزة نوح التى قامت بها الحجة عليهم هى قوله: فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة الآية، وأما الريح والطوفان و إن كان كل معجزة فيهما هلاكهم لا لإقامة الحجة عليهم (قوله برهان) أى دليل واضح على صحته (قوله أى لقولك) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى لام التعليل (قوله إن نقول) أى فى شأنك (قوله فخبلك) أى أفسد عقلك (قوله لسبك) علة لقوله فخبلك (قوله فأنت تهذى) أى تتكلم بالهذيان وهو الكلام الساقط الذى لامعنى له (قوله أنى برىء مما تشركون) أى العبد ومتبرىء من جميع ماتشركونه مع الله (قوله فكيدونى) باثبات الياء وصلا ووقفا هنا لجميع القراء والتى فى المرسلات بحذفها لجميعهم، وأما التى فى الأعراف فمن يا آت الزوائد فتحذف وقفا و يجوز حذفها واثباتها فى الوصل (قوله ثم لاتنظرون) أى لاتؤخرون حتى آتى بشىء يحفظنى من قراءة أو سلاح أوغير ذلك وهذا من شدة وثوقه بربه واعتماده عليه (قوله انى توكلت)

أى فوضت امورى إليه واعتمدت عليه (قوله ربى وربكم) هذا تبكيت عليهم (قوله فلا نفع ولا ضرر إلا باذنه) أى وأنتم من جملة الدواب فليس لكم تأثير فى شىء أصلا (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فقد أبلغتكم الخ عليه والتقدير فلا عذر لكم ولامؤاخذة على فقد أبلغتكم الخ (قوله ويستخلف ربى الخ) هذا وعيد شديد مترتب على إعراضهم ، والمعنى فان تعرضوا عن الايمان فلا مؤاخذة على بل يقبلنى ربى ويهلككم ويستخلف غيركم ولا تضرونه شيئا باعراضكم بل ما ضر إلا أنفسكم (قوله إن ربى على كل شىء حفيظ) أى فلا تخفى عليه أحوالكم بل يجازى كل أحد بعمله (قوله عذابنا) أى وهو الريح الصرصر المذكور فى قوله تعالى : سخرها عليهم سبع ليال الآية فأصابهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال وكان يدخل فى أنف الواحد ويخرج من دبره فيرفعه فى الجو فيسقط على الأرض فتتقطع أعضاؤه وقد تقدم بسطها فى الأعراف (قوله والذين آمنوا معه) أى وكانوا أربعة آلاف (قوله وتلك عاد) مبتدأ وخبر على حذف مضاف كما أشار له المفسر أى آثار عاد

رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ) نسمة تدب على الأرض (إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) أى مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا باذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون فى غاية الذل (إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أى طريق الحق والعدل (فَإِنْ تَوَلَّوْا) فيه حذف إحدى التاءين ، أى تعرضوا (فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا) باشراككم (إِنَّ رَبِّى عَلَى كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ) رقيب (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) عذابنا (نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ) هداية (مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد (وَتِلْكَ عَادٌ) إشارة إلى آثارهم أى فسيحوا فى الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم فقال (جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ) جمع لأن من عصى رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم فى أصل ماجاءوا به وهو التوحيد (وَاتَّبَعُوا) أى السفلة (أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) معاند للحق من رؤسائهم (وَأُتْبِعُوا فِى هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) من الناس (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) لعنة على رءوس الخلائق (أَلاَ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا) جحدوا (رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا) من رحمة الله (لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ . وَ) أرسلنا (إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ) ابتدأ خلقكم (مِنَ الْأَرْضِ) بخلق أبيكم آدم منها (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) جعلكم عمارا تسكنون بها (فَاسْتَغْفِرُوهُ) من الشرك (ثُمَّ تُوبُوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ) من خلقه ،

(قوله فى الأرض) أى أرضهم (قوله وانظروا إليها) أى لتعتبروا وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته ولكن المراد الأمة (قوله لأن من عصى رسولا الخ) جواب عما يقال لم جمع الرسل مع أنهم عصوا رسولا واحدا وهو هود (قوله عنيد) أى معاند متجاوز فى الظلم (قوله لعنة) أى طردا وبعدا (قوله ويوم القيامة لعنة) أى طردا عن رحمة الله وهى الجنة وما فيها لاتصافهم بالشقاوة الدائمة الموجبة للخلود فى النار (قوله ألا إن عادا كفروا ربهم) هذا بيان لسبب استحقاقهم للعنتين

(قوله ألا بعدا لعاد) هذا هو معنى قوله : وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وذكر تأكيدا وإشارة إلى أنهم مستحقون لذلك (قوله قوم هود) بدل من عاد واحترز به عن عاد الثانية المسماة بثمود وهى قوم صالح الآتية قصتهم بعد (قوله وإلى ثمود) عطف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وقدر المفسر أرسلنا إشارة إلى أن قوله أرسلنا الأول مسلط عليه فهو من عطف الجمل وثمود هنا يمتنع الصرف باتفاق القراء العشرة وقرىء شاذا بالصرف بخلاف ما يأتى فى قوله ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود فبالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان وثمود اسم أبى القبيلة سميت باسمه لشهرته وبين صالح وبينه خمسة أجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائة سنة وثمانين سنة (قوله هو أنشأكم) هذا دليل على كونه هو المستحق للعبادة دون غيره (قوله من الأرض) أى مباشرة أو بواسطة فالأول لخلق أبينا آدم منها والثانى لخلق مواد النطف التى منها النوع الانسانى (قوله جعلكم عمارا تسكنون بها) أى خلفاء فى الأرض ويصح أن يكون المعنى جعلكم معمرين لها بعد أن خربت (قوله فاستغفروه) أى من الذنوب التى مضت (قوله ثم توبوا إليه) أى أقلعوا عن الذنوب فى المستقبل

(قوله بعلمه) أى فالمراد قرب مكانة ورفعة والمعنى أن الله قريب من خلقه قربا معنويا منزها عن الاحاطة والجهة فهو أقرب من نور العين لها ومن سمع الأذن لها ومن لمس الجسم له ومن شم الأنف له سبحانه وتعالى (قوله مجيب) أى فلا يخيب سائلا (قوله نرجو أن تكون سيدا) أى لأنه كان يعين ضعيفهم ويعطى فقيرهم وكانوا يرجعون إليه فى الأمور قبل تلك المقالة فلما حصلت قالوا قد انقطع رجاؤنا فيك (قوله الذى صدر منك) أى وهو نهيهم عن عبادة الأوثان (قوله أتنهانا أن نعبد) أى أتنهانا عن عبادة الذى كان يعبده آباؤنا وقوله من الأوثان بيان لما (قوله وإننا) هذا هو الأصل ويصح وإنا بنون واحدة مشددة ولذا قرئ به فى سورة إبراهيم (قوله مريب) وصف لشك والاسناد مجازى وحق الاسناد لصاحبه (قوله موقع فى الريب) أى الهائم (قوله أرأيتم) أى أخبرونى (قوله إن كنت على بينة) أتى بإن مشاكلة لاعتقادهم فيه ومسايرة لخطابهم (قوله بيان) أى برهان وحجة واضحة (قوله أى عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن عصيته) أى على فرض وقوع المعصية منى وإلا فهى مستحيلة عليه كبيرها وصغيرها قبل النبوة وبعدها (قوله بأمركم لى بذلك) أى بعصيانه وموافقتكم (قوله تضليل) أى لى إن اتبعتكم والمعنى أخبرونى إن كنت على بينة ونبوة من ربى فلا أحد يمنعنى من عذاب الله إن اتبعتكم وعصيته وحينئذ أكون خاسرا مضيعا لما أعطانى الله من الحق وهل رأيتم نبيا صار كافرا وكل هذا تنزل منه لهم (قوله هذه ناقة الله) أى وقد طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها حيث قالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء فدعا الله فتمخضت الصخرة كما تتمخض النساء عند الولادة فخرجت منها ناقة كما وصفوا فولدت الناقة فى الحال فصيلا قدرها فى الجثة يشبهها وأضيفت الناقة لله تشريفا أى لا اختصاص لأحد بها

بعلمه (مُجِيبٌ) لمن سأله (قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا) نرجو أن تكون سيدا (قَبْلَ هٰذَا) الذى صدر منك (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَايَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأوثان (وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) من التوحيد (مُرِيبٍ) موقع فى الريب (قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً) نبوة (فَمَنْ يَنْصُرُنِي) يمنعنى (مِنَ اللّٰهِ) أى عذابه (إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي) بأمركم لى بذلك (غَيْرَ تَخْسِيرٍ) تضليل (وَيَاقَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً) حال عامله الاشارة (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّٰهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) عقر (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) إن عقرتموها (فَعَقَرُوهَا) عقرها قدار بأمرهم (فَقَالَ) صالح (تَمَتَّعُوا) عيشوا (فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ثم تهلكون (ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) فيه (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) باهلاكهم (نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) وهم أربعة آلاف (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ) نجيناهم (مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) بكسر الميم إعرابا وفتحها بناء لإضافته إلى مبنى وهو الأكثر (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) الغالب (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (كَأَنْ) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لَمْ يَغْنَوْا) يقيموا (فِيهَا) فى دارهم (أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ

(قوله تأكل فى أرض الله) أى من العشب والنبات وفى الكلام اكتفاء أى وتشرب من ماء الله على حد سرابيل تقيكم الحر أى والبرد (قوله قريب) أى عاجل لا يتأخر عنهم إلا ثلاثة أيام (قوله عقرها قدار) أى ابن سالف حيث ضربها فى رجليها فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء (قوله فى داركم) أى أرضكم (قوله ثلاثة أيام) والحكمة فى ذلك بقاء الفصيل ينوح على أمه ثلاثة أيام ثم فتحت له الصخرة ودخل فيها قالوا وما العلامة قال تصبحون فى اليوم الأول وجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى وجوهكم محمرة وفى اليوم الثالث وجوهكم مسودة (قوله غير مكذوب فيه) أشار المفسر بتقدير فيه إلى أنه من باب الحذف والايصال (قوله برحمة منا) أى وهى الايمان (قوله ومن خزى يومئذ) أى يوم إهلاكهم بالصيحة (قوله لاضافته إلى مبنى) أى فهى من أسباب البناء (قوله وهو الأكثر) أى عربية وأما فى القراءة فمستويان (قوله وأخذ الذين ظلموا) حذفت تاء التأنيث من الفعل إما لكون المؤنث مجازيا كما يقال طلع الشمس أو للفصل بالمفعول كأتى القاضى بنت الواقف (قوله الصيحة) أى مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم والمراد صيحة جبريل عليهم من السماء فسمعوا فيها صوت كل شىء فماتوا جميعا.

(قوله ألا بعدا) أى طردا دائما عن رحمة الله فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على معنى الحى) راجع للصرف وقوله والقبيلة راجع لتركه فهولف ونشر مرتب وقد تقدم بسط تلك القصة فى الأعراف (قوله ولقد جاءت رسلنا) أتى هنا بقصة إبراهيم توطئة لقصة لوط لا استقلالا لأن الهلاك هنا لم يكن بقوم إبراهيم ولذا غاير الأسلوب فلم يقل وأرسلنا إبراهيم إلى قومه مثلا ورسلنا بضم السين واسكانها قراءتان سبعيتان فى جميع القرآن متى أضيفت رسل للضمير فان أضيفت للظاهر قرئ بضم السين لاغير . واختلف فى عدة الرسل الذين جاءوه فعن ابن عباس ثلاثة جبريل وميكائيل و إسرافيل وقيل تسعة وقيل اثنا عشر وقيل غير ذلك وعاش إبراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة و بينه و بين نوح ألفا سنة وستمائة وأربعون سنة وابنه إسحق عاش مائة وثمانين سنة ويعقوب بن إسحق عاش مائة وسبعا وأربعين سنة (قوله بالبشرى) هى الخبر السار سميت بذلك لانبساط البشرة عند حصولها (قوله باسحاق و يعقوب بعده) أفاد المفسر أن المراد بالبشرى هنا هى ما يأتى فى قوله فبشرناها باسحاق الخ و يحتمل أن المراد بقوله هنا بالبشرى ماهو أعم من ذلك فيشمل بشراه بنجاة لوط وهلاك الكافرين وغير ذلك (قوله قالوا سلاما) هذه تحيتهم الواقعة منهم وهو منصوب بفعله المحذوف والتقدير سلمنا عليك سلاما (قوله مصدر) أى نائب عن لفظ الفعل (قوله قال سلام) إنما أتى إبراهيم بالجملة الاسمية فى الرد لتفيد الدوام والثبوت فيكون الرد أحسن من الابتداء لأن الجملة الاسمية أشرف من الفعلية وقوله عليكم قدره المفسر إشارة إلى أن سلام مبتدأ والخبر محذوف والمسوغ للابتداء بالنكرة التعظيم على حد شر أهرذا ناب أو الدعاء (قوله فما لبث أن جاء بعجل) ما نافية ولبث فعل ماض وأن جاء فى تأويل مصدر فاعل والمعنى لم يتأخر مجيئه بعجل حنيذ (قوله مشوى)

أَلاَ بُعْدًا لِثَمُودَ) بالصرف وتركه على معنى الحى والقبيلة (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) باسحاق و يعقوب بعده (قَالُوا سَلاَمًا) مصدر (قَالَ سَلاَمٌ) عليكم (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) مشوى (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) بمعنى أنكرهم (وَأَوْجَسَ) أضمر فى نفسه (مِنْهُمْ خِيفَةً) خوفا (قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ) لنهلكهم (وَامْرَأَتُهُ) أى امرأة إبراهيم سارة (قَائِمَةٌ) تخدمهم (فَضَحِكَتْ) استبشارا بهلاكهم (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ) بعد (إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) ولده تعيش إلى أن تراه (قَالَتْ يَاوَيْلَتَى) كلمة تقال

أى على الحجارة المحماة فى حفرة فى الأرض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك كما فى آية الذاريات وكان عامة مال إبراهيم البقر (قوله فلما رأى أيديهم) هذا مرتب على محذوف كما فى الآية الأخرى : فقربه إليهم فقال ألا تأكلون فلما رأى الخ فى بعض الروايات قالوا لانأكل طعاما إلا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل قال وحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا (قوله خوفا) أى من أجل امتناعهم من طعامه نخاف منهم الخيانة على عادة الخائن أنه لا يأكل طعام من أراد خيانته إن قلت كيف يخاف إبراهيم منهم مع كونه خليل الرحمن وهم محصورون فى بيته . أجيب بأن خوفه لما رأى فيهم من جلال الله وهيبته فخوفه من ربه لامن ذواتهم (قوله قالوا لاتخف) أى جوابا لقوله لهم كما فى سورة الحجر : انا منكم وجلون (قوله إلى قوم لوط) أى وهو ابن أخى إبراهيم الخليل وهو أول من آمن به وأبوه هاران أخو إبراهيم (وقوله لنهلكهم) أخذ هذا القدر من قوله فى سورة الذاريات لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة الخ (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد وهى بنت عمه (قوله تخدمهم) اى على عادة نساء العرب لايتحاشون خدمة الضيوف (قوله فضحكت) فى سبب ذلك الضحك أقوال : قيل للبشرى بهلاك قوم لوط كما قال المفسر، وقيل من خوف إبراهيم وهو فى خدمه وحشمه ، وقيل سرورا بالولد ، وقيل تعجبا من إتيان الولد على كبر ، وقيل لموافقة مجىء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالته لابراهيم فانها قالت له قبل مجىء الملائكة اضمم إليك ابن أخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه وقيل غير ذلك (قوله فبشرناها) إنما نسبت البشارة لها دونه لأنها كانت أشوق منه إلى الولد لأنه لم يأتها ولد قط بخلافه هو فقد أتاه إسماعيل قبل اسحاق بثلاث عشرة سنة (قوله باسحق) ولد بعد البشارة بسنة فاسماعيل أسن منه بأربع عشرة سنة (قوله يعقوب) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان (قوله كلمة تقال) أى على سبيل التعجب من مخالفة العادة لامن قدرة الله فان ذلك كفر حاشاها منه .

(قوله عند أمر عظيم) أى خيرا كان أو شرا ولكن المراد هنا الخير (قوله والألف مبدلة من ياء الاضافة) أى فيقال فى إعرابها ويا قى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائبة عن الكسرة لمناسبة الألف وو يلى مضاف والألف مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر وترسم بالياء وتقرأ بالألف والامالة (قوله وهذا بعلى) سمى الزوج بذلك لأن البعل هو المستعلى على غيره ولاشك أن الزوج مستعل على المرأة قائم بأمورها (قوله رحمت الله و بركاته) هذا دعاء من الملائكة لهم (قوله أهل البيت) أشار المفسر بتقديريا إلى أن أهل البيت منصوب على النداء و يصح أن يكون منصوبا على الاختصاص (قوله حميد) أى كثير الحمد (قوله مجيد) أى عظيم شريف (قوله فلما ذهب) جوابها محذوف قدره المفسر بقوله أخذ (قوله وجاءته البشرى) أى بعد الروع (قوله يجادل رسلنا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن إبراهيم لحليم) أى فالحامل له على المجادلة حلمه ورقة قلبه فغرضه تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم عليه من القبائح (قوله كثير الأناة) أى التأنى فى الأمور وعدم العجلة (قوله أواه) فى تفسيره أقوال كثيرة تقدم بعضها فى سورة براءة (قوله فقال لهم) هذه صورة المجادلة والحاصل أنه سألهم خمسة أسئلة وأجابوه عنها (قوله إلى آخره) أى إلى آخر مافى سورة العنكبوت (قوله أمر ربك) أى قضاؤه وحكمه (قوله غير مردود) أى غير مصروف عنهم فانه قضاء مبرم لامحيص عنه (قوله ولما جاءت رسلنا) أى الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم، والمعنى أنهم لرتحلوا من عند إبراهيم حتى أتوا قرية لوط وتسمى

عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الاضافة (ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) لى تسع وتسعون سنة (وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا) له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه مافى ذا من الاشارة (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) أن يولد ولد لهرمين (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قدرته (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ) يا (أَهْلَ الْبَيْتِ) بيت إبراهيم (إِنَّهُ حَمِيدٌ) محمود (مَجِيدٌ) كريم (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) الخوف (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ) بالولد أخذ (يُجَادِلُنَا) يجادل رسلنا (فِي) شأن (قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ) كثير الأناة (أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) رجاع فقال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. قال: إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ، فلما أطال مجادلتهم قالوا (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا) الجدال (إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) بهلاكهم (وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ. وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدرا لأنهم حسان الوجوه فى صورة أضياف فخاف عليهم قومه (وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ)

سدوم بلد بحمص و بينها و بين الخليل أربعة فراسخ نصف النهار فوجدوا لوطا يعمل فى أرض له، وقيل كان يحتطب وقد قال الله للملائكة لاتهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله إنها لشر قرية فى الأرض عملا قال ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله، وقيل إنه مر مع الملائكة على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط إن قومى شر خلق الله فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل ماقال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا، وقيل إن الملائكة جاءوا إلى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلاأهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت إن فى بيت لوط رجالا مارأيت مثل وجوههم قط ولاأحسن منهم (قوله وضاق بهم ذرعا) الأصل فيه أن البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدرسعة خطوته فاذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه فأطلق الذرع وأريد منه الصدر فالمراد ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه (قوله فخاف عليهم قومه) منصوب بنزع الخافض أى من قومه (قوله عصيب) مأخوذ من العصب وهو الشدة ومنه العصابة التى يشد بها الرأس

لما علموا بهم (يُهْرَعُونَ) يسرعون (إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ) قبل مجيئهم (كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّآتِ) وهى إتيان الرجال فى الأدبار (قَالَ) لوط (يَا قَوْمِ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي) فتزوجوهن (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلَا تُخْزُونِ) تفضحون (فِي ضَيْفِي) أضيافى (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) حاجة (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) من إتيان الرجال (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً) طاقة (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) عشيرة تنصرنى لبطشت بكم ، فلما رأت الملائكة ذلك (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) بسوء (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ) طائفة (مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم (إِلَّا امْرَأَتُكَ) بالرفع بدل من أحد ، وفى قراءة بالنصب استثناء من أهل أى فلا تسر بها (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها ، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) فقال أريد أعجل من ذلك ، قالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ . فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (جَعَلْنَا عَالِيَهَا) أى قراهم (سَافِلَهَا) أى بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) طين طبخ بالنار (مَنْضُودٍ) متتابع (مُسَوَّمَةً) معلمة ،

(قوله علموا بهم) أى إما لأنهم رأوهم مع لوط فى الطريق أو أعلمتهم زوجته (قوله يهرعون) أى يسوق بعضهم بعضا (قوله كانوا يعملون السيئات) أى فلا حياء عندهم منها لاعتيادهم لها (قوله قال ياقوم) هذا الخطاب وقع من لوط وهم خارج الباب (قوله هؤلاء بناتى فتزوجوهن) أى وكان فى شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة . وقيل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام . وقيل قال ذلك لتخليص أضيافه لا لإباحة تزويجهم بهن لعلهم إذا رأوه قد فدى أضيافه ببناته ينزجروا و يرتدعوا و يتركوا هذا الأمر . وقيل المراد ببناته نساء قومه وأضافهن إليه لأن كل نبيّ لقومه كالأب لأولاده فى الشفقة واللطف بهم (قوله هن أطهر لكم) إن قلت إن تلك الفعلة لاطهارة فيها . أجيب بأن أفعل التفضيل ليس على بابه نظير قوله تعالى ـ أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ـ (قوله تفضحون) أى تعيبونى (قوله فى ضيفى) أى فى شأنه (قوله أليس منكم) استفهام توبيخ (قوله قال لو أن لى بكم قوّة) أى لو ثبت أن لى بكم قوّة أو أنى آوى وجواب لو محذوف قدره المفسر بقوله لبطشت بكم و إنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسبا بل كان غريبا فيهم لأنه كان أولا بالعراق مع إبراهيم ببابل فهاجر إلى الشام بأمر من الله فنزل إبراهيم بأرض فلسطين ونزل لوط بالأردن فأرسله إلى أهل سدوم فمن ذلك الوقت لم يرسل الله رسولا إلا من قومه (قوله قالوا يالوط إنا رسل ربك) أى فافتح الباب ودعنا و إياهم ففتح الباب ودخلوا فاستأذن جبريل ربه فى عقوبتهم فأذن له فتحوّل إلى صورته التى يكون فيها ونشر جناحيه فضرب بهما وجوههم فأعماهم وطمس أعينهم حتى ساوت وجوههم فصاروا لايعرفون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة فى بيت لوط سحرة قد سحرونا يالوط سترى منا غدا ماترى (قوله فأسر) بقطع الهمزة ووصلها وفعله أسرى وسرى ، وهما قراءتان سبعيتان (قوله بأهلك) أى وهم بنتاه فخرجوا وطوى الله لهم الأرض حتى وصلوا إلى إبراهيم فى وقته (قوله بقطع) الباء للمصاحبة ، والمعنى نصف الليل (قوله ولايلتفت منكم) خطاب له ولبنتيه (قوله بالرفع) بدل من أحد أى والمعنى ولايلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فقيل لم يخرج بها) راجع لقراءة الرفع (قيل خرجت والتفتت) راجع لقراءة النصب (قوله بأن رفعها جبريل إلى السماء) أى بأن أدخل جناحيه تحتها وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى المؤتفكات المذكورة فى سورة براءة ويقال كان فيها أربعة آلاف ألف فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ولم ينكب لهم إناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها (قوله وأمطرنا عليها) أى على أهلها الخارجين عنها فى الأسفار وغيرها . وقيل على القرى بعد قلبها فمن جملة ماوقع أن رجلا منهم كان فى الحرم فجاءه حجر ووقف فى الهواء أربعين يوما ينتظر ذلك الرجل حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله (قوله متتابع) أى فى النزول

(قوله عليها اسم من يرمى بها) أى مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يرمى به (قوله الحجارة أو بلادهم) هذان تفسيران فى مرجع الضمير. قيل يعود على الحجارة لأنها أقرب مذكور وقيل يعود على القرى المهلكة وعلى الأول فهو وعيد عظيم لكل ظالم من هذه الأمة ففى الحديث «سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن المراد بالظالمين، فقال له جبريل يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة (قوله ببعيد) أى بمكان بعيد بل بمكان قريب يمرون عليها فى أسفارهم (قوله و إلى مدين) معطوف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة ومدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم مدين بن إبراهيم و يسمى شعيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه (قوله أخاهم شعيبا) أى فى النسب لا الدين لأنه ابن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن إبراهيم (قوله اعبدوا الله) أمرهم بالتوحيد أولا لأنه أهم الأشياء وأصلها وغيره فرع فاذا صلح الأصل صلح الفرع (قوله ولاتنقصوا المكيال والميزان) نقص يتعدى لمفعولين فالمفعول الأول قوله المكيال والميزان والمفعول الثانى محذوف تقديره شيئا، والمعنى لاتنقصوهما شيئا أصلا عند الأخذ ولا عند الدفع فنقصهما عند الدفع ظاهر ونقصهما عند الأخذ بأن تزيد على حقه فى المبيع وهو فى الحقيقة نقص من الثمن قال تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - (قوله إنى أراكم بخير) أى فاقنعوا بما أعطاكم الله ولا تطففوا الكيل والميزان (قوله ووصف اليوم به) أى بقوله محيط (قوله مجاز) أى عقلى فى الاسناد للزمان (قوله ولا تبخسوا) كرر ذلك ثلاث مرات أولها قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان. وثانيها قوله ويا قوم أوفوا المكيال والميزان. وثالثها قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم تأكيدا لكونهم مصرين على ذلك العمل القبيح منهمكين فيه (قوله أشياءهم) أى أموالهم ودخل فى ذلك من يسوم السلع و ينقص قيمتها وهو مشهور تقتدى به الناس فالواجب إعطاء كل سلعة قيمتها و إعطاء كل ذى حق حقه وحينئذ فهو عطف عام على خاص (قوله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) هذا أعم مما قبله، والمعنى لاتكونوا من المفسدين فى الأرض بالمعاصى بل كونوا مصلحين لدينكم ودنياكم (قوله بقيت الله) ترسم بالتاء المجرورة وعند الوقف عليها للاضطرار يجوز بالتاء المجرورة أو المربوطة وليس فى القرآن غيرها (قوله خير لكم) أى لوجود البركة فيه (قوله إن كنتم مؤمنين) أى مصدقين بما أمرتكم به ونهيتكم عنه وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه: أى فارضوا بما قسم الله لكم من الحلال (قوله وما أنا عليكم بحفيظ) أى حافظ لكم من القبائح ولا حافظ عليكم النعم إنما أنا مبلغ لكم الأحكام (قوله ياشعيب) خاطبوه باسمه من غير اقتران بالتعظيم لقباحتهم وسوء فعالهم (قوله أصلواتك تأمرك) أى وكان كثير الصلاة. وقيل المراد بها الدين وخصت بالذكر لأنها أعظم الشعائر (قوله بتكليف) قدره دفعا لما يقال إن الترك من وصفهم وفعلهم لا فعل شعيب والانسان يؤمر بفعل نفسه لافعل غيره (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله أو أن نفعل) قدر المفسر نترك إشارة إلى أنه معطوف على مايعبد آباؤنا (قوله قالوا ذلك استهزاء الخ) أى أو أرادوا السفيه الغاوى من باب تسمية الأضداد أو المراد الحليم الرشيد فى زعمك

عليها اسم من يرمى بها (عِنْدَ رَبِّكَ) ظرف لها (وَمَا هِيَ) الحجارة أو بلادهم (مِنَ الظَّالِمِينَ) أى أهل مكة (بِبَعِيدٍ. وَ) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) نعمة تغنيكم عن التطفيف (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن لم تؤمنوا (عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) أتموهما (بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) لاتنقصوهم من حقوقهم شيئا (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة: أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا (بَقِيَّتُ اللَّهِ) رزقه الباقى لكم بعد إيفاء الكيل والوزن (خَيْرٌ لَكُمْ) من البخس (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيرا (قَالُوا) له استهزاء (يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ) بتكليف (أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأصنام (أَوْ) نترك (أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) المعنى هذا أمر باطل لايدعو إليه داع بخير (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قالوا ذلك استهزاء (قَالَ يَا قَوْمِ

(قوله أرأيتم) أى أخبرونى (قوله على بينة) أى نبوّة وصدق (قوله أفأشوبه) أى أخلطه (قوله من البخس والتطفيف) بيان للحرام (قوله وما أريد أن أخالفكم) أى فأنا آمركم بما آمر به نفسى وليس قصدى أن أنهاكم عن شىء وأفعله (قوله ما استطعت) أى مدّة استطاعتى (قوله وما توفيقى) أى وما كونى موفقا (قوله عليه توكلت) أى فوّضت أمورى إليه (قوله يكسبنكم) أى فهو متعدّ لمفعولين : الأول الضمير والثانى أن وما دخلت عليه والمعنى لا يكن شقاقى مكسبا لكم إصابة مثل ما ذكر فلا تستمروا على مخالفتى حتى يصيبكم بسبب تلك المخالفة مثل ما أصاب الخ (قوله أى منازلهم) أى لأنهم كانوا مجاورين لقوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم وقوله أو زمن هلاكهم أى فقد كان زمن هلاك قوم لوط قريبا من قوم شعيب

أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) حلالاً أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ) وأذهب (إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) فأرتكبه (إِنْ) ما (أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاَحَ) لكم بالعدل (مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي) قدرتى على ذلك وغيره من الطاعات (إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع (وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ) يكسبنكم (شِقَاقِي) خلافى فاعل يجرم والضمير مفعول أول ، والثانى (أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ) من العذاب (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ) أى منازلهم أو زمن هلاكهم (مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) فاعتبروا (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ) بالمؤمنين (وَدُودٌ) محبّ لهم (قَالُوا) إيذاناً بقلة المبالاة (يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ) نفهم (كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) ذليلا (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ) عشيرتك (لَرَجَمْنَاكَ) بالحجارة (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ) فتتركوا قتلى لأجلهم ولا تحفظونى لله (وَاتَّخَذْتُمُوهُ) أى الله (وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه (إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) علماً فيجازيكم (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتى (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعول العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا) انتظروا عاقبة أمركم (إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) منتظر (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) صاح بهم جبريل (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (كَأَنْ) مخففة أى كأنهم (لَمْ يَغْنَوْا) يقيموا (فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ،

(قوله واستغفروا ربكم) أى اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم (قوله ثم توبوا إليه) أى ارجعوا إليه بفعل الطاعات (قوله ودود) صيغة مبالغة إما بمعنى فاعل أى محب لهم كما قال المفسر أو بمعنى مفعول أى إن عباده يحبونه ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه (قوله ضعيفا) أى لاقوّة لك (قوله لرجمناك) أى رميناك بالحجارة وقيل المعنى لشتمناك وأغلظنا عليك القول (قوله هم الأعزة) أى لموافقتهم لهم فى الدين (قوله ظهريا) منسوب للظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح الظاء والهاء مفعول أول وظهريا مفعول ثان لاتخذوا ووراءكم ظرف له (قوله منبوذا خلف ظهوركم) أى جعلتموه نسيا منسيا (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا وعيد عظيم وتهديد لهم (قوله سوف تعلمون) استئناف بيانى كأن قائلا قال فماذا يكون بعد ذلك (قوله موصولة) أى بمعنى الذى (قوله ومن هو كاذب) معطوف على قوله من يأتيه والمعنى سوف تعلمون الذى يأتيه عذاب يخزيه وتعلمون الكاذب (قوله صاح بهم جبريل) أى فخرجت أرواحهم جميعا وهذا فى أهل قريته وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهى سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلتهم حتى اجتمعوا جميعا فألهبها الله عليهم نارا ورجفت الأرض من تحتهم فاحترقوا وصاروا رمادا (قوله ألا بعدا) أى هلاكا (قوله كما بعدت ثمود) أى كما هلكت ثمود والتشبيه من حيث إن هلاك كل بالصيحة (قوله ولقد أرسلنا موسى) هذه هى القصة السابعة (قوله بآياتنا) أى التسع تقدّم منها ثمانية فى الأعراف والتاسعة فى يونس وتقدم الكلام عليها .

(قوله وسلطان مبين) قيل المراد به العصا وخصت بالذكر لكونها أكبر الآيات وأعظمها وقيل المراد به المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة وسميت الحجة سلطانا لأن بها قهر الخصم كما أن السلطان به قهر غيره فيكون عطف عام (قوله وملئه) أى جماعته وأتباعه (قوله فاتبعوا أمر فرعون) أى ماهو عليه من الكفر بتلك الآيات العظيمة (قوله سديد) أى صاحب محمود العاقبة بل لايدعو إلى خير (قوله يقدم) مضارع قدم كنصر ومصدره قدم كقفل وقدوم بمعنى يتقدم (قوله كما اتبعوه فى الدنيا) أى فى دخول البحر والكفر والضلال (قوله فأوردهم النار) الورود فى الأصل يقال للمرور على الماء للاستقاء منه فشبه النار بماء يورد وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الورود فاثباته تخييل وشبه فرعون فى تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش على سبيل التهكم (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله لعنة) أى طردا و بعدا عن الرحمة (قوله ويوم القيامة) هذا وقف تام وقدر المفسر لعنة إشارة إلى أن فيه الحذف من الآخر لدلالة الأول عليه (قوله بئس الرفد المرفود) المراد بالرفد اللعنة الأولى وقوله المرفود أى المعان باللعنة الثانية والمعنى أن اللعنة الأولى أرفدت بلعنة أخرى تقويها وتعاونها وتسميتها رفدا تهكم (قوله ذلك) أى ماتقدم فى هذه السورة من القصص (قوله من أنباء القرى) أى أخبار أهل القرى وهم الأمم الماضية (قوله نقصه عليك) أى لتخبر به قومك ليعتبروا (قوله منها قائم) أى أثر قائم موجود (قوله حصيد هلك بأهله) أى محى فلم يبق له أثر وفيه تشبيه القائم والحصيد بالزرع الذى بعضه قائم على ساقه و بعضه قد حصد وذهب أثره (قوله لما جاء) أى حين جاء (قوله وما زادوهم) الضمير المرفوع للأصنام والمنصوب لعابديها وعبر عنها بواو العقلاء لتنزيلهم منزلتهم (قوله غير تتبيب) التباب الخسران يقال تببته وتبت يده تتب بمعنى خسرت (قوله وهى ظالمة) الجملة حالية (قوله أليم شديد) أى غير مرجو الخلاص منه (قوله إن الله ليملى للظالم) أى يمده بطول العمر وسعة الرزق ونفوذ الكلمة (قوله ثم قرأ الخ) أى فيؤخذ من ذلك أن من قدم على ظلم يجب عليه أن يتوب ويرجع عما هو عليه ويرد المظالم لأهلها لئلا يقع فى هذا الوعيد العظيم فان هذه الآية ليست مخصوصة بالأمم الماضية بل هى عامة فى كل ظالم غير أن هذه الأمة المحمدية لاينزل بها عذاب على سبيل الاستئصال إكراما لنبيها صلى الله عليه وسلم (قوله من القصص) أى السبع (قوله لمن خاف عذاب الآخرة) أى لأنه إذا تأمل ماحصل لهؤلاء فى الدنيا من العذاب كان ذلك باعثا له على الخوف من ذلك اليوم (قوله فيه) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى فى والمعنى أن يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الإنس والجن وغيرهما (قوله يشهده) أى يحضره (قوله ومانؤخره) أى ذلك اليوم وهو يوم القيامة

وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) برهان بيّن ظاهر (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) سديد (يَقْدُمُ) يتقدم (قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيتبعونه كما اتبعوه فى الدنيا (فَأَوْرَدَهُمُ) أدخلهم (النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) هى (وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ) أى الدنيا (لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) لعنة (بِئْسَ الرِّفْدُ) العون (الْمَرْفُودُ) رفدهم (ذٰلِكَ) المذكور مبتدأ خبره (مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْهَا) أى القرى (قَائِمٌ) هلك أهله دونه (وَ) منها (حَصِيدٌ) هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) باهلاكهم بغير ذنب (وَلٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالشرك (فَمَا أَغْنَتْ) دفعت (عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ دُونِ اللّٰهِ) أى غيره (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) عذابه (وَمَا زَادُوهُمْ) بعبادتهم لها (غَيْرَ تَتْبِيبٍ) تخسير (وَكَذٰلِكَ) مثل ذلك الأخذ (أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى) أريد أهلها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) بالذنوب أى فلا يغنى عنهم من أخذه شىء (إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) روى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك الآية» (إِنَّ فِي ذٰلِكَ) المذكور من القصص (لَآيَةً) لعبرة (لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذٰلِكَ) أى يوم القيامة (يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ) فيه (النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) يشهده جميع الخلائق (وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ)

لوقت

(قوله لوقت معلوم) أى وهو مدة الدنيا (قوله يوم يأت ذلك اليوم) إن قلت إن اليوم لايصلح أن يكون ظرفا لليوم و إلا لزم تعيين الشيء بنفسه . أجيب بأن الكلام على حذف مضاف أى هوله وعذابه أو المعنى حين يأتى ذلك اليوم الخ (قوله لا تكلم نفس إلا باذنه) أى لجميع الخلائق يسكتون فى ذلك اليوم فلا يتكلم أحد إلا باذنه . إن قلت كيف يجمع بين ماهنا و بين قوله تعالى ــ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ــ وقوله تعالى حكاية عن الكفار ــ والله ربنا ما كنا مشركين ــ . أجيب بأن القيامة مواطن مختلفة فى بعضها لايقدرون على الكلام لشدة الهول ، وفى بعضها يتحاجون و يتجادلون أو المراد لا تكلم نفس بما ينفع و ينجى بل قد يتكلم الكفار بكلام لاتنفع به بل لاظهار بطلان حججهم (قوله كتب كل فى الأزل) أى وظهرت الخاتمة على طبق ما كتب (قوله فى علمه) أى وهم من ماتوا كفارا و إن تقدم منهم إيمان (قوله لهم فيها زفير وشهيق) الزفير فى الأصل ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الأضلاع والشهيق ردّ النفس إلى الصدر وهذا التفسير الذى ذكره المفسر لابن عباس وقيل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره وقيل الزفير صوت الحمار والشهيق صوت البغل وقيل غير ذلك (قوله أى مدة دوامهما) أشار بذلك إلى أن مامصدرية ظرفية ودام تامة لأنها بمعنى بقيت أو مقدار دوامهما (قوله فى الدنيا) أى فالمراد سموات الدنيا وأرضها (قوله غير ماشاء ربك) أفاد أن إلا بمعنى غير والمعنى أنهم يخلدون فى النار مقدار مكث الدنيا غير الزيادة التى شاءها الله وماشاءه الله قد بين فى آيات أخر منها قوله خالدين فيها أبدا ، ومنها : وماهم بخارجين من النار ، ومنها قوله : لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون (قوله إن ربك فعال لما يريد) دفع بذلك مايتوهم من التعبير بالمشيئة أنها قد تتخلف فأجاب بقوله إن ربك فعال لما يريد فلا تخلف لمشيئة الله بخلود الكفار لأنه متى أراد شيئا حصل ولابد وما قيل إن وعيده قد يتخلف فالمراد وعيد العاصى لاوعيد الكافر (قوله وأما الذين سعدوا) هذا مقابل قوله فأما الذين شقوا وفى هذه الآية من المحسنات البديعية الجمع والتفريق والتقسيم فالجمع فى قوله يوم يأت لاتكلم نفس إلا باذنه والتفريق فى قوله فمنهم شقى وسعيد والتقسيم فى قوله فأما الذين شقوا الخ وأما الذين سعدوا الخ (قوله بفتح السين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح من قولهم سعد الرجل بمعنى قامت به السعادة والضم من قولهم سعده الله أى أسعده فالأول قاصر والثانى متعد ، والمعنى إن الذين سبقت لهم السعادة من الله بموتهم على الايمان و إن سبق منهم الكفر فى الدنيا فهم فى الجنة ، والمراد بالسعادة رضا الله على العبد وعلامة ذلك أن يكون العبد محبا لربه ساعيا فى مرضاته دائم الاقبال على طاعاته راضيا بأحكامه (قوله ففى الجنة) المراد بها دار النعيم بجميع دورها فشمل جنة الفردوس وغيرها (قوله ما دامت السموات والأرض) أى مدة دوامهما فى الدنيا ، والمعنى قدر مكث السموات والأرض من أول الدنيا إلى آخرها (قوله كما تقدم) أى فيقال غير ماشاء ربك من الزيادة التى لامنتهى لها فالمعنى خالدين فيها أبدا ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى ــ خالدين فيها أبدا ــ فالزيادة التى شاءها الله فسرت فى آيات أخر بالخلود المؤبد (قوله ودلّ عليه) أى على الخلود المؤبد وقوله فيهم أى السعداء (قوله عطاء) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أعطاهم ذلك عطاء وعطاء اسم مصدر أعطى والمصدر إعطاء (قوله مقطوع) أى ولا ممنوع بل هو عطاء دائم لايزول ولا يحول (قوله هو الذى ظهر) أى من نحو عشرين وجها فى تفسير تلك الآية : منها أن المراد بالسموات والأرض سقف الجنة والنار وأرضهما ، ويحتمل الاستثناء فى جانب أهل الشقاوة على عصاة الأمة فيكون المعنى خالدين فيها أبدا إلا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد فلا يخلدون أبدا بل

لوقت معلوم عند الله (يَوْمَ يَأْتِ) ذلك اليوم (لَا تَكَلَّمُ) فيه حذف إحدى التاءين (نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) تعالى (فَمِنْهُمْ) أى الخلق (شَقِيٌّ وَ) منهم (سَعِيدٌ) كتب كل فى الأزل (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا) فى علمه تعالى (فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) صوت شديد (وَشَهِيقٌ) صوت ضعيف (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ) أى مدة دوامهما فى الدنيا (إِلَّا) غير (مَا شَاءَ رَبُّكَ) من الزيادة على مدتهما مما لامنتهى له والمعنى خالدين فيها أبدا (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا) بفتح السين وضمها (فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا) غير (مَاشَاءَ رَبُّكَ) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) مقطوع وما تقدم من التأويل هو الذى ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده

يخرجون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والاستثناء حينئذ إما منقطع لعدم دخول هؤلاء فى الاشقياء أو متصل بجعل هؤلاء أشقياء باعتبار وسعداء باعتبار آخر وفى جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضا لـكن باعتبار تعذيبهم أوّلا فيتأخرون فى الدخول مع السابقين فتحصل أن الاستثناء فى كل محمول على العصاة لـكن فى جانب أهل الشقاوة مستثنون من الخلود وفى جانب أهل السعادة مستثنون من المبدإ كأنه قال فأما الذين سعدوا ففى الجنة من أوّل الأمر إلا ماشاء ربك من العصاة فليسوا فى الجنة من أوّل الأمر بل هم فى النار يعذبون ثم يخرجون ، ومنها أن المراد بالذين شقوا الـكفار و بالذين سعدوا المؤمنون والاستثناء باعتبار أن بعض الـكفار قد ينقل من النار إلى غيرها كالزمهرير و بعض المؤمنين قد ينقل من النعيم فيما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين إلى أعلى منه وهو رؤية وجه الله الـكريم ومخاطبته ، ومنها أن الاستثناء راجع لمدة تأخرهم عن دخول الجنة والنار كمدة الدنيا والبرزخ لأنهم لم يدخلوها حين خلقوا سعداء وأشقياء ومنها غير ذلك . وماتقدم من أن نعيم الجنان وعذاب النار دائم هو مادلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها والأخذ بظاهرها كفر ، فمنها ما قيل إن الجنة والنار ينقضيان بدليل ظاهر هذه الآية ، ومنها أن أهل النار تنقلب عليهم النار نعيما حتى لوصب عليهم ماء الجنة يتأذون ، ومنها أن النار تخرب حتى لايصير فيها أحد، ومنها غير ذلك ، وهذه الأقوال باطلة ونسبتها لمحيي الدين بن العربي كذب وعلى فرض صحة نقلها عنه يجب تأويلها (قوله فلا تك فى مرية) هذا شروع فى ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة إثر بيان المخالفين من غيرهم وهذا الخطاب للنبي والمراد غيره (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله ما يعبدون) أى فليس لهم فى ذلك إلا محض تقليد آبائهم (قوله وقد عذبناهم) أى آباءهم وإنما قدره لتتم المشابهة (قوله وإنا لموفوهم) أى هؤلاء (قوله أى تاما) أشار بذلك إلى أن قوله غير منقوص حال من نصيب مبينة له (قوله فاختلف فيه) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم : أى فلاتحزن على ماوقع لك فإنه قد وقع لغيرك (قوله لقضى بينهم) أى لجوزي بمعنى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته فى الدنيا (قوله أى المكذبين به) أى بالقرآن (قوله لفى شك منه) أى من القرآن (قوله موقع فى الريبة) أى لأنهم إذا نظروا لآبائهم وما كانوا عليه قالوا لوكان ماهم عليه ضلالا ما اجتمعوا عليه و إذا نظروا إلى النبي ومعجزاته الظاهرة قالوا إنه لحق وماجاء به صدق فهم فى شك ولاشك أنه كفر وكل هذا ناشئ من الطبع على قلوبهم و إلا فالحق ظاهر لمن تدبره (قوله وإن كلا) أى من الطائعين والعاصين وأتى بالجملة الاسمية المؤكدة بإن ولام القسم زيادة فى تأكيد بشرى المطيع ووعيد العاصى (قوله بالتخفيف والتشديد) أى ولما كذلك فتكون القراآت أربعا وكلها سبعية (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله ما زائدة) أى والأصل لليوفينهم فاستثقل اجتماع اللامين فوسطت بينهما ما لدفع ذلك الثقل (قوله واللام موطئة) أى والأخرى للتأكيد (قوله أوفارقة) أى آتى بها فرقا بين المهملة والنافية وفيه أن إنّ عاملة على كل حال فليست حينئذ فارقة فكان المناسب حذف قوله أو فارقة إلا أن يقال إنها مهملة وكلا منصوب بفعل مقدر تقديره و إن يرى كلا وفيه أن هذا تكلف وما لا كلفة فيه خير مما فيه كلفة وما ذكره المفسر من الاعراب مبنى على قراءة تشديد إن وتخفيفها مع تخفيف لما ، وتوضيحه أن يقال إن حرف توكيد ونصب وكلا اسمها واللام موطئة لقسم محذوف وما زائدة واللام الثانية للتأكيد ويوفينهم فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول وربك فاعل وجملة القسم فى محل رفع خبر إن .

(فَلَا تَكُ) يامحمد (فِي مِرْيَةٍ) شك (مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ) من الأصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ) أى كعبادتهم (مِنْ قَبْلُ) وقد عذبناهم (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ) مثلهم (نَصِيبَهُمْ) حظهم من العذاب (غَيْرَ مَنْقُوصٍ) أى تاما (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَاخْتُلِفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) أى المكذبين به (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (وَإِنْ) بالتخفيف والتشديد (كُلًّا) أى كل الخلائق (لَمَّا) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر ، أو فارقة وفى قراءة بتشديد لما ،

(قوله بمعنى إلا فان نافية) هذا ظاهر على قراءة تخفيف إن وحينئذ فيقال إن نافية وكلا منصوب بفعل مقدّر ، والتقدير وإن يرى كلا إلا ليوفينهم الخ ولم يتكلم على تشديدها . هذا حاصل تقرير المفسر ولايخفى عليك مافيه من المناقشة والكلفة ، والاعراب السالم من ذلك كله أن يقال إن القراآت السبعية أربع تخفيفهما وتشديدهما وتخفيف إن فقط وتخفيف لما فقط مع نصب كلا فى الجميع فعلى الأولى إن مخففة من الثقيلة وكلا اسمها واللام الأولى لام الابتداء وما اسم موصول واللام الثانية موطئة لقسم محذوف وبوفينهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه صلة الموصول والموصول وصلته خبر إن وعلى الثانية إن عاملة ولما أصله لمن ما بدخول اللام على من الجارة قلبت النون ميما فتوالى الأمثال حذفت إحدى الميمات وأدغمت إحدى اليمين فى الأخرى فما اسم موصول وجملة ليوفينهم قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر إن وعلى الثالثة فان المخففة عاملة وأصل لما لمن ما فعل بها ماتقدم وعلى الرابعة إن المشددة عاملة واللام لام الابتداء وما اسم موصول وليوفينهم جملة قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر إن فتحصل أن إن عاملة وما اسم موصول فى جميع الأوجه كلها واللام الثانية موطئة للقسم والأولى لام الابتداء فتأمل وما قررناه زبدة كلام طويل فى هذا المقام فليحفظ (قوله أى جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فاستقم) أى دم على الاستقامة التى أمرت بها فى خاصة نفسك كقيام الليل وتبليغ ما أمرت بتبليغه للخلق وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت أهل الدنيا وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصة به (قوله ومن تاب معك) قدر المفسر قوله ليستقم جوابا

بمعنى إلا فان نافية (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) أى جزاءها (إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم ببواطنه كظواهره (فَاسْتَقِمْ) على العمل بأمر ربك والدعاء إليه (كَمَا أُمِرْتَ ، وَ) ليستقم (مَنْ تَابَ) آمن (مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا) تجاوزوا حدود الله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَلَا تَرْكَنُوا) تميلوا (إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) بمودة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم (فَتَمَسَّكُمُ) تصيبكم (النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مِنْ) زائدة (أَوْلِيَاءَ) يحفظونكم منه (ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) تمنعون من عذابه (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) الغداة والعشى أى الصبح والظهر والعصر (وَزُلَفًا) جمع زلفة أى طائفة (مِنَ اللَّيْلِ) أى المغرب والعشاء (إِنَّ الْحَسَنَاتِ) كالصلوات الخمس (يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) الذنوب الصغائر . نزلت فيمن قبّل أجنبية فأخبره صلى الله عليه وسلم فقال ألى هذا فقال لجميع أمتى كلهم رواه الشيخان (ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) عظة للمتعظين ،

عما يقال إن قوله من تاب معطوف على الضمير المستتر فى استقم فيلزم عليه أن فعل الأمر قد رفع الظاهر فأجاب المفسر بأن ذلك من عطف الجمل والمحذور إنما يلزم لو كان من عطف المفردات ، ويجاب أيضا بأنه قد يغتفر فى التابع ما لايغتفر فى المتبوع (قوله ولا تطغوا) خطاب للنبى والأمة ولكن المراد الأمة فان الطغيان مستحيل على النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الآية صعبة التكاليف ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيبتنى هود وأخواتها » (قوله إلى الذين ظلموا) أى بالكفر أو المعاصى (قوله بمودة) مصدر وادد كقاتل: أى محبة (قوله أو مداهنة) أى مصانعة فالمداهنة بذل الدين لاصلاح الدنيا (قوله أو رضا بأعمالهم) أى وتزيينها لهم ولا عذر فى الاحتجاج بضرورات الدنيا فان الله هو الرزاق ذو القوّة المتين (قوله فتمسكم النار) أى لأن المرء يحشر مع من أحب (قوله يحفظونكم منه) أى من عذاب النار (قوله طرفى النهار) منصوب على الظرفية لإضافته إلى الظرف (قوله الغداة والعشى) تفسير للطرفين (قوله أى الصبح) راجع للغداة ، وقوله والظهر والعصر راجع للعشى (قوله وزلفا) بضم ففتح كغرف ، وقوله جمع زلفة : أى كغرفة (قوله إن الحسنات) أى الواجبة أو المندوبة (قوله نزل فيمن قبل أجنبية) أى وهو أبو اليسر قال «أتتنى امرأة تبتاع تمرا فقلت لها إن فى البيت تمرا أطيب من هذا ، فدخلت معى البيت فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا ، فأتيت عمر فذكرت ذلك له ، فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا ، فلم أصبر حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : أخنت رجلا غازيا فى سبيل الله فى أهله بمثل هذا وأطرق طويلا حتى أوحى إليه ــ وأقم الصلاة ــ إلى ــ الذاكرين ــ فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، فقلت ألى هذا خاصة أم للناس عامة ؟ فقال بل للناس عامة » (قوله ذلك) أى المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده .

(قوله واصبر) أى ولاتنزعج من قومك (قوله فان الله لايضيع أجر المحسنين) أى بل يعطيهم فوق مايطلبون (قوله فلولا كان من القرون الخ) لما بين سبحانه وتعالى ماحلّ بالأمم الماضية من عذاب الاستئصال بين هنا أن السبب فى ذلك أمران: الأول عدم وجود من ينهى عن الفساد. الثانى عدم رجوعهم عما هم فيه (قوله فهلا) أفاد المفسر أن لولا تحضيضية والمراد بها النفى (قوله من قبلكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للقرون وأولوا فاعل كان، وقوله من القرون حال من فاعل كان (قوله أصحاب دين وفضل) أى وسموا أولو بقية لأن أهل البقاء بربهم لايتحولون عماهم عليه من الدين والصلاح فلهم البقاء والنجاة من الهلاك (قوله المراد به) أى بالتحضيض المستفاد من لولا (قوله إلاقليلا) هذا استثناء منقطع، ولذا عبر المفسر بلكن فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب لعدم نهيهم عن المنكر والمستثنى من أنجاه الله من العذاب بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر (قوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أى داموا على شهواتهم ولم يتذكروا عذاب الله (قوله نعموا) أى من النعيم الذى يغضب الله تعالى، فالمعنى أن سبب هلاكهم اشتغالهم بالشهوات المغضبة لله تعالى وعدم رجوعهم عنها (قوله وكانوا مجرمين) الجملة حالية: أى والحال أنهم فاعلون الجرائم مصرون عليها (قوله وما كان ربك ليهلك القرى) هذا كالدليل لما قبله، والمعنى ماصح أن يهلك القرى بظلم منه لها والحال أن أهلها مصلحون وسمى الأخذ من غير ذنب ظلما تكرما منه وإلا فحقيقة الظلم التصرف فى ملك الغير من غير إذنه ولا ملك لأحد معه وهو بهذا المعنى مستحيل عقلا على الله، وأما أخذه بغير ذنب فهو وإن كان جائزا عقلا فمستحيل شرعا لأنه سماه ظلما تفضلا منه ونزه نفسه سبحانه عنه كما ألزم نفسه بالرحمة تفضلا منه (قوله منه لها) ويصح أن يكون المعنى بظلم منهم ويراد بالظلم الشرك، والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين فيما بينهم لفرط مسامحته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوق خالقهم (قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى لكنه لم يشأ ذلك فلم يجعلهم أمة واحدة فلو امتناعية، والمعنى امتنع ذلك لعدم مشيئة الله له (قوله أهل دين واحد) أى وهو دين الاسلام (قوله ولايزالون مختلفين) أى على أديان شتى. واستفيد من هذا أن الاختلاف كما كان حاصلا فى الأمم الماضية لايزال مستمرا فى هذه الأمة فمنهم الكافر والمؤمن والطائع والعاصى، ولذلك ورد فى الحديث «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وستفترقون ثلاثا وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة» والمراد بالفرقة الواحدة أهل السنة والجماعة (قوله فلايختلفون فيه) بل هم على دين واحد لايتفرقون. قال تعالى - أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه - (قوله ولذلك خلقهم) اللام للعاقبة والصيرورة، والمعنى خلق أهل الاختلاف لتكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف وخلق أهل الرحمة لتكون عاقبة أمرهم الرحمة (قوله وتمت) أى حقت ووجبت (قوله لأملأن جهنم) أى حتى تقول قط قط بمعنى يكفى يكفى كما فى الحديث، وذلك بعد أن تمد أعناقها وتطلب الزيادة فيتجلى الله عليها بصفة الجلال فتخضع وتذل وتقول قط قط (قوله من الجنة والناس) أى الكفار منهم لأن الامتلاء على سبيل الخلود لا يكون إلا من الكفار (قوله نصب بنقص) أى على أنه مفعول له (قوله من أنباء الرسل) أى أخبارهم (قوله ماتثبت به فؤادك) أى القصص والأخبار التى بها يزداد فؤادك ثباتا على أداء الرسالة وتحمل أذى قومك وعلما بفضل أمتك وشرفها حيث انقاد منها خلق كثير فى مدة يسيرة بخلاف الأمم الماضية.

(وَاصْبِرْ) يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) بالصبر على الطاعة (فَلَوْلَا) فهلا (كَانَ مِنَ الْقُرُونِ) الأمم الماضية (مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ) أصحاب دين وفضل (يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) المراد به النفى أى ما كان فيهم ذلك (إِلَّا) لكن (قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) نهوا فنجوا ومن للبيان (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالفساد وترك النهى (مَا أُتْرِفُوا) نعموا (فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ) منه لها (وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) مؤمنون (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) أهل دين واحد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) فى الدين (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) أى أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) وهى (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. وَكُلًّا) نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه أى كل مايحتاج إليه (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا) بدل من كلا (نُثَبِّتُ) نطمئن (بِهِ فُؤَادَكَ) قلبك (وجاءك

(قوله الأنباء) أي الأخبار وقوله أو الآيات تفسير ثان ، والمراد بالآيات آيات هذه السورة وخصت بالذكر وإن كان جاءه الحق في جميع السور تشريفا لها لكونها جمعت من قصص الأمم الماضية مالم يكن في غيرها (قوله وموعظة) أي اتعاظ وقوله وذكرى أي تذكر وتدبر (قوله حالتكم) أي وهي الكفر (قوله على حالتنا) أي وهي الإيمان (قوله تهديد لهم) أي تخويف وليس المراد الأمر بدوامهم على الكفر بل هو على حد : إذا لم تستح فاصنع ماشئت (قوله إنا منتظرون ذلك) أي عاقبة أمركم (قوله ولله غيب السموات والأرض) قال كعب الأحبار خاتمة التوراة هي خاتمة سورة هود (قوله أي علم ماغاب فيهما) أي فلم يكلفنا بمعرفته (قوله وللمفعول) أي فيهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله الأمر كله) أي أمر الخلائق كلهم في الدنيا والآخرة من خير وشر (قوله فينتقم ممن عصى) أي ويثيب من أطاع (قوله فاعبده) هذا مفرع على قوله : ولله غيب السموات والأرض الخ أي فحيث كان هو العالم بما غاب في السموات والأرض وإليه مرجع الأمور كلها فهو حقيق بعبادته هو لاغيره وحقيق بالتوكل عليه وتفويض الأمور إليه (قوله ثق به) أي اعتمد عليه ولاتلتفت لغيره فإنه لايضر ولاينفع بل الضار النافع المعطي المانع هو الله وبهذا تعلم أن التوكل أمر زائد على التوحيد فالتوحيد ينفي الشرك

والتوكل ينفي الأوهام المعطلة عن مراتب الأخيار (قوله ومار بك بغافل عما يعملون) ماحجازية وربك اسمها وبغافل خبرها منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله بالفوقانية) أي خطابا للنبي والمؤمنين .

[سورة يوسف عليه السلام]

مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء

(وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ) الأنباء أو الآيات (الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنَّا عَامِلُونَ) على حالتنا تهديد لهم (وَانْتَظِرُوا) عاقبة أمركم (إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) ذلك (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي علم ماغاب فيهما (وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ) بالبناء للفاعل : يعود وللمفعول : يرد (الْأَمْرُ كُلُّهُ) فينتقم ممن عصى (فَاعْبُدْهُ) وحده (وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) ثق به فإنه كافيك (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) وإنما يؤخرهم لوقتهم ، وفي قراءة بالفوقانية

(سورة يوسف)

مكية مائة وإحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الر) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر للحق من الباطل (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب ،

فإن ماقبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء وهذه من محاسن قصص الأنبياء وأيضا ليتسلى النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد على ماوقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد ، وحكمة قص القصص عليه ليتأسى بهم ويتخلق بأخلاقهم فيكون جامعا لكمالات الأنبياء . وسبب نزول هذه السورة أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف ، وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم المنيفة مالايدخل تحت حصر ولذا قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم تتفكه بهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لايسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها (قوله مكية) خبر أول عن سورة وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله تلك آيات الكتاب) مبتدأ وخبر وأشير إليها بإشارة البعيد إشارة لبعد رتبتها عن كلام الحوادث وعلو شأنها (قوله هذه الآيات) أي آيات هذه السورة (قوله المظهر للحق) أي فهو مأخوذ من أبان المتعدي ويصح أخذه من اللازم ويكون المعنى البين حلاله وحرامه (قوله إنا أنزلناه) أي نحن بعظمتنا وجلالنا (قوله عربيا) نعت للقرآن والعربي منسوب للعرب لكونه نزل بلغتهم ، والمعنى أن القرآن نزل بلغة العرب فليس فيه شيء غير عربي . فإن قلت قد ورد فيه شيء غير عربي كسجيل ومشكاة وإستبرق وغير ذلك . أجيب بأن هذا مما توافقت فيه اللغات أو المراد أن تراكيبه وأساليبه عربية وإن ورد فيه غير عربي فهو على أسلوب العرب لا على أسلوب غيرهم وإنما كان عربيا لأن تلك اللغة أفصح اللغات ولأنها

لغة أهل الجنة فى الجنة (قوله لعلكم تعقلون) علة لكونه عربيا ، والمعنى لكى تفهموا معانيه وتتأملوا فيها فتعلموا أنه من عند الله (قوله أحسن القصص) صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق والتقدير قصصا أحسن القصص ، والقصص فى اللغة من قص الأثر: تتبعه سمى الكلام الذى يحكى عن الغير بذلك لأن المتكلم يقص الخبر شيئا فشيئا ، والمعنى نحن نبين لك أخبار الأمم السابقة أحسن البيان وقيل المراد خصوص قصة يوسف و إنما كانت أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت وسير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على الأذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز وغير ذلك من المحاسن (قوله بإيحائنا) الباء سببية وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية والجار والمجرور متعلق بنقص (قوله هذا القرآن) اسم الاشارة مفعول لأوحينا والقرآن بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان أو نعت (قوله و إن كنت من قبله) الجملة حالية (قوله لمن الغافلين) أى لم تخطر ببالك تلك القصة ولم تسمعها قط بل كنت خالى الذهن منها وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين بأحسن تعبير وأبلغ وجه ولذا قال البوصيرى :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة ... فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

فأكبر دليل على فضل الانسان غزارة علمه وسعة اطلاعه على ما أعطاه الله من العلوم اللدنية والمعارف الربانية (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف وقيل معمول لقوله تعالى يا بنى وهو الأولى لما فيه من عدم الحذف (قوله يوسف) اسم عبرانى ممنوع من الصرف وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وعاش أبوه مائة وسبعا وأربعين سنة وعاش جده اسحاق مائة وثمانين سنة وعاش جده إبراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة (قوله بالكسر) أى وأصلها يا أبى حذفت الياء وعوض عنها تاء التأنيث ونقلت كسرة ماقبلها لها وفتحت الباء لمناسبة تاء التأنيث وتقول فى إعرابها يا حرف نداء وأبت منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المعوض عنها تاء التأنيث (قوله والفتح) أى وأصلها

(لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون معانيه (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا) بإيحائنا (إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ ، وَإِنْ) مخففة أى و إنه (كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) اذكر (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ) يعقوب (يَا أَبَتِ) بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوفة ، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء (إِنِّي رَأَيْتُ) فى المنام (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ) تأكيد (لِي سَاجِدِينَ) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذى هو من صفات العقلاء (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يحتالوا فى هلاكك حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب ،

أبى بكسر الباء وفتح الياء ففتحت الباء ثم تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فحذفت الالف وعوض عنها تاء التأنيث وفتحت للدلالة على الألف المحذوفة، وتعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم مختص بلفظين أبت وأمت وهذان الوجهان زائدان على أوجه المنادى المضاف لياء المتكلم وهى خمس جمعها ابن مالك فى قوله :

واجعل منادى صح إن يضف ليا ... كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

فيكون فى أبت وأمت سبعة أوجه يجوز منها وجهان قراءة لاغير (قوله إنى رأيت) هذه الرؤية كانت ليلة الجمعة ليلة القدر وكان سنه إذ ذاك اثنتى عشرة سنة وقيل سبع سنين وقيل سبع عشرة سنة و بين هذه الرؤية واجتماعه بأبيه و إخوته فى مصر أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل اثنان وعشرون وقيل ثمانية عشر وسيأتى تحقيق ذلك ، والمراد بالسجود هنا قيل الخضوع والانحناء وقيل حقيقة السجود (قوله أحد عشر كوكبا) أى وهو جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروخ والفرغ ووثاب وذو الكتفين قد رأى الجميع نزلن من السماء وسجدن له ، وجريان بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء التحتية وقابس بقاف وموحدة وسين مهملة وعمودان تثنية عمود والفليق بفاء آخره قاف والمصبح اسم مفعول والفرغ بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة ووثاب بتشديد المثلثة وذو الكتفين تثنية كتف (قوله تأكيد) أى هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى و يصح أن يكون قوله رأيتهم لى جوابا لسؤال مقدر نشأ من قوله : إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كأن قائلا قال وما كيفية رؤياك فيهم فقال رأيتهم لى ساجدين (قوله جمع بالياء والنون) أى قوله ساجدين (قوله لا تقصص رؤياك على إخوتك) إنما نهاه أبوه عن ذلك لأنه فهم من رؤياه أن الله تعالى يصطفيه لرسالته و يفوق إخوته فخاف عليه حسدهم ، و يؤخذ من ذلك أن الانسان إذا رأى خيرا فى منامه فلا يخبر به إلا حبيبا أو لبيبا غير حسود لما قيل : إن الرؤيا على رجل طائر متى قصت وقعت

والشمس

بخلاف رؤيا المكروه فلا يقصها لما فى الحديث « إذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدث بها إلا من يحب و إذا رأى مايكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره » (قوله والشمس أمك والقمر أبوك) حكمة تأويل أمه بالشمس لأنها يظهر منها الاقمار وهم الأنبياء وأبيه بالقمر لأن القمر يهتدى به فى الظلم ، فكذلك الرسل يهتدى بهم فى ظلمات الجهل والشرك والاخوة بالكواكب لأن نورهم لايبلغ نور أبيهم إما لأنهم أنبياء فقط وليسوا برسل أو أولياء فقط وليسوا بأنبياء . ومامشى عليه المفسر من أن المراد بالشمس أمه أحد قولين ، وقيل إن أمه راحيل قد ماتت والمراد بالشمس خالته ليا (قوله إن الشيطان للانسان عدو مبين) أى فيوقع الانسان فى المعاصى لفرط عداوته له . واعلم أن ما وقع من إخوة يوسف معه مما يأتى فى القصة باق على ظاهره ولا تأويل فيه على القول بعدم نبوتهم لأن الولى تجوز عليه المعصية ولكن لايصر عليها بل يتوب وهؤلاء آل أمرهم لحسن التوبة ، وأما على القول بنبوتهم فهومشكل غاية الاشكال إذ كيف يقع ذلك من الأنبياء . فأجاب العلماء عن ذلك بأن هذا مبنى على أن النبى معصوم بعد النبوة لاقبلها أو كانوا لم يبلغوا الحلم وكل هذا ليس بسديد بل الحق أن النبى معصوم ظاهرا وباطنا قبل النبوة و بعدها و إنما الجواب الذى يشفى الغليل ويريح العليل أن يقال إن الله أطلعهم على أن يوسف يعطى النبوة والملك بمصر ولايتصور ذلك إلابهذا الفعل فهممأمورون به باطنا مخالفون ظاهرا إذليسوا مشرعين فلايكلفون إلابخلوص بواطنهم مع ربهم ، ونظير ذلك قصة الخضر مع موسى حيث قال بعدمافعل مافعل وما فعلته عن أمرى فهممأمورون بحكم الباطن مخالفون بحكم الظاهر وقصة آدم فى أكله من الشجرة وتقدم مايفيدذلك فى البقرة بأبلغ وجه (قوله وكذلك

والشمس أمك والقمر أبوك (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ظاهر العداوة (وَكَذَٰلِكَ) كما رأيت (يَجْتَبِيكَ) يختارك (رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تعبير الرؤيا (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بالنبوة (وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ) أولاده (كَمَا أَتَمَّهَا) بالنبوة (عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم (لَقَدْ كَانَ فِي) خبر (يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) وهم أحد عشر (آيَاتٌ) عبر (لِلسَّائِلِينَ) عن خبرهم ، اذكر (إِذْ قَالُوا) أى بعض إخوة يوسف لبعضهم (لَيُوسُفُ) مبتدأ (وَأَخُوهُ) شقيقه بنيامين (أَحَبُّ) خبر (إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) جماعة (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ)

يجتبيك ربك) أى كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة يختارك ويصطفيك ربك (قوله تعبير الرؤيا) أى تفسيرها (قوله ويتم نعمته عليك) أى يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (قوله وعلى آل يعقوب) لم يقل بالنبوة إشارة للخلاف فى نبوتهم

(قوله إبراهيم و إسحق) إمابدل من أبويك أوعطف بيان عليه (قوله عليم بخلقه) أى فيصطفى من يشاء وقوله حكيم فى صنعه أى فيضع الأشياء فى محالها (قوله لقد كان) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لقدكان الخ (قوله وهم أحد عشر) أى وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا ثم بعد موتها تزوج أختها راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع بين الأختين محرما فى شرعه فولدت له بنيامين و يوسف ، وأما الأربعة الباقون دان ونفتالى وجاد وآشر فمن سريتين زلفة و بلهة (قوله آيات للسائلين) أى وغيرهم ففيه اكتفاء وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف ، وقيل سألوا عن انتقال أولاد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر فذكر لهم تلك القصة فوجدوها مطابقة لما فى التوراة وحينئذ فهى من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم حيث قص عليهم تلك القصة بأبلغ وجه مع كونه لم يسبق له تعلم من أحد ولا قرأ ولا كتب (قوله ليوسف) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله بنيامين) بكسر الباء وفتحها وهو أصغر من يوسف (قوله أحب خبر) أى عن يوسف وأخوه ولم تحصل المطابقة لأنه اسم تفضيل مجرد وهو يلزم التذكير والتوحيد قال ابن مالك : وإن لمنكور يضف أوجردا ألزم تذكيرا وأن يوحدا

وأحب مصوغ من حب المبنى للمفعول وهو سماعى ولو جاء على القياس لتوصل إليه بأشد . قال ابن مالك :

وأشدد او أشد أو شبههما يخلف ما بعض الشروط عدما

واعلم أن مادة الحب والبغض إذا بنى أفعل التفضيل منها تعدى للفاعل بالى وللمفعول باللام أو بفى والآية الكريمة من الأول فإن الأب هوفاعل المحبة و إذاقلت زيد أحب لى من عمرو وأحب فى منه كان معناه أن زيدا يحبنى أكثر من عمرو (قوله ونحن عصبة)

الجملة حالية والعصبة قيل من العشرة إلى الأربعين وقيل من ثلاثة إلى عشرة وقيل من عشرة إلى خمسة عشر وقيل غير ذلك (قوله خطأ) أى فى أمر الدنيا ومايصلحها لأنا أشد قوة وأكبر سنا وأكثر منفعة من يوسف فلم آثره علينا فى المحبة إن هذا لخطأ بين وليس المراد الخطأ فى الدين فان اعتقاده كفر (قوله بإيثارهما) أى تقديمهما (قوله اقتلوا يوسف الخ) إنما قالوا ذلك لأن خبر المنام بلغهم فتشاوروا فى كيده بين أحد أمرين إما قتله أو تغريبه بأرض بعيدة (قوله أى بأرض) أشار بذلك إلى أن قوله أرضا منصوب على نزع الخافض ويصح نصبه على الظرفية لأن المقصود أى أرض بعيدة (قوله وجه أبيكم) أى قلبه والمعنى لا يكون لكم منازع فى محبته فيكم حينئذ (قوله بأن تتوبوا) أى تصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة (قوله قال قائل) هذا رأى ثالث أرفق بيوسف مما تقدم من الخصلتين (قوله هو يهودا) بدال مهملة وأصله بالعبرانية بالمعجمة لكن لما استعملته العرب أهملته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا وقيل القائل روبيل (قوله فى غيابت الجب) الغيابة الشىء المظلم والجب البئر التى لم تطو، والمعنى اطرحوه فى قعر البئر المظلم وكان بأرض بيت المقدس وقيل بالأردن وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب (قوله يلتقطه بعض السيارة) أى لأن هذا الجب كان يرد عليه كثير من المسافرين (قوله فاكتفوا بذلك) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف

خطأ (مُبِينٍ) بين بإيثارهما علينا (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا) أى بأرض بعيدة (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم (وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد قتل يوسف أو طرحه (قَوْمًا صَالِحِينَ) بأن تتوبوا (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ) هو يهودا (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ) اطرحوه (فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) مظلم البئر وفى قراءة بالجمع (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) المسافرين (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) لقائمون بمصالحه (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا) إلى الصحراء (نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ) بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا) أى ذهابكم (بِهِ) لفراقه (وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ) المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب (وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) مشغولون (قَالُوا لَئِنْ) لام قسم (أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) جماعة (إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ) عاجزون، فأرسله معهم (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا) عزموا (أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) وجواب لما محذوف أى فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط فى الماء

(قوله قالوا يا أبانا) هذا مرتب على محذوف وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا فنستبق ونصيد وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا فسأله فتوقف يعقوب فقالوا مالك الخ، والمعنى أى شىء ثبت لك فى عدم أمننا (قوله تأمنا) اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضا على إدغامها مع الإشمام كما فى الخطيب ومن الشواذ ترك الإدغام كما فى أبى السعود (قوله لقائمون بمصالحه) أى لعاطفون عليه حافظون له (قوله غدا) منصوب على الظرفية ثم والغد اليوم الذى بعد يومك (قوله بالنون والياء فيهما) أى فى نرتع ونلعب وهما قراءتان سبعيتان والرتع التمتع فى أكل الفواكه ونحوها واللعب بالاستباق والانتضال تمرينا لقتال الأعداء وهو غرض صحيح مباح لما فيه من تعلم المحاربة والاقدام على العدو (قوله ليحزننى) الحزن ألم القلب بفراق المحبوب (قوله وأخاف أن يأكله الذئب) بالهمز وتركه قراءتان سبعيتان وسبب خوفه أنه كان رأى فى المنام أن ذئبا تعرض ليوسف فكان يخاف عليه الذئب (قوله قالوا لئن أكله الذئب) هذا جواب عن عذره الثانى وهو قوله وأخاف أن يأكله الذئب وأما الأول وهو قوله إنى ليحزننى الخ فلم يجيبوا عنه لأن غرضهم حصوله (قوله ونحن عصبة) الجملة حالية (قوله عاجزون) أى فالخسران مجاز عن الضعف والعجز لأنه يشبهه (قوله فلما ذهبوا به) تقدم أنه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعون سنة وقيل ثمانون سنة لم تجف فيها عينا يعقوب (قوله بأن نزعوا قميصه الخ) روى أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فصار يصيح ويستغيث فقال يهودا أما عاهدتمونى على أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا إخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فقالوا له ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسونك ويؤنسونك وفى القصص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار

جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق ودفعه إسحاق إلى يعقوب فجعله فى قصبة من فضة وجعلها فى عنق يوسف فألبسه الملك إياه حين ألقى فى الجب فأضاء له الجب وسيأتى أنه القميص الذى أرسله مع البشير بأمر جبريل وأخبره أنه لايلقى على مبتلى إلا عوفى (قوله ثم أوى إلى صخرة) أى جاء له بها الملك فأجلسه عليها ، قال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤها فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض ليذهب فقال إنك إذا خرجت استوحشت فقال إذا رهبت من شئ فقل : ياصريخ المستصرخين وياغوث المستغيثين ويامفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس فى الجب وفرج الله عنه بخروجه من ليلته ، وقيل إنه مكث فى الجب ثلاثة أيام فكان إخوته يرعون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام (قوله أو دونها) قيل خمسة عشر .قيل اثنى عشر وقيل سبعة (قوله لتنبئهم) أى كما سيأتى فى قوله وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه الآية (قوله عشاء) أى ليكونوا فى الظلمة ليقبل اعتذارهم فلما بلغوا منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وسألهم فأجابوه بما ذكر (قوله وما أنت بمؤمن

ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) فى الجب وحى حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ) بعد اليوم (بِأَمْرِهِمْ) بصنيعهم (هٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بك حال الإنباء (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً) وقت المساء (يَبْكُونَ . قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ) نرمى (وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا) ثيابنا (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ) بمصدق (لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) عندك لاتهمتنا فى هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسىء الظن بنا (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ) محله نصب على الظرفية أى فوقه (بِدَمٍ كَذِبٍ) أى ذى كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه (قَالَ) يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم (بَلْ سَوَّلَتْ) زينت (لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) ففعلتموه به (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) لاجزع فيه وهو خبر مبتدإ محذوف أى أمرى (وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ) المطلوب منه العون (عَلَى مَا تَصِفُونَ) تذكرون من أمر يوسف (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) الذى يرد الماء ليستقى منه ،

لنا الخ) فى هذا الكلام فتح باب اتهام لهم كما لايخفى (قوله لاتهمتنا الخ) قدره المفسر إشارة إلى أن لو شرطية وجوابها محذوف والأسهل من هذا جعل الواو حالية ولو زائدة والتقدير وما أنت بمؤمن لنا والحال أنا كنا صادقين فى نفس الأمر (قوله محله نصب) أى فعلى ظرف بمعنى فوق (قوله أى ذى كذب) أشار بذلك إلى أن وصف الدم بالكذب على حذف مضاف ويصح أن يكون مبالغة على حد زيد عدل (قوله سخلة) هى الصغيرة من الغنم (قوله وذهلوا عن شقه) أى عن تمزيقه لأن العادة أن الذئب إذا أكل الانسان يشق قميصه وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كى لاتتم لهم (قوله لما رآه صحيحا) روى أنه قال ما أحلم هذا الذئب يأكل ابنى ولا يقد قميصه وقيل إنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فأنطقه الله فقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم فأخذونى وأتوا بى إليك فأطلقه يعقوب (قوله بل سولت) أى سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما فعملتموه بيوسف وهونتموه فى أعينكم (قوله لاجزع فيه) فسر المفسر الصبر الجميل بأنه الذى لاجزع فيه والأولى أن يفسره كما فى الحديث بأنه الذى لاشكوى فيه لغير الله وأما الهجر الجميل فهو الذى لاإيذاء معه وأما الصفح الجميل فهو الذى لاعتاب بعده وقد تحقق بجميعها كل من يوسف ويعقوب (قوله المطلوب منه العون) أى فالسين والتاء للطلب (قوله على ماتصفون) أى على تحمل المكاره التى تذكرونها فى أمر يوسف (قوله وجاءت سيارة) جمع سائر أى مسافر سموا بذلك لسيرهم فى الأرض (قوله من مدين إلى مصر) أى فأخطأوا الطريق ونزلوا بأرض قفراء قريبا من الجب (قوله فأرسلوا) ذكر باعتبار المعنى ولو راعى اللفظ لقال فأرسلت واردها (قوله واردهم) وهومالك بن ذعر الخزاعى وهو من أهل مدين

(قوله فأدلى دلوه) يقال أدلى بالهمز إذا أرسل الدلو فى البئر ودلاه بالتضعيف إذا نزعه والدلو مؤنث وقد يذكر (قوله فأخرجه) أى بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام على ماقيل ولما أخرج صارت جدران البئر تبكى عليه (قوله قال يابشراى) منادى مضاف لياء المتكلم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ونداؤها مجاز) أى لتنزيلها منزلة العاقل (قوله هذا غلام) التنكير للتعظيم لأنه كان عليه السلام حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحكه وإذا تكلم ظهر من ثناياه وبالجملة لم يكن أحسن منه إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان يوسف أعطى شطر الحسن ورسول الله أعطى الحسن كاملا. قال البوصيرى:

منزه عن شريك فى محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

إن قلت إذا كان كذلك فلم لم تفتتن النساء بجمال محمد النبى صلى الله عليه وسلم كما افتتن بجمال يوسف. أجيب بأن جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس لايستطيع أحد أن يتأمل فيها إذا قرب منها ولذا لم ترو الشمائل الشريفة إلا عن صغار الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم لاعن كبارهم لقيام الجلال بقلوبهم فيمنعهم من وصفه وأما جمال يوسف فهو ظاهر لم يستتر بجلال كالبدر فحينئذ يتأمل فيه المتأمل ويصفه الواصف غير أنه يعجز عن استيعاب محاسنه، ومن هذا المعنى قول ابن الفارض:

لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحة ... فى وجهه نسى الجمال اليوسفى

(قوله فعلم به إخوته) أى حين نظروا إلى القافلة واجتماعها على البئر فأتوهم وقد ظنوا موت يوسف فرأوه أخرج حيا فضربوه وشتموه وقالوا هذا عبد أبق منا فان أردتم بعناه لكم ثم قالوا له بالعبرانية لاتنكر العبودية نقتلك فأقر بها فاشتراه مالك ابن ذعر الخزاعى (قوله وأسروه) الضمير عائد على السيارة بمعنى بعضهم وهو مالك بن ذعر والمعنى أن البائع والمشترى أخفوا أمره وجعلوه بضاعة أى قالوا إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه، وقوله جاعليه حال من فاعل أسروه، وقوله بضاعة معمول لتلك الحال وهذا فى الحقيقة وأما بحسب الظاهر فهو حال من الواو فى أسروه، ومعنى قوله بضاعة أنه ملك للغير أعطوه له ليبيعه لهم ويصح أن يعود الضمير على الاخوة ويكون معنى البضاعة الشىء المتمول الذى يباع ويشترى وعليه درج المفسر (قوله بما يعملون) أى من العمل الذى ظاهره قبيح وباطنه حسن حيث ترتب عليه من الأسرار والفوائد العظيمة ما لايدخل تحت حصر وهذا تعليم من الله لعباده التفويض والتسليم له فى شأن إخوة يوسف والمعنى لاتخض أيها السامع فى شأنهم بسوء فان الله عليم بما يعملون (قوله باعوه) أى إخوته، وقوله منهم أى السيارة والمعنى باعه إخوته للسيارة أى لبعضهم وهو مالك بن ذعر الخزاعى (قوله ناقص) أى عن قيمته لو كان رقيقا وقيل إن البخس معناه الحرام لأنه ثمن حر وهو حرام (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أنها قليلة لأنهم كانوا لايزنون ماقل عن أربعين درهما ويأخذونها عدا ويزنون مابلغها وهو أوقية (قوله أى إخوته) ويصح أن يعود الضمير على السيارة وإنما زهدوا فيه لخوفهم منه حيث وصف لهم بالاباق (قوله الذى اشتراه) أى وهو مالك بن ذعر الخزاعى (قوله بعشرين دينارا الخ) وقيل لما عرض للبيع ترافع الناس فى ثمنه حتى أبلغ وزنه ذهبا وقيل فضة وقيل مسكا وقيل حريرا وكان وزنه أربعمائة رطل (قوله وهو قطفير العزيز) أى وكان وزيرا للريان ملك مصر وقد آمن بيوسف ومات فى حياته وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث يوسف فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة

(فَأَدْلَى) أرسل (دَلْوَهُ) فى البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه (قَالَ يَابُشْرَايَ) وفى قراءة بشرى ونداؤها مجاز أى احضرى فهذا وقتك (هَٰذَا غُلَامٌ) فعلم به إخوته فأتوهم (وَأَسَرُّوهُ) أى أخفوا أمره جاعليه (بِضَاعَةً) بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفا أن يقتلوه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. وَشَرَوْهُ) باعوه منهم (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ناقص (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) عشرين أو اثنين وعشرين (وَكَانُوا) أى إخوته (فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذى اشتراه بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ) وهو قطفير العزيز (لِامْرَأَتِهِ) زليخاء،

(قوله زليخاء) بفتح الزاي وكسر اللام والمد أو بضم الزاي وفتح اللام (قوله عسى أن ينفعنا) أي يكفينا بعض أمورنا إذا قوى وبلغ أو يربح إذا أردنا بيعه (قوله أو نتخذه ولدا) أي نتبناه وأو مانعة خلو تجوز الجمع وهو المقصود لهما (قوله وكان حصورا) أي لا يأتي النساء أو عقيما (قوله وكذلك) إلى قوله نجزي المحسنين معترض بين وصية العزيز وما وقع من زوجته (قوله من القتل) أي الذي عزم عليه إخوته وقوله والجب أي الذي رموه فيه (قوله وعطفنا عليه قلب العزيز) أي خلقنا فيه الميل والمحبة حيث دفع فيه المال الكثير وأوصى زوجته عليه (قوله مكنا ليوسف) أي أعطيناه مكانة ورتبة عالية في الأرض (قوله حتى بلغ ما بلغ) أي من السلطنة والعز (قوله لنملكه) إما من الملك بكسر الميم أي نجعله مالكا لما فيها أو من الملك بضمها أي نجعله سلطانا على أهلها (قوله أو الواو زائدة) أي والمعنى مكنا ليوسف في الأرض لنعلمه الخ (قوله لا يعجزه شيء) أي لأنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فلا راد لما قضاه (قوله ولما بلغ أشده) جمع شدة كنعمة وأنعم ولم يقل هنا واستوى كما قال في حق موسى لأن موسى بلغ الأربعين وهي سن النبوة فقد استوى وتهيأ لحمل أسرار النبوة وأما يوسف فلم يكن إذ ذاك بلغ هذا السن (قوله حكمة) هي العلم مع العمل (قوله وعلما) عطف عام (قوله كما جزيناه) أي بكل خير (قوله نجزي المحسنين) أي فاعلي الاحسان والمعنى لا خصوصية ليوسف بذلك بل سنة الله في خلقه أن كل محسن له من الله الجزاء الحسن (قوله وراودته) هذه الآية مرتبطة بقوله ــ وقال الذي اشتراه من مصر ــ الخ

زليخاء (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) مقامه عندنا (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وكان حصوراً (وَكَذَلِكَ) كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر حتى بلغ ما بلغ (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أي لنملكه أو الواو زائدة (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) تعالى لا يعجزه شيء (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) حكمة (وَعِلْمًا) فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبيًّا (وَكَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا) هي زليخاء (عَنْ نَفْسِهِ) أي طلبت منه أن يواقعها (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ) للبيت (وَقَالَتْ) له (هَيْتَ لَكَ) أي هلم واللام للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) أعوذ بالله من ذلك (إِنَّهُ) أي الذي اشتراني (رَبِّي) سيدي

وما بينهما اعتراض قصد به بيان عواقب صبر يوسف من السيادة والخير العظيم والمراودة مفاعلة وهي في الأصل تكون من الجانبين ولكنها هنا من جانب واحد ولما كان الجانب الآخر سببا في حصول الفعل نزل منزلته فقيل فيه مفاعلة وذلك أن جمال يوسف سبب لميلها وطلبها له، فالمفاعلة ليست على بابها نظير مداواة المريض من سبب المداواة المرض القائم بالمريض (قوله هي زليخاء) أي ولم يصرح باسمها استهجانا له وسترا وتعليما للأدب كأن الله يقول من الآداب أن لا يذكر أحد زوجته باسمها بل يكني عنها ولم يذكر في القرآن اسم امرأة إلا مريم وتقدم الجواب عنه بأن النصارى زعموا أنها زوجة الله فذكرها باسمها ردا عليهم كأنه يقول: إن أحدكم يستنكف عن ذكر اسم زوجته بين الناس فلو كانت زوجة له كما تزعمون لكنى عنها كما يكني الرجل عن زوجته (قوله أي طلبت منه) أشار بذلك إلى أن المراودة من جانبها فقط (قوله وغلقت الأبواب) أي وكانت سبعة (قوله هيت لك) أي بفتح الهاء والتاء ككيف (قوله وفي قراءة بكسر الهاء) أي مع فتح التاء كقيل وقوله وأخرى بضم التاء أي مع فتح الهاء كحيث فهذه ثلاث قراآت وبقي قراءتان وهما هئت بكسر الهاء وبالهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها وكلها سبعية (قوله واللام للتبيين) أي تبيين المفعول الذي هو المخاطب كأنها تقول الخطاب لك نظير سقيالك ورعيالك (قوله معاذ الله) منصوب على أنه مصدر نائب عن الفعل، والأصل أعوذ بالله معاذا كسبحان الله بمعنى أسبح الله (قوله إنه ربي) الهاء اسم إن وربي خبرها وأحسن جملة حالية أو خبر ثان وما درج عليه المفسر من أن الضمير للحال والشأن[1] ومراده بربه الذي اشتراه أحد تفسيرين والآخر أن الضمير يعود على الله تعالى وهو الأقرب والأظهر.

(١) قوله الضمير للحال والشأن لا يناسبه الاعراب الذي قبله وعبارة الجلال بعيدة من ذلك اهـ.

(قوله أحسن مثواى) تعهدى حيث أمرك باكرامى فلا يليق منى أن أخونه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بلطف (قوله قصدت منه الجماع) أى مع العزم والتصميم (قوله قصد ذلك) أى بمقتضى الطبع البشرى من غير رضا ولا تصميم كميل الصائم للماء البارد ولكن يمنعه دينه عنه، وهذا لا يؤاخذ به الانسان بل فى مدافعته الثواب الجزيل والأجر الجليل، فمخالفة النفس عن شهواتها مع وجود ميل الطبع أعلى وأجل من تركها لعدم الميل لها، ولذا يباهى الله بالشاب التارك لشهواته للملائكة الكرام قال تعالى - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى - (قوله قال ابن عباس الخ) أى وفى رواية: أنه انفرج سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه، وفى رواية: أنه نودى يايوسف أتواقعها إنما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لايطاق عليه وإنما مثلك إن واقعتها مثل الطير إذا وقع على الأرض لايستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لايطاق ومثلك إذا واقعتها كمثله إذا مات ودخل النمل فى قرنه لايستطيع أن يدفع عن نفسه وبالجملة فقد كثرت عليه الواردات فى هذا الشأن (قوله وجواب لولا لجامعها) أى فيكون المعنى امتنع جماعه لها لرؤيته برهان ربه وقيل إن قوله وهم بها هو الجواب والمعنى ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها أى امتنع همه بها لرؤيته برهان ربه فلم يقع منه هم أصلا وحينئذ فالوقف على قوله ولقد همت به وهذا هو الأحسن فى هذا المقام لخلوه من الكلفة والشبهة (قوله كذلك أريناه الخ) أشار بذلك إلى أن الكاف مع مجرورها فى محل نصب معمول لمحذوف وقوله لنصرف متعلق بذلك المحذوف (قوله المخلصين فى الطاعة) أى الذين لايشركون فى طاعته غيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بفتح اللام) أى اسم مفعول من أخلصه أى اجتباه واختاره (قوله واستبقا الباب) حكمة إفراد الباب هنا وجمعه فيما تقدم أنها لم تتمكن من من المراودة إلا بعد غلق تلك الأبواب وأما فراره وتسابقهما فلم يكن إلا عند باب من تلك الأبواب إن قلت مقتضى قوة الرجولية أنه يسبقها ولم يعقه عائق. أجيب بأن الذى عاقه عن السبق إنما هو الاشتغال بفتح الأبواب (قوله للتشبث) أى التعلق (قوله فأمسكت ثوبه) أى وقطعت منه قطعة بقيت فى يدها (قوله لدى الباب) أى البرانى الأقصى (قوله فنزهت نفسها) أى بادرت بذلك (قوله ماجزاء من أراد الخ) مايحتمل أن تكون نافية أو استفهامية ومن إما موصولة أو نكرة موصوفة (قوله إلا أن يسجن أو عذاب أليم) فى ذلك إشارة لطيفة إلى أن زليخا لشدة حبها ليوسف بدأت بذكر السجن لخفته وأخرت العذاب لشدته لأن المحب لايسعى فى إيلام المحبوب وأيضا فان قولها إلا أن يسجن فيه إشارة إلى أنها أرادت تخفيف السجن وإلا فلو أرادت التطويل والتعذيب بالسجن لقالت إلا أن تجعله من المسجونين كما قال فرعون لموسى لأجعلنك من المسجونين (قوله قال هى راودتنى الخ) إنما قال ذلك لكونها اتهمته وإلا فلو سكتت لما كان يوسف متكلما بشىء من ذلك (قوله من أهلها) أى ليكون أقوى فى نفى التهمة عن يوسف وهى منفية عنه بأمور منها أنه خرج هاربا والطالب لايهرب ومنها كونها متزينة بأكمل الوجوه ومنها شقها للقميص من خلف (قوله ابن عمها) وقيل ابن خالها (قوله روى أنه كان فى المهد) أى فى الأحاديث الصحيحة وهو أحد قولين وقيل كان كبيرا حكيما وكان فى ذلك الوقت جالسا مع الملك فلما رآهما خارج الباب وحصل منهما ماحصل قال إن كان الخ فكان ذلك على سبيل الفتيا (قوله إن كان قميصه الخ) إن قلت إن قد القميص أمر ثابت من قبل فلا معنى للتعليق عليه والجواب أن يقال إن المعنى إن ثبت أن قميصه قد من قبل الخ (قوله فصدقت)

(أَحْسَنَ مَثْوَاىَ) مقامى فلا أخونه فى أهله (إِنَّهُ) أى الشأن (لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الزناة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) قصدت منه الجماع (وَهَمَّ بِهَا) قصد ذلك (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وجواب لولا لجامعها (كَذَٰلِكَ) أريناه البرهان (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ) الخيانة (وَالْفَحْشَاءَ) الزنا (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) فى الطاعة وفى قراءة بفتح اللام أى المختارين (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ) بادر إليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبته إليها (وَقَدَّتْ) شقت (قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا) وجدا (سَيِّدَهَا) زوجها (لَدَى الْبَابِ) فنزهت نفسها ثم (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) زنا (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ) يحبس أى سجن (أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم بأن يضرب (قَالَ) يوسف متبرئا (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) ابن عمها روى أنه كان فى المهد فقال (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ) قدام (فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ)

الكلام على تقدير قد لتصحيح دخول الفاء فى الجواب لأن جواب الشرط لا يقرن بالفاء إلا إذا كان لا يصلح لمباشرة الأداة وهذا ماض متصرف يصلح لمباشرتها (قوله إن كيدكن عظيم) أى فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة وإلا فالرجال أعظم فى الحيل والمكايد وإنما وصف كيد النساء بالعظم وكيد الشيطان بالضعف لأن كيد النساء أقوى بسبب أنهن حبائل الشيطان فكيدهن مقرون بكيد الشيطان فهما كيدان بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد ، ولذا قال بعضهم : أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول : إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال فى حق النساء : إن كيدكن عظيم (قوله واستغفرى لذنبك) إن قلت إنهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنبا مع خالقهم فما الذنب الذى يطلب الاستغفار منه ؟ . أجيب بأن المراد بالذنب خيانتها لزوجها وفى هذا إشارة إلى أن العزيز قليل الغيرة ، ولذا قال بعضهم : إن تربة مصر تقتضى ذلك ولذا لا ينشأ فيها الأسد ولو دخل فيها لا يبقى (قوله الآثمين) أى برئ يوسف وهو برىء (قوله واشتهر الخبر) قدّره إشارة إلى أن قوله وقال نسوة مرتب على محذوف وهذا الاشتهار منها وذلك أنها أخبرت بعض النساء بذلك وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن (قوله وقال نسوة فى المدينة) اختلف فى عدتهن فقيل خمس وقيل أربعون وجمع بينهما بأن أصل الاشاعة كان من خمس وهن امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه ، ونسوة

اسم جمع لا واحد له من لفظه (قوله امرأة

خلف (فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى) زوجها (قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ) أى قولكِ ماجزاء من أراد الخ (مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ) أيها النساء (عَظِيمٌ) ثم قال يا (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا) الأمر ولا تذكره لئلا يشيع (وَاسْتَغْفِرِى) يا زليخا (لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) الآثمين ، واشتهر الخبر وشاع (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ) مدينة مصر (امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا) عبدها (عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) تمييز أى دخل حبه شغاف قلبها أى غلافه (إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَالٍ) خطإ (مُبِينٍ) بين بحبها إياه (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) غيبتهن لها (أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ) أعدت (لَهُنَّ مُتَّكَأً) طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج (وَآتَتْ) أعطت (كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ) ليوسف (اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) أعظمنه (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف (وَقُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ) تنزيها له (مَا هٰذَا) أى يوسف (بَشَرًا

العزيز) مبتدأ وقوله تراود فتاها خبر أول وقوله : قد شغفها حبا خبر ثان وحبا تمييز محوّل عن الفاعل والأصل قد شغف حبه قلبها (قوله فتاها) الفتى هو الشاب القوى (قوله أى دخل حبه شغاف قلبها) الشغاف جلدة رقيقة على القلب تمنع أذى الطعام والشراب عن القلب وحينئذ يكون المعنى أن حبه خرق تلك الجلدة ووصل للقلب وسكنه ، وقيل إن معنى شغفها صار محيطا بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب حتى لا تكاد تنظر لغيره (قوله خطأ مبين) أى حيث تركت ما يليق بها من العفة والستر وأحبت غير زوجها (قوله بمكرهن) أى حديثهن ، وسمى مكرا لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف لأنه قد وصف لهن حسنه وجماله فتعلقن به وأحببن أن يرينه (قوله غيبتهن) إنما سميت الغيبة مكرا لإخفائها عن المغتاب كما يخفى المكر (قوله أرسلت إليهن) أى وكن أربعين امرأة من أشراف المدينة فصنعت لهن ضيافة عظيمة (قوله وأعتدت) أى هيأت وأحضرت (قوله متكأ) سمى الطعام بذلك لأنه يتكأ عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء (قوله وهو الأترج) بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم جمع أترجة ويقال فيه ترنج والأولى هى الفصحى (قوله سكينا) أى خنجرا وكان من عادتهن أكل الفواكه واللحم بالسكين (قوله وقالت اخرج عليهن) أى وقد زينته بأحسن الزينة وحبسته فى مكان آخر (قوله فلما رأينه) مرتب على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه الخ (قوله أعظمنه) أى هبنه ودهشن عند رؤيته من شدة حسنه وجماله ، يقال إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عزوجل قبل أن يخرج من الجنة وقيل إنهن أعظمنه لأنهن رأين عليه آثار النبوّة والمهابة وعدم الالتفات إليهن فوقع الرعب فى قلوبهن وتعجبن منه (قوله وقطعن أيديهن) أى جرحنها حتى سال الدم قال وهب : ماتت منهن جماعة (قوله وقلن حاش) بإثبات ألف بعد الشين وحذفها قراءتان سبعيتان وهذا بالنظر للنطق وأما فى الرسم فلا تكتب فيه ألف بعد الشين (قوله ما هذا بشرا) أى معاذ الله أن يكون

هذا بشرا إنما هذا ملك كريم على ربه (قوله إن هذا إلا ملك كريم) المقصود من هذا إثبات الحسن العظيم ليوسف لسامعهم أنه لاشئ أحسن من الملك ولأنه لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة مهابا لاتحكم عليه الصورة شبه به (قوله شطر الحسن) أى نصفه، والمعنى أن الله خلق حسنا فأعطى يوسف نصفه وقسم نصفه بين الخلائق (قوله فذلكن) ذا اسم إشارة القريب لحضوره بالمجلس وقرن باللام للفيدة البعد إشارة لبعد رتبته عن غيره ولذا فسرها المفسر بهذا التى للقريب (قوله الذى لمتننى فيه) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله امتنع) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله ولئن لم يفعل) اللام موطئة لقسم محذوف و إن شرطية وقوله ليسجنن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم أنه يحذف جواب المتأخر منهما (قوله فقلن له أطع مولاتك) ورد: أنه مامن امرأة إلادعته لنفسها (قوله قال رب) لما اشتد به الكرب توجه لربه فى الفرج (قوله أحب إلى) اسم التفضيل ليس على بابه إذ ليس له فيما يدعونه إليه محبة ورغبة. إن قلت هو مجاب الدعوة فلم طلب النجاة بالسجن ولم يطلب النجاة العامة؟ أجيب بأنه اطلع على أن السجن محتم عليه فدعا به لأن النبى لاينطق عن الهوى (قوله مما يدعوننى) فعل مضارع مبنى على سكون الواو والنون الأولى النسوة فاعل والثانية نون الوقاية وهو مثل النسوة يعفون فالواو ليست ضميرا بل هى لام الكلمة (قوله والقصد بذلك)

إنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) لما حواه من الحسن الذى لايكون عادة فى النسمة البشرية وفى الصحيح أنه أعطى شطر الحسن (قَالَتْ) امرأة العزيز لما رأت ماحل بهن (فَذَٰلِكُنَّ) فهذا هو (الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ) فى حبه بيان لعذرها (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) امتنع (وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ) به (لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ) الذليلين فقلن له أطع مولاتك (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ) أمل (إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ) أصر (مِنَ الْجَاهِلِينَ) المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ) دعاءه (فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (ثُمَّ بَدَا) ظهر (لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ) الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ) إلى (حِينٍ) ينقطع فيه كلام الناس فسجن (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنختبرنه،

أى بقوله: و إلا تصرف عنى الخ كأنه قال اللهم اصرف عنى كيدهن لأجل أن لاأصير من الجاهلين لأنك إن لم تصرفه عنى صرت منهم إذ لاقدرة لى على الامتناع إلا باعانتك لى (قوله ثم بدا لهم) أى للعزيز وأصحابه وذلك أن زليخا قالت لزوجها إن هذا العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم أنى قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لى فأخرج وأعتذر إليهم و إما أن تسجنه فظهر لهم سجنه لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم (قال

مع علمهم ببراءته ونزاهته (قوله أن يسجنوه) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل بدا (قوله ليسجننه) اللام موطئة لقسم محذوف والجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والتقدير ثم ظهر لهم سجنه قائلين والله ليسجننه (قوله حتى حين) أى وهو سبع سنين أو اثنتا عشرة سنة وسيأتى ذلك (قوله ودخل معه) أى صحبته، والمعنى كانا مقارنين له فى الدخول وهذا مرتب على قول المفسر فسجن (قوله غلامان) تثنية غلام وهو اسم للشخص من حين ولادته إلى أن يشب وقوله للملك أى ملك مصر وهو الريان بن الوليد العمليق (قوله أحدهما ساقيه) أى واسمه سرهم وقوله والآخر صاحب طعامه أى واسمه برهم. وسبب سجنهما أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهما رشوة على أن يسما الملك فى طعامه وشرابه فأجابا ثم إن الساقى ندم ورجع والخباز قبل الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لاتأكل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز لاتشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب من الشراب فشرب وقال للخباز كل من الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أنهما دخلا مع يوسف (قوله فرأياه يعبر الرؤيا) أى ينشر علمه ويقول إنى أعبر الأحلام (قوله لنختبرنه) أى لنمتحننه ليظهر لنا حاله.

(قوله قال أحدهما) أى بعد مضى خمس سنين من دخولهم السجن (قوله إنى أرانى) أرى تنصب مفعولين الياء مفعول أول وجملة أعصر خمرا مفعول ثان (قوله أى عنبا) أى فتسميته خمرا من باب مجاز الأول أى عنبا يؤول إلى كونه خمرا وفى القصة أنه قال رأيت فى المنام كأنى فى بستان وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب وكأن كأس الملك فى يدى فعصرتها فيه وسقيت الملك (قوله إنى أرانى) أى رأيتنى فالتعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية (قوله أحمل فوق رأسى خبزا) وذلك أنه قال رأيت فى المنام كأن فوق رأسى ثلاث سلال وفيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منها (قوله إنا نراك من المحسنين) أى العالمين بتعبير الرؤيا وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه فى السجن يعود المرضى ويقوم الليل ويصوم النهار ويصبر أهل السجن ويبشرهم ويواسى فقيرهم فكان يقول اصبروا وأبشروا فيقولون بارك الله لنا فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحق ابن خليل الله إبراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أى بيوت السجن شئت (قوله مخبرا أنه عالم) أى لأجل أن يقبلا عليه ويؤمنوا به وهكذا ينبغى للعالم الخامل أن يظهر نفسه ليقتدى به ويؤخذ عنه وإنما أخبرهما بذلك توطئة لدعائهما إلى الايمان (قوله فى منامكما) أى فالمعنى أى طعام رأيتماه فى النوم وأخبرتمانى به إلا فسرته لكما قبل أن يقع فى الخارج وخص رؤية الطعام لأنهما من أهل الطعام والشراب والشأن أن رؤيا النام تتعلق باشتغال الشخص فى اليقظة، وقيل المراد إتيان الطعام لهما فى اليقظة والمعنى لا يأتيكما طعام ترزقانه من منازلكما إلا أخبرتكما بقدره وكيفيته والوقت الذى يأتى فيه قبل أن يصلكما فهو إشارة إلى أن من معجزاته الإخبار بالمغيبات، وهذا مثل معجزة عيسى حيث قال: وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فقالا ليوسف هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ذلكما مما علمنى ربى الخ (قوله فيه حث) أى تعريض لطلب الايمان (قوله إنى تركت) المراد بالترك عدم التلبس بالشىء من أول الأمر (قوله واتبعت ملة آبائى) لما بين أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزة بين هنا أنه لاغرابة فى ذلك لأنه من بيت النبوة، وذلك لأن إبراهيم واسحاق ويعقوب كانوا مشهورين بالرسالة، وذكر الفخر الرازى أنه نبىء فى السجن ولا مانع أنه نبىء قبل الأربعين كيحيى وعيسى وذلك لأن إخوته رموه فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة من جملتها مدة السجن فتكون الجملة ثلاثين سنة (قوله ما كان لنا) أى لايصح ولايليق منامعشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئا مع اصطفائه لنا وانعامه علينا بأنواع النعم وفى هذا تعريض لهم بترك ماهم عليه من الشرك كأنه قال لايصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر أن يعبد غير من هو مفتقر إليه ومنعم عليه (قوله لعصمتنا) أى فليس المراد أنه حرم ذلك عليهم بل المراد أنه طهرهم من الكفر (قوله من فضل الله علينا) أى بالوحى، وقوله وعلى الناس: أى بارشادهم (قوله ياصاحبى السجن) قدر المفسر ساكنى إشارة إلى أن الاضافة لأدنى ملابسة ويصح أن يكون المعنى ياصاحبىّ فى السجن فالاضافة للظرف (قوله متفرقون) أى من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك (قوله ماتعبدون) خطاب لأهل السجن جميعا.

(قَالَ أَحَدُهُمَا) وهو الساقى (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) أى عنبا (وَقَالَ الْآخَرُ) وهو صاحب الطعام (إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا) خبرنا (بِتَأْوِيلِهِ) بتعبيره (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ) لهما مخبرا أنه عالم بتعبير الرؤيا (لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) فى منامكما (إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) فى اليقظة (قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا) تأويله (ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) فيه حث على إيمانهما ثم قواه بقوله (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ) دين (قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ) ينبغى (لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) لعصمتنا (ذَٰلِكَ) التوحيد (مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَشْكُرُونَ) الله فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال (يَا صَاحِبَيِ) ساكنى (السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) خبر استفهام تقرير (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (إِلَّا أَسْمَاءً

(قوله سميتموها) أى فكأنكم لاتعبدون إلا الأسماء المجردة والمعنى أنكم سميتم مالم يدل على استحقاقه للألوهية عقل ولا نقل ثم أخذتم تعبدونها قوله المستقيم أى الذى لااعوجاج فيه (قوله مايصيرون) قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله ياصاحبى السجن) هذا شروع فى تعبير رؤياهما (قوله فيخرج بعد ثلاث) أى من الأيام وهى العناقيد الثلاثة التى عصرها (قوله سيده) أى وهو الملك (قوله وأما الآخر فيخرج بعد ثلاث) أى من الأيام وهى السلال الثلاث (قوله فقالا مارأينا شيئا) هذا أحد قولين وقيل إنهما رأيا ذلك حقيقة فرآهما مهمومين فسألهما عن شأنهما فذكر كل واحد له رؤياه (قوله قضى الأمر) المراد به الجنس أى قضى أمر كل واحد وما يؤول إليه شأنه كذب أوصدق (قوله سألتما) تفسير لتستفتيان فالمراد من المضارع الماضى (قوله وقال للذى ظن أنه ناج) إن كان الظن واقعا من الساقى فالأمر ظاهر و إن كان من يوسف فهو بمعنى اليقين كما قال المفسر على حد الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم (قوله سيدك) أى وهو الملك (قوله محبوسا) أى طال حبسه ظلما خمس سنين (قوله أى الساقى) أى والمعنى أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك وذلك للحكم الباهرة التى ستظهر وهذا أحد قولين وقيل إن الضمير عائد على يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق واسناد الانساء للشيطان لأنه يفرح به ويحبه ظانا أن يوسف يطردبذلك و إلافالذى أنساه ذلك ربه لاالشيطان

سَمَّيْتُمُوهَا) سميتم بها أصناما (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا) بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة و برهان (إِنْ) ما (الْحُكْمُ) القضاء (إِلَّا لِلَّهِ) وحده (أَمَرَ أَ) ن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ) التوحيد (الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا) أى الساقى فيخرج بعد ثلاث (فَيَسْقِي رَبَّهُ) سيده (خَمْرًا) على عادته (وَأَمَّا الْآخَرُ) فيخرج بعد ثلاث (فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) هذا تأويل رؤياكما فقالا مارأينا شيئا فقال (قُضِيَ) تم (الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) سألتما عنه صدقتما أم كذبتما (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ) أيقن (أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا) وهو الساقى (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) سيدك فقل له إن فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فَأَنْسَاهُ) أى الساقى (الشَّيْطَانُ ذِكْرَ) يوسف عند (رَبِّهِ فَلَبِثَ) مكث يوسف (فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) قيل سبعا وقيل اثنتى عشرة (وَقَالَ الْمَلِكُ) ملك مصر الريان بن الوليد (إِنِّي أَرَى) أى رأيت (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ) يبتلعهن (سَبْعٌ) من البقر (عِجَافٌ)

فانه لاتسلط له على المرسلين قال تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، فلما وقع من يوسف ذلك عوتب ببقائه فى السجن تلك المدة من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله قيل سبعا) أى وهى مدة مكث أيوب فى البلاء وقوله وقيل اثنتى عشرة هذا قول ثان فى مدة السجن وقيل خمسا ونصفا قبل قوله اذكرنى وسبعا بعده وقيل أربع عشرة سنة خمس قبل القول وتسع بعده وحكمة مكثه تلك المدة فى السجن ليؤمن أهل السجن وليصل أمره للملك فيخرج جمع والحال أنه مطلوب لاطالب فيتحقق له العز الذى بشر به سابقا فترتب على طلبه السجن وابقائه فيه الزمن الطويل من الحكم العظيمة والأسرار الفخيمة والعز والسودد مالاتحيط به العبارة ولاتحصيه الاشارة فأمور يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها ذل وباطنها غاية العز على حد قول البوصيرى :

لو يمس النضار هون من النا ... ر لما اختير للنضار الصلاء

فبلايا الأنبياء والمقربين لاتزيدهم إلا رفعة وعزا (قوله وقال الملك الخ) أى لما أراد الله الفرج عن يوسف و إخراجه من السجن رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أهالته فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله جميعا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى استحضارا للحال الماضية . وحاصل رؤياه أنه رأى فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال والضعف فابتلعت العجاف السمان ودخلت فى بطونها ولم ير منهن شىء ولم يتبين على العجاف شىء منها ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتهن شىء

(قوله جمع عجفاء) أى جمع سماعى والقياس عجف . قال ابن مالك * فعل لنحو أحمر وحمرا * (قوله خضر) أى انعقد حبها وقوله وأخر يابسات : أى بلغت أوان الحصد وهو معطوف على سبع ويكون قد حذف اسم العدد منه لدلالة ماقبله عليه (قوله يا أيها الملأ) أى السحرة والمعبرون (قوله تعبرون) من عبر بالتخفيف يقال عبر البحر جاوزه وعبر الرؤيا فسرها كأن المعبر لما فسر الرؤيا خاض من ورطتها كالذى يجاوز البحر وزيدت اللام فى الرؤيا تقوية للعامل لتأخره عن معموله (قوله فاعبروها لى) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دلّ عليه ماقبله (قوله أضغاث أحلام) أى تخاليطها جمع ضغث وأصله ماجمع وحزم من النبات كالحزمة من الحشيش استعير للرؤيا الكاذبة ، والمعنى أنهم قالوا إن هذه الرؤيا أخلاط أحلام من الشيطان فلا تعبر ، وهذا لفرط عجزهم وجهلهم بتعبيرها على العادة أن من جهل شيئا عاداه (قوله وقال الذى نجا الخ) أى بعد أن جلس بين يدى الملك وقال له إن فى السجن رجلا عالما بتعبير الرؤيا (قوله وادكر) إما حال من الذى أو عطف على نجا (قوله فيه إبدال التاء) أى تاء الافتعال والأصل اذتكر بتاء بعد الذال قلبت التاء دالا فاجتمع متقاربان أبدل الأول من جنس الثانى وأدغم (قوله وإدغامها فى الدال) المناسب قلب العبارة بأن يقول وإدغام الذال فى الدال

أى بعد قلبها دالا (قوله بعد

جمع عجفاء (وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ) أى سبع سنبلات (يَابِسَاتٍ) قد التوت على الخضر وعلت عليها (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ) بينوا لى تعبيرها (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) فاعبروها لى (قَالُوا) هذه (أَضْغَاثُ) أخلاط (أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ. وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا) أى من الفتيين وهو الساقى (وَادَّكَرَ) فيه إبدال التاء فى الأصل دالا وإدغامها فى الدال أى تذكر (بَعْدَ أُمَّةٍ) حين حال يوسف (أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ) الكثير الصدق (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) أى الملك وأصحابه (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) تعبيرها (قَالَ تَزْرَعُونَ) أى ازرعوا (سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) متتابعة وهى تأويل السبع السمان (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ) أى اتركوه (فِي سُنْبُلِهِ) لئلا يفسد (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) فادرسوه (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى السبع المخصبات (سَبْعٌ شِدَادٌ) مجدبات صعاب وهى تأويل السبع العجاف (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) من الحب المزروع فى السنين المخصبات أى تأكلونه فيهن (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) تدخرون (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى السبع المجدبات (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) بالمطر (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)

أمة) بضم الهمزة وتشديد الميم هى فى الأصل الجماعة من الناس ثم أطلق على الجماعة من الأيام (قوله حين) أى وهو سنتان أو سبع أو تسع (قوله حال يوسف) أى من كونه عالما بتعبير الرؤيا (قوله فأرسلون) إنما جمع وإن كان الخطاب لواحد لأجل التعظيم (قوله فأرسلوه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف ثلاث جمل وجملة مجىء الرسول ليوسف فى السجن أربع مرات الأولى فى قوله ـ فأرسلون يوسف ـ الخ والثانية فى قوله ـ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك ـ والثالثة فى قوله ـ ذلك ليعلم أنى لم أخنه ـ الخ والرابعة فى قوله ـ وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ـ الخ (قوله الكثير الصدق) وصفه بذلك لأنه جرب به فى السجن فى تعبير الرؤيا وغيره (قوله أى الملك) أى ومن عنده (قوله أى ازرعوا) إنما حمله على الأمر مناسبة قوله فذروه وإلا فالمناسب إبقاؤه على حاله من الاخبار لأنها تفسير الرؤيا وفيه إشارة إلى أن الله أمر بذلك لتحتم حصوله فى علمه تعالى (قوله دأبا) بفتح الهمزة وسكونها قراءتان سبعيتان وهو مصدر واقع موقع الحال (قوله وهى تأويل السبع السمان) أى والسبع الخضر (قوله لئلا يفسد) أى يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ومنعه من الفساد ببقائه فى سنبله من خصوصيات يوسف وإلا ففى زمننا بقاؤه فى سنبله لايدفع عنه الفساد (قوله وهى تأويل السبع العجاف) أى والسبع اليابسات (قوله أى تأكلونه فيهن) أشار بذلك إلى أن الاسناد مجازى من الاسناد للظرف كما فى نهاره صائم (قوله تدخرون) أى للبذر (قوله ثم يأتى من بعد ذلك عام الخ) هذه بشارة لهم زيادة على تعبير الرؤيا (قوله يغاث الناس) إما من الغوث وهو الفرج وزوال الكرب أو من الغيث وهو المطر ، والمعنى فيه يزول كرب الناس ويفرج عنهم بنزول المطر وتتابع الخير عليهم .

(قوله الأعناب) أى يعصرونها خمرا ، وقوله وغيرها : أى كالزيتون والسمسم والكتان والقصب وغيرذلك (قوله وقال الملك) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله لما جاءه الرسول الخ ، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بما عبر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك وعرف أن الذى قاله كائن لامحالة قال ائتونى به حتى أبصره فرجع الساقى وقال له أجب الملك فقال له ارجع الخ (قوله فلما جاءه الرسول) مرتب على محذوف : أى فذهب الرسول إلى طلبه فلما جاءه الخ (قوله إظهار براءته) أى لتظهر براءة ساحته و يعلم أنه سجن ظلما (قوله إلى ربك) أى وهو الملك (قوله إن ربى سيدى) أى فالمراد به العزيز وهو استشهاد بكونه يعلم مكرهن وكيدهن و يصح أن يكون المراد بالرب الله تعالى وحينئذ يكون فى كلامه التفويض لله تعالى وهو الأقرب (قوله لجمعهن) أى وكانت زليخاء معهن وخاطبهن جميعا ولم يخص زليخاء بالخطاب سترا عليها (قوله من سوء) أى خيانة (قوله قالت امرأت العزيز) هذا إقرار منها بالحق والحامل لها على ذلك كون يوسف راعى جانبها حيث قال مابال النسوة الخ ولم يذكرها مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جهتها فكافأته بأن اعترفت بأن الذنب منها (قوله وضح) أى اتضح (قوله فأخبر يوسف بذلك) أى بجواب النسوة المذكور (قوله فقال) أى يوسف وهذا أحد قولين ، وقيل إن قوله ذلك ليعلم من كلام زليخا و يكون المعنى ذلك الذى قلته ليعلم يوسف

أنى لم أخنه ولم أكذب عليه وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسى من الخيانة إن النفس لأمارة بالسوء إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (قوله ليعلم العزيز) أى زوج زليخا (قوله حال) أى إما من الفاعل : أى وأنا غائب عنه أو من المفعول : أى وهو غائب عنى (قوله لايهدى كيد الخائنين) أى لا يسدده (قوله ثم تواضع لله) أى فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع وإلا فيستحيل فى حقه أن تأمره نفسه بالسوء لعصمته

الأعناب وغيرها لخصبه (وَقَالَ الْمَلِكُ) لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها (ائْتُونِي بِهِ) أى بالذى عبرها (فَلَمَّا جَاءَهُ) أى يوسف (الرَّسُولُ) وطلبه للخروج (قَالَ) قاصدا إظهار براءته (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ) أن يسأل (مَا بَالُ) حال (النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي) سيدى (بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) فرجع فأخبر الملك فجمعهن (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ) شأنكن (إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) هل وجدتن منه ميلا إليكن (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ) وضح (الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فى قوله هى راودتنى عن نفسى فأخبر يوسف بذلك فقال (ذَلِكَ) أى طلب البراءة (لِيَعْلَمَ) العزيز (أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ) فى أهله (بِالْغَيْبِ) حال (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) ثم تواضع لله فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) من الزلل (إِنَّ النَّفْسَ) الجنس (لَأَمَّارَةٌ) كثيرة الأمر (بِالسُّوءِ إِلَّا مَا) بمعنى من (رَحِمَ رَبِّي) فعصمه (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) أجعله خالصا لى دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك فقام وودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ، ولبس

(قوله وما أبرئ نفسى) هذه الجملة حالية من محذوف ، والتقدير طلبت البراءة ليعلم الخ والحال أنى لم أقصد بذلك تنزيه نفسى ولا براءتها الخ (قوله الجنس) أى جنس النفوس (قوله كثيرة الأمر) أى لصاحبها . واعلم أن النفس واحدة ولها صفات : فأول أمرها تكون أمارة بالسوء تدعو إلى الشهوات وتميل إليها ولا تبالى ، وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين فإذا أراد الله لها بالهدى جعل لها واعظا يأمرها و ينهاها ، فحينئذ تصير لوامة تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل ، فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه لخالقه ، فإذا كثر عليها ذلك واستمر صارت مطمئنة ساكنة تحت قضاء الله وقدره راضية بأحكامه فتستحق من الله العطايا والتحف . قال تعالى - يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى - وهذا هو مقام الواصلين وقبل ذلك يسمى مقام السائرين (قوله وقال الملك) أى وهو الريان بن الوليد وذلك أنه لما ظهر له فى يوسف من المزايا التى لم توجد فى غيره قال ماذكر (قوله فجاءه الرسول الخ) قدر المفسر هذه الجمل وهى ثمانية إشارة إلى أن قوله تعالى - فلما كلمه - مرتب على محذوف (قوله ودعا لهم) أى بقوله : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار (قوله ثم اغتسل) أى فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء .

(قوله ولبس ثيابا حسانا) يؤخذ من هذا أن مما ينبغي عند الدخول على السلاطين الطهارة وتحسين الهيئة وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عنده أو أرسلها له الملك (قوله ودخل عليه) ورد أنه لما دخل سلم عليه بالعربية، فقال الملك ما هذا اللسان؟ قال لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية، فقال له ما هذا اللسان أيضا؟ فقال هذا لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا ولم يعرف هذين اللسانين، وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به فتعجب الملك من أمره مع صغر سنه لأنه كان إذ ذاك ابن ثلاثين سنة ثلاث عشرة منها مدة إقامته مع زليخا والسجن وسبع عشرة قبلها، وعلى هذا فدعواه لعبادة الله في السجن إما نبوة قبل الأربعين أو نصيحة منه لدين آبائه على عادة العلماء وتأسيسا لنبوته (قوله مكين أمين) أي قريب المنزلة رفيع الرتبة مؤتمن على سرنا (قوله قال فماذا ترى أن نفعل الخ) روى أن الملك قال ليوسف عليه السلام: أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها. قال نعم: أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر إليهن وقد أعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمئه سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضرع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن، فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن وإذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء، فبينما أنت تقول في نفسك أي شيء هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد أصولهن في الثرى والماء إذ هبت ريح فردت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات

فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت فيها شيئا فما شأن هذه الرؤيا وإن كانت عجبا فما هي بأعجب مما سمعت منك وما ترى من تأويل رؤياي أيها

ولبس ثياباً حسانا ودخل عليه (فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ) له (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل؟ قال اجمع الطعام وازرع زرعا كثيراً في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فيأتي إليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لي بهذا (قَالَ) يوسف (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) أرض مصر (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب حاسب (وَكَذَلِكَ) كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (يَتَبَوَّأُ) ينزل (مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) بعد الضيق والحبس وفي القصة أن الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله

الصديق؟. قال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فانه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس أن يدفعوا الخمس من زرعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والأموال ما لم يجتمع لأحد من قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه لي ويبيعه لي ولو جمعت أهل مصر ما أطاقوا ذلك ولم يكونوا فيه أمناء، فقال يوسف عند ذلك اجعلني الخ (قوله قال اجعلني على خزائن الأرض) إن قلت إن في ذلك القول طلب التقدم والامارة وهو لا يليق بالأخيار. أجيب بأن محل هذا ما لم يتعين عليهم وإلا فحينئذ يجب طلبها وأيضا ذلك بوحي من الله وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة وإنما أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رغبته فيه ليشتهر قبل التولية بين أهل المملكة في أطراف القطر ويصير معروفا للخاص والعام وأنه ذو المكانة والأمانة عند الملك (قوله إني حفيظ عليم) تعليل لما قبله ومفعول اجعل الثاني محذوف، والتقدير اجعلني أمينا على خزائن الأرض فإني حفيظ عليم. إن قلت إن في هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عن ذلك بقوله - فلا تزكوا أنفسكم -. أجيب بأن محل النهي حيث قصد بها الفخر والكبر على خلق الله بخلاف ما إذا قصد بها إيصال النفع للغير والاخبار بالواقع فلا ضرر في ذلك بل ذلك من باب التحدث بالنعم وهو مأمور به شرعا (قوله مكنا ليوسف في الأرض) أي مكناه إياها (قوله بعد الضيق والحبس) أي بعد صبره على الضيق حين وضع في الجب وحين حبس (قوله وفي القصة أن الملك الخ) قال ابن عباس وغيره: لما انقضت السنة من يوم سؤال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له ثلاثين فراشا وستين مائدة وضرب له عليه حلة من إستبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه، فانطلق

حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الأكبر إليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه . قال الزمخشرى : إن يوسف قال للملك أما السرير فأشد به ملكك ، وأما الخاتم فأدبر به أمرك ، وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى ، فقال له الملك قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك ، وكان للملك بمصر خزائن كثيرة فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاءه نافذا حتى بمملكته ثم هلك قطفير عزيز مصر فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه ، فلما دخل يوسف عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين ؟ قالت له أيها الصديق لا تلمنى فإنى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى وعصمك الله . قالوا فوجدها يوسف عذراء فأصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وبنتا واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام وميشا هو جد يوشع ابن نون وأقام فى مصر العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف فى ملكه دبر فى جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين الجدبة ، وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون الجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله . وقيل إنه دبر فى طعام الملك وحاشيته كل يوم أكلة واحدة نصف النهار ، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أصابه الجوع الملك ، فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع ، فقال يوسف هذا أوان القحط فهلك فى السنة الأولى من سنى القحط كل ما أعدوه فى السنين المخصبة ، فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم فى السنة الأولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذه منهم ، وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر فى أيدى الناس منهما شىء ، وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب والمواشى والأنعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها ، وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والجوارى حتى لم يبق بأيدى الناس عبد ولا أمة ، وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها ، وباعهم

فى السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم ، وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا ملكه فصاروا جميعا عبيدا ليوسف عليه السلام ، فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف ، فقال يوسف للملك : كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى فى هؤلاء ؟ قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع ، قال فإنى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقتهم عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم ، ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم هو وكثير من الناس ومات فى حياة يوسف ، وأما العزيز فلم يثبت إسلامه (قوله ومات بعد) أى مات العزيز بعد عزله (قوله فزوجه امرأته) أى بعد أن ذهب مالها وعمى بصرها من بكائها على يوسف ، فصارت تتكفف الناس وكان يوسف يركب فى كل أسبوع فى موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه ، فقيل لها لو تعرضت له لعله يسعفك بشىء ، فلما ركب فى موكبه قامت فنادت بأعلى صوتها : سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم ، فقال يوسف ما هذه ؟ فقدمت إليه فعرفها فرق لها وبكى بكاء شديدا ، ثم دعاها للزواج وأمر بها فهيئت ثم زفت إليه فقام يوسف يصلى ويدعو الله وقامت وراءه ، فسأل الله تعالى أن يعيد لها شبابها وجمالها وبصرها ، فرد الله عليها ذلك حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته إكراما له عليه السلام لما عف عن محارم الله ، فأصابها فإذا هى عذراء فعاشا فى أرغد عيش . روى أن الله ألقى فى قلب يوسف محبتها أضعاف ما كان فى قلبها ، فقال لها ما شأنك لا تحبينى كما كنت أول مرة ؟ فقالت لما ذقت محبة الله شغلنى ذلك عن كل شىء (قوله ولدين) أى وبنتا (قوله ودانت له الرقاب) أى خضعت له الناس (قوله نصيب برحمتنا من نشاء) أى نخص بنعمتنا من أردنا (قوله ولا نضيع أجر المحسنين) أى بل نضاعفه لهم (قوله ولأجر الآخرة خير) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وقوله وكانوا يتقون : أى يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهى (قوله ودخلت سنو القحط الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله وجاء إخوة يوسف مرتب على محذوف أى سبب مجيئهم أنه لما فرغت سنو الخصب وأتت سنو القحط والجدب واحتاجت الناس للطعام فبلغ يعقوب أن بمصر ملكا يبيع الطعام للمحتاجين فبعثهم ليبتاعوا منه

ومات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) من أجر الدنيا (لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام (وجاء

(قوله وجاء إخوة يوسف) أى وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالغربات من أرض فلسطين وهى ثغور الشام وكانوا أهل بادية وإبل وشياه ، وحكمة ذهاب العشرة جميعا أنه بلغهم أن الملك لايزيد الواحد عن حمل بعير قصدا للعدل بين الناس فغرضهم بذلك أن تكون الأحمال عشرة (قوله ليمتاروا) أى ليحملوا الميرة وهى الطعام المجلوب من بلد آخر (قوله لبعد عهدهم به) قال أبو صالح عن ابن عباس كان بين أن ألقوه فى الجب و بين دخولهم عليه اثنتان وعشرون سنة فلذا أنكروه ولأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملوك وزى الملوك (قوله فقالوا للميرة) أى لأخذها (قوله لعلكم عيون) أى جواسيس تطلعون على عوراتنا ويخبرون بها أعداءنا (قوله ولما جهزهم بجهازهم) أى هيأ لهم الطعام وأكرمهم فى النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم مايحتاجون إليه فى سفرهم (قوله قال ائتونى بأخ لكم) أى إن كنتم صادقين فى ذلك فأنا أكتفى منكم بذلك قالوا إن أبانا يحزن لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى به فاقترعوا فيما بينهم فأصابت

القرعة شمعون فخلفوه عنده

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ) إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطى الطعام بثمنه (فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ) أنهم إخوته (وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) لا يعرفونه لبُعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ما أقدمكم بلادى؟ فقالوا : للميرة . فقال : لعلكم عيون قالوا : معاذ الله . قال : فمن أين أنتم؟ قالوا : من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبى الله . قال : وله أولاد غيركم؟ قالوا : نعم كنا اثنى عشر فذهب أصغرنا هلك فى البرية وكان أحبنا إليه وبقى شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فأمر بانزالهم وإكرامهم (وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ) وفى لهم كيلهم (قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) أى بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) أتمه من غير بخس (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ . فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي) أى ميرة (وَلَا تَقْرَبُونِ) نهى أو عطف على محل فلا كيل أى تحرموا ولا تقربوا (وَقَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) سنجتهد فى طلبه منه (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) ذلك (وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ) وفى قراءة لفتيانه : غلمانه (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ) التى أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم (فِي رِحَالِهِمْ) أوعيتهم (لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ) وفرغوا أوعيتهم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلينا لأنهم لايستحلون إمساكها (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ) إن لم ترسل أخانا إليه (فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ)

وقوله بأخ لكم إنما لم يقل بأخيكم زيادة فى الابهام عليهم وذلك للفرق بين قولك رأيت غلامك وغلاما لك فان الأول يقتضى أن عندك به نوع معرفة دون الثانى (قوله ألا ترون الخ) غرضه بذلك الترغيب فى العود مرة أخرى (قوله وأنا خير المنزلين) أى خير من يكرم الضيفان (قوله فلا كيل لكم عندى) أى إذا عدتم مرة أخرى (قوله أى ميرة) أشار بذلك إلى أن المراد بالكيل المكيل (قوله نهى) أى والفعل مجزوم بحذف النون وحذفت ياء المتكلم تخفيفا وهذه النون للوقاية (قوله أو عطف على محل فلا كيل) أى وهو الجزم لأنه جواب الشرط وحينئذ فلا نافية ونون الرفع محذوفة للجازم على كل حال وعليه فيكون المعنى فلا كيل ولا قرب (قوله وإنا لفاعلون ذلك) أى المراودة والاجتهاد (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وكل من فتيته وفتيانه جمع لفتى لكن الأول جمع قلة والثانى جمع كثرة (قوله اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أى فقد وكل بكل رحل واحدا من غلمانه يضع فيه ثمن الطعام الذى فى هذا الرحل (قوله وكانت دراهم) وقيل كانت نعالا وجلودا والأقرب الأول لأن شأن الدراهم أن تخفى ولاشك أنهم لم يعلموا بها إلا عند تفريغ أوعيتهم (قوله لأنهم لايستحلون إمساكها) أى لأن دياناتهم وأماناتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها لأنهم مطهرون من أكل مالايحل لهم ، وقيل قصد يوسف بذلك مواساة أبيه وإخوته خوفا أن لا يكون عندهم شىء من المال . وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه ليكون ذلك باعثا لهم على الرجوع ، وقيل رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤما ، وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لايلحقهم فيه منة ولا عيب (قوله فلما رجعوا) أى التسعة

لما تقدم أنه أخذ شمعون رهينة على أن يأتوه ببنيامين (قوله منع منا الكيل) أى بعد هذه المرة

(قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وأصل نكتل نكتيل تحرك الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله هل آمنكم) الاستفهام إنكارى ولذا فسر هل بما ، والمعنى كيف آمنكم على ولدى بنيامين قد فعلتم بأخيه يوسف مافعلتم و إنكم ذكرتم مثل هذا فى شأن يوسف حيث قلتم : وإنا له لحافظون ، فلما لم يحصل الحفظ هناك فكيف آمنكم هنا (قوله إلا كما أمنتكم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف والتقدير إلا ائتمانا مثل ائتمانى لكم على أخيه الخ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تمييز) أى على كل من القراءتين (قوله فأرجو أن يمن بحفظه) أى ولا يجمع على مصيبتين . قال كعب الأحبار لما قال يعقوب ذلك قال الله له لأردن عليك كليهما حيث توكلت على واستحفظتنى عليه (قوله ولما فتحوا متاعهم) أى بحضرة أبيهم (قوله وجدوا بضاعتهم) أى وهى ثمن الميرة (قوله أعظم من هذا) ورد أنهم قد كانوا ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم وحثوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم فلما وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا أى شىء نطلب بعد هذا الاكرام أوفى لنا الكيل ورد لنا

الثمن ، لوكان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب إذا رجعتم إلى مصر فأقرئوه منى السلام وقولوا له إن أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا (قوله ونزداد كيل بعير) أى على أحمالنا (قوله لتأتننى به) هذا هو جواب القسم (قوله إلا أن يحاط بكم) استثناء من عموم الأحوال والتقدير لتأتننى به فى كل حال إلا حال الاحاطة بكم (قوله فلما آتوه موثقهم) أى بقولهم بالله رب محمد لنأتينك به. والموثق العهد المؤكد باليمين (قوله من أبواب متفرقة) أى وكانت أبواب مصر إذ ذاك أربعة (قوله لئلا تصيبكم العين) إنما خاف عليهم العين لكمالهم وجمالهم وقوتهم واشتهارهم بين أهل مصر بإكرام الملك لهم واحترامهم فأمرهم بالتفرق من ليسلموا من إصابة العين فإنها كما قال أهل السنة سبب عادى للضرر كالسم والسيف يوجد الضرر عندها لابها وقالت الفلاسفة إن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعيون فيهلك أو يفسد فأثبتوا للعين تأثيرا بنفسها وهو كلام باطل واعتقاده كفر ، وأعظم نافع فى الرقى من العين سورتا المعوذتين (قوله من الله) أى من قضائه (قوله وإنما ذلك) أى القول (قوله شفقة) أى رأفة بكم . إن قلت لم أمرهم بذلك فى هذه المرة ولم يأمرهم فى المرة الأولى . أجيب بجوابين الأول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه فخاف عليهم من أجل كونه معهم والثانى أنهم اشتهروا فى مصر بأنهم أولاد رجل واحد وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة بخلاف المرة الأولى (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى واعتمدت عليه لاعلى ما أمرتكم به لأن الأخذ فى الأسباب مع التوكل أفضل من ترك الأسباب (قوله ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) اختلف فى جواب لما فقيل هو قوله ما كان يغنى الخ والمعنى أن دخولهم من أبواب متفرقة لايدفع عنهم مما قدره الله شيئا بل الدخول متفرقا كالدخول مجتمعا بالنسبة لقضاء الله وقيل هو قوله آوى

بالنون والياء (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . قَالَ هَلْ) ما (آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ) يوسف (مِنْ قَبْلُ) وقد فعلتم به ما فعلتم (فَاللهُ خَيْرٌ حِفْظاً) وفى قراءة حافظاً تمييز كقولهم لله دره فارساً (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فأرجو أن يمن بحفظه (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي) ما استفهامية أى أىُّ شىء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم (هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) نأتى بالميرة لهم وهى الطعام (وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) لأخينا (ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) سهل على الملك لسخائه (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً) عهداً (مِنَ اللهِ) بأن تحلفوا (لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) بذلك (قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ) نحن وأنتم (وَكِيلٌ) شهيد وأرسله معهم (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا) مصر (مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) لئلا تصيبكم العين (وَمَا أُغْنِي) أدفع (عَنْكُمْ) بقولى ذلك (مِنَ اللهِ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) قدّره عليكم وإنما ذلك شفقة (إِنِ) ما (الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّٰهِ) وحده (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) به وثقت (وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) قال تعالى (وَلَمَّا دَخَلُوا،

إليه أخاه وهو جواب لما الثانية أيضا لأن المقصود بدخول المدينة الدخول على يوسف والمقصود به إيواء الأخ فلما الثانية مرتبة على لما الأولى فصلح أن يكون جوابهما واحدا (قوله من حيث أمرهم أبوهم) أي من أبواب متفرقة (قوله ما كان يغني) أي يدفع عنهم التفرق ففاعل يغني ضمير يعود على التفرق (قوله إلا حاجة) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن، والمعنى لم يكن تفرقهم دافعا عنهم من قدر الله شيئا لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي دفع العين عنهم التي كانت تصيبهم عند دخولهم مجتمعين فإن التفرق في الدخول دفعها بإرادة الله (قوله لتعليمنا إياه) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله ولما دخلوا على يوسف) أي منزله ومحل حكمه وهذا الدخول غير الدخول السابق فإن المراد به دخول المدينة قال المفسرون لما دخلوا عليه قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فأنا أجلسه معي فأخذه فأجلسه معه على المائدة وجعل يواكله فلما دخل الليل أمر لهم بمثل ذلك من الفرش وقال كل اثنين ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فقام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم إني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فأنا أضمه إلي فيكون معي في منزلي ثم إنه أنزلهم وأجرى لهم الطعام فقال روبيل ما رأينا مثل هذا فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال فهل لك من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك من أخ لأم قال كان لي أخ هلك قال يوسف أتحب أن أكون أنا أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال إني أنا أخوك الخ وقال كعب لما قال له يوسف إني أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك إلى ما لا يحمد فقال لا أبالي افعل ما بدا لك فإني لا أفارقك قال يوسف فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة لأحتال في ردك بعد إطلاقك قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى فلما جهزهم الخ (قوله فلما جهزهم) عبر هنا بالفاء إشارة إلى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم بخلاف المرة الأولى فإن المطلوب طول إقامتهم ليتعرف حالهم (قوله هي صاع من ذهب) وكان يشرب فيه الملك فسمي سقاية باعتبار أول حاله وصاعا باعتبار آخر أمره لأن الصاع آلة الكيل (قوله مرصع بالجواهر) أي مزين ومحلى بها (قوله بعد انفصالهم عن مجلس يوسف) أي خروجهم وسيرهم بل قيل إنهم وصلوا إلى بلبيس وردوا من عندها (قوله أيتها العير) هي في الأصل كل ما يحمل عليه من إبل وحمير ويقال أطلقت وأريد أصحابها فهو مجاز علاقته المجاورة (قوله وأقبلوا) قدر المفسر قد إشارة إلى أن الجملة حالية والمعنى أنهم التفتوا إليهم وخاطبوهم بما ذكر (قوله ماذا تفقدون) أي أي شيء ضاع منكم (قوله صواع الملك) أي آلة كيله وإنما اتخذ آلة كيل لعزة ما يكال به في ذلك الوقت وفيه قراآت كثيرة السبعية منها واحدة وهي صواع وما عداها شاذ (قوله حمل بعير) أي جعلا له (قوله قالوا تالله الخ) إنما قالوا ذلك لما ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم حيث كانوا مواظبين على الطاعات والخيرات حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم لئلا تأكل شيئا من أموال الناس (قوله لقد علمتم) اللام موطئة لقسم

مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) أي متفرقين (مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ) أي قضائه (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ إِلَّا) لكن (حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا) وهي إرادة دفع العين شفقة (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) لتعليمنا إياه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَعْلَمُونَ) إلهام الله لأصفيائه (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى) ضم (إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ) تحزن (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ) هي صاع من ذهب مرصع بالجواهر (فِي رَحْلِ أَخِيهِ) بنيامين (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) القافلة (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَ) قد (أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا) ما الذي (تَفْقِدُونَ) ه (قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ) صاع (الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) من الطعام (وَأَنَا بِهِ) بالحمل (زَعِيمٌ) كفيل (قَالُوا تَاللَّهِ) قسم فيه معنى التعجب (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) ما سرقنا قط (قَالُوا) أي المؤذن وأصحابه (فَمَا جَزَاؤُهُ) أي السارق (إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) في قولكم: ما كنا سارقين،

محذوف تأكيد لما قبله (قوله ووجد فيكم) الجملة حالية، والمعنى ما جزاؤه إن كنتم صادقين فى قولكم والحال أنه ظهر خلاف ما قلتم (قوله خبره من وجد) أى فمن اسم موصول ووجد صلتها والكلام على حذف مضاف أى استرقاق من وجد أشار له المفسر بقوله يسترق (قوله وكانت سنة آل يعقوب) أى طريقتهم وشريعتهم يسترق السارق سنة (قوله كذلك الجزاء) أى المذكور وهو استرقاق السارق (قوله فصرفوا) أى ردوا من المكان الذى لحقهم فيه جماعة الملك (قوله فبدأ بأوعيتهم) أى فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه ثم بعد فراغه منه يستغفر الله مما قذفهم به إلى أن وصل إلى رحل بنيامين فقال: ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه (قوله ثم استخرجها من وعاء أخيه) أى فلما أخرجها منه نكس الاخوة رءوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له فضحتنا وسودت وجوهنا يابنى راحيل مازال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه فى البرية إن الذى وضع هذا الصواع فى رحلى هو الذى وضع البضاعة فى رحالكم (قوله كذلك الكيد) أى الحيلة وهى استفتاء يوسف من إخوته (قوله كدنا ليوسف) أى ألهمناه أن يضع الصاع فى رحل أخيه ليضمه إليه على ماحكم به إخوته (قوله علمنا الاحتيال الخ) أى فما وقع من يوسف فى تلك الواقعة بوحى من الله تعالى وحينئذ فلا يقال كيف نادى على إخوته بالسرقة واتهمهم بها مع أنهم بريئون (قوله لأن جزاءه عنده الضرب الخ) أى وهذه الطريقة لا توصله إلى أخذ أخيه (قوله مثلى المسروق) أى مثلى قيمته (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء منقطع والمعنى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك ولكن أخذه بشريعة يعقوب لمشيئة الله لأخذه إذ لو شاء عدم أخذه لما علمه تلك الحيلة (قوله بحكم أبيه) أى شريعته (قوله بالاضافة والتنوين) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفوق) خبر مقدم وعليم مبتدأ مؤخر، والمعنى أن إخوة يوسف وإن كانوا علماء إلا أن الله جعل يوسف فوقهم فى العلم بل فضله عليهم بمزايا عظيمة منها الرسالة والملك والانعام عليهم وغير ذلك (قوله قالوا إن يسرق الخ) سبب هذه المقالة أنه لما خرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رءوسهم فقالوا تبرئة لساحتهم إن يسرق الخ وأتوا بإن المفيدة للشك لأنه ليس عندهم تحقق سرقته بمجرد إخراج الصاع من رحله وبالمضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وكان سرق لأبى أمه صنما الخ) هذا أحد أقوال فى السرقة التى نسبوها له، وقيل جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها للسائل وقيل أخذ دجاجة من الطير التى كانت فى بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقيل كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقيل لم يسرق أصلا لا ظاهرا ولا باطنا وإنما كانت تهمة فقط وذلك أن عمته حضنته بعد موت أمه فأحبته حبا شديدا، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه فقال لأخته يا أختاه سلمى إلىّ يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال والله ما أنا بتاركه عندك فقالت دعه عندى أياما أنظر إليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فعمدت إلى منطقة كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد إسحق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة إسحاق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقال يعقوب إن كان فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى مات.

ووجد فيكم (قَالُوا جَزَاؤُهُ) مبتدأ خبره (مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ) يسترق ثم أكد بقوله (فَهُوَ) أى السارق (جَزَاؤُهُ) أى المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب (كَذَلِكَ) الجزاء (نَجْزِي الظَّالِمِينَ) بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش أوعيتهم (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ) ففتشها (قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) لئلا يتهم (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا) أى السقاية (مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ) قال تعالى (كَذَلِكَ) الكيد (كِدْنَا لِيُوسُفَ) علمناه الاحتيال فى أخذ أخيه (مَا كَانَ) يوسف (لِيَأْخُذَ أَخَاهُ) رقيقا عن السرقة (فِي دِينِ الْمَلِكِ) حكم ملك مصر لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلى المسروق لا الاسترقاق (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أخذه بحكم أبيه أى لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) بالإضافة والتنوين فى العلم كيوسف (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ) من المخلوقين (عَلِيمٌ) أعلم منه حتى ينتهى إلى الله تعالى. (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) أى يوسف وكان سرق لأبى أمه صنما من ذهب فكسره،

لئلا

لئلا يعبده (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا) يظهرها (لَهُمْ) والضمير للكلمة التى فى قوله (قَالَ) فى نفسه (أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا) من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) عالم (بِمَا تَصِفُونَ) تذكرون فى أمره (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا) يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه (فَخُذْ أَحَدَنَا) استعبده (مَكَانَهُ) بدلاً منه (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) فى أفعالك (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أى نعوذ بالله من (أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ) لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب (إِنَّا إِذًا) إن أخذنا غيره (لَّظَالِمُونَ. فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا) يئسوا (مِنْهُ خَلَصُوا) اعتزلوا (نَجِيًّا) مصدر يصلح للواحد وغيره أى يناجي بعضهم بعضاً (قَالَ كَبِيرُهُمْ) سناً روبيل، أو رأياً يهوذا (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا) عهداً (مِّنَ اللَّهِ) فى أخيكم (وَمِن قَبْلُ مَا) زائدة (فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ) وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل (فَلَنْ أَبْرَحَ) أفارق (الْأَرْضَ) أرض مصر (حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالعود إليه (أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي) بخلاص أخى (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أعدلهم (ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا)،

(قوله لئلا يعبده) أى يدوم على عبادته (قوله والضمير للكلمة الخ) أى فهو عائد على متأخر لفظاً ورتبة وحينئذ يكون فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير قال أنتم شر مكاناً وأسرّها فى نفسه وهذا أحد قولين وقيل إنه عائد على قوله فقد سرق أخ له من قبل، ومعنى قوله أسرّها لم يرد لها جواباً (قوله أنتم شرّ مكاناً) أى منزلة والمعنى أن ماظهرتم به شر مما ظهر به يوسف وأخوه فإنهما اتهما بالسرقة ظاهراً وأنتم سرقتم يوسف من أبيه وفعلتم به مافعلتم (قوله لسرقتكم أخاكم من أبيكم) أى وهو يوسف (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه إذ لامشاركة بين الحادث والقديم (قوله قالوا يا أيها العزيز الخ) سبب هذه المقالة أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين غضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان إذا صاح ألقت كل حامل حملها إذا سمعت صوته وكان مع ذلك إذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدّهم، وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب فقال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ قالوا عشرة قال اكفونى أنتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفونى أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردنّ علينا أخانا أو لأصيحنّ صيحة لايبقى بمصر امرأة حامل إلا وضعت حملها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن صغير له: قم إلى جنب هذا فمسه أوخذ بيده فأتى له، فلما مسه سكن غضبه فقال لإخوته من مسنى منكم؟ فقالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل إن هنا بذرا من بذر يعقوب فغضب ثانيا فقام يوسف إليه فوكزه برجله وأخذ بدا من بديه فوقع على الأرض وقال لهم: أنتم يامعشر العبرانيين تزعمون أن لاأحد أشد منكم، فلما رأوا مانزل بهم ورأوا أن لاسبيل إلى الخلاص خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز الخ (قوله كبيرا) أى فى السنّ أو القدر لأنه نبى من أولاد الأنبياء (قوله استعبده) أى استرقه (قوله مكانه) منصوب على الظرفية أوضمن خذ معنى اجعل فمكانه مفعول ثان (قوله من المحسنين) أى فى أفعالك وإلينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة وغيرذلك (قوله إنا إذا لظالمون) أى فى أخذ أحدكم مكانه (قوله يئسوا) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله اعتزلوا) أى مجلس الملك (قوله نجيا) هوحال والمعنى خلصوا حال كونهم متناجين ومتشاورين فى أمر هذه القضية (قوله فى أخيكم) أى فى ردّه (قوله ما زائدة) أى والجار والمجرور متعلق بفرطتم (قوله وقيل ما مصدرية مبتدأ) أى وهى ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ فالمبتدأ فى الحقيقة المصدر المنسبك والمعنى وتفريطكم كائن من قبل تفريطكم فى بنيامين. واعترض هذا الاعراب بأن الظروف المنقطعة عن الاضافة لاتقع خبرا. ويجاب بأن محل ذلك مالم يتعين المضاف إليه كما هنا (قوله فلن أبرح الأرض) أشار بذلك إلى أن أبرح ضمنت معنى أفارق فالأرض مفعول به وأبرح تامة (قوله أو يحكم الله) إما معطوف على يأذن أو منصوب بأن مضمرة فى جواب النفى كأنه قال فلن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله كقولهم لألزمنك أو تقضينى حقى أى إلا أن تقضينى حقى (قوله فقولوا يا أبانا الخ) إنما أمرهم بذلك لتزول التهمة عنهم عند أبيهم

(قوله إن ابنك سرق) إنما نسبوه للسرقة لأنهم شاهدوا الصواع قد أخرج من متاعه فغلب على ظنهم أنه سرق ، فلذلك نسبوه إلى السرقة فى ظاهر الحال لا فى الحقيقة (قوله وما كنا للغيب حافظين) أى وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق وتصاب به كما أصبت بيوسف (قوله أى أرسل إلى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وكذا فى قوله والعير (قوله وهم قوم من كنعان) أى وكانوا جيرانا ليعقوب (قوله وإنا لصادقون) أى سواء نسبتنا إلى التهمة أم لا وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم بهذه المقالة لأن دعوى الخصم لاتثبت بنفسها (قوله فرجعوا) أى القسمة وقدره إشارة إلى أن قوله قال بل سوّلت الخ مرتب على محذوف (قوله فصبر جميل) خبر لمبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله صبرى ، وتقدم أن الصبر الجميل هو الذى لاشكوى معه لمخلوق ولاجزع من فعل الخالق ولذلك فوّض أمره لله ولم يسأل العير ولم يرسل يستخبر من القرية التى كانوا فيها بل استسلم للقضاء ولم يقطع الرجاء (قوله عسى الله أن يأتينى بهم) إنما قال ذلك لأنه لما طال حزنه واشتد كربه علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا لأنه إذا اشتد الكرب كان إلى الفرج أسرع وقيل إن يعقوب أطلعه الله على باطن الأمر وأن أولاده أحياء لم يصابوا بشىء وأنه سيجتمع عليهم غير أنه أمر بكتم ذلك فلوّح بتلك الاشارة إلى ما علمه (قوله وأخويه) أى بنيامين وكبيرهم (قوله الحكيم فى صنعه) أى لأنه يضع الأشياء فى محالها (قوله وتولى عنهم) مرتب على ما ذكروه له (قوله الألف بدل من ياء الاضافة) أى والأصل يا أسفى بكسر الفاء وفتح الياء قلبت الكسرة فتحة ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فيقال فى إعرابها أسفى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا (قوله على يوسف) إنما تجدد حزنه على يوسف عند إخباره بواقعة بنيامين لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن وليس فى هذا إظهار جزع بل هو شكوى لله لا للخلق فمعنى يا أسفى أشكو إلى الله شدة حزنى فلا ينافى قوله فصبر جميل (قوله وابيضت عيناه) قيل معناه عمى فلم يبصر شيئا ست سنين وهذا بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ واشتهار الأمر وقيل معناه ضعف بصره من كثرة البكاء واتصال الدمع بعضه ببعض ولم يكن عمى حقيقة بل من كثرة البكاء صار على إنسان العين غشاوة مانعة له من النظر ولم يذهب أصلا وهذا هو الأقرب (قوله فهو كظيم) أى مكظوم ممتلىء من الحزن ممسك عليه لايذكره لأحد قال قتادة : الكظيم الذى يرد حزنه فى جوفه ولم يقل إلا خيرا (قوله قالوا تالله) أى تسلية له على ما نزل به من الحزن العظيم . إن قلت كيف حلفوا على شىء لايعلمون حقيقته . أجيب بأنهم حلفوا على غلبة الظن وهى بمنزلة اليقين فهو من لغو اليمين الذى لايؤاخذ به العبد (قوله تفتؤا تذكر يوسف الخ) إنما قدر المفسر لا لأن القسم المثبت جوابه مؤكد بالنون أو اللام عند الكوفيين أو بهما عند البصريين فلما رأينا الجواب هنا خاليا منهما علمنا أن القسم على النفى بمعنى أن جوابه منفى لامثبت فلو قيل والله أحبك كان المراد لا أحبك وهو من قبيل التورية ومن ذلك إذا قال والله أجيئك غدا فيحنث بالمجىء بخلاف ما إذا قال لأجيئنك فيحنث بعدمه (قوله حتى تكون حرضا) هو من باب تعب يقال حرض حرضا أشرف على الهلاك (قوله وغيره) أى المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث .

إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا) عليه (إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) تيقنا من مشاهدة الصاع فى رحله (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ) لما غاب عنا حين إعطاء الموثق (حَافِظِينَ) ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) هى مصر أى أرسل إلى أهلها فاسألهم (وَالْعِيرَ) أى أصحاب العير (الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) وهم قوم من كنعان (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فى قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ) زينت (لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) ففعلتموه اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) صبرى (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ) بيوسف وأخويه (جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بحالى (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) تاركا خطابهم (وَقَالَ يَا أَسَفَى) الألف بدل من ياء الإضافة أى يا حزنى (عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ) انمحق سوادهما وبدل بياضا من بكائه (مِنَ الْحُزْنِ) عليه (فَهُوَ كَظِيمٌ) مغموم مكروب لا يظهر كربه (قَالُوا تَاللَّهِ) لا (تَفْتَؤُا) تزال (تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا) مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد وغيره (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) الموتى ،

(قال)

(قَالَ) لهم (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي) هو عظيم الحزن الذى لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس (وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ) لا إلى غيره فهو الذى تنفع الشكوى إليه (وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) من أن رؤيا يوسف صدق وهو حى ثم قال (يَا بَنِيَّ ٱذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ) اطلبوا خبرهما (وَلاَ تَيْأَسُوا) تقنطوا (مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ) رحمته (إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ) فانطلقوا نحو مصر ليوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ) الجوع (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا أو غيرها (فَأَوْفِ) أتم (لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ) يثيبهم، فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم (قَالَ) لهم توبيخا (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ) من الضرب والبيع وغير ذلك (وَأَخِيهِ)

(قوله قال لهم) أى جوابا لقولهم (قوله إنما أشكو بثى) البث تفريق الحزن و إظهاره لأن الانسان إذا ستر الحزن وكتمه كان هما و إذا ذكره لغيره كان بثا فالبث أشد الحزن وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام لما ورد أنه كان ليعقوب شخص مؤاخ له فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذى أذهب بصرك، وما الذى قوس ظهرك؟ قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف، وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال له يا يعقوب إن الله يقرئك السلام و يقول لك أما تستحى أن تشكو إلى غيرى؟ فقال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله، فقال جبريل الله أعلم بما تشكو، و إنما عوتب يعقوب بهذا لأن حسنات الأبرار سيئات للمقربين لأن العتاب على قدر الرتبة (قوله وأعلم من الله مالا تعلمون) أى من رحمته و إحسانه (قوله وهو حى) أى لما روى أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابنى يوسف قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته (قوله يا بنى اذهبوا الخ) سبب تلك المقالة أن أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر وكمال حاله فى جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يا بنى الخ (قوله فتحسسوا) هو بالحاء المهملة طلب الخبر بالحاسة والتجسس بمعناه، روى أن يعقوب حين أمر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه كتب لهم كتابا إلى يوسف لما حبس عنده بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر، أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء، أما جدى إبراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فصبر لأمر الله، وأما عمى إسماعيل فابتلى بالغربة فى صغره فصبر لأمر الله، وأما أبى إسحاق فابتلى بالذبح ووضع السكين على قفاه ففداه الله، وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه فكنت أتسلى به و إنك حبسته وزعمت أنه سرق و إنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته إلى و إلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاؤه وقل صبره وأظهر نفسه لاخوته (قوله وأخيه) لم يقل وأخويه لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر فلم يخف عليه حاله (قوله اطلبوا خبرهما) أى بالحاسة كما أن التجسس طلب الخبر بالحاسة أيضا فهما بمعنى واحد ولذا قرئ هنا بالجيم شذوذا (قوله من روح الله) بالفتح مصدر بمعنى الرحمة وهو فى الأصل استراحة القلب من غمه والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله (قوله فانطلقوا نحو مصر) قدره إشارة إلى أن قوله فلما دخلوا عليه مرتب على محذوف (قوله مدفوعة) أى مردودة (قوله وكانت دراهم زيوفا) أى معيبة (قوله أو غيرها) أو لتنويع الخلاف فقيل كانت نعالا وقيل صوفا (قوله فأوف لنا الكيل) أى أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد فانا نريد أن تقيم لنا الناقص مقام الزائد (قوله بالمسامحة) وقيل برد أخينا بنيامين. إن قلت إن ما فعلوه خلاف ما أمرهم به أبوهم من التحسس من يوسف وأخيه. أجيب بأن أبواب التحسس كثيرة وهذا منها لأن الاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب فان كان يوسف فسيظهر لهم حاله لحصول الرقة والعطف منه لهم و إن كان غيره فلا يرق ولا يعطف (قوله ورفع الحجاب الخ) قيل هو اللثام الذى كان يتلثم به وقيل هو الستر الذى كان يكلمهم من خلفه وقيل هو تاج الملك الذى كان يضعه على رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولإسحاق مثلها ولسارة مثلها فعرفوها (قوله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أى هل علمتم عاقبة ما فعلتم بهما من تسليم الله إياهما من كل مكروه و إنعام الله عليهما بتلك النعم العظيمة

(قوله من هضمكم له) أى ظلمكم وإذايتكم له (قوله إذ أنتم جاهلون) أى وقت جهلكم بعاقبة أمرهما (قوله من شمائله) أى أخلاقه (قوله وإدخال ألف بينهما الخ) أى فالقراآت أربع التحقيق والتسهيل للثانية مع الألف بينهما وبدونها و فى قراءة خامسة سبعية أيضا وهى إنك بهمزة واحدة (قوله قال أنا يوسف) إنما عرض باسمه تعظيما لما نزل به من ظلم إخوته ولما عوضه الله من النصر والملك (قوله إنه من يتق) بإثبات الياء وصلا ووقفا و بحذفها فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الاثبات تكون من موصولة والفعل صلتها وعلى الحذف تكون شرطية والفعل مجزوم بحذفها (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى والأصل لا يضيع أجرهم (قوله وغيره) أى كالصبر والصفح والحلم (قوله لخاطئين) يقال خطىء إذا كان عن عمد وأخطأ إذا لم يكن عن عمد ولذا عبر بخاطئين دون مخطئين (قوله قال لا تثريب) اى لا توبيخ ولا لوم عليكم (قوله اليوم) خبر ثان أو متعلق بالخبر فالوقف عليه وهو الأقرب ولذا مشى عليه المفسر وقوله يغفر الله لكم استئناف و يصح أن يكون ظرفا لقوله يغفر فالوقف على قوله عليكم (قوله يغفر الله لكم) الجملة دعائية (قوله وهو أرحم الراحمين) أى يقبل التوبة و يعفو عن المذنبين ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه قالوا له إنك تدعونا بكرة وعشيا إلى الطعام ونحن نستحى منك لما تقدم منا فقال إن أهل مصر كانوا ينظرون إلى بعين العبودية و يقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت

من هضمكم له بعد فراق أخيه (إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) ما يؤول إليه أمر يوسف (قَالُوا) بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين (أَئِنَّكَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين (لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ) أنعم (اللّٰهُ عَلَيْنَا) بالاجتماع (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ) يخف الله (وَيَصْبِرْ) على ما يناله (فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ) فضلك (اللّٰهُ عَلَيْنَا) بالملك وغيره (وَإِنْ) مخففة أى إنا (كُنَّا لَخَاطِئِينَ) آثمين فى أمرك فأذللنا لك (قَالَ لَا تَثْرِيبَ) عتب (عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى (يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا) وهو قميص إبراهيم الذى لبسه حين ألقى فى النار كان فى عنقه فى الجب وهو من الجنة أمره جبريل بارساله وقال إن فيه ريحها ولا يلقى على مبتلى إلا عوفى (فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ) يصر (بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ . وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) خرجت عن عريش مصر (قَالَ أَبُوهُمْ) لمن حضر من بنيه وأولادهم (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) ،

فى عيونهم حيث علموا أنكم إخوتى وأنى من حفدة إبراهيم عليه السلام (قوله وسألهم عن أبيه) أى حين وقع التعارف وهو تمهيد لقوله اذهبوا بقميصى (قوله وهو قميص إبراهيم الذى لبسه حين ألقى فى النار) أى لأنه لما ألقى فيها عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات ورثه إسحاق فلما مات ورثه يعقوب وجعله فى قصبة من فضة وسد رأسها وعلقها فى عنق يوسف حفظا من العين فلما ألقى فى الجب عريانا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص من القصبة وألبسه إياه (قوله وقال) أى جبريل أو صلته (قوله يأت بصيرا) يحتمل أن يأت بمعنى يصير فبصيرا مفعول ثان وهو الذى درج عليه المفسر و يحتمل أنها بمعنى يجىء فبصيرا حال (قوله بأهلكم أجمعين) أى وكانوا اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة وقيل ثلاثا وسبعين فأرسل لهم مائتى راحلة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة و بضعة وسبعين رجلا سوى الذرارى والضعفاء وكانت الذرية إذ ذاك ألف ألف ومائتى ألف فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد فى تلك المدة اليسيرة لأنه كان بين يعقوب وموسى أربعمائة سنة (قوله خرجت من عريش مصر) أى متوجهة إلى أرض كنعان والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأول بلاد الشام وما ذكره المفسر أحد قولين والآخر أن المراد خرجت من نفس مصر (قوله لمن حضر من بنيه وأولادهم الخ) مقتضى هذا أن الأولاد لم يذهبوا جميعا لمصر بل بقى بعضهم وقال غيره إن الأولاد ذهبوا جميعا وهذا الخطاب لأولادهم (قوله إنى لأجد ريح يوسف) أى ريح الجنة من قميص يوسف فالاضافة لأدنى ملابسة وفى هذا دليل على أن كل سهل فهو فى مدة المحنة صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل حيث وصل إليه ريح القميص من المكان البعيد عند انقضاء مدة الفراق ومنع من وصول خبره إليه مع قرب احدى البلدتين من الأخرى فى تلك المدة العظيمة ، ومن ذلك قول العارف ابن الفارض رضى الله عنه :

أعوام إقباله كاليوم فى قصر   ويوم إعراضه فى الطول كالحجج   (قوله أوصلته إليه الصبا) هى ريح تهب من مطالع الشمس . إن قلت إن ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر إلى الشام فاذا كانت تقابله فكيف تحمل الريح من القميص الذى معه إلى جهة الشام فمقتضى العادة أن التى حملت هى الدبور لأنها هى التى تذهب من جهة مصر إلى الشام . أجيب بأن هذا خرق عادة أو يقال إن هذا ظاهر إذا كانت حملته لمقابلتها فقط ، وأما ماحصل فقد فاح شذاه على جميع الدنيا ولذا قال مجاهد : هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة فى الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة من ذلك القميص وحينئذ فحمل الصبا لريحه ظاهر لأنها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط بل حملته لأهل الدنيا ، وقد بالغ الناس فى مدح الصبا حتى قال بعض الحكماء : لو توالت على الأرض سبعة أيام لأنبتت الزعفران ، وقال بعضهم مادحا لها :

أياجبلى نعمان بالله خليا   نسيم الصبا يخلص إلىّ نسيمها
فانّ الصبا ريح إذا ماتنسمت   على نفس مهموم تجلت همومها
أجد بردها أوتشف منى حرارة   على كبد لم يبق إلا رسومها

(قوله أو أكثر) قيل عشرة وقيل شهر (قوله لولا أن تفندون) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف وجوبا وجواب لولا محذوف أيضا وتقدير الكلام لولا تفنيدكم لى موجود لصدقتمونى ، والتفنيد هو تضعيف الرأى (قوله قالوا) أى من حضر عنده من أولاد بنيه (قوله انى ضلالك القديم) أى من ذكر يوسف وعدم نسيانك إياه لأنه كان عندهم قد مات وهلك (قوله فأحب أن يفرحه) أى فقال لاخوته إنى ذهبت بالقميص ملطخا بالدم فأنا أذهب بهذا القميص فأفرحه كما أحزنته فحمله وخرج به حافيا حاسرا ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه

أوصلته إليه الصبا باذنه تعالى مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) تسفهون لصدقتمونى (قَالُوا) له (تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ) خطئك (الْقَدِيمِ) من إفراطك فى محبته ورجاء لقائه على بُعد العهد (فَلَمَّا أَنْ) زائدة (جَاءَ الْبَشِيرُ) يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه (أَلْقَيهُ) طرح القميص (عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ) رجع (بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ . قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الاجابة أو إلى ليلة الجمعة ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم

وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما وصل إليه علمه فى نظير تلك البشارة كلمات كان ورثها عن أبيه إسحاق وهو عن أبيه إبراهيم وهى : يالطيفا فوق كل لطيف الطف بى فى أمورى كلها كما أحب ورضى فى دنياى وآخرتى (قوله فارتد بصيرا) أى رجع بصره لحالته الأولى (قوله قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالاتعلمون) أى من أمور باطنية لاتعلمونها فأنتم تنظرون للظاهر وأنا أنظر للباطن (قوله قالوا ياأبانا الخ) أى لما ظهر الحق وتبين اعتذروا لأبيهم عما وقع منهم (قوله استغفر لنا) أى اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا (قوله إنا كنا خاطئين) أى آثمين (قوله أخر ذلك إلى السحر) أى فلما انتهى إلى وقت السحر قام إلى الصلاة متوجها إلى الله فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لأولادى ماأتوا إلىّ وإلى أخيهم يوسف فأوحى الله إليه أنى قد غفرت لك ولهم أجمعين (قوله أو إلى ليلة الجمعة) أى وقيل إلى الاجتماع بيوسف ليجتمع معه على الاستغفار والدعاء لهم ويؤيده ماروى أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمّن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال إن الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة ، وهذا إن صحّ فهو دليل على نبوّتهم . ويجاب عما وقع منهم بما مرّ (قوله ثم توجهوا إلى مصر) قال أصحاب الأخبار : لما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر وأخبره بمجىء أبيه وأهله فخرج يوسف فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر إلى الخيل والناس قال يايهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل تمهل حتى يبدأك بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب الأحزان وقيل إنهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا ، وقيل إن يوسف

قال لأبيه يا أبت بكيت عليّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني و بينك وخرج يوسف للقاء أبيه فى أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خز وقصب فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته نظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان مزينة بالألوان فنظر إليهم متعجبا فقال جبريل انظر إلى الهواء فإن الملائكة قد حضرت سرورا بحالك كانوا باكين محزونين مدة لأجلك وهاجت الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت الطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة ، قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء (قوله فلما دخلوا) أى يعقوب وأولاده (قوله فى مضرب به) أى خيمته وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك (قوله آوى إليه أبويه) أى قربهما منه (قوله وأمه) أى على القول بحياتها حينئذ وقوله أوخالته أى واسمها ليا وهذا على القول بموت أمه راحيل ، وقيل المراد بخالته امرأة أخرى غير ليا تزوجها يعقوب بعدها ، وقيل أحيا الله أمه بعد موتها وسجدت له تحقيقا لرؤياه والله أعلم بحقيقة الحال (قوله ادخلوا مصر) هذا الدخول غير الدخول الأول لأن المراد به هنا دخول نفس المدينة ، وأما الأول فالمراد به دخول خيمته خارج البلد (قوله إن شاء الله آمنين) أى من كل مكروه لأن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلايدخلها أحد إلا بجوارهم فقال لهم يوسف (٢٤٢) ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم لأنكم أنتم ملوكها فلاتخافون

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ) فى مضرب به (آوَى) ضم (إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) أباه وأمه أو خالته (وَقَالَ) لهم (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) فدخلوا وجلس يوسف على سريره (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ) أجلسهما معه (عَلَى الْعَرْشِ) السرير (وَخَرُّوا) أى أبواه وإخوته (لَهُ سُجَّدًا) سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم فى ذلك الزمان (وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) إلىّ (إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) لم يقل من الجب تكرما لئلا تخجل إخوته (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) البادية (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ) أفسد (الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بخلقه (الْحَكِيمُ) فى صنعه وأقام عنده أبوه أربعاوعشرين سنة أو سبع عشرة سنة ، وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة ، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة . ولما تم أمره

من أحد (قوله فدخلوا الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله : ورفع أبويه مرتب على محذوف (قوله وخروا له سجدا) يحتمل أن يكون ذلك السجود خارج البلد عند أول اللقاء ويحتمل أنه بعد الدخول وجلوس يوسف وأبويه على السرير (قوله سجود انحناء) أى على عادة تحية الملوك وهذا أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته وهو وضع الجبهة على الأرض ولايشكل على هذا أن حقيقة السجود وعلم لاتكون إلا لله لأنه يقال إن يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود ، وماقيل فى سجود الملائكة لآدم يقال هنا . إن قلت كيف رضى يوسف بسجود أبيه له مع كونه أكبر منه وكان الواجب مراعاة الأدب ؟. أجيب بأن هذا بأمر من الله تحقيقا لرؤيا يوسف لأن رؤيا الأنبياء وحى (قوله هذا) أى السجود (قوله حقا) أى صدقا حيث وجدت وتحققت فى الخارج على طبق مافى النوم (قوله وقد أحسن بى) أى أنعم علىّ (قوله لئلا تخجل إخوته) أى ولأن نعمة الله عليه فى الخروج من السجن كانت سببا لوصوله إلى الملك بخلاف إخراجه من الجب فإنه أعقبها الرق والتهمة والسجن وليس فى ذلك إدخال سرور على أبويه (قوله وجاء بكم من البدو) عطف على أخرجنى ، والمعنى وقد أنعم علىّ وقت إخراجى من السجن ووقت مجيئكم من البدو (قوله إن ربى لطيف) ضمنه معنى مدبر فعداه باللام ، واللطيف معناه الرفيق المحسن (وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة الخ) حاصله أنه اختلف فى مدة فراق يوسف لأبيه فذكر المفسر ثلاثة أقوال ، وقيل اثنان وعشرون ، وقيل ست وثلاثون ، وقيل خمس وثلاثون ، وقيل سبعون ولايعلم الحقيقة إلا الله ، واتفقوا على أن عمر يوسف مائة وعشرون سنة (قوله فوصى يوسف أن يحمله الخ) أى وقد فعل فحمله فى تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت عيصو أخى يعقوب وكانا قد ولدا فى بطن واحد فدفنا فى قبر واحد (قوله ولما تم أمره) أى فى ملكه .

(قوله وعلم أنه) أى الملك (قوله إلى الملك الدائم) أى وهو نعيم الآخرة (قوله فقال) أى طلب الملك الدائم بوفاته على الاسلام وما قبل ذلك فهو ثناء على الله قدم على الدعاء لمراعاة الأدب إشارة إلى أن الانسان ينبغى له إذا أراد أن يدعو يقدم الثناء على الله اعترافا بالنعم ثم بعد ذلك يسأل مطلوبه (قوله من الملك) أى بعضه وهو ملك مصر إذ لم يملك جميع الأقطار إلا أربعة اثنان مسلمان : إسكندر ذوالقرنين وسليمان بن داود ، واثنان كافران بختنصر وشداد بن عاد (قوله فاطر السموات والأرض) يصح أن يكون نعتا لرب أو بدلا أو عطف بيان أو نداء ثانيا (قوله توفنى مسلما) إن قلت كيف يطلب الموت مع أن تمنيه لايجوز . أجيب بأنه علم بالوحى قرب أجله فطلب ما يكون عند الموت وهو اللحوق بالصالحين فمحط طلب الموت على مابعده . إن قلت إن كل نبىّ مقطوع بموته على الاسلام فلم طلب ذلك . أجيب بأن الله تجلى على يوسف بخوف الاجلال فطلب ذلك لأن المعصوم عند ذلك ينسى العصمة (قوله من آبائى) أى إبراهيم و إسحق و يعقوب فالمراد لحوقا خاصا الذى هو أعلى المراتب (قوله ومات) أى وقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعد يوسف مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى عليه السلام وأغرق فرعون وقومه فقطع الله الفراعنة منها وأورثها الله بنى إسرائيل (قوله وتشاح المصريون فى قبره) أى حتى هموا أن يقتتلوا ثم اصطلحوا على أن يدفنوه فى أعلى النيل من جهة الصعيد لتعم بركته الجميع فجعلوه فى صندوق من مرمر وهو نوع من أجود الرخام ودفنوه فى الجانب الأيمن فأخصب وأجدب الجانب الأيسر فنقل له فأخصب وأجدب الجانب الأيمن فدفنوه فى وسط النيل وربطوه بسلسلة فأخصب الجانبان فبقى أربعمائة سنة فلما أمر الله موسى بالخروج من مصر أمره بأخذ يوسف معه ودفنه فى الأرض المقدسة بقرب آبائه فلم يهتد إلى مكانه فدلته

وعلم أنه لايدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تعبير الرؤيا (فَاطِرَ) خالق (السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي) متولى مصالحى (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) من آبائى فعاش بعد ذلك أسبوعا أوأكثر ، ومات وله مائة وعشرون سنة ، وتشاحا المصريون فى قبره فجعلوه فى صندوق من مرمر ودفنوه فى أعلى النيل لتعمّ البركة جانبيه فسبحان من لاانقضاء لملكه (ذٰلِكَ) المذكور من أمر يوسف (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) أخبار ماغاب عنك يامحمد (نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) لدى إخوة يوسف (إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ) فى كيده ، أى عزموا عليه (وَهُمْ يَمْكُرُونَ) به أى لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها و إنما حصل لك علمها من جهة الوحى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ) أى أهل مكة (وَلَوْ حَرَصْتَ) على إيمانهم (بِمُؤْمِنِينَ . وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ) أى القرآن (مِنْ أَجْرٍ) تأخذه (إِنْ) ما (هُوَ) أى القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ. وَكَأَيِّنْ) وكم (مِنْ آيَةٍ) دالة على وحدانية الله (فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) يشاهدونها (وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها ،

عليه عجوز قيل إنها من أولاد يعقوب وشرطت عليه أن تكون معه فى الجنة فضمن لها ذلك وشرطت عليه أيضا أن يدعو لها أن ترجع شابة كلما هرمت فدعا لها فكانت كلما وصلت فى السن خمسين سنة رجعت بنت ثلاثين فعاشت ألفا وستمائة سنة فحمله موسى ودفنه بالأرض المقدسة فهو الآن هناك . وأما إخوته فلم يثبت فى محل دفنهم شىء وماقيل من أنهم مدفونون فى المحل المعروف بالقرافة الكبرى فهو بالظن فقط (قوله المذكور) أى من أمر يوسف وقصته (قوله من أنباء الغيب) أى الأخبار المغيبة التى لم تكن تعلمها قبل الوحى (قوله وما كنت لديهم) كالعلة لقوله من أنباء الغيب ولقوله نوحيه إليك (قوله وهم يمكرون) أى يحتالون فيما دبروه (قوله و إنما حصل لك علمها من جهة الوحى) أى فيكون إخباره بها معجزة لأنه لم يطالع الكتب القديمة ولم يأخذ عن أحد من البشر فاتيانه بتلك القصة العظيمة على أبلغ وجه من غير غلط ولاتحريف غاية الاعجاز (قوله وما أكثر الناس الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله ولو حرصت) هذه الجملة معترضة بين ما وخبرها (قوله وكأين) مبتدأ ومن آية تمييز وهو تسلية أخرى له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تتعجب من إعراضهم عنك فان إعراضهم عن هذا لآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأعجب (قوله كم) أشار بذلك إلى أن كأين بمعنى كم الخبرية التى للتكثير (قوله فى السموات والأرض) صفة لآية وقوله يمرون عليها خبر المبتدإ (قوله وهم عنها معرضون) الجملة حالية

(قوله وما يؤمن أكثرهم بالله) أى وما يعترف أكثرهم بالتوحيد حيث يقولون الله هو الخالق الرازق المعطى المانع وغير ذلك (قوله يعنونها) أى الأصنام بقولهم إلا شريكا هو لك (قوله نقمة تغشاهم) أى عقوبة تشملهم وتحيط بهم (قوله هذه سبيلى) أى طريقى وشريعتى (قوله أدعوا إلى الله) أى أدل الناس على طاعته ودينه (قوله حجة واضحة) أى بها يميز الحق من الباطل (قوله عطف على أنا المبتدإ الخ) أى فأنا مبتدأ ومن اتبعنى عطف عليه وقوله : على بصيرة جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم فالوقف على قوله أدعو إلى الله ويكون فى المقام جملتان الأولى تنتهى لقوله أدعوا إلى الله والثانية مبدؤها قوله على بصيرة الخ وهذا ماجرى عليه المفسر فى الاعراب (قوله من جملة سبيله) راجع لقوله وسبحان الله وما أنا من المشركين فهما معطوفان على قوله ادعوا إلى الله كأنه قال شريعتى أدعوا إلى الله وأسبح الله وكونى لست من المشركين على بصيرة أنا ومن اتبعنى (قوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) رد

على أهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله لنا ملكا ، والمعنى كيف يتعجبون من ذلك مع أن جميع رسل الله الذين كانوا من قبلك بشر مثلك (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله لجفائهم) أى غلظ طبعهم وهو مقابل لقوله وأحلم وقوله وجهلهم مقابل لقوله وأعلم فهو لف ونشر مشوش (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يسيروا الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله فى الأرض) أى فى أسفارهم (قوله الذين من قبلهم) أى كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن هلكوا (قوله من إهلاكهم) بيان لآخر أمرهم (قوله ولدار الآخرة) أى الدار الآخرة (قوله خير للذين اتقوا) أى وأما لغيرهم فليست خيرا لهم فى لحرمانهم من نعيمها (قوله الله) قدره إشارة إلى أن مفعول اتقوا محذوف (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ياأهل مكة) راجع لقراءة التاء فيكون خطابا لهم وعلى الياء يكون إخبارا عنهم (قوله غاية لما دل عليه وما أرسلنا الخ) أى وحينئذ يكون المعنى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فكذبهم أممهم فتراخى نصرهم حتى الخ (قوله أيقن الرسل) هذا راجع لقراءة التشديد ، والمعنى أيقن الرسل بالوحى من الله بأن قومهم يكذبونهم تكذيبا لاإيمان بعده وأما قراءة التخفيف فالظن على بابه (قوله والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من النصر) بيان لما (قوله بنونين مشددا الخ) حاصل ماذكره ثلاث قراءات التشديد والتخفيف مع النونين والتشديد مع النون الواحدة وظاهر كلامه أن جميعها سبعى وليس كذلك بل التشديد مع النونين قراءة شاذة (قوله ماض) أى مبنى للمفعول ومن نشاء نائب فاعل .

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) حيث يقرون بأنه الخالق الرازق (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون فى تلبيتهم : لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، يعنونها (أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ) نقمة تغشاهم (مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانها قبله (قُلْ) لهم (هَٰذِهِ سَبِيلِي) وفسرها بقوله (أَدْعُوا إِلَى) دين (اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) حجة واضحة (أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) آمن بى عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله (وَسُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له عن الشركاء (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) من جملة سبيله أيضا (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لاملائكة (مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) الأمصار لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادى لجفائهم وجهلهم (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أى أهل مكة (فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) أى الجنة (خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الله (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بالياء والتاء أى ياأهل مكة هذا فتؤمنون (حَتَّى) غاية لما دل عليه : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا أى فتراخى نصرهم حتى (إِذَا اسْتَيْأَسَ) يئس (الرُّسُلُ وَظَنُّوا) أيقن الرسل (أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) بالتشديد تكذيبا لا إيمان بعده ، والتخفيف أى ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنَجِّي) بنونين مشددا ومخففا وبنون مشددا ماض (مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا) عذابنا (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) المشركين (لَقَدْ كَانَ ،

(قوله فى قصصهم) القصص بالفتح مصدر قص إذا تتبع الأثر والخبر، والمراد الأخبار (قوله الرسل) أى كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم ويحتمل أن الضمير عائد على يوسف وإخوته بدليل قوله تعالى فى أول السورة ـ نحن نقص عليك أحسن القصص ـ والمعنى أن الذى قدر على إخراج يوسف من الجبّ والسجن ومنّ عليه بالعزّ والملك وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته وإظهار دينه رغما على أنف كل معارض (قوله عبرة) أى تفكر واتعاظ (قوله لأولى الألباب) تعريض بأنهم ليسوا بأولى ألباب (قوله هذا القرآن) أى الذى تقدم ذكره فى قوله ـ إنا أنزلناه قرآنا عربيا (قوله تصديق الذى بين يديه) هذه أخبار أربعة أخبر بها عن كان المحذوفة التى قدرها المفسر، والمعنى أن هذا القرآن مصدّق لما تقدم قبله من الرسل ومن الكتب التى جاءوا بها فقول المفسر من الكتب لامفهوم له (قوله فى الدين) أى من الحلال والحرام والمواعظ وغير ذلك (قوله ورحمة) أى إنعاما وإحسانا .

[سورة الرعد] مبتدأ وقوله مكية خبر أول وقوله ثلاث الخ خبر ثان (قوله مكية إلا ولايزال الذين كفروا الآية) وقيل المدني منها قوله تعالى ـ هو الذى يريكم البرق إلى قوله له دعوة الحق (قوله أو مدنية إلا ولو أن قرآنا الآيتين) وقيل مدنية كلها وقيل مكية كلها فتحصل أن فيها خمسة أقوال وسميت بالرعد لذكره فيها. ومن فضائلها أن قراءتها عند المحتضر تسهل خروج الروح (قوله ثلاث أو أربع الخ) حاصل ما ذكره من الخلاف فى عدد آياتها أربعة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول هو الأسلم فى تفسير تلك الأحرف المقطعة (قوله هذه الآيات) أى آيات السورة وأشير لها باعتبار علم الله بها أو باعتبار وجودها فى اللوح المحفوظ فلايقال إن اسم الاشارة لابد أن يكون لحاضر وهى لم توجد فى الخارج ويصح أن يعود اسم الاشارة على مامضى من أول القرآن إلى هنا (قوله والذى أنزل إليك) اسم الموصول مبتدأ وأنزل صلته ومن ربك متعلق به أو حال وقوله الحق خبر كما قال المفسر، والمعنى أن القرآن الذى أنزل عليك ربك هو الحقّ الذى لاشك فيه (قوله أى أهل مكة) هذا تفسير للناس باعتبار النزول وإلافالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فأكثر الناس لايؤمنون فى كل زمان (قوله لايؤمنون) أى لايصدقون بذلك، والمعنى لا تعتبرهم فانهم لايعول عليهم (قوله الله الذى رفع الخ) هذا شروع فى ذكر الأدلة على وجوب وجوده تعالى واتصافه بالكمالات، وبدأ بأدلة من العالم العلوى وأعقبها بأدلة من العالم السفلى بقوله وهو الذى مد الأرض الخ (قوله جمع عماد) أى على غير قياس وقياسه أن يجمع على عمد بضمتين وقد قرئ به شاذا، وقيل جمع عمود (قوله وهو الأسطوانة) ويقال له سارية (قوله وهو صادق بأن لاعمد أصلا) أى وهو المراد فالنفى منصب على المقيد بقيده أى لم تروها لعدم وجودها، وقيل إن لها عمدا على جبل قاف وهو جبل من زمرّذ محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة، فالنفى منصبّ على القيد دون المقيد، وعلى ذلك فجملة ترونها صفة لعمد والضمير عائد عليها، وقيل إن ترونها حال من السموات

فِي قَصَصِهِمْ) أى الرسل (عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ) أصحاب العقول (مَا كَانَ) هذا القرآن (حَدِيثًا يُفْتَرَى) يختلق (وَلَـكِنْ) كان (تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَتَفْصِيلَ) تبيين (كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم ،

(سورة الرعد)

مكية إلا : ولا يزال الذين كفروا الآية ، ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية ، أو مدنية إلا : ولو أن قرآنا الآيتين : ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْمَر) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن مبتدأ خبره (الْحَقُّ) لا شك فيه (وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى أهل مكة (لَا يُؤْمِنُونَ) بأنه من عنده تعالى (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لاعمد أصلا ،

والتقدير رفع السموات حال كونها مرئية لكم بغير عمد ، وقيل إنها جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وعلى هذين القولين فالضمير عائد على السموات (قوله ثم استوى على العرش) ثم لمجرد العطف لا للترتيب إذ لا ترتيب بين رفع السموات والاستواء على العرش والاستواء فى الأصل الركوب والتمكن وذلك مستحيل عليه تعالى لاستلزامه الجسمية والجهة والمراد به هنا القهر والغلبة والاستيلاء لأن من شأن من ركب على شئ أن يكون قاهرا غالبا له ، ومن ذلك قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وهذه طريقة الخلف وما مشى عليه المفسر طريقة السلف وكل من الطريقتين صحيح (قوله وسخر الشمس والقمر) أى لنفع العالم بهما (قوله يوم القيامة) أى وحينئذ فيلقيان فى النار بعد ذهاب نورهما ليعذب بهما عبادهما ومادرج عليه المفسر من أن المراد بالأجل المسمى هو يوم القيامة أحد تفسيرين والآخر أن المراد الوقت المعين لقطع الفلك فان الشمس تقطعه فى سنة واحدة والقمر فى شهر لا يختلف جرى واحد منهما قال تعالى : والشمس تجرى لمستقر لها الخ وكل صحيح (قوله يدبر الأمر) أى أمر العالم العلوى والسفلى وذلك بالاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال وغير ذلك من أنواع التصرفات (قوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أى لأن من قدر على ذلك كله فهو قادر على إحياء الانسان بعد موته (قوله وهو الذى مد الأرض) شروع فى ذكر أدلة من العالم السفلى (قوله بسط الأرض) أى طولا وعرضا ليرتاح الحيوان عليها (قوله نوابت) أى لتمسكها عن الاضطراب بأهلها وفى الحديث «أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت ثم مدت منها الأرض وأول جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس ثم مدت منه الجبال» (قوله ومن كل الثمرات) متعلق بجعل ومفعولها الثانى محذوف تقديره لكم (قوله زوجين اثنين) بيان لأقل مراتب العدد و إلا فقد يكون أكثر من نوعين كما هو معلوم بالمشاهدة والمراد بالثمر مايشمل الحب وتعداد الأصناف المذكورة إما باعتبار الألوان كالبياض والسواد أو الطعوم كالحلاوة والملاوحة والحموضة والمزوزة أو القدر كالكبر والصغر أو الكيفية كالحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وغير ذلك (قوله يغطى الليل بظلمته النهار) أى و يزيل ظلمة الليل بضياء النهار فيعدم كلا بوجود الآخر ففى الآية اكتفاء (قوله يتفكرون) أى يتأملون فيستدلون بتلك الصنعة على وجود صانعها و يعرفون أن لها صانعا حكيما قادرا متصفا بالكمالات وخص المتفكرون بالذكر لأنهم هم الذين يحصل لهم الاعتبار والايمان (قوله طيب) أى ينبت وقوله وسبخ أى لا ينبت شيئا (قوله وهو) أى هذا الاختلاف (قوله بالرفع) أى له وللثلاثة بعده وقوله والجر أى كذلك فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهى النخلات) أى الصنوان (قوله بالتاء) أى وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون والياء وقوله والياء أى وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون لا غير فالقراءات ثلاث وكلها سبعية خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع (قوله فى الأكل) أى وغيره كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك وهذا كمثل بنى آدم منهم الصالح المبين اللين والخبيث الغليظ الطبع خلقوا من آدم وفضل الله من شاء على من شاء ، ولذا قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) استواء يليق به (وَسَخَّرَ) ذلل (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِي) فى فلكه (لِأَجَلٍ مُسَمًّى) يوم القيامة (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) يقضى أمر ملكه (يُفَصِّلُ) يبين (الْآيَاتِ) دلالات قدرته (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ) بالبعث (تُوقِنُونَ . وَهُوَ الَّذِي مَدَّ) بسط (الْأَرْضَ وَجَعَلَ) خلق (فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) من كل نوع (يُغْشِي) يغطى (اللَّيْلَ) بظلمته (النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ) دلالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى صنع الله (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ) بقاع مختلفة (مُتَجَاوِرَاتٌ) متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وَجَنَّاتٌ) بساتين (مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ) بالرفع عطفا على جنات والجر على أعناب وكذا قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ) جمع صنو وهى النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها (وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) منفردة (تُسْقَى) بالتاء أى الجنات وما فيها والياء أى المذكور (بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ) بالنون والياء (بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) ،

بنى آدم كانت الأرض طينة واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل الله عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع (قوله بضم الكاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى مأكول (قوله لقوم يعقلون) خصوا بالذكر لأنهم الذين ينتفعون بالتفكر والاعتبار (قوله وان تعجب) بادغام الباء فى الفاء و بتحقيقها قراءتان سبعيتان والعجب استعظام أمر خفى سببه (قوله من تكذيب الكفار لك) أى مع كونك كنت مشهورا بينهم بالأمانة والصدق فلما جئت بالرسالة كذبوك (قوله فعجب قولهم) لابد هنا من صفة محذوفة لتتم الفائدة والتقدير فعجب عظيم أو أى عجب وعجب خبر مقدم وقولهم مبتدأ مؤخر (قوله منكرين للبعث) حال من الضمير فى قولهم (قوله أئذا كنا ترابا) هذه الجملة فى محل نصب مقول القول وهو أحسن مايقال (قوله لأن القادر الخ) تعليل لقوله تعالى فعجب قولهم (قوله وما تقدم) أى من رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك من الأمور المتقدمة (قوله قادر على إعادتهم) أى لأنه إذا تعلقت قدرته بشىء كان فلا فرق بين الابتداء والاعادة وأما قوله تعالى : وهو أهون عليه فذلك باعتبار عادة المخلوقات أن القادر على الابتداء تسهل عليه الاعادة بالأولى وإلا فالكل فى قدرته تعالى سواء (قوله وفى الهمزتين فى الموضعين الخ) من هنا إلى قوله وتركها أربع قراءات (قوله وفى قراءة بالاستفهام فى الأول الخ) وفى ذلك ثلاث قراءات تحقيق الهمزتين من غير إدخال ألف بينهما وتحقيق الأولى تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما وبدونها وقوله وأخرى عكسه قراءتان التحقيق مع الألف ودونها ولا يجوز تسهيل الثانية فتكون القراءات تسعا وكلها سبعية واختلاف القراء فى هذا الاستفهام المكرر اختلافا منتشرا وهو فى أحد عشر موضعا فى تسع سور من القرآن فأولها مافى هذه السورة . والثانى والثالث فى الاسراء بلفظ واحد أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا . والرابع فى المؤمنون أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون والخامس فى النمل أئذا كنا ترابا أئنا لمخرجون . والسادس فى العنكبوت أئنكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال . والسابع فى آلم السجدة أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد . والثامن والتاسع فى الصافات أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون . والعاشر فى الواقعة أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . والحادى عشر فى النازعات أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة ، والوجه فى الاستفهام فى الموضعين أن الأول للانكار والثانى تأكيد له ، والوجه فى كونه فى موضع واحد حصول الانكار به و إحدى الجملتين مرتبطة بالأخرى فاذا أنكر فى إحداهما حصل الانكار فى الأخرى (قوله الأغلال) جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى أعناقهم (قوله أصحاب النار) أى لامحيص لهم عنها فهم ملازمون لها كالصاحب الملازم لصاحبه (قوله ونزل فى استعجالهم العذاب) أى وذلك أن مشركى مكة كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (قوله قبل الحسنة) أى وهى تأخير العذاب عنهم (قوله وقد خلت من قبلهم) الجملة حالية (قوله جمع المثلة) بفتح الميم وضم المثلثة أى وهى النقمة تنزل بالشخص فيجعل مثلا يرتدع به غيره (قوله بوزن السمرة) أى وهو شجر الطلح أى اللوز .

بضم الكاف وسكونها ، فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَإِنْ تَعْجَبْ) يامحمد من تكذيب الكفار لك (فَعَجَبٌ) حقيق بالعجب (قَوْلُهُمْ) منكرين للبعث (أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم . وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها وفى قراءة بالاستفهام فى الأول والخبر فى الثانى وأخرى عكسه (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ونزل فى استعجالهم العذاب استهزاء (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ) العذاب (قَبْلَ الْحَسَنَةِ) الرحمة (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ) جمع المثلة بوزن السمرة أى عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها (وَإِنَّ رَبَّكَ ،

(قوله لذو مغفرة) المراد ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها حالا بل يؤخر الأخذ بها فان تاب الشخص ورجع دام ذلك الستر عليه وإلا أخذه أخذ عزيز مقتدر (قوله على ظلمهم) الجملة حالية أي والحال أنهم ظالمون لأنفسهم بالمعاصي (قوله لمن عصاه) أي ودام على ذلك فرحمة الله في الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وأما في الآخرة فقد انفردت رحمته للمؤمنين خاصة (قوله ويقول الذين كفروا) أي تعنتا (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض (قوله كالعصا واليد) أي وغير ذلك مما اقترحوا قال تعالى حكاية عنهم وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآية (قوله إنما أنت منذر) أي ليس عليك إلا الانذار بما أوحى إليك لأنهم معاندون كفار ليس قصدهم بذلك الايمان بل التعنت في الكفر (قوله ولكل قوم هاد) الجملة مستأنفة وهاد باثبات الياء وحذفها في الوقف و بحذفها في الوصل لاغير ثلاث قراءات سبعية ، وأما في الرسم فهي محذوفة (قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي لأنه الخالق المصور فلا تخفى عليه خافية و يعلم عرفانية متعدية لواحد وما اسم موصول مفعوله والعائد محذوف (قوله وغير ذلك) أي من أوصاف الحمل من كونه أبيض أو أسود قصيرا أو طويلا سعيدا أوشقيا قويا أوضعيفا (قوله تنقص الأرحام من مدة الحمل) أي المعتادة وهي تسعة أشهر فهو يعلم الحمل الناقص عن تلك المدة وقوله وما تزداد أي وما تزيد فهو يعلم الناقص عن تلك المدة والزائد عليها لايخفى عليه شيء من أوقات الحمل ولامن أحواله وقيل النقصان السقط والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر ، وقد يولد لهذه المدة ويعيش (قوله

لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى) مع (ظُلْمِهِمْ) و إلا لم يترك على ظهرها دابة (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن عصاه (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) على محمد (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كالعصا واليد والناقة قال تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وَمَا تَغِيضُ) تنقص (الْأَرْحَامُ) من مدة الحمل (وَمَا تَزْدَادُ) منه (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) بقدر وحد لا يتجاوزه (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (الْكَبِيرُ) العظيم (الْمُتَعَالِ) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سَوَاءٌ مِنْكُمْ) في علمه تعالى (مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ) مستتر (بِاللَّيْلِ) بظلامه (وَسَارِبٌ) ظاهر بذهابه

وكل شيء عنده بمقدار) هذا أعم مما قبله فالشيء يشمل الحمل وغيره من أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم فقد دبر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق ما تعلقت به قدرته وإرادته ولا يعجزه شيء ولا يشغله شأن عن شأن قال تعالى : ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، فينبغي للانسان أن لايدبر لنفسه شيئا ولا يشتغل بشيء تكفل به غيره بل يعتمد على من يدبر الأمور و يفوض له أحواله و يترك الأوهام التي في حجبت القلوب عن مطالعة الغيوب (قوله بقدر وحد لايتجاوزه) أي لايتخلف شيء عن الحد الذي قدره الله من سعادة وشقاوة ورزق وغير ذلك (قوله ماغاب وما شوهد) أي ماغاب عنا وما شوهد لنا وإلا فكل شيء بالنسبة له مشاهد فلافرق بين مافي أعلى السموات ومافي تخوم الأرضين (قوله الكبير) أي الذي يصغر كل شيء عند ذكره وليس المراد به كبر الجثة إذ هو مستحيل عليه تعالى فالمراد بالكبير المتصف بكل كمال أزلا وأبدا (قوله المتعال) أي المنزه عن كل نقص (قوله بياء ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان في الوصل والوقف وأما في الرسم فالياء محذوفة لاغير (قوله سواء منكم الخ) سواء خبر مقدم ومن أسر القول ومن جهر به مبتدأ مؤخر ولم يثن الخبر لأنه في الأصل مصدر وهو لايثنى ولايجمع ومنكم حال من الضمير المستتر في سواء لأنه بمعنى مستو (قوله في علمه تعالى) أي فهو يعلم الجميع على حد سواء لايتفاوت من جهر على من أسر (قوله من أسر القول) أي في نفسه فلم يسمعه غيره (قوله ومن جهر به) أي سمعه غيره ، والمعنى سواء ما أضمرته القلوب وما نطقت به الألسنة (قوله ومن هو مستخف بالليل) أي وسواء من استخفى في ظلام الليل ومن هو ظاهر في النهار لأنه الخالق لليل وظلمته والنهار ونوره وما تفعله العبيد فيهما من خير وشر وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها ورثته الاخلاص في أعماله فيستوي عنده أسرار العبادة وإظهارها ليلا أو نهارا والمراقبة لأنه إذا علم أن هذه الأشياء مستوية عنده ولا يخفى عليه شيء منها فلا يستطيع أن يقدم على ما نهى عنه لاظاهرا ولا باطنا

(قوله فى سربه) بفتح السين وسكون الراء ، يقال سرب فى الأرض سروبا ذهب فيها ذهابا والسرب بفتحتين بيت فى الأرض لامنفذ له وهو الوكر وليس مرادا هنا بل المراد الطريق الظاهرة وهى بفتح السين وسكون الراء (قوله للإنسان) أى مؤمن أو كافر وهذا من مزيد التكرمة للنوع الإنسانى و إلا فهو الحافظ لكل شىء (قوله ملائكة) قيل خمسة بالليل وخمسة بالنهار واحد على اليمين يكتب الحسنات ، وواحد على الشمال يكتب السيئات ، وواحد موكل بناصيته فاذا تواضع رفعه و إذا تكبر وضعه ، وواحد موكل بعينيه يحفظهما من الأذى ، وواحد موكل بفمه يمنع عنه الهوام ، والصحيح أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار كما فى شراح الجوهرة نقلا عن حديث البخارى ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين كانوا من قبل فيسألهم الله و يقول : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ولا يفارقون الشخص أبدا إلى الممات فاذا مات فقد فرغ حفظهم له وهم واحد على يمينه وآخر على شماله وآخر أمامه وآخر خلفه واثنان على عينيه وواحد على شفتيه واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وواحد آخذ بناصيته فان تواضع رفعه و إن تكبر خفضه . وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد كاتبى الحسنات والسيئات على المعتمد ، وحكمة هذا السؤال و إن كان الله عالما بكل شىء تشريف بنى آدم بين أهل الملأ الأعلى ، وحكمة إجابة الملائكة بقولهم تركناهم وهم يصلون ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة أن العمل الصالح يرفع لأهل السماء فيتشرف بنو آدم على العموم وتنزل عليهم الرحمة وتكثر أرزاقهم لأن الرحمة تعم الطائع والعاصى فاخبار الملائكة بطاعة بنى آدم على العموم لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب (قوله من أمر الله) اختلف المفسرون فى من فقيل بمعنى الباء والمحفوظ منه محذوف ، والتقدير يحفظونه

فى سَرْبِه أى طريقه (بِالنَّهَارِ ، لَهُ) للانسان (مُعَقِّبَاتٌ) ملائكة تعتقبه (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) قدامه (وَمِنْ خَلْفِهِ) ورائه (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) أى بأمره من الجن وغيرهم (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ) لايسلبهم نعمته (حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) من الحالة الجميلة بالمعصية (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) عذابا (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) من المعقبات ولا غيرها (وَمَا لَهُمْ) لمن أراد الله بهم سوءا (مِنْ دُونِهِ) أى غير الله (مِنْ) زائدة (وَالٍ) يمنعه عنهم (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا) للمسافرين من الصواعق (وَطَمَعًا) للمقيم فى المطر (وَيُنْشِئُ) يخلق (السَّحَابَ الثِّقَالَ)

بأمر الله من الحوادث ، وقيل إن من على حقيقتها والمحفوظ منه مذكور بقوله من أمر الله : أى يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك إذ اعلمت ذلك فالمفسر قد أفاد القول الأول (قوله من الحالة الجميلة) أى وهى الطاعة ، والمعنى أنه جرت عادة الله أنه لايقطع نعمة عن قوم إلا إذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة و بمعنى هذه الآية قوله تعالى ـ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا رأيت قسوة فى قلبك وحرمانا فى رزقك ووهنا فى بدنك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك » فالنعم تأتى من الله بلا سبب وسلبها يكون بسبب المعاصى (قوله و إذا أراد الله بقوم سوءا) إذا شرطية وجوابها قوله فلامرد له والعامل فيها محذوف لدلالة الجواب عليه تقديره لم يرد أو واقع ، والمعنى متى سبق فى علم الله نزول بلاء بقوم فلايقدر على دفعه أحد من الملائكة ولامن غيرهم إذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول لو كانت الأولياء موجودين لما نزل علينا بلاء (قوله ومالهم من دونه من وال) أى ناصر يدفعه . قال تعالى ـ وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ـ فلادافع لما قضاه ولاراد لما قدره (قوله هو الذى يريكم البرق) لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ـ و إذا أراد الله بقوم سوءا فلامرد له ـ رتب عليه قوله : هو الذى يريكم البرق الخ إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرحمة والعقاب (قوله البرق) هو لمعان يظهر من خلال السحاب ، وقيل لمعان المطراق الذى يزجر به السحاب (قوله خوفا وطمعا) منصوبان على الحال من الكاف فى يريكم وليس مفعولا لأجله لعدم اتحاد الفاعل فان فاعل الاراءة الله وفاعل الخوف والطمع العبيد و بعضهم جعله مفعولا لأجله بتأويل يريكم بيجعلكم رائين فتخافون وتطمعون (قوله للمسافرين) لامفهوم له بل المقيمون الذين يضرهم المطر كمن يجفف الثمار والحبوب كذلك ، وقوله وطمعا للمقيم الخ لامفهوم له أيضا بل المسافر المحتاج للمطر للشرب مثلا كذلك فالبرق تارة يكون خيرا وتارة يكون شرا للمسافرين والمقيمين ، فينبغى للانسان أن يكون دائما خائفا راجيا لأن الله تعالى قد يأتى بالخير فيما ظاهره شر و يأتى بالشر فيما ظاهره خير (قوله و ينشئ السحاب)

هو ثمر شجرة في الجنة يخلقه الله وينزل فيه الماء من السماء فالسحاب من الجنة وماؤه من الجنة تهب الريح من تحت ساق العرش فتخرج الحامل والمحمول من الجنة وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : إن السحاب له خراطيم كالابل فينزل فيشرب من البحر المالح ويرتفع في الجو فتنسفه الرياح فيحلو فينزله الله على من أراد من خلقه (قوله هو ملك موكل بالسحاب الخ) هذا هو المشهور بين المفسرين وعليه فما نسمعه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب فإذا سمعته الملائكة ضجت معه بالتسبيح فعندها ينزل المطر ، وقيل هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب (قوله أي يقول سبحان الله وبحمده) أي تنزيها له عن النقائص واتصافا له بالكمالات (قوله ملتبسا) أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة (قوله والملائكة) قيل المراد بهم أعوان ملك السحاب ، وقيل المراد جميع الملائكة (قوله من خيفته) أي هيبته وجلاله (قوله وهي نار الخ) وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار (قوله تخرج من السحاب) أي فإذا نزلت من السماء فربما تغوص في البحر فتقتل الحيتان (قوله نزل في رجل) أي من طواغيت العرب وقد اختصرها المفسر ، وحاصلها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله تعالى ورسوله ، فقال لهم أخبرونا من رب محمد الذي يدعوني إليه فهل هو من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا أكفر قلبا ولا أجرأ على الله تعالى من هذا الرجل ، فقال ارجعوا إليه فرجعوا فلم يزدهم

على مقالته الأولى شيئا بل قال أخبث منها فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

بالمطر (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بِحَمْدِهِ) أي يقول سبحان الله وبحمده (وَ) يسبح (الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) أي الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) وهي نار تخرج من السحاب (فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) فتحرقه ، نزل في رجل بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم من يدعوه فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه (وَهُمْ) أي الكفار (يُجَادِلُونَ) يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم (فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) القوة أو الأخذ (لَهُ) تعالى (دَعْوَةُ الْحَقِّ) أي كلمته وهي لا إله إلا الله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) بالياء والتاء يعبدون (مِنْ دُونِهِ) أي غيره وهم الأصنام (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) مما يطلبونه (إِلَّا) استجابة (كَبَاسِطِ) أي كاستجابة باسط (كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ) على شفير البئر يدعوه (لِيَبْلُغَ فَاهُ) بارتفاعه من البئر إليه (وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) أي فاه أبدا فكذلك ما هم بمستجيبين لهم (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ) عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء (إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ضياع ،

لهم ارجعوا إليه فرجعوا فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فبادرهم وقال لهم احترق صاحبكم ، فقالوا من أين علمت ؟ قال قد أوحي إلي - ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء - (قوله بقحف رأسه) بكسر القاف عظم الرأس الذي فوق الدماغ (قوله وهو شديد المحال) بكسر (والله الميم من المماحلة وهي المكايدة ، وقيل من المحل وهو القوة والأخذ وهو الأولى ، ولذا مشى عليه المفسر (قوله له دعوة الحق) أي شرعها وأمرها (قوله وهي لا إله إلا الله) أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله فهي كلمة الحق جعلت مفتاحا للاسلام فلا يقبل من أحد إلا بالاقرار بها (قوله بالياء والتاء) أما الياء فمتواترة وأما التاء فشاذة وكان المناسب للمفسر التنبيه عليها (قوله لا يستجيبون لهم) أي لا يجيبونهم (قوله إلا استجابة) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير مصدر مضاف إلى المفعول ، والمعنى أن الأصنام التي يعبدها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر فلا تجيب عابديها بشيء أصلا وقد ضرب الله مثلا لعدم إجابتهم بقوله - إلا كباسط الخ - والمعنى أن من بسط كفيه للماء ليدخل في فيه لا يجيبه الماء لعدم إشعاره ببسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك فكذلك من يدعو الأصنام لتدفع عنه كربة أو توليه نعمة لا تجيبه بشيء لعدم قدرتها على ذلك لنفسها فضلا عن غيرها (قوله وما هو) أي الماء (قوله عبادتهم الأصنام أو حقيقة) هذان قولان في تفسير الدعاء والأقرب الأول بدليل قوله أولا والذين يدعون يعبدون (قوله ضياع) إنما كان دعاؤهم ضائعا لأنه طلب من غير من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأما دعاؤهم لله فليس بضائع بل يستجيب لهم إن شاء فإن كان بأمور الدنيا فظاهر وإن كان بالجنة فيهديهم للايمان ، هذا هو الذي يجب المصير إليه ويؤيده قوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فإنها في مشركي مكة وجملة وما دعاء الكافرين إلا في ضلال نتيجة ما قبلها

(قوله ولله يسجد من فى السموات) أى وهم الملائكة ولايكون إلا طوعا وقوله والأرض أى من الانس والجن وقوله طوعا وكرها حالان من الفاعل أى طائعين ومكرهين والكره فى المنافقين كما قال المفسر، وأما باقى الكفار فلم يكن منهم سجود وهذا إن حمل السجود على حقيقته وهو وضع الجبهة على الأرض بالفعل وإن أريد من السجود الأمر به بقيت من على عمومها فيندرج تحتها الإنس والجن والملك ويصح حمله على معناه المجازى وهو الخضوع والانقياد والمعنى ولله خضع وانقاد وذل من فى السموات والأرض جميعا وهو بمعنى قوله تعالى - إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا - وعلى هذا فالمراد بمن فى السموات والأرض السموات والأرض ومن فيهن وغلب العاقل لشرفه ولأنه المكلف بالسجود الحقيقى واللغوى فالعارف بربه المسلم لأحكامه ولوغير عاقل بدليل قالتا أتينا طائعين خضع طوعا إجلالا لهيبة الله وجلاله والجاهل خضع كرها بمعنى جرت المقادير عليه رغما على أنفه (قوله وظلالهم) معطوف على من مسلط عليه يسجد كما قدره المفسر ومعنى سجود الظل سجوده حقيقة تبعا لصاحبه إن أريد بالسجود حقيقته وخضوعه، وانقياده إن أريد به المعنى المجازى وسجود الظلال كلها طوعا لخلوها عن النفس التى تحمل الانسان على عدم الرضا ففى الحقيقة الكاره إنما هو النفس التى حواها الجسم وأما الجسم والظل فخضوعهما طوعا، ولذا قيل إن الكافر إذا سجد للصنم سجد ظله لله (قوله البكر) جمع بكرة وهى من أول النهار (قوله والآصال) جمع أصيل، وهو من بعد العصر إلى الغروب فالمراد جميع الأوقات إن أريد بالسجود الخضوع والانقياد وأوقات الصلوات إن أريد بالسجود حقيقته (قوله قل من رب السموات والأرض) هذا مرتب على ماقبله (قوله لا جواب غيره) أى لتعينه عليه لاعترافهم به وإنما يتركون هذا الجواب عنادا (قوله قل أفاتخذتم الخ) المعنى أبعد قراركم بأنه رب السموات والأرض واعترافكم به يليق بكم أن تتخذوا من دونه من لايملك لنفسه نفعا ولاضرا (قوله وتركتم مالكهما) أى وهو الله (قوله استفهام توبيخ) أى الثانى وأما الأول فهو للتقرير (قوله قل هل يستوى الأعمى والبصير) هذا ترق فى الرد عليهم (قوله الكافر والمؤمن) أى فالمراد بالأعمى أعمى القلب والبصير بصيره (قوله الكفر) أى وعبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد أنواعه بخلاف الايمان فهو متحد فلذا عبر عنه بالنور مفردا وسمى الكفر ظلمات لأنه موصل لدار الظلمات وهى النار وسمى الايمان بالنور لأنه موصل لدار النور وهى الجنة (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى وبمعنى هذه الآية قوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية - وقوله تعالى - أو كظلمات فى بحر لجى - الآية (قوله أم جعلوا) أى بل أجعلوا فأم منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله شركاء) أى الأصنام (قوله خلقوا) أى الأصنام وقوله كخلقه أى الله، والمعنى هل لهذه الأصنام خلق كخلق الله فشتبه بخلقه فاستحقت العبادة لذلك وهو إنكار عليهم أى لم يخلقوا أصلا بل ولايستطيعون دفع مانزل بهم فكيف العاجز يعبد (قوله أى ليس الأمر كذلك) أى لم يخلقوا كخلق الله حتى يشتبه بخلق الله بل الكفار يعلمون بالضرورة أن هذه الأصنام يصدرعنها فعل ولا خلق ولا أثر أصلا وإذا كان كذلك فجعلهم إياها شركاء لله فى الألوهية محض جهل وعناد (قوله وهو الواحد القهار) أى المنفرد بالإيجاد والاعدام القاهر لعباده المختار فى أفعاله فلا يسئل عما يفعل (قوله ثم ضرب مثلا) أى بينه، والمراد بالمثل الجنس لأن المذكور للحق مثلان وللباطل كذلك.

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا) كالمؤمنين (وَكَرْهًا) كالمنافقين ومن أكره بالسيف (وَ) يسجد (ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ) البكر (وَالْآصَالِ) العشايا (قُلْ) يا محمد لقومك (مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ) إن لم يقولوه لاجواب غيره (قُلْ) لهم (أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (أَوْلِيَاءَ) أصناما تعبدونها (لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) وتركتم مالكهما استفهام توبيخ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) الكافر والمؤمن (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ) الكفر (وَالنُّورُ) الايمان؟ لا (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ) أى خلق الشركاء بخلق الله (عَلَيْهِمْ) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام إنكار أى ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) لاشريك له فيه فلا شريك له فى العبادة (وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (أَنْزَلَ) تعالى (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا،

(فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) بمقدار ملئها (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) عاليا عليه هو ماعلى وجهه من قذر ونحوه (وَمِمَّا تُوقِدُونَ) بالتاء والياء (عَلَيْهِ فِي النَّارِ) من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس (ابْتِغَاءَ) طلب (حِلْيَةٍ) زينة (أَوْ مَتَاعٍ) ينتفع به كالأوانى إذا أذيبت (زَبَدٌ مِثْلُهُ) أى مثل زبد السيل وهو خبثه الذى ينفيه الكير (كَذَلِكَ) المذكور (يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) أى مثلهما (فَأَمَّا الزَّبَدُ) من السيل وما أوقد عليه من الجواهر (فَيَذْهَبُ جُفَاءً) باطلا مرميا به (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من الماء والجواهر (فَيَمْكُثُ) يبقى (فِي الْأَرْضِ) زمانا كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق فى بعض الأوقات والحق ثابت باق (كَذَلِكَ) المذكور (يَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الْأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ) أجابوه بالطاعة (الْحُسْنَى) الجنة (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ) وهم الكفار (لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ) من العذاب (أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ) وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شىء (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هى . ونزل فى حمزة وأبى جهل (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ) فآمن به (كَمَنْ هُوَ أَعْمَى) لا يعلمه ولا يؤمن به ؟ لا (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُو الْأَلْبَابِ)

(قوله فسالت أودية) أى أنهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وحينئذ فهو مجاز عقلى من إسناد الشىء لمكانه والأصل فسال الماء فى الأودية (قوله بقدرها) بفتح الدال باتفاق السبعة ، وقرئ شذوذا بسكونها (قوله بمقدار ملئها) أى ما يملأ كل واحد بحسبه صغرا وكبرا (قوله زبدا) الزبد مايظهر على وجه الماء من الرغوة أو على وجه القدر عند غليانه وقد تم المثل الأول (قوله ومما توقدون) الجار والمجرور خبر مقدم وزبد مثله مبتدأ مؤخر (قوله بالتاء والياء) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فى النار) متعلق بتوقدون وقوله ابتغاء حلية علة لتوقدون (قوله كالأوانى) أى والمسكوك الذى ينتفع به الناس فى معايشهم (قوله زبد مثله) أى فى كونه يصعد ويعلو على أصله (قوله الكير) هو منفاخ الحداد وأما الكور فهو الموضع الذى توقد فيه النار كالكانون (قوله المذكور) أى من الأمور الأربعة التى للحق والباطل (قوله فأما الزبد) لف ونشر مشوش (قوله مرميا به) أى يرميه الماء إلى الساحل ويرميه الكير فلا ينتفع به (قوله والحق ثابت) أى ماكث كما أن الماء والجوهر ثابتان وإنما يرمى بزبدهما والمعنى أن مثل الباطل كمثل الرغوة التى تعلو على وجه الماء وخبث الجوهر الذى يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه ومثل الحق كمثل الماء الصافى والجوهر الصافى كما أن الرغوة فى كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترمى كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى والحق ثابت ينتفع به كالجوهر والماء الصافيين وفى هذه الآية بشرى للأمة المحمدية بأنها ثابتة على الحق لا يضرهم من خالفهم فى العقائد بل وإن علا وارتفع لابد من اضمحلاله وزواله (قوله يضرب الله الأمثال) أى لإرشاد عبيده باللطف والرفق فإن من جملة ما جاء به القرآن الأمثال (قوله للذين استجابوا) خبر مقدم وقوله الحسنى مبتدأ مؤخر (قوله الجنة) أى وزيادة

أصحاب

بدليل الآية الأخرى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله والذين) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أمور الأول قوله لو أن لهم الثانى قوله أولئك لهم الخ الثالث قوله ومأواهم الخ ، والمعنى أن الكفار يتمنون أن لو كان لهم قدر مافى الأرض جميعا مرتين ويفتدون به من العذاب النازل بهم يوم القيامة (قوله سوء الحساب) أى الحساب السيئ فهو من إضافة الصفة للموصوف والمراد أنهم يناقشون الحساب ويسئلون عن النقير والقطمير ولذا ورد فى الحديث «من نوقش الحساب هلك» (قوله ومأواهم جهنم) أى منزلهم المعد لهم (قوله وبئس المهاد) هو مايمهد أى يفرش وقدره هى إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله ونزل فى حمزة وأبى جهل) أى سبب نزول هذه الآيات مدح حمزة بالصفات الجميلة والوعد عليها بالخير وذم أبى جهل بالصفات القبيحة والوعيد عليها بالشر ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فآيات الوعد لحمزة ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة وآيات الوعيد لأبى جهل ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة (قوله أفمن يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أيستوى المؤمن والكافر فمن يعلم الخ (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى .

(قوله أصحاب العقول) أى السليمة الكاملة (قوله الذين يوفون) بدل من من ، وحاصل ماذكره من الصفات لهم ثمانية أولها قوله يوفون بعهد الله وآخرهاقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة (قوله المأخوذ عليهم وهم فى عالم الذر) أى بالتوحيد وهو قول الله لهم ألست بربكم (قوله أوكل عهد) أى كل ميثاق أخذ عليهم كان للخالق أوللمخلوق ولوكافرا فيجب الوفاء بالعهدولاتجوز الخيانة ولما كانت الأوصاف الآتية لازمة للموفى بالعهد قدم عليها وجعل مابعده تفصيلا له وحينئذفالمراد بالوفاء بالعهد امتثال المأمورات على حسب الطاقة واجتناب المنهيات (قوله ولا ينقضون الميثاق) تأكيد لما قبله ولازم له لأن الموفى بالعهد غير ناقض للميثاق فالعهد هو الميثاق وقيل الميثاق هو التزام المخلوق بالوفاء بأمر الخالق والعهد هو أمر الله (قوله بترك الايمان) راجع للأول وقوله أو الفرائض راجع للثانى فى تفسير العهد (قوله من الايمان) بيان لما والمعنى أنهم يأتون بالايمان بشروطه وأركانه وآدابه (قوله والرحم) أى القرابة لما فى الحديث يقول الله تعالى « أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » وقال عليه الصلاة والسلام « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله » وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والانفاق بحسب الاستطاعة (قوله وغير ذلك) أى كالتوادد للناس وعيادة المريض وغير ذلك لما فى الحديث « التوادد مع الناس نصف العقل » وفى الحديث « وخالق الناس بخلق حسن » والتوادد باعطاء من حرمك ووصل من قطعك والعفوعمن ظلمك (قوله ويخشون ربهم) أى يهابونه إجلالا وتعظيما فلايخشون غيره ولايلتفتون لما سواه (قوله ويخافون سوء العذاب) أى يخافون الحساب السيء المؤدى لدخول النار (قوله والذين صبروا على الطاعة الخ) أشار المفسر إلى أن مراتب الصبر ثلاثة أعلاها الصبر عن المعصية وهو عدم فعلها رأسا ويليها الصبر على الطاعات أى دوام فعلها على حسب الطاقة ويليها الصبر على البلاء وأعلى الجميع الصبر عن الشهوات لأنه مرتبة

أصحاب العقول (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ) المأخوذ عليهم وهم فى عالم الذر أو كل عهد (وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) بترك الإيمان أو الفرائض (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) من الإيمان والرحم وغير ذلك (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أى وعيده (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) تقدم مثله (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) على الطاعة والبلاء وعن المعصية (ابْتِغَاءَ) طلب (وَجْهِ رَبِّهِمْ) لاغيره من أعراض الدنيا (وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا) فى الطاعة (مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) كالجهل بالحلم والأذى بالصبر (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة هى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) هم (وَمَنْ صَلَحَ) آمن

الأولياء والصديقين (قوله ابتغاء وجه ربهم) أى طلبا لمرضاته (قوله لاغيره من أعراض الدنيا) أى كالصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته أولئلا يعاب على الجزع أولئلا تشمت به الأعداء وغير ذلك من الأمورالتى تكون لغير وجه الله وفضل الصبر لوجه الله عظيم جدا قال تعالى - وبشر الصابرين - الآية ، وورد «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقول إلى أين ؟ فيقولون إلى الجنة . قالوا قبل الحساب ؟ قالوا نعم ، فيقولون من أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الصبر . قالوا وما كان صبركم ؟ قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله وصبرناها على البلايا والمحن فى الدنيا ، فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (قوله وأقاموا الصلاة) أى فرضا أو نفلا بالاتيان بها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله وأنفقوا فى الطاعة) أى إنفاقا واجبا كالزكاة والنفقات الواجبة أو مندوبا كالتطوعات (قوله سرا وعلانية) أى لم يعلم به أحد أو علم فالمدار على الاخلاص فى النفقة أسر بها أو أعلن (قوله كالجهل بالحلم) أى فيدفع السفه والتعدى بالحلم وعدم المؤاخذة (قوله والأذى بالصبر) أى فلا يكافئون الشر بالشر بل يدفعون الشر بالخير والصبر (قوله أولئك) مبتدأ وقوله لهم خبر مقدم وعقبى الدار مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدإ الأول وهى مستأنفة لبيان جزاء من ذكر (قوله أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة) أشار بذلك إلى أن النعت محذوف والاضافة على معنى فى فالعقبى المحمودة هى الجنة (قوله جنات عدن) قدر المفسر هى إشارة إلى أن جنات عدن خبر مبتدإ محذوف ، والمراد بجنات عدن الجنة بجميع دورها لاخصوص الدار المسماة بذلك (قوله هم ومن الخ) قدر الضمير للايضاح وإلا فالفصل حاصل بالضمير المنصوب

(قوله من آبائهم) أي أصولهم وإن علوا ذكورا وإناثا (قوله وأزواجهم) أي اللاتي متن في عصمتهم (قوله وذرياتهم) أي فروعهم وإن سفلوا (قوله وإن لم يعملوا) أي الآباء والأزواج والذريات (قوله تكرمة لهم) أي لأن الله جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم تكن في ذلك كرامة للمطيع إذ كل من كان صالحا في عمله فله الدرجات العلية استقلالا (قوله أو القصور) جمع قصر وهو كما ورد خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب بالتحف والهدايا يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله أول دخولهم للتهنئة) هذا التفسير لم ير لغيره بل في كلام غيره ما يدل على خلاف ذلك قال مقاتل إن الملائكة يدخلون في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله تعالى سلام عليكم في محل نصب مقول لقول محذوف (قوله سلام عليكم) أي سلمكم الله من آفات الدنيا فهو دعاء لهم وتحية (قوله بما صبرتم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا الثواب الخ (قوله بصبركم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر (قوله فنعم عقبى الدار) المراد بالدار قيل الدنيا وقيل الآخرة (قوله عقباكم) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله والذين ينقضون) جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر أوصاف أهل السعادة أتبعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة وهذه أوصاف أبي جهل ومن حذا حذوه إلى يوم القيامة (قوله من بعد ميثاقه) أي من بعد الاعتراف والقبول (قوله أولئك) أي من هذه صفاته (قوله وهي جهنم) تفسير للعاقبة السيئة (قوله الله يبسط الرزق الخ) هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا لو كان الله غضبان علينا كما زعمتم أيها المؤمنون لما بسط لنا الأرزاق ونعمنا في الدنيا فرد الله عليهم شبهتهم بذلك والمعنى أن بسط الرزق في الدنيا ليس تابعا للإيمان بل ذلك بتقدير الله في الأزل لمن يشاء فقد يبسط الرزق للكافر استدراجا ويضيقه على المؤمن امتحانا (قوله يوسعه لمن يشاء) أي مؤمن أو كافر وقوله يضيقه لمن يشاء أي مؤمن أو كافر (قوله وفرحوا بالحياة الدنيا) هذا بيان لقبيح أحوالهم فهو مستأنف (قوله فرح بطر) أي لا فرح سرور وشكر نعم الله (قوله في الآخرة) أي منسوبة للآخرة والمعنى وما الحياة الدنيا منسوبة في جنب الحياة الآخرة إلا متاع (قوله يتمتع به ويذهب) أي فلا بقاء لها قال تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) أي غير ما جاء به من نبع الماء وتسبيح الحصى وغير ذلك (قوله فلا تغني عنه الآيات شيئا) أي فمجيئها لا يفيدهم شيئا إذ ما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر فما قالوه في حق ما جاء به من كونه سحرا أو كهانة يقولون في حق ما لم يأت به على فرض إتيانه به قال تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (قوله ويهدي إليه) أي يوصله لمرضاته ولما يحبه (قوله ويبدل من من) أي بدل كل ويصح جعله مبتدأ خبره الموصول الثاني وما بينهما اعتراض (قوله الذين آمنوا) أي اتصفوا بالتصديق الباطني الناشئ عن إذعان وقبول (قوله وتطمئن قلوبهم) هذه علامة المؤمن الكامل والطمأنينة بذكر الله هي ثقة القلب بالله والاشتغال به عمن سواه ثم اعلم أن هذه الآية تفيد أن ذكر الله تطمئن به القلوب وآية الأنفال تفيد أن ذكر الله يحصل به الوجل والخوف فمقتضى ذلك أنه بين الآيتين تناف . وأجيب بأن الطمأنينة هنا معناها السكون إلى الله والوثوق به فينشأ عن

(مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) هذا الثواب (بِمَا صَبَرْتُمْ) بصبركم في الدنيا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) عقباكم (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالكفر والمعاصي (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) البعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء (وَفَرِحُوا) أي أهل مكة فرح بطر (بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي بما نالوه فيها (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي) جنب حياة (الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) شيء قليل يتمتع به ويذهب (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) على محمد (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كالعصا واليد والناقة (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئا (وَيَهْدِي) يرشد (إِلَيْهِ) إلى دينه (مَنْ أَنَابَ) رجع إليه ويبدل من من (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ) تسكن (قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي وعده (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تطمئن

ذلك عدم خوف غيره وعدم الرجاء فى غيره فلا ينافى حصول الخوف من الله والوجل منه وهذا معنى آية الأنفال وحينئذ فصار الغير عندها هباء منثورا ليس معدا لدفع ضر ولا لجلب نفع و بمعنى الآيتين قوله تعالى: الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فتحصل أن المؤمن الكامل هو المطمئن بالله الواثق به الخائف من هيبته وجلاله فلا يشاهد غيره لا فى جلب نفع ولا دفع ضر لأن الله هو المالك المتصرف فى الأمور خيرها وشرها فحيث شاهد المؤمن وحدانية الله فى الوجود أعرض عما سواه واكتفى به فلا يعرج على غيره أصلا وهذا أتم مما ذكره المفسر حيث دفع التنافى بأن معنى الطمأنينة سكون القلب بذكر الوعد والبشارات والوجل بذكر الوعيد والنذارات (قوله تطمئن القلوب) أى الكاملة فى الايمان (قوله طوبى) أصله طيبى وقعت الياء ساكنة بعد ضمة قلبت واوا والمعنى عيشة طيبة لهم وقد فسرت فى آية أخرى بقوله تعالى فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية (قوله أو شجرة فى الجنة) أى وأصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل كل ورقة منها تظل أمة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها فتنبت الحلل والحلى و يخرج منها الخيل المسرجة الملجمة والابل برحالها وأزمتها وما ذكره المفسر فى تفسير طوبى قولان من أقوال كثيرة وقيل إنه دعاء من الله لهم والتقدير طيب عيشكم وقيل غير ذلك (قوله وحسن مآب) أى ولهم حسن مرجع ومنقلب فى الآخرة وهى الجنة (قوله كذلك أرسلناك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن على عدم إيمان قومك فإنا أرسلنا الأنبياء إلى قومهم فكفروا ولم يطيعوا

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أى قلوب المؤمنين (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مبتدأ خبره (طُوبَى) مصدر من الطيب أو شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها (لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) مرجع (كَذَلِكَ) كما أرسلنا الأنبياء قبلك (أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا) تقرأ (عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) أى القرآن (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن (قُلْ) لهم يا محمد (هُوَ رَبِّى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) ونزل لما قالوا له إن كنت نبيا فسير عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) نقلت عن أماكنها (أَوْ قُطِّعَتْ) شققت (بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) بأن يحيوا لما آمنوا (بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره، و إن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعا فى إيمانهم (أَفَلَمْ يَيْأَسِ) يعلم (الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ) مخففة أى أنه

فليس من كذبك بأول مكذب (قوله فى أمة) أى إلى أمة (قوله قد خلت من قبلها أمم) أى سبقت ومضت (قوله وهم يكفرون بالرحمن) الجملة حالية (قوله لما أمروا بالسجود له) أى كما ذكر فى سورة الفرقان بقوله تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وهذا القول منهم على سبيل العناد ويسمى عند أرباب المعانى تجاهل العارف فإن الرحمن هو المنعم على عباده وهم يشاهدون نعمه عليهم ومع ذلك قالوا وما الرحمن وهذا كقول فرعون وما رب العالمين (قوله هو ربى) أى الرحمن الذى أنكرتموه هو خالقى (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى إليه (قوله متاب) أى توبتى ومرجعى (قوله ونزل لما قالوا) أى كفار مكة منهم أبو جهل وعبد الله بن أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم وقيل إنه مر بهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله فقال عبد الله بن أمية إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تفسح فإنها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان الريح كما زعمت فلست أهون على ربك من سليمان وأحى لنا جدك قصيا فإن عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فنزلت هذه الآية (قوله أو قطعت به الأرض) أى من خشية الله عند قراءته فجعلت أنهارا وعيونا (قوله لما آمنوا) جواب لو والمعنى لو فعل الله ما ذكر وأجابهم لم يحصل منهم إيمان لأن الله علم عدم هداهم (قوله بل لله الأمر جميعا) أى القدرة على كل شىء وهو إضراب عما تضمنته الجملة الشرطية من معنى النفى والمعنى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون (قوله و إن أوتوا ما اقترحوا) أى أعطوا ما طلبوه (قوله لما أراد الصحابة الخ) أى فقالوا يا رسول الله إنك مجاب الدعوة فاطلب لهم ما اقترحوا عسى أن يؤمنوا (قوله يعلم) يطلق اليأس على العلم فى لغة هوزان ونخع لتضمنه معناه فإن اليائس من الشىء عالم بأنه لا يكون (قوله أن مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وجملة لو يشاء الخ خبر أن.

(قوله لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أى ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق مشيئته باهتدائهم . إن قلت لم لم يجب الله نبيه بعين ماطلبوا كما أجاب صالحا فى الناقة وعيسى فى المائدة مع علمه بأنهم لايؤمنون ؟ . أجيب بأنه جرت عادة الله فى عباده الكفار أنهم متى طلبوا شيئا من المعجزات وعاهدوا نبيهم على الإيمان عند مجيئها ولم يؤمنوا أنه يهلكهم و يقطع دابرهم عن آخرهم وقد أراد الله إبقاء هذه الأمة المحمدية وعدم استئصالها بالهلاك إكراما لنبيها فلم تحصل الاجابة بعين ماطلبوا رحمة بهم و إكراما لنبيهم (قوله ولايزال الذين كفروا) إخبار من الله لنبيه بالنصر المرتب على صبره وقوله تصيبهم خبر يزال (قوله بصنعهم) أشار بذلك إلى أن مامصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر والباء سببية أى بسبب صنعهم (قوله قارعة) التنوين للتنكير إشارة إلى أنها ليست مخصوصة بشىء معين بل هى عامة فى كل مايهلكهم (قوله تقرعهم) أى تهلكهم (قوله أوتحل قريبا) معطوف على قارعة ، والمعنى تصيبهم بما صنعوا قارعة أوحلولك قريبا من دارهم والعطف يقتضى المغايرة فالمراد بالقارعة غير حلوله وإن كان من أعظم القوارع وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى اصبر فانك منصور ومؤيد وهم مخذولون فان الدواهى مسلطة عليهم (قوله قريبا) أى مكانا قريبا وهوالحديبية (قوله بالنصرعليهم) أى بفتح مكة (قوله وقد حل بالحديبية) أى مرتين الأولى سنة ست حين أراد العمرة و بعث عثمان وقد صدوا النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن البيت فصالح الكفار

(لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً) إلى الإيمان من غير آية (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا) بصنعهم أى كفرهم (قَارِعَةٌ) داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب (أَوْ تَحُلُّ) يا محمد بجيشك (قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) مكة (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) بالنصر عليهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فَأَمْلَيْتُ) أمهلت (لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بالعقوبة (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) أى هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ) رقيب (عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام ؟ لا . دل على هذا (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ) له من هم ؟ (أَمْ) بل أ (تُنَبِّئُونَهُ) تخبرون الله (بِمَا) أى بشريك (لَا يَعْلَمُ) هُ (فِي الْأَرْضِ) استفهام إنكار أى لا شريك له إذلو كان لعلمه ، تعالى عن ذلك (أَمْ) بل تسمونهم شركاء (بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ) بظن باطل لا حقيقة له فى الباطن .

النبى على أن يمكنوه من الدخول فى السنة السابعة فدخلها واعتمر ، والثانية سنة ثمان حين أراد فتح مكة فانه حل بها هو وجيشه وأمرهم أن يتفرقوا و يوقد كل شخص نارا على حدة إرهابا للعدو فنى صبيحتها حصل الفتح العظيم ودخلوا مكة (قوله فأمليت للذين كفروا) هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى حيث عامل عباده معاملة ملك عدل فى رعيته حيث أمرهم بطاعته المرة بعد المرة وأغدق عليهم النعم وكلما عصوه سترهم وأمدهم بالعطايا (بل فلما تكرر منهم العصيان وعدم الخوف أخذهم بالعقاب فهل هذا ظلم منه أوعدل وجواب الاستفهام أنه عدل ولوكان صادرا من سلطان فى رعيته فكيف من الخالق الذى يستحيل عليه الظلم عقلا (قوله فكذلك أفعل بمن استهزأ بك) أى لاعلى العموم إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله أفمن هوقائم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وسويتم بين الله و بين خلقه فمن هوقائم الخ ، والمعنى أفمن كان حافظا للنفوس ورازقها وعالما بها كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن القيام بنفسه فضلا عن غيره (قوله لا) هذا هوجواب الاستفهام (قوله دل على هذا) أى على الجواب المحذوف وهذا نظير قوله تعالى : أفمن شرح الله صدره للاسلام أى كمن قسا قلبه يدل عليه قوله تعالى : فويل للقاسية قلوبهم ، ونظيرقوله تعالى : أفمن يخلق كمن لايخلق ، ولكنه صرح فيها بالمقابل (قوله قل سموهم) أى صفوهم وانظروا هل بتلك الأوصاف تستحق العبادة (قوله من هم) أى بينوا حقيقتهم من أى جنس ومن أى نوع (قوله أم تنبئونه الخ) أم منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة ، والمعنى أتخبرون الله بشريك لايعلمه فى الأرض لعدم وجوده إذ لووجد لعلمه وخص الأرض لكون آلهتهم التى جعلوها شركاء كائنين فيها (قوله أم بظاهر) أم هنا للاضراب الابطالى ولذا فسرها ببل فقط ، والمعنى أن تسميتهم شركاء ظن باطل فاسد لايعتبر وإنما هو اسم من غير مسمى

(قوله بل زين الذين كفروا) إضراب عن محاجتهم كأنه قال لاتلتفت لهم ولاتعتبر بهم فإنهم لافائدة فيهم لأنهم زين لهم ماهم عليه من المكر والكفر (قوله وصدّوا) بضم الصاد وفتحها قراءتان سبعيتان ، والمعنى منعوا عن طريق الهدى أومنعوا الناس عنه .

فائدة — قال الطيبي : فى هذه الآية احتجاج بليغ مبنى على فنون من علم البيان . أولها : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن ليس كذلك احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما . ثانيها : وجعلوا لله شركاء من وضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لايشاركه أحد فى اسمه . ثالثها قوله : قل سموهم أى عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو إنكار لوجودها على وجه برهانى كما تقول، إن كان الذى تدعيه موجودا فسمه لأن المراد بالاسم العلم . رابعها قوله : أم تنبئونه بما لايعلم احتجاج من باب نفى الشىء بنفى لازمه وهو المعلوم وهو كناية . خامسها قوله : أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكر، المعنى أتقولون بأفواهكم من غير رؤية فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه . سادسها التدريج فى كل من الاضرابات على ألطف وجه وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالاعجاز وأنه ليس من كلام البشر اهـ (قوله وما لهم) خبر مقدم وواق مبتدأ مؤخر ومن الله متعلق به أى ليس لهم مانع من (٢٥٧) عذاب الله إذا جاءهم (قوله مثل الجنة)

(بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) كفرهم (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالقتل والأسر (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) أشد منه (وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ) أى من عذابه (مِنْ وَاقٍ) مانع (مَثَلُ) صفة (الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) مبتدأ خبره محذوف أى فيما نقصُّ عليكم (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا) ما يؤكل فيها (دَائِمٌ) لا يفنى (وَظِلُّهَا) دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها (تِلْكَ) أى الجنة (عُقْبَى) عاقبة (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ . وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى اليهود (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) لموافقته ما عندهم (وَمِنَ الْأَحْزَابِ) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) كذكر الرحمن وما عدا القصص (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ) فيما أنزل إلىّ (أَنْ) أى بأن (أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ) مرجعى (وَكَذَلِكَ) الإنزال (أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن

مبتدأ والتى صفته ووعد المتقون صلة الموصول والخبر محذوف والتقدير كائن فيما نقص عليك كما قال المفسر (قوله تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها وغرفها (قوله الأنهار) فسرت فى آية أخرى فى قوله تعالى : مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الخ (قوله أكلها دائم) أى كل شىء يؤكل يتجدد غيره فلا تنقطع أنواع مأكولاتها فليست كثمار الدنيا تنقطع فى بعض الأحيان (قوله وظلها دائم) المراد بالظل فيها عدم الشمس فلا ينافى أنها نور ونورها حاصل من نور العرش لأنه سقفها ومع ذلك فأنوار أهلها تغلب على ضوء العرش (قوله عقبى الذين اتقوا) أى مآلهم ومنتهاهم (قوله الذين اتقوا الشرك) تقدم أن هذا أدنى مراتب التقوى (قوله وعقبى الكافرين النار) أى مآلهم ومنتهاهم (قوله والذين آتيناهم الكتاب) أى التوراة والانجيل فأل فى الكتاب للجنس (قوله من مؤمنى اليهود) أى ومؤمنى النصارى كأهل نجران والحبشة واليمن فإنهم كانوا إذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول فاضت أعينهم دموعا كما تقدم فى المائدة (قوله لموافقته ماعندهم) أى فى التوراة والانجيل (قوله من ينكر بعضه) أى فكانوا إذا سمعوا شيئا يوافق هواهم سلموه وأقرّوا به وإذا خالف هواهم أنكروه فمثل القصص لاينكرونها ومثل الدعاء إلى التوحيد ينكرونه (قوله كذكر الرحمن) أى بالنسبة إلى مشركى العرب ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب لهم كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه بسم الله الرحمن قالوا ومانعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ، يعنون مسيلمة الكذاب لقول بعضهم مادحا له :

سميت بالمجد يابن الأكرمين أبا ... وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

وقد هجاه بعض الصحابة بقوله :

سميت بالخبث يابن الأخبثين أبا ... وأنت شرّ الورى لازلت شيطانا

(قوله أعبد الله) أى أوحده (قوله إليه أدعوا) أى إلى عبادته وشريعته (قوله مرجعى) أى فى الآخرة (قوله وكذلك) أى مثل إنزال الكتب السابقة

(قوله حكما عربيا) حالان من الضمير فى أنزلناه والمعنى أنزلناه حاكما بين الناس بلغة العرب وأسند الحكم له لأنه ترجمان عن الله فطاعته طاعة الله (قوله فيما يدعونك إليه من ملتهم) أى كقولهم له اعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة وكالصلاة إلى بيت المقدس بعد ما حولت عنه (قوله فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير والمقصود تحذير من يجوز عليه اتباع الهوى لأن المعصوم إذا خوطب بمثل ذلك كان المقصود غيره (قوله ولا واق) أصله واقى استثقلت الكسرة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله لما عيروه بكثرة النساء) أى حيث قالوا لو كان مرسلا حقا لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا والنساء فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله ولقد أرسلنا الخ فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية وكان لأبيه داود مائة امرأة ومع ذلك فلم يقدح فى نبوتهما فكيف يجعلون ذلك قادحا فى نبوتك. واعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعا من الشبهات فى إبطال النبوة . فالشبهة الأولى قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق وسيأتى ذكرها فى الفرقان الثانية قولهم رسول الله إلى الخلق لابد وأن يكون من جنس الملائكة كما قالوا لولا أنزل عليه ملك وقالوا لو ما تأتينا بالملائكة وستأتى أيضا . الثالثة قولهم لو كان رسولا من عند الله لما اشتغل بالنساء . فأجاب الله بقوله: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية . الرابعة قولهم لو كان رسولا من عند الله لكان أى شىء طلبناه من المعجزات أتى به فأجاب تعالى بقوله: وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله الآية. الخامسة قولهم لو كان رسولا لحصل ما أوعدنا به من نزول

العذاب فأجاب الله تعالى بقوله لكل أجل كتاب أى لكل حادث وقت معين

(حُكْمًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب تحكم به بين الناس (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) أى الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضا (بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) بالتوحيد (مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ) زائدة (وَلِيٍّ) ناصر (وَلَا وَاقٍ) مانع من عذابه . ونزل لما عيروه بكثرة النساء (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) أولادا وأنت مثلهم (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) لأنهم عبيد مربوبون (لِكُلِّ أَجَلٍ) مدة (كِتَابٌ) مكتوب فيه تحديده (يَمْحُوا اللَّهُ) منه (مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) أصله الذى لايتغير منه شىء وهو ما كتبه فى الأزل (وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف أى فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) لاعليك إلا التبليغ (وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) إذا صاروا إلينا فنجازيهم

لايتأخر عنه ولا يتقدم عليه السادسة قولهم لو كان صادقا ما نسخ الأحكام التى هى ثابتة فى التوراة والأنجيل وما نسخ بعض الأحكام التى جاء بها فأجاب الله تعالى عنه بقوله ـ يمحوا الله ما يشاء ويثبت ـ (قوله وذرية) أى وقد كان لرسول الله سبعة أولاد ثلاثة ذكور وأربع إناث وترتيبهم فى الولادة هكذا القاسم فزينب فرقية ففاطمة فأم كلثوم فعبدالله فابراهيم وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية وكلهم ماتوا فى حياته إلا فاطمة فماتت بعده بستة أشهر (قوله وما كان لرسول الخ) أى لم يجعل الله للرسول الإتيان بآية مما اقترحه قومه إلا بإرادته تعالى (قوله مربوبون) أى مقهورون مغلوبون (قوله لكل أجل كتاب) رد لاستعجالهم العذاب فانه كان يخوفهم بذلك فاستعجلوه عنادا (قوله مكتوب فيه) أى فى ذلك الكتاب وهو اللوح المحفوظ (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهو ما كتبه فى الأزل) أى قدره بمعنى تعلق به علمه وإرادته ومامشى عليه المفسر من أن الصحف واللوح المحفوظ يقع فيها التغيير والتبديل والمراد بأم الكتاب علم الله المتعلق بالأشياء أزلا هو أحد تفسيرين . إن قلت يرد على هذا ما ورد أن الله لما خلق اللوح والقلم وأمره بكتابة ما كان وما يكون وهو كائن قال رفعت الأقلام وجفت الصحف . أجيب بأن المراد رفعت الأقلام عما هو مطابق لعلم الله والتفسير الآخر أن المحو والاثبات يقعان فى صحف الملائكة فقط والمراد بقوله وعنده أم الكتاب اللوح المحفوظ وهو لايقبل التغيير ولا التبديل . والحاصل أن ما فى علم الله لايقبل التغيير جزما وما فى الصحف يقبل التغيير جزما والخلاف فى اللوح المحفوظ والآية محتملة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله وإما نرينك) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة كما قال المفسر ونرينك فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول أول وبعض الذى مفعول ثان والمفعول الثالث محذوف قدره المفسر بقوله فى حياتك (قوله أى فذاك) مبتدأ خبره محذوف تقديره شاف صدرك من أعدائك (قوله أو نتوفينك) معطوف على نرينك فهو شرط أيضا وجوابه محذوف والتقدير فلا لوم عليك وقوله فإنما عليك

البلاغ دليل المحذوف (قوله فنجازيهم) أى على أعمالهم خيرها وشرها وقد جمع الله لنبيه بين تعذيبهم على يده فى الدنيا ومجازاة الله لهم فى الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أينكرون ماوعدناهم به من العذاب ولم يروا الخ (قوله نقصد أرضهم) أى أرض أهل مكة فالمقصود نصر النبى بزوال نعمة الكفار وملكه إياهم قال تعالى ـ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ـ الآية فالمراد بنقص أطراف الأرض ملك كبرائها وخذلانهم وماذكره المفسر هو أحد قولين والآخر أن المراد بالأرض جميعها لاخصوص أرض الكفار و بنقص أطرافها موت العلماء والأشراف والكبراء والصلحاء وحينئذ فوجه مناسبة هذا لما قبله كأن الله يقول ألم ينظروا إلى التغيرات الحاصلة فى الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والذل بعد العز فاذا كان هذا مشاهدا لهم فما المانع من أن الله يصير الكفار أذلاء بعد عزهم ومقهورين بعد قدرتهم (قوله لامعقب لحكمه) أى لامغير ولاناقض له (قوله وهو سريع الحساب) أى فيحاسبهم فى زمن يسير (قوله وقد مكر الذين من قبلهم) هـــذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فلله المكر جميعا) أى لأنه الخالق لهم العالم بأحوالهم فهو يوصل إليهم العذاب من جهة لايعلمون بها (قوله فيعد لها) أى يهيء و يحضر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قل كفى بالله شهيدا) أى لأنه الخالق للمعجزات على يدى (قوله ومن عنده علم الكتاب) معطوف على لفظ الجلالة. والمعنى أن الله ومن عنده علم الكتاب فيهم الكفاية فى الشهادة بينى و بينكم وأل فى الكتاب للجنس فيشمل التوراة والإنجيل والفرقان فقوله من مؤمنى اليهود والنصارى أى أو مطلقا فهو نظير قوله تعالى ـ ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ـ .

فنجازيهم (أَوَلَمْ يَرَوْا) أى أهل مكة (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) نقصد أرضهم (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتح على النبى صلى الله عليه وسلم (وَاللَّهُ يَحْكُمُ) فى خلقه بما يشاء (لَا مُعَقِّبَ) لاراد (لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك (فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا) وليس مكرهم كمكره لأنه تعالى (يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) فيعد لها جزاءها وهذا هو المكر كله لأنه يأتيهم به من حيث لايشعرون (وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ) المراد به الجنس، وفى قراءة الكفار (لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ألهم أم للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) لك (لَسْتَ مُرْسَلًا، قُلْ) لهم (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على صدقى (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) من مؤمنى اليهود والنصارى .

(ســـورة إبراهيم)

مكية إلا ألم تر إلى الذين بدلوا الآيتين : إحدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الر) الله أعلم بمراده بذلك، هذا القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يا محمد (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (بِإِذْنِ) بأمر (رَبِّهِمْ) و يبدل من إلى النور (إِلَىٰ صِرَاطِ) طريق (الْعَزِيزِ) الغالب (الْحَمِيدِ) المحمود (اللَّهِ) بالجر

[سورة إبراهيم عليه السلام] سميت بذلك لذكر قصته فيها . إن قلت إن قصة إبراهيم قد ذكرت فى غير هذه السورة كالأنبياء والبقرة . أجيب بأن علة التسمية لاتقتضى اطراد التسمية بل التسمية أمر توقيفى (قوله الآيتين) أى إلى قوله تعالى ـ قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار ـ (قوله احدى الخ) أى ففى آياتها أربعة أقوال (قوله هذا القرآن) قدره اشارة إلى أن قوله كتاب خبر لمحذوف (قوله أنزلناه) أى لفظا ومعنى (قوله لتخرج الناس) هذا هو حكمة الانزال (قوله الكفر) عبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد طرقه بخلاف الايمان فهو متحد لاتعدد فيه وحكمة التعبير عن الكفر بالظلمات أنه يوصل لدار الظلمات وهى النار وعن الايمان بالنور لأنه يوصل إلى دار النور وهى الجنة (قوله باذن ربهم) فسره بالأمر اشارة إلى أن المعنى لتأمرهم بالخروج من الظلمات إلى النور (قوله و يبدل من إلى النور) أى باعادة الجار وهو بدل كل من كل (قوله طريق العزيز) أى وهو الاسلام وسمى بذلك لأنه الموصل لدار السعادة .

(قوله بدل أو عطف بيان) أى من العزيز وهذا على القاعدة من أن نعت المعرفة إذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل ويعرب هو بدلا منه أو عطف بيان وحينئذ فالأصل إلى صراط الله العزيز الحميد (قوله والرفع مبتدأ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أى فلا شريك له فى شئ من ذلك (قوله وويل) قيل معناه دمار وهلاك للكافرين، وقيل واد فى جهنم لو وضعت فيه جبال الدنيا لذابت من حره وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله نعت) أى للكافرين وفيه الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبى وهو قوله من عذاب شديد فالأوضح أن يكون مبتدأ خبره أولئك فى ضلال بعيد (قوله يستحبون الحياة الدنيا) أى يحبونها و يألفونها زيادة على الآخرة، والمعنى يقدمون الحياة الدنيا على الآخرة (قوله ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدين الحق (قوله ويبغونها عوجا) أى يطلبون العدول والانحراف عنها، والمعنى أنهم يضلون غيرهم و يضلون فى أنفسهم (قوله فى ضلال بعيد) أى كفر مبعد لهم عن الرحمة والخير (قوله وما أرسلنا من رسول) أى محمدا أو غيره. إن قلت إن كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم فظاهر وإن كان المراد الذين أرسل لهم فرسول الله أرسل لكافة الخلق مع أنه لم يظهر منه إلا اللسان العربى وهو لسان بعض قومه أجيب بأن الله علمه جميع اللغات فكان يخاطب كل قوم بلغتهم

بدل أو عطف بيان وما بعده صفة، والرفع مبتدأ خبره (الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيداً (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. الَّذِينَ) نعت (يَسْتَحِبُّونَ) يختارون (الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ) دين الاسلام (وَيَبْغُونَهَا) أى السبيل (عِوَجًا) معوجة (أُولٰئِكَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ) عن الحق (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ) بلغة (قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ليفهمهم ما أتى به (فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) التسع وقلنا له (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ) بنى إسرائيل (مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّٰهِ) بنعمه (إِنَّ فِى ذٰلِكَ) التذكير (لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ) على الطاعة (شَكُورٍ) للنعم (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ) لقول بعض الكهنة إن مولودا يولد فى بنى إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وَفِى ذٰلِكُمْ) الانجاء أو العذاب (بَلَاءٌ) إنعام أو إبتلاء (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإِذْ تَأَذَّنَ) أعلم (رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ) نعمتى،

و إن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية لأنه لم يتفق أنه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها (قوله فيضل الله من يشاء) استئناف مفصل لقوله ليبين لهم (قوله وهو العزيز) أى الغالب على أمره وهو كالعلة لقوله فيضل الله من يشاء الخ (قوله الحكيم) أى الذى يضع الشئ فى محله (قوله ولقد أرسلنا موسى) تفصيل لما أجمل فى قوله: وما أرسلنا من رسول الآية (قوله التسع) تقدم منها ثمانية فى الأعراف والتاسعة فى يونس (قوله وقلنا له) لاحاجة لتقديره بل المناسب أن يفسر بالتوحيد

أن بأى التفسيرية لأن ضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو أرسلنا و يصح جعلها مصدرية: أى بإخراج قومك وهذه الباء للتعدية وفى بآياتنا للحال (قوله بنعمه) أى فالمراد بالأيام النعم وعبر عنها بالأيام لحصولها فيها (قوله لكل صبار) أى كثير الصبر، وقوله شكور: أى كثير الشكر وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها (قوله واذكر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم، والمعنى اذكر لقومك ماوقع لموسى وقومه لعلهم يعتبرون (قوله يسومونكم) أى يذيقونكم (قوله سوء العذاب) أى العذاب السيئ وهو الشديد (قوله ويذبحون أبناءكم) عطفه بالواو هنا إشارة إلى أنه غير العذاب السيء المذكور وأما فى البقرة فهو تفسير لسوء العذاب فصح التغاير بهذا الاعتبار و إن كانت القصة واحدة (قوله و يستحيون نساءكم) أى للخدمة فكانوا يستخدمونهن ويمنعونهن عن أزواجهن (قوله لقول بعض الكهنة) جمع كاهن وهو المخبر عن المغيبات المستقبلة وأما العراف فهو المخبر عن الأمور الماضية (قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم) أى فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده بالخير والشر قال تعالى -ونبلوكم بالشر والخير فتنة- لأن النعمة أو البلية إذا أصابت الشخص فهو معرض إما لرضا الله إن شكر وصبر، أو لغضبه إن جزع وكفر (قوله و إذ تأذن ربكم) من جملة كلام موسى لقومه كأنه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين

بالتوحيد والطاعة (لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ) جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ. وَقَالَ مُوسَى) لقومه (إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود فى صنعه بهم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) استفهام تقرير (نَبَأُ) خبر (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ) قوم هود (وَثَمُودَ) قوم صالح (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) لكثرتهم (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الواضحة على صدقهم (فَرَدُّوا) أى الأمم (أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أى إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) على زعمكم (وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) استفهام إنكار، أى لاشك فى توحيده للدلائل الظاهرة عليه (فَاطِرِ) خالق (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ) إلى طاعته (لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) من زائدة فإن الإسلام يغفر به ماقبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد (وَيُؤَخِّرَكُمْ) بلا عذاب (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أجل الموت (قَالُوا إِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأصنام (فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة ظاهرة على صدقكم (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ) ما (نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) كما قلتم ،

تأذن ربكم (قوله بالتوحيد والطاعة) أى بأن وحدتمونى ودمتم على طاعتى (قوله لأزيدنكم) أى من خيرى الدنيا والآخرة فيحصل لكم النعم والرضا فتظفرون بالسعادتين (قوله ولئن كفرتم) لم يصرح بالجواب فى جانب الوعيد وصرح به فى جانب الوعد إشارة إلى كرمه سبحانه وتعالى وأن رحمته سبقت غضبه، ونظير ذلك قوله تعالى - بيدك الخير - ولم يقل و بيدك الشر (قوله لأعذبنكم) هذا هو جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة أنه عند اجتماعهما يحذف جواب المتأخر (قوله وقال موسى) أى بعد أن أيس من إيمانهم (قوله فان الله لغنى) أى عن شكركم وإيمانكم (قوله حميد) أى مستحق للحمد، والمعنى أن كفركم بالله أنتم وأهل الأرض جميعا لاينقص من ملكه شيئا و إيمانكم لايزيد فى ملكه شيئا بل على حد سواء و إنما ذلك راجع إلى أنفسكم وهو غنى عنكم (قوله ألم يأتكم) من كلام موسى أيضا أو من كلام الله (قوله والذين من بعدهم) إما مبتدأ خبره قوله لايعلمهم إلا الله أو معطوف على قوله قوم نوح، وقوله لايعلمهم إلا الله اعتراض (قوله جاءتهم رسلهم) مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماقصتهم وماشأنهم (قوله فردوا أيديهم فى أفواههم) أى لكراهتهم ذلك فان شأن الانسان إذا كره شيئا واغتاظ منه ولم يقدر على دفعه يعض على يديه (قوله ليعضوا عليها) بفتح العين وضمها (قوله على زعمكم) أى و إلا فلم يعترفوا برسالة رسلهم (قوله و إنا لفى شك الخ) أى والشك كفر فلا ينافى قولهم: إنا كفرنا بما أرسلتم به (قوله فى الريبة) أى وهى عدم اطمئنان النفس الى الشىء (قوله قالت رسلهم) أى جوابا لقول الأمم إنا كفرنا بما أرسلتم به (قوله أفى الله شك) الهمزة للاستفهام والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أثبت، وشك فاعل بالجار والمجرور لاعتماده على الاستفهام أو الجار والمجرور خبر مقدم وشك مبتدأ مؤخر والأولى الأول لسلامته من الفصل بين الصفة وهو فاطر والموصوف وهو لفظ الجلالة بأجنبى وهو المبتدأ (قوله للدلائل الظاهرة) أى العقلية والنقلية (قوله فاطر السموات والأرض) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله يدعوكم) الجملة حالية (قوله ليغفر لكم) أى لاليتكمل بطاعتكم بل ثمرة امتثالكم وطاعتكم عائدة عليكم (قوله من زائدة) هذا مبنى على مذهب الأخفش من أنها تزاد فى الاثبات وهى طريقة ضعيفة فلايناسب تخريج القرآن عليها، وقوله أو تبعيضية فيه أنه ظاهر فى المسلم الأصلى، وأما الكافر إذا أسلم فلايظهر لأن الاسلام يجب ماقبله ولو حقوق العباد، وحينئذ فالجواب الأتم أن تجعل من بمعنى بدل: أى يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم أو ضمن يغفر معنى يخلص ومن على بابها للتعدية، والتقدير ليخلصكم من ذنوبكم ولعل هذا الجواب هو الأقرب (قوله و يؤخركم) معطوف على يغفر، والمعنى يدعوكم الى طاعته لأمرين غفران ذنوبكم وتأخير العذاب الى أجل مسمى بأن تعيشوا فى الدنيا سالمين من الخزى كالخسف والمسخ فاذا متم على الايمان دخلتم الجنة ففزتم بالسعادتين (قوله قالوا) أى الأمم جوابا لمقالة الرسل (قوله إلا بشر مثلنا) أى فلامزية لكم علينا فلم اختصصتم بالنبوة دوننا (قوله أن تصدونا) أن مصدرية وتصدوا منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ونا مفعوله (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله حجة ظاهرة) أى غير ماجئتم به (قوله قالت لهم رسلهم) أى جوابا لمقالتهم .

(وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) بالنبوة (وَمَا كَانَ) ما ينبغى (لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بأمره لأنا عبيد مربوبون (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يثقوا به (وَمَا لَنَا أَ) نْ (لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ) أى لا مانع لنا من ذلك (وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا) على أذاكم (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ) لتصيرن (فِي مِلَّتِنَا) ديننا (فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ) أرضهم (مِنْ بَعْدِهِمْ) بعد هلاكهم (ذَٰلِكَ) النصر وإيراث الأرض (لِمَنْ خَافَ مَقَامِي) أى مقامه بين يدى (وَخَافَ وَعِيدِ) بالعذاب (وَاسْتَفْتَحُوا) استنصر الرسل بالله على قومهم (وَخَابَ) خسر (كُلُّ جَبَّارٍ) متكبر عن طاعة الله (عَنِيدٍ) معاند للحق (مِنْ وَرَائِهِ) أى أمامه (جَهَنَّمُ) يدخلها (وَيُسْقَىٰ) فيها (مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم (يَتَجَرَّعُهُ) يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) يزدرده لقبحه وكراهته (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ) أى أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ) بعد ذلك العذاب (عَذَابٌ غَلِيظٌ) قوى متصل (مَثَلُ) صفة (الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) مبتدأ ويبدل منه (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة كصلة وصدقة ،

(قوله ولكن الله يمن على من يشاء) أى فأننا وإن كنا بشرا مثلكم إلا أن الله فضلنا عليكم بالنبوة وأعطانا المعجزات على مراده فإن آمنتم فهو خير لكم وإن كفرتم فهو شر لكم فلا قدرة لنا على إتيان ما تطلبونه لأننا عبيد مقهورون (قوله بأمره) المناسب أن يقول بإرادته (قوله فليتوكل المؤمنون) أى يفوضوا أمورهم إليه ويصبروا على ما أصابهم (قوله وما لنا) أى أى شىء ثبت لنا (قوله أى لا مانع لنا من ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وقد هدانا سبلنا) أى أرشدنا إلى طرقنا الموصلة للسعادة العظمى (قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا) أى فلا نبالى بكم ولا بإذايتكم (قوله على أذاكم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله فليتوكل المتوكلون) أى يدوموا على التوكل (قوله وقال الذين كفروا) أى المتعنتون المتمردون (قوله لنخرجنكم من أرضنا) أى فلا تخالطونا بل أريحونا من هذا التعب (قوله لتصيرن) دفع بذلك ما يقال إن العود يقتضى أنه سبق لهم التلبس بملتهم مع أن الرسل معصومون من ذلك . فأجاب المفسر بأن المراد بالعود الصيرورة أى لتصيرن داخلين فى ملتنا (قوله فأوحى إليهم) أى إلى الرسل بعد هذه المقالات لليأس من إيمانهم (قوله لنهلكن الظالمين) أى

نستأصلهم بالهلاك فلا يبقى منهم أحد (قوله ذلك) مبتدأ خبره قوله لمن خاف الخ (قوله أى مقامه بين يدى) أى موقفه عندى يوم القيامة (قوله وخاف وعيد بالعذاب) فى هذه الآية إشارة إلى أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده لأن العطف يقتضى المغايرة (قوله واستفتحوا) أى طلب الرسل الفتح من الله لما أيسوا من إيمان قومهم (قوله استنصر الرسل) أى طلبوا من الله النصر (قوله وخاب) معطوف على مقدر ، والتقدير فنصروا وخاب

الخ (قوله خسر) أى فى الدنيا والآخرة (قوله متكبر عن طاعة الله) أى متعظم فى نفسه محتقر لما سواه (قوله أى أمامه) أى فالوراء يستعمل فى الأمام والخلف فهو من الأضداد ، وقيل هو اسم لما توارى عنك سواء كان من خلفك أو من أمامك (قوله صديد) بدل أو عطف بيان (قوله هو ما يسيل الخ)) وقيل هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (قوله يتجرعه) أى يكلف تجرعه ويقهر عليه (قوله ولا يكاد يسيغه) أى لا يقرب من إساغته قال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ـ ويسقى من ماء صديد يتجرعه ـ قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه أى جلدتها بشعرها فإذا شرب به قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره كما قال وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال ـ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ـ (قوله وما هو بميت) أى فيستريح قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (قوله بعد ذلك العذاب) أشار بذلك إلى أن الضمير فى ورائه عائد على العذاب وقيل عائد على كل جبار ، والمعنى ويستقبل فى كل وقت عذابا أشد مما هو فيه كالحيات والعقارب والزمهرير وغير ذلك أجارنا الله من ذلك (قوله متصل) أى لا ينقطع بل هو دائم مستمر (قوله ويبدل منه)

أى من الموصول ، والأصل مثل أعمال الذين كفروا (قوله فى عدم الانتفاع بها) أى فهى ، وإن كانت أعمال بر إلا أنها لاتنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها ، و إنما جزاؤها إن كانت لاتتوقف على الاسلام يكون فى الدنيا بتوسيع الرزق والعافية فى البدن (قوله اشتدت به الريح) أى حملته وذهبت به (قوله لعدم شرطه) أى وهو الايمان (قوله البعيد) أى الذى لايرجى زواله (قوله ألم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر فليس خاصا بالنبىّ صلى الله عليه وسلم (قوله تنظر) أى تبصر وتتأمل ببصيرتك فتستدل على أن الخالق متصف بالكمالات (قوله استفهام تقرير) أى والمعنى أقر يامخاطب بذلك واعترف ولا تعاند فان القادر على خلق السموات لايعجزه شىء فهو حقيق بالعبادة دون غيره (قوله بالحق) الباء إما للسببية أو للملابسة ، والمعنى خلق السموات والأرض بسبب الحقّ أو ملتبسا بالحقّ أى الحكمة الباهرة لاعبثا (قوله متعلق بخلق) أى أو بمحذوف حال من فاعل خلق (قوله إن يشأ يذهبكم) أى يعدمكم فان القادر لايصعب عليه شىء قال تعالى - إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين - (قوله وما ذلك) أى الاذهاب والاتيان بشديد على الله قال تعالى - ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - (قوله و برزوا) هذا إخبار من الله تعالى عن محاجة

فى عدم الانتفاع بها (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ) شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والمجرور خبر المبتدإ (لَا يَقْدِرُونَ) أى الكفار (مِمَّا كَسَبُوا) عملوا فى الدنيا (عَلَى شَىْءٍ) أى لايجدون له ثوابا لعدم شرطه (ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ) الهلاك (الْبَعِيدُ . أَلَمْ تَرَ) تنظر يامخاطب استفهام تقرير (أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) أيها الناس (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بدلكم (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ) شديد (وَبَرَزُوا) خرجوا أى الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضى لتحقق وقوعه (لِلّٰهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ) الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) المتبوعين (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جمع تابع (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) دافعون (عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَىْءٍ) من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض (قَالُوا) أى المتبوعون (لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ) لدعوناكم إلى الهدى (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ) زائدة (مَحِيصٍ) ملجإ (وَقَالَ الشَّيْطَانُ) إبليس (لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه (إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) بالبعث والجزاء فصدقكم (وَوَعَدْتُكُمْ) أنه غير كائن (فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ) زائدة (سُلْطَانٍ) قوة وقدرة أقهركم على متابعتى (إِلَّا) لكن ،

الكفار مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة والبروز الظهور والمعنى يظهرون بين الخلائق فلايغيب لهم شىء من أوصافهم أبدا (قوله خرجوا) أى من القبور للحساب والجزاء (قوله والتعبير الخ) جواب عما يقال إن هذه الأشياء لم تحصل . فأجاب بأن ذلك لتحقق الوقوع أى لأن الله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون وما هو كائن فالماضى والمستقبل فى علمه على حد سواء (قوله فقال الضعفاء) أى فى الرأى (قوله إنا كنا لكم تبعا) أى فى تكذيب الرسل والدخول فى دينكم (قوله من الأولى للتبيين الخ) أى والكلام فيه تقديم وتأخير والتقدير فهل أنتم مغنون عنا بعض الشىء الذى هو عذاب الله (قوله قالوا) أى جوابا لهم واعتذارا عمافعلوا بهم (قوله لوهدانا الله) أى لو وصلنا الله لدار السعادة فى الدنيا بالايمان لهديناكم لكن حصل لنا الضلال فأضللناكم فاخترنا لكم ما لأنفسنا (قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) هذا من كلام جميع الكفار الأتباع والرؤساء ويؤيده ماروى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم ثم يقولون سواء علينا الخ ، والجزع القلق وعدم تحمل الشدائد (قوله ملجأ) أى محل هروب نلتجىء له (قوله وقال الشيطان الخ) أى حين يوضع له منبر من نار فى النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم إن الله وعدكم الخ (قوله لما قضى الأمر) أى نفذ قضاؤه باستقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (قوله وعد الحق) أى الوعد الثابت الناجز وليس المراد الوعد بالخير بل المراد به الجزاء والبعث (قوله فصدقكم) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذفا بدليل قوله فأخلفتكم (قوله أنه غير كائن) قدره إشارة إلى أن معمول وعد الثانى محذوف (قوله فأخلفتكم) أى تبين خلافه (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن دعوته ليست من جنس السلطان.

(قوله فلا تلوموني) أي على وسوستي لكم (قوله ولوموا أنفسكم) اى وبخوها على اتباعي فأني لم أكن مكرها لكم على اتباعي بل جاءتكم البينات والرسل وسمعتم الدلائل الظاهرة على توحيد الله فتركتموها واتبعتموني (قوله على إجابتي) أي وبمخالفة ربكم (قوله بمغيثكم) أي من العذاب (قوله بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان والأصل بمصرخين لي حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة فاجتمع مثلان أدغم أحدهما في الآخر فحركت ياء الاضافة بالفتح طلبا للخفة على إحدى القراءتين وكسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين على الأخرى (قوله إني كفرت بما أشركتمون) أي تبرأت وأنكرت إشراككم إياي مع الله حيث أطعتموني في وسوستي لكم بالشرك فكأنهم أشركوه مع الله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أنه ليس من كلام إبليس وقيل من كلامه (قوله وأدخل الذين آمنوا) لما ذكر أحوال الأشقياء شرع في ذكر أحوال السعداء (قوله حال مقدرة) أي مقدرين الخلود فيها وتقدير الخلود عند الدخول من تمام النعيم (قوله باذن ربهم) متعلق بأدخل (قوله من الله) قال تعالى سلام قولا من رب رحيم (قوله ومن الملائكة) قال تعالى: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (قوله ألم تر) الخطاب إما للنبي أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله مثلا) المثل تشبيه مجهول بمعلوم ليقاس عليه (قوله أي لا إله إلا الله) خصها بالذكر لأنها مفتاح الجنة ولا يقبل من أحد الايمان إلا بها. وقيل كل كلمة حسنة

(أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) على إجابتي (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) بمغيثكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) بفتح الياء وكسرها (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ) باشراككم إياي مع الله (مِنْ قَبْلُ) في الدنيا، قال تعالى (إِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) حال مقدرة (فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (سَلَامٌ. أَلَمْ تَرَ) تنظر (كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (كَلِمَةً طَيِّبَةً) أي لا إله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) هي النخلة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) في الأرض (وَفَرْعُهَا) غصنها (فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي) تعطي (أُكُلَهَا) ثمرها (كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه في كل وقت (وَيَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) هي كلمة الكفر (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) هي الحنظل (اجْتُثَّتْ) استؤصلت (مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) مستقر وثبات.

كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك (قوله أصلها ثابت) أي عروقها ثابتة في الأرض ماكثة فيها حتى أنها لاتحتاج لسقي بل تشرب من عروقها (قوله وفرعها في السماء) أي لجهة العلو (قوله كل حين) اختلف في مقداره فقيل الحين كل سنة لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة وقيل ستة أشهر لأنه من وقت طلعها إلى طيبها كذلك وقيل ثمانية أشهر لأن حملها ظاهرا وباطنا كذلك وقيل أربعة أشهر لأنه من حين ظهورها إلى إدراكها كذلك وقيل شهران كذلك لأنه من وقت أكلها إلى قطع ثمرها كذلك وقيل كل وقت لأن ثمر النخل يؤكل دائما فيؤكل منها الطلع والبلح والبسر والرطب والتمر وهو الأولى (قوله وعمله يصعد إلى السماء) قال تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ووجه الشبه بين الإيمان والشجرة أن الشجرة لها عرق راسخ وفرع عال وثمر يؤكل والايمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان فإذا أكثر الانسان من ذكر هذه الكلمة ظهرت عليه أنوارها ولمعت في فؤاده أسرارها فدام نفعه بها في العاجل والآجل ومن هنا اختص الصوفية بها بمعنى أنهم تلقوها عن أشياخهم بالسند المتصل وتعلقوا بها فصارت شعارهم ودثارهم، ولذا قال السنوسي فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعاني حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الأسرار والعجائب مالا يدخل تحت حصر (قوله هي كلمة الكفر) أي كل مايدل عليه (قوله هي الحنظل) حكمة التشبيه بها أنها لاتغوص في الأرض بل عروقها في وجه الأرض ولا غصون لها تصعد إلى جهة السماء بل ورقها يمتد على الأرض كشجر البطيخ وثمرها رديء وتسميتها شجرا مشاكلة لأنها من النجم لا من الشجر لأن الشجر ماله ساق والنجم مالا ساق له (قوله اجتثت) أي قلعت جثتها، والمعنى على التشبيه أي كأنها لعدم ثبات أصلها وامتدادها في الأرض كالشيء المقلوع جثته.

(قوله يثبت الله الذين آمنوا) هـذا راجع لمثل الأول (قوله فى الحيوة الدنيا) أى فلا يتزلزلون عن الدين إذا ابتلوا بالمصائب كالقتل وأخذ المال وفقد الأحباب والفتانات عند الممات وغير ذلك وهذه بشرى للمؤمنين بأن إيمانهم ثابت فى قلوبهم لا يتزلزل أبدا بل يثبتهم الله دنيا وأخرى (قوله أى فى القبر) خصه بالذكر لأنه بعد سؤاله لا يفتنون فى التوحيد وإنما يكون حسابهم فى الوقف على فروع الدين (قوله لما يسألهم الملكان) أى حين يحيي الله الميت حتى يسمع قرع نعال من كان ماشيا فى جنازته فيقعدانه ويقولان له مار بك وما دينك وما نبيك ، فأما المؤمن فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له نم نومة العروس قد علمنا أن كنت لموقنا ، وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا فقلت مثل مايقولون فيضربانه بمطراق من نار فيصيح صيحة يسمعه من فى الأرض غير الثقلين ويقولان له لادريت ولا تليت (قوله ويفعل الله مايشاء) أى يحكم لامعقب لحكمه وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم هدى هؤلاء وأضل هؤلاء فأجاب بأنه يفعل مايشاء فلا يسئل عما يفعل (قوله ألم تر) استفهام تعجيب وهو خطاب لرسول الله ولكل عاقل (قوله أى شكرها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله هم كفار قريش) أى فنعم الله التى بدلوا شكرها كفرا كون نسبهم أشرف الأنساب وبلدهم أشرف البلاد وكون الخلق تسعى إليهم ولا يسعون فبدلوا ذلك حيث كذبوا خير الخلق

كذلك كلمة الكفر لاثبات لها ولا فرع ولا بركة (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) هى كلمة التوحيد (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) أى فى القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما فى حديث الشيخين (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لاندرى كما فى الحديث (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) أى شكرها (كُفْرًا) هم كفار قريش (وَأَحَلُّوا) أنزلوا (قَوْمَهُمْ) باضلالهم إياهم (دَارَ الْبَوَارِ) الهلاك (جَهَنَّمَ) عطف بيان (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (وَبِئْسَ الْقَرَارُ) المقر هى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) شركاء (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء وضمها (عَنْ سَبِيلِهِ) دين الاسلام (قُلْ) لهم (تَمَتَّعُوا) بدنياكم قليلا (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ) مرجعكم (إِلَى النَّارِ . قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ) ،

وعبدوا الأصنام (قوله قومهم) أى أتباعهم (قوله دار البوار) يقال بار يبور بوارا بالضم : هلك ، وبار الشئ بوارا : كسد فأطلق اللازم وأريد الملزوم لأنه يلزم من الكساد الهلاك (قوله يصلونها) حال من القوم (قوله وجعلوا) عطف على بدلوا (قوله أندادا) جمع ند بمعنى النظير (قوله ليضلوا) اللام للعاقبة والصيرورة لأن اتخاذهم الأنداد ليس لأجل الضلال بل لكونهم يقربونهم إلى الله زلفى (قوله بفتح الياء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان . والمعنى ليضلوا فى أنفسهم وهذا على الفتح أو ليضلوا غيرهم وهذا على الضم (قوله بدنياكم) أى أو بعبادتكم الأصنام لأنها من جملة الشهوات التى يمتع بها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان هذا تهديد لكل ظالم (قوله فان مصيركم إلى النار) أى مآلكم إليها (قوله قل لعبادى) بثبوت الياء مفتوحة وبحذفها لفظا لاخطا قراءتان سبعيتان هنا ، وفى أربعة مواضع من القرآن فى سورة الأنبياء فى قوله أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، وفى العنكبوت فى قوله ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة وقوله فى سبأ : وقليل من عبادى الشكور وقوله فى سورة الزمر : قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، والاضافة فى عبادى للتشريف ، ولذا قال العارف :

وممـا زادنى شرفا وتيها ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا

دخولى تحت قولك ياعبادى ... وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وفى ذلك إشارة إلى أن الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البر لاتكون إلا لمن اتصف بالايمان فلا تنفع الكافر فى حال كفره فلا ينافى أنه مخاطب بفروع الشريعة لكن لا تصح منه إلا بالاسلام وفائدة خطابه بها أنه يعذب عليها زيادة على عذاب الكفر بدليل قوله تعالى : ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الآية (قوله وينفقوا مما رزقناهم) أى النفقة الواجبة كالزكاة والمندوبة كالتطوع

وقوله سرا وعلانية أي فالانسان مخير في الانفاق إما سرا أوجهرا لكن الأفضل في الواجبة الجهر لئلا يتهم بقلة الدين وفي التطوعات السر لكونه أقرب إلى الاخلاص (قوله فداء) مشى المفسر على أن المراد بالبيع الفداء ومشى غيره على إبقاء البيع على ظاهره أي لاشيء يباع فيه الفداء (قوله مخالة) أشار المفسر إلى أن قوله خلال مصدر بمعنى المخالة، وقال غيره إن خلال جمع خلة كقلال جمع قلة (قوله أي صداقة تنفع) هذا محمول على الكفار بدليل آية الزخرف: الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فالمتقون لهم الأخلاء يوم القيامة وفي القبور وفي كل موطن مخوف والكفار قد تقطعت بهم الأسباب فليس لهم أخلاء نافعون أصلا (قوله الله الذي خلق) شروع في ذكر دلائل وحدانيته تعالى واتصافه بالكمالات وهذه الآية مشتملة على عشرة أدلة (قوله من السماء ماء) أي فماء المطر من السماء كما ذكره أهل السنة (قوله من الثمرات) المراد بها مايشمل المطعوم والملبوس (قوله رزقا لكم) حال من الثمرات (قوله السفن) أي الكبار والصغار وقوله بالركوب أي على ظهرها وقوله والحمل أي حمل الأثقال من محل إلى آخر (قوله وسخر لكم الأنهار) جمع نهر أي ذللها لكم في جميع الأرض على ماتشتهي أنفسكم (قوله دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان من يوم خلقهما الله لايخلقان ولا يفتران عن سيرهما إلى آخر الدهر فالشمس نعمة النهار والقمر نعمة الليل وهما منافع للعالم بهما يهتدون ويعرفون السنين والحساب وتطييب ثمارهم وزروعاتهم فهما سبب عادي لنفع العالم يوجد النفع عندهما لابهما (قوله لايفتران) أي لايضعفان ولاينكسران (قوله في فلكهما) أي محلهما ومقرهما وهو السماء الرابعة للشمس وسماء الدنيا للقمر (قوله لتسكنوا فيه) أي تطمئنوا فيه من تعب النهار (قوله لتبتغوا من فضله) أي تسعوا في معايشكم ومعادكم قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله (قوله وآتاكم من كل ماسألتموه) عطف عام على خاص، ومن قيل صلة على مذهب الأخفش من زيادتها في الاثبات أي آتاكم كل ماسألتموه وقيل تبعيضية أي آتاكم بعض كل ماسألتموه أي احتجتم إليه ولو لم يحصل سؤال بالفعل فالمراد شأنكم تسألون عنه لاحتياجكم إليه فان الله أعطانا النعم من غير سؤال منا، والمعنى أعطى الله كل فرد فرد بعض كل مايحتاج إليه العالم فأصول النعم اشترك فيها جميع العالم عقلاء وغيرهم مسلمين وكفارا، وما يحتمل أنها موصولة وهو الأتم والتقدير بعض كل الذي سألتموه أومصدرية والتقدير بعض كل مسئول لكم (قوله على حسب مصالحكم) جواب عما يقال إن الانسان لم يعط بعض كل ماسأل فانه قد يسأل السلطنة مثلا ولا يعطاها فأجاب بأن هذه العطية ليست على حسب مايصلح للعبد بل على حسب مراد الله تعالى فعطاياه سبحانه وتعالى على حسب مراده في خلقه فمنهم من جعل رزقه واسعا ومنهم من جعل رزقه ضيقا وهكذا (قوله وإن تعدوا نعمت الله) أي أفرادها فانها غير متناهية (قوله بمعنى إنعامه) أشار بذلك إلى أن المراد بالنعمة الانعام وهو صفة فعل ودفع بذلك مايقال كيف يقول الله وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها مع أن كل نعمة دخلت الوجود متناهية ويمكن عدها فأجاب بأن المراد بالنعمة الانعام بمعنى تجددها شيئا فشيئا (قوله الكافر) المراد به أبو جهل لأنها نزلت فيه والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله وإذ قال إبراهيم) إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اذكر لهم قصة إبراهيم ودعواته لساكني البيت الحرام ولبنيه لعلهم يعتبرون فينزجروا عما هم عليه فان لم يعتبروا فقد تعرضوا لما يحل بهم (قوله هذا البلد) قال الأشياخ حكمة تعريف البلد هنا وتنكيرها في البقرة أن إبراهيم تكرر منه الدعاء فما في البقرة كان قبل بنائها فطلب من الله أن تجعل بلدا وأن تكون آمنا وما هنا بعد بنائها فطلب من الله أن تكون آمنا

فداء (فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) مخالة أي صداقة تنفع هو يوم القيامة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ) السفن (لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ) بالركوب والحمل (بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ) جاريين في فلكهما لايفتران (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ) لتسكنوا فيه (وَالنَّهَارَ) لتبتغوا فيه من فضله (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) على حسب مصالحكم (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ) بمعنى إنعامه (لَا تُحْصُوهَا) لاتطيقوا عدها (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ) مكة (آمِنًا) ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما،

لايسفك

(قوله لايسفك فيه دم إنسان) أى لايتمكن منه جبار بقصد إهانة البيت وأهله وماوقع من الحجاج فى مقاتلته لابن الزبير وهدمه البيت إنما كان بقصد التعظيم للبيت بسبب دعواه أن ابن الزبير كان مخطئا فى بنائه البيت على قواعد إبراهيم وقوله لايسفك فيه دم إنسان أى ولو قصاصا وهو مذهب أبى حنيفة و إنما يضيق عليه ليخرج فاذا خرج اقتص منه (قوله ولا يظلم فيه أحد) أى ومن تجرأ وظلم فيه فقد تعرض لعذاب الله قال تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (قوله ولا يصاد صيده) أى يحرم صيد البر فى الحرم على كل شخص محرما أوغيره (قوله ولا يختلى خلاه) أى لايقطع حشيشه النابت بنفسه واستثنى العلماء من ذلك الإذخر والسنا والسواك والعصا وقطع الشجر للبناء محله لأنه ينبغى توسعته . إن قلت إن قوله آمنا يعارضه ماروى أن ذا السويقتين يخرب البيت ويخيف أهله فى آخر الزمان . أجيب بأن معنى الأمن الطمأنينة ظاهرا وباطنا من سطوات الخالق والخلوق للحيوان العاقل وغيره غالبا فلا ينافى حدوث النوادر من بعض الجبابرة . وأجيب أيضا بأن المراد الأمن من الخراب إلى قرب الساعة فان ذا السويقتين يخرب الكعبة قرب الساعة بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام .

فائدة : قول إبراهيم رب اجعل هذا البلد الخ يقتضى أن دأبه الدعاء ، وما ورد من قوله حين ألقى فى النار : حسبى من سؤالى علمه بحالى يقتضى أنه لم يكن دأبه الدعاء فما السر فى ذلك . أجيب بأنه كان فى زمن إلقائه فى النار فى مقام الفناء والسكر وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق فلا يشهد أثرا ، وفى زمن دعائه فى مقام البقاء وجمع الجمع وهو البقاء بالله بمعنى شهود الآثار بعد شهود مؤثرها فمقامه فى حال دعائه أعلى وأجل من مقامه فى حال تركه له ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقام بل بدايتهم أعلى وأجل من نهاية غيرهم فالأولياء وإن عظموا لايصلون لأدنى رتب الأنبياء ، وأما قول أبى الحسن الشاذلى

لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (وَاجْنُبْنِي) بعدنى (وَبَنِيَّ) عن (أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ) أى الأصنام (أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) بعبادتهم لها (فَمَنْ تَبِعَنِي) على التوحيد (فَإِنَّهُ مِنِّي) من أهل دينى (وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) هذا قبل علمه أنه تعالى لايغفر الشرك (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي) أى بعضها وهو إسمعيل مع أمه هاجر (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) هو مكة (عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) الذى كان قبل الطوفان ،

واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك الخ فمعناه قربا يليق بى لا كقرب الخليل فقد طلب من الله أن يذيقه قطرة من بحار تجلياته التى تجلى بها على الخليل حتى أسكره فلم يشهد شيئا سواه (قوله واجنبنى و بنى) المراد أولاده وأولاد أولاده كاسماعيل وإسحاق و يعقوب والأسباط . إن قلت إن الأنبياء معصومون من الشرك فنى دعائه تحصيل الحاصل . والجواب الأتم أن دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع مع كونه يعلم عصمة نفسه ويقال مثل هذا فى دعوات باقى الأنبياء بالنجاة مما هم معصومون منه كعذاب النار وغضب الجبار ونحو ذلك (قوله رب انهن) كرر النداء تأكيدا (قوله بعبادتهم لها) أشار بذلك إلى أن نسبة الاضلال للأصنام مجاز لأنها سبب فى الضلال بسبب عبادتها (قوله فانه منى) أى منسوب لى وملحق بى (قوله هذا قبل علمه الخ) جواب عما يقال إن الله لايغفر الشرك فكيف يقول فانك غفور رحيم . وأجيب أيضا بأن قوله ومن عصانى أى بغير الكفر و بأن طلب الغفران لذريته الكفار إن ماتوا على الاسلام (قوله وهو اسمعيل مع أمه هاجر) وسبب ذلك الاسكان أن هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لابراهيم فولدت منه اسمعيل فغارت سارة منها لأنها لم تكن قد ولدت قط فأنشدته بالله أن يخرجهما من عندها فأمره الله تعالى بالوحى أن ينقلها إلى أرض مكة وأتى له بالبراق فركب عليه هو وهاجر والطفل فأتى من الشام ووضعهما فى مكة عند البيت مكان زمزم وليس بمكة أحد ولا بناء ولا ماء ثم قام إبراهيم منطلقا فتبعته هاجر وقالت أين تذهب وتتركنى بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء فلم يلتفت فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لايضيعنى ثم رجعت فانطلق إبراهيم ثم رفع يديه إلى السماء وقال ربنا إنى أسكنت الخ (قوله بواد) أى فى واد والوادى هو المنخفض بين الجبلين (قوله غير ذى زرع) أى لايصلح للزرع به لكونه أرضا حجرية لا تنبت شيئا (قوله الذى كان قبل الطوفان) أشار بذلك إلى أن تسميته بيتا محرما فيه مجاز باعتبار ما كان و يصح أن يكون مجازا باعتبار ما يؤول إليه الأمر لأن الله أوحى إليه وأعلمه أن هناك بيتا حراما وأنه سيعمره .

(قوله ربنا) كرر النداء لأن الدعاء ينبغي فيه الإطناب وكثرة الابتهال (قوله ليقيموا الصلاة) اللام لام كي متعلقة بأسكنت، والمعنى أسكنتهم بهذا الوادي الخالي من كل مرتفق ليشتغلوا بأشرف العبادات في أشرف الأماكن، والمراد من الدعاء بإقامة الصلاة توفيقهم لأدائها على الوجه الأكمل (قوله تهوى) القراء السبعة على كسر الواو: أي تسرع وتطير شوقا إليهم وقرئ شذوذا بفتح الواو وخرجت على زيادة إلى: أي تهواهم وخص الأفئدة بالذكر لأن القلوب سلاطين الأعضاء فإذا حنت إليهم القلوب سعت لهم الأجسام قهرا (قوله تميل وتحن) أشار بذلك إلى أنه ضمن تهوى معنى تميل فعداه بإلى وإلا فهو يتعدى باللام، وفي هذا دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم الله حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بميل الناس إليهم ليرتفقوا وينتفعوا بهم فقد جمع في هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا للناس ولذريته (قوله لو قال أفئدة الناس الخ) أي ولكنه لم يقل ذلك فلم يحصل لسابقة علم الله تعالى أنه لا يحن إليهم جميع الناس لوجود الكفار منهم فإبراهيم دعا بما سيحصل في الخارج المطابق لما علمه الله (قوله لعلهم يشكرون) أي يصرفون النعم في مصارفها (قوله وقد فعل بنقل الطائف إليه) أي وهو قطعة من أرض الشام من مكان يقال له حوران بدلت بقطعة من الحجاز فصارت العيون والأشجار بالطائف والحجارة والحصى والقفر بأرض حوران يشاهده كل من رآه وهو إجابة قوله - وارزقهم من الثمرات - وأما قوله - فاجعل أفئدة من الناس - الخ فقد حصل مبدأ إجابته بجرهم. وذلك أن إبراهيم لما وضع إسماعيل وأمه تركهما ومعهما جراب من تمر وسقاء من ماء فلما نفد الماء عطشت هي وولدها فصعدت على الصفا لتنظر هل ترى أحدا

فلم تر أحدا فهبطت ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات ولذلك شرع السعي بينهما سبعا فعند ذلك جاء جبريل وضرب زمزم بجناحه فخرج الماء فجعلت تحوط عليه وتقول زمي زمي وفي الحديث «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا معينا» فجعلت تشرب منه فمكثوا كذلك حتى مرت بهم قبيلة من جرهم كانوا ذاهبين إلى الشام فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء، فقالوا لها أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فلما شب إسماعيل تعلم منهم العربية وكان أنفسهم فزوجوه بامرأة منهم وماتت أمه بعد ما تزوج (قوله ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) أي تعلم ما نسره من جميع أمورنا وما نظهره منها، أو المعنى تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن: أي من قول هاجر آلله أمرك بهذا وقولي لها نعم (قوله يحتمل أن يكون) أي قوله وما يخفى على الله من شيء الخ، فعلى الأول هو اعتراض بين كلامي إبراهيم وعلى الثاني ففيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله الحمد لله الخ) هذا قاله إبراهيم في وقت آخر بعد الدعاء فإنه حين الدعاء لم يكن إسحاق موجودا بل كان إسماعيل فقط طفلا وحين الحمد كان إسحق موجودا ومعلوم أن بينهما ثلاث عشرة سنة (قوله إن ربي لسميع الدعاء) أي مجيبه (قوله مقيم الصلاة) أي مواظبا عليها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله واجعل من ذريتي) أشار المفسر إلى أن قوله - ومن ذريتي - معطوف على الياء في اجعلني فيكون الفعل مسلطا عليه (قوله وتقبل دعائي) بثبوت الياء وصلا ووقفا وحذفها كذلك قراءتان سبعيتان (قوله ربنا اغفر لي) إن قلت كيف يطلب المغفرة مع أنه نبي معصوم من جميع الذنوب. أجيب بأن المغفرة لا تستدعي سبق ذنب بل تكون من الطاعات كما إذا ارتقى مقاما أعلى مما كان فيه فيستغفر الله مما كان فيه على حد ما قيل في قوله صلى الله عليه وسلم «إني ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة».

(رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً) قلوبا (مِنَ النَّاسِ تَهْوِي) تميل وتحن (إِلَيْهِمْ) قال ابن عباس: لو قال أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم (وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) وقد فعل بنقل الطائف إليه (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي) نسر (وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن) زائدة (شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي) أعطاني (عَلَى) مع (الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ) ولد وله تسع وتسعون سنة (وَإِسْحَاقَ) ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ. رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ، وَ) اجعل (مِن ذُرِّيَّتِي) من يقيمها وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفارا (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) المذكور (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ)

هذا

هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل ، وقيل أسلمت أمه وقرئ والدى مفرداً وولدى (وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ) يثبت (الْحِسَابُ) قال تعالى (ولاَ تَحْسَبَنَّ اللهُ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) الكافرون من أهل مكة (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ) بلا عذاب (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) لهول ما ترى يقال شخص بصر فلان أى فتحه فلم يغمضه (مُهْطِعِينَ) مسرعين حال (مُقْنِعِي) رافعى (رُءُوسِهِمْ) إلى السماء (لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) بصرهم (وَأَفْئِدَتُهُمْ) قلوبهم (هَوَاءٌ) خالية من العقل لفزعهم (وَأَنْذِرِ) خوف يا محمد (النَّاسَ) الكفار (يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) هو يوم القيامة (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (رَبَّنَا أَخِّرْنَا) بأن تردنا إلى الدنيا (إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ) بالتوحيد (وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ) فيقال لهم توبيخاً (اوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ) حلفتم (مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا (مَا لَكُمْ مِنْ) زائدة (زَوَالٍ) عنها إلى الآخرة (وَسَكَنْتُمْ) فيها (فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر من الأمم السابقة (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ) من العقوبة فلم تنزجروا (وَضَرَبْنَا) بينا (لَكُمُ الْأَمْثَالَ) فى القرآن فلم تعتبروا ،

(قوله هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله) جواب عما يقال كيف ساغ لابراهيم طلب المغفرة لأبويه وهما كافران (قوله وقرئ) أى شذوذا فى هذه والتى بعدها وقرئ شذوذا أيضا وولدى بضم الواو وسكون اللام فالقراآت الشواذ ثلاث والدى مفردا وولدى بالتثنية وولدى جمع ولد (قوله يثبت) أى يوجد ويظهر وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله لا يرد دعاء خليله إبراهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة (قوله ولا تحسبن) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان فى هذه وفى قوله الآتى ـ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ـ وفى هذه الآية تسلية لكل مظلوم ووعيد عظيم لكل ظالم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانها وإن كان نزولها فى حق كفار قريش إلا أن المراد عمومها لكل ظالم لأن كل آية وردت فى الكفار فانها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله غافلا) الغفلة فى الأصل معنى يعترى الإنسان من قلة التحفظ ، وقيل معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور ، وهذا المعنى فى حق الله مستحيل فظنه كفر بل المراد لازم الغفلة وهو عدم المجازاة لأنه يلزم من الغفلة عن الشئ تركه فالمعنى لا تحسبن الله يا مخاطب تاركا مجازاة الظالمين بل مجازيهم ولا بد وإمهالهم مدة حلم منه وسيخرجهم منه فى الآخرة لما ورد « الظلمة وأعوانهم كلاب النار » (قوله من أهل مكة) خصهم بالذكر وإن كان المراد العموم لأن الآية نزلت فيهم (قوله إنما يؤخرهم) فى معنى التعليل لقوله ـ ولا تحسبن الله غافلا ـ الخ ، والتقدير لا تظن أن الله تارك مجازاتهم ولا تحزن بتأخير العذاب لأن تأخيره للتشديد والتغليظ (قوله ليوم) أى لأجل حصول يوم أو اللام بمعنى إلى التى للغاية (قوله تشخص فيه الأبصار) أى فلا تقر فى أماكنها (قوله مسرعين) أى إلى الداعى وهو إسرافيل ، وقيل جبريل حيث ينادى على صخرة بيت المقدس وهى أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فعند ذلك ينفخ إسرافيل فى الصور (قوله حال) أى من المضاف المحذوف ، والتقدير تشخص فيه أبصارهم حال كون أصحاب الأبصار مهطعين الخ (قوله لا يرتد إليهم طرفهم) أى لا ينطبق لهم جفن لعظم الهول وهو تأكيد لشخوص البصر (قوله وأفئدتهم هواء) إما مستأنف أو حال (قوله خالية من العقل لفزعهم) أى خالية من الفهم لشدة الحيرة والدهشة والمعنى أن القلوب حينئذ تكون فارغة من الادراك والفهم ، والأبصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (قوله يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لأنذر على حذف مضاف : أى أنذرهم هوله وشدته (قوله فيقول الذين ظلموا) فيه إظهار فى مقام الاضمار لزيادة التشنيع عليهم (قوله إلى أجل قريب) أى أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا مدة من الزمان نستدرك فيها ما فات (قوله نجب دعوتك) مجزوم فى جواب الأمر (قوله فيقال لهم) القائل لهم الملائكة أو الله (قوله حلفتم) أى كما حكى الله عنهم ذلك فى سورة النحل بقوله ـ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ـ (قوله وسكنتم) معطوف على أقسمتم (قوله فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) المراد بمساكنهم دار الدنيا لا خصوص منازل الذين ظلموا فان كفار قريش لم يسكنوا ديار الكفار الذين هلكوا قبلهم (قوله السابقة) أى كقوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم (قوله وتبين لكم) أى حالهم وخبرهم (قوله من العقوبة) بيان لقوله كيف فعلنا بهم

(قوله وقد مكروا) أى أهل مكة (قوله حيث أرادوا قتله الخ) أى حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون فى شأنه وقد تقدم ذلك فى الأنفال فى قوله تعالى ـ و إذ يمكر بك الذين كفروا ـ الخ (قوله ما كان) فسر إن لأن اللام فى لتزول لام الجحود وهى لاتقع إلا بعد كون منفى بما أو لم (قوله لايعبأ به) أى لايلتفت إليه (قوله والمراد بالجبال هنا) أى ففيها قولان قيل المراد حقيقتها وقيل شرائع الاسلام فهى مستعملة فى مجازها (قوله فى القرار والثبات) هذا هو وجه الشبه بينهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فإن مخففة) أى واللام فى لتزول فارقة (قوله والمراد تعظيم مكرهم) أى على هذه القراءة الثانية فتحصل أن المعنى على القراءة الأولى ما كان مكرهم مزيلا للجبال لضعفه وعدم العبرة به وعلى الثانية والحال أن مكرهم لتزول منه الجبال لعظمه وشدته والمكر على القراءتين قيل تشاورهم فى شأن النبى وقيل كفرهم ولكن القول الثانى يوافق القراءة الثانية بدليل آية تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (قوله وعلى الأولى) أى القراءة الأولى وهى النافية (قوله ما قرئ) أى الذى قرئ وهى قراءة شاذة (قوله فلا تحسبن الله) هذا مفرع على قوله ولا تحسبن الله غافلا وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتهديد للظالمين (قوله مخلف وعده رسله) القراءة السبعية بإضافة مخلف إلى وعده ورسله بالنصب وقرئ شذوذا بإضافته إلى رسله ونصب وعده فيكون قد فصل بين المتضايفين بالمفعول وهذا نظير قراءة ابن عامر فى الأنعام قتل أولادهم شركائهم (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله يوم ظرف معمول لمحذوف و يصح أن يكون معمولا لقوله : فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله و يصح أن يكون بدلا من يوم الأول فى قوله يأتيهم العذاب (قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) اختلف المفسرون فى هذا التبديل فقيل المراد تبديل صفاتهما فتسوى الجبال وتقلع الأشجار وتنشق الأنهار وتذهب الكواكب من السموات وتكسف شمسها و يخسف قمرها وقيل تبديل ذاتهما فتبدل الأرض بأرض نقية بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم وتبدل السموات بسماء من ذهب (وبرزوا) وعلى هذا القول فالخلائق يكونون قبل على الصراط ومازاد منهم يكون على متن جهنم وقيل يكون فى ظلمة قبل الحشر وقيل على أكف ملائكة سماء الدنيا وجمع بين القولين بأن تبديل الصفات يكون أولا قبل نفخة الصعق وتبديل الذات يكون بعد النفخة الثانية (قوله فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية) أى و يؤيد ذلك ماروى عن ابن عباس والضحاك أن الخلائق إذا جمعوا فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولوهم إلى الأرض التى تبدل وهى أرض بيضاء من فضة نورانية وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فاذاهم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله يأمر بملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة و إذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذاهم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام و يخوض الناس فى العرق

(وَقَدْ مَكَرُوا) بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مَكْرَهُمْ) حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه (وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ) أى علمه أو جزاؤه (وَإِنْ) ما (كَانَ مَكْرُهُمْ) و إن عظم (لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) المعنى لايعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم ، والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات . وفى قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فإن مخففة والمراد تعظيم مكرهم ، وقيل المراد بالمكر كفرهم و يناسبه على الثانية « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » وعلى الأول ما قرئ : وما كان (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ) بالنصر (إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ) غالب لا يعجزه شىء (ذُو انْتِقَامٍ) ممن عصاه ، اذكر (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ) هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين . وروى مسلم حديث « سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أين الناس يومئذ ؟ قال على الصراط » ،

غل، أنواع مختلفة إلى الأذقان و إلى الصدور و إلى الحقوين و إلى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ومنهم من يصيبه البلة كالعاطش إذا شرب الماء وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رءوسهم حتى لومد أحد يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار (قوله وبرزوا) عطف على تبدل فهو بمعنى المضارع أى يوم تبدل الأرض وتبرز الخلائق (قوله وترى) معطوف على تبدل أيضا (قوله مشدودين مع شياطينهم) أى فتجمع أيديهم وأرجلهم فى أعناقهم و يشد كل واحد مع شيطانه الذى كان معه فى الدنيا (قوله فى الأصفاد) جمع صفد بفتحتين وهو القيد (قوله والأغلال) جمع غل بالضم وهو طوق من حديد (قوله سرابيلهم من قطران) أى جلودهم تطلى بالقطران حتى يكون الطلاء كالقميص (قوله وتغشى وجوههم) أى وتعلو بهم (قوله متعلق ببرزوا) أى وما بينهما اعتراض (قوله فى قدر نصف نهار) أى وكل واحد يرى أنه يحاسب وحده (قوله هذا بلاغ للناس) فى هذه الآية من المحسنات البديعية رد العجز على الصدر فقد افتتحت هذه السورة بقوله كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (قوله لتبليغهم) أى توصيلهم إلى مافيه صلاحهم ورشدهم.

[سورة الحجر مكية] أى باجماع وسميت بالحجر لذكره فيها وهو واد بين المدينة والشام وستأتى قصة أصحابه (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا هو التحقيق عند ذوى التحقيق (قوله هذه الآيات) أى آيات السورة

(وَبَرَزُوا) خرجوا من القبور (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى) يا محمد: تبصر (الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ) مشدودين مع شياطينهم (فِي الْأَصْفَادِ) القيود والأغلال (سَرَابِيلُهُمْ) قمصهم (مِنْ قَطِرَانٍ) لأنه أبلغ لاشتعال النار (وَتَغْشَى) تعلو (وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ) متعلق ببرزوا (اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) من خير وشر (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (هَٰذَا) القرآن (بَلَاغٌ لِلنَّاسِ) أى أنزل لتبليغهم (وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا) بما فيه من الحجج (أَنَّمَا هُوَ) أى الله (إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ) بادغام التاء فى الأصل فى الذال: يتعظ (أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول .

(سورة الحجر)

مكية تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الر) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (رُبَمَا) بالتشديد والتخفيف (يَوَدُّ) يتمنى (الَّذِينَ كَفَرُوا) يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ورب للتكثير فإنه يكثر منهم تمنى ذلك ،

(قوله والاضافة بمعنى من) أى لأن الآيات بعض الكتاب (قوله عطف) أى مرادف و إنما سوغه وحسنه تغاير اللفظ وزيادة الصفة فى المعطوف فحينئذ يؤخذ من الآية أنه كما يسمى كتابا يسمى قرآنا (قوله بزيادة صفة) أى وهى قوله مبين (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فيهما قراءتان سبعيتان لغتان فى رب (قوله الذين كفروا) أى من أهل مكة وغيرهم (قوله إذا عاينوا حالهم) أى من العذاب (قوله وحال المسلمين) أى من النعيم المقيم (قوله لوكانوا مسلمين) يصح فى لو أن تكون امتناعية وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك أو مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر معمول ليود والتقدير ربما يود الذين كفروا كونهم مسلمين (قوله ورب للتكثير) أى وما كافة لها عن الجر . إن قلت إن رب إذا دخلت عليها ما الكافة اختصت بالفعل الماضى وهنا قد دخلت على المضارع . أجيب بأن المضارع بالنسبة لعلم الله واقع ولا شك فلا تفاوت بين ماض ومستقبل بالنسبة لعلمه تعالى و إنما ذلك بالنظر لعقولنا .

(قوله وقيل للتقليل) أى باعتبار الأوقات التى يفيقون فيها من الدهشة فالكفار من شدة الهول يدهشون فلا يفيقون إلا فى بعض الأوقات فاذا أفاقوا كثر منهم التمنى (قوله ذرهم) لم يستعمل لهذا الأمر ماض استغناء عنه بترك بل يستعمل منه المضارع وقد جاء منه الماضى قليلا قال عليه الصلاة والسلام «ذروا الحبشة ماوذرتكم» (قوله يأكلوا) مجزوم بحذف النون فى جواب الأمر وكذا قوله ويتمتعوا (قوله ويلههم) مجزوم أيضا بحذف الياء وفيه ثلاث قراآت سبعية كسر الهاء الثانية والميم وضمهما وكسر الهاء وضم الميم وأما الهاء الأولى فمكسورة لاغير لأنها من بنية الكلمة (قوله الأمل) فاعل يلههم (قوله عاقبة أمرهم) قدره اشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى قوله ذرهم الخ فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله زائدة) أى فى المفعول (قوله أريد أهلها) أى ففيه مجاز إما بالحذف أو مرسل من اطلاق المحل وارادة الحال فيه (قوله إلا ولها كتاب معلوم) الجملة حالية والمعنى وما أهلكنا قرية فى حال من الأحوال إلا فى حال أن يكون لها كتاب أى أجل مؤقت لهلاكها وجعلنا الواو حالية أسهل من جعلها زائدة بين الصفة والموصوف (قوله من أمة) فاعل تسبق ومن زائدة فى الفاعل للتأكيد (قوله أجلها) أى وهو الكتاب المتقدم (قوله يتأخرون عنه) أى الأجل (قوله وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر) نادوه صلى الله عليه وسلم بذلك على سبيل التهكم والاستهزاء لااقرارا بأنه نزل عليه الذكر ولذا قال المفسر فى زعمه فدفع به ماقد يقال إن فى الآية مضاربة أولها لآخرها (قوله إنك لمجنون) أى إنك لتقول قول المجانين حيث تدعى أن الله نزل عليك الذكر وقولهم هذا كقول فرعون: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون. والحاصل أنهم قالوا مقالتين الأولى يأيها الذى نزل عليه الذكر والثانية لوماتأتينا بالملائكة وقدرد الله ذلك على سبيل اللف والنشر المشوش فقوله ماتنزل الملائكة رد للثانية وقوله إنا نحن نزلنا الذكر رد للأولى (قوله لوماتأتينا) تستعمل لوماحرف تحضيض وحرف امتناع لوجود فالتحضيضية لايليها إلا الفعل ظاهرا أومضمرا والامتناعية لايليها إلا الأسماء لفظا أو تقديرا إذا علمت ذلك فهى هنا للتحضيض ولذا فسرها بهلا (قوله بالملائكة) أى لتخبرنا بصدقك (قوله فيه حذف إحدى التاءين) أى والأصل تتنزل وفى قراءة سبعية أيضا تنزل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاى المشددة ونصب الملائكة على المفعولية وقرئ شذوذا ماتنزل بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاى والملائكة فاعل (قوله إلا بالحق) أى إلاتنزيلا ملتبسا بالحق لابما قلتم واقترحتم والمعنى جرت عادة الله فى خلقه أنه لايظهر الملائكة إلا لمن يريد إهلاكهم وهو لايريد ذلك مع أمته صلى الله عليه وسلم لعلمه بقاءها وأنه يخرج منها من يعبد الله ويوحده إلى يوم القيامة فهم لايجابون لما اقترحوا (قوله وما كانوا إذا منظرين) أصل إذن إذ بمعنى حين فضمت لها أن فصار إذ أن فاستثقلوا الهمزة فحذفوها فصار إذن ومجىء لفظة أن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ كان ماطلبوه الخ (قوله إنا نحن نزلنا الذكر) أى وليس انزاله بزعمك كما اعتقدوا (قوله أوفصل) أى ضمير فصل واعترض بأن ضمير الفصل لايكون إلا ضمير غيبة ولايقع إلا بين اسمين وهنا ليس كذلك وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقتصر على الأول (قوله وإنا له لحافظون) أى حيث جعله معجزا للبشر مغايرا لكلامهم لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه باق على ممر الدهور سيما وقد جعل الله له خدمة من البشر يحفظونه فترى الكبير العظيم إذا غلط وهو يقرأ يرده أصغر صغير فى المجلس مع عدم العيب فى ذلك

وقيل للتقليل فإن الأهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا فى أحيان قليلة (ذَرْهُمْ) اترك الكفار يامحمد (يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) بدنياهم (وَيُلْهِهِمُ) يشغلهم (الْأَمَلُ) بطول العمر وغيره عن الإيمان (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ) زائدة (قَرْيَةٍ) أريد أهلها (إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ) أجل (مَعْلُومٌ) محدود لإهلاكها (مَا تَسْبِقُ مِنْ) زائدة (أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) يتأخرون عنه (وَقَالُوا) أى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) القرآن فى زعمه (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْمَا) هلا (تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى قولك: إنك نبى وإن هذا القرآن من عند الله قال تعالى (مَاتَنَزَّلُ) فيه حذف إحدى التاءين (الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ) بالعذاب (وَمَا كَانُوا إِذًا) أى حين نزول الملائكة بالعذاب (مُنْظَرِينَ) مؤخرين (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد لاسم إن أوفصل (نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص، (ولقد

بخلاف الكتب السماوية فقد دخل فيها التبديل والتغيير والزيادة والنقص ، ومن معنى هذه الآية قوله تعالى ـ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ـ الآية (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله رسلا) قدره إشارة إلى أن مفعول أرسلنا محذوف ، وعدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر ، وقيل لايعلم عدتهم إلا الله تعالى (قوله فى شيع) جمع شيعة والمراد بها هنا الفرقة المتفقة فى مذهب كان حقا أو باطلا و إضافة شيع للأولين على حذف مضاف أى فى شيع الأمم الأولين (قوله وما يأتيهم) قدر المفسر كان إشارة إلى أن المضارع بمعنى الماضى وأتى به مضارعا استحضارا للحال الماضية للتعجب منها (قوله يستهزئون) أى يسخرون (قوله وهذا تسلية له) أى فاصبر ولاتحزن فلست بأول من سخر به قومه بل وقع لمن قبلك مثلك (قوله كذلك نسلكه) السلك بالفتح إدخال الخيط فى اللؤلؤة ، و بالكسر نفس الخيط (قوله أى مثل إدخالنا التكذيب) أى الذى دل عليه بقوله يستهزئون (قوله وقد خلت سنة الأولين) أى طريقتهم والجملة مستأنفة (قوله وهؤلاء مثلهم) أى فانتظر ماينزل بالمكذبين من العذاب (قوله ولو فتحنا عليهم) أى على كفار مكة (قوله فظلوا) الضمير إما عائد على المشركين والمعنى لو فتحنا باب السماء لهؤلاء المشركين وصعدوا إلى السماء ورأوا عجائبها لقالوا الخ ، أو على الملائكة والمعنى لو كشفنا عن أبصار الكفار فرأوا باب السماء مفتوحا والملائكة تصعد منه (٢٧٣) لما آمنوا (قوله إنما سكرت) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله سدت) أى فيقال سكرت النهر من باب قتل سددته والسكر بالكسر مايسد به ، والمعنى يسد أبصارنا عن محسوساتنا المعتادة بتلك التخيلات (قوله بل نحن قوم مسحورون) إضراب انتقالى عما أفاده أولا من خصوص سحر العين بالحصر ، والمعنى أنهم يقولون إنما سدت أبصارنا نخيل لما أمر لاحقيقة له

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ) رسلا (فِي شِيَعِ) فرق (الْأَوَّلِينَ . وَمَا) كان (يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) كاستهزاء قومك بك . وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ) أى مثل إدخالنا التكذيب فى قلوب أولئك ندخله (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كفار مكة (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالنبى صلى الله عليه وسلم (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) أى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ) فى الباب (يَعْرُجُونَ) يصعدون (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ) سدت (أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) يخيل إلينا ذلك (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) اثنى عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ وله الحمل والعقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشترى وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدى والدلو .

ولم يتجاوزها لقلوبنا ثم أضربوا عن ذلك وجعلوا السحر واصلا لقلوبهم (قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا) هذا من أدلة توحيده سبحانه وتعالى ، والبروج جمع برج والمراد منازل وطرق تسير فيها الكواكب السبعة (قوله اثنى عشر برجا) أى وقد جمعها بعضهم فى قوله :

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدى نزح الدلو بركة الحيتان

(قوله وهى منازل الكواكب) أى محل سيرها (قوله المريخ) بكسر الميم نجم فى السماء الخامسة وقد جمع الكواكب بعضهم فى قوله : زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار فزحل فى السماء السابعة ، والمشترى فى السادسة ، والمريخ فى الخامسة ، والشمس فى الرابعة ، والزهرة فى الثالثة ، وعطارد فى الثانية ، والقمر فى الأولى وهى سماء الدنيا (قوله والشمس ولها الأسد) أى بيتها المنسوب لها فلاينافى أنها تسير فى البروج كلها المنقسمة لثمان وعشرين منزلة لكل برج منزلتان وثلث وتقطعها الشمس فى سنة والقمر فى شهر وقد جعل الله بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالأكل والشرب يوجد النفع عندها لا بها فهى أسباب عادية

(قوله وزيناها بالكواكب) أى جعلنا الكواكب زينة للسماء ومحل الكواكب فى السماء الدنيا أو ثوابت فى العرش قولان للعلماء (قوله للناظرين) أى المتأملين بأبصارهم و بصائرهم (قوله وحفظناها) أى السماء (قوله من كل شيطان رجيم) أى وذلك لأن الشياطين كانوا لايحجبون عن السموات فيدخلونها و يأتون بأخبارها إلى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، ولما ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها ، ولما بعث رميت عليهم الشهب فكانت تخطئ وتصيب ، فلما عرج به صلى الله عليه وسلم صارت لاتخطئهم أبدا (قوله إلا من استرق السمع) استثناء منقطع لأن ماقبل الاستثناء دخولهم السماء ومابعده استراقهم من خارجها والمعنى أن الشياطين يركب بعضهم بعضا يريدون الاستراق فتكون الشهب بالمرصاد لهم كما صرحت به سورة الجن فى قوله تعالى ـ وأنا كنا نقعد منها ـ الخ (قوله كوكب مضىء) وقيل الشهاب شعلة نار تنفصل من الكوكب وهو الصحيح (قوله أو يخبله) أى يفسد أعضاءه فيصير غولا فى الوادى يضل الناس (قوله والأرض مددناها) الأرض منصوب بفعل محذوف يفسره مددناها (قوله بسطناها) أى على الماء (قوله لئلا تتحرك بأهلها) أى لأن الله لما خلقها وبسطها على الماء تحركت واضطربت فثبتها بالجبال الرواسى فسكنت (قوله معلوم) أى لله فيعلم قدر مايحتاج إليه الخلق فى معاشهم (قوله معايش) جمع معيشة وهى مايعيش بها الانسان من المأكل والمشرب والملبس وغيرذلك (قوله بالياء) أى باتفاق السبعة لأنها فى المفرد أصلية فلا تقلب فى الجمع همزا بل تبقى على حالها بخلاف المد الزائد فى المفرد فانه يقلب همزة فى الجمع . قال ابن مالك : والمد زيد ثالثا فى الواحد همزا يرى فى مثل كالقلائد وقرئ شذوذا بالهمز على التشبيه بشمائل (قوله ومن لستم له برازقين) مشى المفسر على أنه معطوف على معايش حيث قدر قوله جعلنا لكم (قوله من العبيد) أى والخدم وغيرهم فأنتم تنتفعون بتلك الأشياء ولستم برازقين لها وإنما رزقها على خالقها (قوله وإن من شىء إلا عندنا خزائنه) كالدليل لقوله وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ، فهو إعلام بسعة فضله سبحانه وتعالى أى

(وَزَيَّنَّاهَا) بالكواكب (لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا) بالشهب (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) مرجوم (إِلَّا) لكن (مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) خطفه (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ) كوكب مضىء يحرقه أو يثقبه أو يخبله ((وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) بسطناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت لئلا تتحرك بأهلها (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) معلوم مقدر (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) بالياء : من الثمار والحبوب (وَ) جعلنا لكم (مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله (وَإِنْ) ما (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) مفاتيح خزائنه (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) على حسب المصالح (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) تلقح السحاب فيمتلئ ماء (فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ) السحاب (مَاءً) مطرا (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)

وقوله شىء نكرة فى سياق النفى فتعم كل شىء كان فى الدنيا أوالآخرة جليلا أوحقيرا (قوله إلا عندنا خزائنه) أى إلا يوجده الله إذا تعلقت قدرته و إرادته به ففى الكلام مجاز حيث شبه سرعة إيجاده الأشياء بحصولها بالفعل وجعلها فى خزائن والجامع بينهما سرعة الحصول فى كل فالمعنى بيده الأشياء كلها خيرها وشرها جليلها وحقيرها فاذا أراد الله شيئا حصل فلايطلب الانسان من غيره بل يطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن والمفاتيح كناية عن التسهيل فمن أراد الله له شيئا أعطاه مفتاحه بمعنى سهل أسبابه (قوله إلا بقدر معلوم) أى فيسعد هذا و يشقى هذا و يفقر هذا و يغنى هذا على حسب ماقدره الله إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول على حسب تقدير الله فان الله تعالى ليس مراده مقيدا بمصالح عباده بل أفعاله على حسب ماأراده وعلمه و إلا فنجد الكافر يطول عمره وهو فى فقر ومرض ثم يختم له بالكفر ويكون فى النار فأى مصلحة فى ذلك (قوله وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث فى الجو سريع المرور (قوله لواقح) إما جمع ملقح من ألقح وحينئذ فجمعه ملاقح حذفت الميم تخفيفا أوجمع لاقح يقال لقحت الريح إذا حملت الماء إلى السحاب . واعلم أن سبحانه وتعالى يرسل الرياح الأربعة لخدمة المطر فريح الصبا تثير السحاب من تحت شجرة فى الجنة ، وريح الشمال تجمعه ، وريح الجنوب تدره ، وريح الدبور تفرقه (قوله تلقح السحاب) أى تمج الماء فيه (قوله السحاب) أى فالمراد بالسماء كل ماعلا وارتفع ويصح أن يراد بالسماء حقيقتها لأن أصل ماء المطر من السماء (قوله فأسقيناكموه) الكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان ، والمعنى جعلناه سقيا لكم ولأرضكم ومواشيكم .

(قوله أى ليست خزائنه بأيديكم) أى بل خزائنه عند الله فهو من مشمولات قوله : و إن من شئ إلا عندنا خزائنه (قوله وإنا لنحن نحيى) أى جميع الخلق وإنّ حرف توكيد ونصب ونا اسمها وجملة نحيى خبرها وقوله لنحن ضمير منفصل توكيد لنا لاضمير فصل لما تقدم أنه مردود بأن ضمير الفصل لايقع إلا بين اسمين وهنا ليس كذلك (قوله ونحن الوارثون) الوارث فى الأصل هو الذى يأخذ المال بعد موت مورثه ثم أطلق الإرث وأريد لازمه وهو البقاء بعد فناء غيره فانه يلزم من أخذ الوارث مال المورث بقاؤه بعد موت صاحبه فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخلق بمعنى أنه يبقى بعد فنائهم (قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى علما تفصيليا لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء (قوله المتأخرين) أشار بذلك إلى أن السين والتاء فى المستقدمين والمستأخرين زائدتان ، والمعنى أن علمه محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لايخفى عليه شئ من أحوال خلقه (قوله و إن ربك هو يحشرهم) أى يجمعهم للحساب ثم بعد ذلك ينقسمون فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير (قوله من صلصال) الصلصال بمعنى المصلصل كالزلزال بمعنى المزلزل ووزنه فعلال بتكرار اللام فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة ، والصلصال طور رابع من أطوار آدم الطينية لأنه كان أوّلا ترابا ثم عجن بأنواع المياه فصار طينا ثم ترك حتى أنتن واسودّ فصار حمأ مسنونا ثم يبس بعد تصويره فصار صلصالا ثم نفخ فيه (٢٧٥) الروح بعد مائة وعشرين سنة :

أى ليست خزائنه بأيديكم (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) الباقون نرث جميع الخلق (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ) أى مَن تقدم من الخلق من لدن آدم (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) المتأخرين إلى يوم القيامة (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ صَلْصَالٍ) طين يابس يسمع له صلصلة أى صوت إذا نقر (مِنْ حَمَإٍ) طين أسود (مَسْنُونٍ) متغير (وَالْجَانَّ) أبا الجن وهو إبليس (خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل خلق آدم (مِنْ نَارِ السَّمُومِ) هى نار لادخان لها تنفذ فى المسامّ (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممته (وَنَفَخْتُ) أجريت (فِيهِ مِنْ رُوحِي) فصار حيًّا وإضافة الروح إليه تشريف لآدم (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية بالانحناء (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيدان (إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة ،

أربعين وهو طين وأربعين وهو حمأ مسنون وأربعين وهو صلصال مصوّر وهكذا أطوار أولاد آدم تمكث النطفة فى الرحم أربعين يوما ثم تصير علقة مثل ذلك ثم تصير مضغة مثل ذلك ثم تنفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوما (قوله متغير) أى من طول مكثه حتى يتخمر (قوله أبا الجن وهو إبليس) هذا أحد قولين ، وقيل هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد والجانّ هو أبو الجن وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة : آدم وهو أبو البشر وإبليس وهو أبو الشياطين ، والجانّ وهو أبو الجن ، وعلى ما مشى عليه المفسر يكونان أصلين فقط آدم و إبليس (قوله هى نار لادخان لها) أى ومنها تكون الصواعق (قوله تنفذ فى المسام) أى تدخل فيها للطف المسام وشدة حرارة النار فاذا دخلت فى الانسان قتلته (قوله و إذ قال ربك) إذ ظرف معمول لمحذوف قدّره المفسر بقوله اذكر (قوله من صلصال) من لابتداء الغاية (قوله فاذا سوّيته) أى صوّرته إنسانا كاملا معتدل الأعضاء والطبائع (قوله ونفخت فيه من روحى) أى أفضت عليه روحا من الأرواح التى خلقتها فصار بها حيا ، وليس المراد النفخ حقيقة لاستحالته على الله (قوله وإضافة الروح إليه) أى كما يقال بيت الله وناقة الله (قوله فقعوا) الفاء واقعة فى جواب إذا وقعوا فعل أمر من وقع يقع بمعنى سقط وخرّ (قوله بالانحناء) أى لابوضع الجبهة وهذا أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته ، وآدم كالقبلة والسجود لله ، أو يقال إن السجود لذات آدم وقولهم السجود لغير الله كفر محله فى غير ما أمر الله به ، وأما فى مثل هذا فالكفر فى المخالفة (قوله فيه تأكيدان) أى للمبالغة وزيادة الاعتناء فبالتأكيد الأول اندفع توهم المجاز وبالثانى استفيد أنهم سجدوا جملة واحدة (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى صحة الاستثناء ثم هو يحتمل أن يكون منقطعا لأنه لم يكن منهم حقيقة أو متصلا باعتبار أنه كان متصفا بصفاتهم وقيل إنه منهم والتحقيق خلافه .

(قوله أبى أن يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود (قوله قال تعالى) . إن قلت إن مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرف وتعظيم ، و إبليس ليس من أهل ذلك . أجيب بأن محل كونها شرفا إن كانت على سبيل الاكرام ، وأما كلام الله تعالى لإبليس فهو على سبيل الاهانة والطرد فلم يكن تشريفا (قوله مامنعك الخ) حمله على هذا التفسير قوله فى الآية الأخرى : مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ ، ولذا قال لازائدة و يصح أن تكون غير زائدة ، والمعنى أىّ شيء ثبت لك فى عدم كونك مع الساجدين (قوله لاينبغى لى) أى لايصح ولايليق (قوله لبشر خلقته الخ) أى وخلقتنى من نار فأنا خير منه لأن النار جسم لطيف نورانى والصلصال جسم كثيف ظلمانى والنورانى خير من الظلمانى ، هذا وجه تكبره عن السجود وادّعائه الخيرية وهى مردودة بأن آدم مركب من العناصر الاربع بخلاف إبليس وأيضا فالفضل بيد الله يعطيه لمن يشاء (قوله وقيل من السموات) وهذا الخلاف مرتب على الخلاف فى أن السجود لآدم هل كان فى الجنة أوخارجها فمن قال بالأول جعل الضمير فى منها عائدا على الجنة ، ومن قال بالثانى جعله عائدا على السموات (قوله فإنك رجيم) أى مرجوم والرجم كما فى القاموس اللعن والشتم والطرد والهجران (قوله إلى يوم الدين) أى وبعد ذلك يزداد عذابا على اللعنة التى هو فيها (قوله إلى يوم يبعثون) قصد اللعين بذلك أنه لايموت أبدا لأنه إذا أمهل إلى يوم البعث الذى هو يوم النفخة الثانية فقد أمهل إلى الأبد لانقطاع الموت حينئذ وقصد أيضا الفسحة فى الأجل لأجل الاغواء فأجابه الله إلى الثانية دون الأولى (قوله وقت النفخة الأولى) أى فيموت فى جملة الخلائق ثم يبعث مع الناس فمدة موته أربعون سنة ولم يكن هذا الامهال إكراما له بل إهانة وشقاء ليزداد عذابه (قوله والباء للقسم) وقيل للسببية (قوله لأزيننّ لهم) الضمير عائد على أولاد آدم وإن لم يتقدم لهم ذكر للعلم بهم (قوله المخلصين) أى الذين أخلصوا فى أعمالهم فلا تسلط لى عليهم (قوله قال هذا صراط علىّ مستقيم) أى هذا دين مستقيم لااعوجاج فيه فعلىّ حفظه تفضلا و إحسانا (قوله إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان) حاصل ذلك أن إبليس لما قال : لأزيننّ لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلاعبادك منهم المخلصين أوهم بذلك أن له سلطانا على غير المخلص فبين تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من العباد لامن المخلصين ولامن غيرهم بل من اتبعه فهو من طرد الله له لامن سلطنة إبليس ، و يؤيده قوله فى الآية الأخرى : إن كيد الشيطان كان ضعيفا وتقييد المفسر بالمؤمنين نظرا للصورة (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله لها سبعة أبواب) أى وأعلاها جهنم وهى لعصاة المؤمنين ثم لظى لليهود ثم الحطمة للنصارى ثم السعير للصابئين ثم سقر للمجوس ثم الجحيم لعباد الوثن ثم الهاوية للمنافقين (قوله لكل باب) أى طبقة من أطباقها (قوله جزء مقسوم) أى حزب معدّ لها (قوله إنّ المتقين) أى الذين اتقوا الشرك وهم المؤمنون ولوعصاة لأن المتقى هو الآتى بالتقوى ولومرة واحدة غير أن العاصى إذا مات مصرّا على المعاصى تحت المشيئة إن شاء عذبه مدة ثم يعفو عنه بشفاعة النبىّ صلى الله عليه وسلم و إن شاء لم يعذبه ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقال أبو هاشم الجبائى وجمهور المعتزلة : إن المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصى فلايثبت دخول الجنة إلا لمن ترك جميع المعاصى

(أَبَى) امتنع من (أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ) تعالى (يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ) ما منعك (أَنْ لَا) زائدة (تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ) لاينبغى لى أن أسجد (لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) أى من الجنة وقيل من السموات (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وقت النفخة الأولى (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) أى بإغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) المعاصى (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين (قَالَ) تعالى (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) وهو (إِنَّ عِبَادِي) أى المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) قوة (إِلَّا) لكن (مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) الكافرين (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) أى من تبعك معك (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) أطباق (لِكُلِّ بَابٍ) منها (مِنْهُمْ جُزْءٌ) نصيب (مَقْسُومٌ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين ، (وعيون)

وهذا مذهب باطل لمخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبويه . والذى يجب الايمان به أن الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد ولو صحبها أمثال الجبال من المعاصى غير أن أهل الجنة مراتب (قوله وعيون) يحتمل أن المراد بها الأنهار التى قال الله فيها ـ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ـ الآية ، ويحتمل أن تكون زيادة عليها وهل كل مؤمن له عدة بساتين وعدة أنهار ، أوكل له بستان ونهر لمقابلة الجمع بالجمع (قوله ويقال لهم) أى إذا أرادوا الانتقال من محل إلى آخر وإلا فهم مستقرون فيها فأمرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل ، والقائل يحتمل أن يكون الملائكة أوالله تعالى (قوله بسلام) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو فى ادخلوها : أى ادخلوها حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكاره وهذا على المعنى الأول الذى ذكره المفسر ، ويقال على المعنى الثانى ادخلوها مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض ومن الملائكة أى يسلم بعضكم على بعض وتسلم الملائكة عليكم (قوله أى سلموا) تفسير للمعنى الثانى (قوله آمنين) قدر المفسر ادخلوا إشارة إلى أنه حال ثانية وهى مرادفة للأولى ولاحاجة لهذا التقدير (قوله من كل فزع) أى ومنه زوال ماهم فيه من النعيم المقيم وقوله بسلام آمنين زيادة فى سرور أهل الجنة لأن النعيم إذا لوحظ فيه عدم الانقطاع كان فى غاية السرور ولا شك أن الجنة كذلك بخلاف الدنيا فان نعيمها ملاحظ فيه الانقطاع عند حصوله فلذلك كانت دار همّ وغمّ (قوله من غل) الغل هو من أمراض القلب كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء . روى أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة ، وقد نقى الله قلوبهم من الغلّ والغشّ والحقد والحسد فهم يحبون بعضهم بحبهم لربهم وشأن المحبّ أن لا يكون لمحبوبه غلّ فى قلبه بل بينهم الصفاء والوفاء (قوله حال من هم) أى من ضمير

صدورهم المضاف إليه والشرط

(وَعُيُونٍ) تجرى فيها ، ويقال لهم (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من كل مخوف أومع سلام أى سلموا وادخلوا (آمِنِينَ) من كل فزع (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) حقد (إِخْوَانًا) حال من هم (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) حال أيضا ، أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ) تعب (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) أبداً (نَبِّئْ) خبر يامحمد (عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ) للمؤمنين (الرَّحِيمُ) بهم (وَأَنَّ عَذَابِي) للعصاة (هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) المؤلم (وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة

موجود لأن المضاف جزء المضاف إليـه ، والمعنى ونزعنا مافى صدورهم من غل حال كونهم متآخين فى المودة والمحبة (قوله على سرر) جمع سرير وهو كما قال ابن عباس من ذهب مكلل بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل مابين صنعاء إلى الجابية (قوله حال أيضا) أى من الضمير فى إخوانا (قوله لدوران الأسرة بهم) أى أنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم بحيث يبقى مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه إلى الجهة التى يسير لها السرير وهذا أبلغ فى الأنس والاكرام (قوله لايمسهم فيها نصب) أى إعياء بخلاف الدنيا ففيها الاعياء والتعب والكدرات والمشقات (قوله وما هم منها بمخرجين) أى بل هم خالدون فيها لايزولون ولايحولون فالجنة خلود بلازوال و بقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان (قوله نبئ عبادى الخ) أى أخبر يامحمد عبادى المؤمنين العاصين بأنى أنا الغفور الرحيم فلا يقنطون من رحمتى ولايخافون عذابى وهذا من الله تعطف لعباده واستجلابهم للتوبة وقد أكد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة أولها أنى وثانيها أنا وثالثها تعريف الجملة بأل، ولماذكر العذاب لم يقل وأنى أنا المعذب وهذا يدل على أن الرحمة تغلب الغضب فلايستبعد العاصى رحمة الله بل يقبل على سيده بالتوبة والانابة فانه هو الغفور الرحيم فمتى كان فى العبد أوصاف متعددة تقتضى الغضب ووصف واحد يقتضى الرحمة فان وصف الرحمة يغلب (قوله وأن عذابى هو العذاب الأليم) أتى بهذه الآية لمناسبة ذكر النار أولا فقد ذكر النار والجنة ثم ذكر مايناسب كلا على سبيل اللف والنشر المشوش . واستفيدمن هذه الآية أن العبد يكون بين الرجاء والخوف ففى الحديث عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال «بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو يعلم العبد قدرعفو الله ماتورّع ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه إلى قتله » وعنه صلى الله عليه وسلم «أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون و بين أيديكم النار ؟ فنزل نبئ عبادى» الخ (قوله ونبئهم عن ضيف إبراهيم) معطوف على قوله نبئ عبادى الخ ، والمعنى وأخبر عبادى عن قصة ضيوف إبراهيم الخ . واعلم أنه فى هذه السورة أثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أولا ثم أتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد ، ثم خلق آدم وما يتعلق به ثم بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ثم أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء

ليكون عبرة للمعتبرين وأوقع في نفس المتعظين ، وقد ذكر هنا أربع قصص قصة إبراهيم ثم قصة لوط ثم قصة شعيب ثم صالح على سبيل الاختصار وقد تقدمت في سورة هود بأبسط مما هنا (قوله عن ضيف إبراهيم) الضيف في الأصل الميل سمي النازل للقرى بذلك لميله إليك ونزوله عندك وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقد يجمع ويثنى (قوله منهم جبريل) أي على كل من الأقوال الثلاثة (قوله إذ دخلوا) إذ ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر (قوله أي هذا اللفظ) أي لفظ سلاما وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سلمنا عليك أو سلم الله عليك سلاما ، ولم يذكر هنا رد السلام ولا بقية القصة اختصارا (قوله إنا منكم وجلون) تقدم أن سبب خوفه منهم أنه رأى فيهم جلال الله وهيبته (قوله قالوا لا توجل) قرأ السبعة بفتح التاء والجيم وفعله وجل كعلم وقرئ شذوذا بالبناء للمفعول ولا تاجل بقلب الواو ألفا ولا تواجل بضم التاء وزيادة ألف بعد الواو فالقراءات الشاذة ثلاث (قوله أبشرتموني) هكذا بهمزة الاستفهام في قراءة الجمهور وقرئ شذوذا بحذفها فيحتمل الاخبار والاستفهام وحذفت أداته للعلم بها (قوله على أن مسني الكبر) أي فكان عمره إذ ذاك مائة واثنتي عشرة سنة (قوله فبم تبشرون) الجار والمجرور متعلق بتبشرون وقدم لأن الاستفهام له صدر الكلام وقرأ العامة بفتح النون مخففة على أنها

منهم جبريل (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أي هذا اللفظ (قَالَ) إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا (إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) خائفون (قَالُوا لَا تَوْجَلْ) تخف (إِنَّا) رسل ربك (نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) ذي علم كثير هو إسحق كما ذكر في هود (قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي) بالولد (عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ) حال أي مع مسه إياي (فَبِمَ) فبأي شيء (تُبَشِّرُونِ) استفهام تعجب (قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ) بالصدق (فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ) الآيسين (قَالَ وَمَنْ) أي لا (يَقْنَطُ) بكسر النون وفتحها (مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) الكافرون (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) كافرين أي قوم لوط لإهلاكهم (إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ) لإيمانهم (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين في العذاب لكفرها (فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ) أي لوطا (الْمُرْسَلُونَ . قَالَ) لهم (إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) لا أعرفكم (قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا) أي قومك (فِيهِ يَمْتَرُونَ) يشكون وهو العذاب (وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) في قولنا (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) امش خلفهم (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) ، لئلا

نون الرفع وقرأ نافع بكسرها مخففة وابن كثير بكسرها مشددة (قوله استفهام تعجب) أي من أن يولد له ولد مع مس الكبر إياه وتعجبه بالنظر للعادة لا بالنظر لقدرة الله ولذا دفع ذلك بقوله: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون (قوله قالوا بشرناك بالحق) أي اليقين الذي لا لبس فيه (قوله أي لا يقنط) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله بكسر النون وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بضم النون (قوله قال فما خطبكم) أي الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة فإن البشارة يكفي فيها واحد فلا تحتاج لعدد (قوله إلا آل لوط) يحتمل أن يكون مستثنى من الارسال ، والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط فلم نرسل لهلاكهم بل أرسلنا لنجاتهم وحينئذ يكون الاستثناء متصلا ، أو مستثنى من قوم مجرمين فهو منقطع لأنهم لم يدخلوا في القوم المجرمين ، ويشير للثاني قول المفسر لإيمانهم (قوله إلا امرأته) الأقرب أنه مستثنى من ضمير منجوهم (قوله قدرنا) إسناد التقدير للملائكة مجاز إذ المقدر حقيقة هو الله تعالى وهذا كما يقول خواص الملك : أمرنا بكذا والآمر هو الملك (قوله الباقين في العذاب) أي فيقال غبر الشيء : بقي ، ويقال أيضا مضى فهو من الأضداد (قوله فلما جاء آل لوط) أي بعد أن خرجوا من عند إبراهيم وسافروا لقرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (قوله أي لوطا) أشار بذلك إلى أن لفظة آل زائدة بدليل الآية الأخرى ــ ولما جاءت رسلنا لوطا ــ (قوله منكرون) أي تنكركم نفسي وتجزع منكم ، وإنما جزع منهم لخوفه من قومه عليهم بدليل آية هود: ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (قوله وأتيناك بالحق) الباء للملابسة أي متلبسين بالحق (قوله فأسر بأهلك) أي وهم بنتاه فلم يخرج من قريته إلا هو وبنتاه (قوله بقطع من الليل) أي في جزء منه (قوله امش خلفهم) أي لتطمئن عليهم .

(قوله لئلا يرى عظيم ماينزل بهم) أى فينزعج من ذلك (قوله وهو الشام) أى فطوى الله لهم الأرض فى الوقت حتى نجوا ووصلوا إلى إبراهيم (قوله أوحينا) أشار بذلك إلى أن قضينا ضمن معنى أوحينا فعدى بما تعدى به (قوله وجاء أهل المدينة) الواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فان هذا المجىء قبل إعلام الملائكة له بأنهم رسل الله فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعى بخلافها فى هود (قوله مدينة سذوم) بالسين المهملة والذال المعجمة وأخطأ من قال بالمهملة (قوله يستبشرون) أى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط وتقدم أن المخبر لهم بالضيوف امرأة لوط (قوله فلا تفضحون) أى لاتسيئونى فيهم (قوله واتقوا الله) أى خافوا عقابه (قوله عن العالمين) أى عن تضييف أحد من الغرباء وكانوا يمنعونه من مخالطة الناس و إضافتهم خوفا من أن يؤلفهم ويستعين بهم عليهم (قوله فتزوجوهن) أى إن أسلمتم ويحتمل أنه كان فى شريعته يحل تزوج الكافر بالمسلمة وتقدم فى هود أنه يحتمل أن المراد نساء أمته (قوله لعمرك) بفتح العين لغة فى العمر (٢٧٩) بضمتين وهو مدة حياة الانسان فى الدنيا ولكن لم يرد القسم فى كلام العرب إلا بالفتح (قوله إنهم) أى قوم لوط ، وقيل المراد قريش وعلى كل حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط (قوله أى وقت شروق الشمس) أى طلوعها وهذا بيان لانتهاء العذاب وابتداؤه كان وقت الصباح (قوله فجعلنا عاليها) أى وجه الأرض وماعليه (قوله أى قراهم) أى وكانت أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل ، وقيل خمسة وفيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) تقدم فى هود أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائبا عن القرى

لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشأم ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ حال أى يتم استئصالهم فى الصباح ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سذوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن فى بيت لوط مُرداً حساناً وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال طمعاً فى فعل الفاحشة بهم ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن ، قال تعالى ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، أى وحياتك ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أى قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للناظرين المعتبرين ﴿وَإِنَّهَا﴾ أى قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ طريق قريش إلى الشأم لم تندرس أفلا يعتبرون بهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ. وَإِنْ﴾ مخففة أى إنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هى غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيباً ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أى قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ :

ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم (قوله إن فى ذلك المذكور) أى من قصة إبراهيم ولوط (قوله للمتوسمين) أى المتفكرين الذين يتأملون الشىء فيعرفون حقيقته (قوله لم تندرس) أى آثارهم (قوله لعبرة للمؤمنين) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله و إن كان أصحاب الأيكة) شروع فى ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الأيكة وذكرت هنا مختصرة وسيأتى بسطها فى سورة الشعراء (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وكان ناقصة وأصحاب الأيكة اسمها ولظالمين خبرها واللام للتوكيد والجملة خبر إن (قوله هى غيضة شجر) الغيضة فى الأصل اسم للشجر الملتف ، والمراد بها هنا المكان الذى فيه الشجر الكثير. ونسبوا لها لملازمتهم لها وإقامتهم عندها وكان عامة شجرهم المقل : أى الدوم (قوله بتكذيبهم شعيبا) أى و بخسهم الكيل والميزان وقطعهم الطريق (قوله بشدة الحر) أى فسلطها الله عليهم سبعة أيام حتى قربوا من الهلاك فبعث الله لهم سحابة كالظلة فالتجأوا إليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها فبعث الله عليهم منها نارا فأحرقتهم جميعا فاهلاكهم أولا بشدة الحر وتم بالظلة ، وأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة كما تقدم فى سورة هود من أنه أرسل لأهل مدين ولأصحاب الأيكة .

(قوله طريق مبين) أى وسمى الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع لأن الانسان إذا أراد الانتقال من موضع لآخر فانه يأتم بالطريق حتى يصل الى الموضع الذى يريده (ولقد كذب أصحاب الحجر) شروع فى قصة صالح (قوله واد بين المدينة والشام) أى وآثاره باقية يمرّ عليها الذاهب من الشام للحجاز (قوله لأنه تكذيب لباقى الرسل) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع أنهم لم يكذبوا إلا رسولا واحدا (قوله وآتيناهم) أضاف الإيتاء لهم وإن كان لصالح لأنه مرسل لهم (قوله فى الناقة) أشار بذلك إلى أن الناقة وإن كانت آية واحدة إلا أنها اشتملت على آيات كخروجها من الصخرة وعظم جثتها وغزارة لبنها وولادتها فصيلا قدرها (قوله لا يتفكرون) أى لا يتأملون ولا ينظرون فيها (قوله وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أى ينقرون الجبال بالمعاويل حتى تصير بيوتا من غير بنيان (قوله آمنين) أي من وصول اللصوص لهم ومن تخريب الأعداء لبيوتهم لشدة إتقانها (قوله فأخذتهم الصيحة) أى من السماء والزلزلة من الأرض لما عقروا الناقة، وتقدم فى هود أن صالحا قال لهم قبل نزول العذاب بهم: تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (قوله وقت الصباح) أى بعد مضىّ الثلاثة الأيام (قوله ما كانوا يكسبون) ما اسم موصول أو مصدرية أو نكرة موصوفة فاعل أغنى، والتقدير الذى كانوا يكسبونه أو كسبهم أو شىء يكسبونه (قوله من بناء الحصون الخ) بيان لما (قوله إلا بالحقّ) أى إلا خلقا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والنافع للعباد ودلائل على وحدانية الله (قوله وإن الساعة) أى القيامة (قوله فيجازى كل واحد بعمله) أى فينتقم من المسىء وينعم على المحسن (قوله وهذا منسوخ) أى قوله ـ فاصفح الصفح الجميل ـ وهو أحد قولين، والثانى أن الآية محكمة، ولا ينافى أمره بالقتال فإن المقصود أمره بأن يصفح عن الخلق الصفح الجميل ويعاملهم بالخلق الحسن فيعفو عن المسىء ويسامح المذنب وإن كان مأمورا بقتال المشركين فقتاله للأمر به لا لهوى نفسه، ولذا قال البوصيرى:

(٢٨٠)

طريق (مُبِينٍ) واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ) وادٍ بين المدينة والشام وهم ثمود (الْمُرْسَلِينَ) بتكذيبهم صالحاً لأنه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد (وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا) فى الناقة (فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) لا يتفكرون فيها (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) وقت الصباح (فَمَا أَغْنَى) دفع (عَنْهُمْ) العذاب (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من بناء الحصون وجمع الأموال (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ) لا محالة فيجازى كل أحد بعمله (فَاصْفَحِ) يا محمد عن قومك (الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ) لكل شىء (الْعَلِيمُ) بكل شىء (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي) قال صلى الله عليه وسلم: هى الفاتحة رواه الشيخان؛ لأنها تثنى فى كل ركعة (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ).

ولو أن انتقامه لهوى النفـــس لدامت قطيعة وجفاء لا

(قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى) سبب نزولها أن سبع قوافل أتت من بصرى وأذرعات فى يوم واحد ليهود قريظة والنضير فيها أنواع من البز والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوّينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فنزلت، والمعنى قد أعطيتكم سبع آيات هى خير لكم من سبع قوافل. إن قلت إن مقتضى ذلك أن تكون الآية مدنية مع أنه تقدم أن السورة مكية بإجماع. أجيب بأنه لا مانع أن هذه الآية نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة (قوله هى الفاتحة) أى لأنها سبع آيات، فمن عدّ البسملة آية منها تكون الآية الأخيرة ـ صراط الذين ـ الخ، ومن لم يعدها آية تكون السابعة قوله ـ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ـ وهذا القول هو الراجح وعليه فيكون عطف قوله ـ والقرآن العظيم ـ من عطف الكلّ على الجزء أو من عطف العام على الخاص، وقيل المراد بالسبع المثانى الحواميم، وقيل السبع الطوال أولها البقرة وآخرها مجموع الأنفال مع براءة، وقيل جميع القرآن وعليه يكون العطف مرادفا (قوله لأنها تثنى فى كل ركعة) أى تعاد فى كل ركعة، وهذا أحد الوجوه فى سبب تسميتها بالمثانى، وقيل سميت بذلك لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأوّل ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء، وقيل لأن كلماتها مثناة مثل قوله ـ الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين ـ الى آخرها، وقيل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك.

(قوله لا تمدّن عينيك) أى لا ترغب فيما متعنا به أصنافا من الكفار فإنه مستحقر، وفى الحديث عن أبى بكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا» (قوله ولا تحزن عليهم) أى لأجلهم (قوله ألن جانبك) أى تواضع لهم وارحمهم كالطائر الذى يخفض جناحه على أفراخه رحمة بها وشفقة عليها، وقد فعل صلى الله عليه وسلم ما أمر به. قال البوصيرى فى هذا المعنى :

أحل أمته فى حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال فى أجم

(قوله كما أنزلنا) الكاف حرف تشبيه وجر وما اسم موصول فى محل جر والجار والمجرور متعلق بمحذوف، والتقدير وقل إنى أنا النذير لكم بالعذاب كالعذاب الذى أنزلناه على المقتسمين والماضى بمعنى المستقبل إذ الذى نزل بأهل مكة لم يكن واقعا حين نزول الآية بل وقع بعد الهجرة وكذا ما وقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعا حينئذ بل وقع يوم بدر. إن قلت إن العذاب المنذر به ينبغى تشبيهه بشىء قد وقع ليحصل به الاتعاظ. أجيب بأنه سهل ذلك تحتم نزوله فكأنه واقع ولا بدّ وقد تحقق ذلك يوم بدر (قوله اليهود والنصارى) أى حيث اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها الذى وافق هواهم وكفروا بالبعض الذى خالفه (قوله الذين جعلوا) بيان للمقتسمين (قوله القرآن) المراد به على هذا التفسير معناه اللغوى فحينئذ صح تفسير المفسر له بكتبهم المنزلة عليهم (قوله عضين) جمع عضة وأصلها قيل عضو، وقيل عضه فعلى الأول يكون من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء: أى أجزاء متفرقة وعلى الثانى يكون من عضه إذا كذب، والمعنى جعلوا القرآن أجزاء متفرقة أو جعلوه أكاذيب (قوله وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة) أى وهم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد ابن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعتاب مكة وأنقابها وفجاجها يقولون

(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) إن لم يؤمنوا (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) ألن جانبك (لِلْمُؤْمِنِينَ. وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ) من عذاب الله أن ينزل عليكم (الْمُبِينُ) البين الانذار (كَمَا أَنزَلْنَا) العذاب (عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) اليهود والنصارى (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ) أى كتبهم المنزلة عليهم (عِضِينَ) أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدّون الناس عن الاسلام وقال بعضهم فى القرآن سحر وبعضهم كهانة وبعضهم شعر (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) سؤال توبيخ (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَاصْدَعْ) يا محمد (بِمَا تُؤْمَرُ) أي اجهر به وأمضه (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) هذا قبل الأمر بالجهاد (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) بك بإهلاكنا كلا منهم بآفة،

لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدّعى النبوّة فإنه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن، وسموا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق فأماتهم الله شرّ ميتة وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد فإذا سألوه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صدق أولئك، وما ذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبى (قوله وقال بعضهم) معطوف على اقتسموا فالضمير فى بعضهم عائد على الذين اقتسموا وهو إشارة إلى أن المراد بالقرآن على هذا القول الكتاب المنزل على سيدنا محمد فجعلوه أجزاء حيث اختلفت أقوالهم فيه فقال بعضهم سحر وبعضهم كهانة أو المراد جعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به (قوله سؤال توبيخ) جواب عما يقال إنه أثبت سؤالهم هنا ونفاه فى سورة الرحمن حيث قال «فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جانّ» فحاصل الجواب أن المنفى هناك سؤال الاكرام والاحترام والمثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع (قوله فاصدع بما تؤمر) سبب نزولها أن رسول الله أول أمره كان يدعو الى الله مختفيا ويأمر كل من آمن به بالاختفاء فلما نزلت هذه الآية أظهر أمره وبالغ فى إظهاره (قوله هذا قبل الأمر بالجهاد) أى فتكون الآية منسوخة، وقيل ليست منسوخة بل هى محكمة، والمعنى لا تلتفت لهم ولا تبال بهم (قوله إنا كفيناك المستهزئين) أى وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون به ويبالغون فى إيذائه وإنما عجلت لهؤلاء العقوبة لشدّة إيذائهم لرسول الله وبغضهم له وإلا فالمستهزئون كثير كأبى لهب وزوجته وولده وأبى جهل

(قوله وهم الوليد بن المغيرة) أى وقد مرّ برجل نبال وهو يجرّ إزاره فتعلقت قطعة من النبل بازار الوليد فمنعه التكبر أن يطأطىء رأسه وينزعها فجعلت تضرب فى ساقه فخدشته فمرض منها فمات ، وقوله والعاصى بن وائل خرج على راحلته يتنزه فدخل شعبا فدخلت شوكة فى أخمص رجله فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ، وقوله وعدى بن قيس الصواب الحرث بن قيس بن الطلاطلة كما ذكره فى الهمزية وشراحها والخازن وغيرهم من كتب التفسير وقد هلك بأن صار القيح يجرى من أنفه وعينه وفمه حتى مات ، وقوله والأسود بن المطلب رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك ، وقوله والأسود بن عبد يغوث أصابه مرض الاستسقاء فمات به ، وقيل إن النبيّ صلى الله عليه وسلم شكا هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام فكفاه الله شرّهم ، وقد أجاد صاحب الهمزية حيث قال فى حقهم

وكفاه المستهزئين وكم سا ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم أصيبوا بداء والردى من جنوده الأدواء
فدهى الأسود بن مطلب أىّ عمى ميت به الأحياء
ودهى الأسود بن عبد يغوث أن سقاه كاس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الأر ض فكف الأذى بهم شلاء

(٢٨٢)

وهم الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وعدى بن قيس والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم (وَلَقَدْ) للتحقيق (نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) من الاستهزاء والتكذيب (فَسَبِّحْ) ملتبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أى قل سبحان الله وبحمده (وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) المصلين (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) الموت

(سورة النحل)

مكية إلا : وإن عاقبتم إلى آخرها : مائة وثمان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

(قوله الذين يجعلون مع الله إلها آخر) أى يشركون فى عبادته غيره (قوله فسوف يعلمون) هذا تهديد ووعيد لهم (قوله بما يقولون) أى بسبب قولهم وتكلمهم فى شأنك فان شأن ذلك يضيق منه الصدر بحسب الطبيعة البشرية (قوله فسبح بحمد ربك) أى فافزع إلى ربك والتجىء إليه يكفك مايهمك من أمور الدنيا والآخرة لما فى الحديث « اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه » (قوله أى قل سبحان الله وبحمده) أى تنزيها له عن كل نقص واتصافا له بكل كمال (قوله المصلين) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه مجاز من اطلاق الجزء على الكل وخصّ السجود بالذكر لأنه أشرف أركانها (قوله واعبد ربك) عطف عام على خاص ، والمعنى دم على عبادته (قوله حتى يأتيك اليقين) أى اعبد ربك فى جميع زمن حياتك ولا تخل لحظة من عمرك من غير عبادة فان العمر ساعة فاجعله طاعة ، وهذا الخطاب وإن كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد منه العموم (قوله الموت) أى وسمى يقينا لأنه متيقن الوقوع والنزول .

[سورة النحل مكية] سميت بذلك لذكر قصة النحل فيها على سبيل العبرة العظيمة ، وتسمى أيضا سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها ، والمقصود من ذكر هذه السورة الدلالة على اتصافه تعالى بكل كمال وتنزهه عن كل نقص ، وأدلّ مافيها على هذا المعنى أمر النحلة وشأنها فى دقة فهمها واتخاذها البيت واختلاف ألوان مايخرج منها وجعله شفاء مع أكلها من كل الثمرات النافعة والضارّة الحلوة والمرة وغير ذلك (قوله إلا وإن عاقبتم) فانها نزلت بالمدينة فى قتل حمزة وظاهر المفسر أنه لم يكن منها مدنى إلا تلك الآيات وهو المشهور ، وقيل مكية إلا خمس آيات هؤلاء الثلاثة وقوله : والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا ، وقوله : ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ، وقيل غير ذلك .

لما استبطأ المشركون العذاب نزل (أَتَى أَمْرُ اللهِ) أى الساعة وأتى بصيغة الماضى لتحقق وقوعه ، أى قرب (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لامحالة (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به غيره (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) أى جبريل (بِالرُّوحِ) بالوحى (مِنْ أَمْرِهِ) بإرادته (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وهم الأنبياء (أَنْ) مفسرة (أَنْذِرُوا) خوّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) خافون (خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى محقا (تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الأصنام (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ) منىّ إلى أن صيره قويا شديداً (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) شديد الخصومة (مُبِينٌ) بيّنها فى نفى البعث قائلا من يحيى العظام وهى رميم (وَالْأَنْعَامَ) الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خَلَقَهَا لَكُمْ) فى جملة الناس (فِيهَا دِفْءٌ) ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها (وَمَنَافِعُ) من النسل والدرّ والركوب (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) قدم الظرف للفاصلة ،

(قوله لما استبطأ المشركون العذاب الخ) قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى - اقتربت الساعة وانشق القمر - قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم عليه حتى تنظروا ماهو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا مانرى شيئا فنزل - اقترب للناس حسابهم - فأشفقوا فلما امتدّت الأيام قالوا يامحمد مانرى شيئا مما تخوّفنا به فنزل - أتى أمر الله - فوثب النبىّ صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رءوسهم وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزل - فلا تستعجلوه - فاطمأنوا (قوله أى الساعة) مشى المفسر على أن المراد بأمر الله القيامة وهو أحد قولين ، وقيل المراد بأمر الله عقوبة المكذبين فى الدنيا بالسيف (قوله وأتى بصيغة الماضى) أى على سبيل المجاز فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الإتيان فى المستقبل بالاتيان فى الماضى بجامع تحقق الحصول فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاتيان فى الماضى أتى بمعنى يأتى (قوله فانه واقع لامحالة) أى ولامفرّ لكم منه (قوله عما يشركون) تنازعه كل من سبحانه وتعالى وقوله غيره قدره إشارة إلى أن مفعول يشركون محذوف (قوله أى جبريل) أى وجمع تعظيما له (قوله بالوحى) أى وسمى روحا لأن به حياة القلوب الناشئ عنه السعادة الأبدية ومن حاد عنها فهوهالك كما أن الروح بها حياة الأجسام وهى بدونها هالكة (قوله بإرادته) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمر الارادة ومن بمعنى الباء (قوله أن مفسرة) أى وضابطها تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله : ينزل الملائكة بالروح (قوله خوفوا الكافرين) أى بعد إعلامهم بالتوحيد (قوله بالعذاب) قدره إشارة إلى أن معمول الانذار محذوف وقوله أنه لا إله إلا أنا معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأعلموهم (قوله فاتقون) أى امتثلوا أوامرى واجتنبوا نواهىّ ففيه تنبيه على الأحكام الفرعية بعد التنبيه على التوحيد (قوله أى محقا) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور فى محل نصب على الحال (قوله تعالى عما يشركون) أى تنزه عن إشراكهم به غيره (قوله خلق الانسان) أى غير آدم (قوله من نطفة) من لابتداء الغاية وقوله إلى أن صيره قويا شديدا قدّره جوابا عما يقال إن كونه خصيما مبينا لايكون عقب خلقه من نطفة بل بعد قوّته وشدته (قوله فى نفى البعث) فى للسببية ، والمعنى أنه يخاصم ويجادل بسبب كونه منكرا للبعث (قوله قائلا من يحيى العظام الخ) أشار بذلك إلى ماروى « أن أبىّ بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد أتظن أن الله يحيى هذا بعد مارم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم » ففى هذه الآية ردّ على هذا الكافر ومن حذا حذوه (قوله والأنعام خلقها) هذا من جملة أدلة توحيده وتعداد نعمه ، وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلق السموات والأرض أتبعه بذكر خلق الانسان ثم بذكر مايحتاج إليه فى ضروراته من أكل ولبس فذكر الأنعام التى يكون منها ذلك (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك إلى أن الخطاب فى لكم لقريش ولوحمل على العموم كما هو الواقع لاستغنى عن ذلك (قوله فيها دفء) هو بوزن حمل يطلق على كل مايستدفأ به من ملبوس ومأكول (قوله وأصوافها) أى وأوبارها (قوله ومنافع) عطف عام على خاص (قوله والدرّ) أى اللبن (قوله والركوب) أى بالنسبة للمجموع (قوله للفاصلة) أى لاللحصر فان الانسان قد يأكل من غيرها وليس منهيا عنه قال تعالى : قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق .

(قوله ولكم فيها) أى الأنعام (قوله حين تريحون) قدم الاراحة على التسريح مع أنه خلاف الواقع لأن الجمال فى الرواح أعظم منه فى وقت التسريح لأن النعم تقبل من المرعى مملوءة البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع وأكثرما تكون هذه الاراحة أيام الربيع لحسن النعم إذ ذاك (قوله وتحمل) أى النعم والمراد بها خصوص الابل (قوله أثقالكم) جمع ثقل وهو مايحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة (قوله إلى بلد لم تكونوا بالغيه الخ) المراد أىّ بلد بعيد مكة أو غيرها . وقال ابن عباس أريد بها اليمن ومصر والشام . وقال عكرمة مكة والظاهر أنه عام لكل بلد بعيد كما علمت (قوله إلا بشق الأنفس) أى تعبها (قوله والخيل) معطوف على الأنعام ولذا قدر المفسر خلق (قوله والبغال) جمع بغل وهو المتولد بين الخيل والحمير (قوله مفعول له) أى لأجله وجرّ الأول باللام لأن الفاعل مختلف ففاعل الخلق هو الله وفاعل الركوب المخلوق (قوله بهما) أى الركوب والزينة (قوله لاينافى خلقها لغير ذلك) أى فلايفيد الحصر فى الركوب والزينة بل خلقها للأكل أيضا وبذلك أخذ الشافعى ، وأما عند الأئمة الثلاثة فأكل الخيل حرام كباقى الدواب ، واستدلوا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب ، فلوكان أكل لحوم الخيل جائزا لكان أولى بالذكر فلما لم يذكره الله علمنا تحريمه ولأن الله خصّ الأنعام بالأكل حيث قال ـ ومنها تأكلون ـ وخصّ هذه بالركوب فقال ـ لتركبوها ـ فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لاللأكل وفى الحقيقة الآية ليست صريحة فى نهى ولاجواز وإنما مستند الأئمة السنة فمن حرم لحم الخيل حمل الحديث الصحيح على

(وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ) زينة (حِينَ تُرِيحُونَ) تردونها إلى مراحلها بالعشى (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) تخرجونها إلى المرعى بالغداة (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ) أحمالكم (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ) واصلين إليه على غير الإبل (إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ) بجهدها (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) بكم حيث خلقها لكم (وَ) خلق (الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) مفعول له والتعليل بهما لتعريف النعم لا ينافى خلقها لغير ذلك كالأكل فى الخيل الثابت بحديث الصحيحين (وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) من الأشياء العجيبة الغريبة (وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) أى بيان الطريق المستقيم (وَمِنْهَا) أى السبيل (جَائِرٌ) حائد عن الاستقامة (وَلَوْ شَاءَ) هدايتكم (لَهَدَاكُمْ) إلى قصد السبيل (أَجْمَعِينَ) فتهتدون إليه باختيار منكم (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ) تشربونه (وَمِنْهُ شَجَرٌ) ينبت بسببه (فِيهِ تُسِيمُونَ) ترعون دوابكم (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ ؛

النسخ أو الاضطرار ومن جوّزها قال الأصل عدم الاضطرار أو النسخ (قوله بحديث الصحيحين) أى وهو ماروى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت : نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه (قوله من الأشياء العجيبة) أى كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات (قوله وعلى الله) أى تفضلا وإحسانا (قوله أى الطريق المستقيم) أى طريق الهدى ومن والحق وتبيينها بارسال الرسل وإنزال الكتب (قوله ومنها جائر) أى سبيل جائر وهو سبيل الضلال والكفر والجور العدول عن الاستقامة (قوله ولوشاء لهداكم أجمعين) أى وصلكم إلى الطريق المستقيم بأجمعكم ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل لما سبق فى علمه أن الجنة لها أهل وأن النار لها أهل (قوله هو الذى أنزل من السماء ماء) لما ذكر سبحانه وتعالى منته على بنى آدم بخلق الحيوانات الخاصة بهم أعقبه بذكر نعمة عامة لكل الحيوانات آدميين وغيرهم وهى إنزال الماء من السماء الناشىء عنه النباتات التى ينتفع بها جميع الحيوانات (قوله لكم) الجارّ والمجرور صفة لماء وقوله : منه شراب مبتدأ وخبر . إن قلت إنه ليس خاصا ببنى آدم بل هو عام لكلّ حيوان . أجيب بأن بنى آدم هم المقصودون بالذات وغيرهم بالتبع والضمير فى منه عائد على الماء : أى تشربون من ماء السماء . إن قلت إن غالب الشرب يكون من السحاب والأنهار والعيون وهى بالأرض . أجيب بأن أصل الماء الكائن فى الأرض من السماء لقوله تعالى ـ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض ـ (قوله ومنه شجر) المراد بالشجر هنا مطلق النبات سواء كان له ساق أم لا (قوله ينبت بسببه) أشار بذلك إلى أن من الثانية للسببية وأما الأولى فهى ابتدائية (قوله ينبت لكم به الزرع) المراد به الحب الذى يقتات وقدمه لأن به قوام البدن وثنى بالزيتون لأنه إدام ودهن وثلث بذكر النخيل لأنه غذاء وتفكه ، وأخر الأعناب لأنها تشبه النخيل فى ذلك .

(قوله ومن كل الثمرات) عطف عام على خاص (قوله المذكور) أى من إنزال الماء وإنبات النبات (قوله لآية) ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات خمس بالافراد وثنتان بالجمع، والحكمة في ذلك أن ما جاء بلفظ الافراد فباعتبار المدلول الذي هو وحدانية الحق، وما جاء بلفظ الجمع فباعتبار الدليل فان في كل شئ آية تدل على أنه الواحد (قوله وسخر لكم الليل والنهار) لما ذكر النعم الكائنة في العالم السفلى أعقبه بذكر النعم الكائنة في العالم العلوى وكل ذلك لنفع العالم وتمام نظامه (قوله بالنصب) أى فى الشمس والقمر والنجوم مسخرات قراءتان سبعيتان الرفع والنصب (قوله مسخرات بأمره) أى مذللات بإرادته فهو سبحانه وتعالى المؤثر في العالم العلوى والسفلى فلا تتحرك ذرة في الدنيا ولا تسكن إلا بتأثير الله فيها، وإنما هذه الأشياء أسباب عادية يوجد النفع عندها لابها، ففي هذه الآية رد على القائلين إن العالم العلوى هو المؤثر في العالم السفلى بطبع أو علة (قوله بالنصب حال) أى مؤكدة لعاملها وهوسخر (قوله لقوم يعقلون) عبرهنا بالعقل إشارة إلى أن العالم العلوى مغيب عن الأبصار فيحتاج المتأمل فيه لمزيد العقل بخلاف العالم السفلى فهو مشاهد فيكفى فيه (٢٨٥) أدنى تأمل وتعقل والأسلم أن

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَةً) دالة على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في صنعه فيؤمنون (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ) بالنصب عطفا على ماقبله والرفع مبتدأ (وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) بالوجهين (مُسَخَّرَاتٍ) بالنصب حال والرفع خبر (بِأَمْرِهِ) بإرادته (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَ) سخر لكم (مَاذَرَأَ) خلق (لَكُمْ فِي الْأَرْضِ) من الحيوان والنبات وغير ذلك (مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ) كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ) ذلله لركوبه والغوص فيه (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هى اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى) تبصر (الْفُلْكَ) السفن (مَوَاخِرَ فِيهِ) تمخر الماء أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (وَلِتَبْتَغُوا) عطف على لتأكلوا: تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت لـ(أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِكُمْ، وَ) جعل فيها (أَنْهَاراً) كالنيل (وَسُبُلاً) طرقا (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم (وَعَلَامَاتٍ) تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار (وَبِالنَّجْمِ) بمعنى النجوم (هُمْ يَهْتَدُونَ) إلى الطرق والقبلة بالليل (أَفَمَنْ يَخْلُقُ) وهو الله (كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة؟ لا (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون

يقال إن التغاير في هذا وما قبله وما بعده تفنن في التعبير دفعا للثقل وإشارة إلى أن من اتصف بواحد منها فقد اتصف بجميعها (قوله وما ذرأ) معطوف على الليل ولذا قدر المفسر الفعل (قوله من الحيوان والنبات) فهى مذللة لبنى آدم ينتفعون بها ولا يعجزون عنها (قوله وغير ذلك) أى كالأحجار والمعادن والأنهار (قوله مختلفا ألوانه) أى وطعومه (قوله وهو الذى سخر البحر) أى عذبا وملحا (قوله لركوبه) أى بالسفن والعوم (قوله والغوص) أى النزول فيه (قوله لحما طريا) وصف بالطراوة لأنه يسرع إليه الفساد وحكمة ذلك انتفاع الناس به وعدم عزته عن الفقراء وإلا فلو كان يمكث من غير فساد لادخره الأغنياء وحرموا منه الفقراء (قوله وتستخرجون منه) أى البحر وهو المالح فقط (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف (قوله عطف على لتأكلوا) أى وما بينهما اعتراض (قوله بالتجارة) أى فيسافرون لها في البحر ويقدمون في أقل زمن (قوله أن تميد) قدر المفسر لا، ليصح الكلام لأن جعل الجبال في الأرض لأجل عدم الميد لا لأجل حصوله، والمراد بالميد الميل والتحرك والاضطراب (قوله طرقا) أى في الجبال (قوله وعلامات) أى أمارات (قوله وبالنجم) المراد به الثريا وبنات نعش والفرقدان والجدى فيهتدى بها إلى الطريق والقبلة (قوله أفمن يخلق كمن لايخلق) أى أتسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة والنعم الفخيمة وبين من لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره والكلام على القلب، والتقدير أفمن لايخلق كمن يخلق لأنهم يشبهون من لايخلق بمن يخلق في العبادة وإنما أتى بالعبارة مقلوبة زيادة في التشنيع عليهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى.

(قوله وإن تعدوا نعمة الله) هذا تذكير إجمالي بعد تفصيل بعض النعم (قوله حيث ينعم عليكم مع تقصيركم) أى ولم يقطع نعمه عنكم بسبب ذلك بل وسعها عليكم (قوله والله يعلم ماتسرّون وماتعلنون) أى ما تخفون من العقائد والأعمال وماتظهرونه من ذلك (قوله بالتاء والياء) فهما قراءتان سبعيتان فى قوله تدعون فقط ، وأما تسرّون وتعلنون فبالتاء الفوقية سبعية والياء التحتية شاذة (قوله لايخلقون شيئا وهم يخلقون) ليس تكرارا مع قوله أفمن يخلق كمن لايخلق لأنه أوّلا أفاد أنهم لايخلقون شيئا ، وهنا أفاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيئا هم مخلوقون ففيه زيادة فائدة (قوله خبر ثان) أى والأول قوله يخلقون وقوله ومايشعرون خبر ثالث (قوله أى الخلق) ويصح أن يعود الضمير على الأصنام ، والمعنى أن الأصنام لاتشعر متى يبعثها الله قال ابن عباس : إن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها ، فيأمر الله بالكل إلى النار (قوله إلهكم إله واحد) هذا نتيجة ماقبله أى فحيث ثبت أنه الخالق لتلك الأشياء المتقدم ذكرها فقد تقرر أنه المعبود المتصف بالوحدة فى الذات والصفات والأفعال فلا شريك له فيها (قوله فالذين لايؤمنون بالآخرة) أى لايصدقون بها وبما يحصل فيها من بعث وحساب وجزاء وهذا نتيجة قوله آتى أمر الله فلا تستعجلوه وحينئذ فيكون المعنى آتى أمر الله فآمنوا وصدقوا أخبارنا ولا تنكروها فالذين لايؤمنون الخ (قوله متكبرون) أشار بذلك إلى أن السين مزيدة للتوكيد (قوله لاجرم) تقدم أن فيها ثلاثة أوجه أحسنها أن لانافية ومنفيها محذوف وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وأن ومادخلت عليه فى محل رفع فاعل وحينئذ يصير المعنى لاعبرة بانكار الكفار واستكبارهم بل حق وثبت علم الله بما يسرّونه ومايعلنونه وعلى هذا فقول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله بمعنى أنه يعاقبهم) روى عن الحسين

(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) تضبطوها فضلا عن أن تطيقوا شكرها (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) بالتاء والياء : تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) وهم الأصنام (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) يصورون من الحجارة وغيرها (أَمْوَاتٌ) لا روح فيهم خبر ثان (غَيْرُ أَحْيَاءٍ) تأكيد (وَمَا يَشْعُرُونَ) أى الأصنام (أَيَّانَ) وقت (يُبْعَثُونَ) أى الخلق فكيف يعبدون إذ لايكون إلها إلا الخالق الحى العالم بالغيب (إِلَٰهُكُمْ) المستحق للعبادة منكم (إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) لانظير له فى ذاته ولا فى صفاته وهو الله تعالى (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) جاحدة للوحدانية (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) متكبرون عن الإيمان بها (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فيجازيهم بذلك (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم . ونزل فى النضر بن الحرث (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا) استفهامية (ذَا) موصولة (أَنْزَلَ رَبُّكُمْ) على محمد (قَالُوا) هو (أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) إضلالا للناس (لِيَحْمِلُوا) فى عاقبة الأمر (أَوْزَارَهُمْ) ذنوبهم (كَامِلَةً) لم يكفر منها شىء (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ)

ابن على أنه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم يأكلون ، فقالوا الغداء يا أبا عبد الله فنزل وجلس معهم ، وقال إنه لايحب المستكبرين ثم أكل فلما فرغوا قال قد أجبتكم فأجيبونى ، فقاموا معه إلى منزله فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم فانصرفوا ، وفى الحديث « إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم » (قوله ونزل فى النضر بن الحرث) أى فى شأنه وسببه وكان عنده كتب التواريخ ويزعم أن حديثه أحسن مما أنزل على محمد (قوله وإذا قيل لهم) القائل يحتمل أن يكون المسلمين أو الوافد عليهم أو بعضهم لبعض على سبيل التهكم فان الكفار لايقرّون بأنه منزل من عند الله (قوله أساطير الأولين) جمع أسطورة كأحاديث وأكاذيب وأعاجيب جمع أحدوثة وأكذوبة وأعجوبة (قوله إضلالا للناس) علة للقول (قوله فى عاقبة الامر) أشار بذلك إلى أن اللام فى ليحملوا لام العاقبة والصيرورة ، والمعنى أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كان عاقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم (قوله كاملة) أى وبلاياهم التى أصابتهم فى الدنيا لاتكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون على جميع أوزارهم بخلاف بلايا المؤمنين فانها تكفير لذنوبهم أو رفع درجات لهم فالبلايا للمجرمين عقوبات وللأبرار مكفرات وللعارفين درجات فقد يكون السابق فى علمه تعالى أن العارف لاينال تلك الدرجة إلا بمحنة فيوصلها الله له لينال تلك الدرجة .

(قوله ومن أوزار الذين يضلونهم) أي ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم بعض أوزار الأتباع وهو السبب هذا ماقرره المفسر تبعا للبيضاوى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أن من بمعنى مثل ، والمعنى أن على الرؤساء مثل أوزار الأتباع ، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من يتبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا » (قوله بغير علم) إما حال من المفعول أى يضلون الأتباع حال كون الأتباع غير عالمين بأن الرؤساء فى ضلال بل يعتقدون أنهم على خير حيث قلدوهم أو من الفاعل والمعنى يضلون غيرهم حال كونهم غير عالمين بما يستحقونه من العذاب فى مقابلة ضلالهم و إضلالهم (قوله فاشتركوا فى الاثم) أى العقوبة فعقوبة المتبوعين بضلالهم و إضلالهم وعقوبة التابعين بالمطاوعة والتقليد ولا يعذرون بالجهل (قوله ألا ساء مايزرون) ساء فعل ماض لانشاء الذم كبئس وما اسم موصول ويزرون صلته أو نكرة موصوفة ويزرون صفة لها والعائد على كل محذوف والتقدير يزرونه والمخصوص بالذم محذوف كما أشار له المفسر بقوله حملهم هذا (قوله قد مكر الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وهو نمروذ) بضم النون وبالذال المعجمة وهو ابن كنعان وكان يدعى الألوهية وكان

وَمِنْ) بعض (أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا فى الاثم (أَلَا سَاءَ) بئس (مَا يَزِرُونَ) يحملونه حملهم هذا (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) وهو نمروذ بنى صرحا طويلا ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها (فَأَتَى اللَّهُ) قصد (بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) أى وهم تحته (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لاتخطر ببالهم. وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ) يذلهم (وَيَقُولُ) لهم الله على لسان الملائكة توبيخا (أَيْنَ شُرَكَائِيَ) بزعمكم (الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ) تخالفون المؤمنين (فِيهِمْ) فى شأنهم (قَالَ) أى يقول (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) من الأنبياء والمؤمنين (إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقولونه شماتة بهم (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بالكفر (فَأَلْقَوُا السَّلَمَ) انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) شرك فتقول الملائكة (بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به .

أعظم أهل الأرض تجبرا (قوله بنى صرحا طويلا) أى ببابل وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع وقيل كان طوله فرسخين (قوله الاساس) بكسر الهمزة جمع أس بضمها كرماح جمع رمح أو فتحها جمع أسس بضمتين كعنق وأعناق (قوله فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها) أى فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى فأهلكهم وهم تحته (قوله فخر عليهم السقف من فوقهم) أى سقط ونزل عليهم (قوله أى وهم تحته) تفسير لقوله من فوقهم ودفع بقوله من فوقهم مايتوهم أنهم لم يكونوا تحته (قوله وقيل هذا تمثيل لافساد ماأبرموه) أى فان الآية محمولة على العموم وليس هناك بناء حقيقة بل هو مثل ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله فأهلكهم الله بمكرهم فمثلهم بقوم بنوا بنيانا شديدا فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم (قوله على لسان للملائكة) مرور منه على القول بأن الله لا يكلم الكفار وقيل إن الله يكلمهم وقوله تعالى - ولايكلمهم الله يوم القيامة - أى كلام رحمة وتعظيم (قوله أين شركائى) أى مالهم لايحضرون معكم ليدفعوا عنكم مانزل بكم من العذاب (قوله تشاقون) بفتح النون وكسرها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بكسر النون مع التشديد والأصل تشاقوننى فأدغم (قوله تخالفون المؤمنين) أى تنازعونهم فى شأنهم (قوله قال الذين أوتوا العلم) أى وهم فى الموقف (قوله شماتة بهم) أى فرحا بما حصل لهم جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة وظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وعذب أهل الباطل بأنواع العذاب فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك و يقول رؤساء المؤمنين إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكنه مع الياء يقرأ بالامالة والملائكة فاعل والمراد بهم عزرائيل وأعوانه و إنما أنث الفعل على قراءة التاء لأن لفظ الجمع مؤنث (قوله ما كنا نعمل من سوء) إنما أنكروا ذلك رجاء أن ينفعها

(قوله ويقال لهم) أى عند خروج أرواحهم وحينئذ فيكون المراد بالدخول شهود أرواحهم دار العذاب أو يوم القيامة والدخول على حقيقته (قوله أبواب جهنم) أى طبقاتها والمعنى ليدخل كل صنف الطبقة التى أعدت له (قوله فلبئس مثوى المتكبرين) أى مقامهم ومنزلهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو (قوله وقيل للذين اتقوا) مقابل قوله وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين والقائل وفود العرب القادمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد فكانوا إذا صادفوا المسلمين سألوهم وقالوا لهم ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيرا ، وإذا صادفوا الكفار سألوهم وقالوا ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين ، فكل إناء بالذى فيه ينضح (قوله ماذا أنزل ربكم) ماذا بتمامها اسم استفهام مفعول مقدم لأنزل وحينئذ فتكون الجملة فعلية وهو أنسب ليطابق الجواب السؤال فان الجواب جملة فعلية أيضا لأن خيرا مفعول بفعل محذوف تقديره أنزل خيرا بخلاف ماتقدم فان ما اسم استفهام وذا اسم موصول وأنزل صلته فالجملة اسمية لمطابقة الجواب فانه مرفوع باتفاق السبع وماهنا منصوب باتفاق السبع والحكمة فى رفع الأول ونصب الثانى الفرق بين جواب المقر حيث طابق بين السؤال والجواب فجعلهما من جنس واحد وجواب الجاحد حيث عدل عن السؤال فقال هو أساطير الأولين وليس من الانزال فى شىء (قوله للذين أحسنوا) هذا بيان لقوله خيرا كأنهم قالوا أنزل ربنا من أحسن فى الدنيا بالطاعة فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة (قوله حياة طيبة) أى وهى تختلف باختلاف الاقبال على الله وعدمه فكلما زاد العبد فى الاقبال على ربه طابت حياته فيزداد ترقيا فى القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة وغير ذلك من الكرامات التى تحصل له فى الدنيا وماخفى كان أعظم قال تعالى ــ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ــ (قوله ولدار الآخرة) اللام موطئة لقسم محذوف أو للابتداء مؤكدة (قوله خير من الدنيا وما فيها) أى ولو حصل له فى الدنيا غاية الرفعة والعز واسم التفضيل على بابه إن أعطى العبد النعيم فى الجنة وليس على بابه إن لم يكن من أهل الجنة إذ لاخير فى لذة بعدها النار بل كل من عظم تنعمه فى الدنيا ولم يكن مرضيا عليه فتنعمه زيادة فى عذابه قال تعالى ــ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ــ وقال تعالى ــ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (قوله قال تعالى) إنما قال ذلك إشارة إلى أن جواب المؤمنين تم بقوله ولدار الآخرة خير وقوله ولنعم دار المتقين ثناء ومدح من الله لدار الآخرة التى هى خير (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله جنات عدن) أى إقامة لايطرأ عليها زوال ولافناء بل هى دائمة بأهلها على سبيل التأبيد (قوله تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها وغرفها ، قال تعالى ــ من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ــ والمراد بالأنهار المذكورة فى قوله تعالى ــ فيها أنهار من ماء غير آسن ــ الخ (قوله مايشاءون) أى يطلبون مما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين (قوله كذلك) الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف معمول ليجزى والتقدير يجزى الله المتقين جزاء مثل ذلك الجزاء (قوله المتقين) أى الذين اجتنبوا الشرك وأل فى المتقين للاستغراق (قوله نعت) أى للمتقين (قوله تتوفاهم الملائكة) أى تقبض أرواحهم (قوله طيبين) حال من ضمير تتوفاهم وحينئذ تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة فلو خير المؤمن بين الرجوع إلى الدنيا ويعطى جميع مايشتهى فيها وبين الموت لاختار الموت ولايرجع إلى الدنيا لشهوده حقارة الدنيا بالنسبة لما رآه مهيأ له (قوله عند الموت) أى لما ورد «إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال له السلام عليك ياولى الله ، الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة»

ويقال لهم (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ. وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالإيمان (فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) حياة طيبة (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) أى الجنة (خَيْرٌ) من الدنيا وما فيها ، قال تعالى فيها (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) هى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة مبتدأ خبره (يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ) الجزاء (يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ) نعت (تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) طاهرين من الكفر (يَقُولُونَ) لهم عند الموت (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ).

(قوله فى الآخرة) هذا أحد قولين وقيل إن القول المذكور يكون عند خروج الروح ويكون الأمر بالدخول للروح دون الجسم ويشهد له قوله تعالى : ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك الآية بناء على أن هذه المقالة تقال للمؤمن عند خروج روحه (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية وما اسم موصول والعائد محذوف والتقدير بسبب الذى كنتم تعملونه (قوله هل ينظرون) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى ولذا فسره بما النافية والمعنى لاينتظر الكفار إلا أحد أمرين إما نزول الموت بهم أوحلول العذاب وأو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو القيامة) أولحكاية الخلاف (قوله وما ظلمهم الله) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله كذبوا رسلهم فأهلكوا (قوله فأصابهم) معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض (قوله أى جزاؤها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل فأصابهم جزاء سيئات ماعملوا (قوله ماكانوا به يستهزئون) أى جزاء الذين كانوا به يستهزئون (قوله وقال الذين أشركوا الخ) هذا كلام صحيح فى حد ذاته لكنهم توصلوا به إلى أمر باطل . وحاصل ذلك أنهم قالوا لو شاء الله عدم عبادتنا لغيره لحصل لكن وقعت منا العبادة لغيره فهى بمشيئته فهو راض بها واعتقدوا أن الارادة لازمة للرضا فى حقه تعالى وهو اعتقاد باطل. وحاصل الرد عليهم أن يقال إن الارادة لاتستلزم الرضا بل قد يريد شيئا ولايرضى به لتنزهه عن الأغراض فى الأحكام والأفعال فلا تقاس أفعال الله على أفعال العباد وذلك لأن ما يغضب الله لايصل له منه ضرر وما يرضيه لايصل له منه نفع بل معنى ذلك أنه يعاقب على مايغضبه و يثيب على مايرضيه بخلاف العباد فرضاهم لازم لارادتهم

ويقال لهم فى الآخرة (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . هَلْ) ما (يَنْظُرُونَ) ينتظر الكفار (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ) لقبض أرواحهم (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) العذاب أو القيامة المشتملة عليه (كَذَٰلِكَ) كما فعل هؤلاء (فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بإهلاكهم بغير ذنب (وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) أى جزاؤها (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى العذاب (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) من أهل مكة (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) من البحائر والسوائب فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به ، قال تعالى (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى كذبوا رسلهم فيما جاءوا به (فَهَلْ) فما (عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الابلاغ البين وليس عليهم هداية (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا) كما بعثناك فى هؤلاء (أَنِ) أى بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) الأوثان أن تعبدوها (فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ) فآمن (وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ) وجبت (عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) فى علم الله فلم يؤمن (فَسِيرُوا) يا كفار مكة (فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) رسلهم من الهلاك (إِنْ تَحْرِصْ) يامحمد (عَلَىٰ هُدَاهُمْ) وقد أضلهم الله ،

لأن مايرضيهم يحصل لهم به النفع فهو واقع منهم بإرادتهم وما يغضبهم يحصل لهم به الضرر فهو غير واقع بإرادتهم والكفار قد سووا بين الخالق والمخلوق فقالوا ماقالوا والمقصود من هذه الشبهة إبطال إرسال الرسل وجعله عبثا تعالى الله عن ذلك (قوله من دونه من شئ) من الأولى ابتدائية والثانية زائدة (قوله فهو راض به) هذا هو محط شبهتهم التى رتبوا ماذكر عليها (قوله الابلاغ البين) أشار بذلك إلى أن البلاغ مصدر بمعنى الابلاغ (قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) أى فلاخصوصية لك (قوله أى بأن اعبدوا) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية والضابط موجود لتضمن البعث معنى القول (قوله واجتنبوا الطاغوت) أى تباعدوا عن عبادة الطاغوت والمراد بالطاغوت قيل كل مايعبد من دون الله وقيل الشيطان (قوله فلم يؤمن) أفرد باعتبار لفظ من وفى نسخة فلم يؤمنوا بالجمع مراعاة للمعنى (قوله فسيروا) أمر لأهل مكة بالسير والنظر فى أحوال من تقدمهم (قوله كيف كان عاقبة المكذبين) أى مآلهم وآخر أمرهم على أى كيفية (قوله رسلهم) قدره إشارة إلى أن قوله المكذبين مفعوله محذوف (قوله وقد أضلهم الله) الجملة حالية .

(قوله لاتقدر على ذلك) هذا هو جواب الشرط وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله لايهدى من يضل) الجملة خبر إن والرابط ضمير مقدر فى يضل تقديره من يضله والظاهر أن هذا الرابط هو فاعل يضل العائد على الله وأما الضمير المفعول الذى هو الهاء فانه عائد على من ولا ربط فيه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان ، والمعنى أن من أراد الله إضلاله فلا تمكن هدايته فلا تتعب نفسك فى هداه . إن قلت إن التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليف بالمستحيل . أجيب بأنه لايسئل عما يفعل (قوله وما لهم من ناصرين) أى من يريد إضلاله لامانع له من عذاب الله إذا نزل به (قوله وأقسموا بالله) أى حلفوا به وقوله جهد أيمانهم أى لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فاذا كان الأمر عظيما حلفوا بالله (قوله أى غاية اجتهادهم) أى فالمراد بالجهد بالفتح الطاقة فقولهم الجهد بالفتح المشقة و بالضم الطاقة بحسب الغالب (قوله قال تعالى) أى ردا لمقالتهم (قوله مصدران مؤكدان) أى للجملة القدرة بعد بلى (قوله أى وعد ذلك الخ) الأوضح أن يقول أى وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله لايعلمون ذلك) أى أنهم يبعثون لجهلهم (قوله المقدر) أى بعد بلى (قوله من أمر الدين)

لاتقدر على ذلك (فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى) بالبناء للفاعل والمفعول (مَنْ يُضِلُّ) من يريد إضلاله (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من عذاب الله (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أى غاية اجتهادهم فيها (لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ) قال تعالى (بَلَى) يبعثهم (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أى وعد ذلك وحقه حقا (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (لِيُبَيِّنَ) متعلق بيبعثهم المقدر (لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ) مع المؤمنين (فِيهِ) من أمر الدين بتعذيبهم و إثابة المؤمنين (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) فى إنكار البعث (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ) أى أردنا إيجاده وقولنا مبتدأ خبره (أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى اللهِ) لاقامة دينه (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) بالأذى من أهل مكة وهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) ننزلنهم (فِى الدُّنْيَا) دارا (حَسَنَةً) هى المدينة (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ) أى الجنة (أَكْبَرُ) أعظم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أى الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لايحتسبون (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِى إِلَيْهِمْ) لاملائكة ،

أى وهو البعث (قوله بتعذيبهم الخ) متعلق بيبين والمعنى ليميز لهم الأمر الذى يختلفون فيه باثابة المطيع وتعذيب العاصى (قوله وليعلم) معطوف على ليبين (قوله لشىء) تسميته شيئا باعتبار مايئول إليه و إلا فالمعدوم لايسمى شيئا (قوله والآية لتقرير القدرة على البعث) أى فهى رد على من قال إن الله لايبعث من يموت والأمر كناية عن سرعة الايجاد عند تعلق الارادة بالايجاد وليس ثم كاف ولا نون و إلا لزم إما خطاب المعدوم حال عدمه وهو لا يعقل أو تحصيل الحاصل إن كان الخطاب له بعد وجوده وكلا الأمرين محال (فسئلوا

(قوله والذين هاجروا) أى انتقلوا من مكة للمدينة (قوله لإقامة دينه) أشار بذلك إلى أن فى بمعنى اللام والكلام على حذف مضافين (قوله أكبر) أى من دار الدنيا (قوله أو المتخلفون) تفسير ثان للضمير فى يعلمون (قوله لوافقوهم) جواب الشرط (قوله الذين صبروا) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى يثقون به و يفوضون أمورهم إليه والتعبير بالمضارع لاستحضار الحال الماضية إشارة إلى أن توكلهم كان أعظم توكل وذلك أنهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم فى مرضاة ربهم ورضوا بالذل بدل العز و بالفقر بدل الغنى فجازاهم الله بابدال الذل عزا والفقر غنى فصاروا سادات الناس فى الدنيا والآخرة . قال البوصيرى رضى الله عنه :

مالموسى ولا لعيسى حوا ريون فى فضلهم ولا نقباء

(قوله فيرزقهم من حيث لايحتسبون) نتيجة التوكل وليست معنى التوكل (قوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) سبب نزولها أن كفار مكة قالوا ما كان الله أن يرسل رسولا من الرجال بل اللائق أن يرسل ملكا .

(قوله فاسئلوا أهل الذكر) جواب شرط مقدر دلّ عليه قوله إن كنتم لاتعلمون تقديره إن شككتم فى ذلك فاسئلوا (قوله إن كنتم لاتعلمون) أى على سبيل الفرض والتقدير و إلا فهم عالمون بذلك و إنما كفرهم عناد (قوله أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) أى لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب عندهم علم بالكتب القديمة وقد أرسل الله لهم رسلا كموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم وكانوا بشرا فاذا سألوهم فلا بد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشرا فحينئذ يزول عن قلوبهم الريب والشك (قوله متعلق بمحذوف) أى جوابا لسؤال مقدر كأنه قال لم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر وهذا أحسن ماقيل هنا (قوله القرآن) إنما سمى القرآن ذكرا لأنه مشتمل على المواعظ التى بها يتذكر العاقل و يتنبه الغافل (قوله لتبين للناس مانزل إليهم) أى ما أجمل من الأحكام فبيان المجمل من القرآن تكفل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن (قوله أفأمن الذين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أعموا ولم يتفكروا فأمن الذين الخ (قوله السيئات) صفة لمقدر محذوف قدره المفسر بقوله المكرات بفتح الكاف جمع مكرة بسكونها المرة من المكر (قوله أن يخسف) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر (٢٩١) معمول لأمن والتقدير أفأمنوا

(فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بِالْبَيِّنَاتِ) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالحجج الواضحة (وَالزُّبُرِ) الكتب (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) القرآن (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) فيه من الحلال والحرام (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك فيعتبرون (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا) المكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر فى الأنفال (أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كقارون (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) أى من جهة لاتخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ) فى أسفارهم للتجارة (فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين العذاب (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ) له ظل كشجر وجبل (تَتَفَيَّؤُا) تميل (ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ) جمع شمال أى عن جانبيهما أول النهار وآخره (سُجَّدًا لِلَّهِ)

خسف الله بهم الأرض (قوله وقد أهلكوا ببدر) أى أهلك صناديدهم وهم الذين اجتمعوا فى دار الندوة (قوله يقدروا ذلك) أى الهلاك أى يعتقدوه و يظنوه وهو بدل من يكونوا والمبدل من المجزوم مجزوم أوحذفت النون تخفيفا (قوله فى تقلبهم) أى حال كونهم متقلبين فى أسفارهم (قوله أو يأخذهم على تخوف) أى يهلكهم فى حال خوفهم أو المراد بالتخوف التنقص كما قال المفسر من تخوفته إذا انتقصته ، روى أن عمر رضى الله عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال نعم . قال شاعرنا أبو بكر يصف ناقته :

تخوّف الرحل منها تامكا قردا ‏ ‏ كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وماديوانتا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم والرحل بالحاء المهملة رحل الناقة والتامك بالفوقية السنام والقرد بفتح القاف وكسر الراء هو المرتفع أو المتراكم والنبع شجر تتخذ منه القسى والسفن بفتحتين وهو المبرد أو القدوم. والمعنى أن الرحل أثر فى سنام تلك الناقة فأكله وانتقصه كما ينتقص المبرد أو القدوم العود من الشجر (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا ولم يروا والاستفهام للتوبيخ (قوله له ظل) خرج الملك والجن (قوله تتفيؤ) أى تنتقل من جانب إلى آخر واختلف فى الفىء فقيل هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية هنا وقيل الظل ما كان قبل الزوال والفىء ما كان بعده وقيل غير ذلك (قوله عن اليمين والشمائل) أى يمين المستقبل للقبلة وشماله ، وذلك أن الشمس إذا طلعت من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت إلى الغروب كان ظلك عن يسارك وأفرد اليمين وجمع الشمال تفننا (قوله أى عن جانبيهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف

مضاف (قوله حال) أى من قوله ظلاله (قوله بما يراد منهم) أى من طول وقصر وتحول من جانب لآخر (قوله وهم داخرون) الجملة حالية من الضمير فى سجدا (قوله نزلوا) أى فى جمعهم بالواو والنون كالعقلاء وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله وذلك من وصف العقلاء فجمعت بالواو والنون (قوله ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض) أى طوعا وكرها فسجود الملائكة وغير العاقل طوعا فقط وسجود الآدميين والجن طوعا من مؤمنهم وكرها من كافرهم (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود معناه اللغوى (قوله والملائكة) عطف على مافى قوله مافى السموات (قوله تفضيلا) أى تشريفا وتعظيما (قوله يستكبرون عن عبادته) أى لايتركون عبادة ربهم ولا يتكبرون عنها (قوله حال من هم) صوابه من ربهم بدليل قوله عاليا الخ . والمعنى يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعليا عليهم وقاهرا لهم ، فالمراد بالفوقية الاستعلاء والقهر لا الجهة لأنها مستحيلة عليه تعالى (قوله ويفعلون مايؤمرون) أى فلا يعصون ربهم أبدا بل هم ممتثلون لأمره مجتنبون لنهيه (قوله وقال الله) أى لعباده (قوله لاتتخذوا إلهين اثنين) لاناهية وتتخذوا مجزوم بحذف النون والواو فاعل وإلهين مفعول أول واثنين تأكيد له والمفعول الثانى محذوف تقديره معبودا ويعلم من النهى عن اتخاذ اثنين النهى عن اتخاذ الأكثر بالأولى (قوله إنما هو إله واحد) أتى به لاثبات الألوهية والوحدانية ، والمعنى أن المعبود لايكون إلا واحدا وإلا لم يوجد شئ من العالم قال تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال تعالى: ما اتخذ الله

من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله فإياى فارهبون) إياى مفعول لفعل محذوف يفسره قوله ارهبون أى ارهبوا إياى فارهبون والمعنى لاتخافوا غيرى فإن النفع والضر بيدى والألوهية وصفى فلا تخشوا غيرى ولا ترجوا غيرى (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى إلى التكلم لأنه أبلغ فى التخويف (قوله وله مافى السموات والأرض)

حال أى خاضعين بما يراد منهم (وَهُمْ) أى الظلال (دَاخِرُونَ) صاغرون نزلوا منزلة العقلاء (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ) أى نسمة تدب عليها أى يخضع له بما يراد منهم ، وغلب فى الاتيان بما مالايعقل لكثرته (وَالْمَلَائِكَةُ) خصهم بالذكر تفضيلاً (وَهُمْ لَايَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون عن عبادته (يَخَافُونَ) أى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) حال من هم أى عالياً عليهم بالقهر (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) به (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ) تأكيد (إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ) أتى به لاثبات الالهية والوحدانية (فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) خافون دون غيرى وفيه التفات عن الغيبة (وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلكاً وخلقاً وعبيداً (وَلَهُ الدِّينُ) الطاعة (وَاصِباً) دائماً حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ) وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستفهام للانكار والتوبيخ (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) لا يأتى بها غيره وما شرطية ،

فيه التفات من التكلم للغيبة وهذا دليل على أنه المنفرد بالألوهية والوحدانية إذ غيره لايخلو إما أن يكون فى السموات أو الأرض وكل بما فيها مملوك لله فلا يصح ولا يليق اتخاذ غيره إلها (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أى لجميع مافى السموات والأرض مملوكون مخلوقون له يتصرف فيهم كيف يشاء (قوله وله الدين) أى التدين والانقياد لالغيره فالطاعة لاتكون إلا لله وحده وطاعة الرسول والوالدين وأولى الأمر من طاعة الله لأمره بها (قوله والعامل فيه معنى الظرف) أى الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور ، والمعنى استقر الدين له حال كونه دائما وهذا ظاهر على أن الدين فاعل بالجار والمجرور وأما إن جعل الدين مبتدأ مؤخرا والجار والمجرور خبرا مقدما فلا يصح ما قاله المفسر لأن العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها والمبتدأ ليس معمولا للخبر وحينئذ فالأولى أن يجعل حالا من الضمير الكائن فى الظرف والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصبا (قوله أفغير الله تتقون) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتركتم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون (قوله والاستفهام للانكار) أى والمعنى لايليق منكم أن تتقوا غيره ولا تطيعوا غيره إلا إذا كان الآمر بذلك هو الله كطاعة الوالد والرسول فى الحقيقة التقوى لله (قوله وما بكم من نعمة) أى دنيوية أوأخروية (قوله وماشرطية) أى وفعل الشرط محذوف والتقدير أيما نزل بكم وقوله فمن الله جواب الشرط وقوله من نعمة بيان لما ويرد عليه أنه لايحذف فعل الشرط إلا بعد إن فى موضعين الأول فى باب الاشتغال نحو وإن أحد من المشركين استجارك فأجره الثانى أن تكون لا النافية تالية لإن مع وجود مايدل على الشرط كقول الشاعر :

فطلقها فلست لها بكفء　　　وإلا يعل مفرقك الحسام

فان لم توجد لا أو كانت الأداة غير إن لم يحذف إلا لضرورة فالأحسن الاعراب الثانى (قوله أو موصولة) أى بمعنى الذى والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما ومن نعمة بيان لما وهو مبتدأ وخبره قوله ـ فمن الله ـ والفاء زائدة فى الخبر لتضمن المبتدإ معنى الشرط ، والمعنى أن الله هومولى النعم لاغيره وتسمية غيره منعما باعتبار أن النعم أجريت على يده وهو مظهر لها (قوله تجأرون) من الجؤار بوزن غراب وهو رفع الصوت بالدعاء فى كشف مانزل من الضر (قوله ثم إذا كشف الضر عنكم) أى أزاله بإيصال النفع لكم (قوله ليكفروا) اللام لام كى وهى متعلقة بيشركون أولام العاقبة والصيرورة أولام الأمر للتهديد (قوله أمر تهديد) أى تخويف (قوله عاقبة ذلك) أى وهى الخلود فى النار (قوله لأنها لاتضر ولا تنفع) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وهى الأصنام) تفسير لما ، والمعنى ويجعل المشركون للأصنام التى لايعلمون منها نفعا ولا ضرا نصيبا الخ (قوله من الحرث) بيان لما والمراد بالحرث الزرع (قوله بقولهم) متعلق بيجعلون (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى لزيادة التوبيخ عليهم (قوله بقولهم الملائكة بنات الله) أى وليس المراد بالبنات بناتهم التى يلدونها لأنهم يعترفون بأنها منسوبة لهم فلايضيفونها لله وإنما البنات التى يضيفونها لله هى الملائكة والقائل ذلك كنانة وخزاعة (قوله والجملة فى محل رفع) المناسب أن يقول مستأنفة لأن لهم خبر متقدم وما مبتدأ مؤخر لامحل لها من الاعراب (قوله أونصب بيجعل) أى بالعطف على معمولى يجعل فان قوله لهم معطوف على لله وما معطوفة على البنات مسلط عليهما يجعل وفيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله بالأسنى) أى الأرفع والأشرف (قوله وإذا بشر أحدهم) الجملة فى محل نصب حال من الواو فى يجعلون والمراد بالبشارة الإخبار (قوله صار) أشار بذلك إلى أن ظل ليست على بابها من أنها تدل على الاقامة على تلك الصفة نهارا بل المراد منها الانتقال من حالة لأخرى (قوله من سوء مابشر به) أى من أجل سوء الأنثى التى بشر بها وسوؤها من حيث إنه يخاف عليها الزنا ويتحمل عارها وكونها لاتكتسب وغير ذلك (قوله مترددا) قدره اشارة إلى أن قوله أيمسكه الخ معمول لحال محذوفة ولايصلح أن يكون حالا لأنه جملة طلبية (قوله على هون) حال من المفعول والمعنى أيمسكه مهينا له (قوله أم يدسه) أى يخفيه (قوله بأن يئده) الوأد دفن البنت حية (قوله بهذا المحل) أى الرتبة وهى الحقارة والذل (قوله أى الصفة السوأى) أشار بذلك إلى أن قوله مثل السوء من اضافة الموصوف لصفته والسوأى بضم السين والقصر بوزن طوبى .

أو موصولة (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ) أصابكم (الضُّرُّ) الفقر والمرض (فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره (ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (فَتَمَتَّعُوا) باجتماعكم على عبادة الأصنام أمر تهديد (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك (وَيَجْعَلُونَ) أى المشركون (لِمَا لَا يَعْلَمُونَ) أنها لاتضر ولا تنفع وهى الأصنام (نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) على الله من أنه أمركم بذلك (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ) بقولهم الملائكة بنات الله (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عما زعموا (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) أى البنون والجملة فى محل رفع أو نصب بيجعل ، المعنى يجعلون له البنات التى يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونها فيختصون بالأسنى كقوله : فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى) تولد له (ظَلَّ) صار (وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) متغيرا تغير مغتم (وَهُوَ كَظِيمٌ) ممتلئ غما فكيف تنسب البنات إليه تعالى (يَتَوَارَى) يختفى (مِنَ الْقَوْمِ) أى قومه (مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ) خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به (أَيُمْسِكُهُ) يتركه بلا قتل (عَلَى هُونٍ) هوان وذل (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) بأن يئده (أَلَا سَاءَ) بئس (مَا يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتى هى عندهم بهذا المحل (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) أى الكفار (مَثَلُ السَّوْءِ) أى الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهى وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ،

(قوله ولله المثل الأعلى) أى فصفات الله أعلى الصفات وصفات الكفار أخسها حيث ينسبون لله ما يكرهون لأنفسهم مع كونه منزها عن صفات الحوادث (قوله وهو العزيز فى ملكه) أى الغالب فلا يعجزه شىء (قوله الحكيم فى خلقه) أى يضع الشىء فى محله (قوله ولو يؤاخذ الله الناس الخ) أى لو يعجل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم لم يبق أحدا (قوله ماترك عليها) الضمير عائد على الأرض المفهومة من السياق لأن الدابة مادب على وجه الأرض (قوله من دابة) من زائدة فى المفعول ووجه هلاك الجميع أن الله تعالى يمسك السماء عن المطر والأرض عن النبات فاذا حصل ذلك هلك كل مرزوق لأن كل دابة محتاجة للقوام فاذا أمسك قوامها هلكت عن آخرها وهو أقرب مايقال فى ذلك (قوله ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أى ولكن سبقت حكمة الله بأن الدنيا تصير عمارا إلى أن تنقضى المدة التى قدرها الله تعالى فاذا كان كذلك فلا يعاجلهم بالعقوبة بل يوفيهم أرزاقهم وآجالهم لغلبة الرحمة على الغضب فلو عاجلهم بالعقوبة لكان الغضب غالبا على الرحمة وهو خلاف ماسبق علمه به (قوله ولايستقدمون) أى لايتقدمون على الأجل المعين الذى حضر. إن قلت إنه لايحسن ترتبه على الشرط لأن الأجل إذا جاء لايتوهم التقدم عليه (٢٩٤) إذ هو مستحيل ولا ينفى إلا مايتوهم ثبوته. أجيب بأن قوله ولايستقدمون معطوف على جملة الشرط وجوابه كأنه قال فاذا جاء أجلهم لايستأخرون عنه ساعة وإذا لم يجئ لايستقدمون عليه (قوله ويجعلون لله مايكرهون) هذا من جملة صفات السوء (قوله والشريك فى الرياسة) أى وهو الأصنام جعلوها شركاء لله فى الألوهية التى هى أعلى أوصاف الرياسة (قوله واهانة الرسل) أى كما أهانوا رسول الله فهم يكرهون البنات والشريك فى الرياسة واهانة رسلهم ويجعلون مايكرهونه لله فينسبون لله البنات ويشركون مع الله فكيف فى الألوهية غيره ويهينون رسول الله (قوله الكذب) مفعول به وقوله أن لهم الحسنى بدل كل من كل. والمعنى وتقول ألسنتهم زيادة على ماسبق منهم إن لهم الحسنى (قوله لقوله) دليل لقوله عند الله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم وتبكيتا لهم (قوله لاجرم) تقدم أن لانافية لمعنى ماقبلها وجرم بمعنى حق وثبت وأن وما دخلت عليه فى محل رفع فاعل. والمعنى لاعبرة بقولهم الكذب بل حق وثبت كون النار لهم وتركهم فيها وتقدم أن قول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله أو مقدمون إليها) أى معجلون إليها قبل غيرهم (قوله وفى قراءة) وهى سبعية أيضا (قوله تالله لقد أرسلنا) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فزين لهم الشيطان أعمالهم) أى جعلها حسنة ليضلهم بها (قوله أى فى الدنيا) هذا أحد قولين ذكرهما المفسر وعلى هذا القول فلا يحتاج لتأويل لأن مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة، وقيل المراد باليوم يوم القيامة الخ أى وعليه فاليوم مستعمل فى غير معناه الأصلى لأنه حقيقة فى الزمان الحاضر المقارن للتكلم ولذا أوله المفسر بقوله على حكاية الحال الآتية أى فعبر عن الزمان الذى لم يحصل بما هو موضوع للحاضر المقارن لتحقق حصوله فكأنه حاضر الآن (قوله أى لاولى لهم) أى لاناصر ولامغيث لهم غيره (قوله وهو عاجز الخ) الجملة حالية.

(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى خلقه (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ) بالمعاصى (مَا تَرَكَ عَلَيْهَا) أى الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) نسمة تدب عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه (سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) عليه (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) لأنفسهم من البنات والشريك فى الرياسة وإهانة الرسل (وَتَصِفُ) تقول (أَلْسِنَتُهُمُ) مع ذلك (الْكَذِبَ) وهو (أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى) عند الله أى الجنة لقوله: ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى. قال تعالى (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ) متروكون فيها أو مقدمون إليها وفى قراءة بكسر الراء أى متجاوزون الحد (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ) رسلا (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فَهُوَ وَلِيُّهُمُ) متولى أمورهم (الْيَوْمَ) أى فى الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة، وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أى لاولى لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه،

فكيف ينصرهم (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ) يا محمد (ٱلْكِتَٰبَ) القرآن (إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ) للناس (ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ) من أمر الدين (وَهُدًى) عطف على لتبين (وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَآ) يبسها (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) المذكور (لَءَايَةً) دالة على البعث (لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر (وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً) اعتباراً (نُّسْقِيكُم) بيان للعبرة (مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ) أى الأنعام (مِنْ) للابتداء متعلقة بنسقيكم (بَيْنِ فَرْثٍ) ثفل الكرش (وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا) لايشوبه شىء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما (سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ) سهل المرور فى حلقهم لاينغص به (وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ) ثمر (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) خمراً يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (وَرِزْقًا حَسَنًا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) المذكور (لَءَايَةً) على قدرته تعالى (لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ)

(قوله فكيف ينصرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالولى على هذا القول الثانى الناصر وأما على الأول فمعناه القرين المتولى إغواءهم (قوله وما أنزلنا الخ) هذا من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله من أمر الدين) أى كالتوحيد وأحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك (قوله وهدى) أى من الضلال (قوله ورحمة) أى إحسانا (قوله لقوم يؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به دون غيرهم. قال تعالى ـ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاخسارا ـ (قوله والله أنزل من السماء ماء) شروع فى ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله دالة على البعث) أى لأن القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يبسها قادر على إعادة الأجسام بعد تفرقها وانعدامها (قوله سماع تدبر) أى فالمراد بالسماع سماع القلوب لاسماع الآذان (قوله وإن لكم فى الأنعام) فى للسببية. والمعنى وإن لكم بسبب الأنعام لعبرة الخ (قوله لعبرة) أى اتعاظا وتذكارا يعتبر بها المعتبر ويستدل على أن الله هو الرحمن الرحيم الفعال لما يريد (قوله بيان للعبرة) أى لمتعلقها وهو المعتبر به (قوله مما فى بطونه) من للتبعيض وقوله من بين فرث من ابتدائية كما قال المفسر. والمعنى نسقيكم بعض الذى فى بطونه لبنا خالصا ناشئا من بين فرث ودم وذكر الضمير فى بطونه هنا مراعاة للفظ الأنعام وأنثه فى سورة المؤمنون مراعاة للمعنى الذى هو جماعة الأنعام لأن الأنعام اسم جمع (قوله ثفل الكرش) بضم المثلثة وسكون الفاء والكرش بوزن الكبد (قوله لبنا) مفعول ثان لنسقيكم والأول هو الكاف (قوله وهو بينهما) وذلك لأن البهيمة إذا أكلت العلف طبخه الكرش فيجعل الله أسفله فرثا وأوسطه لبنا خالصا لايشوبه شىء وأعلاه دما وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى ثم يسلط الكبد عليه فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش فينزل من مخرجه روثا (قوله سهل المرور) أى ولذا جعل غذاء لصغار الحيوانات التى ترضعها أمهاتها ولعظم مزيته يقال عقب أكله اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه بخلاف غيره من الأطعمة فيقال وعوضنا خيرا منه (قوله ومن ثمرات النخيل) خبر مقدم والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ثمر وقوله تتخذون نعت لذلك المحذوف والضمير فى منه عائد على ذلك المحذوف (قوله خمرا) أى وقيل إنه اسم للخل بلغة الحبشة وقيل اسم للعصير مادام حلوا وتسميته سكرا باعتبار مايئول إليه وعلى هذين التفسيرين فالامتنان به باق لم ينسخ (قوله سميت بالمصدر) أى فالسكر مصدر سكر من باب فرح (قوله وهذا قبل تحريمها) أى لأن هذه السورة مكية وتحريم الخمر كان بالمدينة ونزلت به سورة المائدة وهى مدنية (قوله والدبس) هو عسل الرطب ويطلق على عسل العنب (قوله المذكور) أى من إخراج اللبن على هذه الكيفية واتخاذ السكر والرزق من الثمرات (قوله وأوحى ربك إلى النحل) لما ذكر سبحانه وتعالى مايدل على باهر قدرته وعظيم حكمته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب ذكر اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من النحل وهى دابة ضعيفة لما فيه من العجائب البديعة والأمور الغريبة وكل هذا يدل على وحدانية الصانع وقدرته وعظمته (قوله إلى النحل) هو اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالتاء كنمل ونملة وشجر وشجرة ويذكر ويؤنث فمن التأنيث قوله هنا أن اتخذى ويجوز فى غير القرآن تذكيره فيقال أن اتخذ.

(قوله وحى إلهام) أى هداية ورشد لاوحى نبوّة إذ هى مستحيلة على غير المختصين من بنى آدم فمن أثبتها لغير النوع الانسانى فقد كفر (قوله مفسرة) أى لتقدّم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله: أوحى (قوله أو مصدرية) أى فهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير أوحى ربك إلى النحل باتخاذها (قوله من الجبال بيوتا) أى أماكن ومن بمعنى فى: أى اتخذى فى الجبال أماكن تأوين إليها الخ، ومن عجيب قدرته تعالى أن ألهمها باتخاذ بيوت على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض وليس فيه فرج خالية ولا خلل، وألهمها الله تعالى أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذا حكمه فيها وهى تطيعه وهذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقة يسمى يعسوب، وألهمها سبحانه وتعالى أن تجعل على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها، وألهمها أن تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع إلى بيوتها ولاتضل عنها (قوله ومما يعرشون) أى وفيما يبنون لك: أى فالنحل تارة تبنى بيوتها التى هى من الشمع والماء تارة فى الجبال وتارة فى الأشجار وذلك فى النحل الوحشى وتارة تبنيه فى الخلايا وهذا فى النحل الأهلى (قوله وإلا لم تأو إليها) أى وإلا بأن لم يلهمها الله اتخاذ البيوت فى الأماكن الثلاثة لم تأو إليها فيضيع عسلها ولاينتفع به (قوله من كل الثمرات) أى حلوها ومرها طيبها ورديئها (قوله وإن توعرت) أى صعبت (قوله ولا تضلى) معطوف على قوله فلا تعسر عليك (قوله أى منقادة لما يراد منك) أى ممتثلة ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها فالبعض يعمل الشمع والبعض يعمل العسل والبعض يأتى بالماء ويصبه فى البيت والبعض يبنى البيوت (قوله شراب مختلف ألوانه) أى ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل، واختلف فى سبب اختلاف ألوانه فقيل بسبب اختلاف المرعى، وقيل بسبب اختلاف سن النحل فالأبيض لصغيرها والأصفر لكهلها والأحمر لمسنها وردّ هذا بأنه لادليل عليه (قوله قيل لبعضها) أى الأوجاع كالبلغم والبرودة وباقى الأمراض الباردة (قوله أو لكلها) أى الأوجاع جميعها فالأمراض التى شأنها البرودة هو نافع لها بنفسه والأمراض التى شأنها

وحى إلهام (أن) مفسرة أو مصدرية (اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) تأوين إليها (وَمِنَ الشَّجَرِ) بيوتا (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) أى الناس يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها (ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى) ادخلى (سُبُلَ رَبِّكِ) طرقه فى طلب المرعى (ذُلُلًا) جمع ذلول حال من السبل أى مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت ولا تضلى عن العود منها وإن بعد، وقيل من الضمير فى اسلكى أى منقادة لما يراد منك (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ) هو العسل (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره، أقول وبدونها بنيته، وقد أمر به صلى الله عليه وسلم من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى صنعه تعالى

الحرارة ينفع فيها مضموما لغيره ولذلك تجد غالب المعاجين لا تخلو عنه (قوله أقول وبدونها بنيته) أى بنية الشفاء الجازمة أن الله يخلق الشفاء عند استعماله لاخباره تعالى بذلك فتحصل أن فى قوله تعالى - فيه شفاء للناس - أقوالا ثلاثة: قيل شفاء لبعض الأوجاع التى شأنها البرودة، وقيل شفاء لجميعها لكن فى الأمراض الباردة يستعمل خالصا والحارة يستعمل مشوبا بغيره، وقيل شفاء لجميعها بالنية فى كل حال ولكل أحد، ولذا روى عن ابن عمر أنه كان لايشكو قرحة ولاشيئا إلاجعل عليها عسلا حتى الدمل إذا خرج طلا عليه عسلا، وحكى النقاش عن أبى وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويتنشق بالعسل ويتداوى بالعسل (قوله وقد أمر به صلى الله عليه وسلم الخ) قد اختصر المفسر الحديث، ونصه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن أخى استطلق بطنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال إنى سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال أسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ» ولاعبرة باعتراض الملحدين الذين فى قلوبهم مرض على هذا الحديث حيث قالوا: إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال لأن الاسهال يكون من أنواع كثيرة منها الإسهال الحادث من التخم والأخلاط، وقد أجمع الأطباء على أن علاجه بالمعين على الاسهال إذ حبس الطبيعة مضر فهذ الحديث محمول على ذلك، ولذا نفعه آخرا حين نظفت المعدة وخلصت من الفضول (قوله إن فى ذلك لآية) أى دلالة على وحدانية الصانع

الحكيم القادر (قوله والله خلقكم) أى أنشأكم وأوجدكم (قوله ثم يتوفاكم) أى يميتكم (قوله ومنكم من يرد الخ) معطوف على محذوف، والتقدير فمنكم من يبقى على قوة جسمه وعقله إلى أن يموت ومنكم الخ (قوله إلى أرذل العمر) أى أضعفه. قال بعض العلماء: عمر الانسان له أربع مراتب: أولها سن النشوء والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد، ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل، ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهى من الأربعين إلى ستين سنة، وفى هذه المرتبة يشرع الانسان فى النقص غير أنه يكون خفيا، ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم حيث قال «اللهم إنى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات» (قوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام التعليل وكى مصدرية ولا نافية وشيئا تنازعه الفعل والمصدر فأعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف، والمعنى لأجل انتفاء علمه بالأشياء التى كان يعلمها قبل هذه الحالة فيرجع إلى مبدئه فى عدم المعرفة والعلم كالطفل الذى لايدرى شيئا (قوله من قرأ القرآن) أى عاملا به وكذلك العلماء العاملون لايصيرون بهذه الحالة بل كلما ازدادوا فى العمر ازدادوا فى العلم والمعرفة والعقل كما هو مشاهد، ولذا قالوا أعلى كلام العارفين ماصدر منهم فى آخر عمرهم بل قالوا الرد لأرذل العمر يكون للكفار والمنهمكين فى الشهوات من عوام المؤمنين (قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) المقصود من ذلك الرد على الكفار حيث جعلوا لله شريكا فى ألوهيته كأنه قال الله جعل منكم أغنياء وفقراء فالأغنياء

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ) ولم تكونوا شيئا (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) عند انقضاء آجالكم (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أى أخسه من الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بتدبير خلقه (قَدِيرٌ) على مايريده (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) فمنكم غنى وفقير ومالك ومملوك (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا) أى الموالى (بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى بجاعلى ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم (فَهُمْ) أى المماليك والموالى (فِيهِ سَوَاءٌ) شركاء، المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم فى أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) يكفرون حيث يجعلون له شركاء (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) أولاد الأولاد (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أَفَبِالْبَاطِلِ) الصنم (يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) باشراكهم (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ)،

لا ترضى أن تشرك الفقراء فى أوصافهم فكيف يجعلون لله شريكا فى صفاته مع أنه الغنى المطلق عما سواه وهذا من ثمرات قوله ويجعلون لله ما يكرهون (قوله أى الموالى) المراد بهم السادة (قوله المعنى ليس لهم شركاء) أشار بذلك إلى أن قوله فهم فيه سواء حذف منه أداة الاستفهام، والتقدير أفهم فيه سواء ومعناه النفى: أى ليسوا مستوين فيه: أى لاترضى الأغنياء بتسوية الفقراء معهم فى غناهم ولا الموالى بتسوية العبيد معهم فى سيادتهم فكيف يجعلون وصف الألوهية لغيره تعالى (قوله أفبنعمت الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف وهى داخلة على الفعل، والمعنى أيشركون به فيجحدون نعمته (قوله يكفرون) أشار بذلك إلى أنه ضمن قوله يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء وإلا فالجحد يتعدى بنفسه (قوله من أنفسكم) أى نوعكم وجنسكم (قوله فخلق حواء من ضلع آدم) أى الأيسر القصير (قوله بنين) لم يذكر البنات لكراهتهم لهن فلم يمتن عليهم الابما يحبونه (قوله أولاد الأولاد) أى وسموا حفدة لأنهم يخدمون أجدادهم ويسارعون فى طاعتهم لأن الحافد معناه الخادم (قوله أفبالباطل يؤمنون) يقال فيه ماقيل فيما قبله فيكون التقدير أبعد تحقق ماذكر من نعم الله يؤمنون بالباطل وهو استفهام توبيخ وتقريع (قوله ويعبدون) عطف على يكفرون (قوله مالا يملك الخ) أى أصناما لاتستطيع جلب نفع ولا دفع ضر

بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (شَيْئًا) بدل من رزقا (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) يقدرون على شيء وهو الأصنام (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) لاتجعلوا لله أشباها تشركونهم به (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) أن لامثل له (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (عَبْدًا مَمْلُوكًا) صفة تميزه من الحر فإنه عبد الله (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) لعدم ملكه (وَمَنْ) نكرة موصوفة أي حرا (رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا) أي يتصرف فيه كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى (هَلْ يَسْتَوُونَ) أي العبيد العجزة والحر المتصرف، لا (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أي أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) ولد أخرس (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) لأنه لايفهم ولا يُفهِم (وَهُوَ كَلٌّ) ثقيل (عَلَى مَوْلَاهُ) ولي أمره (أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ) يصرفه (لَا يَأْتِ) منه (بِخَيْرٍ) بنجح وهذا مثل الكافر (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ) أي الأبكم المذكور (وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل هذا مثل لله والأبكم للأصنام

(قوله بالمطر) أي بإنزاله (قوله بدل من رزقا) أي على أن الرزق اسم عين بمعنى المرزوق وفيه أن البدل إما للتوكيد أو للبيان وشيئا لايصلح لذلك، وحينئذ فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله يملك والتقدير مالايملك لهم ملكا شيئا أي قليلا أو كثيرا جليلا أو حقيرا (قوله تشركونهم به) أي فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال والله منزه عن الأحوال والكيفيات، وأما ضرب المثل بمعنى تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض لأجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات فلا ينهى عنه بل ذكره الله تعالى في كتابه وعلمنا كيفية ضربه، قال تعالى ـ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ـ الخ وقال هنا ـ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الخ ـ (قوله أن لامثل له) وقيل المراد أن الله يعلم كيفية ضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون كيفيتها (قوله ضرب الله مثلا) هذا مرتب على قوله فلا تضربوا لله الأمثال، لأن المنهي عنه الأمثال التي تفيد تشبيه الله بغيره، وأما المثل الذي يفيد التوحيد فقد ضربه الله بقوله : ضرب الله مثلا الخ (قوله صفة تميزه من الحر) جواب عما يقال إن كل شخص مملوك لله حرا كان أو عبدا . فأجاب بأن المراد به الرقيق إذ الحر لايسمى مملوكا عرفا وإن كان يسمى عبدا لله (قوله لايقدر على شيء) أي من التصرفات . واختلف العلماء في العبد هل يملك ماتحت يده من الأموال أولا يملكها فقال مالك إنه يملك غير أن ملكه غير تام، وقال الشافعي لايملك أصلا وإنما الذي تحت يده ملك سيده والآية مفروضة في عبد لايقدر على شيء وكون العبد يملك أو لا شيء آخر (قوله ومن) معطوف على عبدا (قوله حسنا) أي حلالا (قوله والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى) أي فالمقصود من ذلك التوصل إلى إبطال الشريك والرد على الكفار كأن الله يقول أتم لاتسوون العبد المملوك العاجز بالحر الغني والذي يتصرف في ماله كيف يشاء فكيف تشركون الأصنام التي هي أضعف من العبد المملوك مع الله القادر المتصرف في خلقه (قوله هل يستوون) أي في الإجلال والتعظيم ولم يقل يستويان نظرا إلى تعدد أفراد كل قسم وإنما لم يجمع المفسر الحر كجمع العبيد إشارة إلى أنه مثل متوصل به إلى توحيد الله والله تعالى واحد فأفرده تأدبا (قوله لا) هو جواب الاستفهام (قوله الحمد لله) هذا حمد من الله لنفسه في مقام الرد على المشركين أي هو المستحق لجميع المحامد المنعم المتفضل الخالق الرازق، وأما هذه الأصنام فلا تستحق ذلك لأنها جمادات عاجزة لاتنفع ولاتضر (قوله فيشركون) أي يعبدون غير الله مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى (قوله أحدهما أبكم) أي والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يوجهه يأت بخير وقد حذف هذا المقابل لدلالة قوله : ومن يأمر بالعدل الخ عليه (قوله ولد أخرس) المناسب تفسيره بالذي لايسمع ولايبصر ليظهر قوله لأنه لايفهم ولايفهم (قوله أينما يوجهه الخ) أين اسم شرط جازم ويوجهه فعل الشرط وقوله لايأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء (قوله بنجح) بضم النون بوزن قفل أي لايأت بشيء نافع (قوله ومن يأمر بالعدل) معطوف على الضمير في يستوي والشرط موجود وهو الفصل بالضمير المنفصل (قوله وقيل هذا) أي من يأمر بالعدل.

(قوله والذى قبله) أى وهو قوله : عبدا مملوكا ومن رزقناه ، وقيل كل فى الكافر والمؤمن ، وقيل كل فى المعبود بحق والمعبود بباطل فتكون الأقوال أربعة (قوله فى الكافر والمؤمن) قيل محمول على العموم ، وقيل المراد بالكافر أبوجهل والمؤمن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقيل غير ذلك (قوله ولله غيب السموات) هذا دليل على كمال علمه وقدرته (قوله أى علم ماغاب) أى خفى و بطن (قوله وما أمر الساعة) أى قيام الخلق من القبور (قوله إلا كلمح البصر) أى انطباق جفن العين أوفتحه (قوله لأنه بلفظ كن فيكون) فيه تسامح إذ ليس ثم كاف ولا نون بل المراد سرعة الإيجاد فاذا أراد شيئا أوجده سريعا (قوله لا تعلمون) أى لاتعرفون (قوله حال) أى من الكاف فى أخرجكم

(قوله وجعل لكم السمع) أفرده باعتبار كونه مصدرا فى الأصل (قوله ألم يروا) أى ينظروا بأبصارهم (قوله مسخرات) هو حال من الطير (قوله فى جو السماء) الجو الفضاء الكائن بين السماء والأرض . قال كعب الأحبار: إن الطير يرتفع فى الجو مسافة اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك (قوله عند قبض أجنحتهن) هذا يفيد أنها فى حال الطيران تقبض أجنحتها مع أنه خلاف المشاهد فالمناسب أن يقول مايسكهن فى حال طيرانهن إلا الله فان ثقل أجسادها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا شىء تحتها يمسكها (قوله من جلود الأنعام بيوتا) أى وذلك فى بعض الناس كأهل السودان

والذى قبله فى الكافر والمؤمن (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى علم ماغاب فيهما (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) منه لأنه بلفظ كن فيكون (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) الجملة حال (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ) بمعنى الاسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)ـه على ذلك فتؤمنون (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ) مذللات للطيران (فِي جَوِّ السَّمَاءِ) أى الهواء بين السماء والأرض (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عند قبض أجنحتهن و بسطها أن يقعن (إِلَّا اللَّهُ) بقدرته (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) هى خلقها بحيث يمكنها الطيران ، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه و إمساكها (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) موضعا تسكنون فيه (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) كالخيام والقباب (تَسْتَخِفُّونَهَا) للحمل (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) سفركم (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا) أى الغنم (وَأَوْبَارِهَا) أى الإبل (وَأَشْعَارِهَا) أى المعز (أَثَاثًا) متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية (وَمَتَاعًا) تتمتعون به (إِلَىٰ حِينٍ) يبلى فيه (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ) من البيوت والشجر والغمام (ظِلَالًا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ) قمصا (تَقِيكُمُ الْحَرَّ) أى والبرد (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) حربكم أى الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (كَذَٰلِكَ) كما خلق هذه الأشياء (يُتِمُّ نِعْمَتَهُ) فى الدنيا (عَلَيْكُمْ) بخلق ما تحتاجون إليه (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تُسْلِمُونَ) توحدونه (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الاسلام (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ) يا محمد (الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الابلاغ البين

فانهم يتخذون خيامهم من الجلود (قوله كالخيام) جمع خيمة والقباب جمع قبة وهى دون الخيمة (قوله تستخفونها) أى يخف عليكم حملها فى رحيلكم و إقامتكم فلاينقل عليكم حملها فى الحالين (قوله ومن أصوافها) معطوف على من جلود الأنعام وقوله أثاثا معطوف على بيوتا ولم يذكر القطن والكتان لأنهما لم يكونا ببلاد العرب (قوله كبسط) بضم الباء والسين وقد تسكن (قوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أى ماتستظلون به وذكر فى مقام الامتنان لأن بلاد العرب شديدة الحر فحاجتهم للظلال ومايدفع عنهم شدة الحر وقوته أكثر (قوله والغمام) أى السحاب (قوله جمع كن) أى غطاء ، والأكنة الأغطية ومنه : وجعلنا على قلوبهم أكنة (قوله أى والبرد) أشار بذلك إلى أن فيه حذف الواو مع ماعطفت و يسمى عند أهل المعانى اكتفاء (قوله كالدروع) أى دروع الحديد وقوله والجواشن جمع جوشن وهو الدرع فالعطف للتفسير (قوله فان تولوا) أى داموا على التولى والاعراض .

(قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) مراده أن هذه الآية منسوخة وفيه أنه لايظهر إلا لو قدر جواب الشرط فلا تقاتلهم مثلا ، وأما لو قدر فلا عتب عليك ولا مؤاخذة لأنك لاقدرة لك على خلق الايمان فى قلوبهم فلا يظهر النسخ لأنه لاينافى الأمر بقتالهم (قوله يعرفون نعمت الله) أى وهى ماتقدم من أول السورة إلى هنا من النعم العظيمة يقرون بأنها من عند الله ولايصرفونها فى مصارفها (قوله ثم ينكرونها) آتى بثم إشارة إلى أن إنكارهم مستبعد بعد المعرفة لأن من عرف النعمة حقه أن لاينكرها بعد ذلك (قوله وأكثرهم الكافرون) أى يموتون كفارا وأقلهم يهتدى للاسلام فان أكثر صناديدهم مات كافرا والأقل منهم أسلم (قوله ويوم نبعث) يوم منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اذكر ، والمعنى اذكر يامحمد لقومك يوم نجعل لكل أمة شهيدا أو المراد بالبعث الاحياء أى يوم نحيى من كل أمة شهيدا والأول أقرب (قوله يشهد عليها) أى بالتكذيب والكفر، وقوله ولها أى بالتصديق والايمان (قوله وهو يوم القيامة) أى لأنه ورد «أنه يؤتى بالأمم الماضية وأنبيائهم فيقال للأنبياء هل بلغتم أممكم ؟ فيقولون نعم بلغنا ، فيقال للأمم هل بلغكم رسلكم ؟ فيقولون ياربنا ماجاءنا من نذير فيؤتى بالأمة المحمدية فتشهد للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب ، فتقول الأمم من أين آتى لكم ذلك وأنتم آخر الأمم ؟ فيقولون أخبرنا نبينا بذلك عن ربنا وهو صادق عن صادق فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزكى أمته» وأما الكفار من أمته فحين يقول ياربّ قد بلغتهم تنقطع حجتهم فهو مخصوص بأنه مقبول الشهادة من غير مزك له (قوله ثم لايؤذن للذين كفروا) اختلف فى متعلق الاذن المنفى فقال المفسر فى الاعتذار ويدل له قوله تعالى ولايؤذن لهم فيعتذرون وقيل لايؤذن لهم فى كثرة الكلام وقيل فى الرجوع إلى الدنيا والتكليف وقيل فى التكلم وقت شهادة الشهود بل يسكتون وقتها ولايقدر أحد منهم على التكلم إذ ذاك (قوله ولاهم يستعتبون) أى لاتزال عتباهم وهى مايعتبون ويلامون عليها يقال استعتبت فلانا بمعنى أزلت عتباه فالسين والتاء للسلب نظير الهمزة فى أعذر إليه على ألسنة المرسلين (قوله إلى مايرضى الله) أى من الرجوع إلى الدنيا والعبادة فيها (قوله فلا يخفف عنهم) أى فهم لايخفف عنهم وإنما احتيج لتقدير المبتدإ لصحة دخول الفاء لأن الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة لايقرن بالفاء فاحتيج لجعلها جملة اسمية لوجود الفاء (قوله العذاب) تفسير للضمير المستتر فى الفعل (قوله وإذا رأى) أى أبصر (قوله شركاءهم) مفعول به والاضافة لأدنى ملابسة لكون الاشراك نشأ منهم وكذا يقال فى قوله هؤلاء شركاؤنا (قوله قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) إنما قصدوا بذلك توزيع العذاب بينهم (قوله فألقوا إليهم القول) المعنى فيخلق الله الحياة والعقل والنطق فى تلك الأصنام ويقولون إنكم قد كذبتم فى عبادتكم لنا فانكم ماعبدتمونا بل عبدتم هواكم وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم لأن الأوثان لم يكونوا راضين بذلك فكأنهم لم يعبدوهم (قوله أى استسلموا) أى انقادوا بعد أن كانوا فى الدنيا متكبرين ولكن هذا الانقياد لاينفعهم (قوله من أن آلهتهم تشفع لهم) أى حيث قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قوله الذين كفروا) مبتدأ خبره قوله زدناهم (قوله وصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الدخول فى الايمان وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر ولو يقول لا إله إلا الله (قوله قال ابن مسعود) أى فى تفسير العذاب الزائد وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها

وهذا قبل الأمر بالقتال (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ) أى يقرّون بأنها من عنده (ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) بإشراكهم (وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ . وَ) اذكر (يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً) هونبيّها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) فى الاعتذار (وَلَاهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لايطلب منهم العتبى أى الرجوع إلى مايرضى الله (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (الْعَذَابَ) النار (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ) العذاب (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون عنه إذا رأوه (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ) من الشياطين وغيرها (قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا) نعبدهم (مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) أى قالوا لهم (إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ) فى قولكم إنكم عبدتمونا كما فى آية أخرى : ما كانوا إيانا يعبدون ، سيكفرون بعبادتهم (وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ) أى استسلموا لحكمه (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من أن آلهتهم تشفع لهم (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) دينه (زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ) الذى استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود

أو سبعين خريفا ، وقال ابن عباس ومقاتل يعنى بزيادة العذاب خمسة أنهار من أصفر مذاب كالنار يسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار ، وقيل إنهم يخرجون من حرّ النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها (قوله أنيابها كالنخل الطوال) أى وجسمها بالنسبة لأنيابها كجسم أعدائنا بالنسبة إلى نابه فتكون عظيمة الجثة جدا أجارنا الله والمسلمين منها (قوله بما كانوا يفسدون) الباء سببية وما مصدرية أى بسبب كونهم مفسدين (قوله ويوم نبعث) كرر لزيادة التهديد (قوله أى قومك) هذا أحد تفسيرين ، وقيل المراد بهؤلاء الأنبياء لاستجماع شرعه لشرائعهم ، وأما كونه شهيدا على أمته فقد علم مما تقدم لحملها عليه فيه تكرار إلا أن يقال المراد بشهادته على أمته تزكيته وتعديله لهم حق شهدوا على تبليغ الأنبياء وهذا لم يعلم مما مر مع أنه الوارد فى الحديث (قوله ونزلنا عليك) أى فى الدنيا فهو كلام مستأنف (قوله تبيانا) حال أو مفعول لأجله وهو مصدر ولم يجئ من المصادر على وزن تفعال بالكسر إلا تبيان وتلقاء وفى الأسماء كثير نحو التمساح والتمثال (قوله تبيانا) أى بيانا شافيا بليغا لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى (قوله لكل شىء) محتاج إليه من أمر الشريعة . إن قلت إنا نجد كثيرا من أحكام الشريعة لم يعلم من القرآن تفصيلا كعدد ركعات الصلاة ونصاب الزكوات وغير ذلك فكيف يقول الله تبيانا لكل شىء . أجيب بأن البيان إما فى ذات الكتاب أو بإحالته على السنة . قال تعالى ــ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ــ أو بإحالته على الاجماع . قال تعالى ــ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ــ الآية أو على القياس . قال تعالى ــ فاعتبروا يا أولى الأبصار ــ والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس فهذه أربعة طرق لا يخرج شىء من أحكام الشريعة عنها وكلها مذكورة فى القرآن فكان تبيانا لكل شىء بهذا الاعتبار (قوله للمسلمين) تنازعه كل من هدى ورحمة وبشرى

عقارب أنيابها كالنخل الطوال (بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) بصدهم الناس عن الإيمان (وَ) اذكر (يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) هو نبيهم (وَجِئْنَا بِكَ) يا محمد (شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ) أى قومك (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (تِبْيَاناً) بيانا (لِكُلِّ شَىْءٍ) يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةً وَبُشْرَى) بالجنة (لِلْمُسْلِمِينَ) الموحدين (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) التوحيد أو الانصاف ،

(قوله الموحدين) أى وأما الكفار فهو لهم خسران وعذاب وإنذار (قوله إن الله يأمر بالعدل) هذه الآية من ثمرات قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء حق قال العلماء : إن لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لكفت فى البيان والهدى والرحمة لأنها آمرة بكل خير ناهية عن كل شر (قوله التوحيد) أى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهذا التفسير وارد عن ابن عباس ، وفى رواية عنه أيضا : العدل خلع الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للمرء ما تحب لنفسك ، فإن كان مؤمنا تحب أن يزداد إيمانا ، وإن كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الاسلام وفى رواية : العدل التوحيد والاحسان الاخلاص ، وكل هذا أفاده المفسر بقوله التوحيد والانصاف أى فى كل الأمور فالانصاف فى التوحيد اعتقاد أن الله متصف بكل كمال منزه عن كل نقص والانصاف فى الاعتقاد نسبة الأفعال كلها لله ، ونسبة الكسب للعبيد خلافا للجبرية والمعتزلة ، فالفرقة الأولى نفت الكسب أصلا وقالوا العبد كالخيط المعلق فى الهواء لا فعل له أصلا وتعذيب الله له ظلم وهؤلاء كفار ، والفرقة الثانية قالوا العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهؤلاء فساق . وكلا المذهبين جور ، والانصاف نسبة الأفعال كلها لله خيرها وشرها ، ظاهرها وباطنها ، ولكن من الأفعال ما هو جبرى . وهذه لا كسب للعبد فيها ، ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب ، ومنها ما هو اختيارى وهذه للعبد فيها نوع كسب ولذا يثاب عليه إن كان خيرا ويعاقب عليه إن كان شرا ، وهذا مذهب أهل السنة خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين والانصاف فى العبادات عدم التفريط والافراط فيها بل يكون بين ذلك قواما ، والانصاف فى النفقات أن لا يسرف ولا يقتر . قال تعالى ــ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ــ والانصاف بين عباد الله يقسم لزوجاته وينصر مظلومهم على الظالم ويعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك

(قوله والاحسان) أي مع الله ومع عباده فالاحسان مع الله أداء فرائضه على الوجه الأكمل والاحسان مع عباده أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك (قوله كما في الحديث) أي فقد سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان؟ فقال له عليه الصلاة والسلام أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. والمعنى أن تعبد الله ملاحظا لجلاله كأنك تراه ببصرك وهذا مقام المشاهدة فان لم تصل لهذه المرتبة فلاحظ أنه يراك وأنك في حضرته وهذا مقام المراقبة فمثل الشاهد كالبصير الجالس في حضرة الملك فأدبه من جهتين كونه رائيا الملك وكون الملك رائيا له، ومثل المراقب كمثل الأعمى الجالس في حضرة الملك فأدبه من جهة ملاحظته كون الملك رائيا له (قوله وإيتاء ذي القربى) أي التصدق على القريب وهو آكد من التصدق على غيره لأن فيه صدقة وصلة. قال عليه الصلاة والسلام «إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم» (قوله من الكفر والمعاصي) أي فيدخل فيه الزنا وغيره فهو تعميم بعد تخصيص (قوله اهتماما به) أي لأنه أعظم المعاصي بعد الكفر، ولذا قال بعض العلماء أعجل العقوبة على المعاصي العقوبة على البغي وفي الحديث «لو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لانتقم الله من الباغي» وفيه أيضا «الظلمة وأعوانهم كلاب النار» (قوله كما بدأ بالفحشاء كذلك) أي اهتماما به لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله. قال تعالى ـ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ـ (قوله يعظكم) حال من فاعل يأمر وينهى أي يأمركم وينهاكم حال كونه واعظا لكم (قوله في الأصل) أي فأصله تتذكرون قلبت التاء ذالا وأدغمت في الذال (قوله هذه أجمع آية الخ) روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال أعدها يا محمد فلما قرأها قال إن له حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر» ولكونها أجمع آية استعملها الخطباء في آخر الخطبة (قوله وأوفوا بعهد الله) هذا من جملة المأمور به على سبيل التفصيل وبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه آكد الحقوق وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله من البيع) بكسر الباء جمع بيعة وهي المعاهدة على أمر شرعي (قوله والأيمان) جمع يمين أي وأوفوا بما حلفتم عليه ولا تحنثوا في أيمانكم أي إذا كان فيها صلاح وإلا فالحنث خير لقوله عليه الصلاة والسلام «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه» فهو عام مخصوص (قوله وغيرها) أي كالمواعيد فالمراد من العهد كل ما يلزم الانسان الوفاء به سواء أوجبه الله على الشخص أو التزمه الشخص من نفسه كعهود المشايخ التي يأخذونها على المريدين بأنهم يلازمون طاعة الله ولا يخالفونه في أمرما فالواجب على المريدين الوفاء بها حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع متصفين بالأخلاق الحميدة والأفعال السديدة (قوله بعد توكيدها) أي تغليظها والتوكيد مصدر وكد بالواو ويقال أكد بالهمزة فمصدره التأكيد وهما لغتان (قوله كفيلا) أي شهيدا (قوله والجملة حال) أي من فاعل تنقضوا (قوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها) أي لا تنقضوا العهود التي عاهدتم عليها الخالق أو المخلوق في غير معصية فتكونوا كالتي نقضت غزلها (قوله حال) أي أو منصوب على المصدرية لأن معنى نقضت نكثت فهو مطابق لعامله في المعنى (قوله جمع نكث) بكسر النون (قوله وهي امرأة حمقاء) أي واسمها ريطة بنت سعد بن تيم قرشية قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الأصبع

(وَالْإِحْسَانِ) أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث (وَإِيتَاءِ) إعطاء (ذِي الْقُرْبَى) القرابة خصه بالذكر اهتماما به (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) الزنا (وَالْمُنْكَرِ) شرعا من الكفر والمعاصي (وَالْبَغْيِ) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك (يَعِظُكُمْ) بالأمر والنهي (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ) من البيع والأيمان وغيرها (إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) توثيقها (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) تهديد لهم (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ) أفسدت (غَزْلَهَا) ما غزلته (مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) إحكام له وبرم (أَنْكَاثًا) حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة

كانت

وسكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلنه . وقوله حمقاء أي قليلة العقل (قوله كانت تغزل) أي الصوف والوبر والشعر (قوله تتخذون) اى تصيرون وأيمانكم مفعول أول ودخلا مفعول ثان (قوله دخلا) أصل الدخل العيب فان شأنه أن يدخل فى الشيء وليس من جنسه ، والراد به هنا الفساد والخديعة كما قال المفسر (قوله أى لأن تكون) أشار بذلك إلى أن النصب على وجه التعليل : أى لأجل أن تكون وأمة فاعل تكون على أنها تامة أو اسمها على أنها ناقصة وجملة هى أربى خبرها (قوله وكانوا) أى قريش وهو مشاهد فى أهل زماننا حيث يلتجئون لأرباب المناصب ماداموا فى مناصبهم فاذا عزلوا أو نقصت مرتبتهم تركوهم ولم يلتفتوا لهم وكأنهم لم يعرفوهم وليس هذا من الايمان بل الايمان الوفاء بالعهد وعدم نقضه إن لم يكن فى بقائه عصيان الله (قوله فاذا وجدوا أكثر منهم) أى مالا أوجاها (قوله حلف أولئك) الحلف بكسر فسكون العهد يكون بين القوم (قوله لينظر المطيع) أى ليظهر لكم المطيع من غيره فان المطيع يدوم على العهد والودّ وان ذهبت من حليفه حظوظ الظاهر وغيره يدور مع الظاهر (قوله أو بكون) معطوف على قوله بما أمر به وعليه فالضمير عائد على المصدر المنسبك من أن تكون والمعنى لاتتخذوا عهودكم

كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تَتَّخِذُونَ) حال من ضمير تكونوا أى لا تكونوا مثلها فى اتخاذكم (أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً) هو ما يدخل فى الشيء وليس منه أى فساداً وخديعة (بَيْنَكُمْ) بأن تنقضوها (أَنْ) أى لأن (تَكُونَ أُمَّةٌ) جماعة (هِيَ أَرْبَى) أكثر (مِنْ أُمَّةٍ) وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم (إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ) يختبركم (اللَّهُ بِهِ) أى بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصى أو بكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) فى الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أهل دين واحد (وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ) يوم القيامة سؤال تبكيت (عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) لتجازوا عليه (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) كرره تأكيداً (فَتَزِلَّ قَدَمٌ) أى أقدامكم عن محجة الاسلام (بَعْدَ ثُبُوتِهَا) استقامتها عليها (وَتَذُوقُوا السُّوءَ) أى العذاب (بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا بأن تنقضوه لأجله

حيلة وخداعا من أجل كون تلك الأمة التى عاهدتموها ذات مال أوجاه فان انتقل المال أو الجاه لغيرهم نقضتم عهود الأوائل فصاحب هذه الأوصاف خائن لله ولعباده (قوله فيه تختلفون) أى تترددون (قوله ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله سؤال تبكيت) أى لاتفهم وقد أشار بذلك إلى وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولاجان ، فالمثبت سؤال التبكيت والمنفى سؤال التفهم (قوله ولا تتخذوا أيمانكم) أى عهودكم (قوله دخلا بينكم) أى فسادا وخديعة (قوله كرره تأكيدا) أى كرر النهى عن اتخاذ الأيمان خديعة وحيلة تأكيدا للاشارة إلى أن هذا أمر فظيع جدا فان نقض العهد فيه فساد الدين والدنيا والعرض والوفاء به فيه خير الدنيا والآخرة (قوله فتزل قدم) منصوب باضمار أن فى جواب النهى وأفرد القدم ونكره إشارة إلى أن زلة القدم ولو مرة واحدة أو أى قدم مضرة لأن من زل به القدم فقد طرد عن باب الله (قوله عن محجة الاسلام) أى طريقه ومثل ذلك من زل به القدم فى عهد شيخه فنقضه فانه مطرود عن طريقته ومتى طرد عن طريقته فقد سلب ماوهبه الله له من النور الالهى فلا يرجى له الفتح فى طريقة أخرى لأن غاية الطرق واحدة وهو قد طرد عن الغاية (قوله العذاب) أى فى الدنيا بدليل قوله ولكم عذاب عظيم فى الآخرة (قوله عن سبيل الله) أى دينه الموصل لمرضاته (قوله أى بصدكم عن الوفاء) هو من صد اللازم أى امتناعكم وإعراضكم عن الوفاء (قوله أو بصدكم غيركم عنه) هو من صد المتعدى أى منعكم غيركم (قوله لأنه) أى ذلك الغير (قوله يستن) أى يقتدى بكم فى نقض العهود (قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) أى لاتتركوا عهد الله فى نظير عرض قليل تأخذونه (قوله بأن تنقضوه) أى

العهد وقوله لأجله أي الثمن القليل وظاهره ولو من حلال و إنما كان نقض العهد لأجل القليل من الحلال مذموما فالحرام أولى بالذم والمراد بالثمن القليل أعراض الدنيا و إن كثرت (قوله إنما عند الله هو خير لكم) علة لما قبله و إن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول اسمها وعند الله صلته وجملة هو خير لكم خبرها ، وقوله من الثواب بيان لما (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه وقدره المفسر بقوله فلا تنقضوا (قوله ما عندكم ينفد) مبتدأ وخبر والنفاد بالفتح الفناء والذهاب يقال نفد بالكسر ينفد بالفتح : فنى وفرغ ، وأما نفذ بالفتح والمعجمة ينفذ بالضم فمعناه مضى يقال نفذ حكم الأمير بمعنى مضى (قوله باق) يصح الوقف عليه بثبوت الياء وحذفها مع سكون القاف قراءتان سبعيتان (قوله دائم) أي لا يفرغ ولا يفنى (قوله بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله على الوفاء بالعهود) أي أو المراد مشاق التكاليف (قوله أجرهم) مفعول ثان ليجزي وقوله بأحسن الباء بمعنى على (قوله أحسن بمعنى حسن) أشار بذلك إلى أن أفعل التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك مايتوهم من قصر المجازاة على الأحسن الذي هو الواجبات مع أنهم يجازون على الواجبات والمندوبات . وهناك تقرير آخر في الآية : وهو أن الأحسن صفة لموصوف محذوف أي بثواب أحسن من عملهم أي أكثر منه تفضلا و إحسانا قال تعالى - من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها - والباء لمجرد التعدية (قوله من عمل صالحا) من اسم شرط مبتدأ وعمل فعل الشرط ، وقوله فلنحيينه جوابه (قوله قيل هي حياة الجنة) هذا القول لمجاهد وقتادة ورواه عوف عن الحسن ، وقال لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة (قوله وقيل في الدنيا بالقناعة) هذا القول للحسن وقوله أو الرزق الحلال هو لسعيد بن (٣٠٤) جبير وعطاء ، وزيد على ماذكره المفسر ماقيل هي حلاوة الطاعة ، وقيل رزق يوم بيوم وقيل الحياة الطيبة تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقيل ماهو أعم فالحياة الطيبة في الدنيا بالتوفيق للطاعة والرزق الحلال وفي القبر بالراحة

(إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) مما في الدنيا (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك فلا تنقضوا (مَا عِنْدَكُمْ) من الدنيا (يَنْفَدُ) يفنى (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) دائم (وَلَيَجْزِيَنَّ) بالياء والنون (الَّذِينَ صَبَرُوا) على الوفاء بالعهود (أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أحسن بمعنى حسن (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قيل هي حياة الجنة ، وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) أي أردت قراءته (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) أي قل أعوذ بالله

من النكد والتعب وفي الجنة بالنعيم المقيم (قوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) من أي في الجنة ، واستفيد من هذا أن الحياة الطيبة ليست هي الجزاء لأنه قد قيل بأنها تكون في الدنيا أو القبر وليس النعيم في ذلك بجزاء بل الجزاء ما كان في الآخرة بالجنة وما فيها (قوله فإذا قرأت القرآن) حكمة التفريع على ماتقدم أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب بالاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على الوساوس الشيطانية ، والمعنى إذا علمت مما تقدم أن عظم الجزاء على محاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذي هو أحسن الأعمال وأزكاها (قوله أي أردت قراءته) أشار بذلك إلى أن الأمر بالاستعاذة قبل القراءة و إليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين ووجهه أن الاستعاذة تذهب الوسوسة فتقديمها أولى وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة ووجهه بأن القارئ يستحق الثواب العظيم على قراءته وربما حصلت له الوسوسة في قلبه هل حصل له ذلك أم لا فأمر بالاستعاذة لتذهب تلك الوسوسة ويبقى الثواب خالصا لأن التردد في صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه (قوله فاستعذ) السين والتاء للطلب أي اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره والأمر للاستحباب وظاهر الآية أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقا في الصلاة وغيرها وبه أخذ الشافعي ووافقه مالك في النفل وكره الاستعاذة في صلاة الفرض لدليل أخذه من السنة (قوله أي قل أعوذ بالله الخ) هذا بيان للأفضل و إلا فامتثال الأمر يحصل بأي صيغة كانت ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وأراد بالقلم الذي نسخ به من اللوح المحفوظ ونزل به جبريل دفعة إلى سماء الدنيا ، وليس المراد به القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ فإنه مقدم الرتبة على اللوح

(قوله من الشيطان الرجيم) هو من شطن إذا بعد أو من شاط إذا احترق والرجيم بمعنى المرجوم: أى المطرود عن رحمة الله (قوله إنه ليس له سلطان) تعليل لمحذوف والتقدير فاذا استعذت بالله كفيت شره ودخلت فى أمان الله لأنه الخ (قوله تسلط) أى استيلاء وقهر (قوله على الذين يتولونه) مقابل قوله وعلى ربهم يتوكلون وقوله والذين هم به مشركون مقابل قوله على الذين آمنوا (قوله أى الله) أشار بذلك إلى أن الضمير راجع لربهم والباء للتعدية ويصح أن يعود على الشيطان وتكون الباء سببية وهى أولى لعدم تشتيت الضمائر (قوله وإذا بدلنا آية الخ) سبب نزولها أن المشركين من أهل مكة قالوا إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ماهذا إلا مفترى يتقوله من تلقاء نفسه (قوله والله أعلم بما ينزل) هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه أتى بها تسلية له صلى الله عليه وسلم، والمعنى والله أعلم بالناسخ والمنسوخ فيكفيك علمه فلايحزنك ماقالوه (قوله تقوله من عندك) أى تختلقه من عند نفسك وليس بقرآن (قوله حقيقة القرآن) أى وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته (قوله وفائدة النسخ) أى وهى المصالح التى تعود على العباد (قوله روح القدس) بضم الدال وسكونها قراءتان سبعيتان: أى الروح القدس بمعنى المطهر المنزه عن الرذائل فهو من إضافة الموصوف للصفة (قوله بالحق) الباء للملابسة أى نزله تنزيلا ملتبسا بالحق (قوله بإيمانهم به) أى بسبب إيمانهم بالقرآن (قوله للمسلمين) أى وأما لغيرهم فهو خسران لايزيدون به إلا ضلالا فهو تعريض بحصول ضد ذلك لغير المسلمين (قوله ولقد نعلم) أى علما مستمرا لاتجدد فيه (قوله إنما يعلمه) إنما أداة حصر أى لايعلم محمدا القرآن إلا بشر لاجبريل كما يقول (قوله

من الشيطان الرجيم (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ) تسلط (عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) بطاعته (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) أى الله (مُشْرِكُونَ. وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) بنسخها، وإنزال غيرها لمصلحة العباد (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا) أى الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) كذاب تقوله من عندك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قُلْ) لهم (نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) جبريل (مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) متعلق بنزل (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) بإيمانهم به (وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ. وَلَقَدْ) للتحقيق (نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ) القرآن (بَشَرٌ) وهو قين نصرانى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل عليه قال تعالى (لِسَانُ) لغة (الَّذِي يُلْحِدُونَ) يميلون (إِلَيْهِ) أنه يعلمه (أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا) القرآن (لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمى (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) التأكيد بالتكرار وإن وغيرهما رد لقولهم إنما أنت مفتر (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ)،

وهو قين) أى حداد وكان روميا وفى نسخة قن اى عبد واسمه جبر وهو غلام عامر بن الحضرمى، وقيل يعنون جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل باللغة التى نزلا بها وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع مايقرآنه ليتسلى بما وقع للأنبياء قبله وقيل غير ذلك وعلى كل فقد ورد أنه أسلم ذلك البشر الذى نسبوا لرسول الله التعلم منه (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله يميلون إليه) أى ينسبون إليه أنه يتعلم منه (قوله أعجمى) الأعجمى الذى لم يتكلم بالعربية (قوله وهذا لسان عربى) أى ولا يكون العربى متلقيا من العجمى (قوله فكيف يعلمه أعجمى) أى لايصح ولا يليق ذلك لاستحالته عادة (قوله إن الذين لايؤمنون بآيات الله) أى فى علمه وقوله لايهديهم الله أى فى الخارج (قوله وأولئك هم الكاذبون) أى فى قولهم إنما يعلمه بشر (قوله والتأكيد) مبتدأ وقوله رد خبر (قوله من كفر بالله من بعد إيمانه) نزلت هذه الآية فى عمار ابن ياسر وذلك أنه من جملة السبعة السابقين للاسلام وهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب وأبو بكر الصديق رضى الله عنهم وذلك أن الكفار أخذوهم وعذبوهم ليرجعوا عن الايمان فأما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين وضربها أبو جهل بحربة فى فرجها فماتت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين فى الاسلام

وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه وقلبه كاره لذلك فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوراءك ؟ فقال شر يارسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالايمان فجعل النبي يمسح عينيه وقال له إن عادوا لك فقل لهم ماقلت ، وأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وأما خباب فقد أوقدوا له نارا فلم يطفئها الا ودك ظهره، وأما أبو بكر فحفظه الله بقومه وعشيرته ، وفيما فعله عمار دليل على جواز التلفظ بالكفر عند خوف القتل ولكن القتل أجمل كما وقع من أبويه ، ولما روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال ماتقول فيّ قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله قال ماتقول فيّ قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (قوله على التلفظ بالكفر) أى أوفعله (قوله والخبر أو الجواب الخ) الأولى تقدير هذا قبل الاستثناء (قوله لهم وعيد) الأولى أن يقدره بالفاء لأن الجواب إذا وقع جملة اسمية يقرن بالفاء والمبتدأ الذى يشبه الشرط يقرن خبره بالفاء أيضا لشبهه بالشرط (قوله دل على هذا) أى على الجواب أو الخبر (قوله ولكن من شرح) أى بالاستدراك لأنه ربما يتوهم

على التلفظ بالكفر فتلفظ به (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) ومَن مبتدأ أو شرطية والخبر أو الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا (وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) له أى فتحه ووسّعه بمعنى طابت به نفسه (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَٰلِكَ) الوعيد لهم (بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) اختاروها (عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) عما يراد بهم (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا) إلى المدينة (مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا) عذبوا وتلفظوا بالكفر وفى قراءة بالبناء للفاعل : أى كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان (ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا) على الطاعة (إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) أى الفتنة (لَغَفُورٌ) لهم (رَّحِيمٌ) بهم وخبر إن الأولى دل عليه خبر الثانية اذكر (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ) ،

تحاج

من قوله إلا من أكره أنه حين الاكراه يجوز التكلم بالكفر ولو انشرح صدره له فى بعض الأحيان فدفع ذلك التوهم بالاستدراك ولا يبعد الوهم قوله مطمئن بالايمان ومن إما شرطية أو موصولة ولا يلزم تقدير مبتدإ قبل من وماقيل إن الاستدراك لايقع فى الشروط ممنوع (قوله بمعنى طابت به نفسه) أى قبله ومال إليه (قوله فعليهم) جمع مراعاة لمعنى من (قوله ذلك بأنهم) أى حاصل وثابت بسبب أنهم الخ فاسم الاشارة مبتدأ والجار والمجرور فى محل رفع خبره (قوله لايهدى القوم الكافرين) أى لايوصلهم إلى الايمان ولايعصمهم من الزيغ (قوله أولئك الذين طبع الله على قلوبهم الخ) أى جعل عليها غلافا معنويا بحيث لاتذعن للحق ولا تسمعه ولا تبصره (قوله الخاسرون) أى لأنهم ضيعوا أعمارهم فى غير منفعة تعود عليهم والموجب لخسرانهم أن الله تعالى وصفهم بست صفات تقدمت: الغضب والعذاب العظيم واختيار الدنيا على الآخرة وحرمانهم من الهدى والطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وجعلهم من الغافلين (قوله ثم إن ربك) نزلت هذه الآية فى عياش بن ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاعة وقيل من أمه وفى أبى جندل بن سهل بن عمرو والوليد ابن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم هاجروا وجاهدوا (قوله للذين هاجروا) متعلق بمحذوف هو خبر إن أى لغفور رحيم للذين هاجروا بهذا معنى قوله الآتى وخبر إن الأولى الخ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون معنى قوله فتنوا افتتنوا بمعنى قامت بهم الفتنة وقد أشار له المفسر بقوله أى كفروا أو متعد كما قال أو فتنوا الناس عن الايمان (قوله يوم تأتى) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والأمر للنبى صلى الله عليه وسلم أى اذكر يامحمد لقومك أهوال الآخرة وما

يقع فيها لعلهم يعتبرون (قوله تحاج) أى تخاصم وتسعى فى خلاصها (قوله عن نفسها) إن قلت إن ظاهر الآية مشكل لأنه يقتضى أن النفس لها نفس وليس كذلك . أجيب بأن المراد بالنفس الأولى الانسان المركب من جسم وروح وحقيقة والمراد بالنفس الثانية الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار فكأنه قال يوم يأتى كل إنسان يجادل من ذاته ولا يهمه غيره والمراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين روى عن ابن عباس أنه قال : ماتزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يارب لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليس لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لسانى و به أبصرت عيناى و به مشت رجلاى فيضرب الله لهم مثلا أعمى ومقعدا دخلا حائطا أى بستانا فيه ثمار فالأعمى لايبصر الثمر والمقعد لايتناوله فحمل الأعمى المقعد فأصابا الثمر فعلى من يكون العذاب قالا عليهما قال عليكما جميعا العذاب إذا علمت ذلك تعلم أن هذا الوعيد خاص بالكافر وأما المؤمن فهو فى أمن وأمان لايحزنه الفزع الأكبر و إن كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته لأن الله سبحانه وتعالى فى ذلك اليوم يتجلى بالجلال على عباده فيخاف المسلمون والمشركون فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم والمسلمون يخافون من هيبته تعالى و إن كانوا مطمئنين بالايمان (قوله لايهمها غيرها) أى لشغلها بهمها (قوله وهم لايظلمون شيئا) أى لايعذبون من غير ذنب أو المراد لاينقصون من أجورهم شيئا والأول أولى لأن نفى النقص من الأجر علم من قوله وتوفى كل نفس ما عملت (قوله وضرب الله مثلا) المثل تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما ويظهر (قوله هى مكة) هذا هو المشهور بين المفسرين وهو الصحيح وعليه فالآية مدنية لأن الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات فى أهل مكة حين كان النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعلى القول بأنها مكية يكون إخبارا بالغيب تنزيلا لما سيقع منزلة الواقع لتحقق الحصول (قوله رغدا) بفتح الراء والغين المعجمة يقال رغد العيش بالضم رغادة : اتسع (قوله من كل مكان) أى من كل جهة من البر والبحر (قوله بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعماء كأبؤس و بأساء (قوله بتكذيب النبى) الباء سببية (قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أى وذلك أن الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة وشربوا الدماء واشتد بهم الأمر حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقالوا له ماهذا دأبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام إليهم ، وفى رواية أنهم أرسلوا إليه أبا سفيان بن حرب فى جماعة فقدموا عليه المدينة وقال له أبو سفيان يامحمد إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو و إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون . واعلم أن العلماء ذكروا فى هذه الآية ثلاث استعارات . الأولى تصريحية أصلية فى الجوع والخوف من حيث إضافة اللباس إليهما ، وتقريرها أن يقال شبه ماغشيهم من اصفرار اللون ونحولة البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه . الثانية مكنية ، وتقريرها أن يقال شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية بالطعم المر البشع وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الاذاقة فاثباتها تخييل . الثالثة تبعية ، وتقريرها أن يقال شبه الابتلاء بالاذاقة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاذاقة أذاقهم بمعنى ابتلاهم (قوله بسرايا النبى) الباء سببية والمراد بسراياه جماعته التى كان يبعثها للاغارة عليهم فكان أهل مكة يخافونهم (قوله بما كانوا يصنعون) أى بسبب صنعهم أو بسبب الذى كانوا يصنعونه

تحاج (عَنْ نَفْسِهَا) لايهمها غيرها وهو يوم القيامة (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) جزاء (مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئاً (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) و يبدل منه (قَرْيَةً) هى مكة والمراد أهلها (كَانَتْ آمِنَةً) من الغارات لا تهاج (مُطْمَئِنَّةً) لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) واسعاً (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ) بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ) فقحطوا سبع سنين (وَالْخَوْفِ) بسرايا النبى صلى الله عليه وسلم (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

(قوله ولقد جاءهم)أى أهل مكة (قوله رسول منهم) أى من جنسهم (قوله وهم ظالمون) الجملة حالية والمراد بالظالمين الكافرون (قوله فكلوا) مفرع على التمثيل أى فاذا علمتم ماحصل للكفار من الحرمان وماحل بهم بسبب كفر النعم فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكلوا الخ (قوله حلالا طيبا) حالان من ما أى كلوا مما رزقكم الله به حال كونه حلالا طيبا (قوله تعبدون) أى تطيعون (قوله إنما حرّم عليكم الميتة الخ) شروع فى ذكر المحرمات ليعلم أن ماعدا ذلك حلال طيب (قوله فمن اضطر غير باغ) أى خارج على الامام كالبغاة وقوله ولا عاد أى قاطع للطريق فلايباح لهم تعاطى الميتة إذا اضطروا مالم يتوبوا ، وأما المضطر غير ماذكر فيحل له الأكل منها والشبع والتزود عند مالك وعند الشافعى لا يحلّ له إلا مايسدّ رمقه (قوله ولا تقولوا) لاناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل وقوله هذا حلال الخ مقول القول وقوله لما تصف اللام للتعليل وما مصدرية والكذب مفعول لتصف وقوله لتفتروا بدل من التعليل الأول ، والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل وصف ألسنتكم الكذب افتراء على الله بنسبة ذلك إليه (قوله بنسبة ذلك) أى التحليل والتحريم (قوله لايفلحون) أى لايفوزون ولايظفرون بمطلوبهم لافى الدنيا ولافى الآخرة والوقف هنا ، وقوله متاع قليل كلام مستأنف (قوله متاع قليل) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وقدره مقدما ليكون مسوّغا للابتداء بالنكرة (قوله وعلى الذين هادوا) شروع فى ذكر مايخص اليهود من التحريم إثر بيان مايحل لأهل الاسلام وما يحرم عليهم وتحريم الشىء إما لضرر فيه وإما لبغى المحرم عليهم فأشار للأول بقوله إنما حرم عليكم الميتة الخ ، وأشار للثانى بقوله وعلى الذين هادوا الخ (قوله ثم إن ربك) لما بالغ فى تهديد المشركين وبين ماأحلّ وما حرّم ذكر أن فعل تلك القبائح لايمنع من التوبة والرجوع والإنابة بل باب التوبة مفتوح لكل كافر مالم يغرغر فهو ترغيب للكافر فى الاسلام وللعاصى فى التوبة والاقلاع عن الذنوب (قوله للذين) متعلق بمحذوف دل عليه خبر إن الآتية تقديره ثم إن ربك لغفور رحيم للذين عملوا السوء الخ (قوله بجهالة) أى بسبب جهل العواقب وجلال الله إذ لايقع الذنب إلا من جاهل بالعواقب أو جاهل بجلال الله ولو علم قدر العقاب المدخر للعاصى ماقدم على معصية قط (قوله من بعد ذلك) أى الشرك (قوله أو التوبة) أو لتنويع الخلاف فى مرجع الضمير (قوله إن إبراهيم كان أمة) للمفسرين فى معنى هذه اللفظة أقوال : قيل الأمة معلم الخير أى أنه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا ، وقيل إنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ، وقيل الأمة الذى يقتدى به ويؤتم به لأنه كان إماما يقتدى به ، وفى الأصل الأمة الجماعة وإطلاق الأمة بمعنى الجماعة عليه لجمعه أوصاف الكمالات التى تفرقت فى الخلق ، ومنه قول الشاعر :

وليس على الله بمستنكر ۞ أن يجمع العالم فى واحد

وقد ذكر الله فى هذه الآيات من صفات إبراهيم عشرة أوصاف حميدة (قوله مائلا إلى الدين القيم) أى تاركا لماعداه من الأديان

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) الجوع والخوف (وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَكُلُوا) أيها المؤمنون (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ) أى لوصف ألسنتكم (الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ) لما لم يحله الله ولم يحرمه (لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بنسبة ذلك إليه (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) لهم (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) فى الدنيا (وَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا) أى اليهود (حَرَّمْنَا مَاقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) فى آية : وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر إلى آخرها (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بتحريم ذلك (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب المعاصى الموجبة لذلك (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ) الشرك (بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا) رجعوا (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) أى الجهالة أو التوبة (لَغَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) إماما قدوة جامعاً لخصال الخير (قَانِتًا) مطيعاً (لِلَّهِ حَنِيفًا) مائلا إلى الدين القيم ،

الباطلة (قوله ولم يك من المشركين) هذا الوصف قد علم التزاما من قوله حنيفا و إنما ذكره ردّا على المشركين حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم (قوله شاكرا لأنعمه) أى صارفا جميع ما أنعم الله به عليه إلى ماخلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كلّ شاغل يشغله عن الله ظاهرا و باطنا (قوله اجتباه) أى اختاره من دون خلقه وهذا الوصف ومابعده ناشئ من الله خاصة لم يكن له فيه كسب إشارة إلى أن مانشأعنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة باختيار الله له لا بنفسه (قوله إلى صراط مستقيم) أى أى دين قويم لاعوجاج فيه (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى إلى التكلم إشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه (قوله هى الثناء الحسن) أى الذكر بخير (قوله فى كل أهل الأديان) أى عند كل أهل الملل لجميعهم يترضون عنه ولا يكفرون به و يزعمون أنهم على ملته (قوله لمن الصالحين) أى من أكملهم وأعلاهم درجة وهذا تتميم لقوله ـ وآتيناه فى الدنيا حسنة ـ فان حسنة الدنيا لاتتم إلا بحسنة الآخرة (قوله ثم أوحينا إليك) هذا هو الوصف العاشر، ولما كان أعلى الأوصاف لابراهيم وأجلها وأكملها اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته فصله عما قبله حيث عطفه بثم (قوله أن اتبع) يصح أن تكون أن تفسيرية أو مصدرية فتكون مع مادخلت عليه فى محل نصب مفعول لقوله أوحينا (قوله ملة إبراهيم) أى شريعته ومعنى اتباع النبى فيها اتباعه فى الأصول وهى عقائد التوحيد فرسول الله أمر باتباع إبراهيم بل وباتباع من تقدمه من الأنبياء فى التوحيد لأنهم مشتركون فيه قال تعالى ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ـ الآية (قوله حنيفا) حال من إبراهيم وهو و إن كان مضافا إليه إلا أن شرطه موجود ،وهو أن المضاف كالجزء من المضاف إليه لأنه يصح الاستغناء بالثانى عن الأول (قوله ردّا على زعم اليهود والنصارى) المناسب أن يقول ردا على المشركين لأن اليهود والنصارى لم يكونوا مدّعين الاشراك (قوله إنما جعل السبت الخ) هذا رد على اليهود حيث كانوا يدعون أن تعظيم السبت من شريعة إبراهيم وهم متبعون له فرد الله عليهم بأنه ليس السبت من ملة إبراهيم التى زعمهم أنكم متبعون لها بل كان من شريعته تعظيم يوم الجمعة ، ولذا اختاره الله للأمة المحمدية لأنه يوم تمام النعمة ويوم المزيد فى الجنة (قوله على الذين اختلفوا فيه) أى خالفوا ربهم حيث أمرهم على لسان نبيهم أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه فأبوا واختاروا السبت فشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه عليهم ، وليس المراد بالاختلاف أن بعضهم رضى به والبعض لم يرض بل المراد امتناع الجميع (قوله واختاروا السبت) أى وقالوا لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض ومافيهما ، فنحن نوافق ربنا فى ترك الأعمال يوم السبت ، واختارت النصارى يوم الأحد وقالوا لأنه مبدأ الخلق فنجعله عيدا لنا (قوله من أمره) أى السبت (قوله بأن يثيب الطائع) أى وهو من لم يصطد به وعظمه (قوله ويعذب العاصى) أى وهو من صنع الحيلة واصطاد فيه فعذبوا فى الدنيا بمسخهم قردة وخنازير وفى الآخرة بالعذاب الدائم (قوله ادع) فعل أمر وفاعله مستتر وجوبا تقديره أنت ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله الناس وفى هذا إشارة إلى أن بعثته عامة وعبر بالناس و إن كان داعيا للجن أيضا باعتبار ماظهر لنا فقط (قوله دينه) سمى الدين سبيلا لأنه الوصل لدار السعادة الأبدية والسيادة السرمدية (قوله بالقرآن) أى وسمى حكمة لأنها العلم النافع (قوله والموعظة الحسنة) عطف خاص على عامّ لأن القرآن مشتمل على مواعظ وغيرها ، والمراد بالموعظة الحسنة الترغيب والترهيب ،والحكمة فى ذكر الموعظة الحسنة التشويق للعبادة والنشاط لها وسهولة البعد عن المخالفات لما فى الحديث « كان صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا » أى يخلل كلامه بالترغيب والترهيب فى بعض الأحيان لئلا يحصل لنا الملل من توالى الأمر والنهى وتتابعهما من غير

(ولم يكُ منَ المُشركينَ . شاكراً لأنعُمِهِ اجْتَبَاهُ) اصطفاه (وَهَدَاهُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَآتَينَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (فِي الدُّنيا حَسَنَةً) هى الثناء الحسن فى كل أهل الأديان (وَإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى (ثُمَّ أوْحَيْنَا إلَيْكَ) يامحمد (أنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ) دين (إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) كرر ردّاً على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه (إنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) فرض تعظيمه (عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) على نبيّهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وَإنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصى بانتهاك حرمته (ادْعُ) الناس يامحمد (إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) دينه (بِالحِكْمَةِ) بالقرآن (وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ) مواعظه

أو القول الرفيق (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي) أى بالمجادلة التى (هِيَ أَحْسَنُ) كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فيجازيهم ، وهذا قبل الأمر بالقتال . ونزل لما قتل حمزة ومثّل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه:والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ) عن الانتقام (لَهُوَ) أى الصبر (خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) فكفّ صلى الله عليه وسلم وكفّر عن يمينه رواه البزار (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) بتوفيقه (وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أى الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم (وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)

تحثها بجئ يروّح النفوس ويشوّقها ويحثها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات (قوله أو القول الرفيق) تفسير ثان للموعظة الحسنة ، والمراد بالقول الرفيق الألفاظ التى فيها اللين والرفق كقوله تعالى ـ قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ـ وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ـ وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار ـ الآيات (قوله بالتى هى أحسن) أى ليترتب على ذلك حصول الفائدة لهم والانقياد للطريق القويم (قوله بآياته) أى كقصة إبراهيم مع قومه حيث قال لهم حين جنّ عليه الليل ورأى كوكبا : هذا ربى الخ (قوله والدعاء إلى حججه) أى براهينه ودلائله قال تعالى ـ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ـ الآية (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك مايقال إن اسم التفضيل يقتضى المشاركة مع أن صفات الله قديمة لامشارك له فيها (قوله بمن ضل عن سبيله) أى حاد وزاغ عنه (قوله وهو أعلم بالمهتدين) حكمة التعبير فى جانب أهل الهدى بصيغة الاسم وفى جانب أهل الضلال بالفعل الاشارة إلى أن أهل الهدى استمرّوا على الفطرة الأصلية وأهل الضلال غيروا تلك الفطرة وبدلوها باحداث الضلال . إن قلت قوله تعالى ـ إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا ـ الخ يقتضى أن الأصل فى الإنسان الضلال والهدى طارئ عليه . أجيب بأنه محمول على العالم الجسمانى : أى أن الأصل فى الانسان باعتبار عالم الأجساد الخسران والضلال ، والهدى طارئ ببعثة الرسل ، وما فى هذه الآية محمول على عالم الأرواح وهو الأصل الأصيل لأن الله لما خاطب الأرواح فى عالم الذر وقال لهم ألست بربكم قالوا جميعا بلى فالمهتدى فى عالم الأجساد استصحب ذلك الأصل ومن ضل فى عالم

الأجساد فقد نسى ذلك العهد واتبع شهوات نفسه . ثم اعلم أن مقتضى حل المفسر يقتضى أن المدعو بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن واحد وقال بعضهم الناس خلقوا ثلاثة أقسام: الأول العلماء الراسخون فهم المشار إليهم بقوله ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ـ أى العلم النافع لينتفعوا به وينفعوا الناس . الثانى الذين لم يبلغوا حد الكمال وكانوا دون الأوائل وهى المشار إليهم بقوله : والموعظة الحسنة . أى الثالث الكفار وأصحاب الجدال والخصام وهم المشار إليهم بقوله وجادلهم بالتى هى أحسن لينقادوا للحق ويرجعوا إليه (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة وقيل ليست بمنسوخة لأن الأمر بالمجادلة الحسنة ليس فيها نهى عن القتال بل المراد ادعهم وجادلهم برفق فى أول الأمر فان امتثلوا فواضح وإلافشيء آخر (قوله ونزل) أى بالمدينة (قوله لما قتل حمزة) أى فى السنة الثانية فى أحد. وحمزة عم رسول الله وأخوه من الرضاع وقريبه من الأم وكان أسنّ من النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين (قوله ومثل به) أى مثل به المشركون فقطعوا أنفه وأذنيه وذكره وأنثييه وبقروا بطنه (قوله وقد رآه) الجملة حالية (قوله والله لأمثلن الخ) فى كلام المفسر اختصار للحديث ولفظه: أما والله لئن ظفرنى الله بهم لأمثلن الخ (قوله وإن عاقبتم) أن أردتم المعاقبة (قوله ولئن صبرتم) أى عفوتم وتركتم القصاص (قوله لهو) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله فكفّ) أى عن التمثيل بهم (قوله واصبر) الخطاب للنبى ، والمراد به العموم تعليما للأمة حسن الأدب (قوله وما صبرك إلا بالله) أى باقداره لك عليه لا بنفسك فان الصبر كالحب والبغض قائم بالقلب والقلب بيد الله يقلبه كيف يشاء فمن خلق الله فيه الصبر صبر ومن لا فلا فليس للعبد مدخل فيه (قوله ولا تحزن عليهم) أى لاتتأسف على إعراضهم عن الهدى (قوله ولاتك فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى لايكن فيك ضيق فالكلام على القلب ، وإنما أتى به مقلوبا إشارة إلى أن الضيق إذا اشتد كان كالشيء المحيط بك . وأتى هنا بحذف نون تك وفى النمل باثباتها تفننا لأن حذفها للتخفيف وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم ... تحذف نون وهو حذف ما التزم

لأن أصل يك يكون دخل الجازم فسكن النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا (قوله أى لاتهتم بمكرهم) أشار بذلك الى أن مامصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر (قوله بالعون والنصر) أشار بذلك الى أن المعية مع المتقين والمحسنين معية معنوية خاصة ، وهذا لاينافى قوله تعالى ـ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ـ لأن المعية خاصة وعامة فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق والخاصة بالاعانة والنصر والرضا للمتقين والمحسنين أحياء وأمواتا فرضا الله على المتقين والمحسنين دائم مستمر لاينقطع ، فاذا كان كذلك فينبغى زيارة الصالحين وخدمتهم لكونهم فى حضرة الرضا أحياء وأمواتا لاينقطع عنهم مدد ربهم ، وقوله فى الحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به » الخ المراد ثواب أعمالهم المتجدد فلا يتجدد لهم ثواب عمل ، وأما ماثبت لهم فى نظير العمل السابق فهو دائم مستمر وإنما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه أوولد صالح إلى آخر مافى الحديث ، ومن هنا زيارة الصالح الحى أفضل من زيارة الصالح الميت لأن الحى أعماله كلها مستمرة الصعود مادام حيا ويتجدد له ثوابها ولذلك تضن روح المؤمن الصالح بالحياة فلا تحب الموت لأن فيه عزلها عن خدمة ربها التى هى أشرف الأشياء وأفضلها . [سورة الإسراء] مكية ، وتسمى سورة بنى إسرائيل وتسمى سورة سبحان لأنه جرت عادة الله فى كتابه أنه يسمى السورة باسم بعضها وسورة مبتدأ ومكية خبر أول وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله إلا وإن كادوا الخ) وقيل كلها مكية (قوله الآيات الثمان) أى وآخرها قوله تعالى ـ سلطانا نصيرا ـ لكن بحث البيضاوى فيه بأن قوله تعالى ـ وقل رب أدخلنى مدخل صدق ـ الخ نزلت بمكة حين أمر صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقد يجاب عن بحثه بأنها لما نزلت بعد الأمر بالهجرة التحقت بالمدنى خصوصا ، وقد قال العلماء : المدنى مانزل بعد الهجرة وإن بأرض مكة (قوله سبحان) هو فى الأصل مصدر سماعى لسبح المشدد أواسم مصدر له ثم صار علما على التنزيه : أى وعلى كل فهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبح فالمقصود منه إما التنزيه فقط : أى تنزيه من هذا وصفه عن كل نقص لأن هذه معجزة لم تسبق لغيره صلى الله عليه وسلم أو المقصود التعجب فقط على حد سبحان الله المؤمن لاينجس : أى عجبا لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكماله أوالتنزيه مع التعجب كأنه قال عجبا لتنزيه الله تعالى عن كل نقص حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة (قوله الذى) اسم موصول مضاف لسبحان والموصول وإن كان مبهما إلاأنه تميز بالصلة فان هذه الصلة ليست لغيره تعالى سيما مع تصدير الجملة بالتسبيح الذى هو مختص بالله (قوله أسرى) هو وسرى فعل لازم بمعنى سار فى الليل فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول (قوله بعبده) لم يقل بنبيه ولا برسوله إشارة إلى أن وصف العبودية أخص الأوصاف وأشرفها لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه بحيث لايشرك فى عبادته له أحدا فقد فاز وسعد ، ولذا ذكره الله فى المقامات الشريفة كما هنا وفى مقام الوحى ، قال تعالى ـ فأوحى إلى عبده ما أوحى ـ وفى مقام الدعوة ، قال تعالى ـ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ـ الخ ، ولذا قال القاضى عياض :

أى لاتهتم بمكرهم ، فأنا ناصرك عليهم (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الكفر والمعاصى (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) بالطاعة والصبر بالعون والنصر .

(سورة الإسراء)

مكية إلا : وإن كادوا ليفتنونك الآيات الثمان : مائة وعشر آيات أو وإحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . سُبْحَانَ) أى تنزيه (الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم (لَيْلًا) نصب على الظرف ، والاسراء سير الليل ، وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره ،

ومما زادنى شرفا وتيها ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى ... وأن صيرت أحمد لى نبيا

وهناك وجه آخر وهو خوف ضلال أمته به كما ضلت أمة عيسى حيث قالوا ابن الله ، وقوله بعبده : أى بروحه وجسمه على الصحيح خلافا لمن قال إن الاسراء بالروح فقط ، ونقل عن عائشة وهو مردود بأنها كانت حديثة السن إذ ذاك ولم تكن فى عصمته صلى الله عليه وسلم (قوله محمد) إنما لم يصرح به لعلمه من السياق ومن سبب النزول (قوله وفائدة ذكره) أى مع علمه من ذكر الاسراء .

(قوله إلى تقليل مدته) أي تقليل قدر أربع ساعات وقيل ثلاث وقيل قدر لحظة . قال السبكي في تائيته : وعدت وكل الأمر في قدر لحظة (قوله من المسجد الحرام) من لابتداء الغاية (قوله أي مكة) إنما فسره بذلك ليصدق بكل من القولين وهما هل كان مضطجعا في المسجد أو في بيت أم هانئ وفي الحقيقة لا تخالف لأنه على القول بأنه كان في بيت أم هانئ فقد احتملته الملائكة وجاءوا به إلى المسجد وشقوا صدره هناك ثم أتوا له بالبراق بعد ذلك فلم يحصل الاسراء إلا من المسجد فالأولى للمفسر أن يبقي الآية على ظاهرها ، وكان المسجد إذ ذاك بقدر المطاف ثم وسعه الملوك ، وأول من وسع فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه (قوله إلى المسجد الأقصى) هو أول مسجد بني في الأرض بعد الكعبة بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة ، والحكمة في الاسراء به إلى بيت المقدس ليظهر شرفه على جميع الأنبياء والمرسلين لأنه صلى بهم إماما في مكانهم وشأن الذي يتقدم على الانسان في بيته يكون هو السلطان لأن السلطان له التقدم على غيره مطلقا وليسهل على أمته المحشر حيث وضع قدمه فيه فان الخلق يحشرون هناك (قوله بيت المقدس) من إضافة الموصوف لصفته : أي البيت المقدس: أي المطهر عن عبادة غيره تعالى ولذا لم يعبد فيه صنم قط (قوله الذي باركنا حوله) أي بركة دنيوية بالثمار والأنهار كما قال المفسر وأما في داخله فليست مختصة به بل البركة في كلا المسجدين بل هي أتم في المسجد الحرام (قوله لنريه) اللام للحكمة : أي حكمة إسرائنا به رؤيته من آياتنا وعامة القراء على قراءته بالنون وقرأ الحسن ليريه بالياء فعلى الأول يكون في الكلام التفاتان الأول من الغيبة للتكلم في قوله باركنا ولنريه الثاني في قوله - إنه هو السميع البصير - ، وعلى الثاني يكون فيه أربع التفاتات : الأول من الغيبة في قوله بعبده إلى التكلم في قوله باركنا . الثاني من التكلم إلى الغيبة في ليريه . الثالث من الغيبة إلى التكلم في قوله من آياتنا . الرابع من التكلم إلى الغيبة في قوله - إنه هو السميع البصير - ومن في قوله من آياتنا للتبعيض أي لنريه بعض آياتنا وإنما أتى بها تعظيما لآيات الله : أي أن محمدا وإن رأى ما رأى من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة فهو بعض بالنسبة لآيات الله وعجائب قدرته وجلائل حكمته . إن قلت إن ما هنا يقتضي التبعيض ، وقوله تعالى في حق إبراهيم - وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض - أنه لا تبعيض فظاهر هذا أن ما رآه إبراهيم أكثر مما رآه محمد وهو خلاف الاجماع . أجيب بأن ملكوت السموات والأرض بعض الآيات العظيمة التي رآها محمد فابراهيم رأى بعض البعض

إلى تقليل مدته (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي مكة (إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) بيت المقدس لبعده منه (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) بالثمار والأنهار (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) عجائب قدرتنا (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) أي العالم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال :

(قوله إنه هو السميع البصير) المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى : أي هو السميع للأقوال البصير بالأحوال والأفعال ، وقيل الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وحكمة الاتيان بهذين الوصفين الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاهد ما شاهد وسمع ما سمع ولم يزغ بصره ولم يدهش سمعه فهو نظير قوله تعالى - ما زاغ البصر وما طغى - إشارة إلى علو مقامه ورفعة شأنه ، ولذا قال العارف البرعي :

وإن قابلت لفظة لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فان الله كلم ذاك وحيا ... وكلم ذا مشافهة وأدنى

إلى أن قال :

لموسى خر مغشيا عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

(قوله على اجتماعه بالأنبياء) أي الرسل وغيرهم وصلوا خلفه (قوله وعروجه إلى السماء) أي صعوده إليها محفوفا بالملائكة الكرام (قوله ورؤية عجائب الملكوت) أي كالملائكة والجنة والنار. واعلم أن العوالم أربع: عالم الملك وهو ما نشاهده، وعالم الملكوت وهو ما خفي عنا، وعالم الجبروت وهو العلوم والأسرار، وعالم العزة وهو ما لا يمكن التعبير عنه كذات الله ويسمى سر سر السر. قال السيد البكري : وبسر سر سرك الذي لا تفي بالافصاح عن حقيقته الرقائق (قوله ومناجاته له تعالى) أي شفاها مع رفع الحجاب (قوله فانه صلى الله عليه وسلم الخ) القصد من ذلك تفصيل ما أجمل في الآية الكريمة ، وقد اختلفت الروايات في الاسراء والمعراج جدا ، وقد اقتصر المفسر على هذه الرواية لكونها رواية البخاري ومسلم .

(قوله أتيت بالبراق) أى بعد أن جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملاه حتى جاءا به زمزم فأضجعوه وشقوا من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات ثم ملئوه حلما وعلما ويقينا وإسلاما ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوّة، ثم آتى بالبراق بضم الباء مأخوذ من البرق لسرعة سيره أومن البريق لشدّة صفاء لونه ولمعانه وهو من جملة أربعين ألف براق ترتع فى رياض الجنة معدّة له صلى الله عليه وسلم (قوله دابة) أى ليست ذكرا ولا أنثى، وفى الاستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوبا ويؤنث باعتبار كونه دابة (قوله فوق الحمار ودون البغل) أى فهو متوسط بينهما (قوله عند منتهى طرفه) هو بسكون الراء البصر (قوله فركبته) أى وكان جبريل عن يمينه آخذا بركابه وميكائيل عن يساره آخذا بزمام البراق (قوله حتى أتيت بيت المقدس) فى هذه الرواية اختصار وزيد فى غيرها « أنه نزل بالمدينة ومدين وطورسيناء وبيت لحم فصلى فى كل موضع ركعتين بأمر من جبريل عن الله لتحصل زيادة بركته لتلك الأماكن وليقتدى به غيره فى العبادة بالأماكن المشرفة ورأى بين كل موضع والآخر عجائب وغرائب مذكورة فى قصة النجم الغيطى (قوله فربطت الدابة) يقال ربط يربط من باب ضرب شده (قوله بالحلقة بسكون اللام ويجوز فتحها والربط تعليما للاحتياط فى الأمور وإشارة إلى أن الأخذ فى الأسباب لاينافى التوكل (قوله التى تربط فيها الأنبياء) أى الذين كانوا يأتون بيت المقدس لزيارته، وفى رواية « أن جبريل أخذ البراق من الباب وأدخله المسجد وخرق الصخرة بأصبعه وربط البراق فيها » (قوله فصليت فيه ركعتين) أى إماما بالأنبياء أجسادا وأرواحا والملائكة وأرواح المؤمنين، وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضا أو نفلا غاية مايقال إنه أمر بها وهو مطيع وفى الحديث اختصار لأنه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد حين اجتمع جميع الأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين، ويحتمل (٣١٣) أن يقال إن الركعتين المذكورتين

«أتيت بالبراق، وهودابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بى إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم،

فى الحديث هما تحية المسجد وطوى ذكر الركعتين اللتين أمّ فيهما الناس (قوله فجاءنى جبريل) أى حين أخذنى من العطش أشدّ ما أخذنى (قوله أصبت الفطرة) أى الخلقة الأصلية وهى فطرة الإسلام، وفى بعض الروايات أن جبريل قال له « ولو اخترت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا القليل » وفى رواية: « أن الآنية كانت ثلاثا والثالث فيه ماء وأن جبريل قال له: ولواخترت الماء لغرقت أمتك» (قوله قال) أى الراوى وهو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ثم عرج بى) أى بعد أن أتى بالمعراج ووضع على صخرة بيت المقدس وهو سلم له عشر مراق إحداها من ذهب والأخرى من فضة وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء والآخر من ياقوتة بيضاء وهو مكلل بالدرّ سبع منها للسموات السبع والثامنة للسدرة والتاسعة للكرسى والعاشرة إلى العرش، فلما هابالصعود نزلت المرقاة التى عند السماء الدنيا فركباها وصعدت بهما إلى محلها ثم نزلت الثانية لهما وهكذا (قوله إلى السماء الدنيا) أى وهى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء والكرسى من ياقوتة بيضاء والعرش من ياقوتة حمراء وأبواب السماء كلها من ذهب وأقفالها من نور ومفاتيحها اسم الله الأعظم (قوله فاستفتح جبريل) أى طلب الفتح من الملك الموكل بالباب وحكمة غلقها إذ ذاك لزيادة الإكرام بالسؤال والترحيب له صلى الله عليه وسلم (قوله قيل من أنت الخ) فيه اختصار، وفى الرواية المشهورة « قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء » (قوله قيل وقد أرسل إليه) المعنى أجاء وقد أرسل إليه. إن قلت إن رسالته ليست خافية عليهم حتى يسألوا عنها. أجيب بأن المراد أرسل اليه للعروج الى السموات والمكالمة (قوله فإذا أنا بآدم) فى بعض الروايات « وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن يساره أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر قبل شماله حزن وبكى، فسأل جبريل عن ذلك، فقال هذه الأسودة نسم بنيه والباب الذى عن يمينه باب الجنة والذى عن يساره باب النار فإذا رأى من يدخل قبل يمينه ضحك وإذا رأى من يدخل قبل يساره بكى

فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبابى ودعوا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال محمد . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل . فقيل: من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل : فقيل ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهرون فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذ أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلىّ ما أوحى ،

(قوله فرحب بى) أى قال مرحبا بالابن الصالح والنبى صالح (قوله ثم عرج بنا) أى أنا مع جبريل (قوله بابنى الخالة) فيه مسامحة إذ عيسى ابن بنت خالة يحيى ويحيى ابن خالة أم عيسى لأن عيسى ابن مريم وهى بنت حنة وحنة أخت إشاع وإشاع أم يحيى وقد اتصف عيسى بصفات للملائكة لايأكل ولا يشرب ولاينام (قوله شطر الحسن) أى نصفه والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق وحسنه صلى الله عليه وسلم غير ذلك الحسن الذى أعطى يوسف شطره إذ هو غير منقسم ولم يعط منه شئ لغيره ، قال البوصيرى :

منزه عن شريك فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

(قوله بإدريس) وهو أول من خاط الثياب وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود (قوله بهرون) فى بعض الروايات «ونصف لحيته سوداء ونصف لحيته بيضاء» وذلك من (٣١٤) مسك أخيه موسى لها حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل (قوله فاذا أنا بموسى) فى بعض الروايات «وحوله نفر من قومه فلما جاوزته بكى فقيل له مايبكيك ؟ قال أبكى لأن غلاما بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى فلو أنه فى نفسه لم أبال» وفى رواية «أنه سأل الله تعالى أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله» (قوله بإبراهيم) أى خليل الرحمن «فقال لى مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ودعا لى بخير وقال أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» (قوله وإذا هو) القصد من ذلك بيان أن الملائكة لايعلم عدتهم إلا الله قال تعالى : وما يعلم جنود ربك إلا هو وفرض

(قوله ثم ذهب بى) أى عرج بى لأن هذا هو المعراج الثامن (قوله إلى سدرة المنتهى) أى إلى أعلاها فإن السدرة أصلها فى السماء السادسة وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة (قوله كآذان الفيلة) أى فى الشكل وإلا فكل ورقة تظل هذه الأمة (قوله كالقلال) جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين ، وفى بعض الروايات «كقلال هجر» وهى بلدة القلة منها كالزير الكبير (قوله فلما غشيها) أى قام بها من الحسن والبهاء (قوله قال فأوحى) فيه اختصار أى ثم رفع إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام وهو المعراج التاسع ثم دلى الرفرف فزج به فى النور ، فعند ذلك تأخر جبريل فقال له أههنا يفارق الخليل خليله ؟ فقال له هذا مكانى فلو فارقته لاحترقت من النور أى ذهب نورى وتلاشيت لشدة الأنوار وظهورها ، قال رسول الله فخاطبنى ربى ورأيته بعينى بصرى وأوحى إلىّ الخ (قوله ما أوحى) أبهم ذلك إشارة إلى عظم ما أوحى به إليه وعدم إحاطة جميع الخلق به ، قال البوصيرى .

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم (قوله وفرض على الخ) عطف خاص على عام و إنما صرح به لتعلقه بالأمة، وأما عطاياه التى تخصه فلم يعبر عنها إذ لا تحيط بها العبارة ولا تحصيها الاشارة وقوله على أى وعلى أمتى لأن لأصل عدم الخصوصية إلا الدليل يدل على التخصيص فذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته (قوله فنزلت) أى ومررت على إبراهيم فلم يقل شيئا (قوله إلى موسى) أى فى السماء السادسة، والحكمة فى أن موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الأنبياء أن أمته كانت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم فرفق موسى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه طلب أن يكون منها وأيضا فقد طلب موسى الرؤية فلم ينلها ومحمد نالها من غير طلب فأحب مراجعته وتردده ليزداد من نور الرؤية فيقتبس موسى من تلك الأنوار ليكون رائيا من رأى، قال ابن الفارض:

أبق لى مقلة لعلى يوما قبل موتى أرى بها من رآك

وفى هذا المعنى قال ابن وفا:

والسر فى قول موسى إذ يردده ليجتلى النور فيه حيث يشهده
يبدو سناه على وجه لرسول فيا لله حسن جمال كان يشهده

وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فقال: مافرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم. قال فرجعت إلى ربى فقلت: أى رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى قال: مافعلت؟ فقلت: قد حط عنى خمسا قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال: يامحمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا. ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربى حتى استحييت» رواه الشيخان واللفظ لمسلم. وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأيت ربى عز وجل». قال تعالى:

(قوله وخبرتهم) أى جربتهم حيث كلفهم الله ركعتين فى الغداة وركعتين فى وقت الزوال وركعتين فى العشى فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه (قوله قال فرجعت إلى ربى) أى إلى المكان الذى ناجيت فيه ربى وليس المراد أن الله فى ذلك المكان ورجع له فان اعتقاد ذلك كفر بل المراد أن الله جعل هذا المكان محلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يناجيه فيه ليجمع له بين الرفعتين الحسية والمعنوية (قوله ويحط عنى) أى الله تعالى لجملة المرات تسع وكل مرة يرى فيها ربه كما رآه فى المرة الأولى فقد رأى ربه فى تلك الليلة عشر مرات (قوله حتى قال الخ) هذا حديث قدسى من هنا إلى قوله: كتبت سيئة واحدة (قوله بكل صلاة عشر) أى فى المضاعفة والثواب فقد تفضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة (قوله ومن هم بحسنة) المراد بالهم ترجيح الفعل دون عزم وتصميم لأنه الذى يكتب فى الخير ولا يكتب فى الشر، وأما العزم والتصميم فيكتب فى الخير والشر، وأما الهاجس والخاطر وحديث النفس فلا يؤاخذ الانسان بها لا فى خير ولا شر، وقد نظم بعضهم الخمسة بقوله:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

(قوله فنزلت) فى بعض الروايات أن الله قال له «قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى» (قوله استحييت) بياءين بعد الحاء المهملة (قوله رواه الشيخان) أى البخارى ومسلم، والمعنى رويا معنى حديث الاسراء واتفقا عليه (قوله واللفظ لمسلم) أى وأما البخارى ففيه تغيير لبعض الألفاظ (قوله رأيت ربى) أى بعينى رأسى وأتى بهذا الحديث تتميما للقصة ثم بعد تمام الأمر هبط من

السموات السبع إلى بيت المقدس فركب البراق وأتى مكة قبيل الصبح فلما أصبح قطع وعرف أن الناس تكذبه فقعد حزينا فمرّ به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شئ؟ قال نعم أسرى بى الليلة قال إلى أين؟ قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فقال أبو جهل إذا دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى به؟ قال نعم فقال يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا فجاءوا حتى جلسوا إليهما فحدثهم صلى الله عليه وسلم بذلك ، فبقى الناس بين مصفق وواضع يديه على رأسه متعجبا وضجوا لذلك وعظموه فجاء أبو بكر فحدثه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صدقت صدقت فقالوا أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أوروحة فلذلك سمى الصديق فقال القوم صف لنا بيت المقدس فشرع فى وصفه حتى إن جبريل نقله من مكانه ووضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم وجعل ينظر إليه و يصف لهم فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم عنها تفصيلا فقالوا إن هذا لسحر مبين فأنزل الله تعالى : وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس (قوله وآتينا موسى) معطوف على جملة : سبحان الذى أسرى بعبده ومناسبتها لما قبلها أن كلا متعلقة بعطايا نبى فالأولى متعلقة بعطايا سيدنا محمد وهذه متعلقة بعطايا موسى عليهما الصلاة والسلام بجامع أن موسى أعطى التوراة بسيره إلى الطور وهو بمنزلة معراجه صلى الله عليه وسلم لأنه منح ثمة التكليم وشرف باسم الكليم (قوله وجعلناه) أى موسى أو الكتاب (قوله هدى) أى هاديا من الضلالة والشرك (قوله أن لايتخذوا) أن مصدرية ولانافية والفعل منصوب بحذف النون ولام التعليل مقدرة كما زادها المفسر وهذا على قراءة التحتية وأما على قراءة التاء الفوقية فالفعل مجزوم بلا الناهية وأن زائدة والقول مقدر والتقدير وقلت لهم لاتتخذوا الخ وقوله من دونى فى محل المفعول الثانى ووكيلا مفعول أول وهو مفرد فى اللفظ جمع فى المعنى أى لاتتخذوا وكلاء غيرى تلتجئون إليهم وتفوضون أموركم إليهم (قوله فأن زائدة) المناسب أنها هنا مفسرة لأن هذا ليس من مواضع زيادتها وحينئذ فيقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه ، ولما كان وجه زيادتها ظاهرا بحسب الصورة حملها المفسر عليه فتبعث (قوله ذرّية الخ) أعربه المفسر منادى وحرف النداء محذوف وحينئذ فالمعنى ياذرّية من حملنا مع نوح وحدوا الله واعبدوه واشكروه فى جميع حالاتكم كما كان نوح إنه كان عبدا شكورا فقوله إنه كان الخ تعليل لمحذوف وهذا هو الأقرب والأسهل وبعضهم أعرب ذرّية مفعولا ثانيا لتتخذوا ووكيلا مفعولا أول أو ذرّية بدل من وكيلا أو منصوب على الاختصاص فتحصل أن فى إعراب ذرية أربعة أقوال أسهلها مامشى عليه المفسر (قوله أوحينا) فسر القضاء بالوحى لتعديه بإلى فإن قضى يتعدى بنفسه أو بعلى وماهنا فهو مضمن معنى الإيحاء ، والمراد بالكتاب التوراة ويصح أن يبقى القضاء على بابه من أن معناه التقدير والحكم وتكون إلى بمعنى على أى حكمنا وقدرنا على بنى إسرائيل ، وحينئذ فالمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (قوله مرتين) تثنية مرة وهى الواحدة من المر أى المرور (قوله تبغون) أى تظلمون وتطغون (قوله وعد أولاهما) المراد بالوعد الوعيد أى جاء وقت عقاب الموعود به (قوله بعثنا عليكم عبادا لنا) أى جالوت وجنوده كما يأتى للمفسر ، وقيل بختنصر (قوله فجاسوا) هو بالجيم باتفاق الجمهور وقرئ شذوذا بالحاء المهملة ، والمعنى على كل نقبوا وفتشوا (قوله خلال الديار) إما مفرد بمعنى وسط كما قال المفسر أو جمع خلل كجبل وجبال (قوله وكان) أى البعث المذكور وتفتيش الأعداء عليهم (قوله بقتل زكريا الخ) مشى المفسر على أن المرة الأولى هى قتل زكريا والثانية هى قتل ولده يحيى ، ومشى غيره على أن المرة الأولى مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء وقيل أرمياء ، والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى .

(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) لـ(أ) ن (لَا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا) يفوضون إليه أمرهم . وفى قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمر . يا (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) فى السفينة (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) كثير الشكر لنا حامداً فى جميع أحواله (وَقَضَيْنَا) أوحينا (إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ) التوراة (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ) أرض الشام بالمعاصى (مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) تبغون بغياً عظيما (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) أولى مرتى الفساد (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) أصحاب قوة فى الحرب والبطش (فَجَاسُوا) ترددوا لطلبكم (خِلَالَ الدِّيَارِ) وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم (وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا ،

(قوله فبعث عليهم جالوت وجنوده) الصحيح أن الذى بعث عليهم فى المرة الأولى بختنصر ، قيل وقد كانت مدة ملكه سبعمائة سنة . وأما جالوت وجنوده فلم يقع منهم تخريب لبيت المقدس بل جاءوا لغزوهم فخرج إليهم داود وطالوت بجيوشهم فقتل الله جالوت على يد داود كما تقدم مفصلا فى سورة البقرة (قوله الدولة) فى المصباح تداول القوم الشئ وهو حصوله فى يد هذا تارة وفى يد هذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع وجمع المضموم دول كغرفة وغرف اهـ (قوله والغلبة) تفسير (قوله وأمددناكم بأموال و بنين) أى بعد النهب والقتل الأول (قوله أكثر نفيرا) أى أكثر الناس اجتماعا وذهابا للعدو ، ونفيرا منصوب على التمييز (قوله إن أحسنتم) الخطاب لبنى إسرائيل (قوله أحسنتم لأنفسكم) أى فلا يصل إلىّ شئ من طاعتكم إذ مستحيل على الله تعالى أن يصل له من عباده نفع أو ضر وحينئذ فلا ينبغى للانسان أن يفتخر بطاعته بل يعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه لأنها علامة على دوام السعادة لصاحبها وأنه من أهل النعيم ففى الحديث « ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى و إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » . وقال العارف :

ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع

فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخرّبوا بيت المقدس (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ) الدولة والغلبة (عَلَيْهِمْ) بعد مائة سنة بقتل جالوت (وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) عشيرة وقلنا (إِنْ أَحْسَنْتُمْ) بالطاعة (أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ) لأن ثوابه لها (وَإِنْ أَسَأْتُمْ) بالفساد (فَلَهَا) إساءتكم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ) المرة (الْآخِرَةِ) بعثناهم (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) يحزنوكم بالقتل والسبى حزنا يظهر فى وجوهكم (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ) بيت المقدس فيخربوه (كَمَا دَخَلُوهُ) وخربوه (أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا) يهلكوا (مَا عَلَوْا) غلبوا عليه (تَتْبِيرًا) هلاكا وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى ، فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس ، وقلنا فى الكتاب (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) بعد المرة الثانية إن تبتم (وَإِنْ عُدْتُمْ) إلى الفساد (عُدْنَا) إلى العقوبة ، وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) محبسا وسجنا ،

فمن ظن أن الله ينتفع بالعبادة فقد كفر لنسبته الافتقار له ، تعالى الله عنه (قوله فلها) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر واللام بمعنى على و إنما عبر بها للمشاكلة (قوله فإذا جاء) جواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله بعثناهم دل عليه جواب إذا الأولى (قوله الآخرة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله المرة (قوله ليسوءوا وجوهكم) متعلق بهذا الجواب المحذوف وفيها ثلاث قراآت سبعية الأولى بضمير الجماعة مع الياء فالواو فاعل الثانية بنون العظمة وفتح الهمزة آخرا والفاعل هو الله الثالثة بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة والفاعل إما الله و إما الوعد و إما البعث و إما النفير تأمل (قوله بقتل يحيى) أى وقيل بقتل زكريا و يحيى وقصد قتل عيسى (قوله فبعث عليهم بختنصر) هو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح النون وتشديد الصاد والراء المهملة اسم صنم وهو علم أعجمى مركب ، وسمى بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحا عند صنم ولم يعرف له أب فنسب إليه ، قيل إنه ملك الأقاليم كلها ، وقيل المسلط عليهم فى المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل وسيأتى فى السيرة (قوله ألوفا) أى نحو الأربعين (قوله وسبى ذريتهم) أى نحو السبعين ألفا (قوله وقلنا فى الكتاب) أى التوراة (قوله وضرب الجزية عليهم) أى على باقيهم كأهل خيبر (قوله وسجنا) تفسير فيكون معنى حصيرا محلا حاصرا لهم وقيل حصيرا فرشا كالحصير فيكون بمعنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد - [تتمة] يذكر فيها تلخيص القصة التى ذكرها المفسرون فى هذه الآيات قال محمد بن إسحق : كانت بنو إسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله متجاوزا عنهم ومحسنا إليهم وكان أول ما نزل بهم أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله إذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده و يرشده و يتبع الأحكام التى تنزل عليه فبعث الله معه شعيا بن أمضيا عليه السلام وذلك قبل مبعث زكريا و يحيى ، فى آخر مدة صديقة عظمت الأحداث

فيهم والمعاصى فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فنزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعيا إليه وقال ياملك بنى إسرائيل إن سنحاريب نزل بك هو وجنوده فقال يانبى الله هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به فقال لم يأتنى وحى فى ذلك فبينماهم على ذلك أوحى الله إلى شعياء أن ائت إلى ملك بنى إسرائيل فمره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فانه ميت فأخبره شعيا بذلك فأقبل الملك على القبلة وصار يصلى ويتضرع إلى الله بقلب مخلص فاستجاب الله دعاء الملك وأوحى إلى شعياء أن أخبر صديقة أن ربه استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا شاكرا لله متضرعا فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك يأتى بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فأخبره ففعل فشفاه الله ، فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه فلما أصبح وجدوا الأمر كما ذكر فخرج الملك والتمس سنحاريب فلم يجده فى الموتى فبعث فى طلبه فأدركه ومعه خمسة نفر أحدهم بختنصر فجعلوهم فى أطواق الحديد ، وقال الملك لسنحاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ونحن وأنتم غافلون فقال سنحاريب قد أتانى خبر ربكم ونصره إياكم قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا وأوقعنى فى الشقوة قلة العقل ، فقال الملك لسنحاريب إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه وإنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم ثم إن الملك أطال عليهم العذاب ، فقال سنحاريب له القتل خير مما يفعل فأوحى الله إلى شعيا أن يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ففعل فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فأخبروهم الخبر فقال له قومه نهيناك فلم تطعنا وهى أمة لايستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويفا لبنى إسرائيل ثم كفاهم الله تعالى شرهم تذكرة وعبرة ثم إن سنحاريب لبث سبع سنين ومات فاستخلف على ملكه بختنصر فعمل بعمله واستمر متباعدا عن بنى إسرائيل حتى مات ملكهم فتنافسوا فى الملك وقتل بعضهم بعضا وشعيا ينهاهم فلم

... ...

يقبلوا فأوحى الله لشعيا قم فى قومك اوح على لسانك فلما قام وأؤلف

أنطق الله لسانه بالوحى فقال ياسماء استمعى ويا أرض أنصتى فان الله يريد أن يقضى شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها وضرب الله لهم مثلا ثم قال إنه مثل ضربته لهم يتقربون إلىّ بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا إلىّ بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها يشيدون لى بالبيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوّقون لى المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة لى إلى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لايستجاب لنا . قال الله فسلهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد إلى أن قال وإنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة فى الأجراء وأن أجعل الملك فى الرعاء والعز فى الأذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحلم فى الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم بها ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون فانى باعث نبيا أميا ليس أعجميا من عميان ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب فى الأسواق ولا متزين بالفحش ولاقوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة

وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وإيمانا بي وإخلاصا لي يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة لي والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء والله ذو الفضل العظيم ، فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله عليهم ملكا يقال له ناشئة بن أموص وبعث لهم أرميا بن حلقيا نبيا ثم عظمت الأحداث وارتكاب المعاصي فأوحى الله إلى أرميا أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به الى أن قال وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ، وكان من أجلّ البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام سخر له الجن فأتوه بالذهب والفضة والمعادن وأتوه بالجوهر والياقوت والزمرد وبنوه بهذه الأصناف فاحتمل تلك المعادن والأموال على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة فأودعها ببابل وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل بالخزي والنكال مائة عام إلى أن قال فذلك قوله تعالى — فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد — يعني بختنصر وأصحابه ثم إن بختنصر قام في سلطانه ماشاء الله ، ثم رأى رؤيا عجيبة إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال ماأذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله فألهمهم بالذي سألهم فجاءوا فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله

... ...

عليه صخرة فدقته فهي التي أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا إنك أريت ملك الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا فالفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك والذهب أحسن من الفضة ثم الحديد ملكك فهو أشد مما كان قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه فلما تجبر بختنصر على أهل الأرض ظن أنه بحوله وقوته فقال لأصحابه قد ملكت الأرض فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فبعث الله عزّ وجلّ إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى عضت على أمّ دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى مات فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه وارتحل من بقي من بني إسرائيل إلى الشام وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه وكانت التوراة قد حرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل ، فلما رجع إلى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك إذا جاءه ملك على صورة رجل ، فقال له ياعزير مايبكيك . قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي لايصلح ديننا وآخرتنا غيره . قال أفتحب أن يرد إليك ارجع فصم وتتطهر وطهر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غدا ففعل فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فأملاها لهم وعادت كما كانت ورجعت بنو اسرائيل لكثرة الأحداث والمعاصي يكذبون الأنبياء ويقتلونهم ، وكان آخر من بعث إليهم زكريا ويحيي وعيسى فقتلوا زكريا ويحيي وقصدوا إلى قتل عيسى فرفعه الله ، والسبب في قتل يحيي أن ملك بني إسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه وأن الملك هوى بنت امرأته ، وقيل بنت أخيه فسأل يحيي تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيي وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ماتسأله فسألته أن يأتيها برأس يحيي في طشت ففعل ، وفي الحديث « لاخير في الدنيا فان يحيي بن زكريا قتلته امرأة » فسلط الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار إليهم بأهل بابل فدخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيروزاذان فدخل بيت المقدس .

فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه ، فقال يابنى إسرائيل: ماشأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره ؟ فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ، فقال ماصدقتمونى وقتل منهم سبعمائة وسبعين روحا فلم يهدأ الدم ، فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فقال لهم يابنى إسرائيل ويلكم أصدقونى قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى إلا قتلته فأخبروه أنه دم يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم منكم ربكم وآمن بالتوراة وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوش ، ثم قال يايحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ الدم باذن الله ورفع القتل عن بنى إسرائيل ، وقال لهم إن خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكرى وإنى لا أستطيع أن أعصيه ، فأمرهم فحفروا خندقا وأتوا بالخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم ، فأمر بذبحها حتى سال الدم فى العسكر ، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من المواشى ، فلم يظن خردوش إلا أن مافى الخندق من دماء بنى إسرائيل فاكتفى بذلك وأمر برفع القتل ، وهذه هى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله فيها ـ فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ـ الخ ثم انتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونان إلا أن بقايا بنى إسرائيل كثير وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا فى نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا ، فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوش الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ، ونزع الله منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا فى أمة إلا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره اه (قوله إن هذا القرآن) أى الذى أنزل على محمد (قوله يهدى) أى يرشد ويوصل

(٣٢٠)

(إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى) أى للطريقة التى (هِىَ أَقْوَمُ) أعدل وأصوب (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا . وَ) يخبر (أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا) أعددنا (لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو النار (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ) على نفسه وأهله إذا ضجر (دُعَاءَهُ) أى كدعائه له (بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ) الجنس (عَجُولًا) بالدعاء على نفسه وعدم النظر فى عاقبته (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ) دالتين على قدرتنا (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والإضافة للبيان (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) أى مبصرا فيها بالضوء ،

(قوله للتى هى أقوم) أى فمن تمسك به نجا ومن حاد عنه هلك ففى الحديث « إنى تارك فيكم ثقلين ماإن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتى » (قوله أجرا كبيرا) أى لايعلم قدره غيره تعالى وهذا الأجر ثابت لمن عمل الصالحات وإن لم يكن حافظا لألفاظ القرآن بل المدار على امتثال الأوامر واجتناب النواهى (قوله ويخبر) أشار بذلك إلى أن قوله وأن الذين لايؤمنون الخ معطوف على يبشر فهوغير داخل فى حيز البشارة (قوله أعددنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله ويدع الانسان) حذفت الواو لالتقاء الساكنين وحذفت من الخط تبعا لحذفها من اللفظ (قوله إذا ضجر) أى أصابه شدة الغم والغيظ (قوله أى كدعائه) أشار بذلك إلى أن الكلام على التشبيه ، والمعنى أن الانسان إذا أصابه الغم يدعو على نفسه وأهله بالشر كما يدعو لهم بالخير إذا كان منبسطا راضيا ، وتقدم فى قوله تعالى ـ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم ـ الآية أن الله يستجيب الدعاء بالخير ولايستجيب الدعاء بالشر (قوله عجولا) أى لايتأمل فى عاقبة مايريد فعله بل يقدم على فعل كل ماخطر بباله ، فاذا كان كذلك فينبغى للانسان التأنى فى الأمور وتفويضها إلى الله تعالى ليحصل له الراحة فى الدنيا والسعادة فى العقبى ولا يتعجل فى الأمور بحيث يسارع إلى الانتقام ممن ظلمه والدعاء على من أساء عليه بل الواجب إما التفويض أو الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير (قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين على عظيم قدرتنا وباهر حكمتنا حيث جعلناهما على منوال واحد ينقص هذا ويزيد هذا (قوله فمحونا آية الليل) أى خلقناه على هذه الحالة ، وليس المراد أنه كان مضيئا ثم محى ضوءه ، وفى الحقيقة فى الكلام حكمتان : الأولى ذكر خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما وهى الدلالة على باهر قدرة صانعهما . الثانية حكمة كون الليل خلق مظلما والنهار خلق مضيئا ، وهى لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار (قوله لتسكنوا فيه) قدره أخذا له من مقابله وهو قوله فى جانب النهار لتبتغوا الخ (قوله والاضافة للبيان) أى آية هى الليل وكذا يقال فى آية النهار (قوله أى مبصرا فيها) هو بفتح الصاد وأشار بذلك إلى أن الكلام فيه الحذف والايصال حذف الجار فاتصل الضمير فيكون فيه مجاز عقلى من إسناد الحدث إلى زمانه

(قوله لتبتغوا) أى تطلبوا (قوله ولتعلموا بهما) أى فهومتعلق بكل من محونا وجعلنا لأن علم عدد السنين والحساب بمرور الليل والنهار جميعا (قوله والحساب) هو معطوف على عدد ولا يقال هو تكرار لأنه يقال إن العدد موضوع الحساب (قوله وكل شىء فصلناه) الأحسن أنه من باب الاشتغال فكل منصوب بفعل محذوف يفسره قوله فصلناه وكذا يقال فى قوله وكل إنسان ألزمناه (قوله للأوقات) أى كآجال الديون وأوقات الصلاة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك من أمور الدين والدنيا (قوله تفصيلا) مصدر مؤكد لعامله إشارة إلى أن الله لم يترك شيئا من أمور الدين والدنيا إلا بينه نظير قوله تعالى ـ مافرطنا فى الكتاب من شىء ـ (قوله وكل إنسان ألزمناه طائره) فسر المفسر الطائر بالعمل وفسره غيره بالكتاب و إليه يشير بقول مجاهد وسمى العمل طائرا ، إما لأن العرب إذا أرادوا فعل أمر نظروا إلى الطير إذا طار فان طار متيامنا قدموا على ذلك الأمر وعرفوا أنه خير و إن طار متياسرا تأخروا وعرفوا أنه شر فلما كثر ذلك منهم سموا نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشىء باسم لازمه (قوله خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد) أى ولأن العنق إما محل الزينة كالقلادة ونحوها أو الشين كالأغلال ونحوها فان كان عمله خيرا كان كالقلادة فى عنقه وهو مما يزينه و إن كان شرا كان كالغل فى عنقه وهو مما يشينه (قوله مكتوب فيها شقى أو سعيد) خص مجاهد السعادة والشقاوة و إن كان الرزق والأجل مكتوبين فيها أيضا ، لأن السعادة أو الشقاوة هما اللذان يبقيان معه فى الآخرة ، وأما الرزق والأجل فينقضيان بموته (قوله ونخرج له يوم القيامة كتابا) قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (قوله اقرأ كتابك) روى أن الانسان يقرأ كتابه وان لم يكن قارئا فى الدنيا (قوله كفى بنفسك) الباء زائدة فى فاعل كفى وحسيبا تمييز وعليك

(لتبتغوا) فيه (فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) بالكسب (وَلِتَعْلَمُوا) بهما (عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) للأوقات (وَكُلَّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) بيناه تبيينا (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) عمله يحمله (فِي عُنُقِهِ) خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد. وقال مجاهد: مامن مولود يولد إلا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا) مكتوبا فيه عمله (يَلْقَاهُ مَنْشُوراً) صفتان لكتابا ويقال له (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) محاسبا (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لأن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) لأن إثمه عليها (وَلاَ تَزِرُ) نفس (وَازِرَةٌ) آثمة ، أى لا تحمل (وِزْرَ) نفس (أُخْرَى).

متعلق به وحسيبا إما بمعنى حاسب او كاف أو محاسب كما قال المفسر ، والمعنى أنه يكتفى بمحاسبة الشخص لنفسه فلا يحتاج لأحد يحاسبه بل إذا أنكر تشهد عليه أعضاؤه بما عملت ، ثم مامشى عليه المفسر من أن المراد بالطائر العمل يكتب و يوضع فى عنقه وهو فى بطن أمه فيلزمه مادام فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة يخرج له كتابا من خزانة تحت العرش وهو الصحيفة التى كانت الملائكة تكتب عليه فى الدنيا فيأخذها إما بيمينه إن كان مسلما أو بشماله إن كان كافرا فيقابله على مافى عنقه هو أحد تفسيرين فى الآية . والآخر أن الكتاب واحد تكتبه الملائكة عليه مادام فى الدنيا فاذا مات طوى ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة أخرج من تلك الخزانة وألزمه فى عنقه ، فيكون معنى ألزمناه طائره فى عنقه : أى فى يوم القيامة عند تطاير الصحف ويكون عطف قوله ونخرج له يوم القيامة على ما قبله من عطف السبب على المسبب (قوله فإنما يهتدى لنفسه) أى فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لاتتعداه إلى غيره (قوله فإنما يضل عليها) أى فإنما و بال ضلاله على نفسه لاعلى من عداه ممن لم يباشر وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى ـ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ـ (قوله ولاتزر وازرة وزر أخرى) أى لاتحمل نفس مذنبة بل ولا غير مذنبة ذنوب نفس أخرى . إن قلت ورد فى الحديث « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » فمقتضاه أنه يحمل وزره فيكون منافيا لهذه الآية . أجيب بأن المراد بالوزر الذى يحمله فى الحديث وزر التسبب ولا شك أن التسبب من فعل الشخص ومع ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شىء فالمتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله فقط .

(قوله وما كنا معذبين) أى ولا مثيبين على الأعمال لأن شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ الدعوة فمن لم تبلغه الدعوة لا تجب عليه عبادة ولا تصح منه لو فعلها فلا يثاب عليها ، وعموم هذه الآية يدل على أن أهل الفترة جميعا ناجون بفضل الله ولو غيروا و بدلوا ؛ وما ورد من تخصيص بعض أفراد كحاتم الطائى وامرىء القيس بدخولهم النار فهى أحاديث آحاد لا تعارض القطعى (قوله مترفيها) الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب والشىء الظريف (قوله منعميها) أى المنهمكين فى شهواتها الغافلين عن الآخرة (قوله بالطاعة) متعلق بأمرنا (قوله باهلاك أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف : أى دمرنا أهلها (قوله وكم أهلكنا) كم خبرية منصوبة بأهلكنا ومن القرون تمييز لكم (قوله من بعد نوح) خصّ بالذكر لأنه أول من كذبه قومه (قوله وكفى بربك) الباء زائدة فى الفاعل وخبيرا بصيرا تمييزان و بذنوب متعلق بخبيرا بصيرا وقوله عالما ببواطنها وظواهرها لف ونشر مرتب ، فالعلم بالبواطن هو معنى الخبير ، و بالظواهر هو معنى البصير (قوله و به يتعلق بذنوب) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ولعلّ فيه تحريفا ، والأصل و بذنوب متعلق بخبيرا بصيرا (قوله من كان يريد العاجلة) أى من كان حظه الدنيا فهو صادق بالكافر والمنافق و يدخل فى ذلك المراءون بأعمالهم إذ لولا المدحة والثناء عليهم مافعلوا الطاعات (قوله عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) أى أعطينا لمن نريد فى الدنيا الذى نشاؤه من سعة رزق وعافية وغير ذلك ، والمعنى لانزيده على ما قدر له أزلا بل مايعطى إلاماسبق فى علمه تعالى أنه يعطاه فمحبته فى الدنيا لم تزده شيئا منها فينبغى الاخلاص فى العبادة والتوجه لله تعالى والاقبال عليه ليحظى بسعادة الدارين (قوله بدل من له) أى أن قوله لمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل باعادة اللام وقوله عجلنا جواب الشرط وهو من وكان فعله و يريد خبر كان واسمها ضمير مستتر (قوله ثم جعلنا) أتى بثم إشارة إلى أن دخول النار متأخر (قوله ملوما) أى أن الخلق فى القيامة يلومونه على ماحصل منه فى الدنيا (قوله مدحورا) من دحر يدحر من باب خضع فهو مدحور بمعنى أن الله طرده وأبعده عن جنته (قوله ومن أراد الآخرة) أى من كان حظه وبغيته ومنتهى آماله الدار الآخرة بأن لم يجعل الدنيا قرارا له ولا وطنا بل جعلها سفينة موصلة لمقصوده (قوله سعيها) إما مفعول به أو مفعول مطلق ، والمعنى كما قال المفسر عمل عملها الذى يليق بها كأعمال البرّ والطاعات واجتناب المنهيات (قوله حال) أى من ضمير سعى (قوله فأولئك) جواب الشرط وفيه مراعاة معنى من وفيما قبله مراعاة لفظها ، وهو إشارة إلى أن من جمع ثلاث خصال فهو من أهل الجنة الايمان والعمل الصالح والاخلاص ، ولذا قال بعضهم : من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه عمله : إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب ، وتلا هذه الآية وهذا هو كمال الايمان (قوله مثابا عليه) أى فشكر الله لعباده قبولهم وإثابتهم على أعمالهم (قوله كلا) مفعول لنمد (قوله من الفريقين) أى مريد الدنيا ومريد الآخرة (قوله بدل) أى من كلا بدل كل من كل كأنه قال : نمد هؤلاء وهؤلاء الأول للفريق الأول والثانى للفريق الثانى فهو لف ونشر مرتب (قوله فى الدنيا) أى كسعة الرزق والجاه والعافية وغير ذلك (قوله ممنوعا عن أحد) أى مؤمن أو كافر ، وأما فى الآخرة فعطاؤه ممنوع عن الكافر وهو مختص بالمؤمن

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ) أحداً (حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) يبين له ما يجب عليه (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا (فَفَسَقُوا فِيهَا) فخرجوا عن أمرنا (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) بالعذاب (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) أهلكناها باهلاك أهلها وتخريبها (وَكَمْ) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) عالما ببواطنها وظواهرها . و به يتعلق بذنوب (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (الْعَاجِلَةَ) أى الدنيا (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) التعجيل له بدل من له باعادة الجار (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ) فى الآخرة (جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا) يدخلها (مَذْمُوماً) ملوما (مَدْحُوراً) مطروداً عن الرحمة (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) عمل عملها اللائق بها (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) حال (فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً) عند الله أى مقبولا مثابا عليه (كُلًّا) من الفريقين (نُمِدُّ) نعطى (هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ) بدل (مِنْ) متعلق بنمد (عَطَاءِ رَبِّكَ) فى الدنيا (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ) فيها (مَحْظُوراً) ممنوعا عن أحد (انْظُرْ ،

كيف

كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) فى الرزق والجاه (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ) أعظم (دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) من الدنيا فينبغى الاعتناء بها دونها (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) لاناصر لك (وَقَضَى) أمر (رَبُّكَ أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَ) أن تحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) بأن تبروهما (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا) فاعل (أَوْ كِلَاهُمَا) وفى قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) بفتح الفاء وكسرها منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا (وَلَا تَنْهَرْهُمَا) تزجرهما (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) جميلا لينا ،

(قوله كيف) منصوب على الحال من فضلنا كأنه قال انظر تفضيلنا بعضهم على بعض كائنا على أى حالة (قوله من الدنيا) أى من درجاتها لأن فضل الآخرة عظيم لاينقطع بل هو دائم لايفنى (قوله فينبغى الاعتناء بها) أى بالآخرة وقوله دونها أى الدنيا (قوله لاتجعل مع الله إلها آخر) الخطاب إما للنبى والمراد غيره أو لكل مكلف وهو الأولى ، والمعنى لاتشرك أيها المكلف غير الله مع الله لافى ظاهرك ولا باطنك بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه ولا تجعل الغير فى خيالك فانه نقص من مراتب الأخيار ، ولذا قال ابن الفارض : ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى يوما حكمت بردتى
(قوله فتقعد مذموما مخذولا) يصح أن تكون قعد بمعنى عجز فمذموما مخذولا حالان ويصح أن تكون بمعنى صار فمذموما مخذولا خبران لها (قوله لاناصر لك) تفسير لمخذولا وتقدم تفسير مذموما بملوما . والمعنى ملوما من الخلق مخذولا من الخالق لم يجعل له ناصرا (قوله وقضى ربك الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات جملة من التكاليف نحو خمسة وعشرين حكما بعضها أصلى وبعضها فرعى وابتدأ منها بالتوحيد بقوله لاتجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا وختم به بقوله ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا إشارة إلى أنه رأس الأمور وأساسها وما عداه من الأحكام مبنى عليه ، ولما كان حق الوالدين آكد الحقوق بعد حق الله ورسوله ذكر بعد التوحيد وشدد فيه دون بقية التكاليف لأن أمر العقوق فظيع وفيه الوعيد الشديد ففى الحديث «قل لعاق والديه يفعل مايشاء فان مصيره إلى النار» (قوله أمر) أى أمرا جازما وقيل إن قضى بمعنى أوصى وقيل بمعنى حكم وقيل بمعنى ألزم وقيل بمعنى أوجب وكل صحيح (قوله ألا تعبدوا إلا إياه) بأن لا تشركوا معه فى العبادة غيره فتمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه ودخل فى ذلك الاقرار لرسول الله بالرسالة ومحبته وتعظيمه لأن ذلك من جملة المأمور به قال تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويكون الفعل منصوبا بحذف النون ويصح أن أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل على كل حال (قوله وبالوالدين) متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وأن تحسنوا والجملة معطوفة على جملة أن لاتعبدوا (قوله بأن تبروهما) أى تطيعوا أمرهما فى غير معصية الله (قوله إما يبلغن) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة فى محل جزم وأحدهما فاعل وكلاهما معطوف عليه وجواب الشرط هو قوله فلا تقل لهما أف وما عطف عليه من بقية الخمسة التى كلف بها الانسان فى حق والديه (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فالفعل مجزوم بحذف نون الرفع والألف فاعل والنون المشددة المكسورة للتوكيد والتقييد بحالة الكبر خرج مخرج الغالب لأن الولد غالبا إنما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما ومعنى قوله عندك أن يكون فى منزلك وكفالتك ومعدودا من عيالك وهذا بحسب الغالب وإلا فالولد مطلوب ببر والديه مطلقا كانا عنده أولا (قوله بفتح الفاء) أى من غير تنوين وقوله وكسرها أى منونا وغير منون فالتعميم راجع لقراءة الكسر خلافا لما يوهمه المفسر فالقراءات السبعية ثلاث وقرئ شذوذا بالرفع مع التنوين وتركه وبالفتح مع التنوين وسكون الفاء فتكون الشواذ أربعا فجملة القراءات سبع هنا وفى الأنبياء وفى الأحقاف ولغاتها أربعون لغة ذكرها ابن عطية فى تفسيره (قوله مصدر بمعنى تبا) بفتح التاء وضمها أى خسرانا وقوله وقبحا أى لاتقل لهما قبحا لكما ولا لأفعالكما والأوضح أن يقول اسم فعل مضارع أى لا تقل لهما أنا أتضجر من شئ يصدر منكما (قوله تزجرهما) أى عما لايعجبك منهما باغلاظ بأن لا تأمرهما ولا تنهاهما ولو كان ذلك الأمر غير مناسب بل إذا أحب أن يأمرهما أو ينهاهما فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق (قوله وقل لهما قولا كريما) أى حسنا كأن يقول لهما يا أبتاه يا أماه ولا يسميهما .

(قوله واخفض لهما جناح الذل) فى الكلام استعارة تبعية فى الفعل حيث شبهت إلانة الجانب بخفض الجناح والجامع الرأفة فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الخفض اخفض بمعنى ألن، وفى الجناح أصلية حيث شبه الجانب بالجناح واستعير اسم المشبه به للمشبه وإضافة جناح الذل من إضافة الموصوف للصفة : أى جانبك الذليل ، وقد أشار لذلك كله المفسر (قوله أى لرقتك عليهما) أشار بذلك إلى أن من للتعليل. والمعنى من أجل الرحمة لاخوفا من العار مثلا (قوله وقل رب ارحمهما) أى ادع لهما بالرحمة ولو فى كل يوم وليلة خمس مرات ولو كافرين إذا كانا حيين لأن من الرحمة أن يهديهما للاسلام (قوله كما ربيانى صغيرا) الكاف للتعليل أى من أجل أنهما رحمانى حين ربيانى صغيرا. روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبوىّ بلغا منى فى الكبر أنى ألى منهما ماوليا منى فى الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهم يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما» (قوله ربكم أعلم بما فى نفوسكم) هذا وعد ووعيد والمعنى لاعبرة بادعاء البر باللسان فان الله عالم بالسرائر (قوله طائعين لله) أى فى حق الوالدين (قوله فانه كان للأوابين) مرتب على محذوف والتقدير وفعلتم معهما خلاف الأدب (قوله الرجاعين إلى طاعته) وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم فى الخلاء ثم يستغفرون منها وقيل غير ذلك وفى الحقيقة الأواب هو التواب (قوله من بادرة) البادرة الذلة تقع خطأ (قوله وهم لايضمرون عقوقا) الجملة حالية (قوله وآت ذا القربى) لما قدم حق الله وحق الوالدين ذكر حق الأقارب وغيرهما وحق المساكين وأبناء السبيل الأجانب والخطاب فى هذه الآيات إما للنبى والمراد هو وأمته لأن الأصل عدم الخصوصية أو للمكلف والأمر للوجوب عند أبى حنيفة فعنده يجب على الموسر مواساة أقارب به المحارم كالأخ والأخت والندب عند غيره ومحل الخلاف فى المواساة بالمال بأن ينفق عليهم وأما صلتهم بمعنى عدم مقاطعتهم ومعاداتهم فواجبة إجماعا كنفقة الأصول والفروع والآية شاملة لذلك كله (قوله من البر) أى الاحسان بالمال وقوله والصلة أى مطلقا فهو عطف عام على خاص

(وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ) ألن لهما جانبك الذليل (مِنَ ٱلرَّحْمَةِ) أى لرقتك عليهما (وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا) رحمانى حين (رَبَّيَانِى صَغِيراً . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ) من إضمار البر والعقوق (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) طائعين لله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ) الرجاعين إلى طاعته (غَفُوراً) لما صدر منهم فى حق الوالدين من بادرة وهم لايضمرون عقوقا (وَآتِ) أعط (ذَا ٱلْقُرْبَى) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً) بالانفاق فى غير طاعة الله (إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ) أى على طريقتهم (وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً) شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ) أى المذكورين من ذى القربى وما بعده فلم تعطهم ،

(قوله والمسكين) المراد به مايشمل الفقير والمعنى وآت المسكين حقه من البرّ والاحسان على حسب الطاقة فان ذلك من أوصاف المتقين قال تعالى: إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إلى أن قال ، والذين فى أموالهم حق للسائل والمحروم (قوله وابن السبيل) أى الغريب وسمى بذلك لأنه ملازم للطريق فكأنه ابن لها (قوله فى غير طاعة الله) أى كالمعاصى والشهوات المستغنى عنها بأن يزيد فى الانفاق على المباح وهذا مذموم إذا كان المال حلالا أما إن كان حراما فلا يجوز له الانفاق منه أصلا بل يجب عليه أن يرده لأربابه (قوله إن المبذرين الخ) هذا غاية فى الذم (قوله كانوا إخوان الشياطين) أى ولم يزالوا كذلك . والمعنى أن المبذرين يشبهون الشياطين فى أن كلا منهما ضل فى نفسه وأضل غيره فالشياطين صرفوا هممهم وقوتهم وما أنعم الله عليهم به فى معاصى الله ولم يصلحوا ، والمبذرون صرفوا أموالهم فيما يغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا (قوله أى على طريقتهم) أى المقتدين بهم وملازمين لأفعالهم لأن الملازم للشئ يسمى أخاله (قوله شديد الكفر لنعمه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وكان الشيطان لنعم ربه كفورا (قوله فكذلك أخوه المبذر) أى فقد كفر نعم ربه حيث صرفها فى غير طاعة الله (قوله وإما تعرضن) معطوف على محذوف تقديره وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل إن كان بيدك شئ وإما تعرضن الخ . والمعنى لا تقطع رجاء الفقير منك بل إما أن تعطيه إن كان معك شئ أو ترده بلطف كما كان من خلقه صلى الله عليه وسلم فكان إذا سئل أعطى أو وعد بالعطاء (قوله وما بعده) أى المسكين وابن السبيل .

(قوله ابتغاء رحمة) مفعول لأجله وهو علة مقدمة على المعلول . والمعنى وإما تعرض عنهم لأجل عسرك فقل لهم قولا ميسورا اعتمادا على الله وطلبا لرحمة من ربك ترجوها ، وفى ذلك إشارة إلى أن الانسان لا ينبغى له قطع رجائه من الله بل يعتمد على الله دائما فى عسره ويسره فان الغنى هو وثوق القلب بالله فلا يعتمد على سبب من الأسباب بل يتوكل على الله ولا يقطع رجاءه منه ولارجاء غيره فيه ثقة بربه (قوله بأن تعدهم) أى أو تدعو لهم بأن تقول أغناكم الله سهل لكم أسباب الخير وغير ذلك (قوله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى مضمومة ومجموعة معه فى الغل وهو بضم الغين المعجمة طوق من حديد يجعل فى العنق (قوله أى لا تمسكها عن الانفاق) أى فهو نهى عن البخل على سبيل الكناية لأن شأن من جعل يده مغلولة إلى عنقه عدم القدرة على التصرف وشأن البخيل عدم التصرف فى المال بالانفاق وغيره (قوله كل المسك) المناسب الامساك لأن الفعل رباعى وكأنه شاكل قوله البسط (قوله كل البسط) أى بأن تنفق زيادة على ما يجب وما يندب (قوله فتقعد) أى تصير فقوله ملوما خبر لتقعد ومحسورا معطوف عليه (قوله راجع للأول) أى البخيل (قوله منقطعا لاشئ عندك) أى فهو من حسره السفر إذا أثر فيه ويصح أن يكون من الحسرة بمعنى الندامة أى نادما على ما حصل منك (قوله راجع للثانى) أى وهو من بسط يده كل البسط ولا تشكل هذه الآية على ما ورد من فعل السلف الذين خرجوا عن أموالهم فى محبة الله ورسوله وصاروا فقراء لأن النهى محمول على من كان يعقبه الندم والتحسر، (٣٢٥) وأما من فعل ذلك من السلف وأقره عليه رسول الله كأبى بكر وغيره من الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ومدحهم الله على ذلك فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا لفنائهم عنها وبقائهم بالله وخطاب تلك الآيات إنما هو على حسب أخلاق العامة (قوله إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء الخ) أى فانظر لما رزقك الله به

(ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) أى لطلب رزق تنتظره تأتيك فتعطيهم منه (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) لينا سهلا بأن تعدهم بالاعطاء عند مجىء الرزق (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) أى لا تمسكها عن الانفاق كل المسك (وَلاَ تَبْسُطْهَا) فى الانفاق (كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا) راجع للأول (مَحْسُوراً) منقطعاً لاشىء عندك راجع للثانى (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ) بالوأد (خَشْيَةَ) مخافة (إِمْلاَقٍ) فقر (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً) إثما (كَبِيراً) عظيما (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا) أبلغ من لا تأتوه (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) قبيحاً (وَسَاءَ) بئس (سَبِيلاً) طريقاً هو (وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ،

وأنفق على حسبه وارض بما قسم الله لك فوسع عند سعة الرزق وضيق عند ضيقه وكن حيث أقامك الله (قوله ببواطنهم وظواهرهم) لف ونشر مرتب (قوله ولا تقتلوا أولادكم) سبب ذلك أن بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر وبعضهم خوف العار فحصل النهى عن ذلك لما فيه من سوء الظن بالله وتخريب العالم وكل منهما مذموم وهو خطاب للموسرين بدليل قوله خشية إملاق ثم لذلك قدم الأولاد وما تقدم فى الأنعام خطاب للمعسرين ، ولذلك قدم ذكر الآباء وأخر ذكر الأولاد (قوله بالوأد) أى الدفن بالحياة وخص بالذكر وإن كان القتل بأى شىء حراما لأنه الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية (قوله كان خطأ) إما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن حمل مصدر خطئ كعلم وبفتحتين اسم مصدر لأخطأ رباعيا أو بكسر الخاء وفتح الطاء ممدودا مصدر لخاطأ كقاتل ثلاث قراءات وكلها سبعية (قوله ولا تقربوا الزنا) هو بالقصر فى القراءة الشائعة وقرئ شذوذا بالمد وخرجت على وجهين أحدهما أنه لغة فى المقصور والثانى أنه مصدر زانى كقاتل لأنه يكون من اثنين (قوله أبلغ من لا تأتوه) أى لأنه يفيد النهى عن مقدماته كاللمس والمباشرة والقبلة صريحا النهى عن الفعل بالأولى (قوله وساء سبيلا) أى لأنه طريق من طرق النار وخص الزنا بالنهى وإن كان اللواط أشنع وأقبح لأنه كان ساريا فى العرب بخلاف اللواط فقد كان فى قوم لوط وتنوسى ثم ظهر فى هذه الأمة بعد قرن الصحابة والتابعين (قوله التى حرم الله) أى حرم قتلها بأن عصمها منه وهو المسلم أو الكافر الذى تحت ذمتنا (قوله إلا بالحق) مستثنى من النهى والمعنى لاتقتلوا النفس المعصومة إلا بالقتل بالحق وهو أحد ثلاث : كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان وقتل مؤمن معصوم عمدا كما فى الحديث .

(قوله ومن قتل مظلوما) أى وهو المؤمن المعصوم (قوله تسليطا على القاتل) أى فحيث ثبت القتل عمدا عدوانا وجب على الحاكم الشرعى أن يمكن ولىّ المقتول من القاتل فيفعل فيه الحاكم مايختاره الولىّ من القتل أو العفو أو الدية ولا يجوز للولى التسلط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن فيه فسادا وتخريبا (قوله غير قاتله) أى غير قاتل المقتول (قوله أو بغير ماقتل به) يستثنى منه من قتل بمحرّم كلواط وسحر فانه لايجوز القتل بذلك بل يقتل بالسيف (قوله إنه كان) أى الولىّ منصورا: أى من الله ومن الحاكم (قوله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) أى لا تقربوه بحال من الأحوال إلا بالخصلة التى هى أحسن من جميع الخصال وهى تنميته له والانفاق عليه منه بالمعروف (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لقوله إلا بالتى هى أحسن كأنه قال فاقربوه بالتى هى أحسن إلى أن يبلغ أشده: أى رشده فاذا بلغ أشده فادفعوا إليه المال ولا تصرّف لكم فيه بوجه، وأشد إما مفرد بمعنى القوة أو جمع لاواحد له من لفظه أو جمع شدة أو شد بكسر الشين فيهما أو شد بفتحها وعلى كل فالمراد به القوة بأن يبلغ عاقلا رشيدا وإن كان الأشد فى الأصل بلوغ ثلاث وثلاثين سنة (قوله إذا عاهدتم الله أو الناس) أى أو ماعاهدكم الله عليه من التكاليف (قوله كان مسئولا عنه) أى هل وفى به صاحبه أم لا وقدر المفسر عنه إشارة إلى أن المسئول صاحب العهد لا نفس العهد إذ لا يتأتى سؤاله (قوله وأوفوا الكيل) خطاب للبائعين. قال بعضهم: يؤخذ من الآية أن أجرة الكيال على البائع لأنها من تمام التسليم مالم تشترط أو يجر عرف بأنها على المشترى (قوله بالقسطاس) بضم القاف وكسرها قراءتان سبعيتان

رومى استعملته العرب فى لغتهم وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب ونحوه فصار عربيا (قوله ذلك) أى المذكور من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى هنا، والمعنى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات خير فى الدنيا وأحسن تأويلا: أى عاقبة فى الآخرة ويحتمل عود اسم الاشارة على خصوص إيفاء الكيل والميزان خيره فى الدنيا لما فيه من إقبال المشترى على البائع وفى الآخرة بحسن العاقبة (قوله ولا تقف (ولا ماليس لك به علم) أى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم (قوله كل أولئك) أى الحواس الثلاثة (قوله كان عنه مسئولا) أى فى الآخرة فلا يجوز للانسان أن يتكلم فى غيره بمجرّد الظنّ ومن ذلك الفتوى بغير علم وشهادة الزور وظنّ السوء بالناس وغير ذلك (قوله مرحا) مصدر مرح كفرح وزنا ومعنى (قوله إنك لن تخرق الأرض) أى بكبرك وفخرك فلست أعلى من الأرض حتى تدرك حدودها وتبلغ منتهاها (قوله تثقبها) بالثاء المثلثة والنون (قوله طولا) تمييز محوّل عن الفاعل: أى ولن يبلغ طولك الجبال وهذا تهكم على العبد المتكبر كأن الله يقول له شأن المتكبر أن يرى كل شىء أحقر منه وأنت ترى كل شىء أعظم منك لأنك بمشيك على الأرض لن تخرقها حتى تدركها ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها فلا يليق منك التكبر (قوله كل ذلك) أى المذكور من الخمس والعشرين المذكورة فى قوله تعالى ـ لا تجعل مع الله إلها آخر ـ إلى قوله ـ ولا تمش فى الأرض مرحا ـ (قوله كان سيئة) بالتاء والهاء قراءتان سبعيتان فعلى الأولى يكون المراد من قوله كل ذلك المنهيات وهى اثنتا عشرة خصلة والتأنيث فى سيئة باعتبار معنى كلّ وتذكير مكروها باعتبار لفظها، وعلى الثانية يكون المراد جميع ماتقدم من المأمورات والمنهيات، وقوله كان سيئه: أى السيئ منه وهو المنهيات الاثنتا عشرة ويكون فى الآية اكتفاء: أى وكان حسنه محمودا (قوله ذلك مما أوحى) أى ماتقدم من المأمورات والمنهيات بعض ما أوحى إليك.

وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ) لوارثه (سُلْطَانًا) تسليطا على القاتل (فَلَا يُسْرِفْ) يتجاوز الحد (فِي الْقَتْلِ) بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) إذا عاهدتم الله أو الناس (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) عنه (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ) أتموه (إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) الميزان السوى (ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) مآلا (وَلَا تَقْفُ) تتبع (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ) القلب (كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) صاحبه ماذا فعل به (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى ذا مرح بالكبر والخيلاء (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ) تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كُلُّ ذَٰلِكَ) المذكور (كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا. ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ) يا محمد (رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) الموعظة،

(قوله ولا تجعل مع الله إلها آخر) ختم به الأحكام كما ابتدأها به إشارة إلى أن التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاها وهو رأس الأشياء وأساسها والأعمال بدونه باطلة لاتفيد شيئا (قوله أفأصفاكم ربكم) لما أمر بالتوحيد ونهى عن الاشراك أتبعه بذكر التقبيح والتشنيع على من ينسب لله الولد خصوصا أخس الأولاد فى زعمهم وهى البنات فالاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أخلصكم) بيان لمعنى الصفاء اللغوى يقال صفاه بمعنى خلصه ، والمعنى أخصكم ربكم بالبنين الذين تدعون أنهم أشرف الأولاد وجعل لنفسه البنات الذين تدعون خستها عن الذكور إن هذا الرأى شنيع من وجوه : أولها نسبة الولد من حيث هو لله . ثانيها نسبة الخسيس له . ثالثها الحكم على الملائكة الكرام بالأنوثة مع أنهم عباد مكرمون لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة وكل ذلك موجب للخلود فى النار (قوله بنات لنفسه) فى بعض النسخ باسقاط الألف بعد التاء وهى الصحيحة لأن من المعلوم أن بنات جمع مؤنث سالم ينصب بالكسرة وفى بعض النسخ بثبوتها ولعلها من سهو الناسخ أو مخرجة على لغة قليلة تنصبه بالفتحة (قوله قولا عظيما) أى كبيرا لأن نسبة الولد إليه تستلزم حدوثه وهو محال فى حقه تعالى (قوله ولقد صرفنا) أى أظهرنا ووضحنا (قوله من الأمثال الخ) بيان للمفعول ومن زائدة ، والمعنى بينا فى هذا القرآن الأمثال والوعد والوعيد (قوله إلا نفورا) أى إعراضا واستكبارا عن الهدى .

قال البوصيرى : عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذى فيه للعقول اهتداء

(قوله قل لهم) أى فى الاستدلال على إبطال التعدد و إثبات الوحدانية له تعالى (قوله لو كان معه آلهة) هذا إشارة إلى قياس استثنائى يستثنى فيه نقيض التالى لينتج نقيض المقدم وقد حذف منه الاستثنائية والنتيجة والأصل لكنهم لم يطلبوا طريقا لقتاله فلم يكن معه آلهة ، والمعنى لو فرض أن له شريكا فى الملك لنازعه وقاتله واستعلى عليه لكنه لم يوجد من هو بهذه المثابة فبطل التعدد وثبتت الوحدانية

(وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) مطرودا عن رحمة الله (أَفَأَصْفَاكُمْ) أخلصكم ياأهل مكة (رَبُّكُمْ بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا) بنات لنفسه بزعمكم (إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ) بذلك (قَوْلًا عَظِيمًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ) من الأمثال والوعد والوعيد (لِيَذَّكَّرُوا) يتعظوا (وَمَا يَزِيدُهُمْ) ذلك (إِلَّا نُفُورًا) عن الحق (قُلْ) لهم (لَوْ كَانَ مَعَهُ) أى الله (آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا) طلبوا (إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ) أى الله (سَبِيلًا) ليقاتلوه (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ) من الشركاء (عُلُوًّا كَبِيرًا . تُسَبِّحُ لَهُ) تنزهه (ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ) ما (مِنْ شَيْءٍ) من المخلوقات (إِلَّا يُسَبِّحُ) ملتبسا (بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحان الله وبحمده (وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ) تفهمون (تَسْبِيحَهُمْ) لأنه ليس بلغتكم (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ،

والكبرياء له سبحانه وتعالى (قوله ليقاتلوه) أى على عادة ملوك الدنيا عند تعددهم (قوله وتعالى) عطف على ما تضمنه قوله سبحانه كأنه قال تنزه وتعالى (قوله تسبح له السموات السبع الخ) القصد من ذلك التوبيخ والتقريع على من أثبت لله شريكا ، والمعنى كيف يشركون مع الله غيره وكل شئ ينزهه عن كل نقص (قوله والأرض) أفردها مع أنها سبع كالسموات لكون جنسها واحدا وهو التراب (قوله من المخلوقات) أى الانس والجن والملك وسائر الحيوانات والجمادات (قوله أى يقول سبحان الله وبحمده) أى أعتقد تنزيه الله وأصفه بحمده : أى بكل كمال (قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم) هذا يقتضى أن تسبيح الجمادات والحيوانات غير العاقلة بلسان المقال وهو الذى اختاره جمهور السلف وذهب الأقل إلى أنه بلسان الحال بمعنى أنها تدل تلك المخلوقات على أن لها صانعا متصفا بالكمالات منزها عن النقائص فكان ذلك تسبيحا لها . قال العارف :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد (قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أى مع غفلتكم وعدم تدبركم فى آياته ونظركم فى مصنوعاته (قوله و إذا قرأت القرآن) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم حين أراد الكفار قتله على حين غفلة وأل فى القرآن إما للجنس الصادق بأى آية وهو الحق لما فى الحديث « خذ من القرآن ما شئت لما شئت » وكون القرآن حجابا ساترا ليس من خصوصياته صلى الله عليه وسلم بل له ولأمته المؤمنين به المخلصين كما هو مشاهد ومجرب بين العارفين وأدلة السنة فى ذلك أشهر من أن تذكر ، أو للعهد والمراد ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجاثية وهى قوله تعالى فى سورة النحل ـ أولئك الذين طبع الله على

قلوبهم وسمعهم ـ وفى سورة الكهف ـ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ـ وفى الجاثية ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ـ الآية وزاد العلماء أول سورة يس إلى قوله ـ فهم لايبصرون ـ لما ورد أنه قرأها حين اجتمعوا على بابه لارادة قتله وأذن الله له فى الهجرة فأخذ حفنة من تراب فى يده وخرج وهو يتلو يس إلى قوله ـ فأغشيناهم فهم لايبصرون ـ وجعل ينثر التراب على رؤوسهم ثم انصرف فلم يره أحد منهم بل أخذ الله أبصارهم (قوله و بين الذين لايؤمنون بالآخرة) أى وهم المنكرون للبعث (قوله أى ساترا) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله فيمن أراد الفتك به) أى كأبى جهل وأم جميل زوجة أبى لهب و يهود خيبر و يهود المدينة والمنافقين، والفتك بتثليث الفاء هو القتل على غفلة (قوله أغطية) أى حجبا معنوية تمنعهم من إدراكه (قوله فلايسمعونه) أى إما أصلا كما وقع لبعض الكفار حيث كان النبى يقرأ القرآن وهم لايسمعونه أو المنفى سماع التدبر والاتعاظ وهو موجود فى جميع الكفار والمنافقين (قوله وحده) حال من قوله ربك بمعنى منفردا فى الألوهية (قوله ولوا على أدبارهم نفورا) أى أعرضوا ولم يؤمنوا (قوله نحن أعلم بما يستمعون به) المقصود من هذه الآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عما وقع من المشركين وتهديد لهم حيث كانوا يجالسون عند النبى مظهرين الاستماع وفى الواقع قاصدين

وَبَيْنَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) أى ساترا لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به صلى الله عليه وسلم (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) من أن يفهموا القرآن أى فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعونه (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) عنه (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ) بسببه من الهزء (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) قراءتك (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) يتناجون بينهم أى يتحدثون (إذ) بدل من إذ قبله (يَقُولُ الظَّالِمُونَ) فى تناجيهم (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ) بالمسحور والكاهن والشاعر (فَضَلُّوا) بذلك عن الهدى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طريقا إليه (وَقَالُوا) منكرين للبعث (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ) لهم (كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا) إلى الحياة (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ) خلقكم (أَوَّلَ مَرَّةٍ) ولم تكونوا شيئا لأن القادر على البدء قادر على الإعادة بل هى أهون،

(فسينغضون)

الاستهزاء (قوله من الهزء) بيان لما (قوله إذ يستمعون) ظرف لأعلم وكذا قوله ـ و إذ هم نجوى ـ والمعنى نحن أعلم بالذى يستمعون بسببه وقت استماعهم إليك ووقت تناجيهم (قوله نجوى) إما مصدر أو جمع نجى (قوله بدل من إذ قبله) أى وهو قوله و إذ هم نجوى (قوله يقول الظالمون) أى لبعضهم أو لمن كان قريبا منهم فى المجلس من المؤمنين (قوله كيف ضربوا لك الأمثال) أى حيث شبهوك بالأوصاف الناقصة كالمسحور والشاعر والكاهن (قوله فضلوا بذلك عن الهدى) أى لأن الهدى تابع للتسليم وحسن العقيدة وهؤلاء بريئون من ذلك (قوله طريقا إليه) أى إلى الهدى لعدم تيسير أسبابه لهم (قوله منكرين للبعث) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للانكار والاستبعاد (قوله ورفاتا) هو ما بولغ فى تفتيته ودقه حتى يصير كالتراب، وقيل هو التراب يؤيده أنه تكرر فى القرآن ترابا وعظاما (قوله قل كونوا حجارة) أى جوابا عن إنكارهم البعث، والمعنى قل لهم لو صرتم حجارة أو حديدا أو خلقا آخر غيرهما كالسموات والأرض والجبال فلابد من إيجاد الحياة فيكم فان قدرة الله لاتعجز عن إحيائكم و إعادتكم للجسمية والروحية فكيف إذا كنتم عظاما ورفاتا، وليس المراد الأمر بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله عن الاعادة (قوله مما يكبر فى صدوركم) أى اعتقادكم، والمعنى لو كنتم أشياء يعظم فى اعتقادكم قبولها الحياة لكونها بعيدة منها لأحياكم الله إذ القادر لايعجزه شىء (قوله قل الذى فطركم) أى يعيدكم الذى فطركم (قوله بل هى أهون) أى لأن البدء لم يكن على مثال سابق بخلاف الاعادة، وذلك بالنظر لعقولنا وأفعالنا و إلا فالبدء والإعادة بالنسبة إليه تعالى على حد سواء، فخلق الجبل العظيم عنده مساو لخلق الذرة. قال تعالى ـ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ .

(قوله فسينغضون إليك رءوسهم) يقال نغض الشيء تحرك وأنغض رأسه حركه كالمتعجب من الشيء (قوله أن يكون قريبا) هو في محل نصب خبر عسى على أنها ناقصة واسمها ضمير يعود على البعث أو في محل رفع فاعل بها على أنها تامة (قوله يوم يدعوكم) ظرف لقوله قريبا (قوله على لسان إسرافيل) هو أحد قولين والآخر أن المنادي جبريل والنافخ إسرافيل ، وصورة النداء أنه يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فتجيبون) أي تبعثون (قوله بحمده) حال من الواو في تستجيبون أي تجيبونه حال كونكم حامدين له على ذلك لما قيل إنهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (قوله بأمره) تفسير آخر لمعنى الحمد هنا وعليه فالباء سببية (قوله وقيل وله الحمد) أي ورد : أنهم يقولون نعم وله الحمد وهو إخبار عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون يحمدون الله شكرا على ماأولاهم من النعم والكفار يحمدونه رجاء أن ينفعهم ذلك الشكر وهو لاينفعهم ، وقيل هو في خصوص المؤمنين (قوله في الدنيا) أي أوفي القبور لأنها من جملة عمر الدنيا (قوله يقولوا) مجزوم في جواب الأمر (قوله التي هي أحسن) أي ولا يغلظوا عليهم فإن ذلك داع إلى الشر كأن يقولوا لهم إنكم من أهل النار ومن الأشقياء وغير ذلك (قوله إن الشيطان الخ) تعليل لمفهوم قوله يقولوا التي هي أحسن كأنه قال ولايقولوا غيرها مما ينفر النفوس لأن الشيطان الخ

(فَسَيُنْغِضُونَ) يحركون (إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) تعجبا (وَيَقُولُونَ) استهزاء (مَتَى هُوَ) أي البعث (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا. يَوْمَ يَدْعُوكُمْ) يناديكم من القبور على لسان إسرافيل (فَتَسْتَجِيبُونَ) فتجيبون دعوته من القبور (بِحَمْدِهِ) بأمره ، وقيل وله الحمد (وَتَظُنُّونَ إِنْ) ما (لَبِثْتُمْ) في الدنيا (إِلَّا قَلِيلًا) لهول ماترون (وَقُلْ لِعِبَادِي) المؤمنين (يَقُولُوا) للكفار الكلمة (الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ) يفسد (بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) بين العداوة ، والكلمة التي هي أحسن هي (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ) بالتوبة والإيمان (أَوْ إِنْ يَشَأْ) تعذيبكم (يُعَذِّبْكُمْ) بالموت على الكفر (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالإسراء (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا).

(قوله بينهم) أي بين المؤمنين والمشركين (قوله يفسد بينهم) أي لأن الاغلاظ عليهم ربما يثير العناد ويؤدي لزيادة الفساد (قوله هي ربكم أعلم الخ) أي ومابينهما اعتراض ، والمعنى ربكم أعلم بعاقبة أمركم (قوله بالتوبة والإيمان) أي بسببهما (قوله وماأرسلناك عليهم وكيلا) أي وماجعلناك أمرهم موكولا لك بل ليس عليك إلا البلاغ فدارهم ومر أصحابك بتحمل أذاهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ بآية : ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومقتضى العلة أنه حيث أدى الاغلاظ إلى زيادة الفساد وجب تركه في أي زمن (قوله بمن في السموات والأرض) أي بأحوالهم فيخص بالنبوة من شاء من خلقه وبولايته وسعادته من شاء منهم ، وفي هذه الآية رد على المشركين حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم : كيف يكون يتيم أبي طالب نبيا وكيف يكون العراة الجياع أصحابه ، وهذه العبارة لايجوز إطلاقها على النبي إلا في مقام الحكاية عن الكفار ، ولذا أفتى بعض المالكية بقتل قائلها في مقام التنقيص والباء متعلقة بأعلم ولايلزم عليه قصر علمه على من في السموات والأرض لأنه مفهوم لقب وهو لا يعتبر ، وقد رد العلماء على من اعتبره كأبي بكر الدقاق (قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) أي بتفضيل من الله ومزايا خصهم بها وميز بعضهم عن بعض (قوله وآتينا داود زبورا) خص بالذكر لأن اليهود زعمت أنه لانبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة وقصدهم بذلك إنكار نبوة محمد وإنكار كتابه فرد الله عليهم بقوله ـ وآتينا داود زبورا ـ لأنهم يعترفون بنبوة داود ونزول الزبور عليه مع أنه جاء بعد موسى ، والزبور كتاب أنزل على داود مشتمل على مائة وخمسين سورة أطولها قدر ربع من القرآن وأقصرها قدر سورة إذا جاء نصر الله وكلها دعاء وتحميد ليس فيها حلال ولاحرام ولافرائض ولاحدود ولاأحكام ، وفي هذه الآية إشارة إلى أن

 تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانية والتخلي عن العلائق الجسمانية والتحلي بالأخلاق الرحمانية

قُلِ) لهم (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أنهم آلهة (مِنْ دُونِهِ) كالملائكة وعيسى وعزير (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) له إلى غيركم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) هم آلهة (يَبْتَغُونَ) يطلبون (إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) القربة بالطاعة (أَيُّهُمْ) بدل من واو يبتغون أى يبتغيها الذى هو (أَقْرَبُ) إليه فكيف بغيره (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا. وَإِنْ) ما (مِنْ قَرْيَةٍ) أريد أهلها (إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بالموت (أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا) بالقتل وغيره (كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ) اللوح المحفوظ (مَسْطُورًا) مكتوبا (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ) التى اقترحها أهل مكة (إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك وقد حكمنا بامهالهم لإتمام أمر محمد (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ) آية (مُبْصِرَةً) بينة واضحة (فَظَلَمُوا) كفروا (بِهَا) فأهلكوا (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ) المعجزات (إِلَّا تَخْوِيفًا) للعباد فيؤمنوا ،

لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما أوحى الله إليه من الكتاب لابما أوتيه من الملك فالعز والتفضيل في المزايا الأخروية لاالدنيوية فانها تكون في المؤمن والكافر فلا يمتن الله بها على أحبابه وأصفيائه (قوله قل لهم) أى قل يامحمد ردًا على من اعتقد مع الله شريكا (قوله أنهم آلهة) أشار بذلك إلى أن مفعولى زعم محذوفان (قوله من دونه) أى غيره وفى الآية تقديم وتأخير والتقدير قل ادعوا الذين من دونه زعمتم أنهم آلهة فالمعنى أنهم يعبدونها كما يعبدون الله فاندفع مايقال إن المشركين إنما يعتقدون الشركة مع الله لا أن الآلهة غيره وهو ليس باله (قوله كالملائكة الخ) أى وكريم فالكلام فى خصوص العقلاء بدليل قوله : أولئك الذين يدعون (قوله فلا يملكون كشف الضر عنكم) أى لايستطيعون إزالته لعجزهم وحينئذ فهؤلاء ليسوا بآلهة لأن الاله هو القادر الذى لايعجزه شيء والجملة جواب الأمر (قوله أولئك الذين يدعون) هذا من تتمة ماقبله واسم الاشارة مبتدأ وجملة يبتغون وماعطف عليه خبر والذين بدل من اسم الاشارة أوعطف بيان عليه و يدعون صلته وقدر المفسر مفعوليه ، والمعنى أن العقلاء الذين زعمتموهم آلهة وعبدتموهم يطلبون من الله القرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذلهم لربهم و يرجون رحمته و يخافون عقابه بل كل من كان أقرب منهم فى الدرجة فهو أشد خضوعا وخوفا ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله (قوله بدل من واو يبتغون) أى وأقرب خبر مبتدإ محذوف والجملة صلة أى كما أشار له المفسر بقوله يبتغيها الذى هو أقرب (قوله فكيف تدعونهم آلهة) أى مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم والاله لايكون كذلك (قوله كان محذورا) أى مخافا منه ، والمعنى هو حقيق بأن يخاف منه كل أحد (قوله وان من قرية) أى طائعة أوعاصية وقوله : إلانحن مهلكوها أى الطائعة وقوله أو معذبوها أى العاصية ، والمعنى أن كل أحد يفنى قبل يوم القيامة قال تعالى – كل من عليها فان – ولكن الفناء مختلف فمنهم من يموت (و)

ميتة حسنة ومنهم من يموت ميتة سوء (قوله بالموت) أى فالهلاك قد يستعمل فى الموت قال تعالى : إن امرؤ هلك (قوله كان ذلك) أى ماذكر من الاهلاك والتعذيب (قوله مسطورا) أى فلايتغير ولايتبدل (قوله ومامنعنا أن نرسل الخ) سبب نزول هذه الآية أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اقلب لنا الصفا ذهبا وسير لنا هذه الجبال عن مكة لنزرع مكانها وأحى لنا آباءنا الموتى فان فعلت ذلك آمنا بك فشرع النبى يسأل الله تعالى فى ذلك فنزلت هذه الآية ، والمعنى ماكان السبب فى تركنا إجابتهم عجزا منا بل السبب فى ترك الاجابة غلبة رحمتنا بهم فانهم قد جرت عادتنا من أول الزمان إلى وقتك هذا أن كل أمة طلبت من نبيها آية نأتيهم بها فاذا كفروا استأصلناهم بالهلاك وقد سبق فى علمنا أن أمتك تبقى على وجه الأرض إلى يوم القيامة ولو آتيناهم ماطلبوه ولم يؤمنوا لاستأصلناهم بالهلاك فلم يتم ماسبق فى علمنا فمنعهم مماطلبوه رحمة بأمتك جميعا (قوله التى اقترحوها) أى كقلب الصفا ذهبا وغير ذلك مماياتى فى قوله : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات (قوله مبصرة) بكسر الصاد باتفاق السبعة واسناد الابصار لها مجاز لأنها سبب فى التبصر والاعتبار و الاهتداء ، وخصت معجزة صالح بالذكر هنا لأن المكذبين لها ديارهم المهلكة قريبة منهم يبصرونها فى أسفارهم ذهابا وإيابا (قوله المعجزات) دفع بذلك مايقال إن فى الآية تعارضا حيث نفى إرسال الآيات أولا وأثبته ثانيا.

وحاصل الجواب أن يقال إن النفى أولا الآيات المقترحة والمثبت ثانيا المعجزات غير المقترحة (قوله و إذ قلنا لك) إذ ظرف متعلق بمحذوف قدّره المفسر بقوله اذكر (قوله فهو يعصمك منهم) أى من قتلهم لامن أذاهم فإنه حاصل (قوله وماجعلنا الرؤيا) المراد الرؤية بالبصر واستعمالها بالألف قليل والكثير استعمال البصرية بالتاء والحلمية بالألف وإنما عبر عنها بالألف لوقوعها بالليل ولسرعة تقضيها كأنها منام (قوله والشجرة) معطوفة على الرؤيا (قوله الملعونة) إسناد اللعن لها إما حقيقة باعتبار أنها مؤذية ومذمومة ومطرودة عن رحمة الله لأنها تخرج فى أصل الجحيم أومجاز والمراد ملعون آكلوها (قوله فى القرآن) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للشجرة أى المذكورة فى القرآن (قوله وهى الزقوم) هى أخبث الشجر المرّ تنبت بتهامة وتكون فى أصل الجحيم طعام أهل النار (قوله إذ قالوا النار تحرق الشجر الخ) أى فقصدوا بذلك إنكار قدرة الله تعالى و إثبات العجز له والاستهزاء بقول الرسول وهو غفلة منهم عن قدرة الله معتمدين على الأمر العادى مع أنه شوهد تخلفه فى مثل النعامة فانها تبتلع الجمر والحديد المحمى بالنار ولايحرقها وطير السمندل يتخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت ألقيت فى النار فيزول وسخها وتبقى بحالها (قوله و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كرر قصة آدم مع إبليس فى القرآن مرارا لابتناء السعادة والشقاوة عليها و إشارة إلى أن السعيد هو من تبع آدم والشقى هو من تبع إبليس ليحصل ماترتب على ذلك من النعيم المقيم لأهل السعادة والعذاب الأليم لأهل الشقاوة (قوله اسجدوا لآدم) أى بعد أن قال لهم: إنى جاعل فى الأرض خليفة فقالوا أتجعل فيها من

(وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) علما وقدرة ، فهم فى قبضته فبلغهم ولا تخف أحداً فهو يعصمك منهم (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ) عيانا ليلة الاسراء (إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) وهى الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (وَنُخَوِّفُهُمْ) بها (فَمَا يَزِيدُهُمْ) تخويفنا (إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود تحية بالانحناء (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) نصب بنزع الخافض أى من طين (قَالَ أَرَأَيْتَكَ) أى أخبرنى (هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ) فضلت (عَلَيَّ) بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتنى من نار (لَئِنْ) لام قسم (أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ) لأستأصلن (ذُرِّيَّتَهُ) بالاغواء (إِلَّا قَلِيلًا) منهم ،

يفسد فيها ، قال لهم إنى أعلم مالاتعلمون ثم علمه أسماء الأشياء كلها ، ثم عرض الله على الملائكة المسميات وأمر آدم أن يقول للملائكة أنبئونى بأسماء هؤلاء قالوا لاعلم لنا إلا ماعلمتنا قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم صار شيخا لهم فوجب تعظيمه واحترامه فأمروا بالسجود له وفاء ببعض حقوقه عليهم (قوله سجود تحية بالانحناء) دفع بذلك مايقال إن السجود لغير الله كفر والملائكة يبرءون منه ويدفع أيضا بأن السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة وآدم كالقبلة كالمصلين للكعبة ، وأيضا محل كون السجود لغير الله كفرا مالم يكن الآمر به هو الله و إلا فيجب امتثاله وقد تقدم ذلك (قوله فسجدوا) أى الملائكة جميعا (قوله إلا إبليس) أى امتنع من السجود قولا وفعلا (قوله قال أأسجد الخ) الاستفهام إنكارى فهو بمعنى النفى (قوله قال أرأيتك هذا الذى كرّمت علىّ) الهمزة للاستفهام ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مؤكدة لتاء الخطاب واسم الاشارة مفعول أول والذى بدل منه أوصفة له وكرّمت صلة الموصول والعائد محذوف تقديره كرمته والمفعول الثانى محذوف تقديره لم كرّمته علىّ ولم يجبه الله عن هذا السؤال تحقيرا له حيث اعترض على مولاه وتكبر وحسد عباد الله ، والإراءة هنا بمعنى الاخبار ففيه مجاز مرسل من باب إطلاق السبب على المسبب لأن شأن من كان رائيا لشىء أن يخبر به وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب ففيه مجاز مرسل على مجاز وتقدم نظائر هذه الآية فى الأنعام وسيأتى فى القصص (قوله خلقتنى من نار) أى وهى أفضل العناصر الأربع (قوله لام قسم) أى مقدر تقديره والله وقوله لأحتنكن جواب القسم والجملة مستأنفة مرتبة على محذوف والتقدير فطرده الله فطلب اللعين الإمهال للنفخة الثانية فأجابه الله بخلاف ماطلب فقال: لئن أخرتن الخ ، والاحتناك فى الأصل مأخوذ من حنك الدابة إذا جعل الرسن فى حنكها واحتنك الجراد الأرض أكل ماعليها والياء فى أخرتنى ثابتة لبعض القراء وصلا ووقفا ومحذوفة لبعضهم كذلك وثابتة لبعضهم وصلا وحذفها وقفا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية هنا ، وأما التى تأتى فى المنافقين فالياء ثابتة للكل لثبوتها فى الرسم .

(قوله ممن عصمته) أي عصمة واجبة كالأنبياء أو جائزة كالصلحاء (قوله قال تعالى له اذهب) هذا تهديد له وليس الأمر في المواضع الخمسة على حقيقته بل هو استدراج وتهديد لأنه معصية والله لا يأمر بها على حد « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » (قوله إلى وقت النفخة الأولى) هذا جواب له على خلاف ما طلب فانه طلب الانظار إلى النفخة الثانية ليفرّ من الموت فانه يعلم أن لاموت بعد النفخة الثانية (قوله جزاؤكم) غلب المخاطب لأنه سبب في الاغواء (قوله جزاء) منصوب بالمصدر قبله (قوله وافرا) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله بالغناء) بكسر الغين والمد وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرّمة (قوله وكل داع إلى معصية) كالكلام مع الأجنبية ونحوه (قوله بخيلك) الباء للملابسة ، والمعنى صح عليهم حال كونك ملتبسا بجنودك الركاب والمشاة ، فالمراد بالخيل ركابها وذلك كقطاع الطريق الذين يركبون الخيل ويأخذون الأموال ويقتلون النفوس (قوله وشاركهم في الأموال) أي بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها فيما لا ينبغي (قوله من الزنا) أي ومثله ما لو طلق الرجل امرأته ثلاثا وأتى منها بأولاد فان الشيطان شريكه فيهم (قوله وعدهم) أي احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء (قوله إن عبادي) الاضافة للتشريف (قوله ليس لك عليهم سلطان) أي بل هم محفوظون منك (قوله وكفى بربك وكيلا) أي إن الشيطان وإن كان قادرا على الوسوسة باقدار الله له

فالله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيده وشره ، فالمعصوم من عصمه الله وليس للعبد قدرة على دفع الوساوس عنه .

[فائدة] ذكر اليافعي عن الشاذلي أن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب وتقول سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات ثم تقرأ قوله تعالى — إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز — اهـ

ممن عصمته (قَالَ) تعالى له (اذْهَبْ) مُنظَرا إلى وقت النفخة الأولى (فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ) أنت وهم (جَزَاءً مَوْفُوراً) وافرا كاملا (وَاسْتَفْزِزْ) استخف (مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى معصية (وَأَجْلِبْ) صح (عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) وهم الركاب والمشاة في المعاصي (وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ) المحرمة كالربا والغصب (وَالْأَوْلَادِ) من الزنا (وَعِدْهُمْ) بأن لابعث ولا جزاء (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ) بذلك (إِلَّا غُرُوراً) باطلا (إِنَّ عِبَادِي) المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) تسلط وقوة (وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً) حافظا لهم منك (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي) يجري (لَكُمُ الْفُلْكَ) السفن (فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) في تسخيرها لكم (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ) الشدة (فِي الْبَحْرِ) خوف الغرق (ضَلَّ) غاب عنكم (مَنْ تَدْعُونَ) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (إِلَّا إِيَّاهُ) تعالى فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَمَّا نَجَّاكُمْ) من الغرق وأوصلكم (إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ) عن التوحيد ، (وكان

(قوله ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر) لما أخبر الله سبحانه وتعالى بأن الشيطان مسلط على بني آدم إلا من عصمه منهم وحفظه بين أوصاف الحافظ للخلق من تسلط الشيطان كأنه قال ربكم الحافظ لكم هو الذي يزجي والازجاء الاجراء يقال زجاه وأزجاه بمعنى أجراه والفلك السفينة يستعمل مفردا وجمعا ووزن المفرد قفل والجمع بدن ويذكر باعتبار المركب ويؤنث باعتبار السفينة (قوله السفن) يشير إلى أن الفلك مستعمل في الجمع (قوله في البحر) أي عذبا وملحا (قوله لتبتغوا من فضله) أي الوصول إلى المقاصد دنيوية وأخروية فبالسفن يتوصل إلى التجارات والمكاسب والحج وزيارة الصالحين (قوله إنه كان بكم رحيما) تعليل ثان لقوله يزجي (قوله الشدة) أي من أجل هبوب الريح (قوله خوف الغرق) أي من أجل خوفه (قوله ضل من تدعون) أي ذهب عن قلوبكم وخواطركم كل معبود سواه فلا تدعون غير الله لكشفه (قوله إلا إياه) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا بحمل قوله من تدعون على جميع المعبودات بحق أو بباطل ، ويحتمل أن يكون منقطعا بحمله على المعبود بباطل وتكون على هذا إلا بمعنى لكن (قوله من الغرق) الجار والمجرور متعلق بنجاكم وقوله إلى البر متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وأوصلكم (قوله أعرضتم عن التوحيد) أي تركتموه فالكافر يرجع لعبادة الأصنام والعاصي يرجع لغفلاته وشهواته بعد أن كان الجميع آيبين متوجهين إلى الله خائفين منه .

(وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) جحودا للنعم (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ نَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) أى الأرض كقارون (أَوْ نُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) أى نرميكم بالحصباء كقوم لوط (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) حافظا منه (أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ نُعِيدَكُمْ فِيهِ) أى البحر (تَارَةً) مرة (أُخْرَى فَنُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ) أى ريحا شديدة لاتمر بشىء إلا قصفته فتكسر فلككم (فَنُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ) بكفركم (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) ناصراً أو تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا) فضلنا (بَنِي آدَمَ) بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) على الدواب (وَالْبَحْرِ) على السفن (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا) كالبهائم والوحوش (تَفْضِيلًا) فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولايلزم تفضيل أفراده إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء . اذكر (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم ،

(قوله وكان الانسان كفورا) كالتعليل لقوله أعرضتم (قوله أفأمنتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أنجوتم من الغرق فأمنتم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أن نخسف بكم جانب البر) أى نخفيكم فى بطون الأرض ، والمعنى أنتم وإن أمنتم من الغرق فى البحر لا تأمنون من الخسف فى البر ، والأفعال الخمسة تقرأ بالنون والياء سبعيتان (قوله كقارون) أى فقد وقع به الخسف قال الله تعالى ـ فخسفنا به وبداره الأرض ـ (قوله أى نرميكم بالحصباء) أى بسبب ريح تأتيكم (قوله كقوم لوط) أى فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم (قوله حافظا منه) أى مما ذكر من الخسف وإرسال الحصباء (قوله تارة) مصدر يجمع على تيرة وتارات (قوله إلا قصفته) أى كسرته (قوله فنغرقكم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فتكسر فلككم (قوله بكفركم) أى بسببه وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية ، ويصح أن تكون اسم موصول أى بسبب الذى كفرتم به (قوله نصيرا) أى ناصرا لكم علينا فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم (قوله أو تابعا يطالبنا الخ) تفسير ثان لتبيعا ، والمعنى عليه لاتجدوا لكم مطالبا يأخذ ثأركم منا (قوله ولقد كرمنا بنى آدم) أى شرفناهم على جميع المخلوقات بأمور جليلة عظيمة: منها يأكلون بأيديهم لا بأفواههم ، ومنها كونهم معتدلى القامة على شكل حسن وصورة جميلة ، ومنها أن الله خلق لهم ما فى الأرض جميعا ، ومنها إخدام الملائكة الكرام لهم حتى جعل منهم حفظة وكتبة لهم وغير ذلك (قوله بالعلم) ى والعقل (قوله ومنه طهارتهم بعد الموت) أى فذوات بنى آدم طاهرة بعد الموت ونجاسة الكفار منهم معنوية لخبث باطنهم وعليه يحمل قوله تعالى ـ إنما المشركون نجس ـ (قوله على الدواب) أى الابل والخيل والبغال والحمير (قوله من الطيبات) أى المستلذات كاللحم والسمن واللبن والحبوب والفواكه فى جميع الأزمان (قوله وفضلناهم على كثير الخ) أى ميزناهم بفضائل ليست فى كثير من غيرهم (قوله فمن بمعنى ما) ى فهى مستعملة فى غير العقلاء ، ويكون المراد بالكثير جميع ما سواهم من غير الملائكة (قوله أو على بابها) أى فهى مستعملة فى العقلاء وغلبوا على غيرهم (قوله والمراد تفضيل الجنس) أى لجنس الانسان أفضل من جنس الملائكة ، وهذا جواب عما يقال لانسلم أن جميع البشر أفضل من جميع الملائكة . فأجاب بأن التفضيل بالجنس فلا ينافى أن رؤساء الملائكة أفضل من عامة البشر (قوله إذ هم) أى الملائكة (قوله أفضل من البشر) ظاهره مطلقا ، وهو خلاف التحقيق ، والتحقيق الذى عليه الأشاعرة أن خواص البشر كالأنبياء والرسل أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وعوام البشر ، وهم الصلحاء أفضل من عوام الملائكة ، وهم ماعدا الرؤساء الأربعة (قوله يوم ندعوا) يوم معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله : اذكر . والمعنى اذكر يا محمد هذا اليوم وهوله لأمتك ليكون داعيا إلى الاتعاظ والخوف فيحملهم على الاستعداد (قوله كل أناس) وزنه فعال ، ويجوز حذف همزته فيقال ناس فيصير وزنه عال (قوله نبيهم) أى لما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « فينادى يوم القيامة يا أمة إبراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ، ثم ينادى الأتباع يا أتباع نمروذ يا أتباع فرعون يا أتباع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفار ، فيأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم » (قوله أو بكتاب أعمالهم) أى لقوله تعالى ـ وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين ـ وما ذكره المفسر

قولان فى تفسير الامام و بقى أقوال أخر. قيل المراد به الكتاب الذى أنزل عليهم ، فينادى فى القيامة يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن ماذا عملتم فى كتابكم هل امتثلتم أوامره هل اجتنبتم نواهيه ؟ وقيل المراد به المذهب الذى كانوا يعبدون الله عليه فيقال ياحنفى ياشافعى يامعتزلى ياقدرى ونحو ذلك . وقيل المراد به عمل البر الذى اشتهر به فى الدنيا فينادى أهل الصدقات وأهل الجهاد وأهل الصيام وغير ذلك . وقيل المراد به الأمهات لأن الامام جمع أم كخفاف جمع خف فينادى الخلق بأمهاتهم فيقال يا ابن فلانة سترا على ولد الزنا ورعاية حق عيسى و إظهار شرف الحسن والحسين ، وردّ هذا القول الزمخشرى وقال إنه من بدع المفسرين (قوله فيقال ياصاحب الخير) هو على حذف مضاف أى ياصاحب كتاب الخير (قوله وهو يوم القيامة) وله أسماء كثيرة : منها الساعة والحاقة والقارعة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحشر وغير ذلك (قوله فمن أوتى كتابه) من إما شرطية أو موصولة ودخلت الفاء فى خبرها لشبهها بالشرط (قوله فأولئك يقرءون كتابهم) أى وإن لم يكونوا قارئين فى الدنيا وحين يقرءون كتابهم يظهرونه لأهل الموقف قال تعالى حكاية عنهم - فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه - الخ (قوله قدر قشرة النواة) الصواب أن يقول قدر الخيط الذى فى قلب النواة ، وأما القشرة التى ذكرها فهى القطمير وأما النقير فهو النقرة التى فى ظهرها ، والثلاثة مذكورة فى القرآن (قوله ومن كان فى هذه أعمى) أى وهو الذى يعطى كتابه بشماله فيسود وجهه

حينئذ و يحصل له الندم قال تعالى - وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله أعمى عن الحق) أى فالمراد أعمى القلب لايبصر رشده (قوله وقراءة الكتاب) أى قراءة سارة وإلا فهو يقرؤه قراءة يحصل له بها الندم والحسرة والحزن (قوله وأضل سبيلا) أى لأنهم حينئذ لاينفعهم الايمان (قوله عنه) أى عن طريق النجاة (قوله ونزل فى ثقيف) أى وهم قبيلة يسكنون الطائف. وحاصله أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : لا ندخل أى فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا ، فالمراد بقولهم لا نعشر لا نعطى العشر من الزكاة و بقولهم لانحشر لا نؤمر بالجهاد و بقولهم لا نجبى بضم النون وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة مكسورة لانركع ولا نسجد فى صلاتنا ، والمراد لانصلى وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ مايهدى لها . فاذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ، وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك ؟ فقل إن الله أمرنى فسكت النبى وطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله و إن كادوا الخ (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن (قوله يستنزلونك) أى يطلبون نزولك عن الحكم الذى أوحيناه إليك من الأوامر والنواهى (قوله لتفترى) أى تختلق وتكذب (قوله غيره) أى غير ما أوحيناه إليك (قوله و إذا) هى حرف جواب وجزاء تقدر بلو الشرطية كما قال المفسر (قوله لاتخذوك) جواب قسم محذوف تقديره والله لاتخذوك وهو مستقبل فى المعنى لاقتضاء المجازاة الاستقبال (قوله وهو صريح) أى قوله لقد كدت تركن إليهم (قوله لم يركن) أى بالطريق الأولى وقوله ولا قارب أى بمنطوق التركيب . والمعنى امتنع قربك من الركون لوجود تثبيتنا إياك و إذا امتنع القرب من الركون فامتناع الركوع أولى (قوله لو ركنت) المناسب أن يقول لو قاربت الركون لأن جواب لولا هو المقاربة ولأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فان المقاربة من فعل القبيح لاعتاب عليها عموما والكاملون يشدد عليهم

فيقال ياصاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيامة (فَمَنْ أُوتِىَ) منهم (كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وهم السعداء أولو البصائر فى الدنيا (فَأُولٰئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ) ينقصون من أعمالهم (فَتِيلاً) قدر قشرة النواة (وَمَنْ كَانَ فِى هٰذِهِ) أى الدنيا (أَعْمَى) عن الحق (فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَى) عن طريق النجاة وقراءة الكتاب (وَأَضَلُّ سَبِيلاً) أبعد طريقا عنه . ونزل فى ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم أن يحرم واديهم وألحوا عليه (وَإِنْ) مخففة (كَادُوا) قاربوا (لَيَفْتِنُونَكَ) يستنزلونك (عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا) لو فعلت ذلك (لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً . وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ) على الحق بالعصمة (لَقَدْ كِدْتَ) قاربت (تَرْكَنُ) تميل (إِلَيْهِمْ شَيْئاً) ركونا (قَلِيلاً) لشدة احتيالهم و إلحاحهم وهو صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب (إِذاً) لو ركنت (لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ) عذاب (الْحَيَاةِ وَضِعْفَ) عذاب (الْمَمَاتِ) ،

على قدر مقامهم . قال العارف :

وإذا صحت القرب فاعرف قدره   إن السخىّ لمن يحبّ صحيح

(قوله أى مثلى مايعذب غيرك) أى من جميع الخلق، والمعنى لوقاربت الركون لأنزلنا عليك عذابا فى الدنيا والآخرة مثل عذاب الخلق مرّتين (قوله مانعا منه) أى من العذاب المضاعف (قوله لما قال له اليهود الخ) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم للمدينة كره اليهود مقامه فيها حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ماهذه بأرض الأنبياء فان أرض الأنبياء الشام وهى الأرض المقدّسة وكان بها إبراهيم والأنبياء فان كنت نبيا مثلهم فائت الشام وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله ، فسار النبى بجيشه على ثلاثة أميال من المدينة ، وفى رواية إلى ذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويأتى الإذن من الله فيخرج فنزلت هذه الآية فرجع وسلطه الله عليهم فقتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير بعد زمن قليل وهذا مبنى على أن الآية مدنية وأما على أن الآية مكية فالمراد بالأرض أرض العرب ، والمعنى همّ المشركون أن يخرجوه منها فمنعهم الله عنه ولم ينالوا منه ما أملوه (قوله ليستفزونك) أى يزعجونك بمكرهم وعداوتهم (قوله وإذا لايلبثون) العامة على ثبوت النون ورفع الفعل لعطفه على قوله ليستفزونك وقرئ شذوذا بحذف النون وخرجت على أنه منصوب بإذن (قوله خلافك) وفى قراءة خلافك وهما سبعيتان والمعنى واحد (قوله إلا قليلا) صفة لمصدر أو لزمان محذوف : أى إلا لبثا أو زمانا قليلا (قوله سنة من قد أرسلنا) سنة منصوب بنزع الخافض كما أشاره المفسر بقوله : أى كسنتنا ،

أى مثلى مايعذب غيرك فى الدنيا والآخرة (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً) مانعاً منه ، ونزل لما قال له اليهود إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء (وَإِنْ) مخففة (كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ) أرض المدينة (لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا) لو أخرجوك (لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ) فيها (إِلَّا قَلِيلاً) ثم يهلكون (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا) أى كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم (وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً) تبديلا (أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) أى من وقت زوالها (إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ) إقبال ظلمته أى الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) صلاة الصبح (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ) فصلّ (بِهِ) بالقرآن (نَافِلَةً لَكَ) :

والمعنى نفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك كسنتنا فيمن قد مضى من الرسل حيث نهلك من أخرجهم وهذا على أن الآية مدنية ، وعلى أنها مكية فالمعنى نفعل بأهل مكة الذين عزموا على إخراجك كما فعلنا بمن مضى قبلهم وقد قطع الله دابرهم بسيفه صلى الله عليه وسلم فى بدر وغيرها (قوله اقم الصلاة) أى دم على أداء الصلاة التى فرضها الله عليك وهى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وآدابها (قوله لدلوك الشمس) مادة الدلوك تدلّ على التحوّل والانتقال ومنه الدلاك لعدم استقرار يده وفى الزوال انتقال الشمس من وسط السماء إلى مايليه ويستعمل فى الغروب أيضا (قوله أى من وقت زوالها) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى من الابتدائية والكلام على حذف مضاف والدلوك بمعنى الزوال ويصحّ أن تكون اللام على بابها التعليل ويصحّ أن تكون بمعنى بعد والأسهل ما قاله المفسر (قوله إلى غسق الليل) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل أقم ، والتقدير أقم الصلاة مبتدئا من دلوك الشمس منتهيا إلى غسق الليل (قوله وقرآن الفجر) بالنصب عطف على الصلاة (قوله صلاة الصبح) أى وسميت قرآنا لأنه أحد أركانها فسميت باسم بعضها (قوله تشهده ملائكة الليل الخ) أى تحضره الملائكة الحفظة لما فى الحديث « إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم فيقول ماذا تركتم عبادى ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » وأخذ مالك من الآية أن الصلاة الوسطى هى الصبح (قوله ومن الليل) الجار والمجرور متعلق بتهجد ومن بمعنى بعض ، والتهجد فى الأصل من الهجود وهو النوم بالليل ثم استعمل فى الصلاة بالليل بعد الانتباه من النوم فهو من تسمية الأضداد يستعمل فى النوم وضدّه ، والمعنى انتبه من نومك وصلّ فى جوف الليل والناس نيام (قوله بالقرآن) أى فالضمير عائد على القرآن لا بالمعنى المتقدّم ففيه استخدام .

(قوله فريضة زائدة لك) هذا مبنى على أن قيام الليل كان واجبا عليه دون أمته وحينئذ فيكون معنى النافلة الزيادة اللغوية (قوله أو فضيلة) تفسير ثان وهو مبنى على أنه فى حقه مندوب فالنافلة على بابها . إن قلت على هذا التفسير لاخصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم بذلك بل هو مندوب لأمته كذلك . أجيب بأنها له علوّ درجات وشكر لله على نعمائه لما فى الحديث « كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ، فقالت له عائشة أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال أفلا أكون عبدا شكورا » ولغيره تكفير لذنوبه وخطراته وتهجده صلى الله عليه وسلم لم يزد فى رمضان ولا فى غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان وما بقى طوال (قوله عسى أن يبعثك الخ) عسى فى كلام الله للتحقيق لأنه وعد كريم وهو لايتخلف (قوله مقاما) منصوب بيبعثك لأنه مضمن معنى يقيمك ، و إليه يشير المفسر بقوله يقيمك فى الآخرة مقاما (قوله وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء) أى حين يجمع الله الناس فى صعيد واحد وتدنو الشمس حتى يكون بينها و بين رؤوس الخلائق قدر الميل وتحيط النار بهم والملائكة تحدق بهم سبع صفوف حتى يكون على القدم ألف قدم أو مائة ألف قدم على قدم فيشتد الكرب على الخلائق فيذهبون إلى آدم فيسئلونه الشفاعة ، فيقول إنى أكلت من الشجرة ولكن ائتوا نوحا فيأتونه فيسئلونه الشفاعة ، فيقول إنى دعوت على قومى ولكن ائتوا إبراهيم فيأتونه ، فيقول إنى كذبت ثلاث كذبات ولكن ائتوا موسى فيأتونه ، فيقول إنى قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتونه ، فيقول إن قومى عبدونى من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتونه ، فيقول

أنا لها أنا لها فيستأذن الله فيؤذن له ثم يخرّ ساجدا و يثنى على الله بثناء عظيم ، فيقال له ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعط فيرفع رأسه فحينئذ ينفض الموقف و يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يشفع ثانيا فيخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » ، وفى الحديث « أنا سيد ولد آدم ولا فخر و بيدى لواء الحمد ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائى » (قوله لما أمر بالهجرة) فيه أن الآية مدنية (ونزل

فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة (عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ) يقيمك (رَبُّكَ) فى الآخرة (مَقَامًا مَحْمُودًا) يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء . ونزل لما أمر بالهجرة (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي) المدينة (مُدْخَلَ صِدْقٍ) إدخالا مرضيًّا لا أرى فيه ما أكره (وَأَخْرِجْنِي) من مكة (مُخْرَجَ صِدْقٍ) إخراجا لا ألتفت بقلبى إليها (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) قوة تنصرنى بها على أعدائك (وَقُلْ) عند دخولك مكة (جَاءَ الْحَقُّ) الاسلام (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) بطل الكفر (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) مضمحلا زائلا « وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول ذلك حتى سقطت » . رواه الشيخان .

إلا أن يقال إن ماهنا مرور على القول بأن السورة كلها مكية وهو مامشى عليه البيضاوى أوّل السورة كما تقدم (قوله أدخلنى المدينة) أى وتسمى طيبة وقبة الاسلام وقد استنارت به صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) المدخل بضم الميم والمخرج كذلك لأن فعلهما رباعى مصدران بمعنى الادخال والإخراج (قوله مرضيا) أى تطمئن به نفسى بحيث لايزعجنى شئ (قوله لا ألتفت بقلبى إليها) أى إلى مكة لبلوغ الآمال بغيرها وما تقدّم من شرح تلك الآية هو ما مشى عليه المفسر ، وقيل أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى من الدنيا وقد قمت بما وجب علىّ من حق النبوة مخرج صدق وقيل أدخلنى فى طاعتك مدخل صدق وأخرجنى من المناهى مخرج صدق ، وقيل أدخلنى حيثما أدخلتنى بالصدق وأخرجنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون أمينا عند الله ولورود تلك المعانى استعملتها الصوفية على حسب مقاصدهم لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله قوة تنصرنى بها على أعدائك) أى وقد أجاب الله دعاءه فوعده بملك فارس والروم وقال له ـ والله يعصمك من الناس ـ وقال ـ ليظهره على الدين كله ـ (قوله وقل عند دخولك مكة) أى يوم الفتح (قوله وزهق الباطل) يقال زهق اضمحل وزهقت روحه خرجت (قوله يطعنها) أى يطعن كلا منها فى عينه (قوله حتى سقطت) أى مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص و بقى منها صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من نحاس أصفر ، فقال النبى ياعلى ارم به فصعد فرمى به فكسره .

(قوله من للبيان) أى لبيان الجنس وقدم على المبين اهتماما بشأنه فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الأمراض الحسية الظاهرية بدليل ماورد فى حديث الفاتحة «ومايدريك أنها رقية» وشفاء من الأمراض المعنوية الباطنية كالاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة كالكبر والعجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل وغير ذلك لاشتماله على التوحيد وأدلته وعلى مكارم الأخلاق وأدلتها، ومامشى عليه المفسر من أن من للبيان هو التحقيق لما ورد «خذ من القرآن ماشئت» وورد «من لم يستشف بالقرآن لاشفاه الله» وقيل إنها للتبعيض، والمعنى أن منه مايشفى من الأمراض كالفاتحة وآيات الشفاء (قوله من الضلالة) أى سوء الاعتقاد وخصت بالذكر مع أنه شفاء من الأمراض الحسية أيضا لأن الضلالة رأس الأمراض (قوله ورحمة) أى بركة دنيوية وأخروية فهو عطف عام (قوله للمؤمنين) أى فهم المنتفعون به دون غيرهم ولكن يشترط حسن النية والاعتقاد والجزم بالاجابة (قوله ولايزيد الظالمين إلا خسارا) أى نقصا وطغيانا لأنهم لايصدقون به فحرموا من الانتفاع به (قوله وإذا أنعمنا على الانسان) أى بأن أعطيناه الصحة والغنى (قوله الكافر) أى فهذه الأوصاف فى حقه وكل ماورد فى حق الكفار من الذم فانه يجر بذيله على عصاة الأمة المتصفين بتلك الأوصاف (قوله أعرض عن الشكر) أى عن صرف النعم فى مصارفها وتكبر وتعاظم (قوله ثنى عطفه) أى لوى جانبه (قوله متبخترا) أى متكبرا (قوله كان يئوسا) أى غير راج رحمة الله، ولا ينافى ماهنا قوله تعالى فى الآية الأخرى - وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض - لأن الكفار مختلفون فبعضهم فى حال الشر يكثر الدعاء وبعضهم يقنط من رحمة الله أو يقال إنهم وإن أكثروا الدعاء ظاهرا، هم قانطون فى الباطن من رحمة الله (قوله على شاكلته) أى كل واحد منا ومنكم يعمل على حالته وطبيعته وروحه التى جبل عليها فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء وتظهر منه الأخلاق المرضية والأفعال الجميلة وصاحب الروح الشقية يعمل عمل الأشقياء وتظهر منه الأخلاق القبيحة والأفعال الخبيثة وفى هذه الآية دليل على أن الظاهر عنوان الباطن (قوله أهدى)

(وَنُنَزِّلُ مِنَ) للبيان (الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) به (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ) الكافرين (إِلَّا خَسَارًا) لكفرهم به (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ) الكافر (أَعْرَضَ) عن الشكر (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) ثنى عطفه متبخترا (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والشدة (كَانَ يَئُوسًا) قنوطا من رحمة الله (قُلْ كُلٌّ) منا ومنكم (يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) طريقته (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) طريقا فيثيبه (وَيَسْأَلُونَكَ) أى اليهود (عَنِ الرُّوحِ) الذى يحيا به البدن (قُلِ) لهم (الرُّوحُ،

يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد وأن يكون من هدى المتعدى وأن يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى وسبيلا تمييز على كل حال وفى الآية اكتفاء أى وبمن هو أضل سبيلا (قوله ويسئلونك عن الروح) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن قريشا اجتمعوا وقالوا إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم فقالت سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أولم يجب عن شىء منها فليس بنبى وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبى فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الأول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ماخبره وعن الروح فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحى اثنى عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لايخبرنا بشىء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه مايقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى - ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ونزل فى الفتية: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف - الآيات، ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب - ويسئلونك عن ذى القرنين - الآيات، ونزل فى الروح قوله تعالى - ويسئلونك عن الروح - الآية فأصل السؤال من اليهود والناقل له قريش (قوله عن الروح) أى عن حقيقة الروح الذى به حياة البدن وهذا هو الأصح، وقيل الروح التى سألوه عنها هو جبريل وقيل ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح لله تعالى بجميع ذلك فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا وقيل إنهم جند من جنود الله على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورءوس ليسوا بملائكة ولا أناس يأكلون الطعام، وقيل ملك عظيم عن يمين العرش لوشاء أن يبتلع

السموات السبع فى لقمة واحدة لابتلعها ليس شىء أعظم منه إلا العرش

يشفع يوم القيامة ـ أهل التوحيد متحجب عن الملائكة لو كشف لهم عنه لاحترقوا من نوره، وقيل عيسى، وقيل القرآن (قوله من أمر ربى) أى مما استأثر الله بعلمه وهذا هو الصحيح وقيل الروح هى الدم وقيل النفس ونقل عن بعض أصحاب مالك أنها صورة كجسد صاحبها ، وفى الآية اقتصار على وصف الروح كما اقتصر موسى فى جواب قول فرعون ومارب العالمين على ذكر صفاته فان إدراكه بالكنه على ماهو عليه لايعلمه إلا الله (قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) رد لقول اليهود أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير بدليل القراءة الشاذة وما أوتوا ، وقيل الخطاب عام لجميع الخلق أى إن الخلق عموما و إن أعطوا من العلم ما أعطوا فهو قليل بالنسبة لعلمه تعالى (قوله ولئن شئنا) هذا امتنان من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بالقرآن وتحذيرله عن التفريط فيه والمقصود غيره ، والمعنى حافظوا على العمل بالقرآن واحذروا من التفريط فيه فاننا قادرون على إذهابه من صدوركم ومصاحفكم ولكن إبقاؤه رحمة بكم (قوله لام قسم) أى وجوابه قوله لنذهبن وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (قوله لكن أبقيناه) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وقدره بلكن على طريقة البصريين وعند الكوفيين يقدر ببل وقوله أبقيناه أى إلى قرب قيام الساعة فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور لما فى الحديث « لاتقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش فيقول الله مالك فيقول أتلى فلا يعمل بى ولا يرفع القرآن حتى تموت حملته العاملون به ولايبقى إلا لكع ابن لكع فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور و يفيضون فى الشعر فتخرج الدابة

مِنْ أَمْرِ رَبِّى) أى علمه لاتعلمونه (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) بالنسبة إلى علمه تعالى (وَلَئِنْ) لام قسم (شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) أى القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف (ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً . إِلاَّ) لكن أبقيناه (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً) عظيما حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ) فى الفصاحة والبلاغة (لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) معينا ، نزل ردًّا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (لِلنَّاسِ فِى هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ) أى أهل مكة (إِلاَّ كُفُوراً) جحودا للحق (وَقَالُوا) عطف على أبى (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ،

وتقوم القيامة بأثر ذلك» (قوله حيث أنزله) علة لقوله إن فضله كان عليك كبيرا (قوله وغير ذلك) أى ككونك خاتم المرسلين وسيد ولد آدم ونحو ذلك (قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن) اللام وموطئة لقسم محذوف جوابه قوله لايأتون بمثله ولم يقل والملائكة مع أنه معجز لهم أيضا لأنهم مسلمون منقادون فلا يحتاج للرد عليهم (قوله لايأتون بمثله) أى لأنه حق خارج عن طوق البشر لأن الكلام على حسب علم المتكلم وهو قد أحاط بكل شىء علما وقوله بمثله أى كلا أو بعضا قال بعضهم إن أقل الاعجاز يقع بآية . قال البوصيرى :

أعجز الجن آية منه والانـس فهلا تأتى به البلغاء

وقال بعضهم : إن أقل الاعجاز يكون بأقصر سورة لأنه لم يكن فى القرآن آية مفردة بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها فتكون ثلاث آيات (قوله ولو كان بعضهم الخ) عطف على محذوف تقديره لايأتون بمثله لو لم يكن بعضهم لبعض ظهيرا ، ولو كان الخ (قوله نزل ردا الخ) مرتبط بما قبله (قوله ولقد صرفنا للناس) أى كررنا وأظهرنا ، ومن زائدة فى المفعول ، أى صرفنا للناس كل مثل ، والمثل المعنى الغريب (قوله فأبى أكثر الناس) أى امتنعوا (قوله جحودا للحق) الجحود الانكار مع العلم والمعاندة فهو أخص من مطلق انكار (قوله وقالوا لن نؤمن لك الخ) لما أقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها أخذوا يطلبون أشياء على وجه العناد فقالوا لن نؤمن لك الخ روى عكرمة عن ابن عباس « أن نفرا من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقالوا يامحمد إن كنت جئت بهذا الحديث يعنون القرآن تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و إن كنت تريد الشرف سوّدناك علينا و إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا و إن كان هذا الذى بك رئيا من الجن تراه قد غلب عليك لاتستطيع رده بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى شىء مما تقولون

ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل علىّ كتابا وأمرنى أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله عز وجل حتى يحكم الله بينى وبينكم ، فقالوا يامحمد إن كنت صادقا فيما تقول فسل لنا ربك الذى بعثك فليسير عنا هذا الجبل الذى قد ضيق علينا ويبسط لنا بلادا ويفجر لنا فيها الأنهار» إلى آخر ماقص الله عنهم (قوله حتى تفجر) بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة وبفتح التاء وضم الجيم مخففة قراءتان سبعيتان هنا فقط ، وأما قوله فتفجر فالبقراءة الأولى لا غير (قوله ينبوعا) أى عينا لايغور ماؤها ولا يذهب (قوله جنة) أى بستان (قوله كما زعمت) أى قلت : إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (قوله كسفا) بسكون السين وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله قبيلا) حال من الله والملائكة أى حال كونهم مرئيين لنا (قوله أو ترقى) هو بفتح القاف مضارع رقى بكسرها والمصدر رقيا ومعناه الصعود الحسى ، وأما فى المعانى فبفتح القاف فى الماضى والمضارع يقال رقى فى الخير ، وأما الرقيا للمريض فماضيها رقى كرمى (قوله لو رقيت) بكسر القاف (قوله نقرؤه) حال مقدرة من الضمير فى علينا أو نعت لكتاب (قوله تعجب) أى من اقتراحاتهم وتنزيه له سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد فى ألوهيته (قوله هل كنت إلا بشرا رسولا) أى وليس فى طاقتى الاتيان بما تطلبونه (قوله وما منع الناس أن يؤمنوا) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان لمنع والتقدير وما منع الناس الايمان وقوله إلا أن قالوا فى تأويل مصدر فاعل منع وقوله إذ جاءهم الهدى ظرف لقوله منع والمعنى لايمنع الناس من الايمان وقت مجىء الهدى لهم إلا قولهم أبعث الله بشرا رسولا وخص بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة

حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) عينا ينبع منها الماء (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ) بستان (مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا) وسطها (تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا) قطعا (أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) مقابلة وعيانا فنراهم (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) ذهب (أَوْ تَرْقَى) تصعد (فِي السَّمَاءِ) بسلم (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) لو رقيت فيها (حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا) منها (كِتَابًا) فيه تصديقك (نَقْرَؤُهُ ، قُلْ) لهم (سُبْحَانَ رَبِّي) تعجب (هَلْ) ما (كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) كسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية إلا بإذن الله (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا) أى قولهم منكرين (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) ولم يبعث ملكا (قُلْ) لهم (لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ) بدل البشر (مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) إذ لايرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على صدقى (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) عالما ببواطنهم وظواهرهم (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ) يهدونهم (مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ماشين (عَلَى وُجُوهِهِمْ ،

لانه أعظمها (قوله قل لهم) أى ردا لشبهتهم (قوله لو كان فى الأرض ملائكة الخ) أى جرت عادة الله فى خلقه أنه لايرسل لخلقه رسولا إلا من جنسهم لأنهم يألفونه ويستطيعون خطابه بخلاف ما إذا أرسل لهم رسولا من غير جنسهم فانهم لايستطيعون رؤيته ولاخطابه لعدم الألفة بينهم فلو كان فى الأرض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم لأنزل عليكم ملكا رسولا (قوله مطمئنين) أى مستوطنين بها لايعرجون إلى السماء (قوله شهيدا) أى على أنى رسول الله إليكم وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم (قوله إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (قوله من يهد الله) أى من يخلق فيه الهدى ، وقوله فهو المهتد أى يكون كذلك فى الدنيا بمعنى أنه يكون حاله فى الدنيا مطابقا لما قدره الله له أزلا وبذلك اندفع مايقال إن فيه اتحاد الشرط والجزاء والمهتد بحذف الياء من الرسم هنا وفى الكهف فانها فى الموضعين من ياآت الزوائد وأما فى النطق فتحذف وصلا ووقفا عن بعض القراء ووقفا لاوصلا عند بعضهم (قوله فلن تجد لهم أولياء) أى أنصارا (قوله على وجوههم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى نحشره قدره المفسر بقوله ماشين ، روى عن أنس «أن رجلا قال : يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» ، وروى أيضا «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا راكبا وصنفا على وجوههم. قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يلقون بوجوههم كل حدب وشوك» والحدب ما ارتفع من الأرض (قوله عميا و بكما وصما) أي لايبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون . إن قلت كيف وصفهم الله بذلك هنا وأثبت لهم ضد تلك الأوصاف في قوله: ورأى المجرمون النار، دعوا هنالك ثبورا ، سمعوا لها تغيظا وزفيرا . أجيب بأن المعنى عميا لايرون مايسرهم و بكما لايتكلمون بحجة وصما لايسمعون مايسرهم ، أو المعنى يحشرون معدومي الحواس ثم تعاد لهم (قوله مأواهم جهنم) أي مسكنهم ومقرهم (قوله كلما خبت) أصله خبوت كقعدت تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما (قوله سكن لهبها) أي بأن أكلت جلودهم ولحومهم (قوله زدناهم سعيرا) أي بدلناهم جلودا غيرها فتعود ملتهبة متسعرة (قوله ذلك) أي ماذكر من أن مأواهم جهنم و إعادتهم بعد فنائهم (قوله وقالوا) معطوف على كفروا (قوله خلقا جديدا) إما مصدر من معنى الفعل أو حال أي مخلوقين (قوله أو لم يروا) رد لانكارهم البعث (قوله قادر على أن يخلق مثلهم) أي فلا يستبعد عليه إعادتهم بأعيانهم (قوله أي الأناسي) جمع إنسي وهو البشر (قوله وجعل لهم أجلا) معطوف على جملة أولم يروا فليس داخلا في حيز الانكار (قوله لاريب فيه) أي لاشك في ذلك الأجل (قوله قل لهم) أي شرحا لحالهم التي يدعون خلافها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ أي لأجل أن نتبسط ونتسع في الرزق ونوسع على المقلين فبين الله لهم أنهم لو ملكوا خزائن الله لداموا على بخلهم وشحهم (قوله لو أنتم تملكون) يجوز أن المسئلة من باب الاشتغال وأنتم مرفوع بفعل مقدر يفسره الظاهر لأن لو لايليها إلا الفعل ظاهرا أو مضمرا والاصل لو تملكون حذف الفعل لدلالة مابعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو (قوله إذا لأمسكتم) أي منعتم حق الله فيها (قوله خشية الانفاق) علة للامساك (قوله بخيلا) أي ممسكا عن بذل ماينبغي فيما ينبغي فالأصل في الانسان الشح والخارج عنه خالف أصله كما قال تعالى: ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله بينات) إما منصوب بالكسرة صفة لتسع أو مجرور بها صفة لآيات (قوله واضحات) أي ظاهرات دالة على صدقه (قوله وهي اليد) أي التي كان يضمها إليه و يخرجها فتخرج بيضاء لها شعاع (قوله والعصا) أي التي كان يلقيها فتصير حية عظيمة (قوله والطوفان) أي الماء حتى ملأ بيوتهم ومساكنهم فكانوا لايستطيعون أن يوقدوا نارا أصلا (قوله والجراد) أي فأكل زروعهم وحبوبهم (قوله والقمل) تقدم أنه قيل هو السوس ، وقيل هو القمل المعروف (قوله والضفادع) أي فملأ بيوتهم وطعامهم وشرابهم (قوله والدم) أي فانقلبت مياههم دما حتى كادوا يموتون عطشا (قوله والطمس) أي مسخ الأموال حجارة (قوله والسنين ونقص الثمرات) هذان شئ واحد لأن نقص الثمرات لازم للسنين ، وماذكره المفسر في عد الآيات التسع هو المشهور لأن هذه التسع هي التي ظهرت على يد موسى تهديدا لفرعون وقومه رجاء إيمانهم ، وقيل إن التسع هي اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل ، وفيه بعد لأن انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل لم تكن مقصودة لفرعون بل البحر كان لهلاكه والباقي بعده ، وقيل إن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا

عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ) سكن لهبها (زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) تلهبا واشتعالا (ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا) منكرين للبعث (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) مع عظمهما (قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي الأناسي في الصغر (وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا) للموت والبعث (لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) جحودا له (قُلْ) لهم (لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي) من الرزق والمطر (إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ) لبخلتم (خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) خوف نفادها بالانفاق فتقتروا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) بخيلا (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات ، وهي : اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات .

ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لاتعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله ، وعلى هذا فالمراد بالآيات الأحكام التى كلفوا بها وهى عامة ثابتة فى جميع الشرائع وقوله وعليكم الخ حكم زائد مخصوص باليهود (قوله فسئل يامحمد بنى إسرائيل) أى ليكون قولهم الموافق لك حجة على المشركين ، وعلى هذا فالجملة معترضة بين قصة موسى وفرعون (قوله عنه) أى عن ماجرى بين موسى وفرعون (قوله سؤال تقرير) أى سؤالا يترتب عليه التقرير من بنى إسرائيل وقوله للمشركين اللام للتعليل أى لأجل المشركين ، والمعنى اسئل يامحمد بنى إسرائيل عن ماجرى بين موسى وفرعون ليكون ذلك داعيا لايمان المشركين وانقيادهم (قوله أوفقلنا له) معطوف على قوله يامحمد ، والمعنى أن الخطاب لموسى وحينئذ فيكون القول مقدرا والمفعول محذوف والتقدير اسئل فرعون بنى إسرائيل أى اطلبهم منه لتذهب بهم إلى الشام يدل عليه قوله فى الآية الأخرى : فأرسل معى بنى إسرائيل (قوله وفى قراءة) المناسب أن يقول وقرىء لأنها شاذة وإنما القراءة السبعية بالأمر وفيها وجهان الهمز وتركه بنقل حركة الهمزة إلى الساكن (قوله بلفظ الماضى) أى بلاهمز بوزن قال (قوله إذ جاءهم) ظرف لآتينا على الاحتمال الأول وعلى الثانى فقد تنازعه كل من آتينا وقلنا (قوله فقال له فرعون) معطوف على مقدر والتقدير إذ جاءهم فبلغهم الرسالة ووقع بينهم ماوقع من المحاورات فقال الخ (قوله مغلوبا على عقلك) أشار بذلك (٣٤١) إلى أن مسحورا باق على معناه الأصلى أى أنك سحرت فغلب على عقلك ويصح أن يكون بمعنى فاعل كمشئوم أى أظنك ساحرا لإتيانك بالغرائب والعجائب (قوله لقد علمت) هو بفتح التاء خطاب لفرعون أى فقال له موسى يافرعون والله لقد علمت إن هذه الآيات ماأنزلها إلا رب السموات والأرض عبرا

(فَسْئَلْ) يا محمد (بَنِي إِسْرَائِيلَ) عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك فقلنا له اسأل ، وفى قراءة بلفظ الماضى (إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً) مخدوعا مغلوبا على عقلك (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ) الآيات (إِلَّا رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ) عبرا ولكنك تعاند وفى قراءة بضم التاء (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً) هالكا أو مصروفا عن الخير (فَأَرَادَ) فرعون (أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ) يخرج موسى وقومه (مِنَ الْأَرْضِ) أرض مصر (فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً . وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) أى الساعة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً) جميعا أنتم وهم (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن (وَبِالْحَقِّ) المشتمل عليه (نَزَلَ) كما أنزل لم يعتره تبديل (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (إِلَّا مُبَشِّراً) من آمن بالجنة (وَنَذِيراً) من كفر بالنار (وَقُرْآناً) ،

وإنما كفرك عناد خوفا على ضياع ملكك ورياستك (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وقوله بضم التاء أى والضمير لموسى ويكون المعنى لقد أيقنت وتحققت أن هذه الآيات التى جئت بها منزلة من عند الله تعالى (قوله وإنى لأظنك) أى أتحققك وعبر بالظن مشاكلة فان ظن فرعون كذب وظن موسى حق وصدق لظهور أماراته (قوله أومصروفا عن الخير) أى ممنوعا منه (قوله يخرج موسى وقومه) أى بقتلهم جميعا (قوله فأغرقناه ومن معه) أى نفعانا بهم ماأرادوه بموسى وقومه (قوله من بعده) أى بعد إغراقه (قوله اسكنوا الأرض) أى أرض مصر والشام (قوله أى الساعة) أى القيامة ووعدها وقتها وهو النفخة الثانية (قوله جئنا بكم) أى أحيينا كم وأخرجنا كم من القبور (قوله جميعا) أشار بذلك إلى أن لفيفا اسم جمع لاواحد له من لفظه وقيل مصدر لف لفيفا ، والمعنى جئنا بكم منضما بعضكم لبعض (قوله وبالحق أنزلناه) معطوف على قوله : ولقد صرفنا وهذا على أسلوب العرب حيث ينتقلون مما كانوا بصدده لشىء آخر ثم يرجعون له . واختلف المفسرون فى الحق الأول والثانى فمشى المفسر على أن المراد بهما الحكم والمواعظ والأمثال التى اشتمل عليها القرآن وإنما التكرير للتأكيد إشارة إلى أنه لم يتغير ولم يتبدل إلى يوم القيامة كما تغيرت التوراة والانجيل ، وقيل المعنى وماأنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لانزاله لاعبثا ومانزل إلا بالحكم والمواعظ لاشتماله على الهداية إلى سبيل الرشاد فالحق الأول كناية عن سبب نزوله والحق الثانى هو مااشتمل عليه من المعانى (قوله المشتمل عليه) أى المحتوى عليه القرآن (قوله إلامبشرا ونذيرا) حالان من الكاف فى أرسلناك .

(قوله منصوب بفعل) أى فهو من باب الاشتغال وعليه فجملة فرقناه لا محل لها من الاعراب والتنوين للتعظيم أى قرآنا عظيما (قوله فرقناه) هو بالتخفيف فى القراءة المشهورة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله نزلناه مفرقا) هذا أحد أقوال فى تفسير قوله فرقناه ، وقيل بينا حلاله وحرامه ، وقيل فرقنا به بين الحق والباطل (قوله أو وثلاث) أو لحكاية الخلاف أى أنه اختلف فى مدة نزول القرآن هل هى عشرون سنة أو ثلاث وعشرون وهو المبنى على الخلاف فى تعاقب النبوّة والرسالة وتقارنهما (قوله لتقرأه) متعلق بفرقنا وقوله : على الناس متعلق بتقرأه وكذا قوله : على مكث ولا يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد لأن الأوّل فى محل المفعول به والثانى فى محل الحال أى متمهلا فاختلف المعنى (قوله مهل وتؤدة) أى سكينة وتأنّ (قوله ليفهموه) أى ليسهل حفظه وفهمه (قوله على حسب المصالح) أى الوقائع التى تقتضى نزوله . فالحاصل أنه نزل مفرقا لحكمتين : الأولى ليسهل حفظه وفهمه . والثانية اقتضاء الوقائع لذلك قال تعالى : ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (قوله تهديد لهم) أى فالمعنى أن إيمانكم لا يزيد القرآن كمالا وامتناعكم لا يورثه نقصا (قوله إنّ الذين أوتوا العلم) تعليل لقوله : آمنوا به أو لا تؤمنوا ، والمعنى إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم أى لا تحزن على إعراضهم وعدم إيمانهم وتسلّ بإيمان هؤلاء العلماء (قوله وهم مؤمنو أهل الكتاب) أى كعبد الله بن سلام وسلمان والنجاشى وأقرانهم (قوله للأذقان) اللام بمعنى على أو على بابها متعلقة بيخرّون ويكون بمعنى يدلون وخصت الأذقان بالذكر لأنها أوّل جزء من الوجه تقرب من الأرض عند السجود وسجدا حال أى ساجدين لله على إنجاز وعده الذى وعدهم به فى الكتب القديمة أنه يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وينزل عليه القرآن (قوله ويقولون) أى فى حال سجودهم (قوله عن خلف الوعد) أى الذى رأيناه فى كتبنا بانزال القرآن وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم

منصوب بفعل يفسره (فَرَقْنَاهُ) نزلناه مفرّقا فى عشرين سنة أو وثلاث (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) مهل وتؤدة ليفهموه (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) شيئا بعد شىء على حسب المصالح (قُلْ) لكفار مكة (آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا) تهديد لهم (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب (إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا) تنزيها له عن خلف الوعد (إِنْ) مخففة (كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا) بنزوله وبعث النبى صلى الله عليه وسلم (لَمَفْعُولاً . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) عطف بزيادة صفة (وَيَزِيدُهُمْ) القرآن (خُشُوعًا) تواضعا لله ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر معه فنزل (قُلِ) لهم (ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) أى سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا يا ألله يا رحمن ، (أيا)

(قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وقوله : لمفعولا أى موفى ومنجزا (قوله بزيادة صفة) أى وهى البكاء ومراده بهذا دفع التكرار وهو معنى قوله تعالى فى سورة المائدة : وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ (قوله ويزيدهم القرآن) أى فالضمير يعود على القرآن ويصح عوده على البكاء (قوله وكان صلى الله عليه وسلم) أشار بذلك إلى سبب نزولها . وحاصله أنه سجد صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا ألله يارحمن فقال أبو جهل إن محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين (قوله إلها آخر) أى وهو الرحمن ظنا منهم أن المراد به مسيلمة الكذاب لأن قومه كانوا يسمونه رحمن اليمامة . قال بعضهم فى حقه :

سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا   وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

وهجاه بعض المسلمين بقوله :

سميت بالخبث يا ابن الأخبثين أبا   وأنت شرّ الورى لا زلت شيطانا

(قوله أى سموه بأيهما) أى اذكروا اسمه فى غير نداء (قوله أو نادوه) تفسير ثان لقوله ادعوا فعلى الأول يكون ناصبا لمفعولين أولهما محذوف تقديره معبودكم وعلى الثانى يكون ناصبا لمفعول واحد (قوله بأن تقولوا يا ألله يا رحمن) أشار بذلك إلى أن أسماء الله توقيفية فلا يجوز لنا أن نسميه باسم غير وارد فى الشرع . قال صاحب الجوهرة : * واختير أن أسماه توقيفيه *

(قوله أيا شرطية) أى منصوبة بتدعوا فهى عاملة ومعمولة والمضاف إليه محذوف قدّره المفسر بقوله : أى هذين (قوله فله الأسماء الحسنى) هذه الجملة جواب الشرط وهو ما اشتهر على ألسنة المعربين وقدّر المفسر جوابه بقوله فهو حسن فتكون الجملة دليل الجواب، والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على ذات المسمى ، وأسماؤه تعالى كثيرة ، قيل ثلاثمائة ، وقيل ألف وواحد ، وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن كلّ نبى تمدّه حقيقة اسم خاص به مع إمداد بقية الأسماء له لتحققه بجميعها ، وقيل ليس لها حدّ ولا نهاية لها على حسب شئونه فى خلقه وهى لانهاية لها والحسنى إما مصدر وصف به أومؤنث أحسن كأفضل وفضلى فأفرد لأنه وصف جمع قلة لما لايعقل فيجوز فيه الافراد والجمع وإن كان الأحسن الجمع . قال الأجهورى :

وجمع كثرة لما لا يعقل ... الأفصح الافراد فيه يافل

وغيره فالأفصح المطابقه ... نحو هبات وافرات لائقه

وحسن أسمائه تعالى لدلالتها على معان شريفة هى أحسن المعانى لأن مدلولها ذات الله أوصفاته (قوله كما فى الحديث) أى ونصه « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذى لاإله إلا هو » إلى آخر الرواية التى ذكرها المفسر واختارها وإن كان الحديث واردا بأوجه خمسة لكونها أصحّ الروايات الواردة ، ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد إنه وتر يحب الوتر ومامن عبد يدعو بها إلاوجبت له الجنة » ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة أسأل الله تعالى الرحمن الرحيم الإله الربّ » إلى آخره ، ومنها « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة الله الواحد الصمد » الخ ، ومنها « إن لله تعالى مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له » وكلها فى الجامع الصغير فى حرف الهمزة مع النون عن على وعن أبى هريرة ، والحفظ والاحصاء عند أهل الظاهر معرفة ألفاظها ومعانيها ، وعند أهل الله هو الاتصاف بها والظهور بحقائقها والعثور على مدارج نتائجها (قوله هو) ليس من الأسماء الحسنى بل هو عند أهل الظاهر ضمير شأن يفسره مابعده ، وعند أهل الله اسم ظاهر يتعبدون بذكره وعلى كل فهو زائد على التسعة والتسعين (قوله الله) هو أعظم الاسماء المذكورة لكونه جامعا لجميع الأسماء والصفات وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأل لازمة له لاللتعريف ولا غيره وهو ليس بمشتقّ على الصحيح (قوله الذى لاإله إلا هو) نعت للاسم الجليل : أى الذى لامعبود غيره (قوله الرحمن) أى المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيوية وأخروية ظاهرية وباطنية (قوله الرحيم) أى المنعم بدقائق النعم كما وكيفا دنيوية وأخروية ظاهرية وباطنية والدقائق ما تفرعت عن الجلائل كالزيادة فى الايمان والعلم والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر (قوله الملك) أى المتصرف فى خلقه بالايجاد والاعدام وغير ذلك وتسمية غيره تعالى به مجاز (قوله القدوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وأتى به عقب الملك لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أى المؤمن من المخاوف والمهالك أو الذى يسلم على عباده (قوله المؤمن) أى المصدق لرسله بالمعجزات ولأوليائه بالكرامات ولعباده المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم لأنه لايطلع على الاخلاص نبى مرسل ولاملك مقرّب وإنما يعلم من الله (قوله المهيمن) أى المطلع على خطرات القلوب (قوله العزيز) من عز بمعنى غلب وقهر فهو من صفات الجلال أومن عز بمعنى قلّ فلم يوجد له مثيل ولا نظير فهو من صفات السلوب (قوله الجبار) أى المنتقم القهار فيكون من صفات الجلال أو المصلح للكسر يقال جبر الطبيب الكسر أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهو التعالى فى العظمة وهى مختصة به تعالى لما فى الحديث القدسى « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته » (قوله الخالق) أى الموجد للمخلوقات من العدم (قوله البارئ) أى المبرئ من الأسقام أو المظهر لما فى الغيب من برئ بمعنى أظهر ما كان خفيا فيرجع لمعنى الخالق (قوله المصور) أى المبدع للأشكال على حسب إرادته فأعطى كل شئ من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله الغفار) إما مأخوذ من الغفر بمعنى الستر لأنه يستر على عباده قبائحهم فيحجبها فى الدنيا عن الآدميين وفى الآخرة عن الملائكة ولو كانت موجودة فى الصحف أومن الغفر بمعنى المحو من الصحف وهو مرادف الغفور والغافر ، وقيل إن الغافر هو الذى يغفر بعض الذنوب والغفور الذى يغفر أكثرها والغفار الذى يغفر جميعها ، والصحيح

(أيًّا) شرطية و (مَا) زائدة أى أىّ هذين (تَدْعُوا) فهو حسن ، دل على هذا (فَلَهُ) أى لمسماها (الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وهذان منها فإنها كما فى الحديث . « هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار

الأوّل لأنه لامبالغة فى أسماء الله بل صيغتها صيغة نسبة كتمار نسبة للتمر (قوله القهار) أى ذو البطش الشديد فهو من صفات الجلال (قوله الوهاب) أى ذوالهبات العظيمة لغير غرض ولاعلة فالطاعات لاتزيد فى ملكه شيئا و إنما رتب الثواب عليها من فضله وكرمه وهذا الاسم من صفات الجمال (قوله الرزاق) أى معطى الأرزاق لعباده دنيا وأخرى . قال تعالى ـ وما من دابة فى الأرض إلاعلى الله رزقها ـ وهو بمعنى الرازق والرزق قسمان ظاهر وهو الأقوات من طعام وشراب ونحوذلك و باطن وهو العلوم والأسرار والمعارف فالأوّل رزق الأبدان والثانى رزق الأرواح وكلّ من عند ربنا (قوله الفتاح) أى ذوالفتح لما كان مغلوقا حسيا أو معنويا فهو المسهل لكل عسير من خيرى الدنيا والآخرة فضلا منه و إحسانا وهذاوماقبله من صفات الجمال (قوله العليم) أى ذوالعلم وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة وانكشاف لايوصف بنظر ولاضرورة ولا كسب (قوله القابض) أى ذوالقبض ضدّ البسط فهوجلّ وعز قابض للأرزاق والأرواح وغيرذلك فيكون من صفات الجلال (قوله الباسط) أى ذوالبسط ضدّ القبض فهوسبحانه وتعالى باسط الأرزاق فى الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك . قال تعالى ـ والله يقبض و يبسط ـ وهذان الاسمان يظهر أثرهما فى العبيد ، وللعارفين مقامات فى القبض والبسط فالمبتدئ يسمون تجليه قبضا و بسطا والمتوسط يسمونه أنساوهيبة والكامل يسمونه جلالا وجمالا (قوله الخافض) أى لمن أراد خفضه : أى فهوخافض لكلمة الكفر وللظالمين ولكل متكبر وغيرذلك (قوله الرافع) أى ذوالرفع لأهل الاسلام والعلماء والصدّيقين والأولياء والسموات والجنة وغير ذلك من الحسى والمعنوى والأوّل من صفات الجلال والثانى من صفات الجمال (قوله المعز) أى خالق العز لمن يشاء من خلقه (قوله المذلّ) أى خالق الذل لمن أراد من عباده والأوّل من صفات الجمال والثانى من صفات الجلال (قوله السميع) أى ذوالسمع ، وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف (قوله البصير) أى ذوالبصر وهوصفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف فهى مساوية فى التعلق لصفة السمع ولايعلم حقيقة اختلافهما إلا الله تعالى وهما مخالفان لتعلق العلم لأن العلم يتعلق بالمعدومات والموجودات وهما إنما يتعلقان بالموجودات فقط وكل منها منزه عن صفات الحوادث . قال بعض العارفين : من أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يرونه ، فليقرأ عند مروره عليهم

القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعزّ المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور ، العليّ

ـ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ـ تسع مرات (قوله الحكم) أى ذو الحكم التام (قوله العدل) أى ذو العدل أو العادل فلا يظلم مثقال ذرّة فأحكام الله لاجور فيها بل دائرة بين الفضل والعدل لأن الجور التصرّف فى ملك الغير بغير إذنه ولاملك لأحد معه وأردف الحكم بالعدل دفعا لتوهم أن حكمه تارة يكون بالعدل وتارة يكون بالجور (قوله اللطيف) أى العالم بخفيات الأمور أومعطى الإحسان فى صورة الامتحان كاعطاء يوسف الصديق الملك فى صورة الابتلاء بالرقية وآدم الفوز الأكبر فى صورة ابتلائه بأكله من الشجرة و إخراجه من الجنة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم الفتح والنصر المبين فى صورة ابتلائه باخراجه من مكة وهى سُنة الله فى عباده الصالحين .

[فائدة] من قرأ قوله تعالى ـ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوىّ العزيز ـ فى كل يوم تسع مرات لطف الله به فى أموره و يسرله رزقا حسنا وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف (قوله الخبير) أى المطلع على خفيات الأشياء فيرجع لمعنى اللطيف على التفسير الأول أو القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات . قال بعضهم : من أراد أن يرى شيئا فى منامه فليقرأ قوله تعالى ـ ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ـ تسع مرات عند نومه (قوله الحليم) هوالذى لايعجل بالعقوبة على من عصاه وكفر به بل يمهله فان تاب محا عنه خطاياه ، ومن أقبح ما تقول العامة : حلم ربنا يفتت الكبود إذ معناه الاعتراض على سعة حلمه ولا يدرون أنه لولاحلمه علينا لخسف بنا فسعة حلمه بنا من أجل النعم علينا . قال العارف : الحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته (قوله العظيم) أى الذى يصغر كلّ شئ عند ذكره ولا يحيط به إدراك ولا يعلم كنه حقيقته سواه . فى الحديث « سبحان من لايعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته » فهو من الصفات الجامعة (قوله الغفور) تقدّم معناه عند تفسير اسمه الغفار (قوله الشكور) أى الذى يشكر عباده : أى يثنى عليهم فى الدنيا والآخرة فيعطى الثواب الجزيل على العمل القليل و يرفع ذكرهم فى الملأ الأعلى .

(قوله العلىّ) أى المرتفع المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال المستغنى عن كل ماسواه المفتقر إليه كل ماعداه (قوله الكبير) هو والعظيم بمعنى واحد (قوله الحفيظ) أى الحافظ للعالم العلوى والسفلى دنيا وأخرى قال تعالى ـ إن ربى على كل شىء حفيظ ـ (قوله المقيت) أصله المقوت نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فقلبت الواو ياء لمناسبة ماقبلها أى خالق القوت للأجساد والأرواح دنيا وأخرى وقوت الأجساد الطعام والشراب ونفعها بذلك وتلذذها به وقوت الأرواح الايمان والأسرار والمعارف وانتفاعها بها والكافر لاقوت لروحه (قوله الحسيب) أى الكافى من توكل عليه أو الشريف الذى كل من دخل حماه تشرف أو المحاسب لعباده على النقير والفتيل والقطمير فى قدر نصف يوم من أيام الدنيا أو أقل (قوله الجليل) أى العظيم فى الذات والصفات والأفعال فيرجع لمعنى العظيم والكبير (قوله الكريم) أى المعطى من غير سؤال أو الذى عمّ عطاؤه الطائع والعاصى (قوله الرقيب) أى المراقب الحاضر المشاهد لكلّ مخلوق المتصرف فيه وهو أعم من المهيمن لأنه المطلع على خطرات القلوب والرقيب المطلع على الظاهر والباطن (قوله المجيب) أى لدعوة الداعى قال تعالى ـ ادعونى أستجب لكم ـ وفى الحديث « مامن عبد يقول يارب إلا قال الله لبيك ياعبدى » (قوله الواسع) السعة فى حقه تعالى ترجع لنفى الأولية والآخرية والاحاطة فهو من صفات السلوب أو يراد منها أن رحمته وسعت كل شىء فيكون من صفات الجمال (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة وهى العلم التام والصنع المتقن (قوله الودود) أى المحب لعباده الصالحين المحبين الراضى عليهم قال تعالى ـ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان، أو الودود بمعنى المحبوب لأنه محب ومحبوب ، فمحبته لعباده إنعامه عليهم أو إرادة إنعامه فترجع لمعنى الرضا ومحبة عباده له ميلهم إليه وشغلهم به عمن سواه (قوله المجيد) أى الشريف ومثله الماجد (قوله الباعث) أى الذى يبعث الأموات أى يحييهم للحساب ويبعث الرسل لعباده لاقامة الحجج عليهم والأرزاق الدنيوية والأخروية (قوله الشهيد) أى المطلع على الظاهر والباطن فيرجع لمعنى الرقيب وأما قوله تعالى ـ عالم الغيب والشهادة ـ فتسميته غيبا بالنسبة لنا وإلا فالكلّ شهادة عنده (٣٤٥) (قوله الحقّ) أى الثابت الذى

> العلىّ الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود
> مجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوىّ المتين الولى الحميد المحصى المبدىء المعيد المحيي المميت
> الحى القيوم الواجد الماجد الواحد ،

لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا فيرجع لمعنى واجب الوجوب (قوله الوكيل) أى المتولى أمور خلقه دنيا وأخرى (قوله القوى) أى ذو القدرة التامة التى يوجد بها كل شىء ويعدمه على طبق مراده (قوله المتين) أى صاحب القوّة العظيمة التى لاتعارض ولا يعتريها نقص ولا خلل (قوله الولى) أى الموالى والمتابع للاحسان لعبيده ، أو المتولى للخير والشر بمعنى صدور الكل منه فيرجع لمعنى الوكيل ويشهد للأول قوله تعالى ـ الله ولىّ الذين آمنوا ـ الآية ، وللثانى قوله تعالى : أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى . وأما الولى من الخلق فمعناه الموالى لطاعة ربه المداوم عليها ، أو من تولى الله أمره فلم يكله لغيره (قوله الحميد) أى المحمود أى مستحق الحمد كله ، أو الحامد لعبيده الصالحين ولنفسه بنفسه (قوله المحصى) أى الضابط لعدد مخلوقاته جليلها وحقيرها . قال تعالى ـ وأحصى كل شىء عددا ـ (قوله المبدىء) بالهمزة أى المنشىء من العدم إلى الوجود ، وأما بغير همز فمعناه المظهر وليس مرادا هنا لكون الرواية بالهمز (قوله المعيد) أى الذى يعيد الخلق بعد انعدامهم قال تعالى : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . واختلف أهل السنة فى تلك الاعادة ، قيل عن عدم محض ، وقيل عن تفريق أجزاء . قال صاحب الجوهرة :

وقل يعاد الجسم بالتحقيق   عن عدم وقيل عن تفريق

(قوله المحيي) أى المقوّم للأبدان بالأرواح للخلائق من العدم أى الناقل لهم من حالة العدم لحالة الحياة (قوله المميت) أى الخالق للموت وهو عدم الحياة عما من شأنه الحياة قال تعالى ـ خلق الموت والحياة ـ (قوله الحى) أى ذو الحياة وهى فى حقه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته يستلزمها اتصافه بالمعانى والمعنوية (قوله القيوم) أى القائم بذاته تعالى المستغنى عن غيره ، أو المقوّم لغيره بقدرته فهو المتصرف فى العالم دنيا وأخرى (قوله الواجد) أى الغنى من الوجدان وهو عدم نفاد الشىء بمعنى أنه لو أغنى الخلق جميعا وأعطاهم سؤلهم لم ينقص من ملكه إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر (قوله الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدّم ، وهو الشريف أو واسع الكرم (قوله الواحد) أى الذى لاثانى له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فهو مستلزم لنفى الكموم الخمسة المتصل والمنفصل فى الذات والمتصل والمنفصل فى الصفات والمنفصل فى الأفعال والمتصل فيها لاينفى

بل هو تعلق القدرة والارادة فى سائر الكائنات إيجادا وإعداما فلا غاية له ولا نهاية قال تعالى ـ كلَّ يوم هو فى شأن ـ أى كل لحظة ولمحة فى شؤون يبديها ولا يبتديها والوحدة فى غيره نقص وفى حقه كمال، كما ورد أنه واحد لامن قلة بل وحدة تعزز وانفراد وتكبر لانعدام الشبيه والنظير والمثيل، وفى بعض النسخ زيادة لفظ الأحد وهو بمعنى الواحد والصواب إسقاطه لأنه ليس ثابتا فى حديث الترمذى الذى نسب الحديث إليه (قوله الصمد) أى الذى يقصد فى الحوائج فهو كالدليل للوحدانية (قوله القادر) أى ذو القدرة التامة وهى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات إيجادا وإعداما على وفق الارادة (قوله المقتدر) مبالغة فى القدرة أى العظيم القدرة التى لاشبيه لها ولا مثيل ولا نظير فيرجع لمعنى القوى المتين (قوله المقدم) بكسر الدال أى لمن أراد من عباده (قوله المؤخر) أى لمن أراد تأخيره قال تعالى ـ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ـ الآية (قوله الأول) أى الذى لاافتتاح لوجوده (قوله الآخر) أى الذى لاانتهاء لوجوده (قوله الظاهر) أى الذى ليس فوقه شئ ولا يغلبه شئ، أو الظاهر بآثاره وصنعه. ومن الحكم هذه آثارنا تدلّ علينا قال تعالى ـ كل يوم هو فى شأن ـ (قوله الباطن) أى الذى ليس أقرب منه شئ أو الذى تحجب عنا بجلاله وهيبته فلا تراه الأبصار فى الدنيا ولا تدرك حقيقته لأحد دنيا ولا أخرى. وقد جمعت هذه الأسماء الأربعة فى قوله صلى الله عليه وسلم «اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» (قوله الوالى) أى المتولى على عباده بالتصرف والقهر والإيجاد والاعدام فيرجع لمعنى الملك (قوله المتعالى) أى المنزه عن صفات الحوادث فيرجع لمعنى القدوس وأتى به عقب الوالى لدفع توهم طرو نقص عليه كالولاة (قوله البر) أى المحسن لعباده الطائعين والعاصين (قوله التوّاب) أى كثير التوبة لعباده المذنبين أى يقبل توبتهم إن تابوا أو الذى يخلق التوبة فى العبد فتظهر فيه قال تعالى ـ ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التوّاب الرحيم ـ وقال تعالى ـ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ـ (قوله المنتقم) أى المرسل للنقم والعذاب على الكفار والجبابرة الذين ماتوا مصرّين على ذلك فهو من صفات الجلال كقهار (قوله العفو) أى الذى لا يؤاخذ المذنب بالذنوب بل يمحوها ويبدلها بحسنات (قوله الرءوف) من الرأفة وهى شدة الرحمة ومعناها فى حقه تعالى الانعام أو إرادته (قوله مالك الملك) أى المتصرف فيه على مايريد ويختار قال تعالى ـ يحكم لامعقب لحكمه ـ (قوله ذو الجلال) أى صاحب الهيبة والعظمة، وقوله والاكرام أى الانعام والاحسان (قوله المقسط) أى الذى يحكم بالانصاف بين خلقه وضدّه القاسط بمعنى الجائر (قوله الجامع) أى لكل كمال أو للخلق يوم القيامة قال تعالى: وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، أو ماهو أعم وهو أولى (قوله الغنى) أى ذو الغنى المطلق وهو المستغنى عن كل ماسواه المفتقر إليه كل ماعداه (قوله المغنى) أى المعطى الغنى لمن يشاء دنيا وأخرى قال تعالى ـ وأنه هو أغنى وأقنى ـ (قوله المانع) أى الرافع عن عبيده المضار الدنيوية والأخروية قال تعالى ـ إن الله يدافع عن الذين آمنوا، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (قوله الضار) أى خالق الضرّ ضدّ النفع وهو إيصال الشر لمن شاء من عباده (قوله النافع) أى خالق النفع ضد الضر وهو إيصال الخير لمن شاء من عباده دنيا وأخرى (قوله النور) أى الظاهر فى نفسه المظهر لغيره أو خالق النور (قوله الهادى) أى خالق الهدى والرشاد الموصل له من أحبّ من عباده (قوله البديع) أى المبدع والمحكم كلّ شئ صنعه أو المخترع الأشياء على غير سابقة مثال قال تعالى ـ بديع السموات والأرض ـ أى محكمهما ومتقنهما ومخترع لهما على غير مثال سابق (قوله الباقى) أى الدائم الذى لايزول ولا يحول (قوله الوارث) أى الباقى بعد فناء خلقه، أو الذى يرجع إليه كل شئ قال تعالى: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون، كل شئ هالك إلا وجهه، ألا إلى الله تصير الأمور ـ (قوله الرشيد) أى صاحب الرشد وهو الذى يضع الشئ فى محله، أو خالق الرشد فى عباده فيرجع لمعنى الهادى (قوله الصبور) أى الذى لايعجل بالعقوبة على من عصاه فيرجع لمعنى الحليم، والله أعلم بحقيقة معانى أسمائه وأسرارها (قوله رواه الترمذى) أى عن أبى هريرة. واعلم أن للعارفين فى استعمال هذه الأسماء طرقا: فمنهم من يستعملها نثرا، ومنهم من يستعملها نظما كالشيخ الدمياطى وسيدى مصطفى البكرى وغيرهما، وأجل ماتلقيناه منظومة أستاذنا بركة

الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور» رواه الترمذى.

الوقت والزمان وإمام العصر الأوان القطب الشهير والمنهل المنير ابى البركات مهبط الرحمات الذى عم فضله الكبير والصغير شيخنا الشيخ أحمد بن محمد الدردير ، فانها عديمة النظير لاحتوائها على الدعوات الجامعة والأسرار اللامعة بمظاهر تلك الأسماء وهى آخر العلوم الالهية التى ظهرت على لسانه وقد ألقيت عليه فى ليلة واحدة فقام من فراشه وكتبها وكان يقرؤها فى كل يوم وليلة ثلاث مرات، فمن أراد الفوز الأكبر والظفر بالمقصود من خير الدنيا والآخرة فعليه بحفظها والمواظبة عليها صباحا ومساء ، ومن أراد الاطلاع على بعض معانيها وفوائدها فعليه بشرحنا عليها فان فيه النفع التام إن شاء الله تعالى (قوله ولا تجهر بصلاتك) سبب نزولها كما قال ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختفيا بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه ـ ولا تجهر بصلاتك ـ أى بقراءتك ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا وهذا الأمر قد زال من يوم إسلام عمر والحمزة فهو منسوخ فالمصلى الجهر فى الصلاة الجهرية ولو يزيد على سماع المأمومين ، وقيل نزلت فى الدعاء . وروى عن عائشة وجماعة ومثل الدعاء سائر الأذكار فلا يجهر بها ولا يخافت بها بل يكون بين ذلك قواما ، وعلى هذا القول فالآية غير منسوخة بل العمل بها مستمر (قوله ولا تخافت بها) المخافتة عدم رفع الصوت يقال خفت الصوت إذا سكن (قوله لينتفع أصحابك) علة للنهى عن المخافتة

قال تعالى (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله (وَلَا تُخَافِتْ) تسر (بِهَا) لينتفع أصحابك (وَابْتَغِ) اقصد (بَيْنَ ذَٰلِكَ) الجهر والمخافتة (سَبِيلًا) طريقا وسطا (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) فى الألوهية (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ) ينصره (مِنَ) أجل (الذُّلِّ) أى لم يذل فيحتاج إلى ناصر (وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به ، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده فى صفاته.

روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يقول : آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك إلى آخر السورة» والله تعالى أعلم.

قال مؤلفه : هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه ، وقد أفرغت فيه جهدى ، وبذلت فكرى فيه فى نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدى . وألفته فى مدة ،

(قوله وقل الحمد لله) أى الثناء بالجميل واجب لله (قوله الذى لم يتخذ ولدا) أى لم يكن له ولد لاستحالته عليه (قوله الألوهية) أى لم يكن له مشارك فى ألوهيته إذ لو كان معه مشارك فيها لما وجد شئ من العالم قال تعالى ـ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ـ وقال تعالى ـ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يكن له ناصر يمنع عنه الذل لاستحالته عليه عقلا، واستفيد من الآية أن له أولياء لا من أجل الذل بل بمعنى أنه ينصرهم و يتولى أمورهم مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار وإنما اختيارهم وتسميتهم أولياء وأحبابا فمن فضله وإحسانه، وكما أنه يستحيل عليه الولى بمعنى الناصر له من الذل يستحيل عليه العدو بمعنى الموصل الأذى إليه. وأما بمعنى أنه مغضوب عليه وليس راضيا بأفعاله فهو واقع (قوله أى لم يذل) أى لم يجر عليه وصف الذل لا بالفعل ولا بالقوة (قوله عظمه عظمة) اى نزهه عن كل نقص (قوله وترتيب الحمد الخ) دفع بذلك ما يقال إن المقام للتنزيه لا للحمد لأن الحمد يكون فى مقابلة نعمة وهنا ليس كذلك أجيب بأن الله كما يستحق الحمد لأوصافه يستحقه لذاته (قوله آية العز) أى التى من قرأها مؤمنا بها حصل له العز والرفعة وورد فى عدة استعمالها أنها ثلاثمائة وأحد وخمسون كل يوم و يقول قبلها توكلت على الحى الذى لا يموت الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا إلى آخرها (قوله جلال الدين المحلى) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم حتى كان من أخلاقه أنه يقضى حوائج بيته بنفسه مع كونه كان عنده الخدم والعبيد (قوله وقد أفرغت فيه) الضمير عائد على ما فى قوله آخر ما كملت به وكذا بقية الضمائر (قوله جهدى) بفتح الجيم وضمها أى طاقتى (قوله و بذلت فكرى) الفكر قوة فى النفس يحصل بها التأمل (قوله فى نفائس) أى دقائق ونكات مرضية (قوله أراها) بفتح الهمزة وضمها (قوله تجدى) أى تنفع .

(قوله قدر ميعاد الكليم) أى وهو أربعون يوما لأنه سيأتى أنه ابتدأ فيه أول يوم من رمضان وختمه لعشرة من شوال وفى ذلك إشارة إلى أن فى هذه المدة حصل لموسى الفتح و إعطاء التوراة وهى كلام الله فقد خلعت علىّ خلعة من خلعه حيث فتح على فى تلك المدة بخدمة كلام الله، والإخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة فان هذا الزمن عادة لايسع التأليف إلا بعناية من الله سيما مع صغر سن الشيخ حينئذ فانه كان عمره أقل من ثنتين وعشرين سنة بشهور (قوله وهو) أى ما كملت به (قوله مستفاد من الكتاب المكمل) هذا تواضع من الشيخ و إشارة إلى أنه حذا حذوه واقتفى أثره فالشيخ المحلى قدس الله روحه قد سنّ سنة حسنة للشيخ السيوطى فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة (قوله وعليه) أى الشيخ أو الكتاب المكمل وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم والاعتماد مبتدأ مؤخر وقوله فى الآى الخ متعلق بالاعتماد والمعول معطوف على الاعتماد عطف مرادف (قوله بعين الانصاف) إما على حذف مضاف أى بعين صاحب الانصاف أو فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الانصاف بانسان ذى عين وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشىء من لوازمه وهو العين فاثباته تخييل واحترز بعين الانصاف من عين الاعتساف فانها لا ترى محاسن أصلا كما قال العارف :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدى المساويا

(قوله ووقف فيه على خطأ) أى اطلع عليه (قوله فأطلعنى) أى دلنى عليه وعرفنى به (قوله وقد قلت) أى شاكرا الله سالكا سبيل الاعتذار (قوله إذ هدانى) أى لأجل هدايته لى (قوله لما أبديت) متعلق بهدانى (قوله فمن لى بالخطأ) أى من يتكفل لى باظهار الخطأ (قوله فأرد عنه) أى أجيب عنه أو أصلحه (قوله ومن لى بالقبول) أى من يبشرنى بالقبول من الله لهذا التأليف ولو حرفا لأن القبول من رحمة الله ومن رحمه لايعذبه (قوله هذا) أى افهم وتأمل ماذكرته لك

قدر ميعاد الكليم ، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم ، وهو فى الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل . وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمعول . فرحم الله امرأً نظر بعين الانصاف إليه . ووقف فيه على خطإ فأطلعنى عليه ، وقد قلت :

حمدت الله ربى إذ هدانى ... لما أبديت مع عجزى وضعفى

فمن لى بالخطا فأرد عنه ... ومن لى بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط فى خلدى أن أتعرض لذلك لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذه المسالك . وعسى الله أن ينفع به نفعا جمًّا ، و يفتح به قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما . وكأنى بمن اعتاد المطوّلات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسما ، وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقهما فهما ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى . رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقا ، واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا ، وجعلنا

(قوله فى خلدى) بفتحتين معناه البال والقلب (قوله لذلك) أى لتأليف تلك التكملة (قوله المسالك) أى مسالك التفسير الذى هو أصعب العلوم لاحتياجه إلى الجمع بين المعقول والمنقول (قوله وعسى الله) هذا ترج من الشيخ رضى الله عنه وقد حقق الله رجاءه (قوله جما) بفتح الجيم أى كثيرا (قوله غلفا) أى مغطاة ممنوعة من فهم علم التفسير لصعوبته (قوله عميا) أى لاتبصر فاذا نظرت فيه وتأملته فأرجو أن يزول عنها العمى لتبصره وتدركه (قوله وآذانا صما) أى فبسماعه يزول عنها الصمم وتصير مستمعة لدقائق التفسير (قوله وكأنى بمن اعتاد المطوّلات) أى ملتبس بمن اعتاد فالباء للملابسة و يصح أن تكون بمعنى من ، والمعنى وكأنى قريب ممن اعتاد الخ (قوله وقد أضرب) أى أعرض (قوله وأصلها) أى وهى قطعة الجلال المحلى (قوله حسما) الحسم المنع والقطع وهومفعول مطلق مؤكد لعامله المعنوى الذى هوأعرض كأنه قال وقد أعرض إعراضا (قوله وعدل) أى مال (قوله إلى صريح العناد) من إضافة الصفة للموصوف أى العناد الصريح (قوله ومن كان فى هذه) أى التكملة مع أصلها وفى بمعنى عن وقوله أعمى أى معرضا عنها وغير واقف على دقائقها وقوله فهو فى الآخرة المراد بها المطولات وقوله أعمى أى غير تام لما وهو اقتباس من الآية الشريفة.والاقتباس تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لاعلى أنه منه (قوله رزقنا الله به الخ) هذا الضمير وما بعده لما كمل به (قوله هداية) أى وصولا للمقصود (قوله على دقائق كلماته) أى القرآن

وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة ، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة ، وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم .

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي : أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعي أو وضعك ؟ فقال وضعي : فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها ، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك .

قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة : الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة ، كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامرية عندي في ذلك . وأما الذي رؤي في المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة وهي يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع: منها أن الشيخ قال في سورة ص : والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه ، وكنت تبعته أولا فذكرت هذا الحد في سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى : ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لانعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى . ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي في جمع الجوامع : والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك في سورة البقرة وزدت أو النصارى بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء . وفي المنهاج وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى في أصل دينهم حرمن، وفي شروحه أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ، ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

تم الجزء الثاني ، ويليه الجزء الثالث

وأوله :

سورة الكهف

كان كل في منزلته (قوله وفرغ من تأليفه) أي جمعه وتسويده بدليل قوله وفرغ من تبييضه (قوله سنة سبعين وثمانمائة) أي وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين (قوله وفرغ من تبييضه) أي تحريره ونقله من المسودة (قوله سادس صفر) أي فكانت مدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام (قوله السيوطي) بضم السين نسبة لسيوط قرية بصعيد مصر. واعلم أنه قد وجد بعد ختم هذه التكملة مما هو منقول عن خط السيوطي ما نصه : قال الشيخ شمس الدين محمد ابن أبي بكر الخطيب الطوخي أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي الخ فليس من أصل تأليف السيوطي والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

قال مؤلفه : وكان الفراغ من تسويد هذا الجزء يوم الخميس المبارك ثالث عشر شعبان سنة خمس وعشرين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف عليه أفضل الصلاة والسلام بمشهد الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا وأمدنا من مدده آمين .

فهـــرس

الجزء الثاني

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

صحيفة